محاضرات

الأستاذ المحقق

الشيخ جعفر السبحاني

٣٩١

سيد المرسلين صلى الله عليه وآله

دراسة تحليلية شاملة لأهم أحداث السيرة المحمدية؛

في شتى أبعادها الاجتماعية والرسالية والسياسية والعسكرية

بقلم

جعفر الهادي

الجزء الاول

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

بسم الله الرحمن الرحیم

سیدالمرسلین صلی الله علیه و آله

کاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعهٔ:

جامعه مدرسین حوزه علمیه قم، دفتر انتشارات اسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
سیدالمرسلین صلی‌الله علیه و آله المجلد۱ ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
الجزء الاول ----- ۲۵
[المقدمات] ----- ۲۵
[مقدمة الناشر] ----- ۲۵
[مقدمة المترجم] ----- ۲۶
السیرة المحمّدیة مدرسة الأجیال ----- ۲۶
مقدّمة المحاضر ----- ۲۷
التاریخ فی أعظم حماساته ----- ۲۷
مزایا هذا الکتاب: ----- ۳۱
سیّد المرسلین فی ضوء القرآن الکریم ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
۱ شبه الجزیرة العربیة ----- ۳۷
اشارة ----- ۳۸
مکة المعظمة: ----- ۳۹
اشارة ----- ۳۹
تاریخ مکة: ----- ۳۹
المدینة المنوّرة: ----- ۳۹
۲ العرب قبل الإسلام ----- ۴۲
اشارة ----- ۴۲
أخلاق العرب و تقالیدهم العامة: ----- ۴۳
هل کان للعرب حضارة قبل الإسلام؟ ----- ۴۴

ملامح المجتمع الجاهلی العربی فی منظور القرآن: ----- ۴۵
اشارة ----- ۴۵
۱- الشرک فی العبادة: ----- ۴۶
۲- إنکار المعاد: ----- ۴۶
۳- هیمنة الخرافات: ----- ۴۷
۴- الفساد الاخلاقی: ----- ۴۸
۵- وأد البنات و إقبارهن: ----- ۴۸
۶- تصوراتهم الخرافیة حول الملائکة: ----- ۴۹
۷- کیفیة الانتفاع من الانعام: ----- ۴۹
۸- الاستقسام بالازلام: ----- ۵۰
۹- النسیء: ----- ۵۰
۱۰- الربا: ----- ۵۱
صور من الوضع الجاهلی ----- ۵۱
العقیدة و الدین فی الجزیرة العربیة: ----- ۵۲
عقیدة العرب حول حالة الإنسان بعد الموت: ----- ۵۴
الآداب مرآة آداب الشعوب و نفسیاتها: ----- ۵۵
مکانة المرأة عند العرب الجاهلیة: ----- ۵۶
المرأة و مکانتها الاجتماعیة عند العرب: ----- ۵۷
مقارنة بسیطة: ----- ۵۹
العرب و الرّوح القتالیة: ----- ۵۹
الاخلاق العامة فی المجتمع الجاهلی العربی: ----- ۶۱
النزوع الی الخرافة و الاساطیر فی المجتمع الجاهلی: ----- ۶۲
الخرافات فی عقائد العرب الجاهلیة: ----- ۶۳
نماذج من الخرافات فی المجتمع الجاهلی: ----- ۶۴

اشارة ----- ۶۴
۱- الاستسقاء باشعال النیران: ----- ۶۴
۲- ضرب الثور اذا عافت البقر: ----- ۶۵
۳- کیّ صحیح الإبل لیبرأ السقیم: ----- ۶۵
۴- حبس ناقة عند القبر اذا مات کریم: ----- ۶۵
۵- عقر الإبل علی القبور: ----- ۶۶
۶- نهیق الرجل إذا اراد دخول القریة (التعشیر): ----- ۶۶
۷- تصفیق الضالّ فی الصحراء لیهتدی: ----- ۶۶
۸- الرتم: ----- ۶۷
۹- وطی المرأة القتیل الشریف لبقاء ولدها: ----- ۶۷
۱۰- طرح السنّ نحو الشمس اذا سقطت: ----- ۶۷
۱۱- تعلیق النجاسة علی الرجل وقایة من الجنون: ----- ۶۷
۱۲- دم الرئیس یشفی: ----- ۶۸
۱۳- شق البرقع و الرداء یوجب الحب المتقابل: ----- ۶۸
۱۴- معالجة المرضی بالامور العجیبة: ----- ۶۸
۱۵- خرافات فی مجال الغائب: ----- ۶۹
۱۶- عقائدهم العجیبة فی الجنّ و تأثیره: ----- ۶۹
۱۷- تشاءمهم بالحیوانات و الطیور و الاشیاء: ----- ۷۰
مکافحة الإسلام لهذه الخرافات: ----- ۷۰
أوضاع العرب الاجتماعیة قبیل ظهور الإسلام: ----- ۷۲
دول الحیرة و غسّان: ----- ۷۴
الدین فی أرض الحجاز: ----- ۷۵
العلم و الثقافة فی الحجاز: ----- ۷۷
الإمام علیّ یصف العهد الجاهلیّ: ----- ۷۷

فاطمة الزهراء تصف الوضع الجاهلی: ۸۰

جعفر بن ابی طالب یصف العهد الجاهلی: ۸۱

۳ إمبراطوریّتا الروم و إیران إبّان عهد الرّسالة ۸۱

اشارة ۸۱

أوضاع الروم ابان عهد الرسالة: ۸۲

اشارة ۸۲

ظاهرة الجدل العقیم فی المجتمع الرومی: ۸۲

أوضاع إیران إبان عهد الرسالة: ۸۴

اشارة ۸۴

البذخ و الترف فی البلاط الساسانی: ۸۴

الوضع الاجتماعی فی ایران: ۸۵

حقّ التعلّم خاص بالطبقات الممتازة!!: ۸۶

صفحة سوداء من جرائم خسرو برویز: ۸۸

حکم التاریخ فی الملوک الساسانیین: ۸۹

الفوضی فی الحکومة الساسانیة: ۹۰

الفوضی الدینیة فی ایران الساسانیین: ۹۱

الحروب الإیرانیة الرومیة: ۹۳

۴ أسلاف رسول الإسلام (ص) ۹۴

اشارة ۹۴

۱- بطل التوحید: إبراهیم الخلیل علیه السّلام ۹۴

اشارة ۹۴

مولد إبراهیم: ۹۵

إبراهیم و مکافحته للوثنیة: ۹۷

حوار الخلیل مع عبدة الکواکب: ۹۸

طريقة الأنبياء فى الحوار و الجدال: ۱۰۰
هل كان آزر والد إبراهيم؟ ۱۰۱
القرآن ينفى ابوّة «آزر» لإبراهيم: ۱۰۲
إبراهيم محطّم الأصنام: ۱۰۳
العبر القيامة فى هذه القصة: ۱۰۵
هجرة الخليل عليه السّلام: ۱۰۷
عين زمزم كيف ظهرت؟ ۱۰۸
تجديد اللقاء: ۱۰۹
۲- قصىّ بن كلاب: ۱۱۰
۳- عبد مناف: ۱۱۱
۴- هاشم: ۱۱۲
اشارة ۱۱۲
اميّة بن عبد شمس يحسد هاشما: ۱۱۳
هاشم يتزوّج ... ۱۱۴
۵- عبد المطّلب: ۱۱۵
اشارة ۱۱۵
حفر زمزم: ۱۱۶
التفانى فى سبيل الوفاء بالعهد و النذر: ۱۱۷
حادثة عام الفيل: ۱۱۸
اشارة ۱۱۸
ما هى عوامل هذه الحادثة؟ ۱۱۹
عبد المطّلب يذهب الى معسكر أبرهة: ۱۲۱
انتظار قريش: ۱۲۱
كلمة حول المعجزة: ۱۲۲

نقاط تقتضى التأمل فى التفسير المذكور: ----- ۱۲۴
نقطتان هامّتان: ----- ۱۲۵
بحث علمىّ حول المعجزة فى خمس نقاط: ----- ۱۲۶
اشارة ----- ۱۲۶
۱- ما هى المعجزة و ما هو تعريفها؟ ----- ۱۲۷
۲- هل الاعجاز يهدم القوانين العقلية المسلّمة؟ ----- ۱۲۸
اشارة ----- ۱۲۸
أ- العلة الطبيعية العادية ----- ۱۲۸
ب- العلة الطبيعية غير العادية و غير المعروفة ----- ۱۲۸
ج- تأثير النفوس و الارواح: ----- ۱۲۹
د- العلل المجردة عن المادة: ----- ۱۲۹
۳- هل المعجزة تصدر عن علل مادية غير معروفة فقط؟ ----- ۱۳۰
۴- كيف تدلّ المعجزة على صحّة ادّعاء النبوّة؟ ----- ۱۳۰
۵- بما ذا نميز المعاجز عن غيرها من الخوارق؟ ----- ۱۳۱
أوهام قريش تتفاقم!! ----- ۱۳۵
عبد اللّه والد النبىّ: ----- ۱۳۶
اشارة ----- ۱۳۶
دور الأيادى المشبوهة فى تاريخ الإسلام: ----- ۱۳۷
قصّة فاطمة الخثعميّة: ----- ۱۳۸
اشارة ----- ۱۳۸
علائم الاختلاق فى هذه القصة! ----- ۱۳۸
طهارة النبىّ من دنس الآباء و عهر الامهات: ----- ۱۳۹
وفاة عبد اللّه فى «يثرب»: ----- ۱۴۰
۵ مولد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ----- ۱۴۱

اشارهٔ ----- ۱۴۱
فترهٔ الطفولهٔ فی حیاهٔ العظماء: ----- ۱۴۲
فی أیّ یوم ولد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟ ----- ۱۴۴
أیّ هذین القولین هو الصحیح؟ ----- ۱۴۴
فترهٔ الحمل: ----- ۱۴۵
مؤاخذات و إشکالات علی هذا البیان: ----- ۱۴۶
الاحتفال بذکری المولد النبوی: ----- ۱۴۷
مراسم تسمیهٔ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۱۴۸
خطأ المستشرقین: ----- ۱۴۹
«أحمد» کان من أسماء النبیّ المشهورهٔ: ----- ۱۵۰
فترهٔ الرّضاع فی حیاهٔ النبی صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۱۵۱
نظرهٔ الإسلام فی تأثیر الرضاع: ----- ۱۵۳
۶ فترهٔ الطفولهٔ فی حیاهٔ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ----- ۱۵۳
اشارهٔ ----- ۱۵۳
۱- المادیّون، و جماعهٔ من المستشرقین: ----- ۱۵۴
خمسهٔ أعوام فی الصحراء: ----- ۱۵۶
۷ العودهٔ إلی أحضان العائلهٔ ----- ۱۵۷
اشارهٔ ----- ۱۵۷
سفرهٔ إلی یثرب: ----- ۱۵۸
وفاهٔ عبد المطّلب: ----- ۱۵۹
کفالهٔ أبی طالب للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۱۵۹
سفرهٔ إلی الشام: ----- ۱۶۰
اکذوبهٔ المستشرقین: ----- ۱۶۱
نظرهٔ إجمالیّهٔ إلی التوراهٔ الحاضرهٔ: ----- ۱۶۳

اشارة ۱۶۳

۱- داود علیه السّلام: ۱۶۴

۲- النبیّ سلیمان علیه السّلام: ۱۶۴

۳- یعقوب علیه السّلام: ۱۶۵

۴- إبراهیم علیه السّلام: ۱۶۵

۵- المسیح علیه السّلام: ۱۶۶

۸ فترة الشباب فی حیاة النبیّ الاکرم ۱۶۷

اشارة ۱۶۸

رسول اللّه و قدرته الروحیّة: ۱۶۸

حروب الفجار: ۱۶۸

اشارة ۱۶۸

الفجار الأوّل: ۱۶۹

الفجار الثّانی: ۱۷۰

الفجار الثالث: ۱۷۰

الفجار الرابع: ۱۷۰

حلف الفضول: ۱۷۱

۹ من فترة الشباب الی مزاولة التجارة ۱۷۳

اشارة ۱۷۳

سبب آخر لرعی الغنم: ۱۷۴

سبب ثالث: ۱۷۴

اقتراح أبی طالب: ۱۷۵

هل عمل النبی أجیرا لخدیجة؟ ۱۷۵

خدیجة زوجة الرّسول الاولی: ۱۷۷

اشارة ۱۷۷

خدیجة فی أحادیث الرسول صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۱۷۸
افتخار اهل البیت بخدیجة علیها السّلام: ----- ۱۸۳
العلل الظاهریة و الحقیقیة وراء زواج خدیجة بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۱۸۴
کیف تمّت خطبة خدیجة؟ ----- ۱۸۶
عمر خدیجة عند زواجها بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۱۸۷
۱۰ من الزواج الی البعثة ----- ۱۸۷
اشارة ----- ۱۸۷
فترة الشباب فی حیاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۱۸۸
احاسیسه و مشاعره الإنسانیة فی فترة الشباب: ----- ۱۸۸
أولاد خدیجة: ----- ۱۸۹
حدس لا أساس له من الواقع!! ----- ۱۸۹
دعیّ رسول اللّه: زید بن حارثة: ----- ۱۹۰
بدایة الخلاف بین الوثنیّین: ----- ۱۹۰
أعمدة الوثنیّة تهتزّ: ----- ۱۹۱
نموذج آخر عن ضعف قریش: ----- ۱۹۲
أمین قریش یکفل علیّا: ----- ۱۹۴
ایمان النبی و آبائه و کفلائه قبل الإسلام: ----- ۱۹۴
ایمان جده عبد المطّلب: ----- ۱۹۵
إیمان کفیله و عمه أبی طالب: ----- ۱۹۷
إیمان والدی النبی الاکرم: ----- ۱۹۷
ایمان النبی باللّه و توحیده قبل البعثة: ----- ۱۹۸
الآیة الاولی: الهدایة بعد الضلالة ----- ۲۰۱
الآیة الثانیة: الأمر بهجر الرجز ----- ۲۰۳
الآیة الرابعة: عدم رجائه إلقاء الکتاب إلیه ----- ۲۰۴

الآیة الخامسة: لو لم یشأ ما تلوته ۲۰۶
۱۱ بدء الوحی ۲۰۷
اشارة ۲۰۷
دور الأنبیاء فی اصلاح المجتمع: ۲۰۹
مثال واضح فی المقام: ۲۰۹
أمین قریش فی غار حراء: ۲۱۱
بدء الوحی: ۲۱۱
ظاهرة القضایا الغیبیّة فی منظار المادیّین: ۲۱۲
الروح المجردة: ۲۱۳
ظاهرة الوحی عند المادیّین: ۲۱۴
أبرز النظریات المادیة لظاهرة الوحی: ۲۱۴
ظاهرة الوحی فی منظار العقل و الدین: ۲۱۸
قنوات المعرفة الثلاث: ۲۱۹
أنواع الوحی و اصنافه: ۲۲۰
أساطیر مختلفة: ۲۲۰
اشارة ۲۲۱
بقیة حادثة نزول الوحی: ۲۲۱
خدیجة تذهب إلی ورقة بن نوفل: ۲۲۲
بطلان هذه المزاعم: ۲۲۳
۱۲ متی نزل الوحی أولا؟ ۲۲۴
اشارة ۲۲۴
[الرأی المشهور بین علماء السنة و استدلالهم] ۲۲۵
ما أجاب به علماء الشیعة: ۲۲۵
اشارة ۲۲۵

الجواب الأوّل: ۲۲۵
الجواب الثانی: ۲۲۶
الجواب الثالث: التفکیک بین نزول القرآن و البعثة ۲۲۷
الأنبیاء و البشارة برسول اللّه: ۲۲۸
محمّد خاتم الأنبیاء: ۲۲۹
۱۳ ما سبقنی أحد ۲۳۰
أوّل من آمن بالنبیّ من الرجال و النّساء: ۲۳۰
اشارة ۲۳۰
من النساء: «خدیجة» ۲۳۱
أقدم الرجال اسلاما: «علیّ» ۲۳۱
اشارة ۲۳۱
[الدلائل التأریخیة و النصوص الدالة علی أسبقیة الإمام علی] ۲۳۱
اشارة ۲۳۱
۱- علیّ تربّی فی حجر النبیّ ۲۳۲
۲- علیّ و خدیجة یقیمان الصلاة مع النبیّ: ۲۳۳
۳- أنا الصدّیق الأکبر: ۲۳۳
۴- أوّلکم إسلاما: علی ۲۳۴
النصوص النبویة: ۲۳۴
کلمات امیر المؤمنین علیه السّلام: ۲۳۵
کلمة الإمام السبط الحسن علیه السّلام: ۲۳۷
رأی الصحابة و التابعین فی أوّل من أسلم ۲۳۷
مناظرة بین المأمون و اسحاق [فی إسلام علی ع]: ۲۴۵
قضیّة «انقطاع الوحی»: ۲۴۶
اشارة ۲۴۶

اسطورة و ليس تاريخا! ----- ۲۴۷

إختلاف المؤرخين فى مسألة «انقطاع الوحى»: ----- ۲۴۸

اشارة ----- ۲۴۸

الاختلاف فى مدة انقطاع الوحى: ----- ۲۵۰

۱۴ الدعوة السرّيّة و دعوة الأقربين ----- ۲۵۱

اشارة ----- ۲۵۱

دعوة الأقربين: ----- ۲۵۲

اشارة ----- ۲۵۲

كيفيّة دعوة الأقربين: ----- ۲۵۴

خيانة تاريخيّة و جناية أدبيّة!! ----- ۲۵۵

النبوّة و الإمامة توأمان: ----- ۲۵۷

۱۵ الدعوة العامّة ----- ۲۵۸

اشارة ----- ۲۵۸

الثبات و الاستقامة على طريق الهدف: ----- ۲۵۸

ثبات النبى صلّى اللّه عليه و آله و صبره: ----- ۲۵۹

قريش تمشى إلى أبى طالب للمرّة الثالثة: ----- ۲۶۱

قريش تحاول تطميع رسول اللّه! ----- ۲۶۱

نماذج من إيذاء قريش و تعذيبها للمسلمين: ----- ۲۶۲

أبو جهل يكمن لرسول اللّه: ----- ۲۶۵

ابو لهب يؤذى رسول اللّه: ----- ۲۶۵

صبر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و استقامته: ----- ۲۶۶

إيذاء المسلمين و تعذيبهم! ----- ۲۶۶

اشارة ----- ۲۶۶

۱- بلال الحبشى: ----- ۲۶۶

۲- آل یاسر رمز الصمود و المقاومۀ! ۲۶۷
۳- عبد اللّه بن مسعود: ۲۶۸
۴- أبو ذر: أوّل المجاهدین بالإسلام ۲۶۹
قبیلۀ غفار تعتنق الإسلام: ۲۷۰
أعداء النبی الألدّاء: ۲۷۱
عمر بن الخطاب یعتنق الإسلام: ۲۷۲
۱۶ رأی قریش فی القرآن ۲۷۴
اشارۀ ۲۷۴
حکم الولید فی القرآن: ۲۷۵
نموذج آخر [من حکم البلغاء فی شأن القرآن]: ۲۷۶
تحججات قریش العجیبۀ: ۲۷۷
الدوافع وراء معاداۀ قریش و عنادهم: ۲۸۰
اشارۀ ۲۸۰
۱- حسدهم للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ۲۸۱
۲- معارضۀ الدعوۀ الإسلامیۀ لشهواتهم: ۲۸۱
۳- الخوف من عقوبات الیوم الآخر: ۲۸۲
۴- الخوف من القبائل العربیۀ المشرکۀ: ۲۸۲
طائفۀ من اعتراضات المشرکین: ۲۸۳
القرآن و النزول التدریجیّ: ۲۸۳
الأسرار المنطقیّۀ للنزول التدریجی للقرآن: ۲۸۵
اشارۀ ۲۸۵
أسرار اخری لنزول القرآن تدریجا: ۲۸۶
۱۷ الی الحبشۀ ۲۸۸
الهجرۀ الاولی ۲۸۸

الهجرة الثانیة الی الحبشة: ---- ۲۹۰

قریش توفد رجالا لاسترداد المسلمین: ---- ۲۹۰

العودة من الحبشة: ---- ۲۹۳

وفد مسیحیّ لتقصّی الحقائق یدخل مکة: ---- ۲۹۵

قریش توفد إلی یهود یثرب للتحقیق: ---- ۲۹۵

۱۸ الأسلحة الصدیئة و الاسالیب الفاشلة ---- ۲۹۶

اشارة ---- ۲۹۶

۱- الاتّهامات الباطلة: ---- ۲۹۷

اشارة ---- ۲۹۷

الإصرار فی نسبة الجنون إلیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ---- ۲۹۹

۲- القرآن یرد علی جمیع الاتهامات: ---- ۳۰۰

اشارة ---- ۳۰۰

فکرة معارضة القرآن: ---- ۳۰۲

تحججات صبیانیّة و جاهلیّة: ---- ۳۰۲

مقترحات عجیبة و مطالیب غریبة: ---- ۳۰۴

صبر النبیّ و استقامته و ثباته: ---- ۳۰۵

معاجز النبیّ لم تنحصر فی القرآن: ---- ۳۰۵

اشارة ---- ۳۰۵

۱- شقّ القمر ---- ۳۰۶

۲- المعراج ---- ۳۰۶

۳- مباهلة أهل الباطل ---- ۳۰۶

۴- الاخبار بالمغیبات ---- ۳۰۶

اصرار النبیّ علی هدایة قریش: ---- ۳۰۷

۳- تحریم استماع القرآن ---- ۳۰۸

اشارة ----- ۳۰۸
واضعوا القرار ينقضون قرارهم!! ----- ۳۰۹
۴- منع الاشخاص من الايمان برسول اللّه ----- ۳۰۹
اشارة ----- ۳۰۹
۱- «الاعشى»: ----- ۳۱۰
۲- الطفيل بن عمرو الدوسىّ: ----- ۳۱۰
۱۹ اسطورة الغرانيق ----- ۳۱۱
اشارة ----- ۳۱۱
ما هى اسطورة الغرانيق؟! ----- ۳۱۲
محاسبة بسيطة لهذه الاسطورة ----- ۳۱۳
رأى العقل فى هذه القصة: ----- ۳۱۳
تكذيب القصّة من طريق آخر ----- ۳۱۴
دليل لغوىّ على تفنيد هذه الاسطورة ----- ۳۱۵
اشارة ----- ۳۱۵
۱- ما هو المقصود من تمنى الأنبياء و الرسل ----- ۳۱۷
۲- ما هو المقصود من تدخّل الشيطان؟ ----- ۳۱۷
۳- ما هو المقصود من محو آثار التدخل؟ ----- ۳۱۸
۲۰ الحصار الاقتصادى و الاجتماعى ----- ۳۱۹
اشارة ----- ۳۱۹
قريش تحاصر النبىّ و المسلمين اقتصاديا و اجتماعيا ----- ۳۲۰
اشارة ----- ۳۲۰
[قريش و الصحيفة القاطعة] ----- ۳۲۰
وضع بنى هاشم المأساوى فى الشعب ----- ۳۲۱
۲۱ وفاة أبى طالب و خديجة الكبرى ----- ۳۲۵

اشارة ----- ۳۲۵
نماذج من مشاعر أبی طالب ----- ۳۲۷
اشارة ----- ۳۲۷
التغییر فی برنامج السفر ----- ۳۲۹
الدفاع عن حوزة العقیدة و الایمان ----- ۳۳۰
تصوّر باطل [عن مشاعر أبی طالب تجاه النبی ص] ----- ۳۳۱
الدافع الحقیقیّ لأبی طالب ----- ۳۳۱
لمحات من تضحیات أبی طالب ----- ۳۳۲
قضیّة ذات بواعث سیاسیّة: ----- ۳۳۳
الأدلّة علی إیمان أبی طالب ----- ۳۳۴
اشارة ----- ۳۳۴
۱- آثار أبی طالب العلمیّة و الأدبیة ----- ۳۳۴
الطریق الثانی لا ثبات إیمان أبی طالب ----- ۳۳۵
وصیة أبی طالب عند وفاته ----- ۳۳۶
[۳- شهادات أقرباء أبی طالب من أهل البیت] ----- ۳۳۷
رأی علماء الشیعة فی أبی طالب ----- ۳۳۷
نظرة إلی حدیث «الضحضاح» ----- ۳۳۸
اشارة ----- ۳۳۸
۱- ضعف أسناد هذه الروایة ----- ۳۳۸
اشارة ----- ۳۳۸
الف: سفیان بن سعید الثوری ----- ۳۳۸
باء: عبد الملک بن عمیر ----- ۳۳۹
جیم: عبد العزیز بن محمد الدراوردی ----- ۳۳۹
۲- نص حدیث الضحضاح یخالف الکتاب و السنة ----- ۳۳۹

اشارة ----- ۳۳۹
الف: القرآن الكريم ----- ۳۴۰
ب: السنة النبوية ----- ۳۴۰
۲۲- المعراج فى نظر القرآن و السنة و التاريخ ----- ۳۴۰
اشارة ----- ۳۴۰
هل للمعراج جذور قرآنية؟ ----- ۳۴۲
أحاديث المعراج: ----- ۳۴۳
متى وقعت هذه الحادثة؟ ----- ۳۴۴
هل كان المعراج جسمانيا؟ ----- ۳۴۵
ما هو المراد من المعراج الروحانى؟ ----- ۳۴۶
اشارة ----- ۳۴۶
الجواب: ----- ۳۴۷
نغمة شاذة: ----- ۳۴۷
المعراج و قوانين العلم الحديث: ----- ۳۴۸
اشارة ----- ۳۴۸
جوابنا: ----- ۳۴۹
الهدف من المعراج: ----- ۳۵۱
۲۳ سفرة إلى الطائف ----- ۳۵۲
اشارة ----- ۳۵۲
النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يعود إلى مكة: ----- ۳۵۴
نقطة هامة: ----- ۳۵۶
الدعوة فى أسواق العرب: ----- ۳۵۶
دعوة رؤساء القبائل فى مواسم الحج: ----- ۳۵۷
۲۴ بيعة العقبة ----- ۳۵۸

اشارة ----- ۳۵۸
وقعة بعاث: ----- ۳۵۹
اشارة ----- ۳۵۹
تفصيل الحادث: ----- ۳۶۰
بيعة العقبة الاولى: ----- ۳۶۰
بيعة العقبة الثانية: ----- ۳۶۱
أوضاع المسلمين بعد بيعة العقبة: ----- ۳۶۲
ردود فعل قريش تجاه بيعة العقبة: ----- ۳۶۴
تأثير الاسلام و نفوذه المعنوى: ----- ۳۶۵
مخاوف قريش المتزايدة: ----- ۳۶۷
۲۵ قصّة الهجرة ----- ۳۶۸
حوادث السنة الاولى من الهجرة ----- ۳۶۸
اشارة ----- ۳۶۸
الإمدادات الغيبية و العنايات الالهية: ----- ۳۶۹
ملک الوحى يخبر رسول اللّه: ----- ۳۷۰
اقتحام الاعداء لبيت الوحى: ----- ۳۷۲
النبىّ فى غار ثور: ----- ۳۷۳
قريش تفتش عن النبىّ: ----- ۳۷۳
التفانى فى سبيل الحق: ----- ۳۷۴
كلام من ابن تيمية: ----- ۳۷۶
اشارة ----- ۳۷۶
الجواب: ----- ۳۷۷
الجواب التفصيلى: ----- ۳۷۷
الخطيب و قضية المبيت: ----- ۳۷۹

بقية قصة هجرة النبيّ: ۳۷۹
الخروج من الغار: ۳۸۱
صفحة التاريخ الاولى: ۳۸۱
لما ذا أصبح العام الهجرى مبدأ للتاريخ: ۳۸۲
من الذى جعل الهجرة مبدأ للتاريخ؟ ۳۸۲
نماذج من رسائل النبيّ المؤرخة: ۳۸۳
اشارة ۳۸۳
سؤال: ۳۸۵
الجواب: ۳۸۵
التذكير بنقطتين: ۳۸۶
مؤامرة الطاغوت: ۳۸۶
برنامج الرحلة فى حادث الهجرة: ۳۸۷
النزول فى قرية قباء: ۳۸۸
المدينة تهبّ لقدوم النبيّ: ۳۸۹
النبيّ يدخل المدينة: ۳۹۱
أصل النفاق و منشؤه: ۳۹۲
الفهارس ۳۹۲
اشارة ۳۹۳
(۱) فهرس الآيات القرآنية ۳۹۳
(۲) فهرس الأحاديث الشريفة ۳۹۸
(۳) فهرس الأشعار ۴۰۱
(۴) فهرس الأعلام ۴۰۴
(۵) فهرس القبائل و الامم ۴۱۷
(۶) الكنى و الألقاب ۴۱۹

(۷) فهرس الوقائع و الأيام ---- ۴۲۲

(۸) فهرس الأماكن و البلدان ---- ۴۲۳

(۹) المذاهب و الأديان و نظم الحكم ---- ۴۲۷

(۱۰) فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة ضمنا ---- ۴۲۷

۱۱- فهرس المواضيع ---- ۴۲۸

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ---- ۴۳۹

سیدالمرسلین صلی‌الله علیه و آله المجلد۱

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی، جعفر ،۱۳۰۸ –
عنوان و نام پدیدآور : سیدالمرسلین صلی‌الله علیه و آله/ تالیف جعفر السبحانی.
مشخصات نشر : [قم]: الجماعه المدرسین فی الحوزه العلمیه بقم، موسسه النشر الاسلامی، ۱۴۱۲ق= .۱۳۷۰ –
فروست : موسسه النش‌رالاسلامی التابعه لجماعه المدرسین بقم المشرفه؛ ۳۹۰، ۳۹۱.
شابک : دوره ۰-۳۹۶-۴۷۰-۹۶۴ ؛ :۲۸۰۰۰ ریال: ج.۱ ۸۱-۷۱۶-۴۷۰-۹۶۴ ؛ :۴۵۰۰۰ ریال (ج.۱، چاپ دوم)
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : ج.۱ (چاپ دوم: ۱۴۲۷ق. = ۱۳۸۵).
یادداشت : کتابنامه.
شناسه افزوده : جامعه مدرسین حوزه علمیه قم. دفترانتشارات اسلامی
رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/س۲س۹ ۱۳۷۰
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳
شماره کتابشناسی ملی : م۷۱-۱۱۴۶

الجزء الاول

[المقدمات]

[مقدمة الناشر]

بسم اللّه الرحمن الرحیم لم تزل السیرة المحمّدیـة العطرة فی جمیع أبعادها موضع اهتمام الامـة الاسـلامیّة من لدن بزوغ فجر الاسـلام العظیم، و منذ الأیام الأولی من البعثة النبویة الشریفة.

و لاـ غرو فقـد کـان الرسول الأکرم محمّـد بن عبـد اللّه صـلّی اللّه علیه و آله یجسـد بسـیرته المثلی قیم الـدین و یمثل بأخلاقه السامیة أخلاق القرآن، و یعکس بمواقفه الرشیدة و بإدارته الحکیمة لشؤون الامة طریقة الاسلام فی إداره دفة الحیاة.

هـذا مضافا إلی أنه کـان القـدوة التی أمر اللّه تعـالی المسـلمین بالاقتـداء بهـا، و اقتفاء أثرها، کما أنه کان الظاهرة الفریـدة الباهرة فی الأـدب الرفیع و الانسانیـة الشـفافة و العاطفـة الصادقـة و الرحمـة و اللطف، و غیرهـا ممّـا کانت تفتقر بیئـة ظهور الاسـلام الاولی إلیه و تتعطش إلی مثله.

من هنا أخذ المسـلمون یهتمّون بکل حرکات الرسول صـلّی اللّه علیه و آله و سـکناته، و یتأمّلون فی جمیع أعماله و تصـرّفاته فاذا رأوا منه خلقـا بـادروا إلی تکراره فی سـلوکهم، و اذا شاهـدوا منه عملا أسـرعوا إلی فعله فی حیاتهم، و عمـدوا فی المال إلی تسـجیل کل صغیرة و کبیرة فی هذا المجال، و ضبط کل دقیقة و جلیلة فی هذا الصعید.

و فعلا کانت هذه السیرة الطیّبة العطرة المقدّسة هی المنهج العملی للمسلمین، و هی سرّ تقدّمهم، و هی رمز عظمتهم و سموّهم، و علوّ شأنهم و شأوهم.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴

و لا تزال هذه السيرة المشرفة اليوم قادرة على أن تكون ضوء المسيرة، و مشعل الطريق، و منهج العمل و مفتاح الانتصار فى معركتنا ضدّ قوى الشرّ و الطغيان.

و حيث إن امورا أقحمت فى هذه السيرة، كما أنّ تطور الزمن و كيفية الدراسات اقتضيا إخراج دراسات فى مجال السيرة تتناول البعد الذاتى و الرسالىّ و السياسىّ و القيادىّ و العسكرىّ لسيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله بالتحقيق و التحليل، و تتناسب مع حاجة العصر و لغته، لهذا رأت مؤسسة النشر الإسلامى أن تقدّم للجيل الحاضر خاصة و للمسلمين عامة هذه الدراسة القيامة فى سيرة خاتم الأنبياء محمّد صلّى اللّه عليه و آله لا تسأمها بكثير من هذه المواصفات.

و الدراسة هى مجموعة محاضرات للاستاذ المحقّق الشيخ جعفر السبحانى الذى عرف فى الأوساط الاسلامية بتحقيقاته العميقة فى الكتاب و السنّة و العقيدة و التاريخ.

و فى الوقت الذى تقوم به المؤسسة- و للّه الحمد- بطبع هذه الدراسة القيامة و نشرها بعد مقابلتها تقدّم جزيل شكرها و امتنانها لسماحة الاستاذ الألمعى الشيخ جعفر الهادى لما بذله من جهود وافرة من تعريبها و استخراج النصوص من مصادرها سائلة اللّه سبحانه له و لسماحة الشيخ المحاضر و لها المزيد من التوفيق، كما و تدعو المولى عزّ و علا أن يتقبّل منا جميعا و أن تشملنا شفاعة الرسول الأعظم و آله الأطهار عليهم السّلام فى يوم الحشر إنه خير موفّق و معين.

مؤسسة النشر الاسلامى

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵

[مقدمة المترجم]

السيرة المحمّدية مدرسة الأجيال

«لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» القرآن الكريم

النبىّ الأكرم «محمّد» صلّى اللّه عليه و آله اسوة للمسلمين ... اسوة يقتدون بها فى جميع مناحى حياتهم: الفردية و الاجتماعية، و السياسية ... اسوة إلى الأبد ... فى كل زمان و مكان، فى كل عصر و مصر، لجميع المسلمين من كل لون و لغة.

و لكن كيف يتأسّى المسلمون- فى مختلف الأجيال و الأدوار- برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و كيف يقتدون بسيرته المثلى، و يهتدون بهديه العظيم؟

إنّ هذا لا يتسنّى إلّا إذا كانت حياة رسول الإسلام بجميع خصوصياتها، و تفاصيلها، و فى جميع مجالاتها و نواحيها، مدوّنة مسجّلة، بل و محلّلة تحليلا دقيقا و عميقا.

من هنا فان الضرورة تقضى بوجود تاريخ مدوّن، مشفوع بالتحليل الدقيق، و الدراسة الموضوعية لشخصية و سيرة سيد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله فى كافة مجالاتها الشخصية و الرسالية و السياسية و العسكرية.

حقا إن فى حياة رسول الإسلام العظيم «محمّد بن عبد اللّه» صلّى اللّه عليه و آله- كما هو واضح لمن تتبع و تصفح- امورا دقيقة، و لكن بالغة العظمة فى مداليلها و معانيها، بالغة الأهميّة فى معطياتها و دروسها.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶

فرسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلم هو خاتم الأنبياء، و رسالته و شريعته خاتمة الرسالات و الشرائع و نهضته هى النهضة الكبرى التى مهّد لها الأنبياء السابقون، و قد فتحت هذه النهضة الالهية صفحة جديدة فى حياة البشرية، و غيّرت مسار التاريخ الإنسانى

تغییرا جذریا، و أسست حضارة کبری لا تزال أمواجها- رغم مرور أربعة عشر قرنا- حیة نابضة، فاعلة، تهز الضمائر، و تتفاعل مع العقول.

و لهذا فإنّ السیرة المحمّدیة مشحونة بالمناهج و الدروس، زاخرة بالبصائر و العبر، بقدر ما هی ملیئة بالدقائق و الحقائق، و اللطائف و الاسرار.

حقا إن حیاة النبی صلّی اللّه علیه و آله بحاجة إلی تعمق جدید کلما تجدّد الزمن، و کلما تقدمت العلوم و المعارف، و تطورات الحیاة، و انفتحت أمام البشریة آفاق جدیدة فی شتی الأصعدة و المجالات.

و لا شک أنّ هذه المهمة لیست عملا بسیطا و مهمّة سهلة، و خاصة مع ما علیه الکثیر من المصادر التاریخیة الاولی من تصحیف او تحریف او تشویه للحقائق، او تغییر للامور.

فان هذه المهمة تحتاج- فی ما تحتاج إلیه- إلی ثلاثة أشیاء أساسیة:

۱- عقلیة متفتحة، متدبرة، نافذة متأنیة.

۲- جهود کبیرة، و تتبع واسع، و تمییز للصحیح عن السقیم، و الدخیل عن الاصیل.

۳- معرفة بجوانب تتصل بالسیرة المحمّدیة اتصالا وثیقا کالمعرفة بمکانة سیّد المرسلین صلّی اللّه علیه و آله فی القرآن الکریم.

فمع توفّر هذه الشروط یمکن الحصول علی صورة نقیّة، و مفیدة للسیرة المحمّدیة المبارکة، صورة تتفق مع روح القرآن، و تلتقی مع الواقع، و تصلح للاتساء، و الاقتداء، و الاهتداء و الاقتفاء.

و لقد توفرت هذه الشروط- و للّه الحمد- فی استاذنا العلامة الحجّة المحقّق سماحة الشیخ جعفر السبحانی، حفظه اللّه.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۷

فهو المعروف بسلسلته القرآنیة «مفاهیم القرآن» التی تکشف عن إحاطة کبیرة بکتاب اللّه العزیز، و إلمام قلیل النظیر بمفاهیمه.

کما عرف بأعماله الفکریة الناضجة المتنوعة الکاشفة عن عقلیة متفتحة، واعیة و معاصرة.

و لهذا کان خیر من قام فی عصرنا الحاضر بدراسة السیرة المحمّدیة الطاهرة العبقة، فکان هذا العمل التاریخی المبارک الذی توفّرت فیه المستلزمات الثلاثة الآنفة الذکر: العقلیة المتفتحة، و المعرفة الواسعة بالقرآن الکریم و خاصة فی ما یتّصل بالرّسول الأکرم، إلی جانب التتبع الواسع و الاستقصاء الکبیر لمواقع العبرة و الاسوة فی حیاة خاتم الأنبیاء و سیّد المرسلین.

و لا أجدنی- فی هذا التقدیم العابر- بحاجة إلی ذکر نقاط القوة الکثیرة فی هذه الدراسة المستوعبة لشخصیة و حیاة رسول الإسلام، بل أری أن یحاول القارئ الکریم بنفسه الاطلاع علی ذلک حتی لا یفوته شیء ممّا لا یفوّت، و سیقف بنفسه أیضا علی جسامة ما بذل فی هذه الدراسة من جهد، و روعة ما ضمّنت من تحلیل، و أهمیة ما احتوته من حقائق.

و فی الختام اسأل اللّه العلی القدیر ان یتقبل منا جمیعا هذا الجهد، و یجعله ذخرا لیوم لا ینفع فیه مال و لا بنون، انه خیر معین.

قم جعفر الهادی ۳۰ شعبان ۱۴۰۹ هجریة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹

مقدّمة المحاضر

التاریخ فی أعظم حماساته

* مختبر «الحیاة» العظیم.

* «لقد عمّرت مع أولهم الی آخرهم!».
* حیاهٔ العظماء، و الخالدین.
* عند ما یلتقی العالم الحاضر بالعالم الغابر.
* التاریخ بین التسجیل
* أخطاء المستشرقین العجیبهٔ.

(۱) یحاول الإنسان دائما أن ینظر إلی کل قضیّهٔ من القضایا من نافذهٔ الحس، و إن یدرسها من خلال المنظار الحسی المادی، لأنّ أوثق المعلومات لدیه هی تلک التی تتألف من هذه «المعلومات الحسیهٔ» و لهذا فإن المسائل التی تحظی بأدلهٔ حسّیهٔ اکثر تکسب فی العادهٔ قسطا اکبر من ثقهٔ الانسان، و تصدیقه.

و علی هذا الاساس عمد العالم الیوم الی تأسیس آلاف المختبرات الضخمهٔ للتحقیق فی شتی القضایا العلمیهٔ، و یعکف العلماء فی هذه المختبرات علی دراسهٔ و تحلیل الامور المتنوعهٔ باسلوب خاص و طریقهٔ معینهٔ.

و لکن هل یمکن- تری- أن تدخل المسائل و القضایا الاجتماعیهٔ فی نطاق التجربهٔ المختبریهٔ، و تخضع للمجهر و المیکرسکوب، لیمکن الحکم فی هذه المجالات من خلال ذلک؟!

فمثلا؛ هل یمکن أن نعرف عن طریق التجارب المختبریهٔ ما یؤدّی إلیه

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰

الاختلاف و التشرذم فی المجتمع الواحد، و ما یصیب شعبا من الشعوب أو أمهٔ من الامم من هذا الطریق؟

أم هل یمکن تقییم ما تنتهی إلیه جهود المستعمرین، أو ما یؤول إلیه الظلم و الحیف، من خلال تجربهٔ حسیهٔ؟

أم هل یمکن الوقوف علی نتائج «الاختلاف الطبقیّ»، و «التمییز العنصریّ» فی المجتمع عن طریق التجربهٔ المختبریهٔ؟

(۱) فی الاجابهٔ علی کل هذه الاسئلهٔ یجب أن نقول: کلا مع الاسف.

و ذلک لأنّه لا توجد للقضایا الاجتماعیهٔ- رغم أهمیتها القصوی- مثل هذه المختبرات، و حتی لو أمکن توفیر مثل هذه المختبرات المناسبهٔ لتحلیل و تقییم و دراسهٔ القضایا الاجتماعیهٔ، فان إنشاءها و إیجادها یکلّف نفقات باهضهٔ، و تستدعی جهودا عظیمهٔ.

و لکنّ الأمر الذی فی مقدوره أن یقلّل من حجم هذا النقص إلی حدّ کبیر هو أننا نملک الیوم شیئا یسمی ب: «تاریخ الماضین» و الذی یشرح لنا ما کان علیه البشر- أفرادا و جماعات- طوال آلاف السنین من الحیاهٔ علی هذه الارض، کما و یعکس مختلف الذکریات و الخواطر عنهم، من انتصارات و هزائم،

و نجاحات و انتکاسات، و یوقفنا بالتالی علی کل ما وقع فی حیاهٔ الامم و الشعوب من حوادث مرهٔ او حلوهٔ.

إنّ التاریخ یذکر لنا: کیف وجدت الحضارات المشرقهٔ و المدنیات العظمی فی العالم، و کیف سلکت- بعد مدهٔ- طریق السقوط و الانقراض، حتی أنها قد محیت عن صفحهٔ الوجود بالمرّهٔ، و اصبحت خبرا بعد أثر، و بالتالی ما هی العوامل التی کانت وراء سیادهٔ الشعوب ثم اندحارها.

إنّ حیاهٔ الماضین و تاریخهم یحتفظ لنا فی صفحاته بقسط کبیر و مهمّ جدا من هذه الحوادث، و لهذا صح أن یقال: «التاریخ مختبر الحیاهٔ العظیم»، فبمعونهٔ التاریخ یمکن تقییم مختلف القضایا الاجتماعیهٔ، و دراستها و استخلاص النتائج و العبر المفیدهٔ منها.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱

(۱) و إنّ من حسن الحظ أننا لم نکن أول من حطّ قدمه علی هذا الکوکب، فهذه الارض بسهولها و شعابها العریضهٔ، و تلک السماء بنجومها و کواکبها الساهرهٔ شهدتا ملایین الملایین من البشر الذین سکنوا الارض من قبلنا، و شهدتا افراحهم و اتراحهم، همومهم و غمومهم، حروبهم، و مصالحاتهم، و کل ما رافق و اکتنف حیاتهم من حبّ و بغض و ظلمات و أنوار، و ارتقاء و هبوط، إلی غیر

ذلک من شئون و شجون الحیاۀ البشریۀ التی یزخر بها تاریخ الشعوب و الاقوام و الامم.

صحیح أنهم قد اختلفوا مع الکثیر من أسرار حیاتهم، و غابوا جمیعا- أشخاصا و أسرارا- فی بحر من النسیان و انسدل علیهم الستار، إلّا أن قسطا ملفتا للنظر و جملۀ یعتد بها من تلک الامور إما أنها قد دوّنت بأیدی أصحابها، أولا تزال طبقات الارض و بطون التلال تحتفظ بها فی ثنایاها و طیاتها، کما و لا تزال ذات الاطلال الصامتۀ- فی ظاهرها- تشکل أضخم متحف، و اغنی معرض، و اکبر مختبر، یعید لنا شریط التاریخ و یحکی وقائعه و أحداثه، و یشرح رموزه و أسراره.

إنّ مطالعۀ تلکم الصفحات من تاریخ الامم الغابرۀ فی الکتب، او فی الاطلال العظیمۀ، أو فی ما یعثر علیه المنقّبون فی بطون التلال، و ثنایا الارض تعلّمنا امورا کثیرۀ، و تضیف إلی عمرنا عمرا جدیدا و زمنا اضافیا، لا یستهان به و ذلک بما تقدم لنا من الخبرۀ و العبرۀ، و الهدی و البصیرۀ.

أ لیست حصیلۀ العمر ما هی إلّا ما استفاده المرء من تجارب؟ أ لا یجعل التاریخ خلاصۀ أفضل التجارب تحت تصرفنا؟

(۲) و لقد اشار الإمام امیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیه السّلام فی وصیۀ لولده الی هذه الحقیقۀ حیث قال:

«أی بنیّ! إنّی و إن لم اکن عمّرت عمر من کان قبلی، فقد نظرت فی أعمالهم و فکّرت فی أخبارهم و سرت فی آثارهم حتی عدت کأحدهم بل کأنّی بما انتهی إلیّ من امورهم قد عمّرت مع أوّلهم إلی آخرهم» «۱».

---

(۱). نهج البلاغۀ، قسم الرسائل. رقم ۳۱.

(۱) و لکنّ المؤسف أن کتب التاریخ الموجودۀ الآن تعانی من نقص کبیر من حیث الاشارۀ الی العبر و الدروس الاجتماعیۀ المفیدۀ، لأن هذه المصنفات لم تدوّن لأجل هذا الغرض، و لهذا اغفل فیها- فی الاغلب- کل ما هو مؤثر فی کشف الحقائق التاریخیۀ، و إبراز العلل الکامنۀ وراء الحوادث المتنوعۀ و الوقائع المختلفۀ، و بالتالی فقد تجاهلت تلک الکتب و الدراسات ما هو المفتاح الطبیعیّ لحلّ الرموز الکبری فی مسیرۀ التاریخ البشری، و اعتنت- بدلا عن ذلک- بالقضایا التافهۀ.

لقد تصدّی کثیر من المؤرّخین لتدوین و تسجیل القضایا التاریخیۀ، تارۀ بهدف التسلیۀ و اخری بدافع إبراز الفضل لأقوامهم او طوائفهم، و اظهار تفوقها علی الاقوام و الطوائف الاخری، و ثالثۀ بدافع الحب و البغض، او التعصب لهذا أو ذاک و لهذا عجزت هذه المؤلفات و الکتب عن حل أیۀ مشکلۀ، و تبدید أیۀ حیرۀ، بل هی تزید المرء ضلالا إلی ضلال، و حیرۀ الی حیرۀ!

و لکن رغم کل هذا یستطیع اولو النباهۀ و البصیرۀ، و اصحاب الفهم و التحقیق ان یتوصلوا- من خلال مطالعۀ هذه المؤلفات التاریخیۀ علی ما فیها من عیوب و نقائص، و مع ما فیها من أساطیر عن الشعوب المختلفۀ- إلی ما یساعدهم علی کشف الکثیر من اسرار و خلفیات القضایا و الامور المتعلقۀ بالشعوب الماضیۀ، تماما کما یفعل الطبیب الحاذق، او القاضی البارع الذی یمکنهما من خلال الوقوف علی القرائن الجزئیۀ المتفرقۀ، التوصّل إلی اکتشاف نوع «المرض» أو حالۀ «المتهم» الحقیقیۀ، و ما یعانی منه فی واقعه النفسی.

(۲) إنّ أعظم صفحات التاریخ قیمۀ هی تلک التی تعکس لنا حیاۀ العظماء و سیرۀ الرجال الخالدین، و تبحث عنها بصدق و امانۀ و موضوعیۀ.

إنّ لحیاتهم أمواجا خاصۀ، کما أنها زاخرۀ بانواع الحوادث.

لقد کانوا عظماء حقا، و کذلک کان کل ما یرتبط بهم، و من ذلک تاریخهم، إنه شیء عظیم یستحق التأمّل و التدبر، فهو یتسم بلمعان یلفت الأنظار، و یخلب

الالباب و إنّه غنی بالعظات و العبر، زاخر بالبصائر و الدروس و الی درجۀ لا توصف.

إنهم معجزة الخليقة بلا ريب، و إن حياتهم لهى- فى الحقيقية- ملحمة التاريخ الكبرى، و ساحة البطولات الخالدة، و مسرح الحماسات العظمى، الحية النابضة على مر العصور، و الايام.

لقد كان اولئك العظماء يعيشون فى الاغلب على خط الثورات و التغييرات الاجتماعية الاول (و بعبارة أصح) كانت الثورات و التحولات الاجتماعية تجد مصداقيتها فى حياتهم و تتجسد فى مواقفهم، و لهذا كانوا يشكلون- فى واقع الأمر- حلقة الاتصال بين الدنياوات المختلفة المتناقضة، و كانت حياتهم الحافلة بالاحداث شاهدة للألوان المختلفة و المشاهد المثيرة المتنوعة.

(۱) و على رأس اولئك الرجال التاريخيين و العظماء الخالدين رسول الإسلام العظيم محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فانه لم تتسم حياة أحد- من حيث و فرة الاحداث، و عظمة الأمواج، كما اتسمت به حياته صلّى اللّه عليه و آله و لا اتصفت شخصية بمثل ما اتصف به ذلك النبى العظيم.

فلم يستطع احد سواه أن يؤثّر فى بيئته، ثم فى جميع العالم، و ينفذ إلى أعماق الاعماق بمثل السرعة و السعة التى حصلت له صلى اللّه عليه و آله.

و لم يوجد أىّ واحد منهم قط من مجتمعة المنحطّ المتخلّف، حضارة بتلك العظمة و الشموخ، كما فعله رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله- و تلك حقيقة يقرّبها كل مؤرخى الشرق و الغرب.

إنّ مطالعة عميقة لسيرة و حياة هذا الإنسان العظيم، قادرة على أن تعلمنا الكثير الكثير، و أن توقفنا على مشاهد متنوّعة فى غاية النفع و منتهى الفائدة.

إن مشاهد عجيبة مثل الأيام الاولى من بناء الكعبة المعظمة، و استيطان اسلاف النبى الكريم «مكة» و هجوم عسكر الفيل الفاشل لهدم بيت اللّه المعظم، و الاحداث و الملابسات المرافقة لمولد النبى صلّى اللّه عليه و آله.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴

كما و إن مشاهد محزنة مثل وفاة «عبد اللّه» و «آمنة» والدى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى مطلع حياته الشريفة بتلك الكيفية المؤلمة.

و مشاهد عظيمة و مهيبة و حافلة بالاسرار مثل الايام الاولى من نزول الوحى، و ما جرى فى جبل «حراء» و ما تبعه من مواقف الاستقامة و المقاومة التى ابداها و اتخذها رسول اللّه و اصحابه المعدودون طيلة ثلاثة عشر عاما، فى سبيل نشر الدين الاسلامى فى مكة، و مكافحة الوثنية و الجاهلية.

و كذا مشاهد مثيرة و ساخنة و حماسية مثل وقائع السنة الاولى من الهجرة المباركة و ما عقبتها من حوادث و مواقف.

(۱) و لقد الّفت حول حياة رسول الإسلام أعظم قادة البشرية على الاطلاق كتب و رسائل و دراسات كثيرة بحيث لو أتيح لنا أن نجمعها فى مكان واحد لشكلت مكتبة عظيمة و ضخمة.

و يمكن القول- بشكل قاطع- بأنه ليس ثمة من عظيم استقطب اهتمام التاريخ و المؤرخين و المفكرين العالميين الكبار، كما ليس ثمة شخصيّة من شخصيّات العالم كتب حولها المؤلفون و الباحثون هذا القدر الهائل من المؤلفات و المصنفات، و الرسائل و الكتب، كما حصل لرسول الإسلام محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

(۲) إلّا أن أكثر هذه الكتب و المؤلفات تعانى من أحد إشكالين: إما أن الكتاب جاء على نسق التسجيل المجرد للحوادث، أو النصوص التاريخية، من دون أن يتصدى فيه مؤلفه لتحليلها، و دراسة خلفياتها و نتائجها، و إصدار الحكم اللازم فيها، بل إن البعض قد تجنب عن بيان علل الوقائع الإسلامية و اسبابها، و ثمارها و معطياتها كذلك.

أو أن المؤلّف- فى بعضها الآخر- عمد إلى طائفة من الآراء الحدسية، و الاجتهادات الباطلة، العارية عن الدليل و اثبتها فى مؤلّفه على أنها الحكم الحق،

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۵

و خلط هـذه الاحكـام مع بيـان الحـوادث، و من ثم اخرج كتـابه ذاك الى الجمهور المتعطش الى تاريـخ الإسـلام، على أنّه التـاريخ المحقّق، الممحّص.

(۱) إن الإشـكال الـذى يرد على الطائفـة الاـولى هـو: أن الهـدف من التاريـخ ليس هو مجرّد تسـجيل الحوادث التاريخيـة و ضـبطها و تـدوينها، إنما هو كتابة صـفحات التاريخ، و قضاياه و أحداثه من المصادر الصـحيحة الموثوق بها، و إبراز عللها و اسـبابها، و ثمارها و نتائجها، و التاريخ بهذا الشكل أعظم كنز تركه الأقدمون لنا، و مثل هذا النوع من الدراسة التاريخية لم تدوّن- أو أنه قلّما دوّنت- حول أعظم قادة البشـر، محمّد صـلّى اللّه عليه و آله فقد تجنب اكثر كتاب السـيرة النبوية عن اظهار الرأى فى الحوادث، او القيام باى تحليل للوقائع، بحجة الحفاظ على اصول الحوادث و نصوصها.

(۲) فى حين أنّ هـذا العـذر، و هـذه الحجـة غير كافيـة لتبرير هـذا الموقف، لأـنه كـان فى مقـدور اولئك المؤرخين- للحفاظ على ما ذكروه- أن يؤلفوا نوعين من الكتب، نوعا يختص بسـرد الوقائع و النصوص التاريخيـة على ما هى عليه من دون ابداء رأى، او تحليل و دراسـة، و نوعا آخر يعتنى بذكر الحوادث و القضايا التاريخية مع تحليلها و دراسـتها بصورة موضوعية صـحيحة أو ان يتم كلا الأمرين فى كتاب واحد بأن تفرز الحوادث التاريخية عن التحليل و الرأى.

(۳) على كل حال قلما نجد بين قدماء الكتّاب المسلمين من تصدى للسيرة النبوية المحمّدية الطاهرة بهذه الصورة، و قلما يوجد هناك كتاب يتناول حياة خاتم الأنبياء و سيّد المرسلين بالتحليل المذكور.

بل لا بـدّ من القول بان السـيرة النبويـة الطاهرة ليست هى وحـدها التى حرمت من مثل هـذا النمط من التأليف و الكتابة، بل شـمل هذا الحرمـان اكثر الحوادث التاريخيـة التى وقعت على مر العصور الإسـلامية فهى إدراجات فى الكتب من دون دراسـة موضوعيـة و تقييم دقيق.

(۴) نعم إن أول من فتح هذا الطريق على وجه عامة المؤلفين و الكتاب هو:

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۶

العلامة المغربى «ابن خالدون» «۱» فقد أسس فى مقدمته المعروفة باسم مقدمة ابن خالدون نمط التاريخ التحليلى بنحو من الانحاء.

(۱) و أما الطائفة الثانية من تلك الكتب فهى و إن الفت على نمط التاريخ التحليلى و اتسمت بصفة التحقيق و الدراسة و لكن حيث ان بعضـهم لم يتجشم عناء التتبع و الاستقصاء، أو أنه اعتمد فى تحليله للحوادث على المصادر غير المتقنة و غير الصحيحة، فقد تورط فى أخطاء فضـيعة محيّرة، و أكثر مؤلفات المستشـرقين- التى لم تكتب فى الأغلب بهدف التوصل الى الحقيقة- من هذا النمط، و من هذه القماشة.

و لقد دأب فى هذه الدراسة- بعد ملاحظة هذه الاشكالات- على ان يقدم إلى القراء جهد امكانه كتابا يخلو عن عيوب و نقائص كلتا الطائفتين.

(۲)

مزايا هذا الكتاب:

قـد لاـ يكون من الضـرورى بيان مزايا هـذا الكتاب، و اسـتعراض امتيازاته فى مقـدمته، فـذلك أمر ينبغى أن يقف عليه القارئ الكريم بنفسه ضمن مطالعته لهذه الدراسة، إلّا انه إلفاتا لنظر القارئ نشير الى مزيتين هامتين هما:

(۳) أولاـ: أنّنا عمـدنا فى هـذا الكتاب الى تناول و بيان الحوادث و الوقائع المهمـة التى تنطوى على قـدر، اكبر من الفائـدة، و العبرة، و

أعرضنا صفحا عن ذكر الاحداث الجزئية، و الوقائع الصغيرة مثل الكثير من السرايا.

ثم إننا أخذنا الحوادث التاريخية هذه من المصادر الأصيلة، و الأولية، التى دوّنت فى القرون الإسلامية المشرقة الاولى، فقد استخلصنا الحادثة من مجموعة تلك المصادر، ثم أشرنا إلى مصدر أو مصدرين من المصادر التى ذكرت الحادثة

---

(۱) هو القاضى عبد الرحمن بن محمّد الحضرمى المالكى المتوفى عام ۸۰۸ هج، و مقدمته و تاريخه- على ما فيهما من أخطاء فضيعة فى التحليل معدود ان من الكتب الجيدة المفيدة، و هما مبتكران فى نوعهما.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۷

بصورة اكثر تفصيلا و دقة.

و ربما يظن بعض القرّاء الكرام أننا اكتفينا فى نقل الحوادث و الوقائع بمراجعة مصدر أو مصدرين ممّا ذكرناه فى أقصى الصفحة (أى الهامش) فى حين أن الواقع هو غير هذا، فنحن قد راجعنا حتى فى نقل الحوادث الصغيرة مهما صغرت، اكثر المصادر الأصيلة المعروفة، و بعد التحقق و التشبث منها لخصناها و ذكرناها فى هذا الكتاب.

و لو أننا أشرنا- فى جميع الحوادث و الوقائع- الى جميع المصادر التى مررنا بها لاستأثر جدول المصادر بقسم كبير من صفحات هذا الكتاب، و هو أمر من شأنه أن يبعث على الملل عند القرّاء، فلكى لا يحسّ القرّاء بأىّ تعب أو ملل من جانب، و لأجل أن نحافظ على وثائقية الكتاب و أصالة أبحاثه و إتقانها من طرف آخر اكتفينا بذكر القدر اللازم من المصادر و تجنبنا تحشيدها بتلك الصورة المملّة.

(۱) و أما المزية الثانية: فإننا أشرنا- ضمن الدراسات اللازمة- إلى الاعتراضات و الاشكالات، بل و أحيانا إلى مواطن الاساءة التى قام بها المستشرقون المغرضون و أجبنا على جميع الانتقادات و الاعتراضات غير المبرّرة و غير الصحيحة بأجوبة مقنعة و قاطعة و صحيحة، و جرّدناهم من الاسلحة التى شهروها فى وجه الإسلام و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- كما يقول المثل، و تلك حقيقة يقف عليها القارئ الكريم بنحو أجلى فى محلّها.

و على هذا الاساس عمدنا إلى ذكر رأى المؤلّفين الشيعة (فى المسائل المختلف فيها بين المؤرخين الشيعة و المؤرخين السنة) مع ذكر المصادر و الشواهد التاريخية الواضحة و المبرهنة عليه، و أزحنا كل ما يدور حول ذلك الرأى من شبهة أو إشكال، و يستهدف إنكار صحته و حقانيته.

إننا إذ نقدّم هذه الدراسة التحليليّة لشخصية و حياة خاتم الأنبياء محمّد صلّى اللّه عليه و آله إلى القراء الكرام نأمل أن يهتم بها عامّة المسلمين و خاصة المثقفين و الشّباب منهم بوجه خاصّ، و يتناولوا هذه السيرة العطرة بالمطالعة المتأنّية و التأمل

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۸

و التدبر، و نأمل أن يستطيع شبابنا المؤمن المتحمّس من أن يرسم خريطة حياته و حياة مجتمعه فى ضوء ما يستلهمه و يستوحيه من سيرة و حياة رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله، فى هذه الحقبة البالغة الخطورة. و اللّه ولىّ التوفيق.

جعفر السبحانى ۲۶/ جمادى الآخرة/ ۱۳۹۲

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۹

سيّد المرسلين فى ضوء القرآن الكريم

اشارة

لقد سلّط القرآن الکریم الضوء علی رسول الإسلام محمّد بن عبد اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی آیات کثیرة تناولت بیان أسمائه و نشأته و صفاته و خصاله، و بشارات الأنبیاء السابقین به و عصمته و امیّته و رسالته و خاتمیته و جهوده العظیمة التی بذلها فی سبیل ابلاغ مهمته، و الخطابات الخاصة الالهیة الموجّهة إلیه و ما یتوجب علی المؤمنین تجاهه فی حیاته و بعد وفاته، و ما یتوجب علیهم تجاه أهل بیته و عترته، و لکی تکون هذه الرؤیة القرآنیة الشاملة الدقیقة هی القاعدة الاساسیة فی دراسة الشخصیة و السیرة المحمّدیة العظیمة آثرنا ادراج طائفة منها

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۰

فی مقدمة هذا الکتاب.

* وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ. (آل عمران/ ۱۴۴).

* مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِینَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَی الْکُفَّارِ رُحَماءُ بَیْنَهُمْ. (الفتح/ ۲۹).

* وَ إِذْ قالَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ یا بَنِی إِسْرائِیلَ إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ. (الصف/ ۶).

* ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی وَ لَلْآخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولی وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضی أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآوی وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی وَ وَجَدَکَ عائِلًا فَأَغْنی. (الضحی/ ۴/ ۸).

* أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ الَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ.

(الانشراح/ ۱- ۴).

* وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِیثاقَ النَّبِیِّینَ لَما آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتابٍ وَ حِکْمَةٍ ثُمَّ جاءَکُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَکُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلی ذلِکُمْ إِصْرِی قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَکُمْ مِنَ الشَّاهِدِینَ. (آل عمران/ ۸۱).

* الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِیلِ یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ وَ یُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ. (الأعراف/ ۱۵۷).

* الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَعْرِفُونَهُ کَما یَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنْهُمْ لَیَکْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ یَعْلَمُونَ. (البقرة/ ۱۴۶).

* الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَعْرِفُونَهُ کَما یَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ. (الأنعام/ ۲۰).

* فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِیِّ الْأُمِّیِّ الَّذِی یُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ کَلِماتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ.

(الأعراف/ ۱۵۸).

* هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ وَ آخَرِینَ مِنْهُمْ لَمَّا یَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ. (الجمعة/ ۲).

* وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَیْکَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکَ عَظِیماً. (النساء/ ۱۱۳).

* وَ ما کُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ کِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِیَمِینِکَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ.

(العنکبوت/ ۴۸).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱

* اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ. (العلق/ ۱- ۵).

* ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوی وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلی ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّی فَکانَ قابَ قَوْسَیْنِ أَوْ أَدْنی فَأَوْحی إِلی عَبْدِهِ ما أَوْحی ما کَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأی أَ فَتُمارُونَهُ عَلی ما یَری وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْری عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهی عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوی إِذْ یَغْشَی السِّدْرَةَ ما یَغْشی ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغی لَقَدْ رَأی مِنْ آیاتِ رَبِّهِ الْکُبْری. (النجم/ ۲- ۱۷).

* وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ. (الحاقهٔ/ ۴۴- ۴۷).

* وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ. (يس/ ۶۹).

* وَ يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ.

(الصافات/ ۳۶- ۳۷).

* إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ. (الحاقهٔ/ ۴۰).

* وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. (التكوير/ ۲۴).

* سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى. (الاعلى/ ۶).

* فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (البقرهٔ/ ۱۳۷).

* وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. (المائدهٔ/ ۶۷).

* وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا. (التوبهٔ/ ۷۴).

* إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. (الحجر/ ۹۵).

* وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَ إِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا. (الاسراء/ ۷۳- ۷۴).

* أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَ يُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ. (الزمر/ ۳۶).

* وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا. (الطور/ ۴۸).

* تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ (آل عمران/ ۱۰۸).

* اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ. (العنكبوت/ ۴۵).

* وَ اتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ. (الاحزاب/ ۲).

* وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. (الشعراء/ ۲۱۴).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲

* فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ. (الحجر/ ۹۴).

* قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. (الحج/ ۴۹).

* وَ إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ. (المؤمنون/ ۷۳).

* تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً. (الفرقان/ ۱).

* وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِيراً. (الفرقان/ ۵۶).

* وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ. (الأنفال/ ۳۳).

* لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ. (التوبهٔ/ ۱۲۸).

* بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ. (التوبهٔ/ ۱۲۸).

* وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ. (الأنبياء/ ۱۰۷).

* إِنَّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ. (الحج/ ۶۷).

* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. (الشعراء/ ۱۹۳).

* إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ. (البقرهٔ/ ۱۱۹).

* كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ. (البقرهٔ/

(۱۵۱).

* لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ. (آل عمران/ ۱۶۴).

* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً. مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. (الفتح/ ۲۸- ۲۹).

* يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً.

(الاحزاب/ ۴۶).

* وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً. (سبأ/ ۲۸).

* قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَ فُرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ.

(سبأ/ ۴۶).

* فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ. (الذاريات/ ۵۰).

* وَ أَرْسَلْناكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً. (النساء/ ۷۸).

* وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً. (النساء/ ۱۱۳).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳

* إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ. (النساء/ ۱۶۳).

* لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ الْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً.

(النساء/ ۱۶۶).

* ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ. (الاحزاب/ ۴۰).

* قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً. (الاعراف/ ۱۵۸).

* وَ لا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (يونس/ ۶۵).

* فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ وَ ضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. (هود/ ۱۲).

* وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَ جاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ. (هود/ ۱۲۰).

* وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ.

(الرعد/ ۳۲).

* لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ. (الحجر/ ۸۸).

* وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ. (الحجر/- ۹۹).

* وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

(النحل/- ۱۲۸).

* فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً. (الكهف/ ۶).

* فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ. (طه/ ۱۳۰).

* وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عادٌ وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ إِبْراهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحابُ مَدْيَنَ وَ كُذِّبَ مُوسى فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ.

(الحجّ/ ۴۲- ۴۴).

* وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَ كَفى بِرَبِّكَ هادِياً وَ نَصِيراً. (الفرقان/ ۳۱).

* لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. (الشعراء/ ۳).

* وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. (النحل/ ۱۲۷).

* فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ. (الروم/ ۶۰).

* وَ مَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ. (لقمان/ ۲۳).

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۲۴

* وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ. (فاطر/ ۴).

* سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. (الأسراء/ ۱).

* فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ. (فاطر/ ۸).

* وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ. (فاطر/ ۲۵).

* فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ. (يس/ ۷۶).

* وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. (الصافات/ ۱۷۱- ۱۷۲).

* وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ.

(الصافات/ ۱۷۳- ۱۷۵).

* وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَ أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ. (الصافات/ ۱۷۸- ۱۷۹).

* فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ. (ص/ ۱۷).

* أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَ يُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ. (الزمر/ ۳۶).

* فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ. (المؤمن/ ۵۵).

* وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ ما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ. (الانعام/ ۵۲).

* وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً.

(الكهف/ ۲۸).

* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ. (النور/ ۶۲- ۶۳).

* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ وَ لكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۲۵

حِجابٍ. ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ

عَظِیماً. (الاحزاب/ ۵۳).

* یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَکُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِیِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ کَجَهْرِ بَعْضِکُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُکُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِینَ یَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولئِکَ الَّذِینَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوی لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِیمٌ إِنَّ الَّذِینَ یُنادُونَکَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّی تَخْرُجَ إِلَیْهِمْ لَکانَ خَیْراً لَهُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ.

(الحجرات/ ۱- ۵).

* وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِیکُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ یُطِیعُکُمْ فِی کَثِیرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَ لکِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَیْکُمُ الْإِیمانَ وَ زَیَّنَهُ فِی قُلُوبِکُمْ وَ کَرَّهَ إِلَیْکُمُ الْکُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْیانَ أُولئِکَ هُمُ الرَّاشِدُونَ.

(الحجرات/ ۷).

* وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ. (القلم/ ۴).

* وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِلْمُؤْمِنِینَ. (الحجر/ ۸۸).

* وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ. (الشعراء/ ۲۱۵).

* لَقَدْ جاءَکُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِکُمْ عَزِیزٌ عَلَیْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِیصٌ عَلَیْکُمْ بِالْمُؤْمِنِینَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ.

(التوبة/ ۱۲۹).

* فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ کُنْتَ فَظًّا غَلِیظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ.

(آل عمران/ ۱۵۹).

* لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ کانَ یَرْجُوا اللَّهَ وَ الْیَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَکَرَ اللَّهَ کَثِیراً.

(الاحزاب/ ۲۱).

* قُلْ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اللَّهُ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ.

(آل عمران/ ۳۱).

* فَلا وَ رَبِّکَ لا یُؤْمِنُونَ حَتَّی یُحَکِّمُوکَ فِیما شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لا یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً. (النساء/ ۶۵).

* إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً.

(الاحزاب/ ۵۶).

* إِنَّا أَعْطَیْناکَ الْکَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ انْحَرْ إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ. (الکوثر/ ۱- ۲).

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۲۶

* إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً. (الاحزاب/ ۳۳). «۱»

---

(۱) و لقد بحث سماحة الاستاذ العلامة المحقّق الشیخ جعفر السبحانی صاحب هذه المحاضرات حول جمیع هذه الآیات و نظائرها فی دراسة عمیقة و شاملة فی الجزء السابع من موسوعته «مفاهیم القرآن».

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۲۷

(۱)

۱ شبه الجزیرة العربیة

اشارة

أو مهد الحضارة الإسلامية الجزيرة العربيّة هى فى الحقيقة شبه جزيرة كبيرة و تقع فى الجنوب الغربى من آسيا، و تبلغ مساحتها ثلاثة ملايين كيلومتر مربع، أى ضعف مساحة إيران، و ستة أضعاف فرنسا، و عشرة أضعاف إيطاليا، و ثمانين ضعف سويسرة.

و يحدّ شبه الجزيرة- هذا الذى هو اشبه ما يكون بمستطيل غير متوازى الاضلاع- من الشمال فلسطين و صحراء الشام، و من المشرق الحيرة و دجلة و الفرات و الخليج الفارسى، و من الجنوب المحيط الهندى و خليج عمان، و من المغرب البحر الأحمر.

و على هذا يحاصر هذه الجزيرة من المغرب و الجنوب البحر، و من الشمال و الشرق الصحراء، و الخليج.

(۲) و قد جرت العادة بتقسيم هذه المنطقة من القديم إلى ثلاثة اقسام:

۱- القسم الشمالى و الغربى و يسمى بالحجاز.

۲- القسم المركزى و الشرقى و يسمى بصحراء العرب.

۳- القسم الجنوبى و يسمى باليمن.

و تشكّل داخل شبه الجزيرة هذا صحارى كبيرة، و مناطق شاسعة رملية حارّة، و غير قابلة للسكنى تقريبا، و من جملة هذه الصحارى صحراء «بادية

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۸

سماوة» التى تسمى اليوم بصحراء «النفوذ» و صحراء اخرى واسعة الاطراف تمتد إلى الخليج الفارسىّ يطلق عليها اليوم اسم «الربع الخالى» و قد كان يسمى قسم من هذا الصحارى سابقا بالأحقاف، و يسمى القسم الآخر بالدهناء.

(۱) و على أثر هذه الصحارى تشكل ثلث مساحة شبه الجزيرة هذا أراضى خالية من الماء و العشب و غير قابلة للسكنى، اللهم إلّا بعض ما يحصل من المياه، بسبب تساقط الامطار، فى قلب الصحارى فيتجمع حولها بعض القبائل العربية بعض الوقت، و يرعون فيها ابلهم و انعامهم ردحا قليلا من الزمن.

و أمّا حالة المناخ فى شبه الجزيرة العربية، فالهواء فى الصحارى و الأراضى المركزية (الوسطى) حار و جاف جدا، و فى السواحل مرطوب، و فى بعض النقاط معتدل، و بسبب رداءة الطقس هذه لا يتجاوز عدد سكانه خمسة عشر مليون نسمة.

(۲) و توجد فى هذه الجزيرة سلسلة جبال تمتد من الجنوب الى الشمال، و يقارب ارتفاع أعلى قممها ۲۴۷۰ مترا.

و قد كانت معادن الذهب و الفضة و الاحجار الكريمة تشكل مصادر الثروة فى شبه الجزيرة هذا منذ القديم، و كان سكانها يعتنون- من بين الأنعام و الحيوانات- بتربية الابل و الفرس اكثر من غيرهما، و من بين الطيور بالحمام و النعامة اكثر من الطيور الاخرى.

بيد أن اكبر مصدر للثروة فى الجزيرة العربية اليوم يأتى عن طريق استخراج النفط.

و تعتبر مدينة «الظهران» الذى يسميه الاوربيون بالدهران المركز النفطى الرئيسى فى هذه الجزيرة، و يقع هذا البلد فى ناحية الاحساء التى تقع فى المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية على حدود الخليج الفارسى.

(۳) و لكى يتعرف القارئ الكريم على الأوضاع فى شبه الجزيرة العربية هذا بنحو اكثر تفصيلا فاننا نعمد إلى شرح الاقسام الثلاثة المذكورة:

(۴) ۱- «الحجاز» و هى المنطقة التى تشكل القسم الشمالى و الغربى من الجزيرة

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۹

العربية و تمتد أراضيها على ساحل البحر الاحمر ابتداء من فلسطين و حتى حدود اليمن.

و الحجاز بعد هذا منطقة جبلية، و ذات صحار قاحلة، و اراض حجرية، و صخرية، يكثر فيها الحصى.

و لقد كانت هذه المنطقة- فى التاريخ- اكثر شهرة من غيرها، و من المعلوم أنّ هذه الشهرة جاءت بسبب جملة من العوامل المعنوية و الدينية، فهى الآن تضمّ بين جوانحها بيت اللّه الحرام «الكعبة المعظمة»، قبلة ملايين المسلمين، و مهوى افئدتهم.

و قد كانت البقعة التى تقوم عليها بنية «الكعبة المعظمة» تحظى منذ سنوات مديدة قبل بزوغ الإسلام باحترام العرب و غيرهم، و لهذا حرّموا القتال حول الكعبة تعظيما لها، حتى إذا جاء الإسلام أقرّ للكعبة و لما حولها، مثل ذلك الاحترام، و التعظيم أيضا.

و من أهمّ مدن الحجاز: «مكة» و «المدينة» و «الطائف»، و كان للحجاز منذ القديم ميناءان هما: ميناء «جدة» الذى يستخدمه أهل مكة، و ميناء «ينبع» الذى يستخدمه أهل المدينة، فى سدّ الكثير من احتياجاتهم و يقع هذان الميناءان على ساحل «البحر الاحمر».

(۱)

مكة المعظمة:

اشارة

و هى من أشهر مدن العالم و أكثر المدن الحجازية سكانا، و ترتفع عن سطح البحر بما يقارب ۳۰۰ مترا.

و اذ تقع مدينة «مكة» بين سلسلتين من الجبال لذلك فانها لا ترى من بعيد، و يقطنها اليوم حوالى (۱۵۰) ألفا من السكان.

(۲)

تاريخ مكة:

يبدأ تاريخ «مكة المكرمة» من زمن النبى إبراهيم الخليل عليه السّلام، فقد

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۰

أسكن هذا النبى ولده «اسماعيل» مع أمه «هاجر» فى ارض مكة، فنشأ اسماعيل هناك، و تزوج من القبائل التى سكنت على مقربة من تلك المنطقة.

ثم إن إبراهيم عليه السّلام بنى و بأمر من اللّه تعالى البيت الحرام «الكعبة».

و تقول بعض الروايات الصحيحة إن الكعبة بنيت على يد النبىّ نوح عليه السّلام و أن ابراهيم عليه السّلام جدّد بناءها.

و هكذا نشأت و بعد هذا تأسست مدينة مكة.

و تتكون نواحى «مكة» من أراض سبخة شديدة الملوحة بحيث لا تكون قابلة للزراعة اصلا، حتى أن بعض المستشرقين يذهب إلى أنه لا يوجد أية منطقة فى العالم فى رداءة أوضاعها الجغرافية و المحيطية و الطبيعية مثل هذه المنطقة.

(۱)

المدينة المنوّرة:

و هى مدينة تقع فى شمال مكة و تبعد عنها ب: ۹۰ فرسخا تقريبا، و تحيط بها بساتين و مزارع و نخيل وافرة، و أرضها أكثر صلاحية لغرس الاشجار و الزرع.

و كانت المدينة المنورة تسمى قبل الإسلام ب «يثرب»، و بعد أن هاجر إليها رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله سمّيت بمدينة

الرسول، ثم اطلقت علیها لفظة «المدینة» مجردة تخفیفا.

و یحدثنا التاریخ أن العمالقة کانوا أول من سکن هذه الدیار، ثم خلف العمالقة طائفة الیهود، و الأوس و الخزرج الذین سمّی المسلمون منهم بالأنصار فی ما بعد.

(۲) هذا و قد سلمت الحجاز- علی عکس سائر المناطق- من طمع الطامعین و غزو الغزاة و الفاتحین، و لم نشاهد فیها أی شیء من آثار حضارة الامبراطوریتین العظیمتین آنذاک قبل الإسلام: الروم و الفرس، و ذلک لأنها إذ کانت تتألّف من أراض قاحلة مجدبة غیر قابلة للسکنی و العیش لم تحظ باهتمام أحد من اولئک الفاتحین حتی یفکر فی تسییر العساکر، و تحبیش الجیوش لفتحها لیعود بعد تحمّل آلاف المشاکل التی تستلزمها عملیة الاستیلاء علی أراضی تلک المنطقة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱

خالی الوفاض صفر الیدین.

(۱) و للوقوف علی هذه الحقیقة اقرأ القصة التالیة التی نقلها «دیودرس».

عند ما دخل دیمتریوس القائد الیونانی الکبیر «بطرا» (و هی مدینة قدیمة من مدن الحجاز) بهدف فتح جزیرة العرب خاطبه سکان تلک المدینة قائلین:

لما ذا تحاربنا أیها الملک دیمتریوس و نحن من سکان الصحاری التی لا تسدّ فیها خلّة، ترانا نقطن فی هذه البقاع القاحلة فرارا من العبودیة. اقبل هدایانا، و ارجع الی حیث کنت، سنکون من أوفی الاصدقاء لک، و لکنک اذا رغبت فی حصرنا حرمت کل هناءة، و رأیت عجزک عن اکراهنا علی تبدیل طرق حیاتنا التی تعوّدناها منذ نعومة أظفارنا، و إذا قدرت علی أسر بعضنا أیقنت أنک لن تجد واحدا ممن أسرت یستطیع أن یألف حیاة غیر التی ألفناها.

هنا لک رأی دیمتریوس أن یقبل هدیتهم و ان یرضی بالمآب «۱».

(۲) ۲- المنطقة الوسطی و الشرقیة، التی تسمی ب «صحراء العرب» و منطقة «نجد» التی هی جزء من هذه المنطقة أرض مرتفعة یقوم فیها بضع قری صغیرة معدودة.

و لقد أصبحت الریاض التی اتخذها السعودیون عاصمة لهم بعد استیلائهم من المراکز المهمة فی هذه الناحیة من الجزیرة.

(۳) ۳- المنطقة الجنوبیة الغربیة من الجزیرة العربیة، و التی تسمی ب «الیمن» و تمتد طولا- من الشمال الی الجنوب حوالی (۷۵۰) کیلومترا و من الغرب الی الشرق حوالی (۴۰۰) کیلومترا.

و تقدر مساحة هذا البلد بستین الف میل مربع تقریبا، و لکنها کانت- قبل ذلک- أوسع من هذا القدر، و قد کان قسم منها (و هو عدن) خلال النصف الاول من القرن الأخیر تحت الانتداب البریطانی، و من هنا ینتهی شمالا الی نجد، و جنوبا الی عدن، و غربا الی البحر الأحمر و شرقا الی صحراء الربع

---

(۱) حضارة العرب: تألیف غوستاف‌لوبون ص ۹۱- ۹۲ ترجمة عادل و عبتر.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲

الخالی «۱».

(۱) و من مدن الیمن المعروفة مدینة «صنعاء» التاریخیة العریقة، و من موانئها المشهورة میناء «الحدیدة» التی تقع علی البحر الأحمر.

و منطقة الیمن من اکثر مناطق الجزیرة العربیة خصوبة و برکة، و لها تاریخ مشرق و عریق فی المدنیة و الحضارة، فقد کانت الیمن مقرا لملوک تبّع، الذین حکموا الیمن سنینا مدیدة و کانت الیمن قبل الإسلام مرکزا تجاریا مهما، و کانت فی الحقیقة ملتقی طرق الحجاز، اشتهرت فی العصور القدیمة بمعادن الذهب، و الفضة، و الحدید، و النحاس، و کانت تصدر الی خارج البلاد.

(۲) و لا تزال اثار الحضارة الیمنیة القدیمة باقیة الی الآن.

و لقد قام أهل الیمن الاذکیاء باقامة أبنیة و عمارات عالیة و جمیلة بهممهم العالیة فی عصور کان البشر یفقد فیها الوسائل الثقیلة، و الاجهزة المعقدة.

کان ملوک الیمن یحکمون البلاد دون أی منازع، إلّا أنهم رغم ذلک لم یکونوا یمتنعون عن تنفیذ ما رسمه حکماء الیمن و رجالهم من انظمة و قوانین للحکم و ادارة البلاد آنذاک.

و لقد سبقوا الآخرین فی الزراعة و الفلاحة، و قد نظموا لإحیاء الأراضی و زراعتها، نظاما دقیقا للریّ طبقوا بنوده بدقة، و لهذا کانت بلادهم تعدّ- آنذاک- من البلدان الراقیة المتقدمة من هذه الناحیة.

(۳) فها هو «غوستاف‌لوبون» المؤرخ الفرنسی المعروف یکتب حول الیمن قائلا:

إنّ بلاد العرب السعیدة من أغنی بقاع العالم «۲».

(۴) و یکتب الادریسیّ المؤرخ المعروف الذی کان یعیش فی القرن الثانی عشر حول «صنعاء» قائلا: کانت صنعاء مقر ملوک الیمن، و عاصمة جزیرة العرب، و انه کان لملوکها قصر متین شهیر و کانت تشتمل علی بیوت مصنوعة من الحجارة

---

(۱) لقد انقسمت الیمن مؤخرا الی یمن شمالیة و اخری جنوبیة لکل واحد منها نظام حکم خاصّ و حکومة خاصّة.

(۲) حضارة العرب: ص ۹۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۳

المنحوتة «۱».

(۱) هذه الآثار العجیبة التی عثر علیها المستشرقون و علماء الآثار فی تنقیباتهم الأخیرة تثبت حضارة عجیبة للیمن فی عصورها القدیمة و ذلک فی مختلف نواحیها مثل «مأرب» و «صنعاء» و «بلقیس».

ففی مدینة مأرب (و هی مدینة سبأ المعروفة) کانت تقوم قصور ضخمة و صروح عالیة ذوات أبواب و سقوف مزینة بالذهب، و کانت تحتوی علی أوان و صحون من الذهب و الفضة، و أسرّة کثیرة مصنوعة من المعدن و الفلز «۲».

و من آثار «مأرب» التاریخیة السدّ المعروف باسم ذلک البلد و الذی لا تزال اطلاله باقیة، و هو السدّ الذی تهدّم بسبب السیل الذی وصفه القرآن الکریم بالعرم.

فقد جاء فی سورة سبأ الآیة ۱۵- ۱۹ قوله تعالی:

«لَقَدْ کانَ لِسَبَإٍ فِی مَسْکَنِهِمْ آیَةٌ جَنَّتانِ عَنْ یَمِینٍ وَ شِمالٍ کُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّکُمْ وَ اشْکُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَیِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ. فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ سَیْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَیْهِمْ جَنَّتَیْنِ ذَواتَیْ أُکُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَیْ‌ءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِیلٍ. ذلِکَ جَزَیْناهُمْ بِما کَفَرُوا وَ هَلْ نُجازِی إِلَّا الْکَفُورَ. وَ جَعَلْنا بَیْنَهُمْ وَ بَیْنَ الْقُرَی الَّتِی بارَکْنا فِیها قُریً ظاهِرَةً وَ قَدَّرْنا فِیهَا السَّیْرَ سِیرُوا فِیها لَیالِیَ وَ أَیَّاماً آمِنِینَ. فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَیْنَ أَسْفارِنا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أَحادِیثَ وَ مَزَّقْناهُمْ کُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِکُلِّ صَبَّارٍ شَکُورٍ» «۳».

---

(۱) نزهة المشتاق فی اختراق الآفاق علی ما فی حضارة العرب، ص ۵۵.

(۲) حضارة العرب: ص ۹۴.

(۳) للوقوف علی المزید من المعلومات عن الیمن قدیما و حدیثا، راجع الکتب المؤلفة حول جغرافیة العالم الإسلامی.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵

(۱)

۲ العرب قبل الإسلام

اشارهٔ

لمعرفهٔ أوضاع العرب قبل الإسلام یمکن الرجوع الى المصادر التالیهٔ:

۱- التوراهٔ على ما فیها من تحریفات.

۲- کتابات الیونانیین و الرومیین فی القرون الوسطى.

۳- الکتابات التاریخیهٔ التی کتبها علماء الإسلام و مؤلفوه.

۴- الآثار القدیمهٔ التی عثر علیها المستشرقون فی تنقیباتهم و التی استطاعت عن أن تکشف النقاب عن طائفهٔ لا یستهان بها من الحقائق فی هذا الصعید.

إلّا انه مع وجود کل هذه المصادر و المراجع لا تزال هناک نقاط کثیرهٔ عن تاریخ العرب فی القرون البعیدهٔ تعانی من الغموض.

و لکن حیث أنّ دراسهٔ أوضاع العرب قبل الإسلام هی من باب المقدمهٔ فی هذا الکتاب، و الهدف الاساسی إنما هو دراسهٔ السیرهٔ النبویهٔ الطاهرهٔ، من هنا نکتفی فی هذا الفصل باستعراض النقاط الخاصهٔ و الواضحهٔ من حیاهٔ العرب قبیل الإسلام على اننا یمکننا أن نقف على وصف دقیق لحالهٔ العرب خاصهٔ قبیل بزوغ الإسلام من خلال مصدرین اسلامیین اساسیین هما:

۱- القرآن الکریم.

۲- ما ورد عن الإمام على علیه السّلام فی نهج البلاغهٔ.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶

فقد وردت فی هذین المصدرین تصریحات و نصوص صریحهٔ تکشف عن ما کان علیه العرب فی الجاهلیهٔ من سوء الأحوال و الاوضاع و الاخلاق فی جمیع الاصعدهٔ و الابعاد، و سنشیر إلی أبرز هذه النصوص و نقف عندها بعض الشیء، و لکننا نستعرض قبل ذلک شیئا من تاریخ العرب فی القرون البعیدهٔ فنقول:

(۱) إن من المسلّم أن شبه الجزیرهٔ العربیهٔ کان منذ أقدم العصور موطنا لقبائل کثیرهٔ انقرض بعضها بمرور الایام، و فی ثنایا الاحداث، بید ان هناک ثلاث قبائل قد تشعّبت عنها أفخاذ و فروع تحظى بشهرهٔ اکثر من بین من سکنوا هذه المنطقهٔ.

و هذه القبائل الامّ هی:

(۲) ۱- العرب البائدهٔ: و إنما سمیت بالبائدهٔ لأنها أبیدت بالعذاب الالهی السماویّ أو الأرضیّ بسبب عصیانها و تمردها، و هلکت شیئا فشیئا، و لم یبق على وجه الارض من نسلهم أحد!

و لعلهم کانوا هم المعنیون بقوم «عاد» و «ثمود» الذین جاء ذکرهم فی القرآن الکریم مرارا.

(۳) ۲- القحطانیّون: و هم أبناء یعرب بن قحطان الذین کانوا یقطنون فی «الیمن» و سائر المناطق الجنوبیهٔ من الجزیرهٔ العربیهٔ و یسمّون بالعرب الاصلاء، و هم الیمنیون الیوم، و منهم قبائل الأوس و الخزرج و هما قبیلتان کبیرتان کانتا تقطنان المدینهٔ المنورهٔ إبان ظهور الإسلام.

و قد کان للقحطانیین حکومات کثیرهٔ، کما کانت لهم جهود کبرى فی تعمیر أرض الیمن و احیائها، و قد ترکوا من ورائهم حضارات و مدنیّات لا یستهان بها.

و توجد الآن کتابات تقرأ بصورهٔ علمیهٔ توضح إلى حدّ کبیر تاریخ القحطانیین و کل ما یقال عن مدنیّهٔ العرب و حضارتهم قبل الإسلام تعود فی الحقیقهٔ إلى هذه الطائفهٔ و خاصهٔ من سکن منهم ارض الیمن.

(۴) ۳- العدنانیون: و هم أبناء اسماعیل بن ابراهیم الخلیل علیه السّلام،

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۷

و سوف يأتى ذكر جذور هذه الطبقة فى الابحاث القادمة. و خلاصة ذلك: أن إبراهيم الخليل عليه السّلام امران يسكن ولده الرضيع اسماعيل مع زوجته «هاجر» أم اسماعيل فى ارض مكة، فخرج بهما ابراهيم عليه السّلام من «فلسطين» و هبط بهما فى ذلك الوادى العميق الخالى عن الماء و العشب «مكة» ثم ان يد العناية الالهية امتدت إلى تلك العائلة المهاجرة، و جادت عليها بعين «زمزم» الذى جلب الرواء و الحياة الى تلك المنطقة القاحلة الضامئة.

ثم تزوج إسماعيل من قبيلة «جرهم» التى خيّمت بالقرب من مكة، و اصاب من هذا الزواج عددا كبيرا من الابناء، و الاحفاد، و أحفاد الاحفاد كان من جملتهم «عدنان» الذى ينتهى نسبه الى النبى اسماعيل عبر عدد من الآباء و الجدود.

ثم تشعّبت ذرية إسماعيل الى بطون و أفخاذ، و عشائر و قبائل عديدة، كان من بينها قبيلة قريش التى حظيت بشهرة اكبر، و منها عشيرة بنى هاشم التى انحدر منها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كما ستعرف ذلك بالتفصيل، عما قريب.

(۱)

أخلاق العرب و تقاليدهم العامة:

و المراد منها هو الأخلاق و الآداب الاجتماعية التى كانت سائدة فى ذلك.

المجتمع، و قد سادت بعض هذه الاخلاق و العادات و التقاليد فى المجتمع العربى عامة.

و يمكن تلخيص ما كان العرب يتمتعون به من أخلاق و صفات حسنة عامة فى ما يلى:

لقد كان العرب زمن الجاهلية و بخاصة ولد «عدنان» أسخياء بالطبع، يكرمون الضيف، و قلّما يخونون فى الامانة، لا يغتفرون نقض العهود، و لا يتهاونون مع من يتنكر للمواثيق، يضحون فى سبيل المعتقد، و يتحلون بالصراحة الكاملة، و ربما وجد فيهم من تمتع بذكاء لامع، و ذاكرة خارقة يحفظ بها الأشعار و القصائد الطوال، و الخطب المفصلة.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۸

هذا الى جانب براعتهم فى فن الشعر و الخطابة بحيث لم يسبقهم فى ذلك غيرهم و الى جانب انهم كانوا مضرب المثل فى الشجاعة و الجرأة، و المهارة فى الفروسية و الرمى.

يرون الفرار و الادبار فى الحرب عارا لازما، و صفة ذميمة يلام صاحبها بسببها اشد اللوم.

(۱) و لكن فى مقابل ذلك كله كانوا يعانون من مفاسد أخلاقية تغطى على كل كمال عندهم، و تنسى كل فضيلة.

و لو لا تلك الكوة المباركة التى فتحت عليهم من عالم الغيب، لطويت صفحة حياتهم الإنسانية على القطع و اليقين.

يعنى لو لم تبزغ شمس الإسلام فى أواسط القرن السادس الميلادى، و لم تسطع أشعتها الباعثة على الحياة، على عقولهم و قلوبهم لما رأيت اليوم من العرب العدنانيين أى أثر، و لتكرّرت مقولة العرب البائدة مرة اخرى!

(۲) لقد حوّل فقدان القيادة الرشيدة، و غياب الثقافة الصحيحة حياة العرب، من جانب، و انتشار الفساد و الفحشاء من جانب آخر إلى حياة حيوانية مزرية حتى أن صفحات التاريخ تروى لنا أخبارا و قصصا مفصلة عن حروب دام بعضها خمسين عاما، و بعضها الآخر مائة عام قد نشبت بين الاطراف العربية لأسباب طفيفة و دوافع تافهة جدا.

لقد أدى عدم سيادة النظام و القانون على الحياة العربية، و عدم وجود حكومة قوية مسيطرة على الاوضاع، توقف البغاة و المتمردين عند حدودهم، إلى أن يعيش العرب- آنذاك- فى صورة القبائل الرحّل، و يرحلوا فى كل سنة الى منطقة معينة من الصحراء التماسا للعشب و الماء لانفسهم و لا نعامهم، فاذا عثروا على ماء و عشب أو شيء من آثار الحياة نزلوا عنده، و أنزلوا رحالهم بجواره، فاذا سمعوا عن وجود مكان افضل استأنفوا رحلتهم الصحراوية التماسا لحياة اكثر بركة، و عطاء، و أوفر خصبا و أمنا.

(۳) هذه الحیرة و هذا الضیاع و عدم الاستقرار کان ناتجا من أمرین:

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹

الأوّل: سوء الاوضاع الجغرافیة و رداءة الأحوال الطبیعیة للجزیرة العربیة، و خاصة من حیث الماء و المناخ و المراعی.

و الآخر: الحروب و المصادمات الدمویة الکثیرة، و اضطراب الأحوال الاجتماعیة، التی کانت تلجئ جماعات کثیرة إلی التنقل الدائم و الرحیل عن الأوطان و مغادرتها، و عدم الاستقرار فی منطقة معینة.

(۱)

هل کان للعرب حضارة قبل الإسلام؟

یستنتج مؤلف کتاب «حضارة العرب» من دراسته لأوضاع العرب الجاهلیة أن العرب کانوا أصحاب حضارة عریقة سبقت الإسلام بقرون.

فالقصور الصخمة التی أقاموها فی مختلف نقاط و مناطق الجزیرة العربیة، و العلاقات التجاریة التی کانت لهم مع أرقی شعوب الأرض، شواهد قویة علی تمدنهم و حضارتهم الغابرة، لأن قوما أنشئوا لمدن العظیمة- قبل الرومان بقرون کثیرة- و کانت علاقاتهم بارقی و اکبر شعوب الأرض وثیقة، لا یمکن عدهم همجا، و شعبا بلا حضارة.

ثم إنه یستدل- فی موضع آخر من کتابه- علی حضارة العرب الغابرة بآدابهم و وحدة و کمال لغتهم اذ یقول:

«و لو کان التاریخ صامتا إزاء حضارة لقطعنا- مع ذلک- بوجودها قبل ظهور «محمّد» بزمن طویل، و یکفی لتمثّلها أن نذکر أنه کان للعرب آداب ناضجة و لغة راقیة.

و الحق أنّ الآداب و اللغة من الامور التی لا تأتی عفوا، و هی تتخذ دلیلا علی ماض طویل، و ینشأ عن اتّصال امة بأرقی الامم اقتباسها لما عند هذه الامم الراقیة من التمدن إذا کانت أهلا لذلک».

(۲) و قد خصص المؤلف المذکور صفحات عدیدة فی کتابه لإثبات حضارة عریقة و عظیمة للعرب قبل الإسلام معتمدا فی ذلک علی ثلاث امور:

۱- وجود لغة راقیة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۰

۲- وجود علاقات مع الامم الراقیة.

۳- وجود قصور و أبنیة ضخمة، و فخمة فی الیمن کما یصفها المؤرخان المسیحیان المعروفان «هیردوتس» و «ارتمیدور» اللذان کانا یعیشان قبل المسیح بقرون، و قدامی المؤرخین المسلمین کالمسعودی «۱».

(۱) لا کلام فی أنه کانت هناک فی بعض مناطق الجزیرة العربیة بعض حضارات، و لکن الأدلة التی استند إلیها المؤلف المذکور لا یمکن ان تکون شاهدا و دلیلا علی وجود الحضارة فی جمیع نقاط الجزیرة العربیة أبدا.

صحیح أن تکامل اللغة یسیر جنبا الی جنب مع غیره من مظاهر المدنیّة، و لکن لا یمکن ان نعتبر اللغة العربیة لغة مستقلة و غیر مرتبطة باللغات الاخری ای العبرانیة و السریانیة و الآشوریة و الکلدانیة، لأن جمیع هذه اللغات- حسب ما یؤیده و یؤکده المتخصصون فی علم اللغات- کانت ذات یوم- متحدة الأصل، و قد تشعبت من لغة واحدة، و فی هذه الحالة یحتمل أن تکون اللغة العربیة قد حققت تکاملها عبر اللغة العبرانیة أو الآشوریة، و بعد تکاملها أصبحت لغة مستقلة، أی ان الآخرین أسهموا فی تکمیلها.

(۲) کما أنه لا شک أنّ وجود علاقات تجاریة مع الامم و الشعوب الراقیة هو الآخر دلیل علی الحضارة و المدنیة إلّا أنه هل کانت جمیع مناطق الجزیرة العربیة تملک مثل هذه العلاقات، أم إن اکثرها کانت محرومة من ذلک؟

هذا من جهة.

و من جهـة اخرى فان وجود علاقات بين حكومتين فى الحجاز و هما: «الحيرة و غسان» و بين حكومتى «الفرس» و «الروم» لا يدل أبدا على وجود حضارة فى المنطقتين الحجازيتين إذ أن جميع هـذه الحكومات كانت متصـفة بالعمالـة، فان الكثير من البلاد الافريقيـة هى اليوم من مستعمرات الدول الاوربية و مع ذلك لا توجد فيها أية مؤشرات و لا أية مظاهر من الحضارة الغربية الواقعية.

---

(۱) حضارة العرب: ۷۸- ۱۰۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۱

(۱) طبعـا لاـ يمكن إنكـار حضـارة «سبأ و مـأرب اليمن» العجيبـة لأـنه مضافا إلى ما جاء حول هـذه الحضارة فى التوراة، و ما نقل عن «هيردوتس» و غيره، كتب المؤرخ المعروف «المسعودى» عن مأرب يقول: إن أرض سبأ كانت من أخصب أراضـى اليمن و أثراها و أغدقها، و اكثرها جنانا و غيطانا و أفسحها مروجا، بين بنيان و جسد مقيم و شجر موصوف و مساكب للماء متكاثفة، و أنهار متفرقة، و كانت مسيرة اكثر من شـهر للراكب المجدّ على هذه الحال، و فى العرض مثل ذلك، و انّ الراكب أو المارّ كان يسير فى تلك الجنان من أولها إلى أن ينتهى الى آخرها لا يرى جهة الشمس، و لا يفارقه الظل لاستتار الارض بالعمارة و الشجر و استيلائها عليها و احاطتها بها، فكان أهلها فى اطيب عيش و ارفهه، و أهنا حال و ارغـده، و فى نهاية الخصب و طيب الهواء و صـفاء الفضاء، و تدفّق المياه و قوة الشوكة، و اجتماع الكلمة، و نهاية المملكة ... فذلّت لهم البلاد، و اذعن لطاعتهم العباد فصاروا تاج الارض» «۱».

(۲) و خلاصـة القول أن هـذه الـدلائل لا تـدل على وجود حضارة فى كل مناطق الجزيرة العربيـة و خاصـة منطقة الحجاز التى لم تذق طعم الحضـارة أبـدا، حتى أن «غوسـتاف‌لوبون» نفسه يعترف بهـذه الحقيقـة إذ يقول: «ان جزيرة العرب نجت من غزو الأـجنبى خلا ما أصاب حـدودها الشـمالية، و إن عظماء الفاتحين من مصـريين و أغارقـة و رومان و فرس و غيرهـم ممن انتهبوا العالـم لم ينالوا شـيئا من جزيرة العرب التى أوصدت دونهم أبوابها» «۲»

و على فرض صـحة كل ما قيل عن وجود حضارة شاملـة فى جميع مناطق الجزيرة العربيـة فانه يجب القول بان القـدر المسـلّم فى هـذا المجال هو انه لم يبق أى اثر من هذه الحضارات فى منطقة الحجاز، إبان طلوع الإسلام، و بزوغ شمسه، و هى حقيقة يصرح بها القرآن الكريم اذ يقول تعالى: «وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها» «۳».

---

(۱) مروج الذهب: ج ۲ ص ۱۶۱ و ۱۶۲.

(۲) حضارة العرب: ص ۹۳.

(۳) آل عمران: ۱۰۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۲

و ينبغى هنـا أن نقف عنـد القرآن الكريم قليلا- كما وعـدنا بـذلك- فانه خير مرآة تعكس أحوال العرب و أوضاعهم بدقة متناهيـة و بشمولية ما وراءها شمولية.

ملامح المجتمع الجاهلى العربى فى منظور القرآن:

اشارة

إن القرآن یکشف إجمالا ـ عن أنّ النبی صلّی اللّه علیه و آله بعث إلی قوم لم یبعث إلیها احد قبله اذ یقول: «وَ لکِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِیرٍ مِنْ قَبْلِکَ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ» «۱».

و یقول فی آیة اخری: «أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِیرٍ مِنْ قَبْلِکَ لَعَلَّهُمْ یَهْتَدُونَ» «۲».

و من المعلوم أن المقصود فی هاتین الآیتین و نظائرهما هم قریش و القبائل القریبة إلیها.

علی أن أشمل وصف قرآنیّ لأوضاع المجتمع العربی الجاهلی و أحواله هو قول اللّه تعالی: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِیعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ کُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِکُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ کُنْتُمْ عَلی شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَکُمْ مِنْها کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ آیاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ» «۳».

فإنّ هذه الآیة تصوّر حیاة العرب تصویرا مرعبا، اذ تصوّرهم اولا و کأنهم قد سقطوا فی قعر بئر الجاهلیة، و الضلال و الشقاء فلا ینقذهم شیء من قعر التردی و السقوط الّا التمسّک بحبل اللّه، حبل الإیمان و القرآن.

و تصوّرهم ثانیا و کأنهم علی شفیر جهنم یوشکون أن یسقطوا فیه و یهووا فی نیرانه، و لیست تلک النار إلّا نیران العداوات و الحروب التی لو لم یقض علیها الإسلام بتعالیمه لأحرقت حیاة العرب جمیعا.

هذه هی صورة سریعة عما کان علیه العرب فی الجاهلیة من جهل و سقوط.

و امّا تفصیل ذلک فیمکن الوقوف علیه بمراجعة الآیات الاخری التی

---

(۱) القصص: ۴۶.

(۲) السجدة: ۳.

(۳) آل عمران: ۱۰۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳

تعرضت لذکر عادات العرب و أخلاقهم، و أفعالهم و تقالیدهم، بصورة مفصلة، و ها نحن نشیر هنا إلی تلکم العادات و الاخلاق الفاسدة علی ضوء تلک الآیات علی نحو الاختصار تارکین التوسع فی ذلک إلی مجال آخر.

لقد اتصف المجتمع العربی الجاهلی قبل الإسلام و شاعت فیه أخلاق و عادات من أبرزها ما یلی:

۱- الشرک فی العبادة:

صحیح أن العرب فی الجاهلیة کانت- کما یکشف القرآن ذلک لنا- موحّدة فی جملة من الامور و المجالات کالخالقیة و التدبیر و الذات «۱» إلّا أنهم کانوا- فی الأکثر- مشرکین فی العبادة، بل قد ذهبوا فی هذا السبیل الباطل إلی أحطّ المستویات فی اتّخاذ المعبودات و الوثنیة.

و إلی ذلک یشیر قوله تعالی: «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَکاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِینَ وَ بَناتٍ بِغَیْرِ عِلْمٍ سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمَّا یَصِفُونَ» «۲».

و قوله تعالی: «أَ فَرَأَیْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّی وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْری» «۳».

و غیر ذلک من الآیات التی تشیر إلی ما کان یعبده الجاهلیّون من أوثان و أصنام و مبلغ ما وصلوا إلیه من انحطاط، و اسفاف و انحراف فی هذا المجال.

۲- إنکار المعاد:

كـان المشـركون و الجـاهليون يرفضون الاـعتراف بالمعـاد الـذى يعنى عودهٔ الإنسـان إلى الحيـاهٔ. فى عـالم آخر للحسـاب و الجزاء، و يصفون من يخبر عن ذلك

(۱) نعم يسـتفاد من آيهٔ واحدهٔ أنّه كان هناك اتجاه نادر بين العرب فى الجاهليهٔ ينسب الظواهر الطبيعيهٔ إلى الطبيعهٔ و الدهر يقول اللّه تعالى: «وَ قالُوا ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ وَ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» (الجاثيهٔ ۲۴).

(۲) الأنعام: ۱۰۰.

(۳) النجم: ۱۹ و ۲۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۴

اليوم بالجنون او الكذب على اللّه!!

يقول تعالى: «وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَـدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيـدٍ، أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذابِ وَ الضَّلالِ الْبَعِيدِ» «۱».

۳- هيمنهٔ الخرافات:

لقد كانت حياهٔ العرب الجاهليهٔ مليئهٔ بالخرافات التى كان منها تحريمهم الأكل من أنعام أربعهٔ ذكرها القرآن مندداً بهذه البدعهٔ اذ قال: «ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ وَ لا وَصِيلَةٍ وَ لا حامٍ وَ لكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ» «۲».

أمّا (البحيرة) بوزن فعيلـهٔ بمعنى مفعولهٔ من البحر و هو الشق، فهى الناقهٔ إذا نتجت خمسهٔ أبطن آخرها انثى- و قيل ذكر- بحروا اذنها و شقوها ليكون ذلك علامهٔ و تركوها ترعى، و لا يستعملها أحد فى شىء.

و أمّا (السائبهٔ) على وزن فاعلهٔ بمعناها أو بمعنى مفعولهٔ فهى الناقهٔ إذا نتجت اثنى عشر بطنا- و قيل عشرهٔ- فهى تهمل و لا تركب. و لا تمنع عن ماء، و لا يشرب لبنها إلا ضيف.

و أمّا (الوصيلهٔ) بوزن فعيلهٔ بمعنى فاعلهٔ او بمعنى مفعولهٔ فهى الشاهٔ تنتج سبعهٔ أبطن او تنتج عناقين عناقين.

و أمّـا (الحامى) بوزن فاعل من الحمى بمعنى المنع فهو الفحل من الإبل الـذى يسـتخدم للقاح الأناث، فاذا ولـد من ظهره عشـرهٔ أبطن قالوا: حمى ظهره فلا يحمل عليه، و لا يمنع من ماء و مرعى «۳»

و الظاهر ان هذا المذهب تجاه هذه الانواع من الانعام كان بدافع الاحترام

(۱) سبأ: ۷ و ۸.

(۲) المائدهٔ: ۱۰۳.

(۳) راجع مجمع البيان: ج ۳ ص ۲۵۲ و ۲۵۳ فى تفسير الآيهٔ.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۵

و الشـكر لما وهب أصـحابها من النعم و البركات، غير أن هـذا العمل- كان فى حقيقته- نوعا من الإيـذاء و الإضـرار بهـذه الحيوانات، لأنهم كانوا يهملونها و يحرمونها من العنايـهٔ اللازمـهٔ فكانت تشـقى بقيهٔ حياتها، و تقاسـى من الحرمان، مضافا إلى ما كان يصـيبها من التلف و الضياع، و ما يلحق ثروتهم و النعم التى و هبها اللّه لهم من هذا الطريق من الضرر و الخسارهٔ.

و الأسوأ من کل ذلک أنهم- کما یستفاد من ذیل الآیة- کانوا ینسبون هذه المبتدعات المنکرات و هذا المنع و الحظر إلی اللّه سبحانه و تعالی، اذ یقول سبحانه:

«وَ لکِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا یَفْتَرُونَ عَلَی اللَّهِ الْکَذِبَ» و قد أعلم اللّه فی مطلع الآیة أنه لم یحرّم من هذه الاشیاء شیئا، و أنهم لیکذبون علی اللّه بادّعائهم أن هذه الأشیاء من فعل اللّه أو أمره.

و قد أشار القرآن إلی هذه الخرافات التی کانت تکبّل عقول الناس فی ذلک المجتمع اذ یقول: «وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ» «۱».

۴- الفساد الاخلاقی:

کان المجتمع الجاهلی العربی یعانی من فساد ذریع فی الاخلاق و قد أشار القرآن الکریم الی اثنین من أبرز وسائل الفساد و مظاهره هما: القمار (الذی کانوا یسمّونه بالمیسر و انما اشتق من الیسر لأنه اخذ مال الرجل بیسر و سهولهٔ من غیر کدّ و لا تعب) و الخمر.

و قد بلغ شغفهم بالخمر أنهم أعرضوا عن قبول الإسلام و اعتناقه لأنه یحرّم تناول الخمر و شربه، کما نقرأ ذلک فی قصهٔ الاعشی عما قریب.

یقول القرآن فی هذا الصعید: «یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَیْسِرِ قُلْ فِیهِما إِثْمٌ کَبِیرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَکْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما» «۲».

و قد استطاع القرآن الکریم عبر مراحل أربع أن یستأصل هذه العادهٔ البغیضهٔ

---

(۱) الأعراف: ۱۵۷ و راجع المحبر ص ۳۳۰- ۳۳۲.

(۲) البقرهٔ: ۲۱۹.

التی کانت قد تجذرت بشکل عجیب فی نفوس ذلک القوم، حتی اصبحت السمهٔ البارزهٔ لحیاتهم و أصبح التغنّی بالخمرهٔ، و وصفها الطابع الغالب لآدابهم، و اللون البارز الذی یصبغ قصائدهم و اشعارهم.

علی أن الفساد الأخلاقی فی المجتمع الجاهلی العربیّ قبل الإسلام لم یکن لیقتصر علی معاقرهٔ الخمر، و مزاولهٔ المیسر بل تعدی إلی ألوان اخری ذکرها القرآن الکریم فی ثلاثهٔ عشر موضعا، حیث عدّ منها الزنا، و اللواط، و القذف، و إکراه الفتیات علی البغاء و ما شاکل ذلک «۱».

۵- وأد البنات و إقبارهن:

و یشیر القرآن الکریم أیضا إلی عادهٔ جاهلیهٔ سیئهٔ اخری کانت رائجهٔ بین قبائل العرب الجاهلیهٔ قاطبهٔ و هی دفن البنت حیهٔ.

فقد شجب القرآن الکریم هذه العادهٔ البغیضهٔ و هذا العمل اللاانسانی و نهی عنه بشدهٔ فی اربعهٔ مواضع، إذ قال تعالی: «وَ إِذَا الْمَوْؤُدَهُ سُئِلَتْ. بِأَیِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» «۲». و قال تعالی: «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَکُمْ خَشْیَهَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِیَّاکُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ کانَ خِطْأً کَبِیراً» «۳».

و قد اتی جد «الفرزدق» «صعصعهٔ بن ناجیهٔ بن عقال» رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و عدّ من اعماله الصالحهٔ فی الجاهلیهٔ أنه فدی مائتین و ثمانین موؤدهٔ فی الجاهلیهٔ، و أنقذهنّ من الموت المحتّم باشترائهنّ من آبائهن بأمواله.

و قد افتخر «الفرزدق» بإحیاء جدّه للموءودات فی کثیر من شعره اذ قال:

و منّا الذی منع الوائدات‌و أحیا الوئید فلم یوأد «۴»

---

(۱) راجع للوقوف علی ذلک سورة النساء: ۱۵ و ۱۶. و سورة النور: ۲ و ۳ و غیرها. و راجع المحبر: ص ۳۴۰.

(۲) التکویر: ۸ و ۹.

(۳) الإسراء: ۳۱.

(۴) بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۴۵ و ۴۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷

۶- تصوراتهم الخرافیة حول الملائکة:

و ممّا أشار إلیه القرآن الکریم تصورات العرب الجاهلیة حول الملائکة، فقد کانوا یعتقدون أن الملائکة من الإناث و أنهن بنات اللّه، اذ یقول تعالی:

«فَاسْتَفْتِهِمْ أَ لِرَبِّکَ الْبَناتُ وَ لَهُمُ الْبَنُونَ. أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِکَةَ إِناثاً وَ هُمْ شاهِدُونَ. أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْکِهِمْ لَیَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ أَصْطَفَی الْبَناتِ عَلَی الْبَنِینَ. ما لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ» «۱».

۷- کیفیة الانتفاع من الانعام:

إذا کانت العرب الجاهلیة تمتنع من تناول لحوم الأنعام الاربعة المذکورة آنفا و تجتنب عن استعمال ألبانها و شعورها و أصوافها. إلا أنها کانت فی المقابل تتناول الدم، و المیتة و الخنزیر، و تأکل من الحیوانات و الأنعام التی تقتلها بصورة قاسیة، و بالتعذیب و الأذی، و ربما کانت تعتبر ذلک نوعا من العبادة، و یعرف ذلک من الآیة التالیة التی نزلت تنهی بشدة عن أکل هذه اللحوم، و تحرّم تناولها، اذ یقول سبحانه: «حُرِّمَتْ عَلَیْکُمُ الْمَیْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِیرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَیْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ وَ الْمُتَرَدِّیَةُ وَ النَّطِیحَةُ وَ ما أَکَلَ السَّبُعُ إِلَّا ما ذَکَّیْتُمْ وَ ما ذُبِحَ عَلَی النُّصُبِ وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِکُمْ فِسْقٌ» «۲».

فقد حرم اللّه فی هذه الآیة اکل:

۱- المیتة.

۲- الدم.

۳- لحم الخنزیر.

۴- ما ذکر اسم غیر اللّه علیه.

۵- التی تموت خنقا، و هی المنخنقة.

---

(۱) الصافّات: ۱۴۹- ۱۵۴.

(۲) المائدة: ۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸

۶- التى تضرب حتى تموت، و هى الموقوذة.

۷- التى تقع من مكان عال فتموت و هى المتردية.

۸- التى تموت نطحا من حيوان آخر و هى النطيحة.

۹- ما افترسه سبع إلا اذا ذكى قبل موته.

۱۰- و ما ذبح أمام الاصنام.

۸- الاستقسام بالازلام:

فقد كـان تقسيم لحم الذبيحة يتم عن طريق الأزلام، و الأزلام جمع (زلم) بوزن (شرف) و هى عيدان و سهام تستخدم فى ما يشبه القرعة لتقسيم لحم الذبيحة.

فقد كان يشترى عشرة أنفار معيرا ثم يذبحونه، ثم يكتبون على سبعة منها أسهما مختلفة من الواحد الى السبعة و لا يكتبون على ثلاثة منها شيئا، ثم يجعلونها فى كيس ثم يستخرجونها واحدة بعد اخرى، كل واحدة باسم أحدهم فيأخذ كل واحد منهم من الذبيحة ما خرج له من السهم، و هكذا يقتسمون الذبيحة بينهم «۱»، فنهاهم اللّه عن ذلك بقوله: «وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ» لأنه ضرب من القمار الذى ينطوى على مفاسد الميسر و القمار.

۹- النسىء:

كان العرب الجاهليون يعتقدون حرمة الاشهر الحرم (و هى أربعة المحرم و رجب و ذو القعدة و ذو الحجة) فكانوا يتحرجون فيها من القتال، و جرت عادة العرب على هذا من زمن إبراهيم و اسماعيل عليهما السّلام.

الّا أن سدنة الكعبة أو رؤساء العرب كانوا يعمدون أحيانا، و لقاء مبالغ يأخذونها، أو جريا مع أهوائهم، الى تأخير الاشهر الحرم، و هو الأمر الذى عبّر

---

(۱) راجع للوقوف على تفصيل هذه الطريقة بلوغ الارب: ج ۳ ص ۶۲ و ۶۳، و المحبر: ص ۳۳۲- ۳۳۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۹

عنه القرآن الكريم بالنسىء ثمّ نهى عنه و عدّه كفرا اذ قال: «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً وَ يُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ» «۱».

و قد ذكرت كتب التاريخ و السير كيفية النسىء و تأخير الأشهر الحرم، الذى كان يتم بصور مختلفة منها: أن جماعة ما لو كانت ترغب فى استمرار الغارة و القتال و لم تطق تأخير النضال مدة الاشهر الحرم كانت تطلب من سدنة الكعبة، لقاء ما تقدمه لهم من هدايا و اموال، تجويز الغارة و القتال فى شهر محرم، و تحرم القتال فى شهر صفر بدله ليتم عدد الأشهر الحرم (و هى اربعة). و هذا هو معنى قوله تعالى: «لِيُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ» و كانوا إذا أحلّوا القتال و الغارة فى المحرم من سنة حرّموه فى المحرم من السنة التالية، و هذا هو معنى قوله تعالى:

«يُحِلُّونَهُ عاماً، وَ يُحَرِّمُونَهُ عاماً».

۱۰- الربا:

و ممّا يشير إليه القرآن الكريم من المفاسد الشائعة، و الأعمال المنكرة فى المجتمع العربى الجاهلى قبل الإسلام: «الربا» الذى كان يشكل العمود الفقرى فى اقتصاد ذلك المجتمع.

و قد حارب القرآن الكريم هذه العادة المقيتة، و هذا الفساد الاقتصادى حربا شعواء، إذ قال تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ» «۲».

و العجيب أنهم كانوا يبرّرون هذا العمل اللاإنسانى بقولهم «إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا» «۳» فاذا كان البيع حلالا و هو اخذ و عطاء فليكن الرّبا كذلك حلالا، فإنه أخذ و عطاء أيضا، مع أن «الرّبا» من ابشع صور الاستغلال، و قد ردّ

(۱) التوبة: ۳۷.

(۲) البقرة: ۲۷۸ و ۲۷۹.

(۳) البقرة: ۵/ ۲۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰

سبحانه على هذه المقالة بقوله تعالى: «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا» «۱» ففى البيع و الشراء يتساوى الطرفان فى تحمل الضرر المحتمل، بينما لا يتضرر المرابى فى النظام الربوى أبدا و إنّما يلحق الضرر بمعطى الربا دائما، و لهذا تنمو المؤسسات الربوية، و يعظم رصيدها، و ثروتها يوما بعد يوم فيما يزداد الطرف الآخر بؤسا و فقرا، و لا يحصل من جهوده المضنية إلا على ما يسدّ جوعته، و يقيم اوده، لا اكثر، كل ذلك نتيجة لهذا الاسلوب الاقتصادى غير العادل.

صور من الوضع الجاهلى

ما قدمناه كان أبرز المفاسد الاخلاقية و الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية التى أشار إليها القرآن الكريم، و أما التاريخ فملىء بالصور و القصص التى تحكى عن تردى حالة العرب الجاهلية و سقوطها الفضيع فى قعر الفساد فى جميع المناحى و الجهات.

و إليك فى ما يلى نماذج و صور معدودة تكفى للوقوف على الحالة العامة فى ذلك المجتمع نقتبسها لك من أصح المصادر و اوثقها:

(۱) و ها نحن نقدم قصة «أسعد بن زرارة» التى تسلط الضوء على ما كان عليه الوضع الجاهلى فى اكثر مناطق الحجاز، فقد قدم «أسعد بن زرارة» و «ذكوان بن عبد قيس»- و هما من الأوس و كان بين الاوس و الخزرج حرب قد بقوافيها دهرا طويلا، و كانوا لا يضعون السلاح لا بالليل و لا بالنهار، و كان آخر حرب بينهم «يوم بعاث» و قد انتصر فيها الأوس على الخزرج- مكة فى عمرة رجب يسألون الحلف على الاوس، و كان اسعد بن زرارة صديقا لعتبة بن ربيعة، فنزل عليه فقال: انه كان بيننا و بين قومنا حرب و قد جئناك نطلب الحلف عليهم، فقال له عتبة: إن لنا شغلا لا نتفرّغ لشىء. قال سعد: و ما شغلكم و أنتم فى حرمكم و أمنكم؟ قال له عتبة: خرج فينا رجل يدعى أنّه رسول اللّه سفّه أحلامنا، و سبّ آلهتنا و أفسد

(۱) البقرة: ۲۷۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۱

شبّاننا، و فرّق جماعتنا، فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد اللّه بن عبد المطلب من أوسطنا شرفا، و أعظمنا بيتا.

(۱) و كان أسعد و ذكوان، و جميع الاوس و الخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم: النضير و قريظة و قينقاع، أن هذا أوان نبیّ يخرج بمكة يكون مهاجره بالمدينة لنقتلنكم به يا معشر العرب، فلما سمع ذلک أسعد وقع فی قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟ قال: جالس فی الحجر، و إنّهم لا يخرجون من شعبهم إلّا فی الموسم، فلا تسمع منه و لا تكلمه فانه ساحر يسحرک بكلامه، و كان هذا فی وقت محاصرة بنی هاشم فی شعب أبی طالب، فقال له «أسعد»:

فكيف أصنع و أنا معتمر لا بدّ لی أن أطوف بالبيت؟ قال: ضع فی اذنيک القطن، فدخل «أسعد» المسجد و قد حشا اذنيه بالقطن، (۲) فطاف بالبيت و رسول اللّه جالس فی الحجر مع قوم من بنی هاشم، فنظر إليه نظرة فجازه، فلما كان فی الشوط الثانی قال فی نفسه: ما أجد أجهل منی؟ أ يكون مثل هذا الحديث بمكة فلا اتعرّفه حتی ارجع الی قومی فاخبرهم، (۳) ثم أخذ القطن من اذنيه و رمی به، و قال لرسول اللّه: أنعم صباحا، فرفع رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله رأسه إليه و قال: قد أبدلنا اللّه به ما هو احسن من هذا، تحية أهل الجنة: السلام عليكم، قال له أسعد: إن عهدک بهذا لقريب، إلی ما تدعو يا محمّد؟ قال: إلی شهادة ألّا إله إلّا اللّه، و انی رسول اللّه، و أدعوكم الی: «أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ حَتَّی يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبی وَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» «۱».

---

(۱) الأنعام: ۱۵۱ و ۱۵۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۲

(۱) فلما سمع «أسعد» هذا قال له: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، و أنک رسول اللّه، يا رسول اللّه بأبی أنت و أمی ... «۱».

إن الامعان فی مفاد هاتين الآيتين يغنينا عن دراسة شاملة و واسعة لاوضاع العرب الجاهلية لأن هاتين الآيتين تكشفان عن الأمراض الاخلاقية التی كانت تكتنف حياة العرب الجاهلية، و لهذا تلا رسول اللّه الآيات التی تشير إلی هذه الادواء و الأمراض ليلفت نظر «سعد» إلی أهداف رسالته الكبری.

(۲)

العقيدة و الدين فی الجزيرة العربية:

عند ما رفع «إبراهيم الخليل» لواء التوحيد فی البيئة الحجازية، و أعاد بناء الكعبة المعظمة و رفع قواعدها بمعونة ابنه «اسماعيل»، تبعه فی ذلک طائفة من الناس ممن أنار اللّه به قلوبهم، الّا انه من غير المعلوم إلی ایّ مدی استطاع ذلک النبی العظيم أن يعمّم دين التوحيد و يبسط لواءه علی الجميع، و يؤلف صفوفا متراصة، و جبهة عريضة قوية من الموحدين، غير ان من المعلوم انه اصبحت تلک المنطقة مسرحا للوثنية و لعبادة الاشياء المختلفة مع الايام فقد كانت الطبقة المثقفة من العرب تعبد الكواكب و القمر، فهذا هو المؤرخ العربی الشهير الكلبی الذی توفی عام ۲۰۶ هجرية يكتب فی هذا الصدد قائلا كان «بنو مليح» من خزاعة يعبدون الجن و كانت «حمير» تعبد الشمس، و «كنانة» تعبد القمر، و «تميم» الدبران، و «لخم» و «جذام» المشتری، و «طی» سهيلا، و «قيس» الشعری، و «أسد» عطاردا.

(۳) أما الدهماء و الذين كانوا يشكلون اغلبية سكان الجزيرة فقد كانوا يعبدون- مضافا إلی الصنم الخاص بالقبيلة أو العائلة- ثلاثمائة و ستين صنما، و كانوا ينسبون أحداث كل يوم من أيام السنة إلی واحد منها.

و قد دخلت عبادة الأصنام و الأوثان فی مكة بعد «إبراهيم الخليل»

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۸ و ۹، اعلام الورى: ص ۳۵- ۴۰.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۳

عليه السّلام على يد «عمرو بن لحى»، و لكنها لم تكن فى بداية أمرها بتلك الصورة التى وصلت إليها فى ما بعد فقد كانوا يعتبرونها فى بداية الأمر شفعاء إلى اللّه و وسطاء بينه و بينهم، و لكنهم تجاوزوا هذا الحد فى ما بعد حتى صاروا يعتقدون شيئا فشيئا بانها اصحاب قدرة ذاتية مستقلة، و أنها بالتالى آلهة و أرباب.

(۱) و كانت الاصنام المنصوبة حول الكعبة تحظى باحترام جميع الطوائف العربية، و لكن الاصنام الخاصة بالقبائل فقد كانت موضع احترام جماعة خاصة فقط، و لأجل أن تبقى حرمة هذه الأصنام و الأوثان الخاصة محفوظة لا يمسها أحد بسوء كانوا ينشئون لها أماكن و بيوت خاصة، و كانت سدانة هذه البيوت و المعابد تنتقل من جيل إلى آخر بالوراثة.

أما الاصنام العائلية فقد كانت العوائل تقتنيها للعبادة كل يوم و ليلة، فاذا أراد احدهم السفر كان آخر ما يصنعه فى منزله هو ان يتمسح به أيضا.

و كان الرجل إذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها، و اتخذه ربّا و جعل ثلاثة أثافىّ لقدره، و إذا ارتحل تركه.

(۲) و كان من شغف أهل مكة و حبّهم للكعبة و الحرم أنه كان لا يسافر منهم أحد إلّا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم، و حبا له فحيثما حلّوا نصبوه و طافوا به كطوافهم بالكعبة صبابة بها، و يمكن أن تكون هذه هى «الأنصاب» التى فسرت بالاحجار العادية غير المنحوتة و تقابلها الأوثان، و هى الاحجار المنحوتة:

على هيئة خاصة، و أما «الأصنام» فهى المعمولة من خشب أو ذهب أو فضة على صورة انسان.

(۳) لقد بلغ خضوع العرب أمام الاصنام و الأوثان حدا عجيبا جدا، فقد كانوا يعتقدون بأنهم يستطيعون كسب رضاها بتقديم القرابين إليها، و كانوا بعد نحر الهدايا يلطخون وجوه الاصنام و رءوسها بدماء تلك الهدايا، و كانوا يستشيرونها فى مهام امورهم، و جلائل شئونهم، فاذا أرادوا الوقوف على مستقبل الأمر الذى تصدّوا له و معرفة عاقبته أخير هو أم شر استقسم لهم أمين القداح بقدحى

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۴

(الأمر و النهى) و هى قطع كتب على بعضها (افعل) و على بعضها الآخر (لا تفعل) فيمدّ أمين القداح يده و يجيل القداح و يخرج واحدا فان طلع الآمر فعل أو الناهى ترك.

(۱) و خلاصة القول، ان الوثنيّة كانت العقيدة الرائجة فى الجزيرة العربية، و قد تفشّت فيهم فى مظاهر متنوعة و متعددة، و كانت الكعبة المعظمة- فى الحقيقة- محطّ أصنام العرب الجاهلية و آلهتهم المنحوتة، فقد كان لكل قبيلة فى هذا البيت صنم، و بلغ عدد الاصنام الموضوعة فى ذلك المكان المقدس (۳۶۰) صنما فى مختلف الاشكال و الهيئات و الصور، بل كان النصارى أيضا قد نقشوا على جدران البيت و أعمدته صورا لمريم و المسيح و الملائكة، و قصّة ابراهيم.

و كان من جملة تلك الأصنام: «اللات» و «العزّى» و «مناة» التى كانت تعتبرها قريش بنات اللّه و يختص عبادتها بقريش.

و كانت «اللات» تعتبر أمّ الآلهة، و كان موضعها بالقرب من «الطائف» و كانت من الحجر الابيض، و أما «مناة» فكانت فى عقيدتهم إلهة المصير و ربّة الموت و الاجل و كان موضعها بين «مكة» و «المدينة».

(۲) و لقد اصطحب «ابو سفيان» معه يوم «احد»: «اللات» و «العزّى».

و يروى انه مرض ذات يوم «أبو احيحة» و هو رجل من بنى أميّة، مرضه الذى مات فيه، فدخل عليه ابو لهب يعوده، فوجده يبكى، فقال: ما يبكيك يا ابا احيحة؟ أمن الموت تبكى و لا بد منه؟ قال: لا و لكنى اخاف ان لا تعبد العزى بعدى! قال ابو لهب: و اللّه ما عبدت حياتك (اى لأجلك) و لا تترك عبادتها بعدك لموتك!! فقال أبو احيحة: الآن علمت ان لى خليفة «۱».

(۳) و لم تكن هـذه هى كـل الأصـنام التى كانت تعظّمها و تعبـدها العرب بل كانت لقريش أصـنام فى جوف الكعبـة و حولها و كان اعظمها «هبل»، كما انه لم يكن لكل قبيلة صنم خاص فحسب بل كانت كل عائلة تعبد صنما خاصا بها

---

(۱) الأصنام للكلبى: ص ۲۳.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۵

مضافا إلى صـنم القبيلـة و كـانت المعبـودات تـتراوح بيـن الكـواكب، و الشـمس، و القمر، و الحجر، و الخشب، و الـتراب، و التمر، و التماثيل المنحوتة المختلفة فى الشكل، و الهيكل، و الاسم، المنصوبة فى الكعبة أو فى سائر المعابد.

لقـد كانت الاصـنام جميعها أو أغلبها معظّمـة عنـد العرب، يتقربون عنـدها بالذبائـح و يقرّبون لها القرابين، و جرت عادة بعض القبائل آنـذاك أن تختار من بين أفرادها كل سـنة شـخصا فى مراسـيم خاصـة ثم تـذبحه عنـد أقـدام اصـنامها، و تقبر جسـده على مقربـة من المذبح.

(۱) هـذا العرض المختصـر يكشف لنا كيف أن أرض الجزيرة العربيـة برمتها كانت قد اصـبحت مسـرحا للاصـنام و مسـتودعا ضـخما للاوثـان، و كيف تحولت هـذه البقعـة من العـالم ببيوتهـا و ازقتهـا و صـحاريها و حـتى بيت اللّه المحرم كـانت قـد تحولت الى مخزن للنصب المؤلّهـة، و التماثيـل المعبودة، و يتجلى هـذا الأمر من قول شاعرهم الـذى اسـلم و راح يسـتنكر ما كان عليه من عبادة الاصـنام المتعددة الخارجة عن الاحصاء و العدّ، اذ قال:

أ ربّا واحدا أم ألف ربأدين إذا تقسّمت الامور

عزلت اللات و العزى جميعاكذلك يفعل الجلد الصبور

فلا عزّى أدين و لا ابنتيهاو لا صنمى بنى عمرو أزور

و لا غنما أزور و كان ربّالنا فى الدهر إذ حلمى يسير

و لكن أعبـد الرحمن ربّىليغفر ذنـبى الربّ الغفور «۱» و قـد حدثت بسـبب الاختلاف و التعددية فى عبادة الاصـنام و الاوثان المؤلّهة السـخيفة الباطلـة، تناقضات، و صـراعات، و حروب و مناحرات، قـد جرت بالتالي- ويلات و ماس و خسائر مادية و معنوية كبرى على تلك الجماعة المتوحشة، الضالة. سيد المرسلين ج ۱ ۵۵ العقيدة و الدين فى الجزيرة العربية: ..... ص : ۵۲

---

(۱) بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب: ج ۲ ص ۲۴۹ و جاء البصير.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۶

(۱)

عقيدة العرب حول حالة الإنسان بعد الموت:

و عن مصير الإنسان و حالته ما بعد الموت هذه المشكلة الفلسفية العويصة كانت رؤية العرب و نظرتهم تتلخص فى ما يلى:

عنـد ما يموت الانسان تخرج روحه من جسده على هيئة طائر شبيه بالبوم يسـمى عندهم ب «الهامّة و الصدى» ثم يبقى هذا الطائر قريبا من جسد الميت ينوح نوحا مقرحا و موحشا، و عند ما يوارى الميت يبقى هذا الطائر مقيما عند قبره إلى الابد!

و ربما وقف على جدار منزل الميت أحيانا لتسقّط أخبار عائلته و الاطلاع على أحوالهم!!

قال شاعرهم فى ذلك:

سلّط الموت و المنون عليهمفلهم فى صـدى المقـابر هـام و إذا كـان المرء قـد مـات بموتـة غير طبيعيـة كمـا لو قتل- مثلا- فإن ذلك

الحیوان ینادی باستمرار: «اسقونی ... اسقونی» ای اسقونی بسفک دم القاتل و اراقته؛ و لا یسکن عن هذا النواح و النداء الخاص الا بعد الانتقام و الثأر من قاتله.

قال احدهم فی ذلک:

فیا ربّ إن أهلک و لم تروها متی‌بلیلی امت لا قبر أعطش من قبری «۱»

(۲) من هنا بالضبط تتجلی الحقیقة للقارئ و یعلم جیدا کیف أن تاریخ العرب ما قبل الإسلام و تاریخهم ما بعد الإسلام ما هو الّا تاریخان علی طرفی نقیض:

فذلک تاریخ جاهلیة، و وثنیة و إجرام، و هذا تاریخ علم و وحدانیة و انسانیة و ایمان، و شتان ما بین وأد البنات، و بین رعایة الایتام، و بین السلب و النهب و الاغارة و بین المواساة و الایثار، و بین عبادة الاوثان و الاصنام الصماء العمیاء

---

(۱) بلوغ الارب. ج ۲ ص ۳۱۱ و ۳۱۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷

و التقرب الی اللّه الواحد القادر.

(۱)

الآداب مرآة آداب الشعوب و نفسیاتها:

المخلّفات الفکریة و الثقافیة، و ما یترکه أی شعب من الشعوب من قصص و حکایات افضل وسیلة للتعرف علی خلفیاته النفسیة و الأخلاقیة، ذلک لأنّ الآداب بما فیها الشعر و القصة، و الخطبة و الحکایة، و المثل و الکنایة مرآة صادقة تعکس المستوی الفکری لأیّة جماعة، و تعتبر خیر مقیاس لتمدّنها، و حضارتها، و أفکارها و نفسیاتها، تماما کما تحکی اللوحات الفنیة عن حیاة عائلة، أو منظر طبیعی جمیل، أو اجتماعات صاخبة، أو مشاهد قتالیة.

إن القصائد و الأمثال العربیة التی کانت رائجة آنذاک تستطیع- قبل کل شیء- أن تکشف عن الوجه الحقیقی لتاریخهم و نمط حیاتهم و سلوکهم، و لهذا السبب لا یجوز لأی مؤرخ واقعی یسعی الی الحصول علی صورة کاملة عن تاریخ شعب من الشعوب أن یتجاهل الترکة الفکریة و الأدبیة و الثقافیة لذلک الشعب سواء أ کان شعرا أم نثرا، أمثالا أم حکما، قصصا أم أساطیر.

و من حسن الحظ أنّ مؤرخی الإسلام اثبتوا و سجلوا باتقان ما اثر من العرب ممّا یرتبط بآدابهم فی العصر الجاهلی بقدر ما اتیح لهم ذلک.

(۲) و قد کان ابو تمام «حبیب بن اویس» (المتوفی عام ۲۳۱ هجریة) و الذی یعتبر من کبار أدباء الشیعة، و له قصائد رائعة فی مدح آل الرسول، ممن اعتنی عنایة بالغة بهذه الناحیة، حیث جمع فی کتاب واحد طائفة کبیرة جدا من الشعر الجاهلی مفصلة فی عشرة ابواب هی:

۱- الحماسة.

۲- المراثی.

۳- الادب.

۴- النسیب.

۵- الهجاء.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸

۶- الاضافات.

۷- الصفات.

۸- السیر.

۹- الملح.

۱۰- مذمة النساء.

و قد تناول هذا الدیوان التاریخی القیم عدد کبیر من أدباء المسلمین و علمائهم بشرح ابیاته، و تفسیر غوامضها، و بیان اغراضها، و مقاصدها.

کما ترجم أصل الدیوان إلی لغات اجنبیة عدیدة جاء ذکر طائفة منها فی کتاب «معجم المطبوعات» «۱».

(۱)

مکانة المرأة عند العرب الجاهلیة:

إن الباب العاشر من هذا الدیوان خیر وسیلة لمعرفة ما کانت علیه المرأة فی العصر الجاهلی من الحرمان، و أقوی دلیل علی أنها کانت تعیش- فی ظل ذلک العهد- فی أسوأ الحالات و أشد الظروف و اتعسها.

هذا مضافا إلی أن الآیات القرآنیة التی تنزلت و هی تشجب بعنف معاملة الجاهلیین للعنصر النسائی، و قسوتهم علی الأنثی، هی الاخری افضل شاهد علی مدی الانحطاط الاخلاقی و التدهور السلوکی الذی انحدروا إلیه فی هذا المجال.

إن القرآن الکریم یصف عادة وأد البنات بقوله: «وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ» «۲» أی لیسأل یوم القیامة عن البنات اللاتی وئدن و هنّ أحیاء.

إن القرآن الکریم بهذه العبارة الموحیة إنما یتحدث- فی الحقیقة- عن عادة وأد البنات بمرارة، و یشجبها بشدة حتی أنه یعتبرها جریمة نکراء لا تمر- فی الآخرة- بدون حساب شدید، و سؤال خاص.

---

(۱) معجم المطبوعات: ص ۲۹۷، و قد اشتهر هذا الدیوان ببابه الأول: «الحماسة» فسمی دیوان الحماسة

(۲) التکویر: ۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹

حقا انه لأمر یکشف عن مدی القسوة التی کان علیها قلوب تلک الجماعة.

إنها قسوة تغشی کل عواطف المرء فلا یعود یسمع معها نداء الضمیر، و لا یحسّ معها بوخز الوجدان، انه لا یعود یسمع معها حتی صراخ بنته الجمیلة البریئة، و استغاثاتها المؤلمة و هی تری بام عینیها حفیرتها، و تحس بیدی والدها القاسی، و هو یدفعها إلی تلک الحفرة و یدفنها حیة!

إنها قسوة تکشف عن أسوأ و أحطّ درجات الانحطاط الخلقی، و التقهقر الإنسانی.

(۱) و بنو تمیم هی أول قبیلة أقدمت علی هذه الجریمة النکراء، و کان السبب أن «بنی تمیم» امتنعوا من دفع ضریبة الاتاوة التی کانت علیهم إلی الملک، فجرّد إلیهم النعمان بن المنذر حاکم العراق آنذاک جیشا کبیرا لضرب هذا التمرد، و انتصر علی «بنی تمیم» فی المال و غنم منهم الغنائم و سبی منهم الفتیات و النساء، فوفدت وفود «بنی تمیم» علی النعمان بن المنذر و کلّموه فی الذراری و النساء، فحکم النعمان بان یجعل الخیار فی ذلک الی النساء، فأیة امرأة اختارت زوجها ردّت علیه، فاختلفن فی الخیار، فاختار بعضهنّ العودة الی الاهل و الآباء، و اختارت بنت لقیس بن عاصم سابیها علی زوجها مما أثار هذا الموقف و الاختیار غیظ والدها العجوز «قیس بن عاصم» فنذر من ذلک الحین أن یدس کل بنت تولد له. و هکذا سنّ لقومه الوأد، و اخذت بقیة القبائل بهذه العادة البغیضة الوحشیة

إرضاء لغيرتهم و ظلّوا يمارسونها اعواما متمادية «۱».

و إليك واحدة من القصص المأساوية فى هذا المجال:

(۲) قيل لما وفد «قيس بن عاصم» على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سأله بعض الانصار عما يتحدث به فى الموؤدات، فاخبر انه ما ولدت له بنت إلّا وأدها، قال:

كنت اخاف العار و ما رحمت منهن إلّا بنيّة كانت ولدتها امها و أنا فى سفر، فدفعتها الى أخواتها، و قدمت أنا من سفرى فسألتها عن الحمل، فاخبرت أنها

(۱) بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۴۲ و ۴۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۰

ولدت ولدا ميتا، و كتمت حالها، حتى مضت على ذلك سنون، و كبرت الصبية، و ينعت، فزارت امها ذات يوم، فدخلت فرأيتها و قد ضفرت شعرها و جعلت فى قرونها جدادا و نظمت عليها و دعا، و البستها قلادة من جزع فقلت لها: من هذه الصبية؟ و قد اعجبنى جمالها فبكت امها، و قالت: هذه ابنتك، فامسكت عنها حتى غفلت امها ثم اخرجتها يوما فحفرت لها حفرة و جعلتها فيها و هى تقول: يا ابت ما تصنع؟ اخبرنى بحقك!! و جعلت اقلّب عليها التراب، و هى تقول: أنت مغط علىّ بهذا التراب، أنت تاركى وحدى، و منصرف عنى، و جعلت اقذف عليها ختى واريتها، و انقطع صوتها، فتلك حسرتها فى قلبى، فدمعت عينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال: «إن هذه لقسوة، و من لا يرحم لا يرحم» «۱».

و قد ذكر ابن الاثير فى كتابه «اسد الغابة» فى مادة: قيس: ان النبى صلّى اللّه عليه و آله سأل قيسا عن عدد البنات اللاتى وأدهنّ فى الجاهلية: فاجاب قيس بانه وأد اثنتى عشرة بنتا له «۲».

و روى عن ابن عباس أنه قال: كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فمخضت على رأس تلك الحفرة، فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة و اذا ولدت ولدا حبسته «۳».

(۱)

المرأة و مكانتها الاجتماعية عند العرب:

كانت المرأة عندهم تباع و تشترى كالمتاع، و كانت محرومة من جميع الحقوق الاجتماعيّة و الفردية، حتى حق الارث.

و قد كان المثقفون من العرب يعدّون النساء من الحيوانات، و لهذا كانوا يعتبرونهن جزء من أثاث البيت و يعاملونهن معاملة الرياش و الفراش حتى سار

(۱) حياة محمّد: تأليف محمّد على سالمين، ص ۲۴ و ۲۵.

(۲) راجع اسد الغابة: ج ۴ ص ۲۲۰، و جاء فى بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۴۳ أنه وأد بضع عشرة بنتا.

(۳) بلوغ الارب: ج ۳ ص ۴۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۱

فيهم المثل المعروف: «و انما امّهات الناس اوعية».

كما أنهم غالبا ما كانوا يقتلون بناتهم فى اليوم الاول من ميلادهن خشية الفقر تارة، و دفعا للعار و الشنان تارة اخرى.

و قد كان هذا القتل يتمّ إما بذبحهن أو إلقائهنّ من شاهق، أو إغراقهنّ فى الماء، أو الدفن و هن أحياء كما سبق.

(۱) و قـد تعرض القرآن الكريم- الـذى يعـدّ من وجهـة نظر المستشـرقين الكتاب و المصـدر التاريخى العلمى الوحيد الذى لم تنله يد التحريف- تعرّض لـذكر قصة من هذا النوع ضـمن آيات من سورة النحل حيث قال: «وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ» «۱».

هـذا و المؤسف أكثر هو ما كان عليه وضع الزواج فى الجاهليـة، حيث لم يكن يسـتند الى اى قانون، و لم يخضع لأىّ واحد من النظم المعقولة، بل كان وضعا عديم النظير فى ذلك الزمان، فلم يكن لعدد الزوجات- مثلا- حد معلوم، او قاعدة ثابتة.

كما انهم كلما أرادوا التخلص من مهر الزوجـة عمدوا إلى ايذاءها بقسوة، حتى تتخلى هى بنفسـها عن حقها، و كان اقترافها لأىّ عمل مناف للعفة هو الآخر سببا لسقوط حقها فى المهر بالمرة.

(۲) و لطالما استغلّ بعض الاشخاص هذا القانون الجائر للتخلص من مهور زوجاتهم فاتهموهن بالخيانة الزوجية!!

و من قبيـح ما كانوا يفعلون ان يتزوج الرجل بزوجـة أبيه بعـد تطليقها، أو وفاته و ربما تناوب الأبناء على امرأة أبيهم واحـدا بعد واحد، فقـد كـان الرجـل من العرب الجاهليـة إذا مـات عن المرأة أو طلّقها قام أكبر بنيه، فان كان يحبّ أن يتزوجها طرح ثوبه عليها، و إن لم يكن يريد التزوج بها تزوّج بها بعض اخوته بمهر

---

(۱) النحل: ۵۸ و ۵۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲

جديد «۱».

و قـد ابطل الإسـلام هذه العادة الفاسدة حيث قال اللّه تعالى: «وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ مَقْتاً وَ ساءَ سَبِيلًا» «۲».

و قد ذكرت كتب التاريخ و السيرة طائفة ممن فعلوا هذا نعرض عن ذكر أسماءهم.

كما ذكرت تلك الكتب انواعا اخرى من المناكح الفاسدة الشنيعة التى أبطلها الإسلام «۳».

ثم إن المطلّقة لم يكن لها الحق- فى زمن الجاهلية- فى ان تتزوج برجل آخر بعد انقضاء عدّتها إلا إذا اذن لها الزوج الأول الذى كان غالبا ما يأخذ مهرها فى الزواج الثانى فى قبال الاذن.

و ربما منع اولياؤها من أن تتزوج بزوجها الأول الـذى طلّقها، ثم خطبها بعد انقضاء العدة إذا رضـيت به و رغبت فيه، أو أن تتزوج بمن أرادت و احبّت- بعد انقضاء العدّة- أصلا، حميّة جاهلية.

و كـان الرجـل يرث امرأة ذى قرابته إذا مـات عنهـا، تماما كما يرث ما خلّف من أمتعـة المنزل، زاعما بانه أحق بها من غيره، فيعضـلها (يمنعها من الزواج) او تردّ إليه صـداقها، و فى رواية؛ إن كانت جميلة تزوجها، و ان كانت دميمة حبسـها حتى تموت فيرثها، و قد نهى اللّه تعـالى عن ذلـك، و أبطـل تلـك العـادات اذ قـال تعالى: «وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكُمْ أَزْكى لَكُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» «۴».

---

(۱) المحبر: ص ۳۲۶ و ۳۲۷.

(۲) النساء: ۲۲، و كانوا يسمّون من يتزوج زوجة أبيه الضيزن، و كان هذا الزواج يسمّى فى الجاهلية «نكاح المقت» و يسمى الولد منه: مقتىّ. (راجع بلوغ الارب: ج ۲ ص ۵۳ و مجمع البيان للطبرسى: ج ۳ ص ۲۶).

(۳) المحبر: ۳۳۷- ۳۴۰.

(۴) البقرة: ۲۳۲.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۶۳

و قال سبحانه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ» «۱».

و قال تعالى: «وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» «۲».

و خلاصة القول؛ إن المرأة كانت فى العهد الجاهلىّ بشرّ حال، و يكفى لتلخيص ما قلناه انه لما خطب احدهم الى رجل ابنته، و ذكر له المهر و الصداق قال: إنّى و إن سيق إلىّ المهر ألف و عبدان (اى عبيد و مماليك) و ذود (و هو من الابل من الثلاث الى العشر عشر، أحبّ أصهارى إلىّ القبر و قال شاعرهم، فى ذلك.

لكلّ أبى بنت يراعى شئونهاثلاثة أصهار إذا حمد الصهر

فبعل يراعيها و خدر يكنهاو قبر يواريها و أفضلها القبر «۳» كما ان العرب كانت مصفقة و متفقة على توريث البنين دون البنات «۴».

(۱)

مقارنة بسيطة:

و لو لاحظت أيها القارئ الكريم الحقوق التى قررها الإسلام فى مجال (المرأة) لاذعنت- حقا- بأن هذه الاحكام و المقررات و هذه الخطوات المؤثرة التى خطاها النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله فى سبيل اصلاح حقوق المرأة، و تحسين اوضاعها، هى بذاتها شاهد حق، و دليل صدق على حقانيّته، و صدق ارتباطه بعالم الوحى.

فاية رعاية و لطف بالمرأة و حقوقها و أى اهتمام بشأنها و كرامتها أعلى و اكثر من ان يوصى النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله مضافا الى ما جاء فى آيات و احاديث كثيرة تؤكّد على حقوق المرأة و توصى أتباع هذا الدين بالرحمة بهن و احترامهن فى

---

(۱) النساء: ۱۹.

(۲) البقرة: ۲۳۱.

(۳) بلوغ الارب: ج ۲ ص ۹.

(۴) المحبر: ص ۲۳۶.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۶۴

خطبته الشهيرة فى (حجة الوداع) بالمرأة، و يؤكد على ذلك اشد تأكيد انه يقول صلّى اللّه عليه و آله:

«أيها النّاس إنّ لنسائكم عليكم حقا، و لكم عليهنّ حقا ... فاتقوا اللّه فى النّساء و استوصوا بهنّ خيرا، فانهنّ عندكم عبوان ... أطعموهنّ ممّا تأكلون، و ألبسوهنّ ممّا تلبسون» «۱».

(۱)

العرب و الرّوح القتاليّة:

من الناحية النفسية يمكن القول بان عرب الجاهلية كانوا النموذج الكامل للإنسان الحريص، الموصوف بالطمع الشديد، الفوىّ التعلق بالماديات.

لقد کانوا ینظرون الی کل شیء من زاویة منافعه و مردوداته المادیة، کما أنهم کانوا دائما یرون لأنفسهم فضیلة و میزة علی الآخرین. کانوا یحبّون الحریة حبا شدیدا، و لذلک کانوا یکرهون کل شیء یقیّد حریتهم.

(۲) یقول ابن خالدون عنهم: «إنهم (ای العرب الجاهلیة) بطبیعة التوحّش الذی فیهم اهل انتهاب و عیث، ینتهبون ما قدروا علیه ... و کان ذلک عندهم ملذوذا لما فیه من الخروج عن ربقة الحکم، و عدم الانقیاد للسیاسة و هذه الطبیعة منافیة للعمران و مناقضة له».

و یضیف قائلا: «فطبیعتهم انتهاب ما فی أیدی الناس، و ان رزقهم فی ظلال رماحهم و لیس عندهم فی أخذ اموال الناس حدّ ینتهون إلیه، بل کلما امتدت أعینهم الی مال أو متاع أو ماعون انتهبوه» «۲».

لقد کانت الاغارة و کان النهب و القتال من العادات المستحکمة عند القوم، و من الطبائع الثانویة فی نفوسهم، و قد بلغ ولعهم و شغفهم بکل ذلک و نروعهم

---

(۱) وردت هذه العبارات فی مصادر مختلفة مع شیء طفیف من الاختلاف، راجع تحف العقول:

ص ۳۳ و ۳۴.

(۲) مقدّمة ابن خالدون: ص ۱۴۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵

الشدید إلیه، أن أحدهم- کما یقال- سأل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بعد أن سمع منه وصف الجنة و ما فیها من نعیم: و هل فیها قتال؟ و لما سمع الجواب بالنفی قال: اذن لا خیر فیها!!

اجل لقد سجل التاریخ للعرب ما یقرب من (۱۷۰۰) وقعة و حربا، امتد أمد بعضها الی مائة سنة أو اکثر، یعنی أن أجیالا کثیرة کانت تتوارث الحرب، و تستمر فی قتال الخصم، و ربّ حرب دامیة طویلة الأمد اندلعت بسبب قضیّة تافهة «۱».

(۱) لقد کان العربی فی العهد الجاهلی یعتقد بأن الدم لا یغسله إلا الدم، و قضیة «الشنفری» التی هی اشبه بالأساطیر لغرابتها یمکن أن تعکس مدی «العصبیة الجاهلیة» التی کانت سائدة آنذاک.

فالشنفری یهان علی ید رجل من «بنی سلامان» فیعزم علی الانتقام منه، و ذلک بأن یقتل مائة من تلک القبیلة، و بعد التربّص الطویل یغتال تسعا و تسعین، و یبقی مشرّدا حتی تغتاله جماعة من اللصوص عند بئر فتفعل جمجمته- بعد مقتله- فعلتها، اذ تتسبّب بعد مرور سنین- فی قتل رجل من قبیلة- «بنی سلامان» و بذلک یکتمل العدد الذی حلف علی قتلهم من تلک القبیلة، و ذلک عند ما یمر رجل من «بنی سلامان» علی تلک المنطقة فیهب طوفان شدید یلقی بجمجمة «شنفرة» علی ذلک الرجل فتصیبه فی رجله بشدة، فیموت بما لحقه من ألم و جراحة «۲».

---

(۱) العرب قبل الإسلام: ص ۳۱۹ و ۳۲۰، هذا و تعتبر حرب داحس و الغبراء من أیام العرب التاریخیة قبل الإسلام، و قد نشأت بسبب سباق بین فرسین هما داحس و الغبراء (و هو فرسین لقیس بن زهیر من بنی عبس) و فرسین آخرین (لحذیفة الغدر) انتهی الی التنازع فی السباق و ازداد التنافر بین المتسابقین و انجرّ الی طعن أحدهما الآخر، و أن تتهیأ علی اثر ذلک مقدمات حرب طویلة بین قبیلتی الرجلین و حلفائهما استمرت من عام ۵۶۸ م الی عام ۶۰۸ م و موت کثیرین.

(راجع تاریخ العرب و آدابهم ص ۴۷ و الکامل لابن الأثیر: ج ۱ ص ۲۰۴).

(۲) تاریخ العرب: ج ۱ ص ۱۱۱، و راجع أیضا بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب: ج ۲ ص ۱۴۵ و ۱۴۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶

(۱) و لقد بلغ انس العرب الجاهلیة بالقتال و سفک الدماء أن جعلوا القتل و السفک للدماء من مفاخر الرجال!!

و یبـدو ذلک جلیا لمن یقرأ قصائدهم الملحمیة التی تفوح منها رائحة الدم، و یخیّم علیها شـبح الموت، تلک القصائد التی یمدح فیها الشاعر نفسه او قبیلته بما أراقوه من دماء!!، و ما ازهقوه من ارواح و ما سبوه من نساء!!، و أیتموه من أطفال!!

و نجـد فی البیت الشـعریّ التـالی مـدی انزعاج الشاعر العربیّ الجاهلی لما اصاب قبیلته من نکسـة و ذل و هزیمـة فی میـدان القتال، اذ یقول:

فلیت لی بهمو قوما إذا رکبواشـنّوا الإغارة رکبانا و فرسانا و یصف القرآن الکریم هـذه الحالـة بقوله: «وَ کُنْتُمْ عَلی شَـفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَکُمْ مِنْها» «۱».

(۲)

الاخلاق العامة فی المجتمع الجاهلی العربی:

و مهمـا یکن من امر فـان عوامـل مختلفـة کالجهـل و ضـیق ذات الیـد، و جشوبـة العیش، و عـدم وجـود قـانون صـحیح یحکم الحیـاة الاجتماعیة، و حالة البداوة الموجبة للتوحش، و الکسل و البطالة و غیر ذلک من الرذائل الاخلاقیة کانت قد حوّلت جوّ الجزیرة العربیة إلی جوّ فاسد قاتم، حتی أن امورا ینـدی لها الجبین قد اخذت طریقها الی حیاة تلک الجماعة و راحت تتخذ شـیئا فشـیئا صـفة العادات المتعارفة!!

لقد کانت الغارات و عملیات النهب، و القمار، و الربا، و الاسـر، و السبی من الأعمال و الممارسات الرائجة فی حیاة العرب الجاهلیة، و کان شـرب الخمر و معاقرتها بلا حدود هو الآخر من الأعمال القبیحة الشائعة لدیهم، و لقد ترسّخت هذه العادة القبیحة فی حیاتهم الی درجة انها صارت جزء من طبیعتهم، و حتی أن

---

(۱) آل عمران: ۱۰۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷

شعراءهم خصّصوا مساحات کبیرة فی قصائدهم لامتداح الخمرة و وصفها و کانت الحانات مفتوحة فی وجه الناس طیلة الوقت تستقبل الزبائن، و قد نصبت علیها رایات.

فها هو شاعرهم یقول:

إذا متّ فادفنّی إلی جنب کرمةتروّی عظامی بعد موتی عروقها

و لاـ تـدفننی فی الفلاـة فإنّنی أخـاف إذا ما متّ أن لا أذوقها «۱» لقـد بلغت معاقرة الخمر من الرواج فی الحیاة العربیـة الجاهلیـة بحیث اصبحت لفظة «التجارة» تعادل فی عرفهم بیع الخمور، و الاتجار بها.

(۱) و لقد کانت الأخلاق تفسر عند العرب الجاهلیة بنحو آخر عجیب، فانهم مثلا کانوا یمدحون الشجاعة و المروءة و الغیرة، و لکنهم کانوا یقصدون من «الشـجاعة» القدرة علی الإغارة و سفک الدماء، و کثرة عدد القتلی فی الحروب!! کما أن الغیرة کانت تعنی عندهم وأد البنات حتی أن هذا العمل الوحشـیّ کان یعدّ عندهم من أعلی مظاهر الغیرة، و کانوا یرون الوفاء و الوحدة فی نصـرة الحلیف حقا أو باطلاـ و هکـذا فان اکثر القصـص التی نقلت عن شـجاعتهم و شـغفهم بالحریـة کانت الشـجاعة و الشـغف بالحریـة فیها تتلخص و تتجسّد فی الاغارة و الانتقام.

انهم کانوا یعشقون- فی حیاتهم- المرأة و الخمرة و الحرب لیس غیر.

(۲)

النزوع الى الخرافة و الاساطير فى المجتمع الجاهلى:

و لقد بيّن القرآن الكريم اهداف البعثة المحمّدية المقدسة بعبارات موجزة، و ممّا يلفت النظر- اكثر من أىّ شىء- ما ذكره تعالى فى الكتاب العزيز حول أهم هذه الاهداف و الغايات العليا إذ قال: «وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِى كانَتْ عَلَيْهِمْ» «۲».

---

(۱) تفسير مفاتيح الغيب: ج ۲ ص ۲۶۲ طبعة مصر ۱۳۰۵.

(۲) الأعراف: ۱۵۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۸

(۱) فلا بدّ أن نعرف ما ذا كانت تلك الأغلال و السلاسل التى كانت عرب الجاهلية ترزح تحتها حتى قبيل بزوغ فجر الإسلام؟

لا ريب أنّها لم تكن من جنس الأغلال و السلاسل الحديدية، و لم يكن المقصود منها ذلك أبدا، فما ذا كانت إذن يا ترى؟

أجل إن المقصود من هذه الاغلال هى الأوهام و الخرافات التى كانت تقيّد العقل العربى عن الحركة، و تعيقه عن النمو و التقدم، و لا شك أن مثل هذه السلاسل و الأغلال التى تقيّد الفكر البشرى و تمنعه من التحليق و التسامى، اثقل بكثير من الاغلال و القيود الحديدية و اضرّ على الإنسان منها بدرجات و مراتب، لأنّ الأغلال الحديديّة توضع عن الأيدى و الأرجل بعد مضى زمان، و يتحرر الإنسان منها، بعد حين، ليدخل معترك الحياة بعقلية سليمة مبرّأة من الأوهام و الخرافات، و قد زالت عنه ما تركته تلك الحدائد من جروح و آلام.

(۲) أما السلاسل و الاغلال الفكرية (و نعنى بها الاوهام و الاباطيل و الخرافات) التى قد تهيمن على عقل الإنسان و تكبّل شعوره فانها طالما رافقت الإنسان الى لحظة وفاته، و اعاقته عن المسير و الانطلاق، دون ان يستطيع التحرر منها، و التخلص من آثارها، و تبعاتها، اللهم اذا استعان على ذلك بالتفكير السليم، و الهداية الصحيحة.

فبالتفكير السليم و فى ضوء العقل البعيد عن أىّ و هم و خيال يمكنه التخلص من تلك الاغلال و القيود الثقيلة، و أما بدون ذلك فإن أى سعى للإنسان فى هذا السبيل سيبوء بالفشل.

(۳) إن من أكبر مفاخر نبى الإسلام أنه كافح الخرافات، و أعلن حربا شعواء على الأساطير، و دعا إلى تطهير العقل من أدران الأوهام و التخيلات، و قال: لقد جئت لاخذ بساعد العقل البشرى، و أشد عضده، و احارب الخرافه مهما كان مصدرها. و كيفما كان لونها و أيّا كانت غايتها، حتى لو خدمت أهدافى، و ساعدت على تحقيق مقاصدى المقدسة.

إنّ ساسة العالم الذين لا تهمهم إلّا إرساء قواعد حكمهم و سلطانهم على

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۹

الشعوب لا- يتورعون عن التوسل بأية وسيلة، و الاستفادة من اية واقعة فى سبيل تحقيق مآربهم حتى أنهم لا يتأخرون عن التذرع بترويج الخرافات و الأساطير القديمة بين الشعوب للوصول إلى سدة الحكم، أو البقاء فيها ما امكنهم ذلك. و لو اتفق أن كانوا رجالا موضوعيين و منطقيين فانهم فى هذه الحالة دافعوا عن تلك الخرافات و الأوهام و الاساطير التى لا تنسجم مع اى مقياس عقلى بحجة الحفاظ على التراث القومى، او احترام راى اكثرية الشعب، او ما شابه ذلك من الحجج المرفوضة.

(۱) و لكنّ رسول الإسلام لم يكتف بإبطال المعتقدات الخرافية التى كانت تلحق الضرر به، و بمجتمعه، بل كان يكافح و يحارب بجميع قواه كل اسطورة أو خرافة شعبية او فكرة فاسدة باطلة، تخدم غرضه، و تساعد على تحقيق التقدم فى دعوته و يسعى إلى أن يجعل الناس يعشقون الحقيقة لا ان يعبدوا الخرافات، و يكونوا صحايا الاساطير و الأوهام، و إليك واحدا من هذه المواقف العظيمة على سبيل المثال لا الحصر.

لمّا مات إبراهيم بن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو ابنه الوحيد، حزن عليه النبى حزنا شديدا فكانت تنحدر الدموع منه على غير اختيار، و اتفق ان انكسفت الشمس فى ذلك اليوم أيضا، فذهب المولعون بالخرافة فى ذلك المجتمع (العربى) على عادتهم إلى ربط تلك الظاهرة بموت إبراهيم و اعتبار ذلك دليلا على عظمة المصاب به فقالوا: انكسفت الشمس لموت ابن رسول اللّه، فصعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المنبر و قال: «أيّها الناس انّ الشمس و القمر آيتان من آيات اللّه يجريان بامره، و مطيعان له، لا ينكسفان لموت أحد و لا لحياته، فاذا انكسفا، أو أحدهما صلّوا».

ثم نزل من المنبر فصلى بالناس صلاة الكسوف و هى ما تسمى بصلاة الآيات «۱».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۹۱ ص ۱۵۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۷۰

(۱) ان فكرة انكساف الشمس لموت ابن صاحب الرسالة و ان كان من شأنها ان تقوّى من موقع النبى فى قلوب الناس، و تخدم بالتالى غرضه، و تساعد على انتشار دعوته، و تقدمها، إلا أنه صلّى اللّه عليه و آله رفض أن يحصل على المزيد من النفوذ فى قلوب الناس من هذا الطريق.

على أن محاربة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله للخرافات و الاساطير التى كانت نموذجا بارزا من محاربته للوثنية، و تأليه المخلوقات و عبادتها، لم تكن من سيرته فى عهد الرسالة بل كان ذلك دأبه فى جميع أدوار حياته، حتى يوم كان صبيا يدرج، فانه كان يحارب الاوهام و الخرافات، و يعارضها فى ذلك السن أيضا.

تقول حليمة السعدية مرضعة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لما تمّ له (اى لمحمّد) ثلاث سنين قال لى يوما: «يا امّاه مالى لا أرى أخوىّ بالنّهار»؟

قلت له: يا بنىّ إنهما يرعيان غنيمات، قال: «فما لى لا أخرج معهما»؟ قلت له:

تحبّ ذلك؟ قال: نعم.

فلما أصبح دهّنته و كحّلته و علّقت فى عنقه خيطا فيه جزع يمانية (و هى من التمائم الباطلة كانت تعلّق على الشخص فى أيام الجاهلية لدفع الآفات عنه)، فنزعها، و قال لى: «مهلا يا اماه فإنّ معى من يحفظنى» «۱».

(۲)

الخرافات فى عقائد العرب الجاهلية:

كانت عقائد جميع الامم و الشعوب العالمية يوم بزوغ شمس الإسلام ممزوجة بألوان من الخرافات و الأساطير.

فالاساطير اليونانية و الساسانية كانت تخيّم على افكار الشعوب التى كانت تعدّ فى ذلك اليوم من أرقى الشعوب و المجتمعات.

على انه لا تزال خرافات كثيرة تسود و الى الآن فى المجتمعات الشرقية المتقدمة، و لم تستطع الحضارة الراهنة أن تزيلها من حياة الناس و معتقداتهم.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۳۹۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۷۱

إن تنامى الخرافة «يرتبط ارتباطا وثيقا بالمستوى العلمى و الثقافى فى كل مجتمع، فبقدر ما يكون المجتمع متخلفا من الناحية الثقافية و العلمية تزداد نسبة وجود الخرافة و مقدار نفوذها فى عقول الناس و نفوسهم.

(۱) لقد سجل التاريخ عن سكّان شبه الجزيرة العربية طائفة هائلة و كبيرة من الاوهام و الخرافات، و قد جمع السيّد محمود الآلوسى اكثرها فى كتابه «بلوغ الارب فى معرفة احوال العرب»، مرفقا كل ذلك بما حصل عليه من الشواهد الشعرية و غيرها «۱».

و من يتصفح هذا الكتاب يقف على ركام هائل من الخرافات التى كانت تملأ العقل العربى الجاهلى آنذاك و تعشعش فى نفوسهم، و قد كانت هذه السلسلة الرهيبة من الأوهام هى السبب فى تخلّف هذا الشعب عن بقية الشعوب و الامم الاخرى.

و لقد كانت هذه الخرافات من أكبر السدود فى طريق تقدم الدعوة الإسلامية، و لهذا اجتهد النبىّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله بكل طاقاته فى محو و ازالة آثار الجاهلية التى لم تكن سوى تلك الأوهام و الاساطير و الخرافات.

فعند ما وجّه «معاذ بن جبل» الى اليمن اوصاه بقوله:

«و امت أمر الجاهليّة إلّا ما سنّه الإسلام و أظهر أمر الإسلام كلّه صغيره و كبيره» «۲».

(۲) لقد وقف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أمام جماهير كبيرة من العرب الذين كانت عقولهم ترزح تحت الافكار و المعتقدات الخرافية ردحا طويلا من الزمن يعلن عن نهاية عهد الأفكار و الاوهام الجاهلية اذ قال: «كلّ ماثرة فى الجاهليّة تحت قدمىّ» «۳».

---

(۱) بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب: ج ۲ ص ۲۸۶- ۳۶۹.

(۲) تحف العقول: ص ۲۵.

(۳) السيرة النبوية: ج ۳ ص ۴۱۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۷۲

(۱)

نماذج من الخرافات فى المجتمع الجاهلى:

اشارة

و للوقوف على مدى أهمية التعاليم الإسلامية و قيمتها نلفت نظر القارئ الكريم الى نماذج من هذه الخرافات، و من أراد التوسع راجع المصدر المذكور.

(۲)

۱- الاستسقاء باشعال النيران:

كانت العرب إذا أجدبت، و أمسكت السماء عنهم، و أرادوا أن يستمطروا عمدوا الى السلع و العشر (و هما أشجار سريعة الاشتعال) فحزموهما، و عقدوهما فى أذناب البقر، و أضرموا فيها النيران و أصعدوها فى جبل وعر، و اتبعوها يدعون اللّه تعالى، و يستسقونه، و انما يضرمون النيران فى أذناب البقر تفاؤلا للبرق بالنار ... و كانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات الاخرى، و كانت هذه الثيران و الابقار اذا صاحت من وجع الاحتراق ظنّت العرب بان ذلك هو الرعد!!! و قد قال شاعرهم فى ذلك:

يا (كحل) قد أثقلت أذناب البقربسلع يعقد فيها و عشر

فهل تجودين ببرق أو مطر؟ (۳)

۲- ضرب الثور اذا عافت البقر:

كانوا إذا أوردوا البقر فتمتنع من شـرب الماء، ضـربوا الثور ليقتحم الماء، بعـده و يقولون: إن الجنّ تصدّ البقر عن الماء، و أن الشـيطان يركب قرنى الثور، و لا يدع البقر تشرب الماء، و لذلک كانوا يضربون وجه الثور.

و قد قال فى هذا شاعرهم:

كذاك الثور يضرب بالهراوىإذا ما عافت البقر الظماء و قال آخر:

فإنى إذا كالثور يضرب جنبهإذا لم يعف شربا و عافت صواحبه «۱»

---

(۱) عافت أى كرهت شرب الماء.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۷۳

و قال ثالث:

فلا تجعلوها كالبقير و فحلهايكسّر ضربا و هو للورد طائع

و ما ذنبه إن لم ترد بقراتهو قد فاجأتها عند ذاک الشرائع

(۱)

۳- كىّ صحيح الإبل ليبرأ السقيم:

اذا كان يصـيب الإبل مرض او قرح فى مشافرها و اطرافها عمدوا إلى بعير صـحيح من تلک الإبل فكووا مشفره و عضده و فخذه يرون أن ذلک إن فعلوه ذهب العرّ و القرح و المرض عن إبلهم السقيمة، و لا يعرف سبب ذلک.

و قد احتمل البعض أنهم إنما كانوا يفعلون ذلک وقاية للصـحاح من الإصابة بالعرّ الذى أصاب غيرها، أو أنه نوع من المعالجة العلمية، و لکن لما ذا ترى كـانوا يعمـدون إلى بعير واحـد من بين كـل تلـک الابـل، فلا بـد من القول بأن هـذا الفعل كان ضـربا من الاعمال الخرافية التى كانت سائدة فى ذلک المجتمع الجاهلى قبل الإسلام.

و قد قال شاعرهم عن ذلک:

و كلّفتنى ذنب امرئ و تركتهكذى العرّ يكوى غيره و هو راتع و قال آخر:

كمن يكوى الصحيح يروم برآبه من كل جرباء الإهاب و قال ثالث:

فالزمتنى ذنبا و غيرى جرّهحنا نيل لا تكون الصحيح بأجربا

(۲)

۴- حبس ناقة عند القبر اذا مات كريم:

إذا مـات منهم كريم عقلوا ناقته او بعيره عنـد القبر الـذى دفن فيه ذلک الكريم، فعكسوا عنقها، و أداروا رأسـها الى مؤخّرها و تركوها فى حفيرة لا تطعم و لا تسقى حتى تموت، و ربما احرقت بعد موتها و ربما سلخت و ملئ جلدها ثماما، و كانوا يزعمون أن من مات و لم يبل عليه (اى لم تعقل ناقة عند قبره هكذا)

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۷۴

حشر ماشيا، و من كانت له بليهٔ (اى ناقهٔ عقلت هكذا) حشر راكبا على بليّته.

و قد قال أحدهم فى هذا الصدد:

اذا متّ فادفنّى بحرّاء ما بهاسوى الأصرخين أو يفوّز راكب

فإن أنت لم تعقر علىّ مطيّتىفلا قام فى مال لك الدهر حالب و قال آخر و هو يوصى ولده بان يفعلوا له ذلك:

أ بنىّ لا تنس البليّهٔ إنهالأبيك يوم نشوره مركوب

(۱)

۵- عقر الإبل على القبور:

كانوا إذا مات أحدهم ضربوا قوائم بعير بالسيف عند قبره، و قيل انهم كانوا يفعلون ذلك مكافأهٔ للميت المضياف على ما كان يعقره من الإبل فى حياته و ينحره للاضياف.

و قد ابطلت الشريعهٔ المقدسهٔ هذه العادهٔ الباطلهٔ فى ما أبطلته فقد جاء فى الحديث «لا عقر فى الإسلام».

و قد قال أحدهم حول العقر هذا:

قل للقوافل و الغزاهٔ اذا غزواو الباكرين و للمجدّ الرائح

إن الشجاعهٔ و السماحهٔ ضمّناقبرا بمرو على الطريق الواضح

فإذا مررت بقبره فاعقر بهكوم الجلاد و كل طرف سابع

و أنضح جوانب قبره بدمائهافلقد يكون اخادم و ذبائح

۶- نهيق الرجل إذا اراد دخول القريهٔ (التعشير):

(۲) و من خرافاتهم أن الرجل منهم كان إذا اراد دخول قريهٔ فخاف وباءها او جنّها وقف على بابها قبل ان يدخلها فنهق نهيق الحمار، ثم علّق عليه كعب ارنب كأنّ ذلك عوذهٔ له، و رقيهٔ من الوباء و الجن و يسمون هذا النهيق التعشير.

قال شاعرهم:

و لا ينفع التعشير أن حمّ واقعو لا زعزع يغنى و لا كعب ارنب

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۷۵

و قال الآخر:

لعمرى إن عشّرت من خيفهٔ الردىنهاق حمير أننى لجزوع

۷- تصفيق الضالّ فى الصحراء ليهتدى:

(۱) فقد كان الرجل منهم اذا ضلّ فى فلاهٔ قلب قميصه و صفق بيديه، كأنه يومئ بهما الى انسان مهتدى.

قال أعرابى فى ذلك:

قلبت ثیابی و الظنون تجول بی‌و یرمی برجلی نحو کل سبیل

فلأیا بلائی ما عرفت حلیلتی‌و أبصرت قصدا لم یصب بدلیل

۸- الرتم:

(۲) و ذلک أن الرجل منهم کان اذا سافر عمد الی خیط فعقده فی غصن شجرة او فی ساقها فاذا عاد نظر إلی ذلک الخیط فإن وجده بحاله علم ان زوجته لم تخنه و ان لم یجده أو وجده محلولا قال: قد خانتنی. و ذلک العقد یسمی «الرتم».

قال شاعرهم فی ذلک:

خانته لما رأت شیبا بمفرقه‌و غرّه حلفها و العقد للرتم و قال الآخر:

لا تحسبنّ رتائما عقدنّهاتنبیک عنها بالیقین الصادق و قال ثالث:

یعلل عمرو بالرتائم قلبه‌و فی الحیّ ظبیّ قد أحلّت محارقه

فما نفعت تلک الوصایا و لا جنت‌علیه سوی ما لا یحبّ رتائمه

۹- وطی المرأة القتیل الشریف لبقاء ولدها:

فقد کانت العرب تقول: ان المرأة المقلاة و هی التی لا یعیش لها ولد، إذا وطئت القتیل الشریف عاش ولدها.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۷۶

قال احدهم:

تظلّ مقالیت النساء یطأنه‌یقلن أ لا یلقی علی المرء مئزر

۱۰- طرح السنّ نحو الشمس اذا سقطت:

(۱) و من تخیّلات العرب و خرافاتهم أن الغلام منهم اذا سقطت له سن أخذها بین السبابة و الابهام و استقبل الشمس اذا طلعت و قذف بها و قال: یا شمس ابدلینی بسنّ احسن منها و لتجر فی ظلمها إیاتک، او تقول إیاؤک، و هما جمیعا شعاع الشمس.

قال احدهم و هو یصف ثغر معشوقته:

سقته إیاة الشمس إلّا لثاته‌أسفّ و لم تکرم علیه باثمد أی کأن شعاع الشمس اعارته ضوءها.

هذا و قد أشار شاعرهم الی هذا الخیال (او قل الخرافة المذکورة) اذ قال:

شادن یحلو إذا ما ابتسمت‌عن أقاح کاقاح الرمل غر

بدلته الشمس من منبته‌بردا أبیض مصقول الاثر

۱۱- تعلیق النجاسة علی الرجل وقایة من الجنون:

و من تخیّلات العرب أنهم کانوا إذا خافوا علی الرجل الجنون، و تعرّض الارواح الخبیثة له نجّسوه بتعلیق الاقذار کخرقة الحیض و

عظام الموتی قالوا:
و أنفع من ذلک أن تعلّق علیه طامت عظام موتی ثم لا یراها یومه ذلک. و انشدوا فی ذلک:
فلو أن عندی جارتین و راقیاو علّق أنجاسا علیّ المعلق و قالت امرأة و قد نجّست ولدها فلم ینفعه ذلک و مات:
نجّسته لا ینفع التنجیسو الموت لا تفوته النفوس

۱۲– دم الرئیس یشفی:

فقد کانت العرب تعتقد أنّ دم الرئیس یشفی من عضة الکلب الکلب.
سید المرسلین ،ج ۱،ص:۷۷
قال الشاعر:
بناة مکارم و اساة جرحدماؤهم من الکلب الشفاء و قال آخر:
أحلامکم لسقام الجهل شافیةکما دماؤکم تشفی من الکلب

۱۳– شق البرقع و الرداء یوجب الحب المتقابل:

و من أوهامهم و تخیلاتهم أنهم کانوا یزعمون أن الرجل إذا احب امرأة و احبّته فشق برقعها و شقّت رداءه صلح حبهما و دام، فان لم یفعلا ذلک فسد حبهما، قال فی ذلک احدهم:
و کم شققنا من رداء محبّرو من برقع عن طفلة غیر عانس
اذا شق برد شق بالبرد برقعدوالیک حتی کلّنا غیر لابس
نروم بهذا الفعل بقیا علی الهویو الف الهوی یغوی بهذی الوساوس
(۱)

۱۴– معالجة المرضی بالامور العجیبة:

و من مذاهبهم الخرافیة فی معالجة المرضی إذا بثرت شفة الصبی حمل منخلا علی رأسه و نادی بین بیوت الحیّ: الحلأ الحلأ، الطعام الطعام، فتلقی له النساء کسر الخبز، و اقطاع التمر و اللحم فی المنخل ثم یلقی ذلک للکلاب فتأکله، فیبرأ من المرض فان أکل صبیّ من الصبیان من ذلک الذی ألقاه للکلاب تمرة او لقمة أو لحمة بثرت شفته.
فقد رویت عن امرأة أنها انشدت:
ألا حلأ فی شفة مشقوقةفقد قضی منخلنا حقوقه و من أعاجیبهم أنهم کانوا إذا طالت علة الواحد منهم، و ظنّوا أنّ به مسّا من الجن لانه قتل حیة، أو یربوعا، أو قنفذا، عملوا جمالا من طین و جعلوا علیها جوالق و ملأوها حنطة و شعیرا و تمرا، و جعلوا تلک الجمال فی باب جحر إلی جهة المغرب وقت غروب الشمس و باتوا لیلتهم تلک، فاذا اصبحوا نظروا إلی تلک
سید المرسلین ،ج ۱،ص:۷۸
الجمال الطین فاذا رأوا انها بحالها قالوا لم تقبل الدیة فزادوا فیها و ان رأوها قد تساقطت و تبدّد ما علیها من المیرة قالوا: قد قبلت الدیة

و استدلوا على شفاء المريض و فرحوا و ضربوا الدفّ.

قال بعضهم:

قالوا و قد طال عنائى و السقم‌احمل الى الجن جمالات و ضمّ

فقد فعلت و السقام لم يرم‌فبالذى يملك برئى اعتصم و قال آخر:

فيا ليت أن الجن جازوا حمالتى‌و زحزح عنى ما عنانى من السقم

اعلّل قلبى بالّذى يزعمونه‌فيا ليتنى عوفيت فى ذلك الزعم و من مذاهبهم فى هذا المجال أن الرجل منهم كان إذا ظهرت فيه القوباء (و هو مرض جلدى) عالجها بالريق.

قال احدهم:

يا عجبا لهذه الفليقة‌هل تذهبّن القوباء الريقة

۱۵– خرافات فى مجال الغائب:

كانوا إذا غمّ عليهم أمر الغائب و لم يعرفوا له خبرا جاءوا إلى بئر عادية (أى مظلمة بعيدة القعر) أو جاءوا إلى حصن قديم و نادوا فيه: يا فلان أو يا أبا فلان (ثلاث مرات)، و يزعمون انه إن كان ميتا لم يسمعوا صوتا، و إن كان حيا سمعوا صوتا ربّما توهموه و هما، أو سمعوه من الصدى فبنوا عليه عقيدتهم، قال بعضهم فى ذلك:

دعوت أبا المغوار فى الحفر دعوة‌فما آض صوتى بالذى كنت داعيا «۱»

أظن أبا المغوار فى قصر مظلم‌تجرّ عليه الذاريات السوافيا و قال آخر:

و كم ناديته و الليل ساج‌بعادىّ البئار فما أجابا

---

(۱) آض أى عاد و رجع.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۷۹

و من ذلك أن الرجل منهم كان إذا اختلجت عينه قال: (أرى من احبّه) فإن كان غائبا توقع قدومه، و إن كان بعيدا توقّع قربه، و قال أحدهم:

إذا اختلجت عينى أقول لعلّها‌فتاة بنى عمرو بها العين تلمع و قال آخر:

إذا اختلجت عينى تيقّنت إنّنى‌أراك و إن كان المزار بعيدا و كانوا إذا لا يحبّون لمسافر أن يعود إليهم أوقدوا نارا خلفه و يقولون فى دعائهم «أبعده اللّه و أسحقه و أوقد نارا إثره» قال بعضهم:

صحوت و أوقدت للجهل نارا‌ورد عليك الصبا ما استعارا

۱۶– عقائدهم العجيبة فى الجنّ و تأثيره:

كانت العرب فى الجاهلية تعتقد فى الجن و تأثير هذا الكائن فى شتى مجالات حياتهم اعتقادات عجيبة و فى غاية الغرابة.

فتارة تستعيذ بالجن، و قد استعاذ رجل منهم و معه ولد فأكله الأسد فقال:

قد استعذنا بعظيم الوادى‌من شرّ ما فيه من الأعادى

فلم یجرنا من هزبر عادی

و عن الاستعاذهٔ بالجنّ قال اللّه سبحانه فی القرآن: «وَ أَنَّهُ کانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ یَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً» «۱».

و من ذلک اعتقادهم بهتاف الجن. و لهم فی هذا المجال أساطیر خرافیهٔ مذکورهٔ فی محلّها.

و من هـذا القبیـل اعتقـادهم بـالغول، فقـد کانت تزعم العرب فی الجاهلیـهٔ أن الغیلان فی الفلوات (و هی من جنس الشـیاطین) تتراءی للناس، و تغول تغولا ای تتلوّن تلونا فتضلّهم عن الطریق، و تهلکهم، و من هذا القبیل أیضا اعتقادهم بالسعالی!!

---

(۱) الجن: ۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۸۰

و قد قال أحدهم فی ذلک:

و ساحرهٔ عینیّ لو أنّ عینهارأت ما الاقیه من الهول جنّات

أبیت و سعلاهٔ و غول بقفرهٔإذا اللیل و أری الجن فیه أرنت

۱۷– تشاءمهم بالحیوانات و الطیور و الاشیاء:

و من مذاهبهم الخرافیهٔ تشاءمهم بأشیاء کثیرهٔ و حالات عدیدهٔ:

فمن ذلک؛ تشاءمهم بالعطاس.

و تشاءمهم بالغراب حتی قالوا: فلان أشأم من غراب البین، و لهم فی هذا المجال أبیات شعریهٔ کثیرهٔ منها قول أحدهم:

لیت الغراب غـداهٔ ینعب دائباکـان الغراب مقطّع الأوداج و کـذا تشاءمهم و تطیّرهم بالثور المکسور القرن و الثعلب. إلی غیر ذلک من التخیلات و الأوهام و الخرافات و الاساطیر، و الاعتقادات العجیبـهٔ، و التصورات الغریبـهٔ التی تزخز بها کتب التاریـخ المخصـصهٔ لبیان أحوال العرب قبل الإسلام و حتی ابان قیام الحضارهٔ الإسلامیهٔ.

(۱)

مکافحهٔ الإسلام لهذه الخرافات:

و لقد کافح الإسلام جمیع هذه الخرافات بطرق مختلفهٔ، و اسالیب متنوعهٔ.

أما بالنسبـهٔ إلی ما کانوا یفعلونه بالحیوانات (۲) فمضافـا إلی أنّ أیّ شـیء من هـذه الأعمال لا ینسـجم مع العقل و المنطق و العلم لأن المطر و الغیث لا ـ ینزل من السـماء باسعال النیران، و ضـرب الثیران لا ـ یؤثر فی البقر، کمـا لا ینفع کیّ البعیر الصـحیح فی شـفاء الإبل السقیمهٔ، و تعتبر هذه الاعمال نوعا من تعذیب الحیوانات و قد نهی الإسلام بشدهٔ عن تعذیب الحیوانات و ایذائها، بای شکل کان.

(۳) فقد روی عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنه قال: «للدّابهٔ علی صاحبها ستّ خصال:

۱– یبدأ بعلفها إذا نزل.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۸۱

۲– و یعرض علیها الماء إذا مرّ به.

۳– و لا یضرب وجهها فإنها تسبّح بحمد ربّها.

۴– و لا یقف علی ظهرها إلا فی سبیل اللّه عزّ و جلّ.

۵- و لا يحمّلها فوق طاقتها.

۶- و لا يكلّفها من المشى إلا ما تطيق «۱».

كما روى أنه نهى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن أن توسم البهائم فى وجهها، و أن تضرب فى وجوهها فانها تسبّح بحمد ربها.

و من هنا ندرك ان التعاليم فى مجال الرفق بالحيوان، و حمايته، على النقيض من العادات الجاهلية السائدة فى البيئة العربية آنذاك.

و اما بالنسبة الى التمائم و الأشياء التى كانت تعلّقها العرب على أعناق و صدور رجالها، و أولادها، من الأحجار و الخرز، و عظام الموتى، و معالجة المرضى و المصابين و غيرهم بها أحيانا فقد حاربها الإسلام، بعد أن أبطلها كما ابطل الافاعيل التى سبق أن ذكرناها قبل هذا.

فلما جاءت جماعات من الأعراب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سألوه عن الرّقى و القلائد التى كانوا يتداوون بها أو يسترقونها بدلا عن التداوى بالعقاقير و الأدوية قائلين يا رسول اللّه: أ نتداوى؟

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «تداووا فإنّ اللّه لم يضع داء إلا وضع له دواء» «۲».

بل نجد النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يأمر سعد بن أبى وقاص عند ما اصيب بمرض فى فؤاده أن يعالج نفسه عند طبيب إذ قال له لما عاده و عرف بحاله: «إنك رجل مفود، ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يتطبّب» «۳».

---

(۱) من لا يحضره الفقيه: ج ۲ ص ۲۸۶، و راجع للوقوف على أحاديث حقوق الحيوان كتاب الشؤون الاقتصادية: ص ۱۳۰- ۱۵۹ أيضا.

(۲) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۱۷۸.

(۳) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۱۷۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۸۲

(۱) هذا مضافا إلى أنه وردت أحاديث كثيرة تصرّح ببطلان التمائم السحريّة التى لا تنفع و لا تضرّ أبدا، و ها نحن نشير فى ما يلى إلى نموذجين من هذه الأحاديث:

۱- يقول أحدهم: دخلت على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بابن لى قد اعلقت عليه من العذرة (و هى قلادة سحرية جاهلية) فقال: علام تدغرن أولادكنّ بهذا العلاق، عليكنّ بهذا العود الهندىّ» و كان صلّى اللّه عليه و آله يقصد عصارة هذا العود «۱».

۲- روى عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام أنه قال: «إنّ كثيرا من التمائم شرك» «۲».

هذا مضافا إلى أن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و أوصياءه الكرام- بارشادهم الناس إلى ما ينبغى أن يتداووا به من العقاقير و الأدوية و ما أعطوه من تعاليم قيمة كثيرة فى هذا المجال ممّا جمعه المحدثون الكبار تحت عنوان: «طبّ النبى» و «طب الرضا» و ... و- قد وجهوا ضربة قوية اخرى إلى تلك الأوهام و التخيّلات، و الخرافات و الاساطير التى كان يعانى منها المجتمع العربى الجاهلى قبل الإسلام «۳».

و أما الغول، و الطيرة، و التشاؤم، و الهامّة و النوء فقد حاربها النبى بصراحة اذ قال: صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «لا هامّة و لا نوء و لا طيرة، و لا غول» «۴».

و قال (ص) «العيافة و الطيرة و الطرق من الجبت» «۵».

---

(۱) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۱۸۴.

(۲) سفينة البحار: ج ۱ مادة رقى.

(۳) و قد فتح المحدّثون من الفريقين أبوابا خاصّا لأحاديث الطبّ النبوىّ فى كتب الحديث أيضا.

(۴) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۱۹۶ و ۱۹۷ الفصل الرابع باب نفى مزاعم الجاهلية، قال مؤلف التاج: الهامّة طائر أو البوم إذا سقط فى مكان تشاءم أهله، أو دابّة تخرج من رأس القتيل أو من دمه فلا تزال تصيح حتى يؤخذ بثاره، و النوء نجم يأتى بالمطر و آخر يأتى بالريح (حسب عقيدة الجاهلية)!!

(۵) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۲۰۱. قال مؤلّف التاج العيافة زجر الطّير و التفاؤل بأسمائها و أصواتها كالتفاؤل بالعقاب على العقاب، و بالغراب على الغربة، و بالهدهد على الهدى، و كذا بأفعالها، و كيفية طيرانها فكانت العرب تزجر الطير و تثيره فما اخذ منها ذات اليمين تبركوا به-

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۸۳

و عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أيضا أنه قال: «إنّ الرقى و التمائم و التوله شرك» «۱».

و عن أحدهم قال: قلت يا رسول اللّه امورا كنّا نصنعها فى الجاهلية، كنّا نأتى الكهّان، قال: فلا تأتوا الكهان، قلت: كنّا نتطيّر قال: ذاك شيء يجده أحدكم فى نفسه فلا يصدّنكم».

إن وجود النهى الشديد و المكرّر فى الأحاديث الكثيرة عن الطيرة و التشاؤم، و الزجر و العيافة و التمائم و التولة و الهامّة و النوء و الغول، و الكهانة، و ايذاء الحيوانات و كيهنّ، و تعذيبهن، و ما شابه ذلك يدل بوضوح و قوة على مدى رسوخ هذه العادات الباطلة فى الحياة العربيّة الجاهلية، يكشف عن مبلغ اعتقادهم بها، و نزوعهم إليها و هو بالتالى يكشف عن مغزى قوله تعالى: «وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ» «۲» فأيّة سلاسل و أغلال أثقل و أسوأ عاقبة و أشدّ وطئة، من هذه الأغلال ... أغلال الخرافة و الوهم، و سلاسل التخيلات و الاساطير؟!!

(۱)

أوضاع العرب الاجتماعية قبيل ظهور الإسلام:

إن اولى خطوة خطاها البشر باتّجاه النمط الاجتماعى كانت عند ما أقبل على تأسيس و إقامة الحياة القبلية، فالقبيلة تتكون من اجتماع عدة عوائل و اسر مترابطة فيما بينها بوشائج القربى و النسب تحت زعامة شيخ القبيلة، و بهذا يتحقق

- و تيمّنوا و ما تياسر منها تشاء موابه (كما فى بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۲۱۲ تحت عنوان كيفية الزجر عند العرب).

و «الطرق»: الضرب بالحصى (للاستدلال على امور غيبيّة باعتقاد الجاهليين). و الجبت هو الباطل.

(۱) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۲۰۳. قال مؤلّف الجامع: «التولة»: نوع من السحر يحبّب الرجل إلى زوجته، و هو من عمل المشركين (أى فى الجاهلية).

(۲) سورة الأعراف: ۱۵۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۸۴

أبسط نمط من أنماط الحياة الاجتماعية.

(۱) و قد كانت الحياة العربية- آنذاك- من هذا القبيل، فكل مجموعة من العوائل المترابطة نسبيا تتجمع فى شكل قبيلة، و تشكل بذلك مجتمعا صغيرا يخضع فيه الجميع لأوامر رئيس القبيلة و زعيمها، و لقد كان الجامع بين افراد القبيلة هو الرابطة القومية، و الوشيجة النسبية، و كانت هذه القبائل تختلف فى عاداتها و رسومها، و تقاليدها و أعرافها، اختلافا كبيرا، و إذ كانت كل قبيلة تعتبر القبائل الاخرى غريبة عنها لذلك كانت لا تقيم للآخرين وزنا و لا قيمة، و لا تعترف لهم باى حق أو حرمة.

و لهـذا كانت ترى الإغارة على الآخرين و قتلهم، و نهب أموالهم، و سـلب ممتلكاتهم و سبى نسائهم من حقوقها القانونيـة المشـروعة، اللّهم إلّا أن يكون بين القبيلة، و القبيلة الاخرى حلف أو معاهدة.

هذا من جانب.

و من جانب آخر كانت القبيلـة التى تتعرض للإغارة من جانب قبيلة اخرى ترى من حقها أن تردّ الصاع صاعين، فتقتل كل أفراد القبيلة المغيرة، لأن الدّم- فى نظرهم- لا يغسله الا الدّم!!!

و لقـد تبـدلت أخلاقيـة العرب هـذه بعـد انضوائهم تحت لواء الإسـلام الحنيف، بل تحوّلوا من نمط الحكومـة القبلية المتخلفة و النظام العشائرى الضيّق هذا، إلى حكومة عالميّة، و استطاع رسول الإسـلام صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم ان يؤلف من القبائل العربية المتفرقة أمّة واحدة.

(۲) و لا شك أن تأليف امـة واحـدة من قبائل و جماعات اعتادت طوال سـنين مديـدة من التاريخ على التناحر و التنازع، و التخاصم و التقاتـل، و التهاجم و الإغارة فى ما بينها، و استمرأت سـفك الـدماء، و إزهاق الارواح، و ذلك فى مـدة قصـيرة، عمل عظيم جـدا، و معجزة اجتماعيـة لا نظير لها، لأن مثل هـذا التحوّل العظيم إذا اريد له أن يتمّ عبر التحوّلات و التطورات العاديّة لاحتاج الى تربية طويلة الامد، و وسائل لا تحصى كثرة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۸۵

(۱) يقول «توماس كارليل» فى هـذا الصدد: لقد اخرج اللّه العرب بالإسـلام من الظلمات إلى النور، و أحيى به منها امة خاملة لا يسـمع لها صوت و لا يحسّ فيها حركة، حتى صار الخمول شـهرة و الغموض نباهة و الضـعة رفعة و الضـعف قوة، و الشـرارة حريقا، و شـمل نوره الأنحاء و عمّ ضوؤه الأرجاء ما هو إلا قرن بعد إعلان هـذا الـدين حتى أصبح للعرب (المسـلمين) قـدم فى الهنـد و اخرى فى الاندلس «۱».

و الى هـذه الحقيقـة يشير أيضا مؤلف تاريخ اللغات الساميـة الشـهير «رينان» قائلا: «لا مكان لبلاد العرب فى تاريخ العالم السياسىّ و الثقافى و الـدينىّ قبل ذلك الانقلاب المفاجئ الخارق للعادة الـذى صار به العرب أمّـة فاتحة مبدعة و لم يكن لجزيرة العرب شأن فى القرون الاولى من الميلاد، حين كانت غارقة فى دياجير ما قبل التاريخ» «۲».

(۲) أجل إن هـذه القبائل العربيـة الجاهليـة المختلفـة المتناحرة لم تكن تعيش أية حضارة، و لم تمتلك أية تعاليم و قوانين، و أنظمة و آداب قبل مجىء الإسـلام، لقد كانت محرومة من جميع المقومات الاجتماعية التى توجب التقدم و الرقى، و لهذا لم يكن من المتوقع ابدا ان تصل إلى تلك الذرى الرفيعة من المجد و العظمة، و لا أن تنتقل من نمط الحياة القبلية الضيقة الى عالم الانسانية الواسع، و افق الحضارة الرحيب بمثل هذه السرعة التى وصلت إليه، و الزمن القصير الذى انتقلت فيه.

إنّ مثل الشعوب و الامم البشرية مثل المبانى و العمارات تماما.

فكما أن البناء القوى الراسخ يحتاج الى موادّ إنشائية قوية معدّة باتقان و محضّرة باحكام حتى يستطيع البناء المصنوع من هذه الموادّ، و المؤسـس بعنايـة و هندسـة متقنـة من الوقوف فى وجه الأعاصير، و الأمطار الغزيرة كذلك يحتاج كيان كل امة رشـيدة من الامم إلى اسس و قواعد محكمة (و هى الأصول و الآداب الكاملة، و الأخلاق الإنسانية العالية) لتستطيع من البقاء و التقدم.

---

(۱) الخطط الاستعمارية لمكافحة الإسلام: ص ۳۸، و الإسلام العلم و الحديث: ص ۳۳.

(۲) حضارة العرب: ص ۸۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۸۶

(۱) و لهذا السبب لا بد من التأمل فى أمر و سرّ هذه الظاهرة العجيبة و لا بد أن نتساءل:

کیف تحقق ذلک التطور العظیم، و ذلک التحول العمیق للعرب الجاهلیة، و من این نشأ؟؟
کیف امکن ان تتحول جماعـة متشـتتة، متعادیـة، متناحرة، متباغضة، فی ما بینها، بعیدة عن النظم الاجتماعیة، بمثل هذا السـرعة الی أمّة متآلفة متآخیة متعاونة متسالمة متحابة، و تشـکل دولة قویة کیانا سیاسـیا شامخا أوجب أن تخضع لها دول العالم و شـعوبه، و تطیعها، و تحترم مبادئها و اخلاقها و آدابها آنذاک.
(۲) حقا لو کان فی مقدور العرب أن یحرزوا ذلک التقدم الهائل بفعل عامل ذاتی فلما ذا لم تسـتطع عرب الیمن الذین کانوا یمتلکون شیئا کبیرا من الثقافة و الحضارة، و الذین عاشوا الانظمة الملکیة سنینا عدیدة، بل و ربّت فی احضانها ملوکا و قادة کبارا، أن تصل الی مثل هذه النهضة العظیمة الشاملة، و تقیم مثل هذه الحضارة العریضة الخالدة.
لما ذا لم تسـتطع العرب الغساسـنة الذین کانوا یجاورون بلاد الشام المتحضـرة، و یعیشون تحت ظلّ حضارة «الروم» أن یصلوا الی هذه الدرجة من الرشد؟
(۳) لما ذا لم تستطع عرب الحیرة الذین کانوا- و إلی الامس القریب- یعیشون فی ظلّ الامبراطوریة الفارسیة أن ینالوا مثل هذا الرقی و التقدم؟ و حتی لو وصلوا الی هذه الدرجة من التقدم و حققوا هذه القفزة فانه لم یکن أمرا یثیر العجب لأنهم کانوا یعیشون فی أحضان مـدنیات کبری، و یتغـذون منها، و لکن الـذی یثیر الدهشـة، و العجب هو أن تسـتطیع عرب الحجاز من تحقیق هـذه النهضـة الباهرة، و یرثوا الحضـارة الإسـلامیة العظمی و هم الـذین کـانوا یفتقرون إلی أبسـط مقوّمـات الحضـارة الذاتیـة، و لم یکن لهم عهـد بأیّ تاریخ حضاریّ مشرق، بل کانوا کما عرفت یرزحون تحت أغلال الوهم و التخیّل، و یسیرون فی ظلمات الخرافات و الأساطیر.
سید المرسلین ،ج۱،ص:۸۷
(۱)

دول الحیرة و غسّان:

علی العموم کـانت المنـاطق ذات المنـاخ الجیّـد من الجزیرة العربیـة حتی آخر قرن قبـل الإسـلام تحت سـیطرة ثلاـث دول کبری هی: «ایران»، «الروم»، «و الحبشة».
فالشرق و الشمال الشرقی من هذه المنطقة کانت تحت حمایة «ایران».
و الشمال الغربی کان تابعا للروم.
و المناطق المرکزیة و الجنوب کانت تحت نفوذ «الحبشة».
و علی أثر مجـاورة هـذه المناطق للـدول المتحضّـرة المـذکورة، و ما کان بینها من نزاع و تنافس دائمین ظهرت فی المناطق الحـدودیة للجزیرة العربیة دول شبه متحضرة، و شبه مستقلة کان کل واحدة منها تابعة فی حضاراتها لدولة متمدنة عظمی تجاورها.
و قـد کانت دول «غسان»، و «الحیرة» «و کنـده» من هـذه الدول شـبه المسـتقلة و شـبه المتمدنة، و کانت کل واحدة منها تابعة لاحدی الدول العظمی آنذاک: «ایران»، «الروم»، «الحبشة».
(۲) الحیرة: یتبیّن من الآثـار و الأخبـار أنه هـاجرت- فی أوائـل القرن الثالث بعـد المیلاد- بعض الطوائف العربیـة، و ذلک فی نهایات الحکم الأشـکنانی، إلی الأراضـی المجاورة للفرات، و سیطروا علی قسم من أراضـی العراق، و قـد أوجـدت هـذه الجماعـة المهاجرة القری و القلاـع هناک، شـیئا فشـیئا، و أحـدثت المـدن التی من أهمّها: «الحیرة» التی کانت تقع علی حافـة صـحراء بالقرب من مـدینة الکوفة الحالیة.
و قد کانت هذه المدینة- و کما یظهر من اسـمها- فی بدایة أمرها قلعة (لأن الحیرة تعنی فی اللغة السـریانیة: الدیر و ما یشبهه) یسکنها العرب ثم تطورت شیئا فشیئا الی مدینة.

(۳) و قد ساعد مناخها الجميل، و المياه الوافرة التى تأتى إليها من الفرات، و جودة

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۸۸

الأحوال الطبيعية الاخرى إلى أن تجتذب إليها أصحاب الصحراء، و سكان البوادى، و القفار، كما و استطاعت هذه المدينة و بفضل مجاورتها للحضارة الفارسية إن تكتسب من ثقافتها و مدنيتها ما أفاض عليها لونا من الحضارة و المدنية، و قد بنيت بالقرب من «الحيرة» قصور مثل «الخورنق» الذى أضاف إلى هذه المدينة جمالا و بهاء خاصّين، و قد تعرّف العرب الساكنون فى هذه المنطقة على الخط و الكتابة، و يمكن ان تكون الكتابة و القراءة قد سرتا منها الى بقية مناطق الحجاز و مدنها «۱».

(۱) و لقد كان ملوك «الحيرة» و أمراؤها من اللخميين العرب يؤيّدون من قبل الدولة الإيرانية بقوة، و سبّب هذا التأييد، و الحماية الايرانية لأمراء الحيرة و ملوكها كان يكمن فى أن ملوك إيران- آنذاك- كانوا يريدون أن تكون الحيرة سدّا، و حاجزا بينهم و بين عرب البادية، يدفعون بهم خطر الغزاة من أهل الصحارى على الحدود الإيرانية.

و لقد سجّل التاريخ أسماء هؤلاء الأمراء؛ و قد نظم «حمزة الاصفهانى» فهرستا بأسمائهم، و جدولا بأعمارهم و مدد حكوماتهم، و من كان يعاصرهم من ملوك بنى ساسان الإيرانيين «۲».

و مهما يكن الأمر فإن دولة اللخميين العرب كانت من أكبر الحكومات العربية شبه المتحضرة فى منطقة الحيرة، و كان آخر ملوك هذه السلسلة هو «النعمان بن المنذر» صاحب القصة التاريخية التى تتضمن خلعه من الحكم، و قتله بواسطة الملك الايرانى: «خسرو برويز» «۳».

(۲) غسّان: فى أوائل القرن الخامس أو اوائل القرن السادس الميلادى هبط جماعة من المهاجرين اليمنيين فى الشمال الغربى- أقصى نقاط الجزيرة العربية- و فى جوار الإمبراطوريّة الروميّة، و أسسوا دولة الغساسنة، و قد كانت هذه الدولة

---

(۱) فتوح البلدان للبلاذرى: ص ۴۵۷.

(۲) سنىّ ملوك الأرض: ص ۷۳- ۷۶.

(۳) الأخبار الطوال: ص ۱۰۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۸۹

تحت حماية الروم، و كان ملوكها ينصبون من جانب إمبراطوريات «قسطنطينية» مباشرة، تماما كما كان ملوك «الحيرة» ينصبون من جانب ملوك ايران.

و لقد كانت دولة الغساسنة متحضرة نوعا ما، و حيث أن مراكز حكمها كانت قريبة من ناحية إلى «دمشق» و مجاورة ل: «بصرى» مركز القسم الرومى من الجزيرة العربية من ناحية اخرى، لذلك تأثرت بحضارة الروم تأثرا كبيرا و بالغا.

و لقد كان الغساسنة متحالفين مع الروميين بسبب ما كان بينهم و بين ملوك الحيرة اللخميين العرب و الايرانيين من الاختلاف و النزاع، و لقد حكم فى دولة الغساسنة تسعة أو عشرة من الأمراء و الملوك تباعا.

(۱)

الدين فى أرض الحجاز:

لقد كان الدين الرائج فى الحجاز هو الوثنية، و عبادة الاصنام.

نعم كانت هناك أقليّات دينية يهودية تقطن فى يثرب (المدينة فيما بعد) و خيبر، كما انه كان هناك من يتبع المسيحية و هم سكّان نجران، البلد الحدودى لليمن و الحجاز.

و كـان الـدين الرائـج فى المنـاطق الشـمالية من الحجاز (إى الشام حاليا) هو المسـيحية بسـبب مجاورة هـذه المناطق للروم و خضوعها للسيادة الرومية.

و لو أننا اسـتثنينا من الحجاز هذه المناطق الحساسة الثلاث لما وجدنا فى بقية مناطق الحجاز إلّا الوثنية فى أشـكال مختلفة، و اعتقادات متنوعـة، اللّهم إلّا بضع افراد كان عـددهم لا يتجاوز عـدد أصابع اليـد ممن يسـمّون بالاحناف كانوا على دين التوحيـد، و كان عددهم بالنسبة إلى الاكثرية الساحقة من العرب الوثنيين قليلا جدّا «۱».

(۲) فمنذ زمن النبى «إبراهيم» الخليل و ابنه «اسماعيل» عليهما السّلام دخل

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۲۲ و ۱۲۳.

التوحيـد، و دخلت بعض التعاليم الأخلاقيـة و الدينيـة إلى أرض الحجاز، و كان الحـج و أداء مناسـكه احتراما للكعبة الشـريفة هو أحد هـذه التعاليم و السـنن التى دخلت مع «الخليل» إلى هـذه المنطقـة، ثم إن رجلا من قبيلـة «خزاعة» يسـمى «عمرو بن لحى» الذى كانت زعامـة مكـة قـد عهدت إليه، أدخل عبادة الاوثان فى مكة فى ما بعد، و ذلك عند ما سافر هذا الخزاعى إلى بلاد الشام فوجد قوما من العمالقة يعكفون على تماثيل جميلة النقش و المنظر يعبدونها، و يؤلّهونها، فقال لهم:

ما هذه الأصـنام التى أراكم تعبدون قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، و نستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أ فلا تعطوننى منها صنما فاسير به إلى أرض العرب فيعبـدوه فأعطوه صـنما، و هكذا اسـتحب عملهم، و جلب معه الى مكة صـنما جميل النقش و النحت يدعى «هبل» فنصبه و دعا الناس إلى عبادته، و تعظيمه.

و هكذا دخلت الوثنية إلى «مكة» المكرمة، و اصبحت عبادة الاوثان و الاصنام عبادة رائجة فى تلك الديار «۱».

(۱) و اشهر اصنام العرب هى:

۱- هبل و كانت أعظم اصنام العرب التى فى جوف الكعبة.

۲- اساف.

۳- نائلة و كانت هى و اساف على موضع زمزم ينحرون عندهما.

۴- اللات و كانت لثقيف بالطائف.

۵- العزّى و كانت بنخلة الشامية، و كانت لقريش و بنى كنانة.

۶- منات و كانت للاوس و الخزرج و من ذهب مذهبهم من أهل يثرب.

۷- عميانس و كان بأرض خولان يقسمون له من أنعامهم و حروثهم.

۸- سعد.

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۷۸- ۸۱، و العمالقة هم طائفة من العرب عاشوا و سادوا ثمّ بادوا قبل الإسلام.

۹- ذو الخلصة و كانت لدوس و خثعم و بجيلة.

۱۰- مناف «۱».

و لقـد كانت هـذه هى أشـهر أصـنام العرب علاوة على الأصـنام الاخرى غير المعروفـة التى كانت تختصّ بطائفة دون اخرى، أو بعائلة دون عائلة.

(۱)

العلم و الثقافة فی الحجاز:

کان أهل الحجاز یوصفون بالامیّین، و الامیّ هو من لم یتعلم القراءة و الکتابة فهو کمن ولدته أمه، أو هو باق فی عدم العلم بالقراءة و الکتابة علی الحالة التی ولد فیها من أمه.

و لأجل أن نعرف مدی ما کان علیه العلم و الثقافة عند العرب من القیامة یکفی أن نعلم بأن عدد الذین کانوا یعرفون القراءة و الکتابة بین قریش الی ما قبل ظهور الإسلام لم یکن یتجاوز (۱۷) شخصا فی مکة و (۱۱) نفرا فقط من بین الأوس و الخزرج فی المدینة «۲».

إذا لاحظنا هذا التخلف و الانحطاط فی مجال العلم و الثقافة فی البیئة العربیة الجاهلیة یتضح لنا مدی تأثیر الإسلام، و ادرکنا عظمة التعالیم الإسلامیة فی جمیع الحقول الاعتقادیة و الاقتصادیة و الأخلاقیة و الثقافیة، و لا بدّ فی تقییم الحضارات أن نطالع و ندرس الحلقة السابقة، ثم نقیم الحلقة التالیة فی ضوء ذلک، و فی هذه الصورة نقف علی عظمة تلک الحضارة الحقیقیة «۳».

---

(۱) راجع الأصنام للکلبی، و المحبر: ص ۳۱۵- ۳۱۹.

(۲) فتوح البلدان: ص ۴۵۷- ۴۵۹.

(۳) للوقوف علی معلومات أوسع و اکثر حول عقائد مختلفة طوائف المجتمع العربی الجاهلی، و ثقافتها و تقالیدها راجع الکتابین التالیین:

ألف: «بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب» تألیف السید محمود الآلوسی المتوفی عام ۱۲۷۰ هجری قمری.

باء: «المفصّل فی تاریخ العرب قبل الاسلام» تألیف الاستاذ جواد علی، و هذا الکتاب اخرج فی (۱۰) مجلدات، و قد بحث فیها کل ما یرتبط بحیاة العرب فی العهد الجاهلی.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹۲

الإمام علیّ یصف العهد الجاهلیّ:

و قد وصف الإمام علیّ أمیر المؤمنین علیه السّلام تلک الحالة فی خطبه، و حیث أنه عاصر ذروة ذلک الوضع المأساوی و وصفه وصفا دقیقا لذلک ینبغی أن نقف عند کلامه قلیلا لیتبین لنا جیدا ما کان علیه العرب إبّان عهد الرسالة الإسلامیة المبارکة:

قال علیه السّلام فی الخطبة (الثانیة) من نهج البلاغة:

«... و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله أرسله بالدین المشهور و العلم المأثور و الکتاب المسطور و النّور الساطع، و الضیاء اللامع، و الأمر الصادع إزاحة للشبهات و احتجاجا بالبیّنات و تحذیرا بالآیات، و تخویفا بالمثلات «۱» و الناس فی فتن انجذم «۲» فیها حبل الدّین، و تزعزعت سواری «۳» الیقین و اختلف النجر «۴»، و تشتّت الأمر وضاق المخرج، و عمی المصدر فالهدی خامل، و العمی شامل، عصی الرّحمن و نصر الشیطان و خذل الإیمان فانهارت دعائمه، و تنکّرت معالمه و درست «۵» سبله و عفت شرکه «۶» أطاعوا الشیطان فسلکوا مسالکه، و وردوا مناهله «۷» بهم سارت أعلامه، و قام لواؤه فی فتن داستهم بأخفافها «۸» و وطئتهم بأظلافها «۹» و قامت علی سنابکها «۱۰» فهم فیها تئهون حائرون جاهلون مفتونون فی خیر دار و شرّ جیران نومهم سهود و کحلهم دموع بأرض عالمها ملجم و جاهلها مکرم.

و قال فی الخطبة (التاسعة و الثمانین) أیضا:

«أرسله صلّى اللّه عليه و آله على حين فترة من الرّسل و طول هجعة من الامم و اعتزام «۱۱» من الفتن و انتشار من الامور و تلظّ «۱۲» من الحروب و الدّنيا

---

(۱) المثلات: العقوبات.

(۲) انجذم: انقطع.

(۳) السوارى: الدعائم.

(۴) النجر: الأصل.

(۵) درست: انطمست.

(۶) الشرك: الطرق.

(۷) المنهل: مورد النهر.

(۸) الخف: هو للبعير كالقدم للإنسان.

(۹) الظلف: للبقر و الشاة كالخفّ للبعير و القدم للإنسان.

(۱۰) السنابك: طرف الحافر.

(۱۱) اعتزم الفرس: اذا مرّ جامحا.

(۱۲) تلظّ: تلهّب.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۹۳

كاسفة النّور ظاهرة الغرور على حين اصفرار من ورقها و إياس من ثمرها و اغورار «۱» من مائها قد درست منار الهدى و ظهرت أعلام الرّدى فهى متجهّمة «۲» لأهلها عابسة فى وجه طالبها ثمرها الفتنة و طعامها الجيفة «۳» و شعارها الخوف و دثارها السيف».

و قال فى الخطبة (السادسة و العشرين): «إنّ اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نذيرا للعالمين و أمينا على التّنزيل و انتم معشر العرب على شرّ دين و فى شرّ دار منيخون «۴» بين حجارة خشن «۵» و حيّات صمّ «۶» تشربون الكدر و تأكلون الجشب «۷» و تسفكون دماءكم و تقطعون أرحامكم الأصنام فيكم منصوبة و الآثام بكم معصوبة «۸»».

و قال عليه السّلام فى الخطبة (الثالثة و الثلاثين): «إنّ اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ليس احد من العرب يقرأ كتابا و لا يدّعى نبوة فساق الناس حتى بوّأهم محلّتهم «۹» و بلّغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم «۱۰» و اطمأنّت صفاتهم».

و قال فى الخطبة (الخامسة و التسعين) أيضا:

«... بعثه صلّى اللّه عليه و آله و النّاس ضلال فى حيرة و حاطبون فى فتنة قد استهوتهم الأهواء و استزلّتهم الكبرياء و استخفّتهم «۱۱» الجاهليّة الجهلاء حيارى فى زلزال من الأمر و بلاء من الجهل فبالغ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى النّصيحة و مضى على الطّريقة و دعا إلى الحكمة و الموعظة الحسنة».

و قال عليه السّلام فى الخطبة (السادسة و التسعين) أيضا:

«... مستقرّه خير مستقرّ و منبته أشرف منبت فى معادن الكرامة و مماهد «۱۲» السّلامة قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار و ثنّيت إليه أزمّة الأبصار دفن

---

(۱) اغورار الماء: ذهابه.

(۲) تجهّمه: استقبله بوجه كريه.

(۳) إشارة الى أكل العرب للميتة من شدة الاضطرار.

(۴) منيخون: مقيمون.

(۵) الخشن: جمع خشناء من الخشونة.

(۶) الصمّ: التى لا تسمع لعدم انزجارها بالاصوات.

(۷) الجشب: الطعام الغليظ.

(۸) معصوبة: مشدودة.

(۹) بوّأهم محلّهم: أنزلهم منزلتهم.

(۱۰) القناة: العود كناية عن القوة.

(۱۱) استخفّتهم: طيّشتهم.

(۱۲) الممهد: ما يبسط فيه الفراش.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۹۴

اللّه به الضّغائن و أطفأ به الثّوائر «۱» ألّف به إخوانا و فرّق به أقرانا اعزّ به الذّلة و أذلّ به العزّة كلامه بيان و صمته لسان».

و قال عليه السّلام فى الخطبة (۱۵۱) أيضا:

«... أضاءت به صلّى اللّه عليه و آله البلاد بعد الضّلالة المظلمة و الجهالة الغالبة و الجفوة الجافية و النّاس يستحلّون الحريم و يستذلّون الحكيم يحيون على فترة «۲» و يموتون على كفرة».

و قال فى الخطبة (۱۹۸): «... ثمّ إنّ اللّه سبحانه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالحقّ حين دنا من الدّنيا الانقطاع و أقبل من الآخرة الاطّلاع «۳» و اظلمت بهجتها بعد إشراق و قامت بأهلها على ساق و خشن منها مهاد «۴» و أزف «۵» منها قياد فى انقطاع من مدّتها و اقتراب من أشراطها «۶» و تصرّم «۷» من أهلها و انفصام «۸» من حلقتها و انتشار «۹» من سببها و عفاء «۱۰» من أعلامها و تكشّف من عوراتها و قصر من طولها».

و قال عليه السّلام فى الخطبة (۲۱۳): «ارسله بالضّياء و قدّمه فى الاصطفاء فرتق «۱۱» به المفاتق «۱۲» و ساور «۱۳» به المغالب و ذلّل به الصّعوبة و سهّل به الحزونة «۱۴» حتّى سرّح الضّلال عن يمين و شمال».

و قال فى الخطبة (۱۹۱): «و اشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ابتعيه و النّاس يضربون فى غمرة «۱۵» و يموجون فى حيرة قد قادتهم أزمّة الحين «۱۶» و استغلقت على أفئدتهم أقفال الرّين» «۱۷».

---

(۱) الثائرة: العداوة.

(۲) على فترة: على خلوّ من الشرائع.

(۳) الاطّلاع: الإتيان.

(۴) خشونة المهاد: كناية عن شدّة آلام الدنيا.

(۵) ازف: قرب.

(۶) الشرط: العلامة.

(۷) التصرّم: التقطّع.

(۸) الانفصام: الانقطاع.

(۹) انتشار الأسباب: تبدّدها حتى لا تضبط.

(۱۰) عفاء الأعلام: اندراسها.

(۱۱) رتق: سدّ به الفتق.

(۱۲) المفاتق: مواضع الفتق.

(۱۳) ساور: ثاوب.

(۱۴) الحزونة: غلظ فی الارض.-

(۱۵) الغمرة: الماء الکثیر.

(۱۶) الحین: الهلاک.

(۱۷) الرین: التغطیه.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹۵

فاطمة الزهراء تصف الوضع الجاهلی:

و قد وصفت السیّدة فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم العهد الجاهلی بمثل ذلک اذ قالت فی خطبتها أمام أبی بکر و المسلمین «۱»:

«فبلّغ (ای رسول اللّه) بالرّسالة صادعا بالنّذارة «۲» مائلا علی مدرجة المشرکین ضاربا ثبجهم «۳» آخذا بأکظامهم داعیا إلی سبیل ربّه بالحکمة و الموعظة الحسنة یکسر الأصنام و ینکث الهام «۴» حتی انهزم الجمع و ولّوا الدّبر حتی تفرّی اللیل عن صبحه و اسفر الحق عن محظه «۵» و نطق زعیم الدین و خرست شقاشق «۶» الشّیاطین و أطاح وشیظ «۷» النّفاق و انحلّت عقد الکفر و الشّقاق و فهتم بکلمة الاخلاص فی نفر من البیض الخماص و کنتم علی شفا حفرة من النّار مذقة «۸» الشّارب و نهزة «۹» الطامع و قبسة العجلان «۱۰» و موطئ الأقدام تشربون الطرق «۱۱» و تقتاتون القدّ «۱۲» و الورق أذلّة خاسئین تخافون ان یتخطّفکم النّاس من حولکم فأنقذکم اللّه تعالی بمحمّد بعد اللّتیا و الّتی بعد أن منی ببهم «۱۳» الرجال و ذؤبان العرب و مردة أهل الکتاب «۱۴» کلّما أوقدوا نارا للحرب أطفأها اللّه، أو نجم «۱۵» قرن الشّیطان أو فغرت «۱۶» فاغرة من المشرکین، قذف أخاه فی لهواتها «۱۷» فلا ینکفیء «۱۸» حتّی یطأ صماخها بأخمصه».

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید و بلاغات النساء و غیرهما.

(۲) النذار: الأنذار.

(۳) الثبج: الکاهل.

(۴) الهامة: الرأس.

(۵) المحض: الخالص.

(۶) الشقشقة: شیء یشبه الرئة یخرج من فم البعیر إذا هاج.

(۷) الوشیظ: الأتباع و الخدم.

(۸) المذقة: شربة من اللبن الممزوج بالماء.

(۹) النهزة: الفرصة.

(۱۰) قبسة العجلان: الشعلة من النار التی یأخذها الرجل العاجل.

(۱۱) الطرق: الماء الذی خوضته الابل و بوّلت فیه.

(١٢) القد: قطعة جلد غير مدبوغ.

(١٣) البهمة: الشجاع الذى لا يهتدى من أن يؤتى.

(١۴) المارد: العاتى.

(١۵) نجم: طلع.

(١۶) فغرت: فتحت.

(١٧) اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى الفم.

(١٨) ينكفئ: يرجع.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٩۶

جعفر بن ابى طالب يصف العهد الجاهلى:

و يشهد بذلك أيضا ما قاله جعفر بن أبى طالب عند النجاشى ملك الحبشة عند ما أراد مبعوثا قريش استعادتهما إلى مكة:

أيّها الملك، كنّا قوما أهل جاهليّة، نعبد الاصنام، و نأكل الميتة، و نأتى الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسىء الجوار و يأكل القوى منّا الضعيف، فكنّا على ذلك، حتى بعث اللّه إلينا رسولا منّا نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه، فدعانا الى اللّه لنوحّده و نعبده، و نخلع ما كنّا نعبد نحن و آباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان و أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة، و صلة الرحم، و حسن الجوار، و الكفّ عن المحارم و الدّماء، و نهانا عن الفواحش و قول الزور، و أكل مال اليتيم، و قذف المحصنات، و أمرنا أن نعبد اللّه وحده لا نشرك به شيئا، و أمرنا بالصّلاة و الزّكاة و الصيام قالت: فعدّد عليه امور الاسلام حتى قال:

و صدّقناه، و آمنّا به و اتّبعناه على ما جاء به من اللّه فعبدنا اللّه وحده فلم نشرك به شيئا و حرّمنا ما حرّم علينا و أحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا فعذّبونا و فتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة اللّه تعالى، و أن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث «١».

---

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٣۵ و ٣٣۶. و الحديث عن أمّ سلمة.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٩٧

(١)

٣ إمبراطوريّتا الروم و إيران إبّان عهد الرّسالة

اشارة

للوقوف على أهمية النهضة الإسلامية المباركة التى تحققت على يدى النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد ارساله من جانب اللّه تعالى و قيمتها، تكتسب دراسة بيئتين اجتماعيّتين اهمية قصوى، و تانك البيئتان هما:

١- بيئة نزول القرآن الكريم، أى البيئة التى ظهر فيها الإسلام، و ترعرع و نمى.

٢- البيئة العالمية (خارج الجزيرة العربية)، و يعرف ذلك بدراسة عقائد الناس و أفكارهم فى اكثر مناطق العالم- يومذاك- مدنية و حضاره، و مطالعة آدابهم و أخلاقهم و تقاليدهم، و أعرافهم، و مدنيّاتهم التى كانت تعتبر أفضل لأفكار و المدنيّات، و أرقى الحضارات، و الأوضاع آنذاك.

و لقد كانت بيئتا: الامبراطورية الرومانية، و الإمبراطورية الإيرانية ألمع نقطة فى ذلك اليوم- كما يدلنا التاريخ على ذلك. و لا بدّ

استكمالا لهذا البحث من دراسة الأوضاع فى هاتين الإمبراطوريتين، فى مناطقها، و من نواحيها المختلفة، لنقف من هذا الطريق على قيمة الحضارة التى اتى بها الإسلام، و نعرف ذلك بوجه أفضل.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۹۸

أوضاع الروم ابان عهد الرسالة:

اشارة

(۱) ان أوضاع الروم لم تكن بأقل سوء من أوضاع منافستها «ايران» فالحروب الداخلية من جانب و المعارك الخارجية المستمرة مع «ايران» و صراعها الدائم المستمر مع الاخيرة على منطقة «ارمينية» و غيرها كل ذلك كان يهيء الناس فى تلك البلاد للقبول بثورة جديدة يضع حدا لمآسيهم و محنهم.

و لقد كان للاختلافات و المنازعات الطائفية و المذهبية نصيب الاكبر و الأوفر فى توسيع رقعة هذه الاختلافات، و المنازعات.

فالحرب لم تتوقف أبدا بين الوثنيين و المسيحيين و لم تنطفئ شرارتها يوما أبدا.

فكان إذا غلب رجال الكنيسة على دست الحكم و أخذوا بمقاليده ما رسوا أشدّ أنواع الضغط و الاضطهاد بحقّ خصومهم و منافسيهم الأمر الذى كان يساعد على إيجاد أقلية ناقمة من جهة، كما و يمكن اعتبار ذلك عاملا مساعدا من جهة اخرى على تهنئة الشعب الرومانى لاحتضان الدعوة الإسلامية، و تقبلها.

لقد كان حرمان طوائف كثيره و مختلفة ناشئا من ممارسات رجال الكنيسة الخشنة و مواقفهم المتزمتة.

هذا مضافا إلى أن اختلاف القساوسة و الرهبان النصارى فيما بينهم من جهة، و تعدّد المذاهب من جهة اخرى كان يعمل على التقليل من هيبة الامبراطورية الرومانية و جرّها إلى الضعف و الوهن المتزائد يوما بعد يوم.

(۲) هذا بغضّ النظر عن أن البيض و الصفر من سكّان الشمال و المشرق كانوا يفكّرون فى السيطرة على المناطق الغنية من اوربة، و ربما ألحق أحدهما بالآخر خسائر فادحة و باهضة فى الصراعات و المصادمات التى كانت تقع بينهما. و كان هذا هو نفسه السبب فى أن تنقسم الامبراطورية الرومية الى معسكرين: المعسكر (او القسم الشرقى) و المعسكر (او القسم الغربى).

و يعتقد المؤرخون أن أوضاع الروم السياسية، و الاجتماعية و الاقتصادية فى القرن السادس كانت مضطربة، و متدهورة جدا، حتى أنهم لا يرون فى غلبة

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۹۹

الروم و تفوّقها على إيران شاهدا على قدرتها العسكرية، و تفوّقها النظامى، بل يرون أن هزيمة إيران كانت بسبب الفوضى التى كان سائدة آنذاك فى جهاز الحكم الايرانى.

إن هاتين الدولتين اللتين كانتا تتربّعان على عرش السيادة و السياسة العالمية فى مطلع ظهور الإسلام كانتا تعيشان حالة سيئة من الفوضى، و الهرج و المرج، و من البديهىّ أنّ مثل هذه الأوضاع كان من شأنها أن توجد حالة من التهيّؤ الكبير و الظمأ الشديد إلى دين صحيح يضع حدّا و نهاية لتلك الحالة، و يعيد تنظيم حياتهم.

(۱)

ظاهرة الجدل العقيم فى المجتمع الرومى:

المتعارف أن یعمـد جماعة من البطّالین و الفسـقة إلی طرح سلسـلة من القضایا و المسائل الخاویة و النقاش حولها بهدف التوصّل إلی أغراض فاسدة، فیستهلکون بذلک أوقات الناس، و یهدرون أعمارهم علی منحر الجدل العقیم.

و هی حالة لها مصادیق کثیرة و شواهد عدیدة فی کثیر من بلاد المشرق، و لسنا بصدد التوسّع فیه فعلا.

و قـد کانت «الروم» تعانی یومئذ من مثل هذه الحالة اکثر من ای مکان آخر. سیـد المرسـلین ج ۱ ۹۹ ظاهرة الجدل العقیم فی المجتمع الرومی: ..... ص : ۹۹

د کان ملوک الروم و رجال الحکم و السیاسة تبعا لمذاهب دینیة کنسیّة- یعتقدون بأن المسیـح ذو طبیعتین و مشیئتین، و لکن طائفة اخری من النصاری و هم «الیعقوبیة» کانوا یقولون بانه: ذو طبیعة و مشیئة واحدة.

و قـد وجهت هـذه المسألـة الباطلـة نفسـها، و الجـدل الواهی حولها ضـربة شدیـدة الی وحدة الروم و من ثم اسـتقلالها، و احدثت فی صفوفها انشـقاقا عمیقا حیث کانت السـلطات الحاکمة تضطر الی الدفاع عن معتقداتها، و لذلک کانت تضطهد معارضیها، و تلاحقهم و هذا الاضطهاد و الضغط الروحیّ سبّب فی لجوء البعض الی الدولة الایرانیة، کما کان هؤلاء هم الذین ترکوا المقاومة عند

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۰

مواجهة الجیش الإسلامی، و القوا السلاح، و استقبلوا جنود الإسلام بالاحضان.

(۱) کـانت الروم تمرّ آنـذاک بظروف اشبه مـا تکون بظروف القرون الاوربیـة الوسـطی التی ینقـل عنهـا «فلامـاریون» الفلکیّ الشـهیر القضایا التالیة التی تدل علی المستوی الفکریّ و الثقافیّ لاوربة فی القرون الوسطی:

لقـد کان کتاب «المجموعة اللاهوتیة» المظهر الکامل للفلسـفة المدرسـیة فی القرون الوسـطی، و قد بقی هذا الکتاب یدرّس فی أوربة خلال أربعمائة سنة ککتاب رسمی و معترف به.

و قد کان من الأبحاث المطروحة فی هذا الکتاب البحث حول عدد الملائکة التی یمکنها ان تسـتقر علی رأس إبرة؟! أو عدد الفراسخ بین العین الیسری و العین الیمنی للاب الخالد؟! الی غیر ذلک من القضایا التافهة!!

(۲) إن الامبراطوریـة الرومیـة السیئة الحـظ فیمـا کـانت تعانی من الحروب الخارجیـة الکثیرة، کـانت تعـانی کـذلک من النزاعـات و الاختلافـات الداخلیـة- التی کـانت- علی الاغلب- تتصف بالصـبغة المذهبیـة و الطائفیـة- و کانت تـدفع بالبلاد إلی حافـة الهاویـة، و تزیدها قربا إلیها یوما بعد یوم.

و لما رأی الیهود (و هی الزمرة الشـریرة المتآمرة علی الشـعوب دائما) تصاعد الاضـطهاد و الضـغط الذی یمارسه الامبراطور المسیحی الرومی خطّطت لاسـقاط ذلک النظام، فاحتلت مدینـة انطاکیـة ذات مرة، و مثلت بأسـقف أنطاکیة الاکبر فصـلموا اذنه، و جدعوا أنفه، فانتقمت حکومة الروم لهذه الجنایة بعد مدة، و قتلت الیهود فی انطاکیة فی مذبحة عامة.

و قد تکرّرت هذه الجرائم الفضیعة و هذه المذابح، و المذابح الانتقامیة المضادة بین الیهود و النصاری عدة مرات، و ربما سرت موجة الروح الانتقامیة أحیانا الی خارج البلاد، فمثلا اشتری الیهود من ایران ذات مرة ثمانین الف مسیحی ثم حزوا رءوسهم انتقاما و تشفیا.

(۳) من هـذا یسـتطیع القـارئ الکریم أن یقف علی الصورة القاتمـة للوضع السیئ و المتردّی الـذی کان علیه العالم إبان بزوغ شـمس الإسلام، و یذعن- مع

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۱

المـذعنین- بأن التعالیم الإسـلامیة الرفیعـة التی انقـذت العالم من ذلک الوضع المأساوی لم تکن أبدا ولیدة الفکر البشـریّ و ان نسیم الوحدة، الناعشة، و نغمة السلام التی یهدف إلیه الإسلام و یسعی إلی تحقیقه و اقراره فی الحیاة البشریة لیس لها من مصدر إلا الغیب، اذ کیف یمکن القول بأن الإسلام الذی یعترف حتی للحیوانات بحق العیش و الحیاة نابع من تلک البیئة المغرقة فی القسوة و الوحشیة، و ناشئ من ذلک المحیط المفحم بروح الانتقام و التشفی.

لقد أبطل الإسلام جميع تلك المجادلات العقيمة و المناقشات التافهة حول مشيئة عيسى و شخصيته، و قال فى نعته و وصفه:
«مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ» «۱».
إن هـذه الآيـة انهت الكثير من أبحاث رجال الكنيسـة الباطلة الخاوية حول «الروح» و «المسيح» و دمه، و شخصـيته، و حقيقته، كما ان الإسلام بفضل التعاليم الرفيعة، و احياء السجايا و الملكات الفاضلة انقذ البشرية من المنازعات، الفارغة، و المذابح الفضيعة.
(۱)

أوضاع إيران إبان عهد الرسالة:

اشارة

إن ما دفعنا إلى دراسة أوضاع الإمبراطورية الرومية هو نفسه يحتم علينا أيضا دراسة اوضاع إيران يومذاك.
لقد صادف ظهور الإسـلام و بعثة الرسول الكريم محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (۶۱۱ ميلادية) عهد السلطان الإيرانى خسرو برويز (۵۹۰- ۶۲۸ م)، و فى عهد «خسـرو برويز» هذا هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من مكة الى المدينة (الجمعة ۱۶ جولاى ۶۲۲)، و صارت هذه الواقعة مبدأ للتاريخ الإسلامى.
فى هذه الأيام كانت الدولتان العظيمتان (الروم الشرقية و ايران

---

(۱) المائدة: ۷۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۰۲

الساسانية) تسيطران على معظم مناطق العالم المتحضـر، و لم تزل هاتان الدولتان فى نزاع مستمر و صراع دائم على مناطق النفوذ حتى بعد ظهور الإسلام.
(۱) فقد بدأت حروب ايران و الروم الطويلة من عهد السـلطان الايرانى أنوشـيروان (۵۳۱- ۵۸۹ م) و استمرّت الى عهد الملك «خسرو برويز» و استغرقت اربعا و عشرين عاما من الزمان «۱».
و قد سـبب تحمل «ايران» و «الروم» للخسائر الكبرى، فى الارواح و الثروات خلال هذه المعارك الطويلة فى إضـعاف تينك الدولتين، و تعطيل و شلّ قواهما بحيث لم يبق منهما إلّا شبح دولتين لا اكثر.
و لكى نقف على الوضع العـام فى ايران آنـذاك من جهاته المختلفـة، و ابعاده المتنوعـة و بصورة أفضل، يجب ان نلقى نظرة فاحصـة على وضع الحكومات التى توالت على سدة القيادة الايرانية بعد حكم «انوشيروان» و حتى بداية دخول المسلمين فى ايران.
(۲)

البذخ و الترف فى البلاط الساسانى:

كانت حياة الملوك الساسانيين تتسم عموما بالبذخ و الترف، و التشريفات الطويلة العريضة، و كان البلاط الساسانى الفخم جدا يخلب ببريقه، بريق العيون، و يسحر الافئدة و العقول.
و كـان للا-يرانيين فى عهـد الساسـانيين لواء يعرف ب: «درفش كاويـانى» اى العلم الكاويـانى نسـبة إلى كـاوه و هو بطل قومى إيرانى

اسطوری، و قد کانوا یحملونه معهم فی الحروب، او ینصبونه فوق قصورهم اثناء احتفالات الساسانیین الکبری، و قد کان هذا اللواء موشحا و مزینا بأغلی أنواع المجوهرات بلغت قیمتها التقدیریة- حسب قول بعض الکتاب: «۰۰۰/ ۲۰۰/ ۱» درهما (او ما یعادل

---

(۱) تاریخ علوم و ادبیات در ایران ص ۳ و ۴ و ایران در زمان ساسانیان ص ۲۶۷ (باللغة الفارسیة).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۳

۰۰۰/ ۳۰ پوند).

(۱) و قد بلغت مجموعة المجوهرات و الاشیاء الثمینة و التصاویر و الرسوم المحیرة للعقول التی کانت تکتظّ بها قصور الساسانیین من حیث الاهمیة و القیامة حدا سحرت العیون و خلبت الالباب.

و لو أننا أردنا أن نقف علی عجائب ما فی تلک القصور، و ما کانت تحتوی علیه من غرائب الاشیاء لکفانا أن نلقی نظرة واحدة إلی السجّادة البیضاء و الکبیرة التی کانت مفروشة فی احدی صالات بعض تلک القصور، و هی السجّادة التی کانت تدعی بالفارسیة ب «بهارستان کسری» و هو بساط کانوا یعدّونه للشتاء إذا ذهبت الریاحین، فکانوا إذا أرادوا الشرب و تعاطی الخمر فرشوه، و شربوا علیه فکأنهم فی ریاض و کان هذا البساط ستینا فی ستین أرضه بذهب و وشیه بفصوص، و ثمره بجوهر و ورقه بحریر» «۱»!!

و قیل أیضا أن هذا البساط کان مائة و خمسین ذراعا فی سبعین ذراع و کان منسوجا من خیوط الذهب و المجوهرات الغالیة جدا!!

و قد کان «خسرو برویز» أکثر الملوک الساسانیین میلا إلی الترف، و البذخ، و اتخاذ الزینة، و قد بلغت عدد نسائه و جواریه عدة آلاف.

(۲) یقول حمزة الاصفهانی فی کتاب «سنیّ ملوک الارض» واصفا حالة الترف و البذخ التی کان یعیشها کسری برویز: ثلاثة آلاف امرأة، و اثنا عشر.

و جاء فی تاریخ الطبری: أن «کسری «۲» برویز» کان قد جمع من الأموال ما لم یجمع أحد من الملوک، و کان أرغب الناس فی الجواهر و الأوانی «۳».

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۱۳۰.

و جاء فی تاریخ الطبری: کانت هذه السجّادة ستین ذراعا فی ستین ذرعا، بساطا واحدا مقدار جریب فیه طرق کالصور، و فصوص کالأنهار و خلال ذلک کالدّیر و فی حافاته کالأرض المزروعة و الأرض المبقلة بالنبات فی الربیع من الحریر علی قضبان الذهب، و نواره بالذهب و الفضّة!!

(۲) سنیّ ملوک الأرض و الأنبیاء: ص ۴۲۰.

(۳) تاریخ الطبری: ج ۱ ص ۶۱۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۴

(۱)

الوضع الاجتماعی فی ایران:

لم یکن الوضع الاجتماعی فی عهد الساسانیین بأفضل من الوضع السیاسی آنذاک أبدا، فقد بلغ الاختلاف الطبقی الذی کان سائدا فی ایران منذ زمن بعید اشدّه و اقوی درجاته، و أسوأ حالاته فی العهد الاختلاف الساسانی.

فطبقة النبلاء و الكهنة كانت تتميز على بقية الطبقات تميزا كاملا، فهم يختصون بجميع المناصب الاجتماعية الحساسة و العليا، بينما حرم الكسبة و المزارعون و بقية أبناء الشعب من كافة الحقوق الاجتماعية، و لم يكن لهم من واجب و دور فى النظام إلا دفع الضرائب الثقيلة و المشاركة فى الحروب.

(۲) يكتب أحد الكتّاب الإيرانيين و هو الاستاذ سعيد نفيسى فى هذا الصعيد قائلا:

ان ما كان يثير روح النفاق بين الايرانيين اكثر هو سياسة التمايز الطبقى القاسى جدا الذى كان الساسانيون يتبعونها فى التعامل مع الشعب، و كان لها جذور فى العهود و الحضارات السابقة، و لكنها بلغت ذروتها فى العهد الساسانى بالذات!!

ففى الدرجة الاولى كان للعائلات السبع من النبلاء، ثم للطبقات الخمس امتيازات خاصة حرمت منها عامة أبناء الشعب.

فالملكية كانت محصورة- تقريبا فى تلك العائلات السبع مع العلم أن الشعب فى العهد الساسانى، كان يقارب عدد نفوسه مائة و أربعين مليونا فى حين لا يبلغ عدد كل واحد من تلك العائلات الممتازة و المتميّزة فى شئونها مائة ألف شخص، فيكون مجموعها سبع مائة ألف «۱».

و إذا افترضنا أنّ حراس الحدود و أمراءهم و الملاك الذين كانوا يتمتعون هم الآخرون بشيء من حق الملكية كان يبلغ عددهم أيضا سبع مائة ألف أيضا فيكون حق التملك و المالكية حينئذ خاصا بمليون و نصف من مجموع مائة

---

(۱) تاريخ اجتماعى ايران: ج ۲ ص ۶- ۲۴ (باللغة الفارسية).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۰۵

و اربعين مليونا، فقد كانت تلك الزمرة القليلة هى التى تملك، و أما الآخرون و هم الاكثرية الساحقة فقد كانوا محرومين من هذا الحق الطبيعى الموهوب لهم من جانب اللّه أساسا و أصلا.

(۱) لقد كان الكسبة و الفلاحون الذين كانوا محرومين من جميع الحقوق، و الامتيازات و لكنّهم كانوا يتحمّلون نفقات حياة البذخ و الرفاهية التى كان يرفل فيها النبلاء و الأشراف و الطبقات العليا، لا يأملون خيرا وراء استمرار هذه الاوضاع، و دوامها، و لهذا كثيرا ما كان المزارعون و الفلاحون و الطبقات الدنيا من الشعب يغادرون أعمالهم، و مزارعهم و يلجئون إلى الأديرة فرارا من الضرائب الباهضة و الاتاوات القاصمة للظهور، المبددة للثروات «۱».

يقول مؤلف كتاب «ايران فى عهد الملوك الساسانيين» «۲».

إن حروب إيران- الروم الطويلة بدأت من عهد حكومة الملك الإيرانى انوشيروان (۵۳۱- ۵۸۹ م).

و خلاصة القول أنه كان فى الامبراطورية الساسانية يملك أقلية صغيرة تقلّ نسبتها عن ۵/ ۱٪ (واحد و نصف بالمائة) من مجموع الشعب كل شيء بينما كان اكثر من (۸۹٪) من الشعب الإيرانى محرومين من حق الحياة تماما كالعبيد.

(۲)

حقّ التعلّم خاص بالطبقات الممتازة!!:

فى العهد الساسانى كان ابناء الاغنياء و البيوتات الرفيعة هم وحدهم الذين يتمتعون بحق التعلم، بينما كان عامة جماهير الشعب، و الطبقات الوسطى و الدنيا محرومين من تحصيل العلوم و اكتسابها.

و قد كانت هذه المنقصة بادية و واضحة فى عصور ايران التاريخية جدا بحيث ذكرها الشعراء الكبار فى ملاحمهم و دواوينهم الملكية المعروفة بالرغم من ان

(۱) ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ۷۰ و ۷۱.

(۲) إيران فى عهد الساسانيين: ص ۴۲۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۰۶

الهدف من تلك الملاحم و الدواوين كان هو الحماسة، و التفاخر بالبطولات و تحبيش العواطف، بعد مدح الملوك و الأمراء.

(۱) فها هو «الفردوسى» «۱» الشاعر الملحمى الفارسى المعروف، بل اشهر شعراء ايران قد ذكر فى شاهنامته (و هى الملحمة الشعرية التى يذكر فيها أمجاد ملوك الفرس فى قرابة ستين ألف بيت) قصة فى هذا الصدد تعتبر أفضل شاهد على ما قلناه.

و قد وقعت هذه القصة فى زمن «أنوشيروان»، أى فى الوقت الذى كانت الامبراطورية الساسانية تمرّ فيه بعهدها الذهبى.

و هذه القصة تشهد بأن اكثرية الشعب فى عهد هذا الملك أيضا كانت محرومة من حق التعلم، و ممنوعة عن اكتساب الثقافة.

(۲) يقول الفردوسى: لقد أبدى حذّاء استعداده لتحمّل نفقات الجيش الإيرانى- فى حربه مع الروم- بدفع ما يحتاجون إليه من ذهب و فضة.

و مع أن السلطة فى عهد «انوشيروان» كانت بحاجة ماسة إلى مساعدات مالية كبيرة إذ كان يتعين عليها أن تجهّر ما يقرب من ثلاثمائة الف مقاتل قد اصيبوا بالمجاعة و قلة العتاد، بحيث أدى ذلك إلى وقوع بعض الاعتراضات، و الى ظهور الفوضى فى الجنود، ممّا أدى بدوره إلى قلق الملك الإيرانى «أنوشيروان».

و التخوف من مضاعفات هذه الحالة، و آثاره السيئة فى قتاله للروم، و لذلك بادر إلى استدعاء وزيره المحنك «بزرجمهر» للتشاور معه فى المخلص من ذلك الوضع المحرج، ثم امره بالتوجه إلى منطقة «مازندران» و جمع الاموال اللازمة من سكانها.

(۳) و لكن «بزرجمهر» حذّر الملك من مغبّة هذا العمل، و أضاف بأن هذا من شأنه أن يضاعف من الخطر ثم اقترح جمع الاموال اللازمة عن طريق القروض الشعبية فاستحسن «انوشيروان» اقتراحه و أمره باتخاذ الترتيبات اللازمة على

(۱) راجع للتعرف السريع على شخصية هذا الشاعر: الموسوعة العربية الميسرة: ص ۱۲۸۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۰۷

التوفيرسل الوزير مندوبين له الى المدن الإيرانية ليكلم التجار و اصحاب الثروة فى الأمر.

(۱) فيبدى الحذّاء المذكور استعداده لتحمل كل نفقات الجيش لوحده الّا انه اشترط ذلك بان يسمحوا لولده الوحيد الراغب فى تحصيل العلم جدا ان يتعلم.

فاستحقر الوزير شرطه و وعده بالانجاز، و السماح لولده بالتعلم و تحصيل العلم، ثم عرض الأمر على الملك انوشيروان و هو يأمل فى ان يتجاوب الملك مع رغبة الحذّاء و طلبه الصغير اذا ما قيس بما سيعطيه من اموال طائلة فى تلك الاوضاع الحرجة.

و لكن الملك استشاط غضبا لهذا الطلب، و نهر الوزير قائلا: دع هذا، ما أسوأ ما تطلبه، ان هذا لا يمكن ان يكون، لان ابن الحذّاء بخروجه من وضعه الطبقى يهدم التقليد الطبقىّ المتبع، فينفرط بذلك عقد الدولة، و يكون ضرر هذا المال علينا اكثر من نفعه، و شره اكثر من خيره.

(۲) ثم إنّ الفردوسى يعمد إلى شرح المنطق الميكافيلى حكاية عن لسان انوشيروان اذ يقول ناظما ذلك فى ابيات «۱»:

و إذا اصبح ابن الحذّاء عالما كاتبا عارفا فعند ما يجلس ولدنا على مسند الحكم و السلطنة و احتاج الى كاتب، فانه سيضطر إلى الاستعانة بابن ذلك الحذّاء- الكاتب- (و هو من عامة الشعب و من ابناء الطبقة الدنيا و فى حين جرت عادتنا الى الآن على أن نستعين بابناء الاشراف و النبلاء لا أبناء الطبقة الدنيا)!!!

و إذا حصل ابن الحذّاء و بائع الاحذیة علی العلم و المعرفة أعاره العلم و المعرفة حینئذ عیونا بصیرة، و آذانا سمیعة فیری حینئذ ما یجب أن لا یراه،

---

(۱) و إلیک هذه الأبیات باللغة الفارسیة:

چو بازرگان بچه گردد دبیرهنرمند و با دانش و یاد گیر

چو فرزند ما برنشند به تخت‌دبیری ببایدش پیروز بخت

هنر باید از مرد موزه فروش‌سپارد بدو چشم بینا و گوش

بدست خردمند مرد نژادنماند جز از حسرت و سرد باد

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۰۸

و یسمع ما یجب أن لا یسمعه، و حینئذ لا یبقی لأبناء الملوک إلا الحسرة و التأسف «۱».

(۱) و هکذا یعید الملک دراهم الحذّاء المسکین إلیه رافضا طلبه و یعود الحذاء خائبا و هو یتوسل بما یتوسل به المستضعفون و المحرومون المظلومون و هو الدعاء و الضراعة الی اللّه فی اللیل و فی هذا قال الفردوسی: عاد مبعوث الملک بدراهم الحذاء إلیه فاصیب الحذاء لذلک بغمّ شدید ثم لما جن اللیل تضرع الحذاء الی اللّه و شکا إلیه الملک طالبا عدالته «۲».

و العجیب هو أن یصف البعض هذا السلطان بالعادل و هو الذی لم یعالج أسوأ مشکلة فی المجتمع الإیرانی أیام حکمه و سلطانه و هی المشکلة الثقافیة، بل تسبب فی أن یصاب الشعب الإیرانی بالمزید من المشاکل الاجتماعیة و غیرها.

فقد وأد و دفن فی القبور احیاء ما یقرب من ثمانین الف انسان (أو مائة الف کما قیل) فی حادثة واحدة، و هی فتنة مزدک، حتی أنه ظنّ انه قد قضی علی جذور تلک الفتنة و هو لا یعلم أنها لم تستأصل لأن مثل هذه الأسالیب القمعیة انما تقضی فقط علی المسبّب دون السبب، و تکافح المجرم لا الجرم.

(۲) لقد کان السبب الحقیقی وراء تلک الفتنة هو الظلم الاجتماعی، و الاختلاف الطبقیّ، و احتکار الثروة، و المنصب علی أیدی طبقة خاصّة و حرمان الاکثریة الساحقة من الشعب و غیر ذلک من المفاسد و کان علیه لو أراد الاصلاح أن یعالج هذه الامور لیأتی علی المشکلة من أساسها، و لکنه بدل ذلک کان یرید- بالقهر و القمع و فی ظلّ الحراب و السیاط- أن یظهر الناس انفسهم بمظهر الراضی و عن السلطة، الموافق علی تصرفاتها، و أحوالها و أوضاعها السیئة!!!

و من هنا نعرف بطلان الحدیث المرویّ عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

---

(۱) راجع شاهنامه (باللغة الفارسیة) و تاریخ اجتماعی ایران: ص ۶۱۸.

(۲)

فرستاده برگشت و شد با درم‌دل کفشگر زان درم پر ز غم

شب آمد، غمی شد ز گفتار شاه‌خروش جرس خواست از بارگاه

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۰۹

الذی قال فیه: «ولدت فی زمن الملک العادل» و یقصد به انوشیروان «۱».

(۱)

صفحة سوداء من جرائم خسرو برویز:

و من جرائم الملك خسرو برويز و مظالمه المنكرة ما فعله بوزيره الشهير «بزرجمهر» الذى خدم البلاط الشاهنشاهى الايرانىّ ثلاثة عشر عاما و كان ذلك موجبا لشهرته فى البلاد و حسن صيته بين الناس.

فقد عمد هذا الملك الى سجن الوزير المذكور، و النكاية به، و قد كتب الى الوزير المسجون رسالة يقول فيها: إنّ حظّك من العلم و المعرفة أنه عرضك للقتل!!

فاجابه «بزرجمهر» بقوله: «فقد انتفعت بعلمى ما دام قد حالفنى الحظ، و حيث عاكسنى الآن، فانّنى أصبر و أنتفع بصبرى، فإذا فاتنى فعل خير كثير فاننى سعيد لأنّنى لم أرتكب كذلك شرّا كثيرا و اذا ما سلبنى منصب الوزارة فانى فى الوقت نفسه قد استرحت كذلك من غم الحيف بالناس، فلا ابالى بما أنا فيه».

(٢) و لما بلغت هذه الرسالة الى الملك «برويز» استشاط غضبا، و أمر بقطع شفتى الوزير، و جدع أنفه، و عند ما عرف الوزير بهذا الأمر الظالم قال: أجل أن شفتى تستحقان اكثر من هذا.

فسأله خسرو برويز: و لما ذا؟ فقال: لأنهما وصفتاك عند العامة و الخاصة بما لا تستحق من الأوصاف، و اعطتاك ما ليس فيك من الخصال، فامالتا إليك القلوب، و رغّبتا فيك النفوس، و الافئدة، و اشاعتا عنك أمجادا لم تستحقها، يا أسوأ الملوك و أظلم الحكام، تقتلنى الآن بسوء الظن بعد أن كنت على يقين من وفائى، و صدقى، و اخلاصى، و سلامتى، فمن بعد هذا يأمل فى عدلك، و من بعد هذا يثق بقولك؟!

---

(١) راجع فى هذا المجال: تذكرة الموضوعات لابن الجوزى، اللئالى المصوغة فى الأحاديث الموضوعة للسيوطى، و كذا مجمع الزوائد للهيثمى.

سيد المرسلين ،ج١،ص:١١٠

(١) فازداد «خسرو برويز» لسماع هذه الكلمات الساخنة غضبا على غضب، و أمر من فوره بقتل الوزير، فضرب عنقه فى التوّ «١».

و تلك هى معاملة ذلك الملك الموصوف زورا بالعادل مع اقرب مقربيه، و اكثر معاونيه إخلاصا، و وفاء له فكيف كانت ترى معاملته مع سائر أفراد الرعية و بقية أفراد الشعب؟؟

(٢)

حكم التاريخ فى الملوك الساسانيين:

لقد اتخذ الحكام الساسانيّون فى عهودهم و حكوماتهم سياسة خشنة قاسية، و قد أخضعوا الناس بسلطانهم بالسيف و العنف.

كانوا يفرضون على الناس ضرائب ثقيلة و أتاوات باهضة قاصمة للظهور، و لهذا السبب كان عامة الشعب الايرانى غير راضين على حكمهم و سيرتهم، و لكنهم خوفا على نفوسهم، ما كانوا يتمكنون من الاعلان عن استيائهم هذا بل لم يكن لأرباب الفكر و الرأى، و العارفين بالامور شأن و لا قيمة فى البلاط الشاهنشاهى.

لقد بلغ الاستبداد لدى الحكام الساسانيين حدا لم يستطع معه أحد من إظهار رأيه، و لم يجرا احد على إبداء أية ملاحظة فى شأن من الشؤون.

لقد بلغت القوة بخسروبرويز حدا عجيبا وصفه الثعالبى بقوله:

قيل لخسرو برويز (كسرى) دعونا فلانا الوالى فتباطأ عن الامتثال، فأمر الملك من فوره قائلا ان كان يصعب عليه مجيئه ببدنه كله، فاننا

یکفینا شیء منه، فلیؤتی برأسه فحسب «۲».

---

(۱) یـذکر الفردوسـی الشـاعر الملحمی هـذه القصـة فی شاهنامته المعروفـة عنـد ذکر وقائع انوشـیروان اثناء حربه مع الروم (ج ۶، ص ۲۵۷– ۲۶۰).

(۲) ایران در عهد ساسانیان: ص ۳۱۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۱

(۱)

الفوضی فی الحکومة الساسانیة:

و ممّا یجب ان لا نغافل عن ذکره هو ما تعرضت له الحکومـة الساسانیة فی اواخر عهدها من الفوضـی الاداریة، و تفاقم الهرج و المرج فی جهازها الحکومی.

فقـد دبّ الصـراع و النزاع و نشب التنافس الحاد بین الأمراء، و الاعیان و قادة الجیش فی ذلک العهد و ذهب کل فریق یختار أمیرا من أبناء العائلة المالکة، و یقوم بتصفیة الطائفة الاخری التی اختارت أمیرا آخر.

و عند ما فکّر العرب المسلمون فی فتح إیران کانت العائلة الساسانیة المالکة قد بلغت ذروة الضعف و الانقسام.

و ممّیا یـدل علی ذلک تعاقب ما یقرب من (۱۴) ملکا علی مسـند الحکم و السـلطان خلال مـدّة اربعة اعوام من مقتل الملک «خسـرو برویز» و جلوس شیرویه مجلسه و حتی آخر ملک من ملوک بنی ساسان.

(۲) و هـذا یعنی أن حکومة إیران انتقلت خلال مدة لا تتجاوز اربعة اعوام من ید الی ید اخری (۱۴ مرة)!! و من الواضح ما یلحق بآیة دولة و مملکة تتعرض ل (۱۴) انقلاب یقتل فیه ملک، و یحل محله ملک آخر فی مثل هذه المدة القصیرة.

فقـد کـان کـل حـاکم یتسـلّم زمام الحکم و یسـتولی علی عرش السـلطان یعمـد إلی قتل و اغتیال کل من کان یطمع فی العرش، و لا یتورع فی سبیـل إرسـاء قواعـد حکمه من ارتکـاب کـل مـا یراه ضـروریا، فکـان الأـب یقتـل ابنه، و الابن یقتل أباه، و ربما یقتل الاخ إخوته، و الزوجة زوجها و هکذا ...

فقد قتل «شیرویه» أباه «۱» للحصول علی مقعد الحکم و السـلطان، کما أباد اربعین شـخصا من أبناء الملک «خسـرو برویز» ای إخوته!! «۲».

(۳) و کان «شـهربراز» یقتل کل من لا یثق به، و قد أدّی هذا إلی أن یقضـی علی کل أبناء سـلالته من الأمراء الساسانیین ممّن کان قد تسنّم عرش السلطان

---

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۱ ص ۲۹۶.

(۲) تاریخ اجتماعی ایران: ج ۲ ص ۱۵– ۱۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۲

و الملوکیة قبله، رجلا کان ذلک أم امرأة، صغیرا کان أم کبیرا، لکیلا یبقی فی الوجود من یطمع فی السلطان أو یدّعیه!!

و صـفوة القول: أن الفوضـی السیاسـیة بلغت فی أواخر العهـد الساسانی حـدا بحیث کانوا یجلسون فیه الأطفال و الصبیان و النساء علی اریکه الحکم، ثم یثورون علیهم و یقتلونهم بعد ایام أو أشهر و یحلون محلّهم أشخاصا آخرین!!

و على هذا فإن الدولة الساسانية رغم قوتها الظاهرية كانت آخذة فى الانحطاط و الانحلال و سائرة نحو التمزق و الفناء. (۱)

الفوضى الدينية فى ايران الساسانيين:

لقد كان أهم عامل للفوضى التى كانت تعانى منها الاوضاع فى العهد الساسانى هو الاختلاف فى المعتقدات الدينية التى كانت سائدة آنذاك.

فحيث أن «اردشير بن بابك» مؤسس السلسلة الساسانية كان ابن مؤبد (و هو رجل دين زردشتى) و قيّما على بيت ناز و قد تمكن من السلطان بفضل الموابدة فانه اجتهد فى الترويج لدين آبائه فى ايران.

و فى عهد الساسانيين كان الدين الرسمى و الشائع فى أوساط الشعب الإيرانى هو الدين الزرادشتى، و لما كانت السلالة الساسانية قد توصلت الى الحكم بواسطة الموابدة- كما أسلفنا- لذلك كان الموابدة و القيمون على بيوت النار (و نعنى بهم رجال الدين الزرادشتى) يحظون بمكانة كبرى لدى البلاط الساسانى إلى درجة أنهم أصبحوا يشكّلون فى أواخر العهد الساسانى أقوى طبقة، و أشد الاجنحة نفوذا فى المجتمع الإيرانى آنذاك.

(۲) و لقد كان الحكام الساسانيّون دائما ممّن رشحهم للحكم الموابدة و رجال الدين الزردشتى المجوسى، و لذلك كان الحكام يأتمرون بأوامرهم، و لو أن أحدا منهم خالف الموابدة عارضوه أشدّ المعارضة، و سحبوا عنه تأييدهم و دعمهم، و لهذا اجتهد الملوك الساسانيون فى كسب رضا الموابدة، و العناية بهم اكثر من غيرهم من الطبقات، و قد تسبّبت عناية اولئك الملوك بالموابدة و حمايتهم لهم فى تزايد

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۱۳

عددهم، يوما بعد يوم.

و قد كان الساسانيون يستغلون رجال الدين المجوس أكبر استغلال لتثبيت قواعد حكمهم، و تقوية مواقعهم فى السلطان و لذلك أقاموا فى مختلف مناطق القطر الإيرانى العريض بيوت النار، (و هى معابد المجوس) جاعلين فى كل واحد من هذه المعابد ثلة كبيرة من الموابدة كسدنة.

(۱) فقد كتب المؤرخون يقولون: ان «خسرو برويز» شيّد بيتا للنار عظيما و وكل به (۱۲ الف) هيربد (و هو منصب خاص و رتبة خاصة فى نظام القيادة الدينية المجوسية) لينشدوا فيه الاناشيد الدينية، و يؤدوا الطقوس و الشعائر المجوسية!! «۱».

و على هذا الاساس كان الدين المجوس دين البلاط، و كان رجاله فى خدمة الملوك.

هذا و قد اجتهد الموابدة- بكل ما فى وسعهم- فى إبقاء الطبقات الكادحة و المحرومة من ابناء الشعب الإيرانى فى حالة من الركود و الجمود و حالة عدم الاحساس بالآلام و الرضا بالأمر الواقع.

و لقد تسببت الصلاحيات الواسعة و الحريات المطلقة المخولة إلى الموابدة فى ابتعاد الناس عن الدين المجوسى و النفور منه، فجماهير الشعب كانت تبحث لنفسها عن غير ما يتدين به الأشراف من عقيدة و دين.

يقول مؤلف كتاب «تاريخ اجتماعى ايران» و قد سعى الشعب الإيرانى- فى المال- الى ان يتخلص من ضغوط الاشراف و الموابدة و اضطهادهم، و لهذا ظهر بين الزردشتيين فى قبال الدين الرسمى «المزدية الزردشتية» الذى كان دين البلاط كما عرفنا، و كان يدعى: بهدين (اى الدين الافضل) مذهبان آخران «۲».

(۲) اجل و بسبب ضغوط الاشراف و تشددات الموابدة فى العهد الساسانى ظهرت فى ايران مذاهب مختلفة الواحد تلو الآخر، و قد

حاول «مزدک» و من قبله «مانی» ان یوجدا بأنفسهما تحولا فی الاوضاع الدینیة و فی العقائد و المؤسسات،

---

(۱) تاریخ تمدن ساسانی: ج ۱ ص ۱ (بالفارسیة).

(۲) تاریخ اجتماعی ایران: ج ۲ ص ۲۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۴

ألّا أنهما منیا بالفشل فی هذا السبیل «۱».

(۱) فحوالی سنة (۴۹۷ میلادیـة) قام «مزدک»، و ألغی المالکیـة الانحصاریـة (الخاصـة)، و نسخ عادة تعدد الزوجات، و نظام الحریم و کان ذلک فی مقدمـة برامجه الاصـلاحیة، و قـد لقیت أفکاره هذه تأییدا قویا من قبل الطبقات المحرومة المسـحوقة التی فجرت بقیادة «مزدک» ثورة کبری، و انقلابا هائلا فی المجتمع الإیرانی.

و لقد کانت هذه الثورات و الانتفاضات الشـعبیة لأجل أن یتوصل الناس إلی حقوقهم المشـروعة، الممتوجه لهم من قبل اللّه خالقهم و بارئهم.

و لقـد قوبل مـذهب «مزدک» باعتراض شدیـد من قبل الموابـدة، و امراء الجیش، و جرّ إلی فتنة کبیرة، و الی تردی الاوضاع فی ایران آنذاک.

کما ان المـذهب الزردشتی قد فقد- فی أواخر العهد الساسانی- حقیقته بصورة کاملة، و وصل الأمر بعبادة النار و تقدیسـها إلی درجة أنهم کانوا یحرّمون الدقّ علی حدیدة محماة اکتسبت لون النار و لهیبها بمجاورتها لها.

و بکلمـة واحـدة؛ لقد کانت اکثر المعتقدات الزردشتیة المجوسـیة تتألف من الخرافات و الأساطیر، و قد أعطت حقائق هذا الدین- فی هـذا العهـد- مکانها لحفنة من الشـعائر الجوفاء، و الطقوس الفارغة، التی أضاف إلیها الموابدة سلسـلة من التشـریفات الطویلة العریضـة تثبیتا لمواقعهم، و دعما لمکانتهم فی المجتمع الإیرانی یومئذ.

(۲) لقـد بلغت سـیطرة الخرافات و الاساطیر البعیـدة عن العقل و المنطق علی هـذه العقیـدة، و رسوخها فی هـذا الـدین حـدا أقلق حتی رجـال الـدین الزردشتی انفسـهم أیضـا، و قـد کان بین الموابـدة أنفسـهم من أدرک منـذ البدایـة تفاهـة الطقوس و الشـعائر الزردشتیة الجوفاء، فتخلی عنها.

---

(۱) المذهب المانوی هو المذهب الزردشتی الخلیط بالمسیحیة، فقد اخترع مانی من مسلک قومی و آخر اجنبی مذهبا جدیدا ثالثا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۵

هذا من جانب

(۱) و من جانب آخر کان قـد انفتـح علی الشـعب الإیرانی منذ أیام الملک «أنوشـیروان» فما بعد طریق التفکیر، و التأمل، و التحقیق، و ممّا قد قوّی هذا الأمر ما حصل من اتصالات بین العقائد الزردشتیة و المعتقدات المسیحیة و غیرها من العقائد و الادیان و ما تحقق من تلاقح بینها نتیجة تسـلل الثقافة الیونانیة و الهندیة، و غیرها إلی الوسط الإیرانی، و تسبب کل ذلک فی یقظة الشعب الإیرانی، و لذلک اصبح یعانی من هذه الخرافات و الاساطیر التی کانت الدیانة الزردشتیة تعج بها اکثر من أی وقت مضی.

و علی أیـة حال فان الفساد الـذی ظهر فی أوساط رجال الدین الزردشت، و تطرق الخرافات و الاساطیر الواهیة الکثیرة الی المعتقدات الزردشتیة تسبّب فی حصول مزید من التشتت و الاختلاف و التشرذم فی آراء الشعب الإیرانی و عقیدته.

و مع ظهور هذا الاختلاف و علی أثر انتشار المذاهب المتنوعة ظهر روح الشک و التردد لدی الطبقة المفکرة و المثقفة، و سـرت منهم إلی بقیـة الاصـناف و الفئـات ممّـا أدی ذلـک إلی أن یفقـد جمـاهیر الشـعب ثقتها و ایمانها القطعی، و اعتقادها الکامل السابق بتلک

المعتقدات.

و هکـذا استشـری الهرج و المرج و عمّت الفوضـی و اللادینیة کل مناطق ایران و المجتمع الإیرانی، کما رسم «برزویه» الطبیب الشـهیر فی العهـد الساسـانی حیث صوّر نموذجا کاملا عن الاختلاف الاعتقادی و التشـرذم الفکری، و بالتالی اضـطراب الأوضاع الإیرانیـة فی العهد الساسانی، فی مقدمة «کلیلة و دمنة».

(۲)

الحروب الإیرانیة الرومیة:

لقد انقذ «بزرجمهر»- الوزیر الإیرانی الشـهیر الذی کان یحتل مکان الصدارة فی حکومة «انوشیروان» و کان موصوفا بالتدبیر و الکفاءة العالیة- ایران من الاخطار التی احدقت بها فی اکثر الاحایین، و لکن علاقته بالسلطان

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۶

(انوشـیروان) کانت تتأثر احیانا بسـعایة الساعین و وشایة الوشاة الذین کانوا یوغرون صدر الملک ضدّه فیستصدرون منه قرارا بحبسه و سجنه.

(۱) و قد أوغر هؤلاء السـعاة و الواشون أنفسهم صدر «انوشیروان» ضد امبراطور الروم، و ألّبوه علیه، و شجّعوه علی توسیع رقعة نفوذه، و توسـیع حدود بلاده و اضـعاف سـیطرة منافسه الخطیر، متجاهلا وثیقة «الصـلح الخالد» التی عقدها مع الروم و اتفق فیها الجانبان علی عدم التعرض بعضهم لبعض.

و أدی هذا التحریض بأنوشـیروان إلی مهاجمة الروم، و اشتعلت علی اثرها نیران الحرب، و استطاع جنود. ایران ان یفتحوا سوریة (و قد کانت مستعمرة رومیة) فی مدة قصیرة تقریبا، و حرق انطاکیة و نهب آسیا الصغری.

و بعـد عشـرین عامـا من القتال و سـفک الـدّماء، و الکرّ و الفر بین الروم و ایران و بعـد أن فقـد الجانبان قـدراتهم و طاقاتهم فی تلک المعارک الطاحنـة، و بعـد الخسائر العظیمـة التی تحمّلهما الطرفان اضـطرّا الی عقد وثیقة الصـلح مرة ثانیة، و حدّدوا حدود بلادهما، و مناطق نفوذهما کما کانت علیه فی السابق شریطة أن تدفع دولة الروم کل عام ما یعادل (عشرین الف) دینار الی دولة ایران.

(۲) و من الواضـح الـذی لا یخفی و لا یحتاج الی البیان أن حروبا طویلـة الآمـد تـدور رحاها بعیدا عن مرکز الدولة من شأنها ان تأتی بالنتائـج السیئة و التبعات الثقیلة علی اقتصاد الشـعب المحارب، و صـناعته و توجه إلی هذه الجوانب ضـربات قویة، لا تزول آثارها إلّا بعد زمان طویل خاصة مع ملاحظة الوسائل و الأدوات فی تلک العصور.

و مهما یکن فان هذه الحروب، و هذه الحملات المکلفة هیأت المقدمات الموجبة لسقوط الحکومة الإیرانیة الحتمی.

فان آثار هذه المعارک لم تزل بعد إلّا و قد نشـبت حرب اخری دامت سبعة اعوام فان «تی باریوس» امبراطور الروم بعد ان تسنم عرش السلطان هدد بحملاته الکبیرة استقلال الدولة الإیرانیة بدافع الانتقام.

و فی الأثناء- و قبل ان یتضح موقف الطرفین و موقعهما فی تلک المعارک من

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۷

الهزیمة أو الانتصار- مات «انوشیروان» و خلفه فی إدارة البلاد ابنه «خسرو برویز».

(۱) و قد حمل هذا الأخیر علی الروم أیضا، و ذلک عام (۶۱۴) بحجج معینة، و فتح فی أول حملة من حملاته: بلاد الشام و فلسطین و إفریقیة و نهب اورشلیم، و أحرق کنیسة القیامة و مزار السیّد المسیح (علیه السّلام) و هدم المدن، و دمرها.

و قد انتهت هذه الحرب بعد مقتل تسعین الف من النصاری لصالح الإیرانیین.

فی مثل هذه المرحلة التی کان فیها العالم المتحضر آنذاک یحترق- فی نیران الحروب و الظلم، بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالرسالة الاسلامیة، و بلغ نداؤه المحیی للنفوس و العقول سمع البشریة، و قام یدعو الناس إلی الصلح و السلم، و الی النظم و الامن.

(۲) و لقد أدّی انهزام الرومیین المتدینین، المؤمنین باللّه علی أیدی المجوس الکفار، عبدة النار، الی ان یتفاءل اهل مکة الوثنیون بهذا الحدث، و یحدّثوا (و یمنّوا) أنفسهم بالانتصار علی المسلمین المؤمنین باللّه عما قریب، و انطلقوا یرد دون هذه الامنیة أمام المسلمین و هم یحاولون بها إضعاف معنویّاتهم، و زعزعة إیمانهم، الأمر الذی أقلق المسلمین.

و لم یتخذ النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم موقفا تجاه هذه الظاهرة انتظارا لما سینزل به علیه الوحی الی ان نزلت آیات فی هذا المجال هی الآیات الاولی من سورة الروم التی تقول: «الم، غُلِبَتِ الرُّومُ فِی أَدْنَی الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَیَغْلِبُونَ. فِی بِضْعِ سِنِینَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ یَوْمَئِذٍ یَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ یَنْصُرُ مَنْ یَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ. وَعْدَ اللَّهِ لا یُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ» (۱).

(۳) و قد تحقّقت نبوءة القرآن هذه حول الروم فی عام (۶۲۷ میلادیة) حیث

---

(۱) الروم: ۱- ۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۸

استولی «هرقل» علی «نینوی» فی حملة واحدة.

و علی أیّة حال کانت الدولتان المتنافستان تطویان الدقائق و الساعات الأخیرة من حیاتهما فیما تستعدّان من ناحیة اخری لتجمیع القوی، و التهیؤ لشن حملات جدیدة، و خوض حروب و معارک اخری و لکن حیث أن الارادة الالهیة کانت قد تعلقت بأن یسطع علی تلک المنطقتین نور التوحید و تنتعش نفوس الرومیین و الفرس الذابلة المیتة بنسائم الإسلام الناعشة، و اشعته الهادیة، لذلک لم یلبث أن قتل «خسرو برویز» علی یدی ابنه «شیرویه» الذی لم یدم سلطانه بعد اغتیاله لأبیه اکثر من ثمانیة أشهر، ثم سادت ایران بعد «شیرویه» فوضی شاملة خلال اربعة اشهر، حیث تناوب علی مسند الحکم حکام و امراء عدیدون أربعة منهم من النساء، إلی أن أنهی الجیش الاسلامیّ بحملاته الناجحة هذه الاوضاع، و وضع نهایة لهذا الصراع السیاسی الحادّ الذی استمرّ خمسین عاما و الذی ساعد بدوره علی تقدم الفتوحات الإسلامیة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۹

(۱)

۴ أسلاف رسول الإسلام (ص)

اشارة

(۲)

۱- بطل التوحید: إبراهیم الخلیل علیه السّلام

اشارة

إن الهدف من استعراض حياة النبىّ العظيم إبراهيم الخليل عليه السّلام هو التعريف بأجداد النبىّ محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أسلافه، لانتهاء نسبه الشريف إلى النبىّ إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السّلام، و حيث ان لهاتين الشخصيتين العظيمتين و بعض أسلاف النبىّ العظام نصيب هامّ فى تاريخ العرب و الإسلام، لهذا ينبغى الحديث عن أحوالهم بصورة مختصرة، خاصّة أنّ حوادث التاريخ الإسلامى ترتبط ارتباطا كاملا- كحلقات سلسلة واحدة- بالحوادث السابقة، او المقارنة لبزوغ الإسلام.

(٣) فعلى سبيل المثال تعتبر كفالة «عبد المطلب» لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حمايته له، و جهود «ابى طالب» و دفاعه الطويل عن النبىّ، و عظمة الهاشميين و سموّ مقامهم و اخلافهم، و جذور معاداة الأمويين لهم، الاسس و القواعد الموضوعية لحوادث التاريخ الإسلامى، و لهذا كان لا بدّ من تخصيص فصل كامل فى التاريخ الإسلامى لهذه الابحاث.

إنّ فى حياة حامل راية التوحيد النبىّ «إبراهيم الخليل» عليه السّلام نقاطا مشرقة و بارزة جدا.

فجهاده العظيم فى سبيل ارساء قواعد التوحيد و اقتلاع جذور الوثنية ممّا

سيد المرسلين ،ج ١،ص:١٢٠

لا ينسى.

و هكذا حواره اللطيف و الزاخر بالمعانى مع عبدة النجوم و الكواكب فى عصره و الذى ذكره القرآن الكريم لمعرفتنا، افضل و اسمى درس توحيدى لطلاب الحقيقة و بغاة الحق.

(١)

مولد إبراهيم:

لقد ولد بطل التوحيد فى بيئة مظلمة كانت تسربلها ظلمات الوثنية، و عبادة البشر ... فى بيئة كان الإنسان فيها يخضع لأصنام نحتها بيديه، كما يخضع لكواكب و نجوم.

لقد ولد حامل لواء التوحيد: «إبراهيم الخليل» عليه السّلام فى «بابل» الذى يعدّها المؤرخون إحدى عجائب الدنيا السبع، و يذكرون حولها قصصا و امورا كثيرة تنبئ عن عظمتها و أهمية حضارتها، فيقول «هيرودتس» المؤرخ المعروف- مثلا-: لقد كانت بابل بنية بشكل مربّع طول كل ضلع من اضلاعه الاربعة (١٢٠ فرسخا) و محيطه (٤٨٠ فرسخا) «١».

إنّ هذا الكلام مهما كان مبالغا فيه إلّا أنه على كل حال يكشف عن حقيقة لا تقبل الإنكار، إذا ما ضمّ إلى ما كتبه الآخرون عن تلك المدينة التاريخية.

(٢) غير اننا لا نرى من تلك المدينة اليوم و من مناظرها الجميلة، و قصورها الرائعة، إلّا تلّا من التراب فى منطقة بين «دجلة» و «الفرات»، فالموت يخيّم على كل تلك المنطقة، اللّهم الا عند ما يكسر علماء الآثار بتنقيباتهم جدار الصمت أحيانا، بحثا عن آثار تلك المدينة، و يستخرجون بقاياها الموقوف على معالم من حضارة اصحابها و سكانها.

لقد فتح رائد التوحيد و مرسى اركانه «إبراهيم الخليل» عليه السّلام عينيه

---

(١) قاموس الكتاب المقدّس، مادّة بابل.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:١٢١

فى دولة «نمرود بن كنعان».

و كان نمرود هذا رغم أنه يعبد الصنم يدّعى الالوهيّة و يأمر الناس بعبادته.

(۱) و قـد یبـد و هـذا الأمر عجیبا جـدا فکیف یمکن ان یکون الشـخص عابد صـنم و مع ذلک یدّعی الالوهیة فی الوقت نفسه، إلّا أن القرآن الکریم یذکر لنا نظیر هذه المسألة فی شأن «فرعون مصـر»، و ذلک عند ما هزّ النبی موسی بن عمران علیه السّلام قواعد العرش الفرعونی بمنطقه القویّ، و حجته الصاعقة، فاعترض أنصار فرعون و ملأوه علی هذا الأمر، و خاطبوا فرعون بلهجة معترضة قائلین:

«أَ تَذَرُ مُوسی وَ قَوْمَهُ لِیُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ وَ یَذَرَکَ وَ آلِهَتَکَ» «۱».

(۲) و من الواضح جدّا أن «فرعون» کان یدعی الالوهیة فهو الذی کان یقول:

«أَنَا رَبُّکُمُ الْأَعْلی» «۲» و هو القائل: «ما عَلِمْتُ لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرِی» «۳» و لکنه کان فی الوقت نفسه عابد صنم و وثنیا.

بیـد أنّ هـذه الازدواجیـة لیست بأمر غریب عنـد الوثنیین، و لا یمنع مانع فی منطقهم أن یکون الشـخص نفسه وثنیا یعبـد الصـنم، و مع ذلک یـدّعی أنه إله و یـدعو الناس إلی عبادته فیکون الها معبودا، یعبـد الها أعلی منه، لأن المقصود من المعبود و الاله لیس هو خالق الکون بل هو من یتفوّق علی الآخرین بنحو من أنحاء التفوق و یمتلک زمام حیاتهم بشکل من الإشکال.

هذا و التاریخ یحدثنا أن العوائد فی بلاد الروم کانت تعبد کبارها و مع ذلک کان اولئک الکبار المعبودین انفسـهم یتخذون لأنفسهم معبودا أو معبودات اخری.

(۳) إن أکبر وسـیلة توسّل بها «نمرود» فی هذا السبیل هو اسـتقطاب جماعة من الکهنة و المنجمین الذین کانوا یعدّون الطبقة العالمة و المثقّفة فی ذلک العصر.

فقد کان خضوع هذه الطبقة یمهّد لاستعمار الطبقة المنحطة و غیر الواعیة من الناس.

هذا مضافا إلی أنه کان یناصر «نمرود» بعض من ینتسب إلی «الخلیل»

---

(۱) الأعراف: ۱۲۷.

(۲) النازعات: ۲۴.

(۳) القصص: ۳۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۲۲

علیه السّلام بوشیجة القربی مثل «آزر» الذی کان یصنع التماثیل، و کان عارفا بأحوال النجوم و الفلک أیضا، و کان هذا هو الآخر أحد العراقیل التی کانت تمنع الخلیل من انجاح مهمته، لأنه مضافا إلی مخالفة الرأی العام له، کان یواجه مخالفة أقاربه أیضا.

(۱) لقـد کـان نمرود غارقا فی عالم خیالی عنـد ما دقّ المنجمون فجأة أول ناقوس للخطر و قالوا له: سوف تنهار حکومتک، و یتهاوی عرشک و سـلطانک علی ید رجل یولد فی تلک البیئة، الأمر الذی أیقظ أفکاره النائمة، فتساءل من فوره: و هل ولد هذا الرجل؟ فقیل له: لا، انه لم یولد بعد. فأمر من فوره بعزل الرجال عن النساء (و ذلک فی اللیلة التی انعقدت فیها نطفة ابراهیم الخلیل علیه السّلام عدو نمرود، و هـادم ملکه، و مزیـل سـلطانه و هی اللیلـة التی حـددها و تکهن بهـا المنجمون و الکهنـة من انصـار نمرود) و مع ذلـک کان جلاوزة «نمرود» یقتلون کل ولید ذکر، و کان علی القوابل ان یسجّلن اسماء الموالید فی مکتبه الخاص.

و لقد اتفق أن انعقدت نطفة «الخلیل» فی نفس اللیلة التی منع فیها ای لقاء جنسی بین الرجال، و ازواجهم.

لقـد حملت أم إبراهیم به کمـا حملت أمّ موسـی به، و امضت فترة حملها فی خفاء و تستر، ثم لجأت بعـد وضع ولیـدها العزیز الی غار بجبل علی مقربة من المدینة حفاظا علیه، و راحت تتفقده بین حین و آخر من اللیل و النهار، قدر المستطاع.

و قد أرضی هذا الاسلوب الظالم «نمرودا» و أراح باله بمرور الزمن، اذ أیقن بانه قد قضی به علی عدو عرشه، و هادم سلطانه، و تخلص منه.

(۲) لقد قضـی «إبراهیم» علیه السّـلام ثلاثة عشـر عاما فی ذلک الغار الذی کان یتصل بالعالم الخارجی عبر باب ضیّق، ثم أخرجته أمه

من ذلك الغار بعد ثلاثة عشر عاما، و دخل «إبراهيم» فى المجتمع، فاستغرب المجتمع النمرودى وجوده و انكروه «۱».

---

(۱) تفسير البرهان: ج ۱ ص ۵۳۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۳

(۱) لقد خرج «إبراهيم» من الغار، مؤمنا باللّه بفطرته، و قوّى توحيده الفطرى، بمشاهدة الأرض و السماء، و النظر فى سطوع الكواكب و النجوم و التأمل فى ما يجرى فى عالم النبات من نمو و حركة إلى غير ذلك ممّا يجرى فى عالم الطبيعة العجيب.

لقد واجه إبراهيم عليه السّلام بعد خروجه من الغار جماعة من الناس بهرتهم أحوال الكواكب و عظمة أمرها، ففقدوا عقولهم تجاه هذه الظاهرة، كما راى جماعة اخرى أحطّ فكريّا من سابقتها يعبدون اصناما منحوتة، بل واجه ما هو اسوأ بكثير من أعضاء الطوائف و الجماعات الضالة اذ رأى رجلا يستغل جهل الناس و غبائهم و يدعى الالوهية و يفرض عليهم عبادته و الخضوع له!!

لقد كان إبراهيم عليه السّلام يرى أنّ عليه أن يهيّىء نفسه لخوض المعركة فى هذه الجبهات الثلاث المختلفة، و قد نقل القرآن الكريم قصة نضال النبىّ «إبراهيم» عليه السّلام فى هذه الاصعدة و الجبهات الثلاث و سننقل لك فى ما يأتى و باختصار ما ذكره القرآن فى هذا المجال.

(۲)

إبراهيم و مكافحته للوثنية:

كانت ظلمات الوثنية قد خيّمت على منطقة بابل (موضع ولادة الخليل) برمتها.

فالآلهة المدّعاة، و المعبودات (السماوية و الارضية) الباطلة قد سحرت عقول مختلف فئات الشعب، فبعضها فى نظرهم هى أرباب القدرة و السلطة، و بعضها الآخر وسيلة الزلفى و التقرب الى اللّه إلى غير ذلك من التصورات السخيفة فى هذا الصعيد.

و حيث أن طريقة الأنبياء فى هداية البشرية و ارشادهم هى الاستدلال بالبراهين، و الاحتجاج بالمنطق، لانهم إنما يتعاملون مع قلوب الناس و عقولهم، و يبتغون ايجاد حكومة تقوم على أساس الإيمان و اليقين. و مثل هده الحكومة لا يمكن اقامتها بالسيف او بالنار و الحديد. لهذا يبدءون حركتهم بالتوعية الفكرية.

إن علينا أن نفرق بين الحكومات التى يريد الأنبياء تأسيسها، و حكومة

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۴

الفراعنة و النماردة.

(۱) ان هدف الطائفة الثانية هو: الرئاسة و الزعامة، و الحفاظ عليها بكل وسيلة ممكنة فى حياتهم، و ان تلاشت و تهاوت من بعدهم.

و لكن الأنبياء و الرسل يريدون حكومة تبقى قائمة فى جميع الحالات و ماثلة فى جميع الاوقات، فى الخلوة و الجلوة، فى وقت الضعف، و فى وقت القوة، فى حياتهم و بعد مماتهم ... انهم يريدون أن يحكموا على القلوب لا على الابدان، و هذا الهدف لا يتحقق ابدا عن طريق القوة و استخدام العنف و القهر!! انما يتحقق عن طريق الحجة و البرهان.

(۲) لقد بدأ النبى «إبراهيم» عمله بمكافحة ما كان عليه أقرباؤه الذين كان فى طليعتهم و على رأسهم «آزر» و هو الوثنية و عبادة الاصنام، و لكنه لم ينته من هذه المعركة و لم يحرز انتصارا كاملا فى هذه الجبهة بعد إلّا و واجه عليه السّلام جبهة اخرى، و كانت هذه الجماعة أعلى مستوى من افراد الجماعة السابقة فى الفهم و الثقافة. لان هذه الجماعة- على خلاف أقرباء إبراهيم قد نبذت عبادة الأوثان و الأصنام «۱»، و المعبودات الارضية الحقيرة، و توجهت بعبادتها و تقديسها الى الكواكب و النجوم و الاجرام السماوية.

و لقد بیّن «الخلیل» علیه السّلام فی حواره العقائدی مع عبّاد الاجرام السماویة، و مکافحته لمعتقداتهم الفاسدة، سلسلة من الحقائق الفلسفیة و العلمیة التی لم یصل إلیها الفکر البشری یومذاک، و ذلک ببیان بسیط مدعوم بأدلة لا تزال الی الیوم موضع اعجاب کبار العلماء، و رواد الفلسفة و الکلام.

و الأهم من ذلک- فی هذا المجال- أن القرآن الکریم نقل أدلة «إبراهیم الخلیل» علیه السّلام باهتمام خاص و عنایة بالغة و لهذا ینبغی لنا أن نتوقف عندها قلیلا، و هذا ما سنفعله فی هذه الصفحات.

---

(۱) ترتبط آیة ۷۴ من سورة الأنعام بحواره علیه السّلام مع الوثنیّین، بینما ترتبط الآیات اللاحقة لها بعبدة الأجرام السماویة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۲۵

حوار الخلیل مع عبدة الکواکب:

(۱) ذات لیلة وقف إبراهیم علیه السّلام عند ابتداء مغیب الشمس یتطلع فی السماء- و هو ینوی هدایة الناس- و بقی ینظر الی النجوم و الکواکب من أول الغروب من تلک اللیلة الی الغروب من اللیلة التالیة، و خلال هذه الساعات الأربع و العشرین حاور و جادل ثلاث فرق، من عبدة النجوم و ابطل عقیدة کل فرقة منها بأدلة محکمة، و براهین متقنة قویة.

فعند ما أقبل اللیل و خیّم الظلام علی کل مکان و هو یخفی کل مظاهر الوجود و معالمه فی عالم الطبیعة ظهر کوکب «الزهرة» من جانب الافق و هو یتلألأ.

فقال إبراهیم لعباد هذا الکوکب- و هو یتظاهر بموافقتهم جلبا لهم، و مقدمة للدخول معهم فی حوار-: «هذا ربی».

و عند ما افل ذلک الکوکب و غاب عن الانظار قال: «لا احب الآفلین».

و بمثل هذا المنطق الجمیل أبطل عقیدة عبدة الزهرة، و اظهر خواءها و فسادها.

(۲) ثمّ إنه علیه السّلام نظر الی کوکب القمر المنیر الذی یسحر القلوب بنوره وضوئه، فقال- متظاهرا بموافقة عبدة القمر-: «هذا ربی» ثم ردّ باسلوب منطقی محکم تلک العقیدة أیضا، عند ما امتدت ید القدرة المطلقة و لملمت أشعة القمر من عالم الطبیعة، و عندها اتّخذ ابراهیم علیه السّلام هیئة الباحث عن الحقیقة و من دون أن یصدم تلک الفرق المشرکة و یجرح مشاعرها اذ قال: «لَئِنْ لَمْ یَهْدِنِی رَبِّی لَأَکُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّینَ» «۱» لأن القمر قد أفل أیضا کما أفل سابقه فهو کغیره أسیر نظام علویّ لا یتخلف، و ما کان کذلک لا یمکن ان یعدّ ربا یعبد، و یتوجه إلیه بالتقدیس و التضرع.

(۳) و لما ولّی اللیل و أدبر، و اکتسحت الشمس الوضاءة باشعتها حجب

---

(۱) الأنعام: ۷۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۲۶

الظلام، و بثت خیوطها الذهبیة علی الوهاد و السهول، و التفت عبدة الشمس الی معبودهم، تظاهر ابراهیم بالاقرار بربوبیتها اتباعا لقواعد الجدل و المناظرة و لکن افول الشمس و غروبها اثبت هو الآخر بطلان عبادتها أیضا بعد أن اثبت خضوعها للنظام الکونی العام، فتبرأ «الخلیل» علیه السّلام من عبادتها بصراحة.

و عندئذ أعرض علیه السّلام عن تلک الطوائف الثلاث و قال: «إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِیفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ» «۱».

لقـد كـان المخـاطبين فى كلام إبراهيم عليه السّـلام هم الـذين يعتقـدون بأن تـدبير الكائنات الارضـية، و منها الإنسان، قـد انيطت إلى الاجرام السماوية و فوضت إليها!!

(۱) و هذا الكلام يفيد أن الخليل عليه السّلام لم يقصد المطالب الثلاث التالية:

۱- اثبات الصانع (الخالق).

۲- توحيد الذات و أنه واحد غير متعدد.

۳- التوحيد فى الخالقية، و أنه لا خالق سواه.

بل كان تركيزه عليه السّـلام على التوحيـد فى «الربوبية» و «التدبير» و ادارة الكون، و انه لا مدبّر و لا مربى للموجودات الأرضـية إلّا اللّه سبحانه و تعالى، و من هنا فانه عليه السّـلام فور إبطاله لربوبية الاجرام السماوية قال: «وجّهت وجهى للّذى فطر السماوات و الأرض ...» و هو يعنى ان خالق السـماوات و الأرض هو نفسه مـدبرها و ربها، و انه لم يفوّض أى شـىء من تدبير الكون،- لا كله و لا بعضه- الى الاجرام السماوية، فتكون النتيجة: أن الخالق و المدبر واحد لا أن الخالق هو اللّه و المدبر شىء آخر.

(۲) و لقـد وقع المفسـرون، و الباحثون فى معارف القرآن فى خطأ، و التباس عند التعرض لمنطق «إبراهيم» عليه السّـلام و شـرح حواره هذا، حيث تصوروا أن الخليل عليه السّلام قصد نفى «ألوهية» هذه الأجرام يعنى الالوهية التى تعتقد بها

---

(۱) الأنعام: ۷۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۷

جميع شعوب الأرض و يكون هذا الكون الصاحب آية وجوده.

(۱) بينما تصوّر فريق آخر ان «إبراهيم» كان يقصد نفى «الخالقية» عن هذه الأجرام السـماوية، لأنه من الممكن ان يخلق إله العالم كائنا كامل الوجود و الصـفات ثم يفوض إليه مقام الخالقية فى حين أن هذين التفسيرين غير صحيحين، بل كان هدف الخليل عليه السّلام- بعـد التسـليم بوجود إله واجب الوجود، و توحيده، و وحدانية الخالق- البحث فى قسم آخر من التوحيد، الا و هو التوحيد «الربوبى»، و بالتالى اثبات أن خالق الكون هو نفسه مدبر ذلك الكون أيضا، و عبارة: «وجّهت وجهى ...» أفضل شاهد على هذا النوع من التفسير.

من هنا كان التركيز الأكبر فى بحث ابراهيم على مسألة «الربّ» و «الربوبية» فى صعيد الاجرام كالقمر و الزهرة و الشمس «۱».

(۲) هذا و استكمالا للبحث الحاضر لا بدّ من توضيح برهان النبىّ «ابراهيم» عليه السّلام.

لقد استدل «ابراهيم» فى جميع المراحل الثلاث بافول هذه الاجرام على أنها لا تليق بتدبير الظواهر الارضية و بخاصة الإنسان.

و هنا ينطرح سؤال: لما ذا يعتبر افول هذه الاجرام شاهدا على عدم مدبّريتها؟

إن هذا الموضوع يمكن بيانه بصور مختلفة، كل واحدة منها تناسب طائفة معينة من الناس.

ان تفسير منطق «الخليل» عليه السّـلام و اسـلوبه فى إبطال مدبّريه الاجرام السماوية و ربوبيّتها بأشكال و صور مختلفة أفضل شاهد على أن للقرآن الكريم أبعادا مختلفة و أن كل بعد منها يناسب طائفة من الناس.

---

(۱) لقـد بيّنا مراتب التوحيـد من وجهـة نظر القرآن الكريم فى كتابنا «معالم التوحيـد فى القرآن الكريم» و أثبتنا هناك أنّ التوحيد فى الـذات غير التوحيـد فى الخالقية، و أن هذين النوعين من التوحيد غير التوحيد فى الربوبية، و هى غير المراتب الاخرى للتوحيد، فراجع الكتاب المذكور تقف على هذه الحقيقة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۸

(۱) و إليك فى ما يلى التفاسير المختلفة لهذا الاستدلال:

(۲) الف: إن الهدف من اتخاذ الربّ هو أن يستطيع الكائن الضعيف في ظل قدرة ذلك الرب من الوصول الى مرحلة الكمال و لا بدّ ان يكون لمثل هذا الربّ ارتباط قريب مع الموجودات المراد تربيتها بحيث يكون واقفا على أحوالها، غير منفصل عنها، و لا غريب عليها.

و لكن كيف يستطيع الكائن الذى يغيب ساعات كثيرة عن الفرد المحتاج إليه فى التربية و يحرم ذلك الفرد من فيضه و بركته، ان يكون ربا للموجودات الأرضية و مدبرا لها؟!

من هنا يكون افول النجم، و غروبه، الذى هو علامة غربته و انقطاعه عن الموجودات الارضية خير شاهد على أن للموجودات الأرضية ربّا آخر، منزها عن تلك النقيصة عاريا عن ذلك العيب.

(۳) باء: انّ طلوع الأجرام السماوية و غروبها و حركتها المنظمة دليل على أنها جميعا خاضعة لمشيئة فوقها، و انها فى قبضة القوانين الحاكمة عليها، و الخضوع لقوانين منظمة هو بذاته دليل على ضعف تلك الموجودات، و مثل هذه الموجودات الضعيفة لا يمكن أن تكون حاكمة على الكون، أو شىء من الظواهر الطبيعية، و أما استفادة الموجودات الارضية من نور تلك الاجرام وضوئها فلا يدل أبدا على ربوبية تلك الأجرام، بل هو دليل على أن تلك الأجرام تؤدّى وظيفة تجاه الموجودات الأرضية بأمر من موجود أعلى.

و بعبارة اخرى: إن هذا الأمر دليل على التناسق الكونى، و ارتباط الكائنات بعضها ببعض.

(۴) جيم: ما هو الهدف من حركة هذه الموجودات؟ هل الهدف هو أن تسير من النقص إلى الكمال أو بالعكس؟

و حيث أن الصورة الثانية غير معقولة، و على فرض تصورها لا معنى لأن يسير المربّى و المدبر للكون من مرحلة الكمال الى النقص و الفناء، يبقى الفرض. الاول و هو بنفسه دليل على وجود مربّ آخر يوصل هذه الموجودات القوية فى ظاهرها

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۹

من مرحلة الى مرحلة، هو- فى الحقيقة- الربّ الذى يبلغ بهذه الموجودات و ما دونها إلى الكمال.

(۱)

طريقة الأنبياء فى الحوار و الجدال:

لقد اسلفنا فى ما سبق أن «ابراهيم»- بعد خروجه من الغار- واجه صنفين منحرفين عن جادة التوحيد هما:

۱- الوثنيون.

۲- عبدة الاجرام السماوية.

و لقد سمعنا حوار «ابراهيم» عليه السّلام و جداله مع الفريق الثانى، و علينا الآن أن نعرف كيف حاور الوثنيين و عبدة الاصنام؟

(۲) إن تاريخ الأنبياء و الرسل يكشف لنا عن أنهم كانوا يبدءون دعوتهم من انذار الاقربين ثم يوسعون دائرة الدعوة لتشمل عامة الناس كما فعل رسول الإسلام فى بدء دعوته حيث بدأ بانذار عشيرته الاقربين لما امره اللّه تعالى بذلك اذ قال: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» «۱». و بذلك أسّس دعوته على إصلاح اقربائه و عشيرته.

و لقد سلك «الخليل» عليه السّلام نفس هذا المسلك أيضا إذ بدأ عمله الاصلاحى باصلاح اقربائه.

و لقد كان لآزر بين قومه مكانة اجتماعية عليا فهو- مضافا إلى معلوماته فى الصناعة و غيرها- كان منجما ماهرا، و ذا كلمة مسموعة و رأى مقبول فى بلاط «نمرود» فى كل ما يخبر به من أخبار النجوم، و كل ما يستخرجه و ما يستنبطه من الامور الفلكية و يذكره من تكهنات.

(۳) لقد ادرك «ابراهيم» انه بجلبه لآزر (عمّه) يستطيع ان يسيطر على اوساط الوثنيين، و يجردهم من ركيزة هامة من كبريات

رکائزهم، و لهذا بادر الى منع

---

(۱) الشعراء: ۲۱۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۳۰

عمّه آزر- و بافضل الاسالیب- عن عبادة الاوثان، بید أن بعض الأسباب أوجبت أن لا یقبل «آزر» بنصائح «ابراهیم» علیه السّلام، و المهم لنا فی هذا المجال هو ان نتعرف علی کیفیة دعوة الخلیل و علی اسلوب حواره مع «آزر».

ان الامعان فی الآیات التی تنقل حوار «ابراهیم» علیه السّلام مع «آزر» توضح لنا أدب الأنبیاء، و اسلوبهم الرائع فی الدعوة و الارشاد، و لنقف عند حوار ابراهیم و دعوته، لیتضح لنا ذلک.

یقول القرآن الکریم عن ذلک: «إِذْ قالَ لِأَبِیهِ یا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا یَسْمَعُ وَ لا یُبْصِرُ وَ لا یُغْنِی عَنْکَ شَیْئاً: یا أَبَتِ إِنِّی قَدْ جاءَنِی مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ یَأْتِکَ فَاتَّبِعْنِی أَهْدِکَ صِراطاً سَوِیًّا. یا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّیْطانَ إِنَّ الشَّیْطانَ کانَ لِلرَّحْمنِ عَصِیًّا. یا أَبَتِ إِنِّی أَخافُ أَنْ یَمَسَّکَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَکُونَ لِلشَّیْطانِ وَلِیًّا».

(۱) فاجابه «آزر» قائلا: «أَ راغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِی یا إِبْراهِیمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّکَ وَ اهْجُرْنِی مَلِیًّا».

و لکن «ابراهیم» بسعة صدره و عظمة روحه تجاهل ردّ «آزر» العنیف ذلک و أجابه قائلا: «سلام علیک سأستغفر لک ربّی» «۱».

و أیّ جواب أفضل من هذا البیان و أیّ لغة ألین من هذه اللغة و احبّ الى القلب، و اکثر رحمة و لطفا.

(۲)

هل کان آزر والد إبراهیم؟

ان الظاهر من الآیات المذکورة و کذا الآیة (۱۱۵) من سورة «التوبة» و الآیة (۱۴) من سورة الممتحنة هو: أنّ «آزر» کان والد إبراهیم علیه السّلام.

و قد کان إبراهیم یسمیه أبا فی حین کان «آزر» وثنیا، فکیف یصح ذلک و قد اتفقت کلمة علماء الشیعة عامة علی کون والد النبیّ الکریم «محمّد»

---

(۱) مریم: ۴۲- ۴۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۳۱

صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و جمیع الأنبیاء مؤمنین باللّه سبحانه موحدین ایاه تعالی.

و لقد ذکر الشیخ المفید رضوان اللّه علیه فی کتابه القیم «أوائل المقالات» «۱» ان هذا الأمر هو موضع اتفاق علماء الشیعة الامامیة کافة بل وافقهم فی ذلک کثیر من علماء السنة أیضا.

و فی هذه الصورة ما هو الموقف من ظواهر الآیات المذکورة التی تفید ابوّة «آزر» لإبراهیم، و ما هو الحل الصحیح لهذه المشکلة (۱) یذهب أکثر المفسّرین إلی أن لفظة «الأب» و ان کانت تستعمل عادة فی لغة العرب فی «الوالد»، إلّا أن مورد استعمالها لا ینحصر فی ذلک.

بل ربما استعملت- فی لغة العرب و کذا فی مصطلح القرآن الکریم- فی:

(العمّ) أیضا. کما وقع ذلک فی الآیة التالیة التی استعملت فیها لفظة الأب بمعنی العم اذ یقول سبحانه:

«إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك و إله آبائك إبراهيم و اسماعيل و إسحاق إلها واحدا و نحن له مسلمون» «٢»

فإنّ ممّا لا ريب فيه أن «اسماعيل» كان عما ليعقوب لا والدا له، فيعقوب هو ابن اسحاق، و اسحاق هو أخو اسماعيل.

و مع ذلك سمّى أولاد يعقوب «اسماعيل» الذى كان (عمّهم) أبا.

(٢) و مع وجود هذين الاستعمالين (استعمال الاب فى الوالد تارة، و فى العم تارة اخرى) يصبح احتمال كون المراد بالاب فى الآيات المرتبطة بهداية «آزر» هو العمّ أمرا واردا، و بخاصة إذا ضممنا الى ذلك قرينة قوية فى المقام و هى:

اجماع العلماء الذى نقله المفيد رحمه اللّه على طهارة آباء الأنبياء و اجدادهم من رجس الشرك و الوثنية.

و لعل السبب فى تسمية النبى «ابراهيم» عمّه بالأب هو أنه كان الكافل

---

(١) أوائل المقالات: ص ١٢ باب القول فى آباء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

(٢) البقرة: ١٣٣.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:١٣٢

لإبراهيم ردحا من الزمن، و من هنا كان «ابراهيم» ينظر إليه بنظر الأب، و ينزله منزلة الوالد.

(١)

القرآن ينفى ابوّة «آزر» لإبراهيم:

و لكى نعرف رأى القرآن الكريم فى مسألة العلاقة بين «آزر» و «ابراهيم» عليه السّلام نلفت نظر القارئ الكريم الى توضيح آيتين:

(٢) ١- لقد أشرقت منطقة الحجاز بنور الايمان و الإسلام بفضل جهود النبىّ «محمّد» صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تضحياته الكبرى، و آمن اكثر الناس به عن رغبة و رضا، و علموا بأن عاقبة الشرك، و عبادة الاوثان و الاصنام هو الجحيم و العذاب الاليم.

إلّا أنهم رغم ابتهاجهم و سرورهم بما وفقوا له من إيمان و هداية، كانت ذكريات آبائهم و امهاتهم الذين مضوا على الشرك و الوثنية تزعج خواطرهم و تثير شفقتهم، و اسفهم.

و كان سماع الآيات التى تشرح أحوال المشركين فى يوم القيامة يحزنهم و يؤلمهم، و بغية ازالة هذا الالم الروحى المجهد طلبوا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يستغفر لآبائهم و امهاتهم كما فعل «إبراهيم» فى شأن «آزر» فنزلت الآية فى مقام الردّ على طلبهم ذاك، اذ قال سبحانه:

«ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ. وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» «١».

إنّ ثمت قرائن كثيرة تدل على أنّ محادثة النبىّ «إبراهيم» و حواره مع «آزر» و وعده بطلب المغفرة له من اللّه سبحانه قد انتهى إلى قطع العلاقات،

---

(١) التوبة: ١١٣ و ١١٤.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:١٣٣

و التبرّى منه فى عهد فتوّة «إبراهيم»، و شبابه، أى عند ما كان «إبراهيم» لا يزال فى مسقط رأسه «بابل» و لم يتوجه بعد الى فلسطين و مصر و أرض الحجاز.

إننا نستنتج من هذه الآية أن «إبراهيم» قطع علاقته مع «آزر»- فى أيام شبابه- بعد ما أصرّ «آزر» على كفره، و وثنيته، و لم يعد يذكره الى آخر حياته.

(۱) ۲- لقد دعا «إبراهيم» عليه السّلام فى اخريات حياته- أى فى عهد شيخوخته- و بعد أن فرغ من تنفيذ مهمته الكبرى (تعمير الكعبة) و اسكان ذريته فى أرض مكة القاحلة، دعا و بكل اخلاص و صدق جماعة منهم والداه، و طلب من اللّه إجابة دعائه، إذ قال فى حين الدعاء:

«رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ» «۱».

إن هذه الآية تفيد بصراحة- أن الدعاء المذكور كان بعد الفراغ من بناء الكعبة المعظمة، و تشييدها، يوم كان إبراهيم يمر بفترة الشيخوخة، فاذا كان مقصوده من الوالد فى الدعاء المذكور هو «آزر» و انه المراد له المغفرة الالهية كان معنى ذلك أن «ابراهيم» كان لم يزل على صلة ب «آزر» حتى أنه كان يستغفر له فى حين أن الآية التى نزلت ردا على طلب المشركين أوضحت بأن «إبراهيم» كان قد قطع علاقاته ب «آزر» فى أيّام شبابه، و تبرّأ منه، و لا ينسجم الاستغفار مع قطع العلاقات.

إن ضمّ هاتين الآيتين بعضهما الى بعض يكشف عن أنّ الذى تبرّأ منه «ابراهيم» فى أيام شبابه، و قطع علاقاته معه، و اتخذه عدوا هو غير الشخص الذى بقى يذكره، و يستغفر له الى اخريات حياته «۲».

(۲)

إبراهيم محطّم الأصنام:

لقد حلّ موسم العيد، و خرج أهل بابل المغفّلين الجهلة إلى الصحراء للاستجمام، و لقضاء فترة العيد، و إجراء مراسيمه، و قد أخلوا المدينة.

---

(۱) إبراهيم: ۴۱.

(۲) مجمع البيان: ج ۳ ص ۳۲۱، و الميزان: ج ۷ ص ۱۷۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۳۴

و لقد كانت سوابق «إبراهيم»، و تحامله على الأصنام، و استهزاؤه بها قد أوجدت قلقا و شكا لدى أهل بابل، و لهذا طلبوا منه- و هم الذين يساورهم القلق من موقفه تجاه اصنامهم- الخروج معهم إلى الصحراء، و المشاركة فى تلك المراسيم، و لكن اقتراحهم هذا بل إصرارهم واجه رفض إبراهيم الذى رد على طلبهم بحجة المرض اذ قال: «إنّى سقيم» و هكذا لم يشترك فى عيدهم، و خروجهم و بقى فى المدينة.

(۱) حقا لقد كان ذلك اليوم يوم ابتهاج و فرح للموحد و المشرك، و أمّا للمشركين فقد كان عيدا قديما عريقا يخرجون للاحتفال به، و اقامة مراسيمه و تجديد ما كان عليه الآباء و الاسلاف الى الصحراء حيث السفوح الخضراء و المزارع الجميلة.

و كان عيدا لإبراهيم بطل التوحيد كذلك، عيدا لم يسبق له مثيل، عيدا طال انتظاره، و افرح حضوره و حلوله، فها هو إبراهيم يجد المدينة فارغة من الاغيار، و الفرصة مناسبة للانقضاض على مظاهر الشرك و الوثنية، و حدث هذا فعلا.

فعند ما خرج آخر فريق من اهل بابل من المدينة، اغتنم «إبراهيم» تلك الفرصة و دخل و هو ممتلئ ايمانا و يقينا باللّه فى معبدهم حيث الأصنام و الأوثان المنحوتة الخاوية، و أمامها الأطعمة الكثيرة التى احضرها الوثنيون هناك بقصد التبرك بها، و قد لفتت هذه الأطعمة نظر «الخليل» عليه السّلام، فأخذ بيده منها كسرة خبز، و قدمها مستهزء الى تلك الاصنام قائلا: لما ذا لا تأكلون من هذه

الاطعمة؟

(۲) و من المعلوم أن معبودات المشرکین الجوفاء هذه لم تکن قادرة علی فعل ای شیء أو حرکة مطلقا فکیف بالاکل.

لقد کان یخیم علی جوّ ذلک المعبد الکبیر سحابة من الصمت القاتل و لکنه سرعان ما اخترقته اصوات المعول الذی اخذ «إبراهیم» یهوی به علی رءوس تلک التماثیل الجامدة الواقفة بلا حراک، و ایدیها.

لقد حطم «الخلیل» علیه السّلام جمیع الاصنام و ترکها رکاما من الاعواد المهشمة، و المعدن المتحطم، و اذا بتلک الاصنام المنصوبة فی اطراف ذلک الهیکل

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۳۵

قد تحولت الی تلة فی وسط المعبد.

غیر ان «ابراهیم» ترک الصنم الأکبر من دون ان یمسه بسوء، و وضع المعول علی عاتقه، و هو یرید بذلک ان یظهر للقوم بأن محطم تلک الأصنام هو ذلک الصنم الکبیر، إلّا أن هدفه الحقیقی من وراء ذلک کان امرا آخرا سنبینه فی ما بعد.

(۱) لقد کان «إبراهیم» علیه السّلام یعلم بأنّ المشرکین بعد عودتهم من الصحراء، و من عیدهم سیزورون المعبد، و سوف یبحثون عن علة هذه الحادثة، و أنهم بالتالی سوف یرون ان وراء هذا الظاهر واقعا آخر، اذ لیس من المعقول ان یکون صاحب تلک الضربات القاضیة هو هذا الصنم الکبیر الذی لا یقدر أساسا علی فعل شیء علی الاطلاق.

و فی هذه الحالة سوف یستطیع «إبراهیم» علیه السّلام أن یستفید من هذه الفرصة فی عمله التبلیغی، و یستغل اعتراضهم بأن هذا الصنم الکبیر لا یقدر علی شیء أبدا، لتوجیه السؤال التالی إلیهم: اذن کیف تعبدونه؟!!

فمنذ أن اخذت الشمس تدنو الی المغیب و یقترب موعد غروبها، و تتقلص اشعتها و تنکمش من الرّوابی و السهول، أخذ الناس یؤوبون إلی المدینة أفواجا افواجا.

(۲) و عند ما آن موعد العبادة، و توجّهوا إلی حیث اصنامهم، واجهوا منظرا فضیعا و امرا عجیبا لم یکونوا لیتوقّعونه!!

لقد کان المشهد یحکی عن ذلة الآلهة و حقارتها، و هو أمر لفت نظر الجمیع شیبا و شبّانا، کبارا و صغارا.

و لقد کانت تلک اللحظة لحظة ثقیلة الوطأة علی الجمیع بلا استثناء.

فقد خیّم سکوت قاتل مصحوب بحنق و مضض علی فضاء ذلک المعبد المنکود الحظ.

إلا أن أحدهم خرق ذلک الصمت الرهیب و قال: من الذی ارتکب هذه الجریمة، و من فعل هذا بآلهتنا؟!

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۳۶

و لقد کانت آراء «إبراهیم» و مواقفه السلبیة السابقة ضد الاصنام و تحامله الصریح علیها تبعثهم علی الیقین بأن «إبراهیم» و لیس سواه هو الذی صنع ما صنع بآلهتهم و اصنامهم.

و لأجل ذلک تشکلت فورا محکمة یرأسها «نمرود» نفسه و أخذوا یحاکمون «ابراهیم» و أمه!!

(۱) و لم یکن لامه من ذنب إلا أنها أخفت ابنها، و لم تعلم السلطات بوجوده لیقضوا علیه، شأنه شأن غیره من الموالید الذین قضت تلک السلطة الظالمة علیهم حفاظا علی نفسها و کیانها.

و لقد أجابت أم إبراهیم علی هذا السؤال بقولها: أیها الملک فعلت هذا نظرا منی لرعیّتک، فقد رأیتک تقتل أولاد رعیّتک فکان یذهب النسل فقلت: إن کان هذا الذی یطلبه دفعته إلیه لیقتله و یکف عن قتل أولاد الناس، و إن لم یکن ذلک فبقی لنا ولدنا.

(۲) ثم جاء دور مساءلة إبراهیم علیه السّلام فسأله قائلا: «من فعل هذا بآلهتنا یا إبراهیم» فقال إبراهیم: «فعله کبیرهم هذا فاسألوهم إن کانوا ینطقون».

و قد کان «إبراهیم» علیه السّلام یهدف من هذه الاجابة اللامبالیة المصحوبة بالسخریة و الازدراء هدفا آخر، و هو ان «إبراهیم» علیه

السّـلام کان علی یقین بأنهم سیقولون فی معرض الاجابة علی کلامه هذا: إنک تعلم یا إبراهیم ان هذه الأصنام لا تقدر علی النطق، و فی هذه الصورة یستطیع «إبراهیم» أن یلفت نظر السلطات التی تحاکمه الی نقطة اساسیة.

و قد حدث فعلا ما کان یتوقعه «إبراهیم» علیه السّلام لما قالوا له و قد نکسوا علی رءوسهم: «لقد علمت ما هؤلاء ینطقون» فقال إبراهیم ردا علی کلامهم هذا الذی کان یعکس حقارة تلک الاصنام و الأوثان و تفاهة شأنها: «أ فتعبدون من دون اللّه ما لا ینفعکم و لا یضرّکم افّ لکم و لما تعبدون من دون اللّه أ فلا تعقلون».

(۳) إلّا أنّ تلک الزمرة المعاندة التی ران علی قلوبها الجهل و التقلید الأعمی لم

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۳۷

یجدوا جوابا لإبراهیم الذی أفحمهم بمنطقه الرصین الّا أن یحکموا باعدامه حرقا، فأوقدوا نارا کبیرة و ألقوا بإبراهیم علیه السّـلام فیها إلّا أن العنایة الالهیة شملت إبراهیم الخلیل علیه السّـلام، و حفظته من اذی تلک النار، و حولت ذلک الجحیم الذی اوجده البشر، الی جنینة خضراء نضرة اذ قال: «یا نار کونی بردا و سلاما علی إبراهیم» «۱».

(۱)

العبر القیامة فی هذه القصة:

مع ان الیهود یعتبرون أنفسهم فی مقدمة الموحّدین، لم ترد هذه القصة فی توراتهم الحاضرة رغم کونها معروفة بینهم، بل تفرّد القرآن الکریم من بین الکتب السماویة بذکرها لأهمیتها.

من هنا فإننا نذکر بعض النقاط المفیدة، و الدروس المهمة فی هذه القصة التی یهدف القرآن من ذکرها و ذکر امثالها من قصص الأنبیاء و الرسل.

---

(۱) و قد ذکر تفاصیل هذه القصة فی الآیات ۵۱ الی ۷۰ من سورة الأنبیاء و ها نحن ندرج کل هذه الآیات هنا:

«وَ لَقَدْ آتَیْنا إِبْراهِیمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ کُنَّا بِهِ عالِمِینَ. إِذْ قالَ لِأَبِیهِ وَ قَوْمِهِ ما هذِهِ التَّماثِیلُ الَّتِی أَنْتُمْ لَها عاکِفُونَ. قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِینَ قالَ لَقَدْ کُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُکُمْ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ. قالُوا أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِینَ قالَ بَلْ رَبُّکُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِی فَطَرَهُنَّ وَ أَنَا عَلی ذلِکُمْ مِنَ الشَّاهِدِینَ وَ تَاللَّهِ لَأَکِیدَنَّ أَصْنامَکُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِینَ فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلَّا کَبِیراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَیْهِ یَرْجِعُونَ.

قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِینَ. قالُوا سَمِعْنا فَتًی یَذْکُرُهُمْ یُقالُ لَهُ إِبْراهِیمُ. قالُوا:

فَأْتُوا بِهِ عَلی أَعْیُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ یَشْهَدُونَ قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا یا إِبْراهِیمُ. قالَ بَلْ فَعَلَهُ کَبِیرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ کانُوا یَنْطِقُونَ. فَرَجَعُوا إِلی أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّکُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُکِسُوا عَلی رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ یَنْطِقُونَ. قالَ: أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا یَنْفَعُکُمْ شَیْئاً وَ لا یَضُرُّکُمْ. أُفٍّ لَکُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ. قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ فاعِلِینَ. قُلْنا یا نارُ کُونِی بَرْداً وَ سَلاماً عَلی إِبْراهِیمَ. وَ أَرادُوا بِهِ کَیْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِینَ».

و للوقوف علی تفاصیل و خصوصیات ولادة إبراهیم علیه السّلام و تحطیمه للأصنام راجع کتاب الکامل لابن الأثیر: ج ۱ ص ۵۳- ۶۲، و بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۱۴- ۵۵.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۳۸

(۱) ۱- إن هذه القصة خیر شاهد علی شجاعة «إبراهیم الخلیل» علیه السّلام و بطولته الفائقة.

فعزم ابراهیم علی تحطیم الاصنام، و محق و هدم کل مظاهر الشرک و الوثنیة المقیتة لم یکن امرا خافیا علی النمرودیین لانه علیه السّلام کان قد أظهر شجبه لها، و اعلن عن استنکاره لعبادتها و تقدیسها من خلال کلماته القادحة فیها، و استهزائه بها، فقد کان علیه السّلام یقول لهم بکل صراحة بانه سیتخذ من تلک الاصنام موقفا ما اذا لم یترکوا عبادتها و تقدیسها، فقد قال لهم یوم ارادوا ان یخرجوا الی الصحراء لمراسیم العید: «وَ تَاللَّهِ لَأَکِیدَنَّ أَصْنامَکُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِینَ» «۱».

و لقد کان موقف الخلیل علیه السّلام ینم عن شجاعة کبری فقد قال الإمام الصادق علیه السّلام فی هذا الصدد:

«و منها (ای و ممّا تحلّی به النبیّ ابراهیم) الشجاعة و قد کشفت (قضیة) الاصنام عنه، و مقاومة الرجل الواحد الوفا من أعداء اللّه عزّ و جلّ تمام الشجاعة» «۲».

(۲) ۲- ان ضربات «إبراهیم» القاضیة و ان کانت فی ظاهرها حربا مسلحة، و عنیفة ضد الاصنام إلا أن حقیقة هذه النهضة- کما یستفاد من ردود «إبراهیم» علی أسئلة الذین حاکموه، و استجوبوه- کانت ذات صبغة تبلیغیة دعائیة.

فان «إبراهیم» لم یجد وسیلة لإیقاظ عقول قومه الغافیة، و تنبیه فطرهم الغافلة، إلا تحطیم جمیع الاصنام، و ترک کبیرها و قد علق القدوم علی عاتقه لیدفع بقومه إلی التفکیر فی القضیة من اساسها و حیث أن العمل لم یکن اکثر من مسرحیة إذ لا یمکن أن یصدق أحدهم بأن تلک الضربات القاضیة کانت من صنع ذلک الصنم الکبیر و فعله حینئذ یستطیع إبراهیم أن یستثمر فعله هذا فی دعوته، و یقول انّ هذا الصنم الکبیر لا یقدر- و باعترافکم- علی فعل أیّ شیء

---

(۱) الأنبیاء: ۵۷.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۶۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۳۹

مهما کان صغیرا و حقیرا فکیف تعبدونه اذن؟!

(۱) و لقد استفاد «إبراهیم» من هذه العملیة فعلا، و توصل الی النتیجة التی کان یتوخاها، فقد ثابوا الی نفوسهم بعد ان سمعوا کلمات «إبراهیم» علیه السّلام، و استیقظت ضمائرهم و عقولهم و وصفوا انفسهم بالظلم بعد أن تبیّن لهم الحق و بطل ما کانوا یعبدون اذ قال تعالی: «فَرَجَعُوا إِلی أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّکُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ» «۱» و هذا بنفسه یفید بأن سلاح الأنبیاء القاطع فی بدء عملهم الرسالی کان هو: سلاح المنطق و الاستدلال لیس إلا، غایة الأمر أن هذا کان یؤدی فی کل دورة بما یناسبها من الوسائل، و إلّا فما قیمة تحطیم عدد من الأصنام الخشبیة بالقیاس إلی مخاطرة النبیّ «ابراهیم الخلیل» بنفسه و حیاته، و بالقیاس الی الاخطار التی کانت تتوجه إلیه نتیجة هذا العمل الصارخ.

إذن فلا بد ان یکون وراء هذه العملیة الخطیرة هدف کبیر و خدمة عظمی تستحق المخاطرة بالنفس، و یستحق المرء امتداح العقل له اذا عرّض حیاته للخطر فی سبیلها.

(۲) ۳- لقد کان إبراهیم یعلم جیدا بأن هذا العمل سیؤدی بحیاته، و سیکون فیه حتفه، فکانت القاعدة تقتضی أن یسیطر علیه قلق و اضطراب شدیدان، فیتواری عن اعین الناس، أو یترک المزاح، و السخریة بالأصنام علی الأقل، و لکنه کان علی العکس من ذلک رابط الجأش، مطمئن النفس، ثابت القدم، فهو عند ما دخل فی المعبد الذی کانت فیه الأصنام تقدم بقطعة من الخبز الی الاصنام و دعاها ساخرا بها، الی الاکل، و ثم ترک الأصنام بعد الیأس منها تلّا من الخشب المهشم، و اعتبر هذا الأمر مسألة عادیة لا تستأهل الوجل و الخوف، و کأنه لم یفعل ما یستتبع الموت المحقّق و یستوجب الاعدام المحتّم.

فهو عند ما یأخذ مکانه امام هیئة القضاة یقول معرضا بالاصنام: فعله کبیر الأصنام فاسئلوه و لا شک أن هذا التعریض و السخریة بالاصنام إنما هو موقف من

(۱) الأنبياء: ۶۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۴۰

لا- يوجس خيفـة، و لا- يشـعر بوجل من عمله، بل هو فعل من قـد هيّأ نفسه لكل الاخطار المحتملـة، و اسـتعد لكل النتائـج مهما كانت خطيرة.

(۱) بل الأعجب من هذا كله دراسة وضع «إبراهيم» نفسه حينما كان فى المنجنيق و قد تيقّن أنه سـيكون وسط ألسـنة اللهب بعد هنيئة، و تلتهمه النار المستعرة تلك النار التى جمع اهل «بابل» لها الحطب الكثير تقربا الى آلهتهم، و كانوا يعتبرون ذلك العمل واجبا مقدسا ... تلك النار التى كان لهيبها من القوة بحيث ما كانت الطيور تستطيع من التحليق على مقربة منها.

فى هذه اللحظة الخطيرة الحساسة جاءه جبرئيل و اعلن عن اسـتعداده لانقاذه و تخليصه من تلك المهلكة الرهيبة قائلا له: هل لك إليّ من حاجة؟

فقال «إبراهيم»: أما إليك فلا، و أما إلى ربّ العالمين فنعم «۱».

ان هذا الجواب يجسّد ايمان «إبراهيم» العظيم، و روحه الكبرى.

(۲) لقـد كـان «نمرود» الـذى جلس يراقب تلـك النار من عـدة فراسـخ، ينتظر بفارغ الصبر لحظـة الانتقام، و كان يحب ان يرى كيف تلتهم ألسنة النار «إبراهيم». فما أرهب تلك اللحظات!

لقـد اشـتغل المنجنيق، و بهزّة واحدة القى بإبراهيم عليه السّلام فى وسط النار غير أن مشـيئة اللّه، و ارادته النافذة تدخلت فورا لتخلص خليل اللّه و نبيه العظيم، فحوّلت تلك النّار المحرقـة التى أو قدتها يد البشـر الى روضة خضـراء و جنينة زاهرة ادهشت الجميع حتى أنّ «إبراهيم» التفت إلى «آزر» و قال- من دون ارادته-:

«يا آزر ما اكرم إبراهيم على ربّه» «۲».

(۳) إن انقلاب تلـك النّار الهائلـة الى روضـة خضـراء لإبراهيم قـد تمّ بأمر اللّه المسـبب للأسـباب و المعطل لها متى شاء، المعطى لها آثارها، و السالب عنها ذلك، متى اراد.

(۱) عيون أخبار الرضا: ص ۱۳۶، و أمالى الصدوق: ص ۲۷۴، و بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۳۵.

(۲) تفسير البرهان: ج ۳ ص ۶۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۴۱

اجـل إن اللّه الـذى منـح الحرارة للنّار و الاضاءة للقمر، و الاشـعاع للشـمس لقادر على سـلب هـذه الآثار و انتزاعها من تلك الاشـياء و تجريدها، و لهذا صحّ وصفه بمسبب الاسباب، و معطلها.

غير ان جميع هذه الحوادث الخارقة و الآيات الباهرة لم تسـتطع ان توفر لإبراهيم الحرية الكاملة فى الدعوة و التبليغ، فقد قررت السـلطة الحاكمـة و بعـد مشاورات و مداولات إبعاد «إبراهيم» و نفيه، و قد فتح هذا الأمر صـفحة جديدة فى حياة ذلك النبىّ العظيم، و تهيأت بذلك اسباب رحلته الى بلاد الشام و فلسطين و مصر و ارض الحجاز.

(۱)

هجرة الخليل عليه السّلام:

لقد حكمت محكمة «بابل» على «إبراهيم» بالنفى و الإبعاد من وطنه، و لهذا اضطرّ عليه السّلام ان يغادر مسقط رأسه، و يتوجه صوب فلسطين و مصر، و هناك واجه استقبال العمالقة الذين كانوا يحكمون تلك. البقاع و ترحيبهم الحار به و نعم بهداياهم التى كان من جملتها جارية تدعى «هاجر».

و كانت زوجته «سارة» لم ترزق بولد الى ذلك الحين، فحركت هذه الحادثة عواطفها و مشاعرها تجاه زوجها الكريم إبراهيم و لذلك حثته على نكاح تلك الجارية عله يرزق منها بولد، تقرّبه عينه و تزدهر به حياته.

فكان ذلك، و ولدت «هاجر» لإبراهيم ولدا ذكرا سمى باسماعيل، و لم يمض شىء من الزمان حتى حبلت سارة هى أيضا و ولدت- بفضل اللّه و لطفه- ولدا سمى باسحاق «۱».

(۲) و بعد مدة من الزمان أمر اللّه تعالى «إبراهيم» بان يذهب بإسماعيل و أمه «هاجر» إلى جنوب الشام (أى ارض مكة) و يسكنهما هناك فى واد غير معروف الى ذلك الحين ... واد لم يسكنه أحد بل كانت تنزل فيه القوافل التجارية

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۱۱۸ و ۱۱۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۲

الذاهبة من الشام الى اليمن، و العائدة منها الى الشام، بعض الوقت ثم ترحل سريعا، و أما فى بقية أوقات السنة فكانت كغيرها من أراضى الحجاز صحراء شديدة الحرارة، خالية عن أى ساكن مقيم.

(۱) لقد كانت الاقامة فى مثل تلك الصحراء الموحشة عملية لا تطاق بالنسبة لامرأة عاشت فى ديار العمالقة و ألفت حياتهم و حضارتهم، و ترفهم و بذخهم.

فالحرارة اللاهبة و الرياح الحارقة فى تلك الصحراء كانت تجسّد شبح الموت الرهيب امام ابصار المقيمين.

و إبراهيم نفسه قد انتابته كذلك حالة من التفكير و الدهشة لهذا الأمر، و لهذا فإنّه فيما كان عازما على ترك زوجته «هاجر» و ولده «إسماعيل» فى ذلك الواد قال لزوجته «هاجر» و عيناه تدمعان: «إن الذى أمرنى أن اضعكم فى هذا المكان هو الذى يكفيكم».

ثمّ قال فى ضراعة خاصة: «رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» «۱».

و عند ما انحدر من ذلك الجانب من الجبل التفت إليهما و قال داعيا: «رَبَّنا إِنِّی أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِی بِوادٍ غَيْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِی إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» «۲».

إن هذا السفرة و الهجرة و إن كانت فى ظاهرها امرا صعبا، و عملية لا تطاق، إلا أن نتائجها الكبرى التى ظهرت فى ما بعد أوضحت و بيّنت أهميّة هذا العمل، لأنّ بناء الكعبة، و تأسيس تلك القاعدة العظمى لأهل التوحيد، و رفع راية التوحيد فى تلك الربوع، و خلق نواة نهضة، عميقة، دينية، انبثقت على يد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و شعّت من تلك الديار إلى أنحاء العالم، كل ذلك كان من ثمار تلك الهجرة.

---

(۱) البقرة: ۱۲۶

(۲) إبراهيم: ۳۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۳

(۱)

عين زمزم كيف ظهرت؟

لقد غادر «إبراهيم» عليه السّلام أرض مكة تاركا زوجته و ولده «إسماعيل» بعيون دامعة، و قلب يملئوه الرضا بقضاء اللّه و الامل بلطفه و عنايته.

فلم تمض مدة إلا و نفد ما ترك عندهما من طعام و شراب، و جف اللبن فى ثديى «هاجر»، و تدهورت أحوال الرضيع «إسماعيل»، و كانت دموع الام الحزينة تنحدر على حجره، و هى تشاهد حال وليدها الذى قد أخذ العطش و الجوع منه مأخذا.

فانطلقت من مكانها فجأة تبحث عن الماء حتى وصلت إلى جبل «الصفا» فرأت من بعيد منظر ماء عند جبل «مروة»، فاسرعت إليه مهرولة، غيران الذى رأته و ظنته ماء لم يكن الّا السراب الخادع، فزادها ذلك جزعا و حزنا على وليدها ممّا جعلها تكرر الذهاب و الاياب الى الصفا و المروة أملا فى أن تجد الماء و لكن بعد هذا السعى المتكرر، و الذهاب و الاياب المتعدد بين الصفا و المروة عادت الى وليدها قانطة يائسة.

(۲) كانت أنفاس الرضيع الظامئ و دقّات قلبه الصغير قد تباطأت بل و اشرفت على النهاية، و لم يعد ذلك الرضيع الظامئ قادرا على البكاء و لا حتى على الانين.

و لكن فى مثل هذه اللحظة الحرجة الصعبة استجاب اللّه دعاء خليله و حبيبه «إبراهيم»، اذ لاحظت هاجر الماء الزلال و هو ينبع من تحت اقدام «اسماعيل».

فسرت تلك الام المضطربة- التى كانت تلاحظ وليدها و هو يقضى اللحظات الاخيرة من حياته، و كانت على يقين بانه سرعان ما يموت عطشا، و جهدا- سرورا عظيما بمنظر الماء، و برق فى عينيها بريق الحياة، بعد ان اظلمت الدنيا فى عينيها قبل دقائق، فشربت من ذلك الماء العذب، و سقت منه رضيعها الظامئ، و تقشعت بلطف اللّه و عنايته و بما بعثه من نسيم الرحمة الربانية كل غيوم اليأس، و سحب القنوط التى تلبدت و خيمت على حياتها.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۴۴

(۱) و لقد ادى ظهور هذه العين التى تدعى بزمزم فى ان تتجمع الطيور فى تلك المنطقة و تحلق فوق تلك البقعة التى لم يعهد أن حلّقت عليها الطيور، و ارتادتها الحمائم، و هذا هو ما دفع بجرهم و هى قبيلة كانت تقطن فى منطقة بعيدة عن هذه البقعة ان تتنبه إلى ظهور ماء فيها لما رأت تساقط الطيور و تحليقها، فأرسلت واردين ليتقصيا لها الخبر و يعرفا حقيقة الأمر، و بعد بحث طويل و كثير، انتهيا الى حيث حلت الرحمة الالهية، و عند ما اقتربا إلى «هاجر» و شاهدا بام عينيهما «امرأة» و «طفلا» عند عين من الماء الزلال الذى لم يعهداه من قبل عادا من فورهما من حيث أتيا، و أخبرا كبار القبيلة بما شاهداه، فاخذت الجماعة تلو الجماعة من تلك القبيلة الكبيرة قد إلى البقعة المباركة، و تخيم عند تلك العين لتطرد عن «هاجر» و ولدها مرارة الغربة، و وحشة الوحدة، و قد سبب نمو ذلك الوليد المبارك و رشده فى رحاب تلك القبيلة فى ان يتزوج إسماعيل هذا من تلك القبيلة، و يصاهرهم، و بذلك يحظى بحمايتهم له، و ينعم بدفاعهم و رعايتهم و محبتهم له.

فانه لم يمض زمان حتى أختار «إسماعيل» زوجة من هذه القبيلة، و لهذا ينتمى ابناء «إسماعيل» الى هذه القبيلة من جهة الام.

(۲)

تجديد اللقاء:

كان إبراهيم عليه السّلام بعد أن ترك زوجته «هاجر» و ولده «إسماعيل» فى ارض «مكة» بأمر اللّه، يتردد على ولده بين فينة و اخرى. و فى احدى سفراته و لعلّها السفرة الاولى دخل «مكة» فلم يجد ولده «إسماعيل» فى بيته، و كان ولده الذى أصبح رجلا قويا، قد تزوج

بامرأة من جرهم.

فسأل «إبراهيم» زوجته قائلا- اين زوجك؟ فقالت: خرج يتصيّد، فقال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: ليس عندى شىء و ما عندى أحد، فقال لها إبراهيم: «اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام و قولى له: فليغيّر عتبة بابه».

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۵

و ذهب إبراهيم عليه السّلام منزعجا من معاملة زوجة ابنه «إسماعيل» له و قد قال لها ما قال.

(۱) و لمّا جاء إسماعيل عليه السّلام وجد ريح ابيه فقال لامرأته: هل جاءك احد؟ قالت: جاءنى شيخ صفته كذا و كذا كالمستخفّة بشأنه، قال: فما ذا قال لك: قالت: قال لى أقرئى زوجك السلام و قولى له: فليغيّر عتبة بابه!!

فطلقها و تزوج اخرى، لأن مثل هذه المرأة لا تصلح ان تكون زوجة و شريكة حياة «۱»

و قد يتساءل أحد: لما ذا لم يمكث إبراهيم عليه السّلام هناك قليلا ليرى ولده إسماعيل بعد عودته من الصيد، و قد قطع تلك المسافة الطويلة، و كيف سمح لنفسه بان يعود بعد تلك الرحلة الشاقة من دون ان يحظى برؤية ابنه العزيز؟!

يجيب ارباب التاريخ على ذلك بان إبراهيم انما استعجل فى العودة من حيث اتى لوعد اعطاه لزوجته سارة بأن يعود إليها سريعا، ففعل ذلك حتى لا يخلف. و هذا من اخلاق الأنبياء.

ثمّ إن «إبراهيم» سافر مرة اخرى إلى أرض مكة بأمر اللّه، و ليا بنى الكعبة التى تهدمت فى طوفان «نوح»، ليوجّه قلوب المؤمنين الموحدين إلى تلك النقطة.

(۲) إن القرآن الكريم يشهد بأن أرض «مكة» قد تحولت إلى مدينة بعد بناء الكعبة قبيل وفاة إبراهيم عليه السّلام، لأن إبراهيم دعا بعيد فراغه من بناء الكعبة قائلا:

«رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا الْبَلَدَ آمِناً وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ» «۲» على حين دعا عند نزوله مع زوجته، و ابنه إسماعيل فى تلك الأرض قائلا:

«رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً» «۳».

و هذا يكشف عن ان مكة تحولت الى مدينة عامرة فى حياة الخليل

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۱۱۲ نقلا عن قصص الأنبياء.

(۲) إبراهيم: ۳۵.

(۳) البقرة: ۱۲۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۶

عليه السّلام، بعد ان كانت صحراء قاحلة، و واد غير ذى زرع.

(۱) و لقد كان من المستحسن استكمالا لهذا البحث أن نشرح هنا كيفية بناء الكعبة المعظمة، و نستعرض التاريخ الاجمالى لذلك، بيد أننا لكى لا نقصر عن الهدف المرسوم لهذا الكتاب اعرضنا عن ذلك و عمدنا إلى ذكر بعض التفاصيل عن أبرز و اشهر أجداد رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فى التاريخ.

(۲)

۲- قصىّ بن كلاب:

إن أسلاف الرّسول العظيم صلّى اللّه عليه و آله هم على التوالى: عبد اللّه، عبد المطّلب، هاشم، عبد مناف، قصىّ، كلاب، مرّة، كعب،

لؤىّ، غالب، فهر، مالك، النضر، كنانة، خزيمة، مدركة، إلياس، مضر، نزار، معدّ، عدنان «۱».

من المسلّم أنّ نسب النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله إلى عدنان هو ما ذكر، فلا خلاف فيه، إنما وقع الخلاف فى عدد، و اسماء من هم بعد عدنان إلى إسماعيل عليه السّلام، و لذلك لم يجز التجاوز عنه لحديث رواه ابن عباس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اذ قال: «إذا بلغ نسبى إلى عدنان فأمسكوا» «۲» هذا مضافا إلى أن النبىّ نفسه كان اذا عدّد أجداده فبلغ إلى عدنان أمسك، و نهى عن ذكر من بعده الى إسماعيل، و قد روى عنه صلّى اللّه عليه و آله أنه قال: كذب النسّابون.

و لهذا فإننا نكتفى بذكر من اتفق عليه، و نعمد الى الحديث عن حياة كل واحد منهم.

(۳) و لقد كان كل من ذكرنا أسماءهم هنا معروفين، و مشهورين فى تاريخ

---

(۱) التاريخ الكامل: ج ۲ ص ۲- ۲۱.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۱۰۵ عن مناقب ابن شهرآشوب، و كشف الغمّة: ج ۱ ص ۱۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۷

العرب، بيد أن حياة طائفة منهم ترتبط بتاريخ الإسلام، و لهذا فاننا نقف عند حياة «قصىّ» و من لحقه إلى والد النبىّ «عبد اللّه» و نعرض عن ذكر حياة غيرهم من أجداده و أسلافه صلّى اللّه عليه و آله ممّن لا علاقة له بهذه الدراسة «۱».

(۱) أمّا «قصىّ» و هو الجدّ الرابع لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فامّه «فاطمة» التى تزوجت برجل من بنى كلاب و رزقت منه بولدين هما: «زهرة» و «قصى» إلّا أن زوج فاطمة قد توفى، و هذا الاخير لم يزل فى المهد، فتزوجت بزوج آخر يدعى ربيعة، و سافرت معه الى الشام، و بقى «قصىّ» يحظى برعاية أبوية من ربيعة حتى وقع خلاف بين قصىّ و قوم ربيعة، و اشتد ذلك الخلاف حتى انتهى إلى طرده من قبيلتهم، ممّا أحزن ذلك امّه، و اضطرت الى إرجاعه الى «مكة».

و هكذا اتت به يد القدر إلى «مكة»، و سبّبت قابلياته الكامنة التى برزت فى تلك المدينة فى تفوقه على أهل مكة و بخاصة قريش.

و سرعان ما احتلّ قصىّ هذه المقامات العالية، و شغل المناصب الرفيعة، مثل حكومة «مكة» و زعامة قريش، و سدانة الكعبة المعظمة، و صار رئيس تلك الديار دون منازع.

و لقد ترك (قصىّ) من بعده آثارا كثيرة و عديدة منها تشجيع الناس على بناء المساكن و البيوت حول الكعبة المعظمة، و تأسيس مكان للشورى ليجتمع فيه رؤساء القبائل العربية من اجل التداول فى الامور و حل المشاكل يدعى بدار الندوة.

و قد توفى «قصىّ» فى القرن الخامس الميلادى و خلف من بعده ولدين هما:

«عبد الدار» و «عبد مناف».

(۲)

۳- عبد مناف:

و هو الجدّ الثالث لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و اسمه «المغيرة» و لقبه

---

(۱) لقد بحث ابن الأثير فى الكامل حول حياتهم فراجع: ج ۲ ص ۱۵- ۲۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۸

«قمر البطحاء»، و كان أصغر من اخيه «عبد الدار» إلا أنه كان يحظى بمكانة خاصة عند الناس دون أخيه، و كان شعاره التقوى، و دعوة الناس الى حسن السيرة و صلة الرحم، بيد انه مع ما كان له من المكانة القوية لم ينافس اخاه «عبد الدار» فى المناصب العالية التى كان

یشغلها.

فقد كانت الزعامة لاخيه عبد الدار حسب وصيّة أبيهما «قصىّ».

و لكن بعد وفاة هذين الأخوين وقع الخصام و التنازع بين أبنائهما على المناصب، و انتهى ذلك بالصراع الطويل إلى اقتسام المناصب و المقامات، و تقرر ان يتولى ابناء عبد الدار سدانة الكعبة، و زعامة دار الندوة، و يتولى ابناء عبد مناف سقاية الحجيج و ضيافتهم و وفادتهم.

و قد بقى هذا التقسيم المتفق عليه سارى المفعول الى زمن ظهور الإسلام «۱».

(۱)

۴– هاشم:

اشارة

و هو الجدّ الثانى لنبى الإسلام و اسمه «عمرو» و لقبه «العلاء» و هو الذى ولد مع «عبد شمس» توأمين، و أخواه الآخران هما: «المطلب» و «نوفل».

هذا و ثمة خلاف بين أرباب السير و كتاب التاريخ فى: أن هاشما و عبد شمس كانا توأمين، و أن هاشما ولد و اصبع واحدة من اصابع قدمه ملصقة بجبهة «عبد شمس» و قد نزعت بسيلان دم، فتشاءم الناس لذلك «۲» يقول الحلبى فى سيرته: فكانوا يقولون: سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما اى بين بنى العباس

---

(۱) لم تكن هناك مناصب للكعبة يوم اسّست و رفع قواعدها بل حدث كل ذلك تدريجا بحكم المقتضيات و التطوّرات، و كانت هذه المناصب التى استمرت الى زمن ظهور الإسلام عبارة عن:

۱– سدانة الكعبة.

۲– سقاية الحجيج.

۳– رفادتهم و ضيافتهم.

۴– زعامة المكيين و قيادة جيشهم. و لم يكن هذا الأخير منصبا ذا صبغة دينية.

(۲) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۱۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۹

(و هم من أولاد هاشم) و بين بنى أميّة (و هم من أولاد عبد شمس) «۱».

(۱) و كأنّ كاتب السيرة قد تجاهل الحوادث المحزنة و المؤسفة التى وقعت بين بنى أميّة و ابناء على عليه السّلام فى حين أن تلك الحوادث الدامية التى تسببها بنو أميّة و اهرقت فيها دماء ذرية رسول اللّه و عترته الطاهرة، اقوى شاهد على تلك العداوة بين هاتين الطائفتين، و لكننا لا ندرى لما ذا تجاهل ذكرها مؤلف السيرة الحلبية و لم يشر إليها مطلقا؟!

ثم ان من خصوصيات أبناء «عبد مناف» حسبما يستفاد من الأدب الجاهلى، و ما جاء فيه من أشعار، أنهم توفوا فى مناطق مختلفة.

فهاشم– مثلا– توفى فى «غزة» و عبد شمس مات فى مكة، و نوفل فى ارض العراق، و المطلب فى ارض اليمن «۲».

(۲) و كان من سجايا هاشم و اخلاقه الفاضلة أنه كان كلّما هلّ هلال شهر ذى الحجة قام صبيحته، و أسند ظهره الى الكعبة المشرفة، و

خطب قائلا:

«يا معشـر قريش إنكم سادة العرب و أحسنها وجوها، و أعظمها احلاما (اى عقولا) و أوسط العرب (أى أشرفها) أنسابا، و أقرب العرب بالعرب أرحاما.

يـا معشـر قريش إنكم جيران بيت اللّه تعـالى اكرمكم اللّه تعالى بولايته، و خصـكم بجواره، دون بنى إسـماعيل، و انه ياتيكم زوّار اللّه يعظمون بيته فهم أضـيافه و أحق من اكرم أضـياف اللّه انتم، فـاكرموا ضـيفه و زوّاره، فـانهم يأتون شـعثا غبرا من كل بلـد على ضوامر كالقـداح، فاكرموا ضـيفه و زوّار بيته، فو ربّ هـذه البنية لو كان لى مال يحتمل ذلك لكفيتكموه، و أنا مخرج من طيب مالى و حلاله ما لم يقطع فيه رحم، و لم يؤخـذ بظلم، و لم يـدخل فيه حرام، فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعل، و أسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوّار بيت اللّه و تقويتهم إلا طيبا لم يؤخذ ظلما، و لم يقطع فيه رحم، و لم يؤخذ غصبا» (۳).

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۴.

(۲) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۵.

(۳) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۵۰

(۱) و لقد كانت زعامة «هاشم» و قيادته نافعة للمكيين من جميع النواحى، و كان لها تأثير كبير فى تحسين أوضاعهم.

و لقد سبّب كرمه و ما قام به من إطعام واسع فى سنوات الجدب القاسية فى تخفيف شدة الوطأة عن أهل مكة، و بالتالى ادى الى عدم احساسهم بالقحط، و آثار الجدب.

كما أنّ من خطواته البارزة و اعماله النافعة جدا لتحسـين الحالة التجارية للمكيين هو ما عقده مع أمير «غسان» من المعاهدة، الأمر الذى دفع بأخيه «عبد شمس» إلى أن يعاهد أمير الحبشة، و بأخويه الآخرين «المطلب» و «نوفل» الى ان يعاهدا أمير اليمن و ملك ايران تكون القوافل التجارية بموجب تلك المعاهدات للجانبين فى أمان، من العدوان و التعرض.

و قد أزالت هذه المعاهدات الكثير من المشاكل، و كانت وراء ازدهار التجارة فى «مكة المكرمة» حتى عهد بزوغ شمس الإسلام.

ثم ان من أعمال «هاشم» و خطواته النافعة تأسيسه لرحلتى قريش اللتين يتحدث عنهما القرآن الكريم اذ يقول: «رحلة الشتاء و الصيف» و هما رحلة إلى الشام، و كانت فى الصـيف، و رحلـة الى اليمن، و كانت فى الشـتاء، و قـد اسـتمرت هـذه السيرة حتى ما بعـد ظهور الإسلام أيضا.

(۲)

اميّة بن عبد شمس يحسد هاشما:

و لقـد حسـد «أميّـة بن عبـد شـمس» أبن أخى هاشم عمّه «هاشـما» على ما حظى به من المكانـة و العظمة، و النفوذ الى قلوب الناس و جـذبها نحوه بسـبب خـدماته و أياديه، و ما كان يقوم به من بـذل و انفاق، و حاول جاهدا ان يقلده و يتشـبه بهاشم فى سـلوكه و لكنه رغم كل ما قام به من جهود و محاولات لم يسـتطع أن يتشبه به و يتخذ سيرته، و كما لم يستطع بايقاعه و طعنه به ان يقلل من شأنه بل زاده رفعة و عظمة.

لقد كان لهيب الحسد فى قلب «أميّة» يزداد اشتعالا يوما بعد يوم، حتى

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۵۱

دفع به الى ان يـدعو عمّه «هاشـما» للـذهاب إلى كـاهن من كهنـة العرب للمنـافرة عنـده فتكون الرئاسـة و الزعامـة لمن يمـدحه ذلك الكاهن، و كانت عظمة «هاشم» و سموّ مقامه تمنع من منافرة ابن اخيه (اميّة) إلّا أنه رضى بالمنافرة هذه تحت اصرار (اميّة) بشرطين:

۱- أن يعطى المغلوب خمسين من النياق سود الحدق تنحر بمكة.

۲- جلاء المغلوب عن مكة عشر سنين.

(۱) و من حسن الحظّ أن ذلك الكاهن نطق بمدح «هاشم» بمجرد أن وقعت عيناه عليه فقال: «و القمر الباهر، و الكوكب الزاهر، و الغمام الماطر ... لقد سبق هاشم اميّة إلى الماثر» الى آخر كلامه. و هكذا قضى لهاشم بالغلبة فأخذ الابل فنحرها و أطعمها و اضطر أمية الى الجلاء عن مكة و العيش بالشام عشر سنين «۱».

و قد استمرت آثار هذا الحسد التاريخى إلى ۱۳۰ عاما بعد ظهور الإسلام، و تسببت فى جرائم و فجائع كبرى عديمة النظير فى التاريخ.

ثم ان القصة السابقة مضافا الى انها تبين مبدأ العداوة بين الأمويين و الهاشميين تبيّن أيضا علل نفوذ الامويين فى البيئة الشامية، و يتبين أن علاقات الأمويين العريقة بأهل هذه المنطقة هى التى مهّدت لقيام الحكومة الأموية فى تلك الديار.

(۲)

هاشم يتزوّج ...

كانت «سلمى» بنت «عمرو الخزرجى» امرأة شريفة فى قومها، قد فارقت زوجها بطلاق، و كانت لا ترضى بالزواج من أحد، ولدى عودة «هاشم» من بعض أسفاره نزل فى يثرب أياما فخطبها إلى والدها، فرغبت سلمى فيه لشرفه فى قريش، و لنبله و كرمه، و رضيت بالزواج منه بشرطين: أحدهما أن لا تلد ولدها

---

(۱) الكامل لابن الاثير: ج ۲ ص ۱۰، و السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۵۲

إلّا فى اهلها، و حسب هذا الاتفاق بقيت «سلمى» مع زوجها «هاشم» فى مكة بعض الوقت حتى اذا ظهر عليها آثار الحمل رجعت الى: «يثرب» و هناك وضعت ولدا اسموه «شيبة». و قد اشتهر فى ما بعد به «عبد المطلب».

(۱) و كتب المؤرخون فى علة تسميته بهذا الاسم بأن هاشما لما أحسّ بقرب انصرام حياته قال لاخيه «المطلب»: يا أخى أدرك عبدك شيبة و لذلك سمّى شيبة بن هاشم: «عبد المطلب».

و قيل أن أحد المكيين مرّ على غلمان يلعبون فى زقاق من ازقة يثرب، و ينتضلون بالسهام، و لما سبق أحدهم الآخرين فى الرمى قال مفتخرا: «أنا ابن سيّد البطحاء» فسأله الرجل عن نسبه و ابيه فقال: أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف، فلما قدم الرجل مكة اخبر «المطلب» أخى «هاشم» بما سمعه و رآه، فاشتاق «المطلب» الى ابن أخيه فذهب الى المدينة، و لما وقعت عيناه على ابن اخيه «شيبة» عرف شبه أخيه هاشم، و توسّم فيه ملامحه، ففاضت عيناه بالدموع، و تبادلا قبلات الشوق، و المحبة، و أراد أن ياخذه معه الى «مكة» و كانت أمه تمانع من ذلك، و لكن ممانعتها كانت تزيد من عزم العمّ على أخذه الى «مكة» و اخيرا تحققت امنية العم فقد استطاع «المطلب» أن يحصل على اذن أمه، فاردفه خلفه و توجّه حدب «مكة» تدفعه رغبة طافحة الى إيصاله إلى والده هاشم.

(۲) و فعلت شمس الحجاز. و اشعتها الحارقة فعلتها فى هذه الرحلة فقد غيّرت لون وجه شيبة و أبلت ثيابه، و لهذا ظنّ أهل «مكة» عند دخوله مع عمه «مكة» أنه غلام اقتناه «المطلب» فكان يقول بعضهم لبعض: هذا عبد المطلب، و كان المطلب ينفى هذا الأمر، و يقول:

إنما هو ابن أخی هاشم و ما هو بعبدی، و لکن ذلک الظن هو الآخر فعل فعلته، و عرف «شیبة» بعبد المطلب «۱».

و ربما یقال: أن سبب شهرته بهذا الاسم هو انه تربی و ترعرع فی حجر عمّه

---

(۱) الکامل لابن الاثیر: ج ۲ ص ۶، و تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۸ و ۹، السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۳

«المطلب» و کانت العرب تسمی من یترعرع فی حجر أحد و ینشأ تحت رعایته عبدا لذلک الشخص تقدیرا لجهوده و تثمینا لرعایته. (۱)

۵- عبد المطّلب:

اشارة

عبـد المطّلب بن هاشم و هو الجدّ الأول للنبی صـلّی اللّه علیه و آله کان رئیس قریش و زعیمها المعروف، و کانت له مواقف بارزة، و أعمال عظیمـة فی حیاته، و حیث أن ما وقع من الحوادث فی أیام حکمه یرتبط ارتباطا وثیقا بتاریخ الإسـلام و لهذا یتعین علینا دراسـة بعض تلکم الحوادث و الوقائع. سید المرسلین ج۱ ۱۵۳ ۵ - عبد المطلب: ..... ص : ۱۵۳

شـک أن المرء مهما تمتع بنفسـیة قویـة فانه سـیتأثر- فی المال- ببیئته و عاداتها، و تقالیـدها، التی تصـبغ فکره، بصـبغة خاصـة، و تطبع عقلیته بطابع معین.

بیـد أن هنـاک بین الرجـال من یقـاوم تأثیر العوامل البیئیـة بمنتهی الشـهامة و الشـجاعة، و یصون نفسه من التلوث بشـیء من أدرانها و أقذارها.

و بطل حـدیثنا هنا هو احـد النماذج الصادقة لأولئک الرجال العظماء لان فی حیاته صـفحات مشـرقة عظیمة، و سـطورا لامعة تنبئ عن نفسیته القویة، و شخصیته الشامخة.

(۲) فان الذی یعیش ثمانین عاما فی وسط اجتماعی تسود فیه الوثنیة، و معاقرة الخمر، و الربا، و قتل الأنفس البریئة، و الفحشاء حتی ان هـذه الامـور کـانت من العـادات و التقالیـد الشائعـة، و لکنه مع ذلـک لم یعـاقر الخمر طوال حیـاته، و کـان ینهی عن القتل و الخمر و الفحشاء، و یمنع عن الزواج بالمحارم، و الطواف بالبیت المعظم عریانا، و کان ملتزما بالوفاء بالعهـد، و اداء النذر بلغ الأمر ما بلغ، لهو- حقا- نموذج صادق من الرجال الذین یندر وجودهم، و یقال نظیرهم فی المجتمعات.

أجل إن شخصیة اودعت ید المشیئة الربانیة بین حنایاها نور النبی الاکرم أعظم قائد عالمی، یجب ان یکون إنسانا طاهر السلوک، نقیّ الجیب منزها عن أی نوع من أنواع الانحطاط، و الفساد.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۴

(۱) هذا و یسـتفاد من بعض قصـصه و کلماته القصار أنه کان أحد الرجال المعدودین الذین کانوا یؤمنون باللّه و الیوم الآخر فی تلک البیئة المظلمة، و کان یردّد دائما: «لن یخرج من الدنیا ظلوم حتی ینتقم منه، و تصـیبه عقوبة ... و اللّه ان وراء هذه الدار دارا یجزی فیها المحسن بإحسانه، و یعاقب فیها المسـیء باساءته» «۱» ای ان الظلوم شأنه فی الدنیا أن تصـیبه عقوبة، فاذا خرج و لم تصـبه العقوبة فهی معدّة له فی الآخرة.

و لقـد کـان «حرب بن أمیّـة» من أقربـائه، و کان من اعیان قریش و وجوهها أیضا، و کان یجاور یهودیا فاتفق أن وقع بینه و بین حرب

نزاع فی بعض اسواق تهامـة، تبودلت بینهمـا فیه کلمـات جارحـة، و انتهی ذلـک إلی مقتـل الیهودی بتحریـک من «حرب»، و لما علم «عبـد المطّلب» بـذلک قطع علاقته بحرب، و سعی فی اسـتحصال دیـة الیهودیـة المقتول من «حرب» و دفعها إلی اولیاء القتیل، و هذه القصة تکشف عن حبّ عبد المطلب للمستضعفین و المظلومین و حبه للحق و العدل.

(۲)

حفر زمزم:

منذ أن ظهرت عین زمزم نزل عندها قبیلة جرهم التی کانت بیدها رئاسة مکة طوال سـنین مدیدة، و کانت تستفید من میاه تلک العین، و لکن مع ازدهـار أمر التجـارة فی «مکـة»، و اقبـال النـاس علی الشـهوات و المفاسـد آل الأمر إلی جفاف تلک العین، و نضوب مائها بالمرة «۲».

و یقال: أن قبیلة «جرهم» لما واجهت تهدیدا من جانب قبیلة خزاعة

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۴.

(۲) لا ـ ریب أنّ تفشـی الـذنوب و المعاصـی بین النـاس من عوامـل نزول البلایـا و الکوارث و لا یبعـد أن تکون الأعمال المخزیـة من موجبات الجدب و القحط و المجاعات، و هذه الحقیقة مضافا الی انطباقها علی القواعد الفلسـفیة ممّا صرح به القرآن الکریم و السـنّة الشریفة، راجع سورة الاعراف؛ الآیة ۹۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۵

و اضـطرت إلی مغـادرة تلـک الـدیار، و ایقن زعیمها «مضاض بن عمرو» بانه سـرعان ما یفقـد زعامته، و یزول حکمه و سـلطانه بفعل هجوم العدو، امر بان یلقی الغزالان الذهبیان، و السـیوف الغالیة الثمن التی کانت قد اهدیت الی الکعبة، فی قعر بئر زمزم، ثم یملأ البئر بـالتراب و یعفی اثره إعفـاء کاملا حتی لا یهتـدی خصومه إلی مکانه ابـدا، حتی اذا عادت إلیه زعامته و عاد الی مکـة استخرج ذلک الکنز الـدفین، و اسـتفاد منه. ثم نشب القتـال بین «جرهـم» و «خزاعـة» و اضـطرت «جرهـم» و کثیر من ابنـاء اسـماعیل الی مغـادرة «مکة المکرمة»، و التوجه إلی ارض الیمن، و لم یرجع أحد منهم الی «مکة» ابدا.

(۱) و وقعت زعامـة مکـة منذ هذا التاریخ بید «خزاعة» حتی بزغ نجم قریش فی سـماء مکة بوصول قصـیّ بن کلاب (الجدّ الرابع لنبی الإسلام) إلی سدة الزعامة و الرئاسة، ثم بعد مدة انتهی امر الزعامة الی «عبد المطلب» فعزم علی أن یحفر بئر «زمزم» من جدید، و لکنه لم یعرف بموقع البئر معرفة کاملة حتی اذا عثر علیه بعد بحث طویل قرّر ان یهیء هو و ولده «حارث» مقدمات ذلک.

و حیث أنه «یوجـد فی المجتمع دائمـا من یتحجّج و یجـادل- بسـبب سـلبیته- لیمنع من أی عمـل ایجـابی مفیـد، انـبری منـافسوا «عبد المطلب» إلی الاعتراض علی قراره هـذا و بالتالی التفرد باعادة حفر بئر زمزم، لکیلا یذهب بفخر هذا العمل العظیم، و قالوا له: «إنها بئر أبینا اسـماعیل، و ان لنا فیها حقا فاشرکنا معک» و لکن «عبد المطلب» رفض هذا الطلب لبعض الاسباب، فقد کان «عبد المطلب» یرید ان یتفرد بحفر زمزم، و یسبّل ماءها لیسقی منها جمیع الحجیج دون مانع و لا منازع، و یحول بذلک دون المتاجرة به و لم یکن لیتسنی له ذلک إلّا إذا قام بحفر زمزم بوحده دون مشارکة من قریش.

(۲) و قد آل هذا الأمر الی النزاع الشدید فتقرر أن یتحاکموا الی کاهن من کهنة العرب و عقلائهم و القبول بما یقضی به، فتوجه «عبد المطلب» و منـافسوه الی ذلـک الکـاهن و قطعوا الصـحاری القاحلـة بین الحجاز و الشام، و فی منتصف الطریق أصابهم جهـد و عطش شدیدان، و لمّا تیقّنوا بالهلاک، و قرب الوفاة اخذوا

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۶

یفکرون فی کیفیهٔ الدفن اذا هلکوا و ماتوا، فاقترح «عبد المطلب» ان یبادر کل واحد إلی حفر حفرته حتی إذا أدرکه الموت دفنه الآخرون فیها، فاذا استمر بهم العطش و هلکوا یکون الجمیع (ما عدا من بقی منهم علی قید الحیاهٔ) قد اقبروا، و لم تغد أبدانهم طعمهٔ للوحوش و الطیور فأیّد الجمیع هذا الاقتراح «۱»، و احتفر کل واحد منهم حفیرهٔ لنفسه، و جلسوا ینتظرون الموت بوجوه واجمهٔ، و عیون ذابلهٔ، و فجأهٔ صاح عبد المطلب: «و اللّه إن إلقاءنا بأیدینا هکذا للموت لا نضرب فی الأرض و نبتغی لأنفسنا لعجز» و حثهم علی البحث عن الماء فی تلک الصحراء بصورهٔ جماعیهٔ عسی ان یجدوا ما ینقذهم من الموت، فرکب عبد المطلب و رکب مرافقوه، و اخذوا یبحثون عن الماء یائسین غیر مصدّقین، و لم یمض شیء حتی ظهرت لهم عین ماء عذبهٔ انقذتهم من الموت المحتم، و عادوا من حیث جاءوا و هم یقولون لعبد المطلب: «قد و اللّه قضی لک علینا یا عبد المطلب، و اللّه لا نخاصمک فی زمزم أبدا، إن الذی سقاک هذا الماء بهذه الفلاهٔ لهو الذی سقاک زمزم، فارجع إلی سقایتک راشدا و تنازلوا له لینفرد بحفر زمزم و یکون إلیه أمره دون منازع، و لا شریک» «۲».

(۱) فعمد «عبد المطلب» و ولده الوحید الحارث الی حفر البئر، و نشأ من ذلک تل هائل من التراب حول البئر، و فجأهٔ عثر «عبد المطلب» علی الغزالین المصاغین من الذهب، و السیوف المرصعهٔ المهداهٔ الی الکعبهٔ، فشبّ نزاع آخر بین «قریش» و بین «عبد المطلب» علی هذه الاشیاء، و اعتبرت «قریش» نفسها شریکهٔ فی هذا الکنز، و تقرر ان یلجئوا إلی القرعهٔ لحل هذا المشکلهٔ، فخرجت القرعهٔ باسم «عبد المطلب»، و صار جمیع ذلک الکنز إلیه دون «قریش»، و لکن عبد المطلب خصّ بتلک الاشیاء الکعبهٔ فصنع من السیوف بابا للکعبهٔ، و علق الغزالین الذهبیّین فیها.

---

(۱) و لعلّ احجام الآخرین من الإدلاء بالاقتراح و هو الیأس المطلق من تحصیل الماء.

(۲) تاریخ الیعقوبی: ج ۱ ص ۲۰۶، و السیرهٔ النبویهٔ: ج ۱ ص ۱۴۲- ۱۴۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۷

(۱)

التفانی فی سبیل الوفاء بالعهد و النذر:

رغم ان العرب الجاهلیین کانوا غارقین فی الفساد الأخلاقی فانهم کانوا یتحلون ببعض الصفات الحسنهٔ، و الخصال المحبّبهٔ.

و للمثال کان نقض العهود من أقبح الافعال فی نظرهم، فاذا عقدوا عهودا مع القبائل العربیهٔ أوثقوها بالأیمان، المغلظهٔ المؤکدهٔ، و التزموا بها إلی الاخیر، و ربما نذروا النذور الثقیلهٔ و اجتهدوا فی اداءها مهما کلف ذلک من مشقهٔ و ثمن.

و لقد أحسّ «عبد المطلب» عند حفر بئر زمزم بالضعف فی قریش لقلهٔ اولاده، و لهذا نذر اذا رزقه اللّه تعالی عشرهٔ بنین أن یقدم أحدهم قربانا للکعبهٔ و لم یطلع احدا علی نذره هذا.

(۲) و لم یمض زمان الّا و بلغ عدد ابنائه عشرهٔ، و بذلک حان أوان وفائه بنذره الذی نذر، و هو ان یذبح احدهم قربانا للکعبهٔ.

و لا شک ان تصور مسألهٔ کهذه فضلا عن تنفیذه کان امرا فی غایهٔ الصعوبهٔ علی عبد المطلب، و لکنه کان فی نفس الوقت یخشی ان یعجز عن تحقیق هذا الأمر فیکون من الناقضین للعهد، التارکین لاداء النذر، و من هنا قرر أن یشاور أبناءه فی هذا الأمر، و بعد ان یکسب رضاهم و موافقتهم یختار احدهم للذبح بالقرعهٔ «۱».

و تمت عملیهٔ القرعهٔ، فاصابت «عبد اللّه» والد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فاخذ عبد المطلب بید ابنه، و توجّه من فوره إلی

حيث يذبحه فيه.

و لما علمت قريش رجالها و نساؤها بقصة النذر المذكور و ما آلت إليه عملية القرعة حزن الناس و الشباب خاصة لذلك حزنا شديدا و بكوا و ضجوا، و قال أحدهم ليتنى ذبحت مكان هذا الشاب.

---

(۱) هـذه القضـية ذكرها كثير من المؤرخين و كتّاب السـيرة، و هـذه القصّـة إنّما هى جديرة بالاهتمام من جهة أنها تجسّد مدى إيمان «عبد المطلب» و قوّة عزمه، و صلابة إرادته، و تبين جيّدا كم كان مصرّا على الوفاء بعهوده و التزاماته.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۵۸

(۱) فاقترحت قريش على عبـد المطلب بان يفـدى «عبـد اللّه»، و اظهروا اسـتعدادهم لـدفع الفديـة إذا جاز ذلك، فتحيّر «عبـد المطلب» تجـاه تلـك المشـاعر الساخنـة، و الاعتراضـات القويـة، و راح يفكّر فى عـدم الوفـاء بنـذره، و يفكر فى نفس الوقت فى الحصول على مخلص معقول من هذه المشكلة، فقال له أحدهم: لا تفعل و انطلق إلى أحد كهنة العرب عسى أن يجد لك حلا.

فوافق «عبـد المطلب» و اكابر قريش على هذا الاقتراح، و توجهوا بأجمعهم نحو «يثرب» قاصدين ذلك الكاهن، و لما قدموا عليه سألوه فى ذلك فاستمهلهم يوما واحدا، و لما كان اليوم الثانى دخلوا عليه فقال لهم: كم دية المرء عندكم؟

قالوا: عشر من الابل.

فقـال: ارجعوا إلى بلادكم، و قرّبوا عشـرا من الإبـل و اضـربوا عليهـا و على صاحبكم «أى عبـد اللّه» القـداح فان خرجت القرعـة على صاحبكم فزيدوا عشرا، حتى يرضى ربكم، و إن خرجت على الإبل فانحروها فقد رضى ربكم و نجا صاحبكم و كانت عنه فداء.

(۲) فهدّأ اقتراح الكاهن لهيب المشاعر الملتهبة لدى الناس، لأن نحر مئات الابل كان أسـهل عليهم من أن يشاهدوا شابا مثل «عبد اللّه» يتشحط فى دمه.

و لهذا فانهم فور عودتهم إلى «مكة» بادروا إلى اجراء القرعة فى مجمع كبير من الناس و زادوا عشـرا عشرا حتى اذا بلغ عدد الإبل مائة خرجت القـداح على الإبل، و نجا «عبـد اللّه» من الذبـح، فأحـدث ذلك فرحـة كبيرة لـدى الناس، بيد أن «عبد المطلب» طلب أن تعاد عمليـة القرعـة قائلا: «لا و اللّه حتى أضـرب ثلاثا»، و أنما أراد ذلك ليستيقن ان ربه قـد رضـى عنه، و لكن فى كل مرة كانت القـداح تخرج على الإبل المائة فنحرت الابل ثم تركت لا يمنع عنها انسان و لا سبع «۱».

---

(۱) السـيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۵۳، و بحـار الانوار: ج ۱۶ ص ۷۴، و قـد نقـل عن النبىّ الأـكرم صـلّى اللّه عليه و آله أنّه قـال: «أنا ابن الـذبيحين» يقصـد بالأول جـدّه إسـماعيل عليه السّـلام و الثانى أباه «عبـد اللّه» الـذى كاد أن ينحر و لكنه نجا من الذبـح كما نجا جدّه إسماعيل عليه السّلام.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۵۹

(۱)

حادثة عام الفيل:

اشارة

عنـد ما يحـدث أمر عظيم فى أمّـة من الامم و خاصـة إذا كان ذا جـذور دينية او ذا مدلولات قومية أو سياسـية فانه سـرعان ما يتحول- بفعل اعجاب الناس عامة به- الى مبدأ للتاريخ.

فقيام النبى موسى يعتبر مبدأ للتاريخ عند اليهود، و مولد السيّد المسيح يعتبر مبدأ للتاريخ عند النصارى، و الهجرة النبوية الشريفة تعتبر مبدأ للتاريخ عند المسلمين.

و هذا يعنى أن كل أمّة من الامم تقيس حوادثها من حيث الزمان بذلك الحدث الذى تعتبره بداية تاريخها.

و أحيانا تتخذ الامم و الشعوب بعض الحوادث مبدأ للتاريخ مع انها تملك مبدأ سياسيا للتاريخ، كما نلاحظ ذلك فى بلاد الغرب و شعوبه، فقد اتخذت الثورة الفرنسية، و ثورة اكتوبر الشيوعية مبدأ للتاريخ فى فرنسا، و الاتحاد السوفياتى، بحيث اصبح يقاس بهما كل ما وقع من الحوادث بعدهما.

(۲) و لكن الشعوب غير المتحضرة التى لم تمتلك مثل تلك الثورات و الحركات السياسية و الدينية كان من الطبيعى أن تتخذ الحوادث الخارقة للعادة مبدأ لتاريخها بدلا من الثورات و التحوّلات الاجتماعية، و هذا ما حدث عند العرب و قبل الإسلام.

فانهم- بسبب حرمانهم من حضارة صحيحة- اتخذوا من بعض الوقائع المفجعة و المرة- كالحرب و الزلزال، و المجاعة و القحط او الحوادث غير الطبيعية، الخارقة العادة مبدأ لتاريخهم.

و لهذا نجد مبادئ متعددة للتاريخ عند العرب، آخرها: ضجة عام الفيل و هجوم «أبرهة» على «مكة» بهدف الكعبة المشرفة، التى صارت فى ما بعد مبدأ للتاريخ تؤرخ- بقية الحوادث و الوقائع اللاحقة.

و نظرا لأهمية هذا الحدث التاريخى العظيم الذى وقع عام ۵۷۰ و اتفقت فيه

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۶۰

ولادة النبى الكريم صلّى اللّه عليه و آله فاننا نتناول هذه القصة بالعرض و التحليل:

(۱)

ما هى عوامل هذه الحادثة؟

لقد ذكرت قصة أصحاب الفيل فى القرآن بصورة مختصرة، و سوف ننقل- هنا- الآيات التى نزلت حول هذه القصة بعد حوادثها.

يكتب المؤرخون عن علة هذه الحادثة ان ملك اليمن «تبان أسعد» والد ذى نواس بعد ان أرسى قواعد حكمه مر فى احدى رحلاته على يثرب (المدينة)، و قد كانت ل «يثرب» فى ذلك الوقت مكانة دينية مرموقة فقد قطنها جماعة من اليهود «۱»، و بنوا فيها عددا من المعابد و الهياكل، فأكرم اليهود مقدم ملك اليمن، و دعوه إلى دينهم ليستطيعوا فى ظل حكمه حماية أنفسهم من أذى المسيحيين الروميين، و المشركين العرب.

و لقد تركت دعوتهم و ما رافقها من اساليب مؤثرة اثرها فى نفس ذلك الامير و اختار اليهودية، و اجتهد فى بثها و نشرها. ثم ملك من بعده ابنه «ذو نواس» الذى جدّ فى بث اليهودية و التحق به جماعة خوفا.

بيد أن اهل نجران الذين كانوا قد دانوا بالمسيحية قبل ذلك امتنعوا من تغيير دينهم و ترك المسيحية و اعتناق اليهودية، و قاوموا «ذى نواس» مقاومة شديدة، فشق ذلك على ملك اليمن، و اغضبه فتوجه احد قادته الى نجران على رأس جيش كبير لتأديب المتمردين من أهلها فعسكر هذا الجيش على مشارف نجران، و احتفر قائده خندقا كبيرا، و اوقد فيه نارا عظيمة، و هدّد المتمردين بالاحراق بالنار.

و لكن أهل نجران الذين احبّوا المسيحية و اعتنقوها برغبة كبيرة اظهروا شجاعة كبرى، و استقبلوا الموت حرقا، و غدوا طعمة للنيران.

(۲) يقول المؤرخ الإسلامىّ «ابن الاثير الجزرى» بعد ذكر هذه القصة: لما قتل

---

(۱) وفاء الوفا: ج ۱ ص ۱۵۷، و السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۱ و ۲۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۶۱

«ذو نواس» من قتل فی الاخدود لاجل العود عن النصرانیة أفلت منهم رجل یقال له «دوس» فقدم علی «قیصر» فاستنصره علی «ذی نواس» و جنوده و اخبره بما فعل بهم، فقال له قیصر: بعدت بلادک عنا، و لکن سأکتب الی النجاشی ملک الحبشة و هو علی هذا الدین و قریب منکم، فکتب قیصر الی ملک الحبشة یأمره بنصره، فارسل معه ملک الحبشة سبعین ألفا، و أمّر علیهم رجلا یقال له «أریاط» و فی جنوده «ابرهة الأشرم» فساروا فی البحر حتی نزلوا بساحل الیمن، و جمع «ذو نواس» جنوده فاجتمعوا و کتب الی زعماء قومه من اهل الیمن یدعوهم الی الاجتماع لمقاتلة عدوّهم، فلم یجیبوه، فانهارت حکومته أمام حملة جیش الحبشة، و سیطر الاحباش علی ارض الیمن، و جعل «أبرهة» امیرا علیها من قبل «النجاشی» بعد مقتل «ارباط» علی ید «أبرهة» فی صراع علی السلطة «۱».

و هذه القصة هی التی تعرف فی القرآن الکریم بقصة «اصحاب الاخدود» و قد جاء ذکرها فی سورة البروج اذ یقول اللّه تعالی: «قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ. وَ هُمْ عَلی ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَ ما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ. الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلی كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» «۲».

و قد ذکر المفسرون هذه القصة فی شأن نزول هذه الآیات بصورة مختلفة «۳».

(۱) ثم ان «ابرهة» الذی اسکره الانتصار و الغلبة علی منافسه، و تمادی فی الشهوات بنی فی صنعاء کنیسة عظیمة تقرّبا الی ملک الحبشة، و ارضاء له ثم کتب کتابا الی «النجاشی» ملک الحبشة یقول فیه: «إنی قد بنیت لک أیها الملک کنیسة لم یبن مثلها لملک کان قبلک، و لست بمنته حتی أصرف إلیها حج العرب».

---

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۱ ص ۲۶۰- ۲۶۳، و السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۱- ۳۷.

(۲) البروج: ۴- ۹.

(۳) راجع مجمع البیان: ج ۵ ص ۴۶۴- ۴۶۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶۲

(۱) و قد أدی معرفة العرب بما جاء فی هذا الکتاب إلی ردّة فعل شدیدة لدیهم، الی درجة أن امرأة من قبیلة «بنی افقم» تسللت ذات لیلة الی تلک الکنیسة و أحدثت فیها، فأثار هذا العمل الذی کان یدل علی مدی ازدراء العرب بکنیسة «أبرهة» و احتقارهم لها، غضب «أبرهة»، هذا من جانب و من جانب آخر کان «ابرهة» کلما زاد فی تزیین تلک الکنیسة زاد ذلک من حقد العرب، و حنقهم علیه، و احتقارهم لکنیسته، فتسبب کل ذلک فی أن یحلف أبرهة علی السیر إلی الکعبة و هدمها، فسیّر لذلک جیشا عظیما، و قدّم أمامه الفیلة المقاتلة، و خرج متوجها صوب مکة و هو یعتزم هدم الکعبة بیت اللّه الحرام!!

فلما عرف زعماء العرب بغایته، و ادرکوا خطورة ذلک العمل و ایقنوا بان استقلال العرب و سیادتهم تتعرض لخطر السقوط، لم یمنعهم ما عاهدوه من قوة «ابرهة» و انتصاراته بل خرج بعضهم الی حربه فقاتلوه بکل شجاعة و بسالة مدفوعین بدافع الغیرة و الحفاظ علی الشرف المهدّد بالخطر.

(۲) فقد خرج «ذو نفر» و هو من أشراف أهل الیمن و ملوکهم، و دعا قومه و من أجابه من سائر العرب الی حرب «أبرهة» و لکن سرعان ما تغلّب «ابرهة» علیه بجیشه الکبیر، ثم خرج له بعد ذلک «نفیل بن حبیب» و بقی یقاتله مدة طویلة فهزمه «ابرهة» و اخذ له اسیرا، فطلب «نفیل» العفو منه فاشترط علیه أن یدلّه علی طریق مکة لیعفو عنه، فدلّه نفیل حتی الطائف، و اوکل الدلالة علی بقیة الطریق الی شخص آخر یدعی «ابو رغال» فدلّه أبو رغال علی الطریق حتی أرض «المغمّس» و هی منطقة قریبة من «مکة» فنزل «أبرهة» و جیشه بالمغمّس، فارسل أبرهة رجلا من الحبشة- علی عادته- الی ضواحی «مکة» فاستولی علی أموال قریش من الإبل و الغنم فساق إلیه فی جملة ذلک مائتی بعیر لعبد المطلب، ثم أمر رجلا آخر یدعی «حناطة» لیدخل «مکة» و یبلغ أهلها عنه ما جاء من اجله، و هو هدم البیت المحرّم الکعبة المعظمة، و قال له: سل عن سید اهل هذا البلد و شریفها، ثم قل له: ان الملک یقول لک: «إنی لم آت

لحربکم، انما جئت لهدم هذا البیت، فان تعرّضوا دونه بحرب فلا حاجة لی فی

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۶۳

دمائکم» فإن هو لم یرد حربی فأتنی به.

(۱) فدخل «حناطة» مکة و لما سأل عن سید قریش و شریفها، و قد کانت قبائل قریش المختلفة قد تجمعت فی اطراف البلد جماعات جماعات تتذاکر فی امر «ابرهة» و ما یجب اتخاذه من موقف تجاهه.

فدلّوه علی بیت «عبد المطلب»، و لما دخل علی «عبد المطلب» أبلغه مقالة «أبرهة» فقال له عبد المطلب: «و اللّه ما نرید حربه، و ما لنا بذلک من طاقة، هذا بیت اللّه الحرام، و بیت خلیله إبراهیم علیه السّلام، فان یمنعه منه فهو بیته و حرمه، و ان یخلی بینه و بینه فو اللّه ما عندنا دفع عنه»؟

فسرّ «حناطة» رسول ابرهة بمنطق عبد المطلب و مقالته التی کانت تحکی عن قوة ایمانه، و عن روحه المسالمة فطلب منه أن یصحبه الی «أبرهة»، قائلا:

فانطلق معی إلیه، فانه قد امرنی ان آتیه بک.

(۲)

عبد المطّلب یذهب الی معسکر أبرهة:

فتوجه عبد المطلب هو و جماعة من ولده إلی معسکر ابرهة، فاعجب «أبرهة» بوقار رئیس قریش و هیبته إعجابا شدیدا، و بهر به حتی أنه نزل له من تخته اجلالا، و اخذ بیده، و اجلسه الی جنبه، فسأله عن طریق مترجمه متأدبا: ما الذی اتی به و ما ذا یرید؟ فاجابه عبد المطلب قائلا: حاجتی أن یردّ الملک علیّ مائتی بعیر أصابها لی.

فقال «أبرهة» لترجمانه: قل له: قد کنت اعجبتنی حین رأیتک، ثم قد زهدت فیک حین کلمتنی، أ تکلمنی فی مائتی بعیر أصبتها لک، و تترک بیتا هو دینک و دین آبائک قد جئت لهدمه، لا تکلمنی فیه؟!

فقال له عبد المطلب: إنی أنا رب الإبل، و ان للبیت ربا سیمنعه، فقال «أبرهة» مغترا بنفسه: ما کان لیمتنع منی.

ثم أمر بان ترد الابل إلی أصحابها.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۶۴

(۱)

انتظار قریش:

و لقد انتظرت قریش عودة «عبد المطلب» من معسکر «أبرهة» بفارغ الصبر لتعرف نتیجة ما دار بینه و بین أبرهة، و عند ما عاد «عبد المطلب» اخبرهم الخبر، و امرهم بالخروج معه من مکة، و التحرز فی رءوس الجبال من معرّة الجیش فخرجوا الی الشعاب، و الجبال، ثم لما کان اللیل نزل عبد المطلب مع جماعة من قریش الی الکعبة و اخذ بحلقة بابها یدعون اللّه و یستنصرونه علی أبرهة و جنده و قال «عبد المطلب» مناجیا اللّه سبحانه: «اللّهم أنت أنیس المستوحشین و لا وحشة معک فالبیت، بیتک و الحرم حرمک و الدار دارک و نحن جیرانک تمنع عنه ما تشاء و رب الدار أولی بالدار» ثم قال:

لا همّ إن «۱» العبد یمنع رحله فامنع حلالک «۲»

لا یغلبنّ صلیبهمو محالهم عدوا محالک «۳» و قال أیضا:

یا ربّ لا أرجو لهم سواکایا ربّ فامنع منهمو حماکا

إن عدوّ البيت من عاداكاامنعهم أن يخربوا فناكا ثم انه ترك حلقة الباب، و لجأ الى الجبل لينظروا ما سيجرى.

(۲) و فى الصباح و عند ما كان «أبرهة» و جنده يستعدون للتوجه الى «مكة»، و اذا بأسراب من الطيور تظهر من جهة البحر يحمل كل واحد منها ثلاثة احجار، حجر فى منقاره، و حجرين فى رجليه، فاظلم سماء الجيش بتحليق تلك الطيور فوق رءوس الجند، و تركت تلك الاحجار الصغيرة الحقيرة فى ظاهرها اثرها العجيب فقد رجمت تلك الطيور جنود «ابرهة» بتلك الاحجار بامر اللّه، فكانت لا تصيب منهم أحدا إلّا تحطم راسه، و تمزق لحم بدنه، و هوى صريعا،

---

(۱) لاهم أصلها: اللّهم و العرب تحذف الالف و اللام و تكتفى بما بقى.

(۲) الحلال جمع حلة و هى جماعة البيوت.

(۳) المحال: القوّة و الشدّة

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۶۵

و هلك من توه، فاصابت واحدة من تلك الاحجار رأس «ابرهة» نفسه فارتعدت فرائصه و ايقن بغضب اللّه و سخطه عليه، فنظر الى جنوده و هم أشلاء مبثوثون هنا و هناك على الأرض كورق الشجر فى فصل الخريف، فصاح بمن لم يزل على قيد الحياة من جنده بامرهم بأن يتهيّا و العودة الى اليمن، من حيث أتوا، فاخذ بقية الجند طريق اليمن هاربين، غير أن هذه البقية قد هلكت شيئا فشيئا فى أثناء الطريق حتى أن أبرهة نفسه بعد أن لم يصل الى صنعاء إلا بعد ان تفرّق لحم بدنه، و سقطت اعضاؤه و جوارحه و مات بصورة عجيبة.

(۱) و قد دوّى صوت هذه الواقعة العجيبة و الرهيبة فى العالم آنذاك، و قد ذكرها القرآن الكريم فى سورة الفيل اذ يقول تعالى: «أ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ. أ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِی تَضْلِيلٍ. وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ».

و ما ذكرناه هنا- فى هذه الصفحات- ليس هو فى الحقيقة إلّا خلاصة ما ورد فى كتب التاريخ الإسلامى، و صرح به القرآن الكريم «(۱).

و استكمالا لهذا البحث نعمد هنا إلى دراسة نظرية المفسر المصرى الكبير الشيخ «محمّد عبده» و العلامة المعروف الدكتور «هيكل» وزير الثقافة المصرى السابق فى هذا المجال.

(۲)

كلمة حول المعجزة:

لقد أوجد التقدم العلمىّ الأخير فى مختلف مجالات العلوم الطبيعية و الفضائية، و ما استلزم ذلك من تهافت طائفة كثيرة من الفرضيات، ضجة عجيبة فى الغرب، فمع أن جميع تلك التطورات كانت مجرد تطورات علمية تجرى فى مجال المسائل الطبيعية أو الفلكية، و لم يكن لها اية صلة بالمعتقدات الدينية

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۳- ۶۲، و الكامل فى التاريخ: ج ۱ ص ۲۶۰- ۲۶۲، و بحار الأنوار: ج ۵ ص ۱۳۰- ۱۴۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۶۶

فإنّ هذا التحول و التطور و تلك الكشوف أوجدت شكا عجيبا لدى بعض الناس انسحب على جميع المعارف و المعتقدات الدينية الموروثة على وجه الاطلاق!

(۱) و السرّ فی ذلک هو أن العلماء رأوا بأن الفرضیات القدیمـة، التی بقیت تسیطر علی الأوساط العلمیـة لمـدة طویلة من الزمان، قد اصبحت الیوم عرضـة للبطلان و السـقوط تحت مطارق التجربـة و بواسطة الاختبارات العلمیّة، و التحقیقات المختبریـة، فلم یعد- بعد هذا- مجال للقول بفرضـیة الافلاک التسعة التی طلع بها «بطلمیوس»، و لا بفرضـیة مرکزیة الارض، و لا غیرها من عشرات الفرضیات، فقالوا فی أنفسهم: و من أین تری لا تکون بقیة المعلومات و المعارف الدینیة من هذا القبیل؟!

و قـد تفاقم هـذا النوع من الشک فی قلوب جماعة من العلماء بالنسـبة الی جمیع المعتقدات و المعارف الدینیة و نمی بشـکل قویّ فی فترة قصیرة، و عمّ الاوساط العلمیة کأیّ مرض!!

(۲) هـذا مضافا إلی أنّ محـاکم التفتیش و تشـدّد الکنیسـة و أربابهـا کـان لهـا النصـیب الاکبر فی ظهور هـذه الحالـة بل فی نموّها، و اطرادها، لأن الکنیسة کانت تقضـی علی العلماء الذین نجحوا فی اکتشاف القوانین العلمیة تحت التعذیب و الاضـطهاد القاسـی بحجة أنها تخالف الکتاب المقدس، و تعارض مقرّرات الکنیسة!!

و ممّا لا یخفی أنّ مثل هـذه الضـغوط، و هذا الاضـطهاد و التعجرف ما کان لیمرّ من دون حدوث ردة فعل، و قد کان من المتوقع منذ البدایـة أن العلماء فی الغرب لو اتیحت لهم الفرصـة لانتقموا من الـدین، بسـبب سوء تصـرف الکنیسـة، و سوء معاملتهم لهم خاصـة، و للناس عامة.

(۳) و قـد حـدث هـذا فعلا فکلّما تقدم العلم خطوة، و اطّلع العلماء علی العلاقات السائدة بین الکائنات الطبیعیة، و اکتشـفوا المزید من الحقائق الکونیـة، و العلل الطبیعیـة لکثیر من الحوادث و الظواهر المادیة، و کذا علل الأمراض، قلّ اعتناؤهم بالقضایا المیتافیزیقیة، و ما یدور حول المبدأ و المعاد و الافعال الخارقة للعادة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶۷

کمعاجز الأنبیاء، و ازداد عدد المنکرین لها و الشاکین فیها، و المترددین فی قبولها یوما بعد یوم!!

(۱) لقـد تسبّب الغرور العلمیّ الـذی أصیب به العلمـاء فی الغرب فی أن ینظر بعض اولـئک العلمـاء الی جمیع القضایـا الدینیـة بعین الازدراء و التحقیر، و أن یمتنعوا حتی عن التحدث فی المعاجز التی یخبر بها التوراة و الانجیل، و یعتبروا عصـی موسـی علیه السّلام، و یـده البیضـاء، و نفخـة المسیح علیه السّـلام التی کانت تشـفی المرضـی و تحیی الموتی من الأساطیر، و راحوا یتساءلون- فی عجب و استنکار-:

و هل یمکن أن تتحول قطعة من الخشب الیابس إلی أفعی، أو ثعبان، أو هل یمکن ان تعود الحیاة إلی میّت بکلمات من الدعاء؟

(۲) لقـد تصور العلماء الـذین أسـکرتهم فتوحاتهم العلمیة، أنهم ملکوا مفاتیح جمیع العلوم، و وقفوا علی جمیع العلاقات بین الکائنات الطبیعیـة و الظواهر الکونیـة، و من هنا تصوّروا أنه لا توجـد أیـة علاقة بین قطعة الخشب و الثعبان، او بین جملة من الدعاء و التفاتة من بشر و عودة الروح الی الموتی، و لهذا أخذوا ینظرون الی هذه الامور بعین الشک و التردید، و ربما بعین الانکار و الرفض المطلق!!

و قـد سری هـذا النوع من التفکیر الی اوساط بعض العلماء المصـریین الذین تأثروا بهذا الاتجاه اکثر من غیرهم، مع بعض التعدیل فی ذلک الموقف، و شـیء من الاختلاف فی النظرة المذکورة، و لهذا اتبعوا تلک السیرة فی تحلیل الوقائع و الحوادث التاریخیة و العلمیة من هـذا النوع، و السرّ فی تـأثر بعض علمـاء مصـر بهـذه النظرة قبل و اکثر من غیرهم هو احتکاک هـذه الجماعـة بالأفکار الواردة من الغرب قبل غیرهم، و من هذه المنطقة سرت بعض النظریات و الآراء الغربیة الی البلاد الإسلامیة الاخری.

(۳) لقـد اختار هؤلاء طریقا خاصا قصـدوا به الحفاظ علی حرمـة الکتاب العزیز، و الاحادیث القطعیـة و مکانتها من جهة، و کسب نظر العلماء المادیین الطیعیین الی انفسـهم من جهـة اخری، أو ارادوا ان لا یختاروا ما لا یمکن التوفیق بینه و بین القوانین العلمیـة الطبیعیة و تطبیقه علیها.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶۸

(۱) لقد وجد هؤلاء من جهة أن القرآن الكريم يخبر عن سلسلة من المعجزات و الخوارق التى لا يمكن تفسيرها بالعلوم العادية المتعارفة، لأن العلم لا يستطيع أن يدرك العلاقة بين العصا الخشبية اليابسة و الثعبان، و من جهة اخرى كان القبول بالنظريات التى لا يمكن إثباتها بالحسّ و التجربة أمرا فى غاية الصعوبة لهم.

و لهذا السبب، و فى خضمّ الصراع بين هذين العاملين: العلم و العقيدة، اختار هؤلاء الكتاب و العلماء نهجا يستطيعون به وضع نهاية لهذا الصراع، و التنازع، فيحافظون على ظواهر القرآن و الأحاديث من جانب، و يتجنبون القول بما يخالف منطق العلم من جانب آخر، و يتلخص هذا النهج فى تفسير جميع المعاجز و جميع خوارق العادة التى جرت على أيدى الأنبياء بالموازين العلمية الحاضرة الرائجة فى هذا العصر بصورة تبدو و كأنها امور طبيعية، و بهذا يكونون قد حافظوا على مكانة القرآن الكريم و الاحاديث القطعية المسلّمة، و لم يتفوهوا بما يخالف العلم الحديث و يتعارض مع معطياته.

(۲) و نحن هنا نذكر من باب النموذج و المثال: التفسير الذى ذكره العلامة المصرى المعروف «محمّد عبده» لقصة اصحاب الفيل و ما جرى لهم:

فهو يقول عند تفسيره لسورة الفيل:

«فيجوز لك ان تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض، و ان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بارجل هذه الحيوانات، فاذا اتصل بجسد دخل فى مسامّه فاثار فيه تلك القروح التى تنتهى بافساد الجسم و تساقط لحمه، و أن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعدّ من أعظم جنود اللّه فى إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، و أن هذا الحيوان الصغير- الذى يسمونه الآن بالميكروب- لا يخرج عنها» «۱».

---

(۱) راجع تفسير فى ظلال القرآن: ج ۳۰ ص ۲۵۱.

(۱) و قال أحد الكتاب مؤيدا هذا الاتجاه بقوله: «إن الطير المستعمل فى الكتاب العزيز يراد منه مطلق ما يطير، و يشمل الذباب و البعوض أيضا»

و لا بدّ- قبل دراسة هذه الأقوال- أن نستعرض مرة اخرى الآيات النازلة فى اصحاب «الفيل».

يقول اللّه تعالى: «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ أَ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ».

إن ظاهر هذه الآيات يفيد أن جيش أبرهة اصيب بالغضب و السخط الالهى، و ان هلاكه و فناءه كان بهذه الأحجار التى حملتها تلك الطيور، و ألقت بها على رءوس الجند و أبدانهم.

إن الأمعان فى مفاد هذه الآيات يعطى أن موتهم كان بسبب هذه الاسلحة غير الطبيعية (الصغيرة الحقيرة فى ظاهرها، القوية الهدامة بفعلها و أثرها).

و على هذا فانّ أى تفسير يخالف ظاهر هذه الآيات لا يمكن الذهاب إليه و حمل الآيات عليه ما لم يقم على صحته دليل قطعى. (۲)

نقاط تقتضى التأمل فى التفسير المذكور:

(۳) ۱- إنّ التفسير المذكور لا يستطيع كذلك أن يجعل كل تفاصيل هذه الحادثة أمرا طبيعيا، بل هناك جوانب فى تلك الواقعة التاريخية العجيبة لا بد من تفسيرها بالعوامل و الاسباب الغيبية، لأنه مع فرض أن هلاك الجند و تلاشى أجسادهم تم بواسطة

میکروب: «الحصبة» و «الجدری»، و لکن من الذی ارشد تلک الطیور الی تلک الاحجار الصغیرة الملوثة بمیکروب الحصبة و الجدری، فتوجهت بصورة مجتمعة الی تلک الاحجار الخاصة بدل التوجه إلی الحبّ و الطعام، ثم کیف بعد حمل تلک الأحجار بمناقیرها و أرجلها حلّقت فوق معسکر «أبرهة» و رجمت جنده کما لو أنّها جیش منظّم موجّه؟؟

هل یمکن اعتبار کل ذلک أمرا عادیا، و حدثا طبیعیا؟

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۰

تری لو أننا فسّرنا طرفا من هذه الحادثة العظیمة و العجیبة بالعوامل الغیبیة، و بارادة اللّه النافذة فهل تبقی مع ذلک أیة حاجة الی أن نفسّر جانبا من هذه الحادثة بتفسیر طبیعی مألوف، و نرکض وراء التوجیهات الباردة، لنجعلها امرا مقبولا.

(۱) ۲- إنّ الکائنات الدقیقة، او ما یسمی الآن ب «المیکروب» لا شک انها عدوة لمطلق الإنسان، و لیست بصدیقة لهذا أو ذاک، و مع ذلک کیف توجهت الی جنود «ابرهة» و قتلتهم دون غیرهم، و کیف نسیت المکیین بالمرة؟!

انّ التاریخ المدوّن یثبت لنا أن جمیع الضحایا فی هذه الواقعة العظیمة کانوا من جند «ابرهة» و لم یلحق فیها: أیّ أذی- إطلاقا- بقریش، و غیرهم من سکان الجزیرة العربیة، فی حین أن الحصبة و الجدریّ من الأمراض المعدیة، التی تنقلها العوامل الطبیعیة کالریاح و غیرها من منطقة إلی اخری، و ربما تهلک اهل قطر باجمعهم.

فهل مع هذا یمکن أن نعدّ هذه الحادثة حدثا طبیعیا عادیا؟!

(۲) ۳- ان اختلاف هذا الفریق فی تحدید نوعیة المیکروب، یضفی علی هذا الادعاء مزیدا من الإبهام، و یجعله أقرب الی البطلان.

فتارة یقولون: انّه میکروب الوباء و تارة اخری یقولون: انّه داء الحصبة و الجدری، فی حین اننا لم نجد مستندا صحیحا لهذا الخلاف، و مبررا وجیها لهذا الاختلاف، اللّهم إلّا ما احتمله «عکرمة» من بین المفسرین، و عکرمة هو نفسه موضع نقاش بین العلماء و الّا لما ذهب «ابن الاثیر». من بین المؤرخین و ارباب السیر الی ذکر هذا الرأی فی صورة الاحتمال الضعیف، و القیل، ثم عاد فردّ هذا القول فورا «۱».

و الأعجب من الجمیع ما أعطاه مؤلف کتاب «حیاة محمّد» الدکتور هیکل وزیر المعارف المصری السابق من تفسیر، عند ذکر قصة الفیل.

---

(۱) الکامل: ج ۱ ص ۲۶۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۱

(۱) فهو بعد ذکر تلک القصة سرد آیات سورة الفیل، و مع أنه اتی بقول اللّه تعالی «و أرسل علیهم طیرا أبابیل» قال عن هلاک جنود أبرهة: «و لعلّ جراثیم الوباء جاءت مع الریح من ناحیة البحر، و أصابت العدوی أبرهة نفسه» «۱» فاذا کان الذی جاء بهذا المیکروب هو الریح، فلما ذا حلّقت طیور الأبابیل علی رءوس جیش أبرهة، و ألقت بالأحجار الصغیرة علی رءوسهم و دون غیرهم، و أی أثر کان لهذه الاحجار فی هلاک أولئک الجنود و موتهم؟

فالحق هو: أن لا یتبع هذا النمط من التفکیر، و أن لا نسعی لتفسیر معجزات الأنبیاء- الکبری بمثل هذه التأویلات و التفسیرات، بل إن طریق المعجزات و الإعجاز أساسا یختلف عن طریق العلوم الطبیعیة التی تتحدد دائرتها بمعرفة العلاقات العادیة بین الظواهر الطبیعیة، و لهذا یجب علینا أن لا- نعمد- ارضاء لهوی جماعة ممّن لا یمتلکون أیة معلومات دینیة، و لیست لدیهم أیة معرفة بهذا النوع من القضایا- الی التنازل عن أسسنا الدینیة المسلّمة، فی حین لا توجد أیة حاجة ملزمة إلی مثل ذلک التنازل و الاعتذار!.

(۲)

نقطتان هامّتان:

و هنا لا بد من أن نذکّر بنقطتین هنا:

(۳) الاولی: یجب ان لا یظن أحد- خطأ- أننا بما قلناه هنا نرید تصحیح کل ما تلوکه ألسن الناس، و تنسبه الی الأنبیاء العظام، أو إلی عباد اللّه الکرام، من دون أن یکون له أی سند صحیح أو وجه معقول بل و ربما اتّسم بطابع الخرافهٔ فی بعض الاحیان و الموارد.

بل مقصودنا هو: أن نثبت- و طبقا للمصادر الصحیحهٔ و القطعیهٔ المتوفرهٔ- أن الأنبیاء کانوا یقومون- لاثبات ارتباطهم بما وراء هذه الطبیعهٔ- بأعمال خارقهٔ للعادهٔ، خارجهٔ عن الناموس الطبیعیّ المألوف، تعجز العلوم الطبیعیهٔ الرائجهٔ عن

---

(۱) حیاهٔ محمّد لمحمّد حسین هیکل: ص ۱۰۲ و ۱۰۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۲

إدراک عللها، و أسبابها.

فهدفنا هو الدفاع عن هذه الطائفهٔ من المعاجز.

(۱) الثانیهٔ: إننا لا نقول مطلقا: أنّ وجود المعجزهٔ هو تخصیص لقانون العلیهٔ العامّ، بل اننا فی الوقت الذی نحترم فیه هذا القانون المسلّم نعتقد بأن لجمیع حوادث هذا العالم عللا خاصهٔ و اسبابا معینهٔ، و أنه من المستحیل أن یوجد شیء بعد عدمه من دون علهٔ، بید أننا نقول ان لهذه الطائفهٔ من الظواهر و الوقائع (أی المعاجز) عللا غیر طبیعیهٔ، و ان هذه العلل میسّرهٔ و متاحهٔ لأنبیاء اللّه و رسله و الرجال الإلهیین خاصهٔ، و لیس فی مقدور أحد- لم یستطع لا عن طریق الحس و لا عن طریق التجربهٔ أن یکتشف هذه العلل- أن یتنکّر لها، و ینکرها، بل ان جمیع الاعمال الخارقهٔ التی یقوم بها أنبیاء اللّه ناشئهٔ عن علل لا یمکن تفسیرها بالعلل الطبیعیهٔ المألوفهٔ، و لو أنها خضعت للتفسیر و التوجیه لخرجت عن کونها معجزهٔ، و لم یصدق فی حقها عنوان الاعجاز.

و لکی نقف علی حقیقهٔ هذا الأمر، و نعرف مدی بطلان المذهب المذکور (مذهب تفسیر الخوارق و المعاجز بالتفسیر المادی و المألوف المحض) ینبغی أن نتبسط قلیلا فی شرح مسألهٔ الاعجاز و نبحث فی مدی علاقتها بقانون العلیهٔ العام.

(۲)

بحث علمیّ حول المعجزهٔ فی خمس نقاط:

اشارهٔ

إن الحدیث العلمیّ عن المعجزهٔ لا بدّ أن یترکّز علی عدهٔ نقاط أساسیهٔ هی:

۱- ما هی المعجزهٔ و ما هو تعریفها؟

۲- هل الإعجاز یهدم القوانین العقلیهٔ المسلّمهٔ؟

۳- هل المعجزهٔ تصدر عن علل مادیهٔ غیر عادیهٔ فقط؟

۴- کیف تدل المعجزهٔ علی صدق ادعاء النبوهٔ؟

۵- کیف و بما ذا نمیز المعجزهٔ عن الخوارق الاخری؟

إنّ الاجابهٔ علی هذه الأسئلهٔ کفیلهٔ بتوضیح حقیقهٔ المعجزهٔ، و بیان مدی بطلان الاتجاه المذکور نعنی: تفسیر المعاجز بالتفسیر المادی الطبیعی.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۳

علی أننا- نظرا لضیق المجال- سنختصر الجواب علی هذه الأسئلهٔ، و علی من أراد التوسع أن یرجع إلی کتب الکلام و العقیدهٔ.

۱- ما هی المعجزة و ما هو تعریفها؟

لقـد عرّف علماء العقیـدة المعجزة بتعاریف مختلفة أتقنها و أکملها هو: انّ المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالدعوی، و التحدّی، مع عدم المعارضة، و مطابقة الدعوی «۱».

و یعنی الشـرط الأول (أی کون المعجزة أمرا خارقا للعادة) أن کل ظاهرة من الظواهر الطبیعیـة الحادثـة مرتبطـة بعلـة حتما، فلا یمکن صـدورها من دون علـة، و هذا الکون مشـحون بالعلل التی یکتشـفها البشـر شـیئا فشـیئا و تدریجا عبر وسائله العادیة أو العلمیّة، و لکنّ المعجزة مع کونها ظاهرة واقعیة و لهذا فهی کغیرها مرتبطة بعلة، بید أنها تختلف عن غیرها من الظواهر فی أنّ من غیر الممکن کشـف عللها من الطریق العادیة أو بواسـطة التجارب و التحقیقات العلمیة، و لا یمکن تفسیرها و تبریرها بالعلل العادیة أو بما یکتشفه العلم من العلل لمثل هـذه الحوادث، و المقصود من خرق العادة هو أن تقع المعجزة علی خلاف ما عهـدناه و تعوّدنا علیه فی الظواهر الاخری و عللهـا، مثـل إشـفاء المرضـی من دون علاج و دواء کما هو المعهود، و اخراج الماء من صـخرة صـماء من دون حفر أو تنقیب کما هو المـألوف، و تحویل العصا الی أفعی من دون تبییض و تفریـخ و توالـد و تناسل، بل بمسـح من یـد، أو بعبارة من لسان، او بضـرب من عصا!!

من هنـا نکتشف أن کـل ظـاهرة یقف النـاس العادیّون بالطرق العادیـة أو العلماء خاصـة بالطرق العلمیـة علی عللها و أسـبابها لا تکون معجزة لأنّه فی هذه

---

(۱) راجع للوقوف علی هذا التعریف: کشف المراد فی شـرح تجرید الاعتقاد للعلامة الحلّی شرحا و المحقق نصیر الدین الطوسی متنا: ص ۲۱۸، و أیضا شرح تجرید الاعتقاد للعلامة القوشجی:

ص ۴۶۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۴

الصورة لم یقع أی شیء علی خلاف العادة، و المألوف لیدل علی مزیة فی الأنبیاء.

فان مثل هذه الظاهرة التی یکون لها علة عادیة یعرفها جمیع الناس، أو سبب علمی خاص یعرفها علماء و متخصّصو ذلک العلم یمکن أن یقوم بایجاد أمثالها جمیع الناس، فلا یکون حینئذ معجزة.

و لاـ یعنی هـذا- و کما اسـلفنا- أنّ المعجزة لا تنتهی الی أیـة علـة، أصـلا، بل هی تسـتند إلی علـة غیر متعارفـة و غیر عادیـة، و لمزید التوضیح سنبحث فی هذا المجال عند الاجابة علی السؤال الثالث.

و یقصد من الشرط الثانی (أی کون الاعجاز مقرونا بالدعوی) أن یدّعی صاحب المعجزة النبوة و السفارة من جانب اللّه تعالی، و یأتی بالمعجزة دلیلا علی صـحة دعواه هذه، إذ فی غیر هذه الصورة لا یکون الأمر الخارق للعادة معجزة بل یطلق علیه فی الاصطلاح الدینی لفظ «الکرامة» کما کان لمریم بنت عمران التی کلما دخل علیها زکریا المحراب و جد عندها رزقا فاذا سألها من أین لها ذلک؟

قالت: هو من عند اللّه «۱».

و یعنی الشـرط الثالث أن یکون الاعجاز مقرونا بـدعوة الناس الی الإتیان بمثله، و عجز الناس عن هـذه المعارضة، و عدم قدرتهم علی الاتیان بمثله مطلقا إذ فی هذه الصورة یتضح أنّ النبی یعتمد علی قوة إلهیة غیر متناهیة، قوة خارجة عن حوزة البشر العادی.

و امـا الشـرط الرابع فیعنی أن الأـمر الخـارق للعـادة إنّمـا یکون عملاـ إعجازیا، و یسـتحق وصف المعجزة الدالّـة علی ارتباط الآتی بها بالمقام الالهیّ، إذا وافق الأمر الواقع ما یدعی أنه قادر علی الإتیان به.

فلو قـال: سأجعـل هـذا البئر الجاف الفارغ من الماء، یفیض بالماء باشارة اعجازیـة، ثم یقع ما قاله کان هـذا الأمر معجزة حقا، و أما إذا

قال: سأجعل هذا

(۱) راجع سورة آل عمران: ۳۷.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۷۵

الماء القلیل الموجود فی البئر یفیض ماء، بالإعجاز، و لکن جفّ ذلک البئر علی عکس ما قال، لم یکن ذلک إعجازا، بل کان تکذیبا لمدعیها.

هذا هو خلاصة ما یمکن أن یقال حول تعریف المعجزة و الاعجاز و هو یساعد علی فهم طبیعة العمل الإعجازیّ.

۲- هل الاعجاز یهدم القوانین العقلیة المسلّمة؟

اشارة

و بهـذا یتضـح جواب السؤال المطروح فی هـذا المجال و هو أن یقال: إن قانون العلیّـة (أی: ارتباط کل معلول حادث بعلة) ممّا ارتکز علیه الذهن البشـری و قبله العلم و الفلسفة، و لذلک فاننا نلاحظ: کلّما وقف الإنسان علی ظاهرة مهما کانت- بحث عن علّتها فورا فاذا رأی حیة- مثلا- عرف بان علتها الطبیعیة هی أن تبیض حیّة، ثم خروج حیّة من البیض بعد سلسـلة من التفاعلات فکیف یمکن القبول بالمعـاجز مع أنهـا لاـ تنشأ عن مثل هـذا العلل و لا تمرّ بمثل هـذه المقـدمات و المراحل و التفاعلات الطبیعیّـة، مثل انقلاب العصا إلی ثعبان، أو نبوع الماء من الصخر من دون حفر أو تنقیب.

أ لیس هذا هدم، أو تخصیص لذلک القانون العقلیّ المسلّم العام؟

فان الجواب علی هـذا السؤال هو ان مثل هـذا السؤال لا یطرحه إلّا الّذین یحصـرون العلل و العلاقات بین الاشـیاء فی العلل و العلاقات المادیة الطبیعیة.

و لکن الحق هو أنّ أیّة ظاهرة مادیة یمکن أن یکون لها نوعان من العلل:

۱- العلة العادیة التی تخضع للتجربة.

۲- العلة غیر العادیة التی لا یعرفها الناس و لم تکن متعارفة و لا تخضع للتجربة العلمیة.

و هذا یعنی أنه لا توجد أیة ظاهرة فی هذا العالم بدون علة.

و توضیح هذا أن أصل وجود الحیة و نبوع الماء من الصخرة و تکلم الطفل- مثلا- أمر ممکن، و لا یعدّ من المحالات، لأنها لو کانت من المحالات لما تحقق وجودها أبدا.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۷۶

نعم أنها بحاجة إلی علة لکی تتحقق، و العلة- سواء فی المعاجز أو غیرها- یمکن أن تکون إحدی الامور التالیة:

أ- العلة الطبیعیة العادیة

و هی ما ألفناها و أعتدنا علیها مثل ظهور شجرة من نواة بعد سلسلة من التفاعلات.

ب- العلة الطبیعیة غیر العادیة و غیر المعروفة

و هـذا یعنی أنه قـد یکون لظاهرة معینـة نوعان من العلل، و طریقان للتحقق و الوجود أحدهما معروف و معلوم، و الآخر مجهول و غیر معلـوم، و الأنبیـاء بحکم اتصـالهم بـالعلم و القـدرة الالهیـة، یمکن أن یقفـوا علی هـذا النوع من العلـل- عن طریق الوحی- و یوجـدوا

الظاهرة.

ج- تأثير النفوس و الارواح:

فانّ بعض الظواهر يمكن أن تكون ناشئة من تأثير أرواح الأنبياء و نفوسهم القوية، كما نلاحظ ذلك فى مجال المرتاضين الهنود الذين يبلّغون درجة يستطيعون معها أن يقوموا بما يعجز عنه الأفراد العاديّون، و ذلك بفضل الرياضات النفسية التى يخضعون لها. و هو ما يسمى باليوجا أحيانا، و قد كتبت حوله كتب و دراسات «۱».

و قد أشار الى هذا جملة من علماء الإسلام و فلاسفته منهم الفيلسوف الإسلامى الشهير صدر الدين الشيرازى حيث يقول:

«لا-عجب أن يكون لبعض النفوس قوة إلهية تكون بقوتها كأنها نفس العالم فيطيعها العنصر طاعة بدنها لها، فكلّما ازدادت النفس- تجردا و تشبّها بالمبادئ القصوى ازدادت قوة و تأثيرا فى ما دونها.

و إذا صار مجرد التصوّر و التوهم سببا لحدوث هذه التغيّرات فى هيولىّ البدن لأجل علاقة طبيعيّة، و تعلّق جبلّى لها إليه، لكان ينبغى أن تؤثر فى بدن الغير و فى هيولىّ العالم مثل هذا التأثير، لأجل مزيد قوة شوقية، و اهتزاز علوى للنفس

---

(۱) راجع كتاب الطاقة الانسانية لأحمد حسين.

و محبة إلهية لها، فيؤثر نفسه فى إصلاحها، و إهلاک ما يضرّها و يفسدها» «۱».

د- العلل المجردة عن المادة:

فيمكن ان تكون للظواهر علل مجردة عن المادة كالملائكة، بان تقوم الملائكة بأمر من اللّه سبحانه بتدمير قرية، او تقوم بمعجزة بعد طلب النبىّ منها ذلک.

و الملائكة مظاهر القدرة الالهية فى الكون، و هى التى تدبّر امور الكون بأمر اللّه تعالى كما يقول القرآن الكريم: «فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً» «۲» و هى بالتالى جنود اللّه فى السماوات و الأرض «وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ» «۳».

فلا بد من ارجاع الظواهر الطبيعية الواقعة الى أحد هذه العوامل الاربعة، و لا يمكن أبدا حصر العلة فى العلة الطبيعية العادية المعروفة كما تصور منكروا الاعجاز، بل يمكن أن تكون كل واحدة من هذه العلل سببا لحدوث الظاهرة الطبيعية، فاذا لم نشاهد علة ظاهرة من الظواهر لم يجز لنا أن نبادر- فورا- إلى تصوّر أنها ناشئة من غير علة.

و يجب ارجاع معاجز الأنبياء الى إحدى الطرق الاخيرة، و القول بأن الأنبياء استخدموا- فى ايقاع الخوارق و المعاجز- إما العلل المادية غير المعروفة للعرف، و العلم، و أما نفوسهم القوية التى حصلت لهم بفعل الجهاد الروحىّ العظيم و الرياضات النفسية الشديدة فهى علة تلک الأفعال الخارقة للعادة.

كما و يمكن ان تكون جميع تلک الافعال العجيبة ناشئة عن جملة من العلل و العوامل الغيبية المدبّرة للكون بامر اللّه و مشيئته.

إذن فلا تتحقق المعجزة بدون علة كما يتصوّر، و لا يهدم الاعجاز القوانين العقلية المسلّمة.

---

(۱) راجع المبدأ و المعاد: ص ۳۵۵ و ۳۵۶ لصدر المتألهين المشهور بصدر الدين الشيرازى، و شرح المنظومة للحكيم السبزوارى: ص ۳۲۷ قال السبزوارى ناظما:

يطيعه العنصر طاعة الجسدللنفس فالكل كجسمه يعدّ

(۲) النازعات: ۵.

(۳) الفتح: ۴.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۷۸

۳- هل المعجزة تصدر عن علل مادیة غیر معروفة فقط؟

قد یتصور البعض أن المعاجز تصدر عن علل مجردة عن المادة فقط نافین أن تکون لها أیّة علل مادیة معروفة او غیر معروفة، فی حین لا یصح هذا السلب الکلی، اذ ما اکثر الخوارق التی تنشأ عن امور عادیة و عبر سلسلة من التفاعلات الطبیعیة.

فعند ما یرقد مرتاض هندی لیمرّ علیه تراکتور من دون ان تحدث فی جسمه أیة جراحات أو اصابات فان هناک امورا مادیة کثیرة دخلت فی هذا الأمر الخارق مثل: وقوع هذا الحدث فی اطار الزمان الخاص، و المکان الخاص، و مثل جسم المرتاض، و ما کنة الحراثة.

فان جمیع هذه الاشیاء المادیة اثرت فی ظهور هذا العمل الخارق.

و هکذا عند ما تنقلب عصا الکلیم علیه السّلام إلی حیة علی نحو الاعجاز فان العصا شیء مادی و هکذا الحال فی غیره من الموارد.

و لهذا لا یمکن ان نتجاهل تأثیر العوامل و الامور المادیة فی ظهور الامور غیر العادیة، و ننکر دخالتها بمثل هذا الإنکار.

و هذه هی اکثر النظریات اعتدالا فی هذا المجال.

و فی مقابل ذلک التفریط «۱» أفرط آخرون اذ قالوا: ان جمیع المعاجز و الخوارق ناشئة من علل مادیة غیر معروفة.

و حتی ما یقوم به المرتاضون یعود الی هذه العوامل الطبیعیة التی لا یعرفها و لا یقف علیها حتی النوابغ من الناس فضلا عن العادیین، لأن العوامل الطبیعیة علی نوعین: المعروفة و غیر المعروفة، و الناس یستفیدون فی حیاتهم الیومیة- فی الأغلب- من القسم الاول، بینما یستخدم الأنبیاء و المرتاضون تلک العوامل الطبیعیة غیر المعروفة التی وقفوا علیها و ادرکوها دون غیرهم.

---

(۱) أی حصر علل الخوارق و المعاجز فی العوامل المجرّدة و نفی تأثیر العلل المادیّة علی نحو الاطلاق.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۷۹

و السبب فی وصفنا هذه النظریة بالافراط و التطرّف هو عدم وجود دلیل لا ثباته، بل یمکن ان یقال ان مثل هذا الموقف ناشئ عن الانهزامیة تجاه العالم المادی، أو انه لارضاء المادیین، و النافین لما لا یدخل فی إطار العالم المادی فان المادیین یرفضون أی عالم آخر غیر الطبیعة و آثارها و علاقاتها و خواصها، و حیث أن ارجاع المعجزات إلی العلل المجردة عن المادة یخالف منطق المادیین، و یضادّ اتجاههم و تصورهم لهذا عمد أصحاب هذه النظریة (نظریة إرجاع المعاجز و الخوارق إلی علل طبیعیة غیر معروفة و غیر عادیة) إلی مثل هذا التفسیر إقناعا للمادیین، و ارضاء لهم فقالوا: ان جمیع الخوارق و المعاجز ناشئة من علل طبیعیة و مادیة علی الإطلاق، غایة ما فی الأمر أنها علل غیر معروفة، شأنها شأن کثیر من العوامل الطبیعیة المجهولة.

و نحن بدورنا نترک هذه النظریة فی دائرة الاجمال و بقعة الإمکان، لعدم الدلیل لا علی طبقها و لا علی خلافها.

۴- کیف تدلّ المعجزة علی صحّة ادّعاء النبوّة؟

إن صفحات التاریخ ملیئة بذکر من ادّعوا النبوّة خداعا و کذبا، و استثمارا للناس، مستغلّین سذاجة الاغلبیة الساحقة من جانب، و انجذابهم الفطری إلی قضایا التوحید و الایمان من جانب آخر.

فکیف و بما ذا یمیّز النبیّ الصادق عن مدّعی النبوة؟؟

إن المعجزة هی إحدی الطرق التی تدل علی صحة ادّعاء النبوة.

و إنما تدلّ المعجزة علی صدق ادّعاء النبوّة، و ارتباط النبیّ بالمقام الربوبی لأن اللّه الحکیم لا یمکن أن یزوّد الکاذب فی دعوی النبوة بالمعجزة، لأن فی تزوید الکاذب تغریرا للناس الذین یعتبرون العمل الخارق دلیلا علی ارتباط الآتی بها بالمقام الربوبیّ.

و الی هذا أشار الإمام جعفر الصادق علیه السّلام بقوله فی جواب من سأله عن علة اعطاء اللّه المعجزة لانبیائه و رسله:

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۸۰

«لیکون دلیلا علی صدق من أتی به، و المعجزة علامة للّه لا یعطیها إلا انبیاءه و رسله، و حججه، لیعرف به صدق الصادق من کذب الکاذب» «۱».

۵- بما ذا نمیز المعاجز عن غیرها من الخوارق؟

لا شکّ فی أنّ السحرة و المرتاضین یقومون بأفعال خارقة للعادة مثیرة للعجب و الدهشة حتی ان البسطاء ربما یذهب بهم الاندهاش إلی حدّ الاعتقاد بأن القائمین بهذه الخوارق مزوّدون بقوی غامضة غیبیة لا یتوصل إلیها البشر.

فکیف یمکن اذن أن نمیّز بین المعاجز و تلک الخوارق و العجائب؟

إن التمییز بین هذه و تلک یمکن أن یتم اذا لا حظنا العلائم الفارقة بین المعجزة و غیر المعجزة من الاعمال الخارقة للعادة، کاعمال السحرة و المرتاضین (اصحاب الیوجا) و نظائرهم.

و هذه الفوارق هی عبارة عن الامور التالیة:

۱- إن القوة الغامضة الحاصلة لدی المرتاضین و السحرة ناشئة بصورة مباشرة من التعلم و التحصیل عند اساتذة تلک العلوم، و ذلک طیلة سنین عدیدة من الزمان.

بینما لا یرتبط الاعجاز بالتعلّم و التلمّذ أبدا، و التاریخ خیر شاهد علی هذا الکلام.

۲- إن أفعال السحرة و المرتاضین العجیبة قابلة للمعارضة و المقابلة بأمثالها، و ربما بما هو اقوی منها، علی عکس الإعجاز، فالمعجزات غیر قابلة لأن تعارض و تقابل بمثلها ابدا.

۳- المرتاضون و السحرة لا یتحدّون أحدا بأفعالهم و لا یطلبون معارضة أحد لهم و إلا لافتضحوا و کبتوا.

بینما یتحدی الأنبیاء و الرسل بمعاجزهم جمیع الناس و یدعونهم لمعارضتهم

---

(۱) علل الشرائع: ج ۱ ص ۱۲۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۸۱

و الاتیان بمثل معاجزهم لو قدروا، و استطاعوا.

فهذا هو القرآن الکریم ینادی بأعلی صوته علی مر العصور: «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هـذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً» «۱».

و ذلک لأن أفعال السحرة الخارقة مهما کانت فانها تستند الی الطاقة البشریة المحدودة، و لا تتجاوزها بینما یعتمد الأنبیاء و الرسل العنصر الغبی، و الإرادة الإلهیة.

۴- إن أفعال السحرة و المرتاضین الخارقة للعادة امور محدودة و مقتصرة علی ما تعلّموها و تمرنوا علیها، بینما لا تکون معاجز الأنبیاء و الرسل مقتصرة علی امور خاصة، فهم لا یعجزون عن الاتیان بکل ما یطلبه الناس منهم، طبعا حسب شرائط خاصة مذکورة فی محلها فی أبحاث الاعجاز «۲».

فتلك معاجز موسى المتعددة الابتدائية، و المقترحة، و معاجز المسيح عليه السّلام المتنوعة خير مثال على هذا الأمر.

۵- إن اصحاب المعاجز يقصدون من معاجزهم دائما دعوة الناس إلى أهداف إنسانية عالية و غايات إلهية سامية و بالتالى هداية المجتمع البشرى إلى المبدأ و المعاد، و الأخلاق الفاضلة فيما لا يهدف المرتاضون و السحرة إلا تحقيق مآرب دنيوية حقيرة، و نيل مكاسب مادية رخيصة.

هذا مضافا إلى أن الأنبياء و الرسل أنفسهم يختلفون عن السحرة و المرتاضين

---

(۱) الاسراء: ۸۸.

(۲) مثل أن لا يكون ما يطلبه الناس محالا عقليا كرؤية اللّه، و مثل أن لا يكون ما سيأتى لهم به دليلا على ارتباطه بالمقام الربوبى، كما لو طلبوا منه أن تكون له جنّة من تخيل و أعناب و بيت من ذهب، لأنّ هذه الامور لا تكون دليلا على النبوّة إذ نلاحظ أنّ كثيرا من الناس يملكون هذه و ليسوا مع ذلك بأنبياء.

و أن لا يكون المقترحون من ذوى اللجاج و العناد الذين لا يقصدون من طلب المعاجز إلا الهزل و الاستهزاء و التنزّه. و أن لا تكون نتيجة المعجزة هلاكهم كما لو طلبوا ان ينزّل عليهم نارا من السماء تحرقهم لأن فى ذلك نقضا للغرض.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۸۲

فى نفسيّتهم العالية، و أخلاقهم الفاضلة و تاريخهم المشرق، و صفاتهم النبيلة على العكس من السحرة و المرتاضين.

هذه هى أهمّ العلامات الفارقة بين المعاجز التى تدل على نبوة الأنبياء، و الخوارق التى يقوم بها المرتاضون و السحرة.

و بعد أن تبيّن كل هذا اتضح أنّ الخوارق الالهية التى هى من مقولة المعاجز أيضا تختلف عن الامور العادية فى أن عللها لا تنحصر فى العلل المادية غير المعروفة فضلا عن الامور المادية المعروفة، بل ربما تكون مستندة الى العلل المجرّدة، فليس من الصحيح ان نسعى لتفسير الخوارق الالهية مثل: «قصة الفيل» التى أهلك اللّه تعالى فيها جيش «أبرهة» العظيم بأحجار صغيرة من سجيل رمتها طيور الأبابيل بالعلل المادية المعروفة كما فعل من أشرنا إلى أسمائهم فى مطلع هذا البحث «۱».

و لهذا عدل «سيد قطب» عن رأيه الذى كان قد أبداه فى ما سبق فى أمثال هذه الامور، اذ قال:

ان الطريق الأمثال فى فهم القرآن و تفسيره أن ينفض الانسان من ذهنه كل تصوّر سابق، و أن يواجه القرآن بغير مقرّرات تصوّرية أو عقلية أو شعورية سابقة، و أن يا بنى مقرّراته كلها حسبما يصور القرآن و الحديث حقائق هذا الوجود، و من ثم لا يحاكم القرآن و الحديث لغير القرآن، و لا ينفى شيئا يثبته القرآن و لا يؤوله، و لا يثبت شيئا ينفيه القرآن أو يبطله، و ما عدا المثبت و المنفى فى القرآن فله أن يقول فيه ما يهديه إليه عقله و تجربته.

نقول هذا بطبيعة الحال للمؤمنين بالقرآن ... و هم مع ذلك يؤوّلون نصوصه هذه لتوائم مقررات سابقة فى عقولهم و تصورات سابقة فى أذهانهم لما ينبغى أن تكون عليه حقائق الوجود «۲».

---

(۱) أى الاستاذ الشيخ محمّد عبده و الاستاذ محمّد حسين هيكل.

(۲) و هنا قال سيّد قطب فى هامش هذا الكلام ما نصّه «و ما ابرئ نفسى أننى فيما سبق من مؤلّفاتى-

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۸۳

فاما الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، و يعتسفون نفى هذه التصورات لمجرد أن العلم لم يصل الى شىء منها فهم مضحكون حقا! فالعلم لا يعلم اسرار الموجودات الظاهرة بين يديه و التى يستخدمها فى تجاربه، و هذا لا ينفى وجودها طبعا! فضلا عن أن العلماء الحقيقيين اخذت جماعة كبيرة منهم تؤمن بالمجهول على طريق المتدينين أو على الأقل لا ينكرون ما لا يعلمون، لأنهم بالتجربة وجدوا

أنفسهم- عن طريق العلم ذاته- أمام مجاهيل فيما بين ايديهم ممّا كانوا يحسبون انهم فرغوا من الاحاطة بعلمه فتواضعوا تواضعا علميا نبيلا- ليس فيه سمة الادعاء، و لا طابع التطاول على المجهول كما يتطاول مدّعو العلم، و مدّعو التفكير العلمى، ممن ينكرون حقائق الديانات و حقائق المجهول «۱».

ثم يقول فى موضع آخر من تفسيره ناقدا لموقف الاستاذ عبده من قصة الفيل التى هى احدى الخوارق حيث حفظ اللّه تعالى بيته المعظم على نحو خارق للعادة:

و يرى الذين يميلون الى تضييق نطاق الخوارق و الغيبيات، و الى رؤية السنن الكونية المألوفة تعمل عملها، أن تفسير الحادث بوقوع وباء الجدرى و الحصبة اقرب و اولى، و ان الطير تكون هى: الذباب و البعوض تحمل الميكروبات فالطير هو كل ما يطير.

ثم ينقل كلام الاستاذ «عبده» الذى ذكرناه بنصه مع قوله: هذا ما يصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة، و ما عدا ذلك فهو ممّا لا يصح قبوله إلّا بتأويل إن صحت روايته، و ممّا تعظم به القدرة ان يؤخذ من استعز بالفيل- و هو اضخم حيوان من ذوات الاربع جسما- و يهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر و لا يدرك بالبصر حيث ساقه القدر لا ريب عند العاقل أن هذا اكبر و اعجب و أبهر.

- و فى الأجزاء الاولى من هذه الظلال قد انسقت الى شيء من هذا و ارجو أن أتداركه فى الطبعة التالية اذا وفق اللّه».

(۱) فى ظلال القرآن: ج ۲۹ ص ۱۵۱- ۱۵۳.

سید المرسلين ،ج۱،ص:۱۸۴

ثم يقول: و نحن لا نرى أن هذه الصورة التى افترضها الاستاذ الإمام- صورة الجدرى أو الحصبة من طين ملوث بالجراثيم- أدلّ على قدرة، و لا اولى بتفسير الحادث، فهذه كتلك فى نظرنا من حيث إمكان الوقوع، و من حيث الدلالة على قدرة اللّه، و تدبيره، و يستوى عندنا أن تكون السنة المألوفة للناس، المعهودة المكشوفة لعلمهم، هى التى جرت، فأهلكت قوما أراد اللّه اهلاكهم، أو أن تكون سنة اللّه قد جرت بغير المألوف للبشر، و غير المعهود المكشوف لعلمهم فحقّقت قدره ذاك.

ثم يقول: لقد كان اللّه سبحانه يريد بهذا البيت «۱» أمرا، كان يريد أن يحفظه ليكون مثابة للناس و أمنا و ليكون نقطة تجمع للعقيدة الجديدة تزحف منه حرة طليقة فى ارض حرة طليقة لا يهيمن عليها احد من خارجها و لا تسيطر عليها حكومة قاهرة تحاصر الدعوة فى محضنها، و يجعل هذا الحادث عبرة ظاهرة مكشوفة لجميع الانظار فى جميع الأجيال، ليضربها مثلا لرعاية اللّه لحرماته و غيرته عليها.

فمما يتناسق مع جوّ هذه الملابسات كلها أن يجيء الحادث غير مألوف و لا معهود بكل مقوماته و بكل اجزائه، و لا داعى للمحاولة فى تغليب صورة المألوف من الأمر فى حادث هو فى ذاته و بملابساته مفرد فذ.

و بخاصة ان المألوف فى الجدرى و الحصبة لا يتفق مع ما روى من آثار الحادث بأجسام الجيش و قائده فإن الجدرى أو الحصبة لا يسقط الجسم عضوا عضوا، و أنملة انملة، و لا يشق الصدر عن القلب!!

ثم ان «سيد قطب» يشير إلى علل تفسير هذه الحادثة الخارقة للعادة بالتفسير المادى العادى الطبيعى، و المدرسة العقلية التى كان الاستاذ «عبده» على رأسها، و ضغط الفتنة بالعلم التى تركت آثارها فى تلك المدرسة، و نحن نكتفى بهذا القدر بالمناسبة، و إشعارا بما يمكن أن يجنيه مثل هذا الاتجاه على مقولات الدين و مفاهيمه و مقرراته عن الأحداث الكونية و التاريخية و الانسانية

---

(۱) أى الكعبة المشرّفة.

سید المرسلين ،ج۱،ص:۱۸۵

و الغيبية «۱».

هذا و يجد ربنا ان ننقل هنا ما قاله صاحب تفسير مجمع البيان فى هذا الصدد فى شأن حادثة الفيل استكمالا لهذا البحث و تأكيدا

لمعجزته هذا الحدث.

قال صاحب المجمع: و كان هذا من اعظم المعجزات القاهرات، و الآيات الباهرات فى ذلك الزمان، اظهره اللّه تعالى ليدل على وجوب معرفته، و فيه ارهاص لنبوة نبينا صلّى اللّه عليه و آله لأنه ولد فى ذلك العام، و فيه حجة لائحة قاصمة لظهور الفلاسفة و الملحدين المنكرين للآيات الخارقة للعادات فانه لا يمكن نسبة شىء ممّا ذكره اللّه تعالى من أمر اصحاب الفيل إلى طبع و غيره كما نسبوا الصيحة و الريح العقيم و الخسف و غيرهما ممّا أهلك اللّه تعالى به الامم الخالية، إذ لا يمكنهم أن يروا فى اسرار الطبيعة ارسال جماعات من الطير معها احجار معدّة مهيّأة لهلاك أقوام معينين قاصدات إيّاهم دون من سواهم فترميهم بها حتى تهلكهم، و تدمّر عليهم، لا يتعدّى ذلك إلى غيرهم و لا يشك من له مسكة عن عقل و لب ان هذا لا يكون الا من فعل اللّه تعالى مسبب الاسباب و مذلّل الصعاب، و ليس لأحد أن ينكر هذا لأن نبينا صلّى اللّه عليه و آله لما قرأ هذه السورة على أهل مكة لم ينكروا ذلك بل اقروا به و صدّقوه مع شدة حرصهم على تكذيبه، و اعتنائهم بالردّ عليه و كانوا قريبى عهد بأصحاب الفيل، فلو لم يكن لذلك عندهم حقيقة و أصل لانكروه، و جحدوه، و أنهم قد أرّخوا بذلك كما أرّخوا ببناء الكعبة، و موت قصيّ بن كعب و غير ذلك.

و قد اكثر الشعراء ذكر الفيل و نظّموه و نقلته الرواة عنهم فمن ذلك ما قاله (اميّة) بن ابى الصلت:

إن آيات ربّنا بيّنات‌ما يمارى فيهنّ إلا الكفور

حبس الفيل بالمغمّس حتى‌ظلّ يحبو كأنه معقور

---

(۱) فى ظلال القرآن: ج ۳۰ ص ۲۵۱- ۲۵۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۸۶

و قال عبد اللّه بن عمرو بن مخزوم:

أنت الجليل ربنا لم تدنس‌أنت حبست الفيل بالمغمّس

من بعد ما همّ بشىء مبلس‌حبسته فى هيئة المكركس «۱» و قال ابن قيس الرقيات فى قصيدة:

و استهلّت عليهم الطير بالجندل حتى كأنّه مرجوم «۲» (۱) ما ذا بعد هزيمة الأحباش؟

لقد استوجب مقتل أبرهة و تحطّم جيشه و هلاكهم، و بالتالى هزيمة أعداء الكعبة المشرفة، و أعداء قريش، أن يتعاظم شأن المكيين، و شأن الكعبة الشريفة فى نظر العرب، فلا يجرأ أحد- بعد ذلك- فى أن يحدّث نفسه بغزو مكة، و الإغارة على قريش، أو أن يفكر فى التطاول على الكعبة المعظمة صرح التوحيد الشامخ، فقد اخذ الناس يقولون فى انفسهم: إنّ اللّه أهلك أعداء بيته المعظم بمثل ذلك الاهلاك احتراما لبيته و تعظيما لشأن قريش، و قلّما كان يتصور أحد أن ما وقع كان لاجل المحافظة على الكعبة فقط، اى من دون أن يكون لمكانة قريش و منزلتهم و شأنهم دخل فى ذلك، و يشهد بذلك أن قريشا تعرضت مرارا لحملات متكررة من غزاة ذلك العصر دون أن يصابوا بمثل ما اصيب به جند «ابرهة» الذى قصد الكعبة بالذات و يواجهوا ما واجهه، من الردع و الكبت.

(۲) إنّ هذا الفتح و الظفر الذى نالته قريش من دون تعب و نصب، و من دون إراقة أية دماء من أبنائها، أحدثت فى نفوس القرشيين حالات جديدة خاصة، فقد زادت من غرورهم و حميّتهم، و عنجهيتهم، و اعتزازهم بعنصرهم، فأخذوا يفكرون فى تحديد شئون الآخرين، و التقليل من وزنهم، اعتقادا منهم بانهم الطبقة الممتازة من العرب دون سواهم. كما أنها دفعتهم الى أن يتصوّروا أنهم وحدهم موضع عناية الأصنام (الثلاثمائة و الستين) فهم وحدهم الذين تحبّهم

---

(۱) المنكّس.

(۲) تفسير مجمع البيان للطبرسى: ج ۱۰ ص ۵۴۳ فى تفسير سورة الفيل.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۸۷

تلك الاصنام، و تحميهم و تدافع عنهم!!

(۱) و لأجل هذا تمادوا فی لهوهم، و لعبهم، و توسعوا فی ممارسة اللذة و الترف حتی أنهم أظهروا ولعا شديدا بالخمر، فكانوا يحتسونها فی كل مناسبة، و ربما مدّوا موائد الخمر فی فناء الكعبة، و أقاموا مجالس سمرهم و أنسهم إلی جانب أصنامهم الخشبية، و الحجرية، التی كان لكل قبيلة من العرب بينها صنم أو اكثر، و يقضون فيها اسعد لحظات حياتهم- حسب تصوّرهم، و هم يتناقلون فيها كل ما سمعوه من أخبار و قصص حول «مناذرة» الحيرة و «غساسنة» الشام و قبائل اليمن، و هم يتصورون أن هذه الحياة الحلوة اللذيذة هی من بركة تلك الاصنام و الاوثان، فهی التی جعلت عامة العرب تخضع لقريش، و جعلت قريشا افضل من جميع العرب!!

(۲)

أوهام قريش تتفاقم!!

إنّ أخطر ما يمرّ به إنسان فی حياته هو أن يصفو عيشه من المشاكل، ردحا من الزمن و يحس لنفسه بنوع من الحصانة الوهمية، فعندها تجده يخص الحياة بنفسه و يستأثر بكل شیء فی الوجود و لا يری لغيره من أبناء نوعه و جنسه من البشر ای حق فی الحياة، و لا أیّ شأن و قيمة تذكر، و ذلك هو ما يصطلح عليه بالاستكبار و الاستعلاء، و الاحساس بالتفوق، و الغطرسة.

و هذا هو بعينه ما حصل لقريش بعد اندحار جيش «ابرهة» و هلاكه، و هلاك جنده بذلك الشكل العجيب الرهيب.

فقد عزمت قريش منذ ذلك اليوم- و بهدف إثبات تفوقها و عظمتها للآخرين-، علی أن تلغی أی احترام لأهل الحلّ لانهم كانوا يقولون: ان جميع العرب محتاجون الی معبدنا، و قد رأی العرب عامة كيف اعتنی بنا آلهة الكعبة، خاصة، و كيف حمتنا من الاعداء!!

(۳) و من هنا بدأت قريش تضيّق علی كل من يدخل مكة من أهل الحل للعمرة او الحج، و تتعامل معهم بخشونة بالغة، و ديكتاتورية شديدة ففرضت علی

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۸۸

كل من يريد دخول مكة للحج أو العمرة أن لا يصطحب معه طعاما من خارج الحرم، و لا يأكل منه، بل عليه أن يقتنی من طعام أهل الحرم، و يأكل منه، و أن يلبس عند الطواف بالبيت من ثياب أهل مكة التقليدية القومية، أو يطوف عريانا بالكعبة إن لم يكن فی مقدوره شراؤها و اقتناؤها، و من كان يرفض الخضوع لهذا الأمر، من رؤساء القبائل و زعمائها، كان عليه أن ينزع ثيابه- بعد انتهائه من الطواف- و يلقيها جانبا، و لا يحق لأحد ان يمسها أبدا لا صاحبها و لا غيرها «۱».

(۱) اما النساء فكان يجب عليهن اذا أردن الطواف أن يطفن عراة علی كل حال، و ان يضعن خرقة علی رءوسهن و يردّدن البيت التالی فی اثناء الطواف:

اليوم يبدو بعضه أو كلّهو بعد هذا اليوم لا احلّه ثم إنه لم يكن يحق لأیّ يهودی أو مسيحی- بعد هزيمة «ابرهة» الذی كان هو أيضا مسيحيا- أن يدخل مكة إلّا أن يكون أجيرا لمكیّ، و حتی فی هذه الصورة كان يجب عليه أن لا يتحدّث فی شیء من أمر دينه و من أمر كتابه.

لقد بلغت النخوة و العصبية بقريش حدا جعلتهم يتركون بعض مناسك الحج التی كان يجب الإتيان بها خارج الحرم!!

(۲) لقد أنفوا منذ ذلك اليوم أن يأتوا بمناسك عرفة «۲» كما يفعل بقية الناس فتركوا الوقوف بعرفة، و الافاضة منها مع أن آباءهم (من ولد إسماعيل) كانوا يقرّون أنها من المشاعر و الحج، و كانت هيبة قريش و عظمتها الظاهرية رهن- برمتها- بوجود الكعبة بين ظهرانيها، و بوظائف الحج و مناسكه هذه، اذ كان يجب علی الناس فی كل عام أن يأتوا إلی هذا الوادی الخالی عن الزرع و هذه

الصحراء اليابسة لأداء المناسک، إذ لو لم يكن فى هذه النقطة من الأرض أى مطاف أو مشعر لما رغب احد حتى فى العبور بها فضلا عن المكث فيها عدة ايام و ليال.

---

(۱) و كانت تسمّى عندهم «اللّقى».

(۲) الكامل فى التاريخ: ج ۱ ص ۲۶۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۸۹

لقد كان ظهور مثل هذا الفساد الاخلاقى و هذا الموقف المتعصّب من الآخرين أمرا لا بدّ منه بحسب المحاسبات الاجتماعية.

فالبيئة المكيّة لا بد أن تغرق فى الفساد و الانحراف حتى يتهيأ العالم لانقلاب أساسىّ و نهضة جذرية.

إن كل ذلک الانفلات الاخلاقى و الترف و الانحراف كان يهىء الارضية و يعدّها لظهور مصلح عالمى، أكثر فاكثر.

و لهذا لم يكن غريبا أن يغضب «أبو سفيان» فرعون مكة و طاغيتها على «ورقة بن نوفل» حكيم العرب الذى تنصر فى اخريات حياته و اطلع على ما فى الانجيل، كلما تحدّث عن اللّه و الأنبياء و يقول له: «لا حاجة الى مثل هذا الاله و هذا النبى، تكفينا عناية اصنامنا»!! (۱)

عبد اللّه والد النبیّ:

اشارة

يوم فدى «عبد المطلب» ولده «عبد اللّه» بمائة من الابل نحرها، و أطعم الناس فى سبيل اللّه، لم يكن يمض من عمر «عبد اللّه» اكثر من اربعة عشر ربيعا، و قد تسبّبت هذه الواقعة فى أن يكتسب «عبد اللّه» شهرة خاصة بين عشيرته مضافا الى شهرته الكبرى بين قريش، و أن يحظى بمكانة كبيرة عند أبيه:

«عبد المطلب» بنحو خاص، لأن ما يكلّف الانسان غاليا، و يتحمل فى سبيله عناء اكثر لا بدّ أن يحظى لديه بمكانة اكبر، و يحبّه محبة تفوق المتعارف.

و من هنا كان «عبد اللّه» يتمتع باحترام يفوق الوصف بين أبناء عشيرته و أفراد عائلته و أقربائه.

(۲) ثم إن «عبد اللّه» يوم كان يتوجه برفقة والده إلى المذبح كان يعانى من مشاعر و أحاسيس متناقضة و متضادة، فهو من جانب كان يكنّ لوالده احتراما كبيرا و حبا شديدا، و لهذا لم يكن يجد بدا من طاعته، و الانصياع لمطلبه، بينما كان من جانب آخر يعانى من قلق، و اضطراب شديدين على حياته التى كان يرى كيف تعبث بها يد القدر، و تكاد تقضى عليها كما يقضى الخريف على

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۹۰

أوراق الشجر.

(۱) كما أن «عبد المطلب» نفسه كان هو الآخر تتجاذبه قوتان متضادتان: قوة الايمان و العقيدة من جانب، و قوة العاطفة و المحبة الأبوية من جانب آخر، و قد أوجدت هذه الواقعة فى نفسى هاتين الشخصيتين آثارا مرّة يصعب زوالها، بيد أن تلک المشكلة حيث عولجت بالطريقة التى ذكرناها و نجا «عبد اللّه» من الموت المحقق فكر «عبد المطلب» فورا فى ان يغسل عن قلب «عبد اللّه» تلک المرارة القاسية بزواج «عبد اللّه» بآمنة، و بذلک يقوّى من عرى حياته التى بلغت درجة الانصرام، بأقوى السبل، و أمتن الوسائل.

و من هنا توجّه «عبد المطلب» الى بيت «وهب بن عبد مناف»- فور رجوعه من المذبح آخذا بيد ولده عبد اللّه- و عقد لولده على

«آمنة بنت وهب» التى كانت تعرف بالعفة، و الطهر، و النجابة، و الكمال.

كما أنه عقد لنفسه- فى ذات المجلس- على «دلالة» ابنة عم آمنة، و رزق منها «حمزة» عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و المشابه له فى السن «١».

(٢) غير أن الاستاذ المؤرخ «عبد الوهاب النجار» المدرس بقسم التخصص فى الازهر الذى صحح «التاريخ الكامل» لابن الاثير، و علّق عليه بملاحظات و هوامش مفيدة شككك فى صحة هذه الرواية، و استغربها، و قال: لا أظن أنه يصح شىء فى هذه الرواية، إذ المعقول أن يتريث «عبد المطلب» بعد ذلك المجهود المضنى حتى يريح نفسه ثم يذهب ليخطب لابنه «٢».

و لكنّنا نعتقد بأن المؤرخ المذكور لو نظر إلى المسألة من غير هذه الزاوية لسهل عليه التصديق بهذه الرواية.

ثم أن «عبد المطّلب» عيّن موعدا للزفاف، و عند حلول ذلك الموعد تمّت مراسم الزفاف فى بيت «آمنة» طبقا لما كان متعارفا عليه فى قريش، و لبث

---

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٧ و المذكور فى هذا المصدر «هالة».

(٢) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ۴ قسم الهامش.

سيد المرسلين ،ج١،ص:١٩١

«عبد اللّه» مع «آمنة» ردحا من الزمن حتى سافر الى الشام للتجارة، و عند عودته توفّى اثناء الطريق كما ستعرف.

(١)

دور الأيادى المشبوهة فى تاريخ الإسلام:

لا شك أنّ التاريخ سجّل فى صفحاته كل ما يتعلق بالشعوب و الاقوام من نقاط مضيئة أو مظلمة، كقصص للعبرة و العظة.

و لكن الحب و البغض تارة و التساهل و البدعة تارة اخرى وحب اظهار المقدرة و ابراز القوة الأدبية تارة ثالثة و غير ذلك من العوامل و الاسباب عملت عملها فتدخلت- فى جميع الأدوار و العصور- فى صياغة التاريخ، و خلطت الغث بالسمين و الحقيقة بالخرافة، و تلك هى مشكلة كبرى تقع فى طريق المؤرخ الذى يريد عرض حوادث التاريخ فى أمانة و استقامة، و لذلك يجب عليه أن يميز الحق عن الباطل، و الصدق عن الكذب من خلال الأخذ بالموازين العلمية، و الممارسة الكاملة للتاريخ. و لقد كان للعوامل المذكورة تأثير أيضا فى تدوين التاريخ الإسلامى، فالأيادى المريبة المشبوهة عملت على تحريف الحقائق فى هذا المجال، بل و ربما عمد بعض الاصدقاء- بهدف تعظيم شأن النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله- الى نسبة بعض الامور التى يظهر عليها آثار الاختلاق و الافتعال إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو منها براء.

(٢) فقد جاء فى التاريخ أن نور النبوّة كان يسطع فى جبين «عبد اللّه» والد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله دائما «١»، كما نقرأ أن «عبد المطلب» كان يأخذ بيد ولده «عبد اللّه» فى سنين الجدب و القحط، و يصعد الجبل و يستسقى متوسّلا الى اللّه بالنور الذى كان بيّنا فى جبين «عبد اللّه» «٢» فهذا هو ما كتبه و سجّله كثير من علماء الشيعة و السنة فى مؤلفاتهم، و نحن لا نملك أى دليل على عدم صحته.

و لكن هذه القصة وقعت أساسا لبعض الاساطير التى لا يمكن ان نقبل بها مطلقا

---

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣٩.

(٢) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۹۲

و إلیک فیما یأتی ما الحق بهذه القضیهٔ التاریخیهٔ الثابتهٔ.

(۱)

قصّهٔ فاطمهٔ الخثعمیّهٔ:

اشارهٔ

و «فاطمـهٔ» هذه هی أخت «ورقهٔ بن نوفل» الذی کان من حکماء العرب و کهّانهم، و کان له معرفهٔ کبیرهٔ بالإنجیل. و قد ضـبط التاریخ حدیثه مع خدیجهٔ فی بدء بعثهٔ الرسول الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و سوف نشیر إلیه فی محله من هذا الکتاب.

و کانت «فاطمهٔ» اخت «ورقهٔ» قد سمعت من أخیها عن نبوهٔ رجل من احفاد «اسماعیل»، و لهذا ظلّت تنتظر، و تبحث.

و ذات یوم و عنـد ما کان «عبـد المطلب» متوجها الی بیت آمنـهٔ بنت وهب بعد قفوله و منصـرفه من المذبح و هو آخذ بید «عبد اللّه»، شاهدت «فاطمهٔ الخثعمیهٔ»- التی کانت تقف علی مقربهٔ من منزلها- النور الساطع من جبین «عبد اللّه»، و الذی کانت تنتظره مدهٔ طویلهٔ و تبحث عنه بشوق، فقالت: این تذهب یا عبد اللّه؟ لک مثل الإبل التی نحرت عنک، وقع علیّ الآن.

فقال: أنا مع أبی و لا استطیع خلافه و فراقه!! «۱».

ثم تزوج «عبد اللّه» بآمنهٔ فی نفس ذلک الیوم، و قضی معها لیلهٔ واحدهٔ.

ثم فی الغد من ذلک الیوم أتی المرأهٔ «الخثعمیهٔ» التی عرضت نفسـها علیه، و أبدی استعداده لتنفیذ رغبتها، و لکن «الخثعمیهٔ» قالت له: لیس لی بک الیوم حاجهٔ، فلقد فارقک النور الذی کان معک أمس!! «۲».

(۲) و قیل: إنه لمّا عرضت تلک المرأهٔ «الخثعمیهٔ» علی «عبد اللّه» ما عرضت أجابها «عبد اللّه» بالبداههٔ ببیتین من الشعر هما:

أمّا الحرام فالممات دونهو الحلّ لا حل فاستبینه

فکیف بالأمر الذی تبغینهیحمی الکریم عرضه و دینه

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۵.

(۲) السیرهٔ النبویهٔ: ج ۱ ص ۱۵۶ النصّ و الهامش.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۹۳

و لکن لم تمر ثلاثـهٔ من زواجه بآمنـهٔ، و اقـامته عنـدها حتی دعته نفسه إلی ان یأتی الخثعمیـهٔ، و عرض نفسه علیها قائلا: هل لک فیما کنت اردت؟ فقالت:

لقد رأیت فی وجهک نورا فاردت ان یکون لی فأبی اللّه الّا أن یجعله حیث اراد فما صنعت بعدی؟

قال: زوّجنی أبی «آمنهٔ بنت وهب»!! «۱».

(۱)

علائم الاختلاق فی هذه القصهٔ!

لقد غفل مختلق هذه القصهٔ عن امور کثیرهٔ عند صیاعته لها، و لم یستطع اخفاء آثار الاختلاق عنها.

فلو کان یکتفی بالقول- مثلا- بان «فاطمهٔ» صادفت «عبد اللّه» ذات یوم فی زقاق من الأزقهٔ، أو سوق من الاسواق، و شاهدت نور النبیّ

ساطعا من طلعته فكفرت فى الزواج به رغبة فى ذلك النور لكان من الممكن التصديق بهذه القصة، بيد أن نص القصة جاء بصورة لا يمكن القبول بها للأسباب التالية:

(۲) ۱- ان هذه القصة تفيد أنّ المرأة «الخثعمية» عند ما عرضت نفسها على «عبد اللّه»، كان يد «عبد اللّه» فى يد والده «عبد المطلب»، فكيف يمكن ان تعرض تلك الفتاة نفسها عليه و تبين مطلوبها له و يدور بينهما ما يدور، و لا يحس عليهما عبد المطلب؟!

ثم لم تستح من عظيم قريش «عبد المطلب» الذى لم يثنه عن طاعة اللّه تعالى شيء حتى مقتل ولده و ذبحه.

و لو قلنا أن مطلبها كان حلالا مشروعا فان ذلك لا ينسجم مع البيتين من الشعر اللّذين ردّ بهما «عبد اللّه» طلبها.

(۳) ۲- و الأصعب من ذلك قصة عبد اللّه نفسه. فان ولدا مثل «عبد اللّه» يحترم والده الى درجة الاستعداد لأن يذبح وفاء لنذر والده، كيف يمكن أن يتفوّه فى

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۷، و الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۹۴

حضرة والده بما نقل عنه؟!

ترى أ يمكن لشاب نجا لتوّه من السيف و الذبح، و لا يزال يعانى من آثار الصدمة الروحية أن يستجيب لرغبات امرأة، أو يبدى استعداده و رضاه القلبىّ لذلك لو لا وجود والده معه؟!!

ترى هل كانت تلك المرأة جاهلة بالظروف، لا تقدّر الاحوال، و لا تعرف الوقت المناسب لطرح مطلبها، أو أنّ مختلق هذه القصة غفل عن نقاط الضعف البارزة هذه؟!!

(۱) ثم إن ممّا يفضح هذه القصة و يظهر بطلانها ما جاء فى الصورة الثانية لها، فان عبد اللّه- كما لا حظنا جابه طلب تلك المرأة ببيتين من الشعر و قال ما حاصله بأن الموت أسهل عليه من ارتكاب هذا الفعل الحرام الذى يأتى على دين الرجل و شرفه، فكيف يجوز لمثل هذا الشاب الطاهر الغيور أن يقع فريسة لتلك الأهواء، و الرغبات الرخيصة الفاسدة، و الحال انه لم ينقض من زواجه اكثر من ثلاث ليال، و تدفعه غريزته الجنسية إلى أن يبادر الى بيت المرأة الخثعمية.

إنّ ما جاء به «عبد اللّه» دعوة تلك المرأة، و ما جاء فى ذينك البيتين من الشعر اللذين يطفحان بالغيرة، و الإباء، لخير دليل على طهارة «عبد اللّه» و عفته، و تقواه، و ترفعه عن الآثام و الادران، و ابتعاده عن الانجاس و الادناس.

و قد علّق الاستاذ العلامة «النجار» على هذه الاسطورة بقوله: «ليس من المعقول أن يذهب عبد اللّه يبغى الزنا فى الساعة التى تزوج فيها، و دخل فيها على امرأته».

و لكن الاستاذ «النجار» أخطأ فى تشكيكه فى النور النبوىّ الساطع فى جبين «عبد اللّه» حيث قال معقبا على كلامه السابق: «و لكنها مسألة النور فى وجهه يريدون إثباتها و رسول اللّه غنى عن هذا كله» «۱».

فان ذلك ممّا رواه جميع المؤرخين بلا استثناء، فلا داعى و لا وجه للتشكيك فيه!

---

(۱) هامش الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۹۵

طهارة النبىّ من دنس الآباء و عهر الامهات:

و ینبغی هنا- و بالمناسبة- ان نشیر الی مسألة مهمة فی تاریخ النبیّ الکریم صلّی اللّه علیه و آله ألا و هی طهارة النسب النبوی من دنس الآباء و دناءتهم و عهر الامّهات و فسادهن فلا یکون فی اجداده وجدّاته سفاح، و زنا.

و هذا ممّا اتفق علیه المسلمون، بعد ان دلّ علیه العقل اذ لو لم یکن النبیّ منزها عن دناءة الآباء و عهر الامّهات لتنفر عنه الطباع و لم یرغب احد فی متابعته، و الانقیاد لاوامره و نواهیه.

و لقد صرح رسول الإسلام صلّی اللّه علیه و آله بذلک فی احادیث رواها السنة و الشیعة.

فقد جاء عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله انه قال:

«نقلت من الاصلاب الطاهرة الی الارحام الطاهرة نکاحا لا سفاحا» «۱».

و جاء أیضا انه صلّی اللّه علیه و آله قال:

«لم یزل اللّه ینقلنی من الأصلاب الحسیبة الی الأرحام الطاهرة» «۲».

و قال الإمام امیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیه السّلام:

«و أشهد انّ محمّدا عبده و رسوله و سیّد عباده کلما نسخ اللّه الخلق فرقتین جعله فی خیرهما لم یسهم فیه عاهر، و لا ضرب فیه فاجر» «۳»

و قال الإمام الصادق علیه السّلام فی هذا الصدد عند تفسیر قول اللّه تعالی:

«وَ تَقَلُّبَکَ فِی السَّاجِدِینَ»: «۴»

«فی أصلاب النبیّین، نبی بعد نبی، حتی اخرجه من صلب ابیه عن نکاح غیر سفاح من لدن آدم» «۵».

و قد صرح علماء الإسلام من الفریقین بهذا الأمر، و اشترطوه فی النبیّ.

---

(۱) کنز الفوائد: ج ۱ ص ۱۶۴.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۴۳.

(۳) نهج البلاغة: الخطبة ۲۱۵ طبعة عبده.

(۴) الشعراء: ۲۱۹.

(۵) تفسیر مجمع البیان عند تفسیر الآیة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۹۶

قال المحقق نصیر الدین الطوسی فی تجرید الاعتقاد: و یجب فی النبیّ العصمة ... و عدم السهو، و کل ما ینفّر عنه من دناءة الآباء و عهر الامّهات ... «۱».

و قد وافقه علی هذا العلامة القوشجی الاشعری فی شرح التجرید «۲».

و قال العلامة المتکلم المقداد السیوری فی اللوامع الالهیة: و یجب أن لا یکون مولودا من الزنا و لا فی آبائه دنیّ و لا عاهر «۳».

(۱)

وفاة عبد اللّه فی «یثرب»:

لقد بدأ «عبد اللّه» بالزواج فصلا جدیدا فی حیاته، و أضاء ربوعها بوجود شریکة للحیاة فی غایة العفة و الکمال هی زوجته الطاهرة «آمنة» و بعد مدة من هذا الزواج المبارک توجه فی رحلة تجاریة- و بصحبة قافلة- الی الشام بهدف التجارة.

دقت أجراس الرحیل، و تحرکت القافلة التجاریة و فیها عبد اللّه، و بدأت رحلتها من «مکة» صوب الشام، و هی مشدودة بمئات القلوب و الافئدة.

و کانت «آمنة» تمر فی هذه الایام بفترة الحمل، فقد حملت من زوجها «عبد اللّه».

و بعد مضیّ بضعة أشهر طلعت علی مشارف مکة بوادر القافلة التجاریة و هی عائدة من رحلتها، و خرج جمع کبیر من أهل مکة لاستقبال ذویهم المسافرین العائدین.

ها هو والد «عبد اللّه» ینتظر - فی المنتظرین - ابنه «عبد اللّه»، کما ان عیون عروسة ولده «آمنة» هی الاخری تدور هنا و هناک تتصفح الوجوه و تبحث عن زوجها الحبیب «عبد اللّه» فی شوق لا یوصف.

---

(۱) کشف المراد فی شرح تجرید الاعتقاد: ص ۳۴۹ تحقیق الشیخ حسن زاده الآملی.

(۲) راجع: شرح القوشجی لتجرید الاعتقاد: ص ۳۵۹.

(۳) اللوامع الإلهیة: ص ۳۱۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۹۷

(۱) و لکن و مع الأسف لا یجدان أثرا من «عبد اللّه» بین رجال القافلة!!

و بعد التحقیق یتبین أن «عبد اللّه» قد تمرّض أثناء عودته فی یثرب، فتوقف هناک بین اخواله لکی یستریح قلیلا، فاذا تماثل للشفاء عاد إلی أهله فی «مکة».

و کان من الطبیعی أن یغتم هذان المنتظران «عبد المطلب و آمنة» لهذا النبأ، و تعلو وجهیهما آثار الحزن، و القلق و تنحدر من عیونهما دموع الأسی و الاسف.

فأمر «عبد المطّلب» اکبر ولده: «الحارث» إلی أن یتوجّه الی «یثرب»، و یصطحب معه «عبد اللّه» الی مکة.

و لکنه عند ما دخل یثرب عرف بأن أخاه: «عبد اللّه» قد توفی بعد مفارقة القافلة له بشهر واحد، فعاد الحارث الی مکة، فاخبر والده «عبد المطلب»، و کذا زوجته العزیزة «آمنة» بذلک، و لم یخلف «عبد اللّه» من المال سوی خمسة من الابل، و قطیع من الغنم، و جاریة تدعی «أم أیمن» صارت فیما بعد مربیة النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «۱».

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۷ و ۸، و السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۵۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۹۹

(۱)

۵ مولد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله

اشارة

کانت سحب الجاهلیة الداکنة تغطّی سماء الجزیرة العربیة، و تمحی الاعمال القبیحة و الممارسات الظالمة، و الحروب الدامیة، و النهب و السلب، و وأد البنات، و قتل الاولاد، کل فضیلة أخلاقیة. فی البیئة العربیة و کان المجتمع العربیّ قد اصبح فی منحدر عجیب من الشقاء، لیس بینهم و بین الموت الّا غشاء رقیق و مسافة قصیرة!!

فی هذا الوقت بالذات طلع علیهم شمس السعادة و الحیاة فاضاءت محیط الجزیرة الغارق فی الظلام الدامس، و ذلک عند ما اشرقت

بیئة الحجاز بمولد النبیّ المبارک «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله و سلم، و بهذا تهیأت المقدمات اللازمة لنهضة قوم متخلف طال رزوحه تحت ظلام الجهل، و التخلف، و طالت معاناته لمرارة الشقاء. فانه لم یمض زمن طویل الّا و ملأ نور هذا الولید المبارک ارجاء العالم و اسس حضارة انسانیة عظمی فی کل المعمورة.

(۲)

فترة الطفولة فی حیاة العظماء:

ان جمیع الفصول فی حیاة العظماء جدیرة بالتأمل، و قمینة بالمطالعة، فربما تبلغ العظمة فی شخصیة احدهم من السعة، و السموّ بحیث تشمل جمیع فصول حیاته

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۰۰

بدء من الطفولة، بل و فترة الرضاع فتکون حیاته و شخصیته برمتها سلسلة متواصلة من حلقات العظمة.

إن جمیع الأدوار، و الفترات فی حیاة العظماء، و النوابغ و قادة المجتمعات البشریة، و روّاد الحضارات الانسانیة و بناتها تنطوی فی الأغلب علی نقاط مثیرة و حساسة و علی مواطن توجب الاعجاب.

إن صفحات تاریخهم و حیاتهم منذ اللحظة التی تنعقد فیها نطفهم فی أرحام الامهات، و حتی آخر لحظة من أعمارهم ملیئة بالاسرار، زاخرة بالعجائب.

فنحن کثیرا ما نقرأ عن اولئک العظماء فی أدوار طفولتهم أنها کانت تقارن سلسلة من الامور العجیبة، و المعجزة.

و لو سهل علینا التصدیق بهذا الأمر فی شأن الرجال العادیین من عظماء العالم لکان تصدیقنا بأمثالها فی شأن الأنبیاء و الرسل أسهل من ذلک بکثیر، و کثیر.

(۱) إن القرآن الکریم ذکر فترة الطفولة فی حیاة النبیّ موسی علیه السّلام فی صورة محفوفة بکثیر من الأسرار، فهو یقول ما خلاصته: ان مئات من الاطفال قتلوا و ذبحوا بامر من فرعون ذلک العصر منعا من ولادة موسی و نشوئه.

و لکن ارادة اللّه شاءت ان یولد الکلیم، و ظلت هذه المشیئة تحفظه من کید الکائدین و لهذا لم یعجز اعداؤه عن القضاء علیه او إلحاق الاذی به فحسب، بل تربی فی بیت فرعون أعدی اعدائه.

یقول القرآن الکریم فی هذا الصدد: «وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلَیْکَ مَرَّةً أُخْری. إِذْ أَوْحَیْنا إِلی أُمِّکَ ما یُوحی أَنِ اقْذِفِیهِ فِی التَّابُوتِ فَاقْذِفِیهِ فِی الْیَمِّ فَلْیُلْقِهِ الْیَمُّ بِالسَّاحِلِ یَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِی وَ عَدُوٌّ لَهُ وَ أَلْقَیْتُ عَلَیْکَ مَحَبَّةً مِنِّی وَ لِتُصْنَعَ عَلی عَیْنِی».

ثمّ یقول: «إِذْ تَمْشِی أُخْتُکَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلی مَنْ یَکْفُلُهُ فَرَجَعْناکَ إِلی أُمِّکَ کَیْ تَقَرَّ عَیْنُها وَ لا تَحْزَنَ» «۱».

---

(۱) طه: ۳۷- ۴۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۰۱

(۱) ثمّ إن القرآن الکریم یذکر قصة ولادة المسیح، و یصور طفولته و نشأته بشکل أعجب اذ یقول:

«وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مَرْیَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَکاناً شَرْقِیًّا. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَیْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِیًّا. قالَتْ إِنِّی أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْکَ إِنْ کُنْتَ تَقِیًّا قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّکِ لِأَهَبَ لَکِ غُلاماً زَکِیًّا. قالَتْ أَنَّی یَکُونُ لِی غُلامٌ وَ لَمْ یَمْسَسْنِی بَشَرٌ وَ لَمْ أَکُ بَغِیًّا. قالَ کَذلِکِ قالَ رَبُّکِ هُوَ عَلَیَّ هَیِّنٌ وَ لِنَجْعَلَهُ آیَةً لِلنَّاسِ وَ رَحْمَةً مِنَّا وَ کانَ أَمْراً مَقْضِیًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَکاناً قَصِیًّا. فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلی جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ یا لَیْتَنِی مِتُّ قَبْلَ هذا وَ کُنْتُ نَسْیاً مَنْسِیًّا. فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلَّا تَحْزَنِی قَدْ جَعَلَ رَبُّکِ تَحْتَکِ سَرِیًّا. وَ هُزِّی إِلَیْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَیْکِ رُطَباً جَنِیًّا. فَکُلِی وَ اشْرَبِی وَ قَرِّی عَیْناً فَإِمَّا تَرَیِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِی إِنِّی نَذَرْتُ

لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا. فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا. يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا. فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا. وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا. وَ بَرًّا بِوالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا. وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» «۱».

(۲) فإذا كان أتباع القرآن و التوراة و الانجيل يشهدون بصحة هذه المطالب حول ولادة هذين النبيين العظيمين من اولى العزم لموسى و عيسى عليهما السّلام، و يقرون بصدقها، فلا يصحّ في هذه الصورة أن نستغرب وقوع أمثالها في شأن رسول الإسلام، و نتعجب من الحوادث العجيبة التي سبقت أو رافقت ميلاده المبارك، و نعتبرها امورا سطحية لا تدل على شيء.

فنحن نقرأ في الكتب التاريخية و في كتب الحديث عن وقوع حوادث عجيبة

---

(۱) مريم: ۱۶- ۳۳.

يوم ولادة النبيّ الكريم صلّى اللّه عليه و آله مثل: ارتجاس إيوان كسرى، و سقوط اربع عشرة شرفة منه، و انخماد نار فارس التي كانت تعبد، و انجفاف بحيرة ساوة، و تساقط الاصنام المنصوبة في الكعبة على وجوهها، و خروج نور معه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أضاء مساحة واسعة من الجزيرة، و الرؤيا المخيفة التي رآها انوشيروان و مؤبدوه، و ولادة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله مختونا مقطوع السرّة، و هو يقول: «اللّه اكبر، و الحمد للّه كثيرا، سبحان اللّه بكرة و أصيلا».

و قد وردت جميع هذه الامور في المصادر التاريخية الأولى، و الجوامع الحديثية المعتبرة «۱».

(۱) و مع ملاحظة ما ورد في حق موسى و عيسى و نقلنا بعضه هنا، لا يبقى أيّ مجال للشك في صحة هذه الحوادث.

نعم ينبغي أن نسأل هنا: ما ذا كانت تهدف هذه الحوادث غير العادية؟

و في الاجابة على هذا السؤال يجب ان نقول:

إن هذه الحوادث الخارقة و العجيبة كانت تهدف إلى أمرين:

(۲) الأول- أن تدفع بالجبابرة، و الوثنيين و عبدة الاصنام إلى التفكير فيما هم فيه فيسألوا أنفسهم: لما ذا انطفأت نيرانهم التي طالما بقيت مشتعلة تحرسها اعيان السدنة و الكهنة؟

لما ذا سبّبت هزة خفيفة في ارتجاس ايوان كسرى العظيم المحكم البنيان، و لم يحدث لبيت عجوز في نفس ذلك البلد شيء؟

لما ذا تهاوت الاصنام المنصوبة في الكعبة و حولها، و انكبّت على وجوهها بينما بقيت غيرها من الاشياء على حالها لم يصبها شيء ابدا؟

لو كانوا يفكرون في تلك الحوادث لعرفوا أن تلك الحوادث كانت تبشّر بعصر جديد ... عصر انتهاء فترة الوثنية و زوال مظاهر السلطة الشيطانية

---

(۱) تاريخ اليعقوبي: ج ۲ ص ۵، بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۲۴۸- ۳۳۱، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۶۷- ۷۸ و غيرها.

و اندحارها؟

الثاني: ان هذه الحوادث جاءت لتبرهن على شأن الوليد العظيم، و انه ليس وليدا عاديا، فهو كغيره من الأنبياء العظام الذين رافقت مواليدهم أمثال تلك الحوادث العجيبة، و الوقائع الغريبة، كما يخبر بذلك القرآن الكريم فيما يحدثه عن حياة الأنبياء- كما عرفت- و

تخبر بها تواريخ الشعوب و الملل المسيحية و اليهودية.

(۱) و اساسا لا يلزم ان تكون تلك الحوادث سببا للعبرة و وسيلة للاتعاظ يوم وقوعها، بل يكفى ان تقع حادثة فى احدى السنين، ثم يعتبر بها الناس بعد أعوام عديدة، و قد كانت حوادث الميلاد النبوىّ من هذه المقولة، لأن الهدف منها كان هو ايجاد هزة فى ضمائر اولئك الناس الذين كانوا قد غرقوا فى اوحال الوثنية، و الظلم، و الانحراف الاخلاقى حتى قمة رءوسهم، و عشعشت الجهالة و الغافلة فى اعماقهم حتى النخاع.

إن الذين عاشوا فى عصر الرسالة، أو من اتى من بعدهم عند ما يسمعون نداء رجل نهض- بكل قواه- ضدّ الوثنية، و الظلم، ثم يطالعون سوابقه، و يلاحظون الى جانب ذلك ما وقع ليلة ميلاده من الحوادث العظيمة التى تتلاءم مع دعوته، فانهم و لا شك سيعتبرون تقارن هذين النوعين من الحوادث دليلا على صحة دعواه، و صدق مقاله فيصدّقونه، و ينضوون تحت لوائه.

إن وقوع أمثال هذه الحوادث الخوارق عند ميلاد الأنبياء مثل «إبراهيم» و «موسى» و «المسيح» و «محمّد» صلّى اللّه عليه و عليهم اجمعين لا يقل اهمية عن وقوعها فى عصر رسالتهم و نبوتهم، فهى جميعا تنبع من اللطف الإلهى، و تتحقق لهداية البشرية، و جذبها إلى دعوة سفرائه و رسله.

(۲)

فى أىّ يوم ولد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟

لقد اتّفق عامّة كتّاب السيرة على أن ولادة النبىّ الكريم كانت فى عام الفيل سنة ۵۷۰ ميلادية.

لأنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رحل الى ربه عام (۶۳۲) ميلادية عن (۶۲)

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۰۴

أو (۶۳) عاما، و على هذا الأساس تكون ولادته المباركة قد وقعت فى سنة (۵۷۰) ميلادية تقريبا.

كما أنّ اكثر المحدثين و المؤرخين يتفقون على أنه صلّى اللّه عليه و آله ولد فى شهر ربيع الأول.

انما وقع الخلاف فى يوم ميلاده، و المشهور بين محدثى الشيعة أنه كان يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول بعد طلوع الفجر.

و المشهور بين أهل السنة أنه صلّى اللّه عليه و آله ولد فى يوم الاثنين الثانى عشر من ذلك الشهر «۱».

(۱)

أىّ هذين القولين هو الصحيح؟

ان من المؤسف جدا أن يعانى التقويم الدقيق لميلاد رسول الإسلام العظيم صلّى اللّه عليه و آله و وفاته بل مواليد و وفيات اكثر قادتنا و ائمتنا لمثل هذا الارتباك، و ان لا تكون اوقاتها و تواريخها محددة معلومة على وجه التحقيق و اليقين!.

و لقد تسبب هذا الارتباك فى أن لا تستند اكثر احتفالاتنا و ماتمنا إلى تاريخ قطعى، فى حين نجد أن علماء الإسلام كانوا يهتمون- عادة- بتسجيل الوقائع التى حدثت على مدار القرون الإسلامية فى نظم خاص و عناية كبيرة، و لكننا لا ندرى ما الذى منع من تسجيل مواليد هذه الشخصيات العظيمة و وفياتهم على نحو دقيق، و صورة قطعية؟!

على أن مثل هذه المشكلة يمكن حلها بدرجة كبيرة بالرجوع إلى أهل البيت عليهم السّلام، فان اى مؤرخ لو أراد أن يكتب عن حياة شخصيّة من الشخصيات و أراد أن يلمّ بكل تفاصيلها و دقائقها لم يسمح لنفسه بان يفعل ذلك من دون ان يراجع ابناء او اقرباء تلك الشخصية التى يزمع ترجمتها و الكتابة عنها.

(۱) و قد ذكر المقريزى فى «الامتاع» ص ۳ جميع الاقوال المذكورة فى يوم ميلاد النبى و شهره و عامه، فراجع.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۰۵

(۱) و لقد مضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خلّف من بعده ذرية و قربى و هم الذين يطلق عليهم اهل البيت.

و اهل بيته يقولون: لو كان صحيحا و حقا ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أبونا وجدنا، و قد نشأنا فى بيته و ترعرعنا فى حجره فاننا نقول انه قد ولد يوم كذا و توفى يوم كذا فهل يبقى بعد ذلك مجال لأن نتجاهل قولهم و رأيهم، و نختار ما يقوله الآخرون من الأبعدين، و قديما قالوا: أهل البيت ادرى بما فى البيت؟ «۱».

(۲)

فترة الحمل:

المعروف أن النور النبوى الشريف استقر فى رحم آمنة- الطاهر فى أيام التشريق و هى اليوم الحادى عشر و الثانى عشر و الثالث عشر من شهر ذى الحجة «۲»، و لكن هذا الأمر لا ينسجم مع الرأى المشهور بين عامة المؤرخين من كون ولادة النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله فى شهر ربيع الأول، اذ فى هذه الصورة يجب ان نعتبر مدة حمل «آمنة» به صلّى اللّه عليه و آله إما ثلاثة أشهر و اما سنة و ثلاثة اشهر، و كلا الأمرين خارجان عن الموازين العادية فى الحمل، كما أنه لم يعدّه احد من خصائص النبىّ صلّى اللّه عليه و آله «۳».

(۳) و لقد عالج المحقق الكبير الشهيد الثانى (۹۱۱- ۹۶۶ ه) هذا الإشكال بالنحو التالى إذ قال:

إن ذلك مبنىّ على النسىء الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية، و قد نهى اللّه تعالى عنه، و قال: «إنّما النسىء زيادة فى الكفر».

و توضيح هذا هو أن أبناء «إسماعيل» كانوا تبعا لاسلافهم يؤدون مناسك الحج فى شهر ذى الحجة، و لكنهم رأوا- فى ما بعد- أن يحجّوا فى كل شهر عامين

(۱) و من هنا لا بد من الاعتراف بان ما ينقله و يكتبه الامامية من تفاصيل تتعلق بحياة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هى أقرب من غيرها الى الحقيقة لأنها مأخوذة عن اقربائه و ابنائه عليهم السّلام.

(۲) الكافى: ج ۱ ص ۴۳۹ أبواب التاريخ باب مولد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و وفاته.

(۳) قد ذكر الطريحى فقط فى مجمع البحرين فى مادة شرق قولا بهذا لم يسم قائله.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۰۶

يعنى ان يحجوا فى ذى الحجة عامين و فى المحرم عامين و فى صفر عامين و هكذا.

و هذا يعنى أن الحج يعود كل اربعة و عشرين سنة فى موضعه الطبيعى (اى شهر ذى الحجة).

(۱) و قد جرى العرب المشركون على هذه الطريقة حتى صادفت أيام الحج شهر ذى الحجة فى السنة العاشرة من الهجرة النبوية فحج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى تلك السنة حجة الوداع، فنهى فى خطبة له عن هذه الفعلة (التى تسمى بالنسىء بمعنى تأخير الحج عن موضعه و موعده) فقال: «ألا و إنّ الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق السّماوات و الأرض السّنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم: ثلاث متواليات: ذو القعدة و ذو الحجة، و محرّم، و رجب الذى بين جمادى و شعبان» «۱».

و قد أراد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بذلك أن الأشهر الحرم رجعت الى مواضعها، و عاد الحج الى ذى الحجة و بطل النسىء.

و نزل فى هذه المناسبة قول اللّه تعالى: «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً وَ يُحَرِّمُونَهُ عاماً» «۲».

(۲) من هنا تنتقل أيام التشريق كل سنتين من مواضعها، على ما عرفت، و حينئذ لا منافاة بين القول بأن نور النبىّ انتقل إلى رحم أمه

«آمنة بنت وهب» فی أیام التشریق، و بین ما اجمع علیه عامة المؤرخین من أنه ولد فی شهر ربیع الأول. و انما تکون المنافاة بین هذین الأمرین إذا کان المراد من أیام التشریق هو الیوم الحادی عشر، و الثانی عشر، و الثالث عشر من شهر ذی الحجة خاصة، و لکن قلنا أن ایام التشریق کانت تنتقل من شهر الی آخر باستمرار، فیلزم أن یکون عام حمل امّه به، و عام ولادته أیام الحج الواقعة فی شهر جمادی الاولی، و حیث أنه صلّی اللّه علیه و آله ولد فی شهر ربیع الأول فتکون مدة حمل «آمنة» به عشرة أشهر تقریبا.

---

(۱) مجمع البیان: ج ۵ ص ۲۹.

(۲) التوبة: ۳۷.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۲۰۷

(۱)

مؤاخذات و إشکالات علی هذا البیان:

إن النتیجة التی توصّل إلیها المرحوم «الشهید الثانی» لیست صحیحة، کما أن المعنی الذی ذکره للنسیء لم یقل به من بین المفسرین إلا مجاهد، و اما الآخرون فقد فسّروه بنحو آخر فلا یکون التفسیر الذی مرّ قویا، و ذلک:

(۲) اوّلا: لأن «مکة» کانت مرکزا لجمیع الاجتماعات کما کانت معبدا للعرب جمیعا، و لا یخفی أنّ تغییر الحج فی کل سنتین مرة واحدة من شأنه أن بسبب الالتباس لدی الناس و یوقعهم فی الخطأ و الاشتباه، و بالتالی یتعرّض ذلک الاجتماع العظیم، و تلک العبادة الجماعیة الی خطر الزوال.

و لهذا یستبعد ان ترضی قریش و المکیون بان یخضع ما هو وسیلة لعزتهم و افتخارهم للتغییر و التبدل الذی من عواقبه ان یتعرض وقته و موعده للنسیان، فیذهب ذلک الاجتماع، و یزول من الاساس.

(۳) ثانیا: إذا أخضعنا ما قاله «الشهید الثانی» لمحاسبة دقیقة فان کلامه یستلزم ان تکون ایام التشریق و الحج فی السنة التاسعة من الهجرة واقعة فی شهر ذی القعدة لا جمادی الاولی فی حین أن امیر المؤمنین علیّا علیه السّلام کلّف فی هذه السنة بالذات بأن یقرأ سورة البراءة علی المشرکین فی ایام الحج، و المفسرون و المحدثون متفقون علی أنه علیه السّلام تلاها علیهم فی العاشر من شهر ذی الحجة ثم امهلهم اربعة اشهر ابتداء من شهر ذی الحجة لا ذی القعدة «۱».

(۴) ثالثا: ان النسیء یعنی أنّ العرب حیث لم یکن لدیهم مصدر صحیح للرزق بل کانوا یعیشون فی الاغلب، علی النهب و الغارة لهذا کان من الصعب علیهم ترک الحرب، فی الاشهر الحرم الثلاث (و هی ذو القعدة و ذو الحجة، و المحرم) لهذا ربما طلبوا من سدنة الکعبة بأن یسمحوا لهم بالقتال فی شهر المحرم، ثم یترکون

---

(۱) و لقد قام العلامة المجلسی فی بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۲۵۳ بهذه المحاسبة، و ان لم یشر الی الإشکال الذی أوردناه فلیراجع.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۲۰۸

الحرب فی شهر صفر، و هذا هو معنی النسیء فلم یکن نسیء و تأخیر للشهر الحرام فی غیر شهر محرّم، و فی الآیة نفسها اشارة الی هذا المطلب: «یحلّونه عاما و یحرّمونه عاما».

و الذی نراه فی حل هذه المشکلة هو: أن العرب کانوا یحجّون فی وقتین: أحدهما شهر ذی الحجة، و الثانی شهر رجب، و قد کانوا یؤدّون کل مناسک الحج فی هذین الوقتین علی السواء، فیمکن أن یکون المقصود من حمل «آمنة» برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی ایام التشریق هو شهر رجب فإذا اعتبرنا یوم ولادته هو السابع عشر من شهر ربیع الاول کانت مدة حمل «آمنة» به ثمانیة أشهر و

ايام‌ا.

الاحتفال بذكرى المولد النبوى:

و ينبغى ان يحتفل المسلمون جميعا بمولـد النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و يقيموا المهرجانات الكبرى فى هـذه المناسـبة الشـريفة التى كانت مبـدأ الخير و البركـة، و منشأ السـعادة و الكرامة للبشـرية جمعاء، و أية مناسـبة احرى بالاحتفال و الاحتفاء من هذه المناسبة؟

على ان اقامة مثل هذه الاحتفالات هو نوع من تكريم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو أمر مطلوب و محبوب فى الشريعة المقدسة. فقد قال اللّه تعالى:

«فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «١».

و عزّر بمعنى كرّم و بجّـل كما فى اللغـة «٢» و هو لاـ يختص بزمـان دون زمـان، فعلى المسـلمين فى كل وقت و زمان ان يعظّموا شأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و يكرّمونه، سواء فى حياته أو بعد مماته، لما له من فضل عظيم على الناس، و لما

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) راجع مفردات الراغب: مادّة عزر.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۰۹

له من منزلة عند اللّه تعالى.

كيف لا و الاحتفال بميلاده لا يعنى سوى ذكر أخلاقه العظيمـة، و سـجاياه النبيلـة، و الاشادة بشـرفه و فضـله و هى امور مـدحه القرآن الكريم بها اذ قال سبحانه: «وَ إِنَّکَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ» «١» و قال تعالى أيضا: «وَ رَفَعْنا لَکَ ذِكْرَکَ» «٢» و غير ذلك من الآيات المادحة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فان الاحتفال بميلاد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله الـذى يتحقق بـذكر صـفاته و أخلاقه و الاشادة به خير مصـداق لرفع ذكره، الذى فعله اللّه بنحو ما.

و لو كان رفع ذكر النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله، أمرا غير جائز و لا صـحيح، بل فعلا قبيحا لما فعله اللّه، فيكفى فى حسـنه و صـحته بل و مشروعيته و مطلوبيته ان اللّه تعالى فعله بالنسبة لنبيه صلّى اللّه عليه و آله.

و هل يكون الاحتفال بمولد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله، و اظهار السـرور و الشـكر للّه تعالى بمقدم نبيه المبارك عبادة للنبىّ كما يزعم البعض اذ يقول:

«الذكريات التى ملأت البلاد باسم الاولياء هى نوع من العبادة لهم و تعظيمهم» «٣».

و الحال ان العبادة فى مفهومها الاصـطلاحى الموجب للشـرك و الكفر ليس إلّا الخضوع لمن يعتقد بالوهيته و تعظيمه بهذه النية «۴» و اين هذا من ذكر فضائل النبى فى يوم مولده و الابتهاج بمقدمه و الشكر للّه على ولادته.

ثم ان تعظيم رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ينطلق من كونه عبـدا مطيعا للّه تعالى، ادى رسالته بصـدق و اخلاص، و جسّد بسـلوكه و سيرته كل مكارم الاخلاق أصدق تجسـيد فالاحتفال بمولده الكريـم احتفال بالقيم السامية، و شكر للّه على منّه، و اظهار للحب الكامن فى النفوس ليس إلّا.

و الزعم بانه محرّم لكونه بدعة، او لأنه لا يخلو عن اشتماله على منكرات

(۱) القلم: ۴.

(۲) الانشراح: ۴.

(۳) فتح المجید: ص ۱۵۴، ثمّ نقل عن کتاب قرّة العیون ما یشابه هذا المضمون.

(۴) راجع مفاهیم القرآن فی معالم التوحید: ص ۴۰۴- ۴۴۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۰

و محرمات کالرقص و الغناء فهو مرفوض، مردود لان الکلام انما هو حول اصل الاحتفال مجردا عن المحرمات و المنکرات.

ان الاحتفاء و الاحتفال بمولد خاتم النبیین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم انما هو تکریم لمن کرّمه اللّه تعالی، و امر بتکریمه، و حث علی احترامه و حبه، و مودته، و انه بالتالی اداء شکر للّه تعالی علی تلک الموهبة العظیمة، و تلک العطیّة المبارکة حیث منّ سبحانه علی البشریة عامة و علی المسلمین خاصة بأن شرف الارض بمولود عظیم نعمت الارض ببرکة شخصیته و خلقه، و اشرقت بنور رسالته و دعوته، فایة نعمة تری اولی بالشکر من هذه، و أی شکر اجمل و افضل من الاحتفاء بمولد هذا النبیّ العظیم صلّی اللّه علیه و آله، و ذکر فضائله، و مناقبه، للتعرف علیها، و الاقتداء بها، و تشدید الحب له بسببها، و الابتهال الی اللّه فی یوم میلاده، و طلب التوفیق الالهی لمتابعته، و السیر علی نهجه، و الدفاع عن رسالته، و الذبّ دون دینه، بعد الشکر للّه تعالی علی موهبته هذه؟؟

هذا و لقد درج المسلمون فی العصور الإسلامیة الاولی علی الاحتفال بذکری المولد النبویّ و أنشئوا القصائد الرائعة فی مدحه، و ذکر خصاله و مکارم اخلاقه، و اظهروا السرور بمولده و الشکر للّه تعالی بلطفه، و تفضله به صلّی اللّه علیه و آله علی البشریة.

قال الإمام الدیار بکری فی تاریخ الخمیس فی هذا الصدد:

لا یزال أهل الإسلام یحتفلون بشهر مولده علیه السّلام و یعملون الولائم، و یتصدقون فی لیالیه بانواع الصدقات و یظهرون السرور، و یزیدون فی المبرات و یعتنون بقراءة مولده الکریم، و یظهر علیهم من برکاته کل فضل عمیم «۱».

أجل ینبغی علی المسلمین ان یحتفلوا بمقدم نبیهم الکریم و لا یعبئوا بما قاله البعض حیث قال: «الذکریات التی ملأت البلاد باسم الاولیاء هی نوع من

---

(۱) تاریخ الخمیس فی أحوال أنفس نفیس: ج ۱ ص ۲۲۳ نقلا عن المواهب اللدنیة: ج ۱ ص ۲۷ للقسطلانی. سید المرسلین ج۱ ۲۱۱ الاحتفال بذکری المولد النبوی: ..... ص : ۲۰۸

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۱

العبادة لهم و تعظیمهم» «۱».

فهذا القول مغالطة صریحة، ان لم یکن نابعا عن الغافلة و الجهل بعد ان تبین حقیقة الاحتفال و اقامة الذکریات احتفاء بالمولد النبویّ «۲».

(۱)

مراسم تسمیة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله:

حلّ الیوم السابع من المیلاد المبارک، فعقّ عبد المطلب عن النبیّ بکبش شکرا للّه تعالی و دعا جماعة لیشترکوا فی الاحتفال الذی حضره عامة قریش لتسمیة النبیّ، و سمّاه «محمّدا»، و عند ما سألوه عما حمله علی أن یسمی هذا الولید المبارک «محمّدا» و هو اسم لم یعرفه العرب إلا نادرا أجاب قائلا: أردت أن یحمد فی السماء و الأرض «۳».

و الی ذلک یشیر حسان بن ثابت بقوله:

فشقّ له من اسمه لیجلّهفذو العرش محمود و هذا محمّد «۴» و من المسلّم أن هذا الاختیار لم یکن لیتم من دون دخالة للإلهام الالهی، لأن اسم «محمّد» و إن کان موجودا عند العرب إلّا أنه قلّ من کان قد تسمی بهذا الاسم، فحسب ما استقصاه بعض المؤرخین لم یتسم به الی ذلک الیوم من العرب إلّا ستة عشر شخصا کما یقول شاعرهم:

إن الذین سموا باسم محمدمن قبل خیر الخلق ضعف ثمان «۵» و لا یخفی أن ندرة المصادیق لأی لفظ من الالفاظ أو اسم من الأسماء من شأنها أن تقلّل فرص الاشتباه فیه، و حیث أن الکتب السماویة کانت قد أخبرت عن اسم النبی الخاتم صلّی اللّه علیه و آله و صفاته، و علائمه الروحیة و الجسمیة، لذلک یجب أن تکون علائمه صلّی اللّه علیه و آله واضحة جدا جدا

---

(۱) هوامش الفتح المجید.

(۲) راجع للتوسّع: معالم التوحید فی القرآن الکریم.

(۳) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۷۸ و ۷۹.

(۴) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۲۰، و السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۷۸ و ۷۹.

(۵) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۸۲ ثمّ یذکر صاحب السیرة اولئک الأشخاص فی بیتین آخرین.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۲

حتی لا یتطرق إلیها التباس أو اشتباه، و قد کان من علائمه صلّی اللّه علیه و آله اسمه الشریف، فیجب أن تکون مصادیقها قلیلة جدا حتی یزیل ذلک أی عروض للشک و التردید فی تشخیص النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله خاصة إذا ضمّت إلیه بقیة أوصافه و علائمه، و خصوصیاته.

(۱)

خطأ المستشرقین:

لقد ذکر القرآن الکریم اسمین او عدة أسماء للنبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله.

ففی سورة آل عمران و محمّد و الأحزاب و الفتح فی الآیات ۱۴۴ و ۲ و ۴۰ و ۲۹ «۱» سماه «محمّدا» «۲».

و فی سورة الصف الآیة ۶ «۳» دعاه «أحمد».

و العلة فی تسمیته بهذین الاسمین أن امّه «آمنة» سمّته «أحمدا» قبل أن یسمیه جده، کما هو مذکور فی التاریخ.

و علی هذا فان ما ذکره بعض المستشرقین- فی معرض الاعتراض- بأن الإنجیل- حسب تصریح القرآن الکریم فی سورة الصف الآیة ۶- بشّر بنبی اسمه «أحمد» لا «محمّد» کلام لا اساس له و لا مبرر، لأن القرآن الکریم الذی سمی نبیّنا ب: «أحمد» سماه فی عدة مواضع ب: «محمّد» فإذا کان المصدر فی تعیین اسم النبی هو: القرآن الکریم، فان القرآن سمّاه بکلا الاسمین، فی موضع باسم

---

(۱) یعتقد البعض أنّ هذا لیس اسما للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله بل هو من الحروف المقطعة فی القرآن.

(۲) قال تعالی: «وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ».

و قال تعالی: «وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ آمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلی مُحَمَّدٍ».

و قال سبحانه: «ما کانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِکُمْ وَ لکِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِیِّینَ».

و قال عزّ و جلّ: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِینَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَی الْکُفَّارِ رُحَماءُ بَیْنَهُمْ».

(۳) اذ قال سبحانه: «وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ».

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۱۳

«محمّد»، و فى موضع آخر باسم «احمد».

(۱)

«أحمد» كان من أسماء النبىّ المشهورة:

كلّ من كان له ادنى إلمام بتاريخ النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم علم أنه صلّى اللّه عليه و آله كان يدعى باسمين فى الناس منذ صغره أحدهما:

«محمّد» الذى سمّاه به جده «عبد المطلب»، و الآخر «أحمد» الذى سمته به أمه «آمنة».

و هذه حقيقة من حقائق التاريخ الإسلامى، و قد روى المؤرخون هذا الأمر، و يمكن للقارئ الكريم أن يقرأه فى السيرة الحلبية «۱».

و لقد أنشأ عمّه «أبو طالب»- الذى انيطت إليه كفالته بعد وفاة عبد المطلب، فبقى يقوم بهذه المهمة طوال اثنين و أربعين عاما بكل حرص و رغبة، و لم يمتنع فى هذا السبيل عن بذل كل ما استطاع من غال و رخيص أنشأ فى ابن أخيه أبياتا سمّاه فى بعضها «محمّد» و فى بعضها الآخر «أحمد»، و هذا يكشف عن انه صلّى اللّه عليه و آله كان معروفا آنذاك بكلا الاسمين.

(۲) و إليك فيما يأتى بعض هذه الأبيات التى سمى فيها «أبو طالب» النبى باسم احمد:

-۱

إن يكن ما أتى به أحمد اليوم‌سناء و كان فى الحشر دينا ۲-

و قوله لأحمد أنت امرؤخلوف الحديث ضعيف النسب ۳-

و إن كان أحمد قد جاءهم‌بحق و لم يأتهم بالكذب ۴-

أرادوا قتل أحمد ظالموه‌و ليس بقتلهم فيهم زعيم ۵-

ألا إنّ خير الناس نفسا و والداإذا عدّ سادات البرية أحمد ۶-

فلسنا و بيت اللّه نسلم أحمدالعزّاء من عض الزمان و لا كرب «۲» و قد سمى «أبو طالب» النبى صلّى اللّه عليه و آله فى أبيات اخرى بأحمد

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۸۲ و ۸۳.

(۲) ديوان أبى طالب عليه السّلام.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۱۴

أيضا قد ذكرها كبار المحققين من المؤرخين و المحدثين و نسبوها الى أبى طالب و لكنها غير موجودة فى ديوانه «۱».

كما و أنه قد سمّاه غير ابى طالب فى أبياته بأحمد ممّا يدل على أنه كان مشتهرا بهذا الاسم فى ذلك الزمان، و تلك الابيات كثيرة تفوق حدّ الحصر و الاحصاء لكنّنا ننقل نماذج منها هنا:

قال حسان بن ثابت فى رثائه للنبى صلّى اللّه عليه و آله:

مفجعة قد شفّها فقد أحمدفظلّت لآلاء الرسول تعدّد

أطالت وقوفا تذرف العين جهدهاعلى طلل القبر الذى فيه أحمد «۲» و قال فى رثائه أيضا:

صلّى الا له و من يحيق بعرشه‌و الطّيبون على المبارك احمد «۳» و قال فى رثاء جعفر بن أبى طالب الطيّار:

فمن كان أو يكون كأحمدنظام الحق او نكال لملحد «۴»

و قال حسّان و هو يذكر معجزة من معاجز النبى صلّى اللّه عليه و آله:

ففى كفّ أحمد قد سبّحتعيون من الماء يوم الظمأ «۵» و قال كعب بن مالك:

فهذا نبىّ اللّه أحمد سبّحتصغار الحصى فى كفّه بالترنّم «۶» و قال «ورقة بن نوفل» يوم أخبرته خديجة بنزول الوحى على النبى صلّى اللّه عليه و آله:

---

(۱) مثل قوله:

لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمدو أحببته حب الحبيب المواصل

زعمت قريش أن أحمد ساحركذبت و ربّ الراقصات إلى الحرم راجع ديوان أبى طالب، و سيرة ابن هشام: ج ۱ ص ۲۷۲، و شرح النهج لابن ابى الحديد: ج ۱۴ ص ۷۹ و غيرها.

(۲) ابن هشام فى سيرته: ج ۲ ص ۶۶۷ و ۶۶۶، و ابن سعد فى طبقاته: ج ۲ ص ۳۲۳.

(۳) ابن هشام فى سيرته: ج ۲ ص ۶۶۷ و ۶۶۶، و ابن سعد فى طبقاته: ج ۲ ص ۳۲۳.

(۴) شاعر عهد الرسالة: تحقيق محمّد عزت نصر اللّه.

(۵) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۴۱۳ و ۴۱۵.

(۶) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۴۱۳ و ۴۱۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۱۵ فإن يك حقا يا خديجة فاعلمىحديثك إيانا فاحمد مرسل «۱» و قالت عاتكة بنت عبد المطلب ترثى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله:

يا عين جودى ما بقيت بعبرةسحّا على خير البرية أحمد «۲» و قال العباس فى مناسبة تزويج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بخديجة:

أحمد سيّد الورىخير ماش و راكب «۳»

(۱)

فترة الرّضاع فى حياة النبى صلّى اللّه عليه و آله:

لم يرتضع وليد قريش المبارك «محمّد» من امّه سوى ثلاثة أيام، ثم حظيت بفخر إرضاعه- بعد ذلك- امرأتان هما:

(۲) ۱- «ثويبة» مولاة «أبى لهب»، و قد أرضعته أربعة أشهر فقط، و كان النبى صلّى اللّه عليه و آله و زوجته الوفية: «خديجة بنت خويلد» يقدّران هذا العمل لها حتى آخر لحظات حياتها «۴».

و «ثويبة» هذه كانت قد أرضعت قبل ذلك «حمزة» عم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و «أبا سلمة بن عبد اللّه المخزومى» أيضا فكانوا إخوة من الرضاعة «۵».

و قد بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعد مبعثه، من يشتريها من «أبى لهب» ليعتقها فابى «۶».

و كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يكرمها كلما دخلت عليه، و كان يبعث إليها بالصّلة إلى أن بلغه خبر وفاتها عند منصرفه من وقعة «خيبر» فسأل عن ابنها فقيل: مات قبلها، فسأل عن قرابتها، فقيل: لم يبق منهم أحد «۷».

(۳) ۲- «حليمة السعدية» بنت ابى ذؤيب التى كانت من قبيلة سعد بن بكر بن هوازن، و كان أولادها عبارة عن: «عبد اللّه»، «أنيسة»، «شيماء»، و قد

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۹۵.

(۲) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۳۲۶.

(۳) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۷۲.

(۴) تاریخ الخمیس فی احوال انفس نفیس: ج ۱ ص ۲۲۲.

(۵) السیرة النبویة: ج ۳ ص ۹۶.

(۶) الکامل فی التاریخ: ج ۱ ص ۲۷۱.

(۷) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۲۲۲- ۲۲۵ نقلا عن سیرة مغلطای و غیره.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۶

قامت آخر أولادها و هی «الشیماء» بحضانة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أیضا:

و قد کان من عادة العرب یومذاک هو أن یدفعوا أولادهم الرضعاء إلی المراضع اللائی کنّ یعشن فی البوادی لینشئوا فی تلک البیئات المعروفة بطیب هوائها، و قلة رطوبتها، و عذوبة مائها ببنیة قویة، هذا مضافا إلی صیانتهم عن خطر الوباء الذی کان یهدد الأطفال فی «مکة»، و لأن ذلک کان له مدخل عظیم، و تأثیر بلیغ فی فصاحة المولود لسلامة لغة أهل القبائل الساکنة فی البوادی آنذاک.

(۱) و کانت مراضع بنی سعد من المشهورات بهذا الأمر بین العرب، فقد کانت نساء هذه القبیلة التی کانت تسکن حوالی «مکة» و نواحی الحرم یأتین «مکة» فی کل عام فی موسم خاص یلتمسن الرضعاء و یذهبن بهم إلی بلادهنّ حتی تتم الرضاعة.

و کان النبی صلّی اللّه علیه و آله قد تجاوز شهره الرابع لما قدمت نساء من بنی سعد «مکة» یلتمسن الرضعاء فی سنة جدب و قحط، و لهذا کنّ بحاجة شدیدة إلی مساعدة أشراف «مکة» و اعیانها.

(۲) و یقول بعض المؤرخین: أنه لم تقبل أیّة واحدة من تلک المراضع أن تأخذ «محمّدا» بسبب یتمه، و قد کان اغلبهن یردن أن تأخذن من یکون له أب حیّ حتی یغدق علیهنّ بالمساعدات و الصّلات، و حتی «حلیمة» هی الاخری أبت أخذه، و لکنّها أیضا لم تحصل علی طفل لهزال جسمها، فاضطرت الی أن تأخذ حفید «عبد المطلب» و قالت لزوجها: و اللّه لأذهبنّ الی ذلک الیتیم فلآخذنّه، فقال لها زوجها: لا علیک ان تفعلی، عسی اللّه ان یجعل لنا فیه برکة.

و لقد اصاب الزوجان فی ظنّهما هذا، فمنذ أن أبدت «حلیمة» استعدادها لخدمة ذلک الیتیم شملت الالطاف الالهیة کل مجالات حیاتها. «۱»

(۳) إن القسم الأول من هذه القصة لیس سوی اسطورة، لأن مکانة البیت

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۶۲ و ۱۶۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۷

الهاشمی الرفیعة، و شخصیة رجل عرف بکمال الجود و الاحسان، و بعون المحتاجین و المحرومین کانت سببا فی أن لا- تعرض المرضعات عن اخذ «محمّد» فحسب، بل یتنازعن علی اخذه و لهذا لا یکون هذا القسم من التاریخ سوی اسطورة تکذبها الحقائق.

و اما علة عدم اعطاءه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الی غیر «حلیمة» من المرضعات فهی: أن ولید قریش لم یقبل أیّ ثدی من أثداء تلکم المرضعات، و لم یزل کذلک حتی قبل ثدی «حلیمة السعدیة»، فسرّ بذلک «عبد المطلب» و أهله سرورا عظیما، بعد أن حزنهم امتناعه عنهنّ قبل ذلک «۱».

قالت «حلیمة»: استقبلنی عبد المطلب فقال: من أنت، فقلت: أنا امرأة من بنی سعد، قال: ما اسمک؟ قلت: حلیمة، فتبسّم «عبد المطلب» و قال: بخ بخ سعد و حلم، خصلتان فیهما خیر الدهر، و عز الأبد «۲».

نظرة الإسلام فی تأثیر الرضاع:

و هنا ینبغی بالمناسبة أن نشیر الی نظرة الإسلام فی تأثیر الرضاع فی شخصیّة الإنسان.

فقد سبق الإسلام العلم الحدیث فی الکشف عن آثار اللبن فی تکوین الإنسان الخلقی و النفسیّ و العضوی سلبا و إیجابا.

و لهذا حثّ الإسلام علی استرضاع الام، کما حث علی اختیار المرضعات الصالحات و نهی عن استرضاع الیهودیة و المجوسیة و النصرانیة و المجنونة منعا من انتقال طباعهن إلی الطفل عن طریق الولید.

و استکمالا لهذا البحث نورد جملة من الأحادیث التی تصرح بهذه الحقیقة العلمیة الهامة:

۱- قال امیر المؤمنین علی علیه السّلام:

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۳۴۲ و ۳۴۳.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۸۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۸

«تخیّروا للرضاع کما تخیّرون للنّکاح فان الرّضاع یغیّر الطباع» «۱».

۲- و عنه علیه السّلام أیضا:

«انظروا من یرضع أولادکم فإن الولد یشبّ علیه» «۲».

۳- عن الإمام ابی جعفر الباقر علیه السّلام انه قال:

«لا تسترضعوا الحمقاء فان اللبن یعدی، و إن الغلام ینزع إلی اللبن ...» «۳».

۴- و عنه علیه السّلام أیضا:

«استرضع لولدک بلبن الحسان و إیّاک و القباح فإنّ اللبن قد یعدی» «۴».

۵- و عن علی علیه السّلام انه قال:

«ما من لبن یرضع به الصبیّ أعظم برکة علیه من لبن امّه» «۵».

---

(۱) قرب الأسناد: ص ۴۵.

(۲) فروع الکافی: ج ۲ ص ۹۳.

(۳) وسائل الشیعة: ج ۱۵ ص ۱۸۸.

(۴) التهذیب: ج ۲ ص ۲۸۰.

(۵) روضة المتّقین: ج ۸ ص ۵۵۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۹

(۱)

۶ فترة الطفولة فی حیاة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله

اشارة

إن صفحات التاريخ تشهد بأن حياة رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من بداية طفولته و أوان صباه و إلى يوم بعثه بالرسالة كانت مشحونة بسلسلة من الحوادث العجيبة التى تعدّ بأجمعها من كراماته صلّى اللّه عليه و آله و تدل على أن حياة النبيّ لم تكن حياة عادية.

(٢) و ينقسم المؤلفون فى تفسير هذه الحوادث الى طائفتين:

(٣)

١- الماديّون، و جماعة من المستشرقين:

فان العلماء الماديين الذين يحصرون الوجود فى نطاق المادة، و يعتبرون جميع الظواهر ظواهر مادية، و ينحتون لكل واحدة منها علة طبيعية، لا يهتمون بهذه الحوادث و لا يعيرونها أية أهمية، لامتناع و استحالة وقوع أمثال هذه الظواهر حسب النظرة المادية، و لهذا فكل ما يصادفونه فى ثنايا التاريخ من هذا الباب يعتبرونه من ولائد الخيال، و ممّا نسجته اوهام التابعين لذلك الدين، او الطريقة.

و قد تبعهم فى هذا الموقف جماعة من المستشرقين فرغم انهم يعتبرون انفسهم- حسب الظاهر- فى عداد الموحّدين، و المؤمنين باللّه، و بما بعد الطبيعة من عوالم الغيب، إلّا أنهم- لضعف إيمانهم و بسبب غرورهم العلمى، و غلبة النزعة المادية على أفكارهم و أذهانهم- اتبعوا- لدى تحليلهم لهذه الحوادث- المنهج الماديّ، فنحن

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲۰

نقرأ فى كتاباتهم مرارا و تكرارا زعمهم بان النبوة ما هى إلّا نبوغ بشريّ، و أن النبيّ مجرد نابغة اجتماعية استطاع تغيير مسار الحياة البشرية بافكاره النيّرة!!

(١) و لا شك أن مثل هذا التصوّر ينبع من طريقة التفكير المادى الذى يعتبر جميع الأديان من ولائد الفكر البشرى و افرازات الذهن الانسانى، فى حين ان علماء العقيدة اثبتوا فى: مباحث «النبوّة العامة» انّ النبوة عطية إلهية، و موهبة ربّانية هى فى الحقيقة منشأ جميع الالهامات و الارتباطات المعنوية، و مصدر لمناهج الأنبياء و برامجهم، ليست أبدا وليدة نبوغهم الإنسانى، و لا نسيجة فكرهم البشرى، و ليس لها مصدر إلّا الإلهام من الغيب، و لكن عند ما ينظر المستشرق المسيحى الى هذه القضايا من زاوية الفكر المادى و يريد تفسير جميع هذه الظواهر بالاسس العلمية التى كشف عنها التجربة ينتقد مثل هذه الحوادث ذات الطابع الاعجازى، و ربما انكرها من الاساس.

(٢) ٢- المؤمنون باللّه: الذين يعتقدون بأن العالم المادى بجميع خصوصياته و خواصه يخضع لتدبير عالم آخر، و أن ذلك العالم (اى عالم التجرد و ما وراء الطبيعة) هو المنظم لهذه الطبيعة، و هو المدبر لهذا الكون المادى.

و بعبارة اخرى إن عالم المادة ليس عالما مسيّبا، مستقلا عن غيره، و ان جميع الانظمة و القوانين الطبيعية و العلمية مسبّبة عن تأثيرات موجودات عليا، و بخاصة ناشئة عن إرادة اللّه الخالق، الذى اعطى للمادة وجودها، و أوجد القوانين و العلاقات الصحيحة بين أجزائها، و بنى بقاءها على سلسلة من النواميس الطبيعية.

إنّ هذا الفريق من الناس مع احترامهم للقوانين العلمية، و اذعانهم الصادق بما قاله العلماء فى صعيد العلاقات، و الروابط القائمة بين القوانين ممّا أثبته العلم و أكّده، يعتقدون بأن مثل هذه القوانين الطبيعية ليست امورا لا تقبل التغيير، و التبدل.

فهم يعتقدون بأن العالم الاعلى يمكنه- إذا أراد- أن يغيّر تلك القوانين لغايات خاصة، و ليس فى مقدوره ذلك فقط، بل فعل ذلك فى جملة من الموارد

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲۱

لأهداف عليا.

(۱) و بعبارة اخرى: إنّ الافعال الخارقـة للعادة ليست ظواهر عاريـة عن العلل، بل إنّ علتها غير طبيعيّـة، و افتقاد العلة الطبيعية (و خاصـة العلة الطبيعية غير المعروفة) ليس دليلا على افتقاد مطلق العلة.

و الخلاصة؛ إن قوانين الخلقة ليست بحيث لا يمكن تبدّلها، و تغيّرها بارادة بارئها و خالقها.

إنهم يقولون: إنّ جميع خوارق العادة، و جميع أفعال الأنبياء العجيبة التى تتصف بصـفة الاعجاز، و الخارجة عن اطار القوانين الطبيعية، تتحقق من هذه الزاوية.

إنّ هـذا الفريق من الناس لا يسـمحون لأنفسـهم بان يرفضوا الأعمال الخارقة للعادة، و الكرامات التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم، و الأحاديث، أو وردت فى المصادر التاريخية الصحيحة المعتبرة، أو يشكّوا فيها بحجة أنها لا توافق الموازين الطبيعية، و القوانين العلمية.

(۲) و ها نحن نشـير إلى قضـيتين عجيبتين وقعتا فى فترة الطفولة من حياة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و مع اخذ ما قلناه بنظر الاعتبار لا يبقى أى مجال للترديد، أو الاستبعاد:

(۳) ۱- لقد نقل المؤرخون عن «حليمة السعدية» قولها بأنها لمّا تكفّلت إرضاع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أرادت أن ترضعه فى محضر امّها، ففتحت جيبها و أخرجت ثديها الايسر، و أخذت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فوضـعته فى حجرها، و وضـعت ثديها فى فمه، فترك النبى صـلّى اللّه عليه و آله ثـديها، و مال إلى ثـديها الأيمن، فاخـذت «حليمة» ثديها الأيمن من يد النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم و وضـعت ثـديها الأيسر فى فمه و ذلك أنّ ثديها الأيمن كان جهاما (أى خاليا من اللبن و لم يكن يدرّ به)، و خافت «حليمة» أن النبى صـلّى اللّه عليه و آله اذا مصّ الثـدى و لم يجد فيه شـيئا لا يأخذ- بعده- الأيسر. و لكن النبىّ أصـرّ على أخذ الثدى الأيمن، فلمّا مصّ صلّى اللّه عليه و آله الأيمن امتلأ فانفتح حتى ملأ شدقيه

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۲۲۲

فادهش الجميع ذلك «۱».

(۱) ۲- و تقول «حليمة» أيضا: إن البوادى أجدبت و حملنا الجهد على دخول البلد، فدخلت مكة مع نساء بنى سعد فأخذت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فعرفنا به البركة و الزيادة فى معاشنا و رياشنا حتى أثرينا، و كثرت مواشينا، و أموالنا «۲».

إنّ من المسلم أنّ حكم الماديين، او من يحذو حذوهم و يتبع منهجهم فى هذه المسائل يختلف عن حكم المؤمنين باللّه.

فان أتباع المنهج المادى اذ عجزوا عن تفسير هذا النوع من القضايا من زاوية العلوم الطبيعية، نجدهم يبادرون الى اعتبار هذه الحوادث من نسج الخيال، و من ولائد الاوهام، و اما اذا كانوا اكثر تأدبا لقالوا: إن رسول الإسلام ليس بحاجة إلى أمثال هذه المعاجز.

و نحن نقول: لا نقاش فى أن النبى صلّى اللّه عليه و آله غنى عن هذه المعاجز إلّا أن عدم الحاجة شىء، و الحكم بصحة هذه الامور او بطلانها شىء آخر.

و أما المؤمن باللّه الـذى يردّ النظام الطبيعى، إلى مشـيئة اللّه خالق الكون و ارادته العليا، و يعتقد بأن كل الحركات و الظواهر فى العالم الطبيعى مـن اصـغر اجزائه (الـذرة) الى اكـبر موجـوداته (المجرة) يجرى تحت تـدبيره، و نظـارته، فـانه بعـد التحقـق من مصـادر هـذه الحوادث و التأكد من وقوعها ينظر إليها بنظر الاحترام، و أمّا إذا لم يطمئن إليها لم يرفضها رفضا قاطعا.

(۲) و لقـد ورد فى القرآن الكريم نظائر عديـدة لهذه القصة حول «مريم» أمّ عيسـى فالقرآن يخبرنا عن تساقط الرطب الجنىّ من جذع النخلة اليابسة كرامة لوالدة المسيح عند ما لجأت إليه مريم عند المخاض إذ يقول:

«... أَلَّا تَحْزَنِی قَدْ جَعَلَ رَبُّکِ تَحْتَکِ سَرِیًّا. وَ هُزِّی إِلَیْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَیْکِ رُطَباً جَنِیًّا» «۳».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۳۴۵ و ۳۴۶.

(۲) المناقب لابن شهر اشوب: ج ۱ ص ۲۴.

(۳) مریم: ۲۴ و ۲۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۲۳

إنه و ان كان الفرق بين «مريم» و «حليمة» شاسعا و كبيرا من حيث الملكات الفاضلة و المكانة، و المنزلة، إلّا أن منزلة «مريم» عليها السّلام لو استوجبت مثل هذا اللطف الالهى، ففى المقام استوجب نفس مقام الوليد العظيم، و مكانته عند اللّه تعالى أن تشمله العناية الالهية.

كما انه قد جاء فى القرآن الكريم حول مريم عليها السّلام امور اخرى مشابهة.

ان عصمة هذه المرأة الطاهرة، و تقاها و طهرها البالغ كانت بحيث أن «زكريا» كلّما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا، فاذا سألها: من أين لك هذا قالت: هو من عند اللّه؟ «۱».

و على هذا الأساس يجب أن لا نتردّد و لا نسمح لانفسنا بأن نشك فى مثل هذه الكرامات، أو نستبعدها.

(۱)

خمسة أعوام فى الصحراء:

أمضى وليد «عبد المطلب» فى قبيلة «بنى سعد» مدة خمسة أعوام، بلغ فيها أشده.

و خلال هذه المدة اخذته «حليمة» إلى امّه مرتين أو ثلاث، و قد سلّمته إلى أمه فى آخر مرة.

و كانت المرّة الاولى من تلك المرات عند فطامه، و لهذا السبب أتت به صلّى اللّه عليه و آله «حليمة» الى مكة و لكنها عادت به إلى الصحراء باصرار منها، و كان السبب وراء هذا الاصرار على اصطحابها معها إلى البادية هو أن هذا الوليد قد أصبح مبعث خير و رخاء، و بركة فى منطقتها، و قد دفع شيوع مرض الوباء فى «مكة» إلى ان تقبل امّه الكريمة بهذا الطلب «۲».

(۲) و أما المرة الثانية من تلك المرات فكانت عند ما قدم جماعة من نصارى

---

(۱) «... وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا، الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ». (آل عمران: ۳۷).

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۴۰۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۲۴

الحبشة الى الحجاز، فوقع نظرهم على محمّد صلّى اللّه عليه و آله فى «بنى سعد»، و وجدوا فيه جميع العلائم المذكورة فى الكتب السماوية للنبى الذى سيأتى بعد عيسى المسيح عليه السّلام، و لهذا عزموا على أخذه غيلة الى بلادهم لما عرفوا ان له شأنا عظيما، لينالوا شرف احتضانه و يذهبوا بفخره «۱».

(۱) و لا مجال لاستبعاد هذه القضية لأن علائم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ذكرت فى الانجيل حسب تصريح القرآن الكريم، فلا يبعد أن علماء النصارى قد تعرّفوا فى ذلك الوقت على النبىّ من العلائم التى قرءوها و درسوها فى كتبهم.

يقول القرآن الكريم فى هذا المجال:

«وَ إِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ» «۲».

ثمّ انّ فى هذا الصعيد آيات أخر صرّحت بجلاء بأن علائم رسول الإسلام فى الكتب السماوية الماضية فى وضوح، و من غير إبهام، و أن الامم السابقة كانت على علم بهذا الأمر «۳».

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۶۷.

(۲) الصف: ۶.

(۳) «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ».

(الأعراف: ۱۵۷).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲۵

(۱)

۷ العودة إلى أحضان العائلة

اشارة

لقد خلقت يد القدرة الالهية كل فرد من أفراد النوع الانسانى لأمر معين، فهناك من خلق لاكتساب العلم و المعرفة، و هناك من خلق للاختراع و الاكتشاف، و ثالث خلق للسعى و العمل، و بعض للتدبير و السياسة و فريق للتدريس و التربية و هكذا.

و إن المربّين المخلصين الذين يهمّهم تقدم الأفراد أو رقىّ مجتمعهم لا يعمدون إلى نصب أحد فى عمل من الاعمال و لا يعهدون إليه مسئولية من المسئوليات إلّا بعد اختبار سليقته و مواهبه، بغية وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب، اذ فى غير هذه الحالة يتعرّض المجتمع لضررين كبيرين: احدهما: أن لا يوكل إلى الفرد ما يستطيع القيام به، و الثانى: ان يبقى العمل الذى قام به ناقصا، مبتورا.

(۲) و قد قيل فى المثل: لكل انسان موهبة، و السعيد هو من اكتشف تلكم المواهب، و اصابها.

و قد ذكروا أن استاذا كان ينصح تلميذا له كسولا، و يعدّد له مضارّ الكسل و التوانى، و يصف له حال من ترك الاشتغال بالعلم، و ضيّع ربيع حياته فى البطالة و الغافلة.

و بينما الاستاذ ينصح تلميذه- و هو يسمع مواعظ استاذه- رأى تلميذه يرسم

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲۶

بقطعة من الجص صورة على المنضدة، فادرك من فوره أن هذا الصبىّ لم يخلق للدرس و تحصيل العلم، بل خلقته يد القدرة للرسم، فطلب منه أن يصطحب أباه الى المدرسة فى اليوم القادم، ثم قال لوالد الصبىّ: إذا كان ولدك هذا كسولا فى التعلم، و التحصيل فانه يمتلك ذوقا رفيعا فى الرسم، و رغبة كبيرة فى التصوير.

و قبل الوالد نصيحة المعلّم هذه و لم يمض زمان طويل إلّا و برع الصبى و غدى قمة فى هذا الفن، بعد أن تابع هوايته بشغف و أكثر من ممارستها.

(۱) إن فترة الطفولة و الصبا فى حياة الأشخاص خير فرصة لأولياء الأطفال بأن يختبروا مواهب أبنائهم، و يتعرفوا عليها من خلال تصرفاتهم، و أفكارهم و ردودهم، لأن حركات الطفل و أقواله الجميلة و الحلوة خير مرآة لما ينطوى عليه من مواهب و قابليات و صفات لو توفّرت لها ظروف التربية الصحيحة لأمكن الاستفادة منها على أفضل صورة، و أحسن وجه.

إن مطالعة فاحصة لحياة النبىّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و أقواله و أفعاله الى وقت البعثة المباركة توقفنا على صورة كاملة لشخصيته صلّى اللّه عليه و آله و توضح لنا أهدافه العليا، على أن مطالعة صفحات الطفولة فى حياته صلّى اللّه عليه و آله فقط لا تكشف لنا عن مستقبله المشرق، بل ان دراسة الصورة الاجمالية لحياته و تاريخه إلى يوم مبعثه الشريف، و إعلانه عن نبوّته و قيادته للمجتمع، تخبرنا

عن ذلك المستقبل العظيم، و بالتالى عن هـذه الحقيقـة و هى أن هذه الشخصـية خلقت لأىّ عمل، و أن ادّعاء الرسالة و القيادة له هل ينسجم مع سوابقه التاريخية أم لا؟؟

هل تؤيّـد تفاصـيل حياته خلال أربعين سـنة قبل الرسالة، و هل تؤيّد أفعاله و اقواله، و بالتالى: سـلوكه مع الناس و معاشـرته الطويلة مع الآخرين رسالته أم لا؟؟

(۲) من هنا نعمد الى عرض بعض الصفحات من حياة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى أيامها و سنواتها الاولى.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲۷

لقد حافظت مرضعة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله عليه خمس سنوات، و قامت فى هذه المدة برعاية شئونه خير قيام، و بالغت فى كفالته و العنايـة به، و فى خلال هـذه المـدة تعلّم النبى لغـة العرب على احسن ما يكون، حتى انه صـلّى اللّه عليه و آله كان يفتخر بذلك فى ما بعد اذ كان يقول:

أنا أعربكم (اى أفصحكم) ... و ارضعت فى بنى سعد» «۱».

ثم ان «حليمـة» جاءت به إلى «مكة»، و بقى عند امّه الحنون ردحا من الزمن، و فى كفالة جده العظيم: «عبد المطلب» ردحا آخر منه، و كان هو السلوة الوحيدة لاقاربه و البقية الباقية من أبيه: «عبد اللّه» «۲».

(۱)

سفرة إلى يثرب:

منـذ أن فقـدت كنّـة «عبـد المطلب» و عروس ابنها: «آمنة» زوجها الشاب الكريم: «عبد اللّه» باتت تترقب الفرص لتذهب إلى «يثرب» و تزور قبر زوجها الحبيب الفقيد عن كثب، و تزور اقاربها فى يثرب فى نفس الوقت.

و ذات مرة فكّرت بأن تلك الفرصـة قد سـنحت، و أن ولدها «محمّدا» قد كبر، و يمكنه أن يشاركها فى حزنها، فتهيأت هى و أمّ ايمن للسفر، و اتجهت نحو يثرب برفقة «محمّد»، و لبثت هناك شهرا.

و لقـد انطوت (و بالاحرى حملت) هـذه السـفرة على بعض الآلام الروحيـة لوليـد قريش «محمّـد» لأنه صـلّى اللّه عليه و آله راى فيها و لأوّل مرة البيت الذى توفى فيه والده العزيز، و دفن «۳» و كانت والدته قد حدّثته بامور عن والده إلى ذلك الحين.

و كانت لا تزال سـحابة الحزن تخيّم على روحه الشـريفة إذ فوجئ بحادثة مقرحة اخرى، و غشـيه موج آخر من الحزن لأنه عند عودته من مكة فقد امّه

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۸۹.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۶۷.

(۳) كـان البيت الـذى يضمّ قبر «عبـد اللّه» عليه السّـلام لا يزال موجودا حتى قبيل توسـعة الـدائرة حول المسـجد النبوى الطاهر، و لكنه ازيل بحجّة إيجاد تلك التوسعة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲۸

العزيزة فى اثناء الطريق فى منطقه تدعى ب «الابواء» «۱».

(۱) إن هذه الحادثة قد عزّزت مكانة الرسول الكريم صلّى اللّه عليه و آله فى عشيرته اكثر فأكثر، و جعلته يتمتع بمحبّة أزيد منهم، فهو الزهرة الوحيـدة من تلك الجنينـة المباركـة، كما انه صار منـذ ذلك الحين يتمتع بعنايـة أكبر من قبل جـده «عبد المطلب» و لهذا كان يحبّه اكثر من أبنائه، بل و يؤثره عليهم جميعا.

و من ذلـک أنه کـان یمـدّ فی فنـاء الکعبـۀ المعظمـۀ بساط لزعیم قریش «عبـد المطلب» فیجلس هو علیه و یتحلّق حوله وجوه قریش و سادتها و أولاده فإذا وقعت عیناه علی بقیـۀ عبـد اللّه «محمّـد» أمر بأن یفرّج له حتی یتقدم نحوه ثم یجلسه الی جنبه علی ذلک البساط المخصوص به «۲».

(۲) ان القرآن الکریم یذکّر النبی صلّی اللّه علیه و آله بفترۀ یتمه و یقول: «أ لم یجدک یتیما فآوی».

إن الحکمـۀ وراء یتم ولیـد قریش لیست واضـحۀ لنـا تمـام الوضوح، و لکننـا نعلم إجمالا- بـأن سـیل هـذه الحوادث المؤلمـۀ احیانا، و المزعجۀ احیانا اخری لم یک خالیا عن حکمۀ معقولۀ و مصـلحۀ رشـیدۀ، بید أننا مع کل هذا یمکن لنا الحدس بأن اللّه تعالی أراد أن یـذوق قائـد العالم البشـری و معلمه، و إمام الانسانیـۀ و هادیها- و قبل ان یتسـلم مهامه، و یزاول مسـئولیاته العظمی و یبدأ قیادته- حلو الحیـاۀ و مرّهـا، و یجرّب سـراء العیش و ضـرّاءه، حتی تتهیّأ لـدیه تلک الروح الکبری الصـبورۀ الصامـدۀ، و یـدّخر من تلک الحوادث الصعبۀ تجارب و دروسا، و یعدّ نفسه لمواجهۀ مسلسل الشدائد و المصاعب، و المشاق و المتاعب التی کانت تنتظره فی المستقبل.

(۳) و ربما أراد اللّه تعالی أن لا تکون فی عنق نبیّه طاعـۀ لأحد، و لهذا أنشأه حرا خلیا من کل قید، منذ الایام الاولی من حیاته، یصـنع نفسه بنفسه و یقیّض لها موجبات الرشد، و اسباب الرقیّ لیتضح أن نبوغه لیس نبوغا بشریا عادیا و مألوفا

---

(۱) السیرۀ الحلبیۀ: ج ۱ ص ۱۰۵.

(۲) السیرۀ النبویۀ: ج ۱ ص ۱۶۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۲۹

و انه لم یکن لوالـدیه ای دخـل فیه و فی مصـیره، و بالتالی فان عظمته الباهرۀ نابعـۀ من مصـدر الوحی، و لیست من العوامل العادیـۀ و الاسباب المأنوسۀ المتعارفۀ.

(۱)

وفاۀ عبد المطّلب:

لقد جرت عادۀ الحیاۀ ان تتعرض للمرء باستمرار، و تستهدف سفینۀ حیاته کالأمواج المتلاحقۀ موجّهۀ ضرباتها القویۀ لروحه، و نفسه.

أجل هذه هی طبیعۀ الحیاۀ و سنتها مع أفراد النوع الانسانی من دون استثناء.

و لم یکن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمعزل عن هذه السنۀ المعروفۀ و هذه القاعدۀ الحیاتیۀ العامۀ.

فلم تکن أمواج الحزن تفارق قلب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لوفاۀ والدیه بعد حتی فاجأته مصیبۀ کبری.

إنه لم یکن یمض من عمر النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله اکثر من ثمان سـنوات إلا و فقد جدّه العظیم «عبد المطلب»، و قد اعتصرت وفاۀ «عبـد المطلب» قلب رسول اللّه ألما و حزنا، و کان لها وقع شدیـد علی نفسه المبارکۀ، حتی أنه بکی لفقده بکاء شدیدا و ظلّت دموعه تجری من أجله إلی أن وری فی لحده، و لم ینس ذکره ابدا!! «۱».

(۲)

کفالۀ أبی طالب للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله:

سیکون لنا حدیث مفصّل حول شخصیّۀ أبی طالب فی فصل خاص «۲» و سنثبت هناک إیمانه برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالوثائق و الأدلۀ القاطعۀ، و لکنّ من المناسب الآن أن نستعرض بعض الحوادث المرتبطۀ بفترۀ کفالته للنبی

(۱) كتب اليعقوبى فى تـاريخه: ج ۲ ص ۱۰ و ۱۱ من تاريخه حول سـيرة عبـد المطلب، و أنه كان موحّدا لا وثنيا، و ذكر أن الإسـلام أمضى الكثير من سننه.

(۲) فى حوادث السنة العاشرة.

صلّى اللّه عليه و آله.

لقد تكفّل أبو طالب- و لأسباب خاصة- رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و تقبل تحمّل هذه المسئولية بفخر و اعتزاز، و لأنّ أبا طالب- مضافا الى العلل المشار إليها- كان أخا لوالـد النبى من أمّ واحـدة أيضا «۱» كمـا أنّه كان معروفا بجوده و كرمه، و من هنا أوكل «عبد المطلب» أمر كفالة النبى صـلّى اللّه عليه و آله حفيده، إليه، و سوف نقص عليك تدريجا سـطورا ذهبية من تاريخه، تمثل شاهد صدق على خدماته القيامة، و أياديه الجليلة.

يقولون: إن النبى شـارك و هو فى العاشـرة من عمره جنبا إلى جنب مع عمّه فى حرب من الحروب «۲» و حيث أن هذه الحرب وقعت فى الأشهر الحرم لذلك سمّيت بحرب «الفجار» و قد وردت تفاصيل حروب «الفجار» فى التاريخ بشكل مسهب.

(۱)

سفرة إلى الشام:

لقد جرت العادة ان يسافر تجار قريش الى الشام كل سنة مرة واحدة

فعزم «ابو طالب» على أن يشارك فى رحلـة قريش السـنوية هـذه ذات مرة، و عالـج مشـكلة ابن اخيه «محمّـد» الذى ما كان يقدر على مفـارقته بـأنه قرر أن يتركه فى مكـة فى خراسـة جماعـة من الرجال، و لكنه ساعـة الرحيل واجه من ابن اخيه العزيز ما غيّر بسـببه قراره المـذكور فقـد شاهـد «محمّـدا» و قد اغرورقت عيناه بالدموع لفراق كفيله الحميم «ابى طالب»، فاحدثت ملامح «محمّد» الكئيبة طوفانا من المساعر العاطفية فى قلب «أبى طالب» بحيث اضطرته إلى أن يرضى

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۷۹، و امهما هى فاطمة المخزومية.

(۲) لقـد كتب اليعقوبى فى تاريخه: ج ۱ ص ۱۵ طبعة النجف أنّ أبا طالب لم يشترك فى هذه الحرب قط، كما لم يسـمح لبنى هاشم بالمشاركة فيها أيضا، لأنه كان ظلما و عدوانا، و قطيعة رحم و استحلالا للشهر للحرام.

بمشقة اصطحاب «محمّد» فى تلك الرحلة «۱».

(۱) لقد كانت سـفرة النبى صـلّى اللّه عليه و آله هذه التى قام بها بصحبة عمّه و كافله «ابى طالب» فى الثانية عشرة من عمره، من اجمل و أطرف أسفاره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأنه صلّى اللّه عليه و آله عبر فيها على: «مدين» و «وادى القرى» و «ديار ثمود» و اطّلع على مشاهد الشام الطبيعية الجميلة.

و لم تكن قافلـة قريش التجاريـة قـد وصـلت إلى مقصـدها حتى حـدثت فى منطقة تدعى «بصـرى» قضـية غيرت برنامج «ابى طالب» و تسببت فى عدوله عن المضى به فى تلك الرحلة و القفول الى مكة.

(۲) و إليك فيما يلى مجمل هذه القضية:

كان يسكن فى «بصرى» من نواحى الشام راهب مسيحى يدعى «بحيرا» يتعبّد فى صومعته، يحترمه النصارى فى تلك الديار.

و كانت القوافل التجارية إذا مرت على صومعته توقفت عندها بعض الوقت و تبركت بالحضور عنده.

و قد اتفق أن التقى هذا الراهب قافلة قريش التى كان فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فلفت نظره شخصية «محمّد»، و راح يحدق فى ملامحه، و كانت نظراته هذه تحمل سرا عميقا ينطوى عليه قلبه منذ زمن بعيد و بعد دقائق من

---

(۱) و يذكر «أبو طالب» فى ابيات له قصّة هذه السفرة و ما جرى فيها من البدء إلى الختام نقتطف منها بعض الأبيات:

إنّ ابن آمنة النبى محمّداعندى يفوق منازل الأولاد

لما تعلّق بالزمام رحمتهو العيس قد قلّصن بالازواد

فارفضّ من عينىّ دمع ذارفمثل الجمان مفرّق الأفراد

راعيت فيه قرابة موصولةو حفظت فيه وصية الأجداد

و أمرته بالسير بين عمومةبيض الوجوه مصالت أنجاد

حتى إذا ما القوم بصرى عاينوالاقوا على شرك من المرصاد

حبرا فاخبرهم حديثا صادقاعنه و ردّ معاشر الحسّاد (تاريخ ابن عساكر: ج ۱ ص ۲۶۹- ۲۷۲ و ديوان ابى طالب: ص ۳۳- ۳۵).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۲

النظرات الفاحصة، و التحديق فى وجه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله خرج عن صمته و انبرى سائلا: انشدكم باللّه أيّكم وليّه؟

فأشار جماعة منهم الى «أبى طالب» و قالوا: هذا وليّه.

فقال «أبو طالب»: إنه ابن أخى، سلنى عمّا بدا لك.

(۱) فقال «بحيرا»: إنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، نجده فى كتبنا و ما روينا عن آبائنا، هذا سيّد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه رحمة للعالمين. احذر عليه اليهود لئن رأوه و عرفوا منه ما أعرف ليقصدنّ قتله «۱».

هذا و قد اتفق اكثر المؤرخين على أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يتعدّ تلك المنطقة، و ليس من الواضح أن عمه «أبا طالب» بعثه الى مكة مع أحد، (و يستبعد أن يكون عمه قد رضى بمفارقته منذ أن سمع تلك التحذيرات من الراهب بحيرا)، أم أنه اصطحبه بنفسه إلى مكة، و انثنى عن مواصلة سفره الى الشام «۲».

و ربما قيل أنه تابع- بحذر شديد- سفره الى الشام مع ابن اخيه «محمّد».

(۲)

اكذوبة المستشرقين:

لقد آلينا على أنفسنا فى هذا الكتاب ان نشير إلى أخطاء المستشرقين و غلطاتهم بل و ربما أكاذيبهم، و اتهاماتهم الباطلة، و شبههم الواهية ليتضح للقراء الكرام الى أىّ مدى يحاول هذا الفريق إرباك أذهان البسطاء من الناس، و بلبلة عقولهم حول قضايا الإسلام!!

إن قضية اللقاء الذى تم- فى بصرى- بين النبى صلّى اللّه عليه و آله و الراهب «بحيرا» لم تكن سوى قضيه بسيطة، و حادثة عابرة و قصيرة، إلا أنها وقعت فى ما بعد ذريعة بأيدى هذه الزمرة (المستشرقون) فراحوا يصرّون أشدّ اصرار على أنّ

---

(۱) روى تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۳۲ و ۳۳، و السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۸۰- ۱۸۳ هذه القصّة بتفصيل أكبر و قد اختصرناها هنا تمشيا مع حجم هذا الكتاب.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۸۲ و ۱۸۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۳

ما أظهره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من تعاليم رفيعة سامية بعد ۲۸ عاما، و استطاع بها أن يحيى بها تلك الامة الميّتة قد تلقاها من الراهب «بحيرا» فى هذه السفرة. و يقولون: إن «محمّدا» بما تمتع به من قوة ذاكرة، و صفاء نفس و دقة فكر، و عظمة روح وهبته اياها يد القدر، أخذ من الراهب «بحيرى» فى لقائه به، قصص الأنبياء السالفين و الاقوام البائدة مثل عاد و ثمود، و كثيرا من تعاليمه الحيوية.

(۱) و لا ريب فى أن هذا الكلام ليس سوى تصور خيالى لا يتلاءم و لا ينسجم مع حياته صلّى اللّه عليه و آله، بل و تكذبه الموازين العقلية، و إليك بعض الشواهد على هذا:

(۲) ۱- لقد كان «محمّد» صلّى اللّه عليه و آله باجماع المؤرخين اميّا، لم يتعلم القراءة و الكتابة، و كان عند سفره الى الشام، و لقائه ب «بحيرا» لم يتجاوز ربيعه الثانى عشر بعد، فهل يصدّق العقل- و الحال هذه- أن يستطيع صبى لم يدرس و لم يتعلّم القراءة و الكتابة و لم يتجاوز ربيعة الثانى عشر ان يستوعب تلك الحقائق من «التوراة» و «الإنجيل»، ثم يعرضها- فى سن الاربعين- على الناس بعنوان الوحى الالهىّ و الشريعة السماوية؟!

إن مثل هذا الأمر خارج عن الموازين العادية، بل ربما يكون من الامور المستحيلة لو أخذنا بنظر الاعتبار حجم الاستعداد البشرى.

(۳) ۲- إن مدة هذا اللقاء كان أقل بكثير من أن يستطيع محمّد صلّى اللّه عليه و آله فى مثل تلك الفترة الزمنية القصيرة أن يستوعب «التوراة» و «الانجيل»، لأن هذه الرحلة كانت رحلة تجارية و لم يستغرق الذهاب و الاياب و الاقامة اكثر من أربعة أشهر، لأن قريشا كانت تقوم فى كل سنة برحلتين، فى الصيف إلى «اليمن»، و فى الشتاء إلى «الشام»، و مع هذا لا- يظنّ أن تكون الرحلة برمتها قد استغرقت اكثر من اربعة أشهر، و لا يستطيع اكبر علماء العالم و اذكاهم من أن يستوعب فى مثل هذه المدة القصيرة جدا محتويات دينك الكتابين، فضلا عن صبى لم يدرس، و لم يتعلم القراءة و الكتابة من احد.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۴

هذا مضافا إلى أنه لم يكن يصاحب صلّى اللّه عليه و آله ذلك الراهب كل تلك الاشهر الاربعة بل ان اللقاء الذى وقع اتّفاقا فى أحد منازل الطريق لم يستغرق سوى عدة ساعات لا اكثر.

(۱) ۳- إن النص التاريخى يشهد بأن «ابا طالب» كان ينوى اصطحاب النبى صلّى اللّه عليه و آله إلى الشام، و لم يكن مقصده الأصلى «بصرى» بل إن «بصرى» كان منزلا فى أثناء الطريق تستريح عنده القوافل التجارية أحيانا، و لفترة جدا قصيرة.

فكيف يمكن فى مثل هذه الصورة ان يمكث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى تلك المنطقة، و يشتغل بتحصيل علوم «التوراة» و «الانجيل» و معارفهما؟ سواء قلنا بأن «ابا طالب» أخذه معه الى الشام، أو عاد به من تلك المنطقة إلى مكة أو أعاده بصحبة أحد الى مكة؟!

و على كل حال فان مقصد القافلة و مقصد «ابى طالب» لم يكن «بصرى» ليقال: ان القافلة اشتغلت فيها بتجارتها، بينما اغتنم «محمّد» الفرصة و اشتغل بتحصيل معارف العهدين.

(۲) ۴- إذا كان محمّد صلّى اللّه عليه و آله قد تلقى امورا و معارف من الراهب المذكور اذن لاشتهر ذلك بين قريش حتما، و لتناقل الجميع خبر ذلك بعد العودة إلى مكة.

هذا مضافا إلى أنّ النبى صلّى اللّه عليه و آله نفسه ما كان يستطيع أن يدعى أمام قومه فى ما بعد بأنه أمى لم يدرس كتابا، و لا تلمذ على أحد، فى حين أن النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله افتتح رسالته بهذا العنوان، و لم يقل أحد، يا محمّد كيف تدعى بأنك لم تقرأ و لم تدرس عند احد و قد درست عند راهب «بصرى» و تلقيت منه هذه الحقائق الناصعة و أنت فى الثانية عشرة من عمرك؟

لقد وجّه مشركوا مكة جميع انواع الاتهام إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و بالغوا فى البحث عن أيّة نقطة ضعف فى قرآنه يمكن أن يتذرعوا بها لتفنيد دعوته، حتى أنهم عند ما شاهدوا النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ذات مرة عند

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۵

«مروة» يجالس غلاما نصرانيا استغلوا تلك الفرصة و قالوا: لقد أخذ «محمّد» كلامه من هذا الغلام، و يروى القرآن الكريم مزعمتهم هذه بقوله:

«و لقد نعلم أنّهم يقولون إنّما يعلّمه بشر لسان الّذى يلحدون إليه أعجميّ و هذا لسان عربيّ مبين» «۱».

و لكن القرآن الكريم لم يتعرض لذكر هذه الفرية قط كما أن قريشا المجادلين المعاندين لم يتذرعوا بها أبدا، و هذا هو بعينه دليل قاطع و قوى على أن هذه الفرية من افتراءات المستشرقين فى عصرنا هذا، و من نسج خيالهم!! (۱) ۵- إن قصص الأنبياء و الرسل التى جاءت فى القرآن الكريم على وجه التفصيل تتعارض و تتنافى مع ما جاء فى التوراة و الانجيل.

فقد ذكرت قصص الأنبياء و احوالهم فى هذين الكتابين بصورة مشينة جدا، و طرحت بشكل لا ينفق مع المعايير العلمية و العقلية مطلقا، و ان مقايسة عاجلة بين هذين الكتابين من جانب و بين القرآن الكريم من جانب آخر تثبت بأن قضايا القرآن الكريم و معارفة لم تتخذ من ذينك الكتابين بحال، و لو أن النبىّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله قد اكتسب معارفه و معلوماته حول الأنبياء و الرسل من العهدين لجاء كلامه مزيجا بالخرافات و الأوهام «۲».

(۲) ۶- إذا كان راهب «بصرى» يمتلك كل هذه الكمية من المعلومات الدينية و العلميّة التى عرضها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فلما ذا لم يحض هو بأى شىء من الشهرة، لما ذا ترى لم يربّ غير «محمّد» فى حين أن معبده كان مزار الناس و مقصد القوافل؟! (۳) ۷- يعتبر الكتاب المسيحيّون «محمّدا» صلّى اللّه عليه و آله رجلا أمينا صادقا، و الآيات القرآنية تصرح بأنه صلّى اللّه عليه و آله لم يكن على علم مسبق

---

(۱) النحل: ۱۰۳.

(۲) تتجلى هذه الحقيقة أكثر فاكثر إذا ما قارنّا بين مواضيع القرآن الكريم، بين ما جاء فى نصوص العهدين (التوراة و الإنجيل) و قد تصدى بعض الكتاب الإسلاميين لمثل هذه المقارنة، و قد تعرضنا لها أيضا فى بعض دراساتنا.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۶

أصلا بقصص الأنبياء و الامم السابقين، و أن معلوماته فى هذا الصعيد لم تحصل لديه إلا عن طريق الوحى.

فقد جاء فى سورة «القصص» الآية (۴۴) هكذا: «وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ».

و جاء فى سورة «هود» الآية (۴۹) بعد نقل قصة نوح: «تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا».

إن هذه الآيات توضح أن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يكن على علم أبدا بهذه الحوادث، و الوقائع.

و هكذا جاء فى الآية (۴۴) من سورة «آل عمران»: «ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ، وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ».

إن هذه الآية و غيرها من الآيات العديدة تصرح بأن هذه الأخبار الغيبيّة وصلت إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله عن طريق الوحى فقط، و هو لم يكن على علم بها مطلقا.

(۱)

نظرة إجماليّة إلى التوراة الحاضرة:

اشارة

إنّ هذا الكتاب السماویّ تورّط فی تناقضات عجیبة فی بیان قصص الأنبیاء و المرسلین لا یمكن نسبتها إلی الوحی مطلقا، و ها نحن نأتی هنا بنماذج فی هذا المجال من التوراة لیتضح لنا أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لو كان قد أخذ قضایا القرآن الكریم من ذلك الراهب فلما ذا لا یحتوی هذا الكتاب العظیم علی تلك الأضالیل التی انطوی علیها «التوراة» و «الانجیل».

و إلیك بعض ما جاء حول الأنبیاء و المرسلین فی «التوراة» و «الانجیل» و نقارن ذلك بما جاء فی القرآن الكریم لیتضح مدی الفرق بین الكتابین (العهدین، و القرآن).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳۷

(۱)

۱- داود علیه السّلام:

جاء فی التوراة: «إن داود رأی من علی السطح امرأة تستحمّ، و كانت المرأة جمیلة المنظر جدا، فأرسل داود و سأل عن المرأة، فقال واحد: إنها امرأة اوریّا فأرسل داود رسلا و أخذها فدخلت إلیه، فاضطجع معها و هی مطهّرة من طمثها ثم رجعت الی بیتها، و حبلت المرأة، فأرسلت و أخبرت داود و قالت: إنی حبلی، فأرسل داود إلی یؤاب یقول: اجعلوا أوریّا فی وجه الحرب الشدیدة «۱»، و ارجعوا من ورائه فیضرب و یموت ... فلما سمعت امرأة أوریّا أنه قد مات اوریّا رجلها ندبت بعلها، و لمّا مضت المناحة أرسل داود و ضمّها إلی بیته و صارت له امرأة، و ولدت له ابنا، و امّا الأمر الذی فعله داود فقبح فی عینیّ الرب»!! «۲».

هكذا تصف التوراة النبیّ الكریم داود، و ترمیه بالزنا، و اكراه امرأة محصنة علی خیانة زوجها!!

بینما یصف القرآن الكریم النبیّ داود علیه السّلام بأفضل الاوصاف اذ یقول (فی الآیة ۱۵ و ۱۶ من سورة النمل):

«وَ لَقَدْ آتَیْنا داوُدَ وَ سُلَیْمانَ عِلْماً وَ قالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی فَضَّلَنا عَلی كَثِیرٍ مِنْ عِبادِهِ ... وَ قالَ یا أَیُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّیْرِ وَ أُوتِینا مِنْ كُلِّ شَیْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِینُ».

۲- النبیّ سلیمان علیه السّلام:

تقول «التوراة» عن النبیّ العظیم سلیمان علیه السّلام:

۱- «و داود الملك ولد سلیمان من التی لاوریّا»!! «۳».

أی ان سلیمان النبیّ الكریم- و العیاذ باللّه- هو ابن زنا!!

---

(۱) أی فی مقدمة الجیش المحارب.

(۲) العهد القدیم (التوراة): صموئیل، الثانی الاصحاح الحادی عشر ۳ إلی ۲۷.

(۳) إنجیل متّی: الاصحاح الأول ۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳۸

۲- و أحبّ الملك سلیمان نساء غریبة ... من الذین قال عنهم الرب لبنیّ إسرائیل: لا تدخلون إلیهم، و هم لا یدخلون إلیكم لأنّهم یمیلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سلیمان بهؤلاء بالمحبّة، و كانت له سبع مائة من النساء السیدات، و ثلاث مائة من السراری،

فأمالت نساؤه قلبه و كان فی زمان شيخوخة سليمان ان نساءه أملن قلبه وراء آلهة اخرى، و لم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود ابيه، فذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصيد ونين، و ملكوم رجس العمونيين، و عمل سليمان الشرّ فی عينى الرب، و لم يتبع الرب تماما كداود أبيه، فغضب الرب على سليمان لأنّ قلبه مال عن الرب إله إسرائيل»!!! «۱».

إن سليمان- حسب هذه التعابير التوراتية- يعشق النساء الاجنبيات، و يتقرب إليهن بصنع أصنام لهنّ. و يعبدها معهن، و يرتكب الشرور التی أغضبت الرب!!

بينما يقول القرآن الكريم عن سليمان عليه السّلام «وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَ سُلَيْمانَ عِلْماً» (النمل: ۱۶).

و يقول: «وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِی بِأَمْرِهِ إِلى الْأَرْضِ الَّتِی بارَكْنا فِيها، وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ» (الأنبياء: ۸۱).

إنه نبی عظيم اختاره اللّه تعالى لوحيه، و أصطفاه لأداء رسالاته.

۳- يعقوب عليه السّلام:

إنّ «التوراة» تصف النبی العظيم يعقوب عليه السّلام بأنه رجل كذّاب مخادع، أخذ النبوة من أبيه بالمكر و الخداع، «فعند ما شاخ اسحاق و كلّت عيناه عن النظر دعا عيسو ابنه الاكبر، و طلب منه أن يصطاد له صيدا، و يصنع له طعاما جيدا حتى يباركه، و يعطيه النبوة، و لكن يعقوب (ابن إسحاق من رفقة

(۱) التوراة: الملوك الأول الاصحاح ۱۱ العبارات ۱: ۱۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۹

زوجته الأخرى) بادر إلى صنع طعام لذيذ لأبيه و تظاهر بأنه عيسو، لابسا ثياب عيسو، و قطعا من جلود جديی المعزى على عنقه لأن عيسو كان مشعرا و كان يعقوب املس الجسد، فبارك اسحاق ابنه يعقوب و منحه النبوة، و بعد ذلك قدم عيسو من الصيد، فعرف اسحاق بانه خدع، و أن يعقوب أخذ منه النبوة بالمكر، فارتعد اسحاق ارتعادا عظيما جدا و قال لعيسو متأسفا: قد جاء أخوك بمكر، و أخذ بركتك»!! «۱».

هذا هو حال يعقوب فی لسان «التوراة» المحرفة!!

و أما القرآن الكريم فانه يقول عن هذا النبیّ الطاهر:

«وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنا وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسى وَ هارُونَ وَ كَذلِكَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ» (الأنعام: ۸۴).

و يقول تعالى أيضا:

«وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولِی الْأَيْدِی وَ الْأَبْصارِ. إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ» (ص:

۴۵- ۴۷).

۴- إبراهيم عليه السّلام:

تقول «التوراة» عن إبراهيم عليه السّلام إنّه لمّا أراد أن يدخل مصر قال لزوجته سارة: إنی قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون

إذا رآک المصریون أنهم یقولون: هذه امرأته، فیقتلوننی، و یستبقونک، قولی إنک اختی، لیکون لی خیر بسببک و تحیا نفسی من أجلک.

و کذلک فعلت سارة و اخذت إلی بیت فرعون، فصنع إلی إبرام خیرا

---

(۱) سفر التکوین: الاصحاح السابع و العشرون: ۱ الی ۴۶، و قد ذکرنا هذه القصّة من التوراة بتلخیص.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۰

بسببها، و صار له غنم، و بقر، و حمیر، و عبید، و إماء، و اتن، و جمال، و لما عرف فرعون- فی ما بعد- ان سارة زوجة ابراهیم، و لیس اخته عاتبه قائلا: لما ذا لم تخبرنی إنها امرأتک، لما ذا قلت: هی اختی حتی أخذتها لی لتکون زوجتی و الآن هو ذا امرأتک، خذها و اذهب» «۱».

إن ابراهیم الخلیل علیه السّلام فی وصف التوراة رجل کذاب، یکذب و یحتال.

أما القرآن الکریم فیصف هذا النبی الجلیل بأعظم الأوصاف، و یعتبره أعظم الأنبیاء اذ یقول عنه انه:

۱- حنیف موحّد للّه: «وَ لکِنْ کانَ حَنِیفاً» (آل عمران: ۶۷).

۲- إمام الناس: «إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً» (البقرة: ۱۳۴).

۳- مسلم: «وَ لکِنْ کانَ حَنِیفاً مُسْلِماً» (آل عمران: ۶۷).

۴- حلیم: «إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوَّاهٌ حَلِیمٌ» (التوبة: ۸۴).

۵- امة کاملة بمفرده: «إِنَّ إِبْراهِیمَ کانَ أُمَّةً» (النحل: ۱۲۰).

۶- أواه یخشی اللّه: «إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوَّاهٌ» (التوبة: ۸۴).

۷- مصطفی: «لَمِنَ الْمُصْطَفَیْنَ الْأَخْیارِ» (ص: ۴۸).

۸- ذو قلب سلیم: «إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ» (الصافات: ۴۸).

۵- المسیح علیه السّلام:

إن عیسی- حسب روایة الإنجیل- یحتقر أمه، و یزدری بها، فذات یوم جاء إخوته و أمه و وقفوا خارجا و أرسلوا یدعونه، و کان الجمع جالسا حوله، فقالوا له «هو ذا امّک و إخوتک خارجا یطلبونک، فأجابهم قائلا: من أمی و إخوتی؟ ثم نظر حوله إلی الجالسین و قال: ها امّی و إخوتی، لأنّ من یصنع مشیئة اللّه هو أخی و اختی و امّی»!! «۲»

---

(۱) سفر التکوین: الاصحاح الثانی عشر ۱- ۲۰.

(۲) إنجیل مرقس: الاصحاح الثالث ۳۱- ۳۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۱

إنه یقول هذا الکلام عن امّه التی وصفها القرآن الکریم بأن اللّه تعالی اصطفاها علی نساء العالمین «۱».

إنه یفضّل تلامیذه الذین لم یؤموا به فی قلوبهم ذرة من خردل، و الذین خذلوه لیلة الهجوم علیه من جانب الیهود «۲»- کما یقول الانجیل- علی أمه الصدّیقة.

کما إن الانجیل یقول: إن المسیح حوّل الماء الی الخمر فی عرس «۳» بل یقول إنه علیه السّلام: شرب الخمر «۴»، و الحال أن الإنجیل

يصرّح بحرمة الخمر فى مواضع عديدة.

هذا هو «عيسى» النبى الطاهر و حواريوه حسب رواية الانجيل!! «۵».

أما القرآن الكريم فيقول عنه غير ما يقوله «الانجيل» و إليك بعض ما جاء فى الكتاب العزيز حول «المسيح» عليه السّلام.

قال اللّه تعالى: «وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» (البقرة: ٧٨).

و قال تعالى أيضا: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ» (النساء: (١٧١

و يكفى فى عظمة المسيح عليه السّلام و علو شأنه انه عليه السّلام كلّم الناس فى المهد صبيا و قال: «إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ آتانِىَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِى نَبِيًّا. وَ جَعَلَنِى مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِى بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا. وَ بَرًّا بِوالِدَتِى وَ لَمْ يَجْعَلْنِى

---

(١) آل عمران: ۴٢.

(٢) انجيل متّى: الاصحاح السابع و العشرون ١- ۶ انظر كيف وافق يهوذا الاسخر يوطى و هو أحد الحواريين مع المتآمرين ضدّ المسيح، و أيضا راجع نفس السفر: الاصحاح السادس و العشرين، و راجع انجيل متّى: الاصحاح العاشر أيضا.

(٣) إنجيل يوحنا: الاصحاح الثانى ١- ١١.

(۴) إنجيل لوقا: الاصحاح الأول ١۵ و غيره.

(۵) على أنّ خرافات التوراة و الانجيل لا تنحصر فى ما ذكرناه هنا، و للتوسع راجع: أنيس الأعلام تأليف فخر الإسلام، و الهدى الى دين المصطفى للعلامة البلاغى.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٢۴٢

جَبَّاراً شَقِيًّا. وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا. ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ» (مريم: ٣٠- ٣۴).

هذه هى مواقف القرآن الكريم من الأنبياء الكرام، و الرسل العظام، و تلك هى مواقف «التوراة» و «الانجيل» المشينة، المسيئة الى شخصيّة سفراء اللّه مبلّغى رسالاته، فكيف يعقل ان يكون القرآن الكريم مقتبسا من تلك الكتب و بينهما بعد المشرقين؟!

ثم لو أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان قد اطّلع على هذه القضايا و القصص قبل إخباره بنبوّته فلما ذا لم يرشح منها شىء فى أحاديثه قبل الرسالة و قد عاش بين قومه طويلا.

قال اللّه سبحانه فى معرض الردّ و الجواب على اقتراح المشركين على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بأن يأتى لهم بقرآن غير الذى جاء به: «قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ» «١».

فالآية تؤكد على أن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان لابثا فى قومه، و لم يكن تاليا لسورة من سور القرآن، أو آيا من آياته، فكل ما أخبر به هو ممّا أوحى به اللّه تعالى إليه بعد ان بعثه بالرسالة «٢».

---

(١) يونس: ١۶.

(٢) للتوسّع راجع مفاهيم القرآن: ج ٣ ص ٣٢١- ٣٢٣.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٢۴٣

(١)

٨ فترة الشباب فى حياة النبىّ الاكرم

اشارة

یجب ان یکون قادهٔ المجتمع أقویاء شجعان، لا یرهبون أحدا، و لا یخافون شیئا، یمتلکون قوهٔ روحیهٔ کبری، و یتمتّعون بصبر عظیم. و إرادهٔ قویهٔ، صلبهٔ.

فکیف یستطیع الضعفاء و الجبناء و المتردّدون، و ضعاف النفوس قیادهٔ المجتمع، و الخروج به من المازق و المشاکل، و کیف یستطیعون أن یقاوموا اعداءهم و یحافظوا کیانهم و شخصیّتهم من عدوان هذا او ذاک؟!

إن لعظمهٔ القائد الروحیهٔ، و لقواه البدنیهٔ و النفسیهٔ تأثیرا عظیما و عجیبا فی أتباعه و أنصاره، فعند ما اختار الإمام امیر المؤمنین علیه السّلام أحد اصحابه المخلصین لولایهٔ «مصر» کتب إلی أهل «مصر» المظلومین الذین ذاقوا الأمرین علی أیدی ولاتهم السابقین کتابا ذکر فیه شجاعهٔ هذا الوالی الجدید، الروحیهٔ و قدرته النفسیهٔ الفائقهٔ، و إلیک فیما یلی بعض الفقرات من ذلک الکتاب الذی یعکس الشروط و المواصفات الواقعیهٔ فی القائد:

«أما بعد فقد بعثت إلیکم عبدا من عباد اللّه لا ینام أیّام الخوف، و لا ینکل عن الأعداء (ساعات الروع، أشدّ علی الفجار من حریق النّار، و هو مالک بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له و أطیعوا أمره فیما طابق الحق، فإنه سیف من

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۴

سیوف اللّه، لا کلیل الظبّهٔ، و لا نابی الضریبهٔ» «۱».

(۱)

رسول اللّه و قدرته الروحیّهٔ:

لقد کانت آثار الشجاعهٔ، و القوّهٔ بادیهٔ فی جبین عزیز قریش منذ طفولته و صباه، ففی الخامسهٔ عشرهٔ من عمره الشریف شارک فی حرب هاجت بین قریش من جههٔ، و قبیلهٔ هوازن من جههٔ اخری، و تدعی «حرب الفجار»، و قد کان فی هذه الحرب یناول أعمامه النبل.

فها هو «ابن هشام» ینقل عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أنّه قال: «کنت انبّل علی أعمامی» «۲».

إن مشارکته صلّی اللّه علیه و آله فی العملیات الحربیهٔ فی مثل هذه السن تکشف عن شجاعته صلّی اللّه علیه و آله و قدرته الروحیهٔ الکبری، و تساعدنا علی أن ندرک مغزی ما قاله أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیه السّلام فی حق النبیّ الکریم صلّی اللّه علیه و آله: «کنّا اذا أحمر البأس اتّقینا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فلم یکن أحد منّا أقرب إلی العدوّ منه» «۳».

و سوف نشیر- و بعون اللّه عند ذکر جهاد المسلمین للکفار و المشرکین- إلی نظام العسکریهٔ الاسلامیهٔ، و کیفیهٔ جهاد المسلمین و قتالهم لأعدائهم التی تمّت بأجمعها بتوجیه من النبی صلّی اللّه علیه و آله، و هو فی نفسه من الابحاث الشّیقهٔ فی تاریخ الإسلام.

(۲)

حروب الفجار:

اشارة

إنّ الحدیث بتفصیل عن هذه الوقائع و عن تکتیکات هذه الحوادث التاریخیّهٔ

(۱) نهج البلاغة: قسم الرسائل، الرقم ۳۸.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۸۶، و قد قال ابن الأثیر فی النهایة بعد نقل هذا الحدیث و ضبط الکلمة «انبل» مشدّدة «انبّل»: «إذا ناولته النبل یرمی» راجع مادّة نبل.

(۳) نهج البلاغة: فصل فی غریب کلامه الرقم ۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۵

خارج عن إطار هذه الدراسة، بید أننا- مع ذلک- نعمد إلی بیان أسباب هذه الحروب التی شارک فی إحداها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بناء علی روایة بعض المؤرخین و حوادثها علی نحو الاجمال بغیة اطلاع القارئ الکریم.

کانت العرب تقضی عامها کله بالقتال و الاغارة، و قد تسبب هذا الوضع فی اختلال حیاتهم، و اضطراب امورهم، و لأجل هذا کانوا یحرّمون القتال و یتوقفون عنه فی أربعة أشهر من کل عام (هی شهر رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، محرم) لیتسنی لهم- فی هذه المدة- أن یقیموا أسواقهم، و یستغلّوها بالکسب و التجارة و البیع و الشراء «۱».

(۱) و لهذا کانت أسواق «عکاظ» و «مجنّة» و «ذو المجاز» تشهد طوال هذه الاشهر الحرام اجتماعات کبری و تجمعات حافلة و حاشدة، کان یلتقی فیها العدوّ و الصدیق جنبا الی جنب، یتبایعون، و یتفاخرون.

فقد کان شعراء العرب المشهورون یلقون قصائدهم فی هذه الاجتماعات الکبری، کما یلقی کبار خطباء العرب و فصحاؤهم خطبا قویة، و أحادیث فی غایة الفصاحة و البلاغة، و کان الیهود و النصاری و الوثنیون یعرضون معتقداتهم فی هذه المناسبات من دون خوف او وجل.

و لکن هذه الحرمة قد هتکت أربع مرات فی تاریخ العرب، و تقاتلت القبائل العربیة فیما بینها فی هذه الأشهر الحرم، و لهذا سمّیت تلک الحروب بحروب «الفجار»، و فی ما یلی نشیر إلیها علی نحو الاجمال:

(۲)

الفجار الأوّل:

و وقعت الحرب فیها بین قبیلتی «کنانة» و «هوازن» و جاء فی سبب نشوب

(۱) یستفاد من قوله تعالی فی الآیة ۳۶ من سورة التوبة: «إنّ عدّة الشّهور عند اللّه اثنا عشر شهرا فی کتاب اللّه یوم خلق السّماوات و الأرض منها أربعة حرم» أن تحریم القتال فی هذه الأشهر الأربعة کان ذا جذور دینیة، و کانت العرب الجاهلیة تحترم هذه الأشهر اتباعا لسنّة «إبراهیم الخلیل» علیه السّلام.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۶

هذه الحرب أن رجلا یدعی «بدر بن معشر» کان قد أعدّ لنفسه مکانا فی سوق «عکاظ» یحضر فیه، و یذکر للناس مفاخره فوقف ذات مرة شاهرا سیفه یقول:

أنا و اللّه أعزّ العرب فمن زعم أنه أعزّ منّی فلیضربها بالسیف.

فقام رجل من قبیلة اخری فضرب بالسیف ساقه فقطعها، فاختصم الناس و تنازعت القبیلتان، و لکنهما اصطلحتا من دون أن یقتل أحد «۱».

(۱)

الفجار الثّانى:

و كـان سـببه أن فتيـة من قريش قعـدوا إلى امرأة من «بنى عـامر» و هى جميلـة، عليهـا برقع، فقالوا لها: اسـفرى لننظر إلى وجهك، فلم تفعل، فقام غلام منهم، فجمع ذيل ثوبها إلى ما فوقه بشوكة فلما قامت انكشف جسمها، فضحكوا، فصاحت المرأة قومها، فأتاها الناس، و اشتجروا حتى كاد أن يكون قتال، ثم اصطلحوا، و انفضّوا بسلام.

(۲)

الفجار الثالث:

و سـببه أن رجلا من «كنانة» كان عليه دين لرجل من «بنى عامر»، و كان الكنانى يماطل، فوقع شـجار بين الرجل، و استعدى كل واحد منهما قبيلته، فاجتمع الناس، و تحاوروا حتى كاد يكون بينهم القتال، ثم اصطلحوا.

(۳)

الفجار الرابع:

و هى الحرب التى- قيل أنه- شارك فيها النبىّ الكريم صلّى اللّه عليه و آله.

و لقد ادّعى البعض أنه صلّى اللّه عليه و آله كان يومذاك فى الخامسة عشرة، او الرابعة عشرة من عمره.

---

(۱) و لقد كان ممّا أزاله الإسلام و محاه هذا التفاخر الجاهلى المقيت، و ستعرف هذا فى الابحاث القادمة.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۲۴۷

و قال بعض: انه كان فى العشـرين من عمره و حيث أن هذه الحرب قد استمرت أربع سنوات. لهذا يمكن أن تكون جميع هذه الاقوال صحيحة «۱».

(۱) و قيل فى سـببه: أن «النعمان بن المنـذر» ملك الحيرة كان يبعث الى سوق «عكاظ» فى كل عام بضاعة فى جوار رجل شـريف من أشـراف العرب، يجيرهـا له حتى تباع هناك، و يشترى بثمنها من أقمشـة «الطائف» الجميلـة المزركشـة ممّا يحتاج إليه، فأجارها «عروة الرجال الهوازنى» فى تلك السـنة، و لكن «البراض بن قيس الكنانى» انزعج لمبادرة «عروة» الى ذلك، فشـكاه عند «النعمان بن المنذر» و لم يجـد اعتراضه و شـكواه، فحسـد على «عروة» حسـدا شديـدا، فتربّص به حتى غـدر به فى أثنـاء الطريق، و بـذلك لطّخ يـده بـدم هوازنى.

(۲) و كانت قريش يومـذاك حليف كنانه، و قـد اتفق وقوع هـذا الأمر يوم كانت العرب مشـغولة بالكسب و التجارة فى سوق عكاظ، فأخبر رجل قريشا بمقتل الهوازنىّ على يـد الكنانىّ، و لهـذا عرفت قريش و حليفتها بنو كنانة بالأمر قبل هوازن، و أسـرعوا فى الخروج من «عكاظ» و توجهوا نحو الحرم (و الحرم هو اربعـة فراسـخ من كل جانب من مكـة، و كانت العرب تحرّم القتال فى هذه المنطقة) و لكن هوازن علمت بذلك فلاحقت قريشا و حليفتها فورا، و ادركتهم قبل الدخول فى الحرم فوقع بينهم قتال، و لما جنّ الليل كفّوا عن

الحرب فاغتنمت «قريش» و حليفتها فرصة الليل، و واصلت حركتها باتجاه الحرم المكى و بذلك نجت من خطر العدو.

و منذ ذلك اليوم كانت تخرج قريش و حليفتها من الحرم بين الفينة و الاخرى و تقاتل هوازن، و قد شارك النبى- صلّى اللّه عليه و آله فى بعض تلك الأيام مع أعمامه على النحو الذى مرّ بيانه.

و قد استمر الأمر على هذه الحال مدة أربع سنوات، حتى ان وضعت نهاية

(۱) التاريخ الكامل: ج ۱ ص ۳۵۸ و ۳۵۹، السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۸۴ الهامش، تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۲۵۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۴۸

لهذه الحرب الطويلة بدفع قريش لهوازن دية القتلى الذين كانوا يزيدون على قتلى قريش على يد هوازن «۱».

و قد أسلفنا أن تحريم القتال فى الأشهر الحرم كانت له جذور دينية، و حيث أن حرب «الفجار» استمرت أربع سنوات فيمكن أن يكون لمشاركة النبى صلّى اللّه عليه و آله فيها وجها وجيها و هو الدفاع، خاصة انه لما سئل صلّى اللّه عليه و آله عن مشهده يومئذ فقال: «ما سرّنى أنّى أشهده، إنّهم تعدّوا على قومى عرضوا (اى قريش) عليهم (اى على هوازن) أن يدفعوا إليهم البرّاض صاحبهم (اى الذى قتل عروة) فأبوا» «۲».

و يحتمل أن تكون مشاركته صلّى اللّه عليه و آله فى غير الأشهر الحرم بناء على استمرار هذه الحروب مدة أربعة اعوام، و إنما سميت مع ذلك بالفجار لأن بدايتها وافقت الأشهر الحرم لا أنّها وقعت بتمامها فى الأشهر الحرم.

و بذلك لا يبقى مجال لأن تستبعد مشاركة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فى بعض أيام تلك الحرب.

(۱)

حلف الفضول:

لقد كان فى ما مضى ميثاق و حلف بين الجرهميين يدعى بحلف «الفضول»، و كان هذا الحلف يهدف الى الدفاع عن حقوق المظلومين، و كان المؤسسون لهذا الحلف هم جماعة كانت اسماؤهم برمتها مشتقة من لفظة الفضل، و اسماؤهم- كما نقلها المؤرخ المعروف «عماد الدين ابن كثير»- هى عبارة عن:

«فضل بن فضالة»، و «فضل بن الحارث»، و «فضل بن وداعة» «۳»، و حيث أن الحلف الذى عقدته جماعة من قريش فيما بينها كان متحدا فى الهدف (و هو الدفاع عن حقوق المظلومين) مع حلف «الفضول» لذلك سمّى هذا الاتفاق

(۱) سيره ابن هشام: ج ۱ ص ۱۸۴- ۱۸۷، الأغانى: ج ۲۲ ص ۵۶- ۷۵.

(۲) الأغانى: ج ۲۲ ص ۷۳.

(۳) البداية و النهاية: ج ۱ ص ۲۹۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۴۹

و هذا الحلف بحلف «الفضول» أيضا.

(۱) فقبل البعثة النبوية الشريفة بعشرين عاما دخل رجل من «زبيد» فى مكة فى شهر ذى القعدة، و عرض بضاعة له للبيع فاشتراها منه «العاص بن وائل»، و حبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيديّ قريشا، و طلب منهم أن ينصروه على العاص، و قريش آنذاك فى انديتهم حول الكعبة، فنادى بأعلى صوته:

یا آل فهر لمظلوم بضاعتهببطن مکهٔ نائی الدار و النفر

و محرم أشعث لم یقض عمرتهیا للرّجال و بین الحجر و الحجر

إن الحرام لمن تمّت کرامتهو لا حرام لثوب الفاجر القـذر فأثارت هذه الأبیات العاطفیهٔ مشاعر رجال من قریش، و هیّجت غیرتهم، (۲) فقام «الزبیر بن عبد المطّلب» و عزم علی نصـرته، و أیّده فی ذلک آخرون، فاجتمعوا فی دار «عبد اللّه بن جدعان» و تحالفوا و تعاهدوا باللّه لیکوننّ یدا واحدهٔ مع المظلوم علی الظالم حتی یؤدّی إلیه حقه ما أمکنهم ذلک ثم مشوا إلی «العاص بن وائل» فانتزعوا منه سلعهٔ الزبیدی فدفعوها إلیه.

و قد أنشد الزبیر بن عبد المطلب فی ذلک شعرا فقال:

إن الفضول تعاقدوا و تحالفواألّا یقیم ببطن مکّهٔ ظالم

أمر علیه تعاقدوا و تواثقوافالجار و المعترّ فیهم سالم و قال أیضا:

حلفت لنعقدن حلفا علیهمو إن کنّا جمیعا أهل دار

نسمّیه «الفضول» إذا عقدنایعزّبه الغریب لذی الجوار

و یعلم من حوالی البیت أنّاباهٔ الضـیم نمنع کلّ عار «۱» (۳) و قد شارک رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله، فی هذا الحلف الذی ضمن حقوق المظلومین و حیاتهم، و قد نقلت عنه صلّی اللّه علیه و آله عبارات کثیرهٔ یشید فیها بذلک الحلف و یعتزّ فیها بمشارکته فیه و ها نحن ننقل حدیثین منها فی

---

(۱) البدایهٔ و النهایهٔ: ج ۱ ص ۲۹۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۰

هذا المقام.

قال صلّی اللّه علیه و آله:

«لقد شهدت فی دار عبد اللّه بن جدعان حلفا لو دعیت به فی الإسلام لأجبت».

(۱) کمـا أن ابن هشام نقل فی سـیرته أن النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم کان یقول فی ما بعـد عن هـذا الحلف: «ما احبّ أنّ لی به حمر النعم».

و لقـد بقی هـذا الحلف یحظی بمکانهٔ و احترام قویّین فی المجتمع العربی و الإسـلامی حتی أن الأجیال القادمهٔ کانت تری من واجبها الحفاظ علیه و العمل بموجبه، و یدل علی هذا قضیهٔ وقعت فی عهد إمارهٔ «الولید بن عتبهٔ» الأموی «۱» علی المدینهٔ.

فقـد وقعت بین الإمـام الحسـین بن علی علیه السّـلام و بین أمیر المدینـهٔ هـذا منازعـهٔ فی مال متعلّق بالحسـین علیه السّـلام، و یبـدو أن «الولید» تحامل علی الحسین فی حقه لسلطانه، فقال له الإمام السبط الذی لم یرضخ لحیف قط، و لم یسکت علی ظلم أبدا:

«أحلف باللّه لتنصـفنّی من حقّی، أو لآخـذنّ سـیفی ثمّ لأقومنّ فی مسـجد رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله ثمّ لأدعونّ بحلف الفضول» «۲».

(۲) فاستجاب للحسین فریق من الناس منهم «عبد اللّه بن الزبیر»، و کرّر هذه العبارهٔ و أضاف قائلا: و أنا أحلف باللّه لئن دعا به لآخذنّ سیفی ثمّ لأقومنّ معه حتی ینصف من حقّه أو نموت جمیعا.

و بلغت کلمـهٔ الحسـین السـبط علیه السّـلام هـذه إلی رجال آخرین کالمسورهٔ بن مخرمهٔ بن نوفل الزهری» و «عبد الرحمن بن عثمان» فقالا مثل ما قال «ابن الزبیر»، فلما بلغ ذلک «الولید بن عتبهٔ» أنصف الحسین علیه السّلام من حقه حتی رضی «۳».

---

(۱) من قبل عمّه معاویة.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۳۲.

(۳) البدایة و النهایة: ج ۲ ص ۲۹۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۱

(۱)

۹ من فترة الشباب الی مزاولة التجارة

اشارة

یحمـل القـادة الالـهیون العظمـاء و أصـحاب الرسالات السـماویة علی کواهلهم مسئولیات کبری، و مهام عظمی تلازم- فی الأغلب- التعرض للمتـاعب و المصـاعب، و العـذاب، و تحمـل الأـذی، بـل و ربمـا التعرض للقتـل و الاغتیال، و کلما کبرت الاهـداف، عظمت المشاکل، و المتاعب.

و علی هـذا الاسـاس، فـان نجاح القادة الرسالیّین یتوقف علی مـدی صبرهم و اسـتقامتهم فی وجه الاتهامات و المضایقات، و فی وجه الأـذی و العـذاب، لأـن الصبر و التحمـل فی جمیع مراحـل الجهـاد و العمل هو الشـرط الاساسـیّ للوصول الی المقصود، و الی تحقیق الهدف المنشود و الغایة المطلوبة.

(۲) من هنا لیس لقائـد حقیقی أن یخشـی کثرة العدو، و لیس له ان ینسـحب، أو یضـعف لقلّة الاتباع و المؤیدین و بالتالی لیس له أن یقلق للنوائب فیخور عزیمته، او ترخو إرادته، مهما عظمت حلق البلاء و اشتدت، و مهما تزایدت، أو تواترت.

إنّنا نقرأ فی تاریخ الأنبیاء و قصصهم امورا یعسر علی الانسان العادیّ هضمها، و یصعب تصوّرها.

فعن نوح النبیّ علیه السّـلام نقرأ أنه دعا قومه تسـعمائة و خمسین عاما، و لـم تنتج هذه الدعوة الطویلة المضنیة سوی قلة من المؤمنین و المؤیدین الذین لم

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۲

یتجاوز عددهم الواحد و الثمانین، و هذا یعنی أنه لم یوفق فی کل اثنی عشر عاما إلا لهدایة شخص واحد.

إنّ إرادة الصبر، و قوّة التحمّل، و التصبر تظهر لدی الإنسان شـیئا فشـیئا، فلا بدّ أن تتلاحق حوادث صـعبة، و لا بد أن یمرّ المرء بنوائب مزعجة حتی تأنس روحه بالامور الثقیلة، و القضایا الصعبة.

(۱) لقد قضـی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم شـطرا من حیاته قبل البعثة فی رعی الغنم فی الصحاری و القفار، لیکون بذلک صبورا فی تربیة الناس الذین سیکلّف بقیادتهم و هدایتهم، و لیستسهل کل صعب فی هذا المجال.

إن ادارة المجتمع البشـریّ من أصعب الامور التی تواجه القادة، و رجال الاصلاح. و المقدرة علی الإدارة هذه لا تسنح و لا تتهیّأ لأحد إلّا بعد مزاولة الامور الصـعبة، و ممارسة الأعمال الشاقة، و ربما یکون قیام النبیّ صلّی اللّه علیه و آله برعی الغنم من هذا الباب، و لهذا جاء فی الحدیث.

«ما بعث اللّه نبیّا قطّ حتّی یسترعیه الغنم لیعلّمه بذلک رعیة النّاس» «۱».

لقد قضـی النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله شـطرا من عمره الشـریف فی هذا المجال، و ینقل کثیر من أرباب السـیر و المؤرخین هذه العبارة عنه صلّی اللّه علیه و آله:

«ما من نبیّ إلّا و قد رعی الغنم» قیل: و أنت یا رسول اللّه؟

فقال: «أنا رعيتها لأهل مكّة بالقراريط» «۲».

(۲) إن شخصية عظيمة يفترض فيها أن تواجه- في المستقبل- أشخاصا عنودين كأبى جهل و أبى لهب، و أن تصنع ممن انحطت أفكارهم حتى أنهم سجدوا لكل حجر و مدر، أفرادا لا يخضعون لأى شيء سوى ارادة الحق و مشيئته، لا بدّ أن تتسلح قبل ذلك بسلاح الصبر، و تتجهز بأداة التحمل، و تتزود مسبقا بقدرة الاستقامة على طريق الهدف، و هذا لا يكون إلّا بتعويد النفس على هذه

---

(۱) سفينة البحار: مادّة نبأ.

(۲) السيرة النبوية لابن هشام: ج ۱ ص ۱۶۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۵۳

الصفات، و حملها على مشاق الاعمال:

(۱)

سبب آخر لرعى الغنم:

و يمكن أن نذكر هنا سببا آخر أيضا و هو ان رجلا حرّ النفس و العقل كرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تجرى فى شرايينه و عروقه دماء الغيرة و الشجاعة كان يشق عليه ان يشاهد كل ذلك الظلم و الحيف الذى كان يمارسه طغاة مكة، و عتاة قريش و زعماؤها الظالمون القساة بحق الضعفاء، و المحرومين، و كذا كان يشق عليه ان يرى تظاهرهم بالعصيان و الفسوق فى حرم اللّه، و عند بيته المعظم.

إن اعراض سكّان مكة عن عبادة اللّه الواحد الحق، و طوافهم حول تلك الأصنام الخاوية هى- بلا ريب- أسوأ و اقبح ما يكون فى نظر الرجل الفاهم، و العاقل العالم، و اثقل ما يكون عليه.

من هنا رأى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أن يقضى ردحا من الزمن فى الصحارى و القفار و عند سفوح الجبال التى كانت يومئذ بعيدة بطبيعة الحال عن تلك المجتمعات الفاسدة و أحوالها و أوضاعها، ليستريح (أو يتخلص) بعض الشيء من آلامه الروحية الناشئة من رؤية تلك الأوضاع المزرية، و الأحوال المشينة.

(۲) على أنّ هذا الأمر لا يعنى أن للرجل المتقى أن يسكت على الفساد و الظلم، و يقرّ عليهما.

و يفرّق بين حياته و حياة الآخرين و يعتزل عنهم و يتخذ موقف اللامبالاة تجاه الأوضاع المنحرفة، و الاحوال الشاذة، بل ان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لما كان مأمورا من جانب اللّه سبحانه بالسكوت و الانتظار، لانه لم تكن ظروف «البعثة» و الهداية قد توفرت و تهيأت بعد لذلك اتخذ صلّى اللّه عليه و آله مثل هذا الموقف.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۵۴

(۱)

سبب ثالث:

و لقد كان هذا العمل (أى الاشتغال برعى الاغنام فى البرارى و القفار و عند السهول و سفوح الجبال) فرصة جيدة لأن يتمكن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله من النظر فى خلق السماوات و التطلع فى النجوم و الكواكب و أحوالها و أوضاعها، و بالتالى الامعان فى الآيات الأنفسية و الآفاقية التى هى جميعا من آيات وجود اللّه تعالى، و من مظاهر قدرته و حكمته و علمه و إرادته.

ان قلوب الأنبياء و المرسلين مع أنها منوّرة بمصابيح المعرفة المشرقة و مضاءة بأنوار الايمان و التوحيد منذ بدء فطرتها، و خلقتها، و لكنهم مع ذلك لا يرون أنفسهم فى غنى عن النظر فى عالم الخلق، و التفكر فى الآيات الالهية، اذ من خلال هذا الطريق يصلون إلى أعلى مراتب الايمان، و يبلغون اسمى درجات اليقين، و بالتالى يتمكنون من الوقوف على ملكوت السماوات و الأرضين.
(۲)

اقتراح أبى طالب:

لقد دفع وضع (محمّد) المعيشى الصعب «أبا طالب» سيد قريش و زعيمها الذى كان معروفا بالسخاء و موصوفا بالشهامة، و علو الطبع، و إباء النفس إلى ان يفكر فى عمل لابن أخيه، كيما يخفف عنه وطأة ذلك الوضع.
و من هنا اقترح على ابن أخيه «محمّد» العمل و التجارة بأموال «خديجة بنت خويلد» التى كانت امرأة تاجرة، ذات شرف عظيم، و مال كثير، تستأجر الرجال فى مالها أو تضاربهم اياه بشىء تجعله لهم منه.
فقد قال أبو طالب للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله: يا ابن أخى هذه خديجة بنت خويلد قد انتفع بما لها اكثر الناس و هى تبحث عن رجل أمين، فلو جئتها فوضعت نفسك عليها لأسرعت إليك، و فضّلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك.
(۳) و لكن إباء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و علوّ طبعه، منعاه من الإقدام
سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۵۵
بنفسه على هذا الأمر من دون سابق عهد، و لهذا قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعمّه: فلعلّها أن ترسل إلىّ فى ذلك، لأنّها تعرف بأنه المعروف بالأمين بين الناس.
فبلغ «خديجة» بنت خويلد، ما دار بين النبىّ و عمه «أبى طالب»، فبعثت إليه فورا تقول له: إنّى دعانى الى البعثة إليك ما بلغنى من صدق حديثك و عظم أمانتك، و كرم أخلاقك، و أنا اعطيك ضعف ما اعطى رجلا من قومك و ابعث معك غلامين يأتمران بأمرك فى السفر.
فاخبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عمّه بذلك فقال له ابو طالب: «إنّ هذا رزق ساقه اللّه إليك» «۱».

هل عمل النبى أجيرا لخديجة؟

(۱) و هنا لا بدّ من التذكير بنقطة فى هذا المجال و هى:
هل عمل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أجيرا فى أموال خديجة، أم أنه قد عمل فى تجارتها بصورة اخرى كالمضاربة، و ذلك بأن تعاقد النبى مع خديجة على أن يتاجر بأموالها على أن يشاركها فى ارباح تلك التجارة؟
انّ مكانة البيت الهاشمىّ، و إباء النبىّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله، و مناعة طبعه، كل تلك الامور و الخصال توجب أن يكون عمل النبى فى أموال خديجة قد تمّ بالصورة الثانية (أى العمل فى تجارتها على نحو المضاربة لا الإجارة)، و تؤيّد هذا المطلب أمور هى:
(۲) أولا- انه لا يوجد فى اقتراح أبى طالب أيّة اشارة و لا أى كلام عن الإجارة، بل قد تحاور أبو طالب مع إخوته (أعمام النبىّ) فى هذه المسألة من قبل و قال:
«امضوا بنا إلى دار خديجة بنت خويلد حتى نسألها ان تعطى محمّدا مالا يتّجر به «۲».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲۲، السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۲ و ۱۳۳، الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۲۴.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۶

(۱) ثانیا: ان المؤرخ الأقدم المعروف بالیعقوبی کتب تاریخه: ان النبی ما کان أجیرا لأحد قط «۱».

ثالثا: ان الجنابذی صرّح فی کتابه «معالم العترة» بأن «خدیجة» کانت تضارب الرجال فی مالها، بشیء تجعله لهم منه (ای من ذلک المال او من ربحه) «۲».

(۲) تهیّأت قافلة قریش التجاریة للسفر الی الشام، و فیها أموال «خدیجة» أیضا، فی هذا الاثناء جعلت «خدیجة» بعیرا قویا و شیئا من البضاعة الثمینة تحت تصرّف وکیلها (أی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله) و امرت غلامیها (میسرة و ناصح) اللذین قررت ان یرافقاه صلّی اللّه علیه و آله، بان یمتثلا أوامره، و یطیعاه، و یتعاملا معه بأدب طوال تلک الرحلة، و لا یخالفاه فی شیء «۳».

و أخیرا وصلت القافلة إلی مقصدها و استفاد الجمیع فی هذه الرحلة التجاریة أرباحا، إلا أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ربح اکثر من الجمیع، کما أنه ابتاع أشیاء من الشام لیبیعها فی سوق «تهامة».

ثم عادت تلک القافلة التجاریة إلی «مکة» بعد ذلک المکسب الکبیر، و الحصول علی الربح الوفیر.

و لقد تسنی لفتی قریش «محمّد» أن یمرّ- للمرة الثانیة فی هذه السفرة- علی دیار عاد و ثمود.

(۳) و قد حمله الصمت الکبیر الذی کان یخیّم علی دیار و اطلال تلک الجماعة العاصیة المتمردة فی نقلة روحانیة الی العوالم الاخری اکثر فاکثر، هذا مضافا إلی أن هذه الرحلة جدّدت خواطره و ذکریاته فی السفرة الاولی، فقد تذکّر یوم طوی مع عمه «ابی طالب» هذه الصحاری نفسها و هذه القفار ذاتها، و ما کان یحظی

---

(۱) تاریخ الیعقوبی: ج ۲ ص ۲۱.

(۲) بحار الأنوار ج ۱۶ ص ۹ نقلا عن معالم العترة.

(۳) قالت خدیجة لهما: اعلما أننی قد أرسلت إلیکما أمینا علی أموالی و أنّه أمیر قریش و سیّدها، فلا ید علی یده، فإن باع لا یمنع و إن ترک لا یؤمر و لیکن کلامکما له بلطف و أدب و لا یعلو کلامکما علی کلامه بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۷

فیها من عمه من الحدب و العنایة.

(۱) و عند ما اقتربت قافلة قریش إلی «مکة»، و صارت عند مشارفها، التفت «میسرة» غلام خدیجة، الی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و قال: «یا محمّد لقد ربحنا فی هذه السفرة ببرکتک ما لم نربح فی اربعین سنة، فاستقبل بخدیجة و أبشرها بربحنا» فأخذ النبی باقتراح میسرة، و سبق القافلة العائدة فی الدخول الی مکة، و توجه نحو بیت «خدیجة» بینما کانت خدیجة جالسة فی غرفتها، فلما رأت النبی مقبلا علیها، نزلت من منظرتها و رکضت نحوه و استقبلته، و أدخلته فی غرفتها، فخبّرها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بما ربحوا، ببیان جمیل، و کلام بلیغ، فسرت «خدیجة» بذلک سرورا عظیما، ثم قدم «میسرة» فی الأثر، و دخل علیها، و أخبرها بکل ما رآه و شاهده من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی تلک السفرة من الکرامة و الخیر، و الخلق العظیم، و الخصال الکریمة، و من الامور التی کانت برمتها تدل علی عظمة شخصیته صلّی اللّه علیه و آله، و سمو خصاله «۱»، و من جملة ما حدثها به میسرة هو أنه لما وقع بین النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و بین رجل تلاح و جدال فی بیع قال له ذلک الرجل: احلف باللات و العزی، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ما حلفت بهما قط، و إنی لأمرّ فاعرض عنهما «۲».

(۲) و حدثها أیضا بأنه لما مرّ ببصری نزلا فی ظل شجرة لیستریحا فقال راهب کان یعیش هناک لما رأی النبیّ یستریح فی ظل تلک الشجرة-: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبیّ» سأل عن اسمه، فأخبره میسرة باسمه فقال: «هو نبیّ و هو آخر الأنبیاء، إنه هو هو و

منزّل الانجیل، و قد قرأت عنه بشائر کثیرة» «۳».

---

(۱) الخرائج: ص ۱۸۶، بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۵.

(۲) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۱۳۰ و فی بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۸: انه صلّی اللّه علیه و آله قال: إلیک عنی ثکلتک امّک فما تکلّمت العرب بکلمة اثقل علیّ من هذه الکلمة.

(۳) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۸، الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۱۳۰، الکامل لابن الأثیر: ج ۲ ص ۲۴ و ۲۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۸

(۱)

خدیجة زوجة الرّسول الاولی:

اشارة

حتی قبل ذلک الیوم لم تکن حالة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله الاقتصادیة و وضعه المالی یحسد علیه، فقد کان بحاجة إلی مساعدة عمّه «أبی طالب» المالیة، و لم یکن شغله علی النحو الذی یکفی لضمان نفقاته، من جانب، و تمکینه من اختیار زوجة و شریکة حیاة و تکوین عائلة، من جانب آخر.

و لکن هذه السفرة إلی الشام و بخاصة علی نحو الوکالة و المضاربة فی أموال امرأة جلیلة، معروفة فی قریش (أعنی خدیجة) ساعدت و الی حدّ کبیر علی تثبیت وضعه الاقتصادی و تقویة بنیته المالیة.

و لقد اعجبت «خدیجة» بعظمة فتی قریش و سموّ أخلاقه، و مقدرته التجاریة حتی أنها أرادت أن تعطیه زیادة علی ما تعاقدا علیه، تقدیرا له، و اعجابا به، و لکنه اکتفی بأخذ ما تقرر فی البدایة ثم توجه إلی بیت عمه «أبی طالب» و قدّم کل ما أخذه من «خدیجة» الی عمه «أبی طالب» لیوسّع به علی أهله.

(۲) ففرح «أبو طالب» بما عاین من ابن اخیه، و بقیة أبیه «عبد المطلب»، و أخیه «عبد اللّه» و اغرورقت عیناه بالدموع، و سرّ بما حقق من نجاح و ما حصل علیه من ربح من تلک التجارة سرورا کبیرا، و استعدّ أن یعطیه بعیرین یسافر علیهما و یتاجر، و راحلتین یصلح بهما شأنه، لیتسنی له بأن یحصل علی ثروة و مال یعطیه لعمه لیختار له زوجة.

فی مثل هذه الظروف بالذات عزم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عزما قاطعا علی أن یتخذ لنفسه شریکة حیاة و یکوّن اسرة، و لکن کیف وقع الاختیار علی «خدیجة» التی سبق لها أن رفضت کل طلبات الزواج التی تقدم بها کبار الاثریاء و الشخصیات القرشیة مثل «عاقبة بن أبی معیط»، و «أبو جهل» و «أبو سفیان» للزواج بها؟؟!، و ما ذا کانت العلل التی جمعت هذین الشخصین غیر المشابهین، من حیث مستوی الحیاة، و الثراء؟ و کیف ظهرت تلک الرابطة القویة، و تلک العلاقة المعنویّة العمیقة، و الالفة و المحبة بینهما إلی درجة أنّ

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۹

«خدیجة» سلام اللّه علیها وهبت کل ثروتها للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله لینفقها فی نشر الإسلام، و إعلاء کلمة الحق، و إرساء قواعد التوحید، و بث الدین الجدید، و أصبحت تلک الدار المفخمة التی کانت تزینها الکراسی المرصّعة، و الستر المطرّزة، المصنوعة من أغلی الأقمشة الهندیة، و الإیرانیة، ملجأ للمسلمین، و ملتقی لانصار الرسالة؟!!

(۱) لا بـدّ من البحث عن جـذور هذه الحوادث فى تاريخ حياة «خديجة» نفسـها، فان من المسـلّم و البديهىّ أن هذا النوع من الفداء، و التفانى و الإيثار لم يكن ثابتا ليتحقق ما لم يكن لها جذور معنوية و طاهرة.

إن صـفحات التاريـخ لتشهد بأنّ هذا الزواج كان ناشـئا من إيمان «خديجة» بتقوى عزيز قريش و فتاها الامين «محمّد» و طهره، و حبها الشديد لعفته و كرم أخلاقه، و لهذا قال النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله فى حقها:

«أفضل نساء الجنة أربع: خديجة ...» «۱».

إنها أول امرأة آمنت برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فقد قال على أمير المؤمنين عليه السّلام: فى خطبته التى يشير فيها إلى غربة الإسلام فى مبدأ البعثة النبوية الشريفة:

«لم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول اللّه و خديجة و أنا ثالثهما» «۲».

(۲) و يكتب «ابن الأثير» قائلا: إنّ عفيف الكنـدى كان امرأ تاجرا قـدم مكـة أيام الحـج فرأى رجلا قام تجاه الكعبة يصـلّى ثم خرجت امراة تصلّى معه، ثم خرج غلام فقام يصلى معه، فمضى يسأل العباس عمّ النبىّ عن هؤلاء، و عن هذا الدين، فقال العباس:

---

(۱) خصال الصدوق: ج ۱ ص ۹۶ و غيره.

(۲) الكامل: ج ۲ ص ۳۷، شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد المعتزلى الشافعى: ج ۱۳ ص ۱۹۷- ۲۰۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۰

هذا محمّد بن عبد اللّه ابن أخى زعم أن اللّه ارسله، و هذه امرأته خديجة آمنت به، و هذا الغلام على بن أبى طالب آمن به، و أيم اللّه ما أعلم على ظهر الأرض أحدا على هذا الدين إلّا هؤلاء الثلاثة «۱».

و ينبغى هنا أن نعطى لمحة عن مكانة خديجة فى الإسلام تكميلا لهذه الدراسة.

خديجة فى أحاديث الرسول صلّى اللّه عليه و آله:

لقـد اكتسبت «خديجـة» بفضـل إيمانهـا العميق بالرسالـة المحمديـة، و تفانيها فى سبيل الاسـلام، و بسـبب حرصـها العجيب على حياة صاحب الرسالة و سلامته، و عملها المخلص على انجاح مهمته، و مشاركتها الفعّالة، فى دفع عجلة الدعوة الى الإمام، و مشاطرتها للنبى فى اكثر ما تحمله من محن و أذى بصبر و استقامة وحب و رغبة.

لقـد اكتسبت خديجـة بفضـل كل هـذا و غيره مكانـة ساميـة فى الإسـلام، حتى ان النبىّ ذكرها فى أحاديث كثيرة و أشاد بفضـلها، و مكانتها و شرفها على غيرها من النساء المسلمات المؤمنات، و ذلك و لا شك ينطوى على اكثر من هدف.

فمن جملـة الأهـداف التى ربما توخاها النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله من الاشادة بخديجـة سـلام اللّه عليها الفات نظر المرأة المسـلمة الى القدوة التى ينبغى أن تقتدى بها فى حياتها و سلوكها فى جميع المجالات و الأبعاد، و الظروف، و الحالات.

هذا مضافا إلى ما يمكن أن تقدمه المرأة و هى نصف المجتمع (إن لم تكن اكثره أحيانا) من دعم جدّى للرسالة، ماديا كان أو معنويا.

و فيما يلى نأتى ببعض الأحاديث الشـريفة التى تعكس مكانـة خديجة، و مقامها، و مدى إسـهامها فى نصـرة الإسـلام و دعم دعوته، و إرساء قواعده. سيد المرسلين ج۱ ۲۶۰ خديجة فى أحاديث الرسول صلى الله عليه و آله: ..... ص : ۲۶۰

عن أبى زرعة عن ابى هريرة يقول قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله]:

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۱۳ ص ۲۲۵ و ۲۲۶.

سيد المرسلين ،ج١،ص:٢٦١

أتانى جبرئيل عليه السّلام فقال يا رسول اللّه هذه خديجة قد أتتك و معها آنية فيها ادام أو طعام أو شراب، فاذا هى أتتك فاقرأ عليها السّلام من ربّها و منّى، و بشّرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب» «١».

٢- عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، و لقد هلكت قبل أن يتزوجنى بثلاث سنين، لما كنت اسمعه يذكرها، و لقد أمره ربه عزّ و جلّ ان يبشرها ببيت من قصب فى الجنة، و إن كان ليذبح الشاة ثم يهديها الى خلائلها (اى خليلاتها و صديقاتها) «٢».

٣- و عن عائشة أيضا قالت ما غرت على نساء النبىّ صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم إلا على خديجة، و انى لم أدركها، (قالت): و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها الى اصدقاء خديجة قالت: «أى عائشة» فاغضبته يوما فقلت: خديجة!! فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«انى قد رزقت حبّها» «٣».

٤- و من هذا القبيل ما كان يقوم به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع صاحبات خديجة من الاحترام لهن و الاحتفال بهنّ:

فقد وقف صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على عجوز فجعل يسألها، و يتحفاها، و قال:

«ان حسن العهد من الايمان، انها كانت تأتينا أيام خديجة» «۴»

۵- و روى عن انس قال كان النبىّ صلّى اللّه عليه [و آله] إذا اتى بهدية قال: «اذهبوا بها إلى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة» «۵»

---

(١) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٣٣، مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٨۴ و ١٨۵ بطرق متعددة صحيحة على شرط الشيخين.

(٢) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٣۴، و مثلها فى صحيح البخارى: ج ۵ ص ٣٨ و ٣٩.

(٣) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٣۴، و مثلها فى صحيح البخارى: ج ۵ ص ٣٨ و ٣٩.

(۴) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ج ١٨، ص ١٠٨.

(۵) سفينة البحار: ج ١ ص ٣٨٠ (خدج).

سيد المرسلين ،ج١،ص:٢٦٢

۶- روى مجاهد عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوما من الايام فادركتنى الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزا فقد أبدلك اللّه خيرا منها، فغضب حتى أهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: «لا و اللّه ما أبدلنى اللّه خيرا منها، آمنت بى إذ كفر الناس، و صدّقتنى و كذّبنى الناس و واستنى فى ما لها اذ حرمنى الناس و رزقنى اللّه منها أولادا إذ حرمنى أولاد النساء» قالت عائشة فقلت فى نفسى: لا أذكرها بسيئة ابدا «١».

٧- عن يعلى بن المغيرة عن ابن ابى رواد قال: دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم على خديجة فى مرضها الذى ماتت فيه، فقال لها:

«يا خديجة أ تكرهين ما أرى منك، و قد يجعل اللّه فى الكره خيرا كثيرا، أ ما علمت أن اللّه تعالى زوّجنى معك فى الجنة مريم بنت عمران، و كلثم اخت موسى و آسية امرأة فرعون ...» «٢».

٨- عن عكرمة عن ابن عباس قال خطّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أربع خطط فى الأرض و قال: أ تدرون ما هذا؟ قلنا: اللّه و رسوله أعلم، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «أفضل نساء الجنة أربع: خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمّد، و مريم بنت

عمران و آسیة بنت مزاحم امرأة فرعون» «۳».

۹- عن أنس جاء جبرئيل الى النبىّ صلّى اللّه عليه [و آله] و عنده خديجة فقال: إن اللّه يقرئ خديجة السلام فقالت: إن اللّه هو السلام، و عليك السلام، و رحمة اللّه و بركاته «۴».

۱۰- عن أبى الحسن الأول (الكاظم) عليه السّلام قال قال رسول اللّه صلّى

(۱) اسد الغابة: ج ۵ ص ۴۳۸، و رواها مسلم أيضا: ج ۷ ص ۱۳۴، و كذا البخارى: ج ۵ ص ۳۹ و قد حذفا آخرها من: فغضب حتى ... الى آخر الرواية.

(۲) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۴۷، و أسد الغابة: ج ۵ ص ۴۳۹.

(۳) الخصال للصدوق: ج ۱ ص ۹۶، كما فى بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲.

(۴) المستدرك على الصحيحين: ج ۳ ص ۱۸۱۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۳

اللّه عليه و آله: «إن اللّه اختار من النساء اربعا: مريم و آسية و خديجة و فاطمة» «۱».

۱۱- عن ابى اليقظان عمران بن عبد اللّه عن ربيعة السعدى قال أتيت حذيفة بن اليمان و هو فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فسمعته يقول: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:

«خديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الايمان باللّه و بمحمد (صلّى اللّه عليه و آله)» «۲».

۱۲- عن عروة قال قالت عائشة لفاطمة رضى اللّه عنها بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم: أ لا ابشرك أنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] يقول:

«سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، و فاطمة بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم، و خديجة بنت خويلد و آسية» «۳».

۱۳- عن أبى عبد اللّه (الصادق) عليه السّلام قال: دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منزله، فاذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها و هى تقول: و اللّه يا بنت خديجة، ما ترين إلا أن لامك علينا فضلا، و أى فضل كان لها علينا؟! ما هى إلّا كبعضنا، فسمع صلّى اللّه عليه و آله مقالتها لفاطمة، فلما رأت فاطمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بكت، فقال: ما يبكيك يا بنت محمّد؟! قالت: ذكرت امّى فتنقّصتها فبكيت، فغضب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. ثم قال:

«مه يا حميراء، فان اللّه تبارك و تعالى بارك فى الودود الولود، و أن خديجة رحمها اللّه ولدت منّى طاهرا، و هو عبد اللّه و هو المطهّر و ولدت منّى القاسم، و فاطمة، و رقية، و أمّ كلثوم، و زينب، و أنت ممن أعقم اللّه رحمه فلم تلدى

(۱) الخصال: ج ۱ ص ۹۶، كما فى البحار: ج ۱۶ ص ۲.

(۲) المستدرك على الصحيحين: ح ۳ ص ۱۸۴- ۱۸۶ و وردت روايات بمضمون ذيل الحديث فى صحيح مسلم: ج ۷ ص ۱۳۳.

(۳) المستدرك على الصحيحين: ح ۳ ص ۱۸۴- ۱۸۶ و وردت روايات بمضمون ذيل الحديث فى صحيح مسلم: ج ۷ ص ۱۳۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۴

شيئا» «۱».

أجل هذه هى «خديجة بنت خويلد» شرف و عقل، و حب عميق لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و وفاء و إخلاص، و تضحية بالغالى و الرخيص فى سبيل الإسلام الحنيف.

هـذه هى «خديجة» أول من آمنت باللّه و رسوله، و صدّقت محمّدا فيما جاء به عن ربه، من النساء، و آزره، فكان صـلّى اللّه عليه و آله لاـ يسـمع من المشـركين شـيئا يكرهه من ردّ عليه، و تكـذيب له الّا فرّج اللّه عنه بخديجـة التى كانت تخفف عنه «۲»، و تهـوّن عليه ما يلقى من قومه، بما تمنحه من لطفها، و عطفها، و عنايتها به صلّى اللّه عليه و آله، فى غاية الاخلاص و الودّ و التفانى.

و لهـذا كان رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله يحبّها حبا شديـدا و يجلّها و بقدرها حق قدرها «۳»، و لم يفتأ يـذكرها، و لم يتزوج عليها غيرها حتى رحلت وفاء لها، و احتراما لشخصـها و مشاعرها، و كان يغضب إذا ذكرها احـد بسوء، كيف و هى التى آمنت به اذ كفر به الناس، و صدّقته اذ كذّبه الناس، و واسته فى ما لها اذ حرمه الناس.

و لهذا أيضا كان وفاتها مصـيبة عظيمة أحزنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و دفعته إلى أن يسمّى ذلك العام الذى توفى فيه ناصـراه و حامياه، و رفيقا آلامه (زوجته هـذه: خديجة بنت خويلد و عمه المؤمن الصامد الصابر ابو طالب عليهما السّـلام) بعام الحداد، او عام الحزن «۴» و ان يلزم بيته و يقلّ الخروج «۵»،

---

(۱) الخصال: ج ۲ ص ۳۷ و ۳۸، كما فى بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۳.

(۲) اعلام النساء لعمر رضا كحالة: ج ۱ ص ۳۲۸.

(۳) اعلام النساء: ج ۱ ص ۳۳۰.

(۴) تاريخ اليعقوبى: ج ۲ ص ۳۵، و قد روى عنه صلّى اللّه عليه و آله أنه قال بهذه المناسبة:

«اجتمعت على هـذه الامة مصـيبتان لا أدرى بأيهما أنا أشدّ جزعا» المصدر نفسه، و راجع تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۳۰۱ نقلا عن سيرة مغلطاى.

(۵) السـيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۴۷، المواهب اللدنيـة حسب نقل تاريـخ الخميس: ج ۱ ص ۳۰۲ و فيه إضافـة: و نـالت قريش منه ما لم تكن تنال.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۵

و أن ينزل صلّى اللّه عليه و آله عند دفنها فى حفرتها، و يدخلها القبر بيده، فى الحجون «۱».

عن ابن عباس فى حديث طويل فى زواج فاطمة الزهراء عليها السّـلام بعلى عليه السّـلام اجتمعت نساء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و كان يومئذ فى بيت عائشة ليسألنّه أن يدخل الزهراء على (علىّ) عليه السّلام فاحدقن به و قلت:

فديناك بآبائنا و أمهاتنا يا رسول اللّه قد اجتمعنا لأمر لو أنّ «خديجة» فى الأحياء لقرّت بذلك عينها.

قالت أمّ سـلمة: فلما ذكرنا «خديجـة» بكى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ثم قال: «خديجـة و اين مثل خديجة، صدّقتنى حين كذّبنى النـاس و وازرتنى على دين اللّه و أعـانتنى عليه بمالها، إن اللّه عزّ و جلّ أمرنى أن ابشـر خديجـة ببيت فى الجنـة من قصب (الزمرّد) لا صخب فيه و لا نصب» «۲».

لقـد كـانت خديجـة من خيرة نسـاء قريش شـرفا، و اكثرهنّ مالا، و احسـنهن جمالا و أقواهنّ عقلا و فهما و كانت تـدعى فى الجاهلية بالطاهرة لشدة عفافها و صـيانتها «۳» و يقال لها: سـيدة قريش «۴»، و كان لها من المكانـة و المنزلة بحيث كان كل قومها و سـراة أبناء جلدتها حريصين على الاقتران بها «۵»، و قـد خطبها- كما يحـدثنا التاريخ- عظماء قريش و بذلوا لها الأموال، و ممن خطبها «عاقبة بن ابى معيط» و «الصلـت بن ابى يهاب» و «ابو جهل» و «ابو سـفيان» فرفضـتهم جميعا، و اختارت رسول اللّه- و هى فى سن الأربعين و هو صلّى اللّه عليه و آله فى الخامسـة و العشـرين- و هى تمتلك تلكم الثروة الطائلة، و هو صـلّى اللّه عليه و آله لا يمتلك من حطام الدنيا إلّا الشيء اليسير اليسير، رغبة فى الاقتران به و لما عرفت فيه من كرم الأخلاق، و شرف النفس، و السجايا الكريمة و الصفات العالية، و هى ما كانت تبحث عنه فى حياتها و تتعشقه و اذا بتلك المرأة الغنية الثرية العائشة فى

(۱) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۴۶.

(۲) بحار الأنوار: ج ۴۳ ص ۱۳۱ نقلا عن كشف اليقين.

(۳) السيرة الحلبيّة: ج ۱ ص ۱۳۷.

(۴) السيرة الحلبيّة: ج ۱ ص ۱۳۷.

(۵) السيرة الحلبيّة: ج ۱ ص ۱۳۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۶

أفضل عيش تصبح فی بيت زوجها الرسول صلّى اللّه عليه و آله تلك الزوجة المطيعة الخاضعة، الوفية المخلصة، و تسارع الى قبول دعوته، و اعتناق دينه بوعی و بصيرة و ارادة منها و اختيار، و هی تعلم ما ينطوی عليه ذلك من مخاطر و متاعب، و تجعل كل ثروتها فی خدمة العقيدة و المبدأ، و تشاطر زوجها آلامه، و متاعبه، و ترضى بأن تذوق مرارة الحصار فی شعب أبی طالب ثلاث سنوات و فی سنّ الرابعة أو الخامسة و الستين. و هی مع ذلك تواجه كل ذلك بصبر و ثبات «۱»، و دون أن يذكر عنها تبرّم او توجع.

هذا مضافا إلى أنها كانت تعامل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأدب تامّ يليق بمقام الرسالة و النبوة، على العكس من غيرها من بعض نساء النبیّ اللائی كن ربما يثرن سخطه و غضبه، و يؤذينه فی نفسه و أهله.

و إليك فيما يأتی بعض ما قاله عنها كبار الشخصيات، و المؤرخين ممّا يكشف عن عظيم مكانتها عند المسلمين أيضا، قال امير المؤمنين على بن ابی طالب عليه السّلام:

«كنت أول من أسلم، فمكثنا بذلك ثلاث حجج و ما على الأرض خلق يصلّی و يشهد لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بما أتاه غيری، و غير ابنة خويلد رحمها اللّه و قد فعل» «۲».

و قال محمّد بن اسحاق: كانت خديجة أول من آمن باللّه و رسوله و صدّقت بما جاء من اللّه، و وازرته على أمره فخفف اللّه بذلك عن رسول اللّه، و كان لا يسمع شيئا يكرهه من ردّ عليه و تكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج اللّه ذلك عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بها اذا رجع إليها تثبّته، و تخفّف عنه، و تهوّن

(۱) شرح نهج البلاغة لابن ابی الحديد: ج ۱۴ ص ۵۹ قال: خديجة بنت خويلد و هی عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله محاصرة فی الشعب.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲ و مثله فی روايات متعددة فی شرح نهج البلاغة لابن أبی الحديد: ج ۴ ص ۱۱۹ و ۱۲۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۷

عليه امر الناس حتى ماتت رحمها اللّه «۱».

و عنه أيضا: أن «خديجة بنت خويلد» و «ابا طالب» ماتا فی عام واحد، فتتابع على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هلاك خديجة و ابی طالب و كانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، و كان رسول اللّه يسكن إليها «۲».

و قال أبو امامة ابن النقاش: ان سبق خديجة و تأثيرها فی اول الإسلام و مؤازرتها و نصرتها و قيامها للّه بمالها و نفسها لم يشركها فيه احد لا عائشة و لا غيرها من امهات المؤمنين «۳».

و قد جاء فی المنتقى: ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند ما امر بأن يصدع بالرسالة صعد على الصفا، و أخبر الناس بما أمره اللّه به فرماه أبو جهل قبحه اللّه بحجر فشجّ بين عينيه، و تبعه المشركون بالحجارة فهرب حتى أتى الجبل، فسمع علیّ و خديجة بذلك فراحا يلتمسانه صلّى اللّه عليه و آله و هو جائع عطشان مرهق، و مضت خديجة تبحث عنه فی كل مكان فی الوادی و هی تناديه بحرقة و

ألم، و تبکی و تنحب، فنظر جبرئیل إلی خدیجة تجول فی الوادی فقال: یا رسول اللّه أ لا تری إلی خدیجة فقد أبکت لبکائها ملائکة السماء؟ ادعها إلیک فاقرأها منی السلام و قل لها: إن اللّه یقرئک السلام، و یبشّرها أن لها فی الجنة بیتا من قصب لا نصب فیه و لا صخب فدعاها النبی صلّی اللّه علیه و آله و الدماء تسیل من وجهه علی الارض و هو یمسحها و یردّها، و بقی رسول اللّه و صلّی اللّه علیه و آله، و علی و خدیجة هناک حتی جنّ اللیل فانصرفوا جمیعا و دخلت به خدیجة منزلها، فأقعدته علی الموضع الذی فیه الصخرة و اظلّته بصخرة من فوق رأسه، و قامت فی وجهه تستره ببردها و أقبل المشرکون یرمونه بالحجارة، فاذا جاءت من فوق راسه صخرة وقته الصخرة، و اذا رموه من تحته وقته الجدران الحیّط، و إذا رمی من بین یدیه وقته خدیجة رضی اللّه عنها بنفسها، و جعلت تنادی یا معشر قریش ترمی الحرّة

---

(۱) بحار الانوار: ج ۱۶، ص ۱۰– ۱۲.

(۲) نفس المصدر.

(۳) تاریخ الخمس فی أحوال أنفس نفیس: ج ۱ ص ۲۶۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۶۸

فی منزلها؟ فلمّا سمعوا ذلک انصرفوا عنه، و أصبح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و غدا إلی المسجد یصلّی «۱».

و لقد بلغ من خضوعها لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و حبّها له أنها بعد أن تم عقد زواجها برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قالت له صلّی اللّه علیه و آله: «إلی بیتک، فبیتی بیتک، و أنا جاریتک» «۲».

و جاء فی السیرة الدحلانیة بهامش السیرة الحلبیة: و لسبقها إلی الإسلام و حسن المعروف جزاها اللّه سبحانه فبعث جبرئیل الی النبی صلّی اللّه علیه و آله و هو بغار حراء و قال له: اقرأ علیها السّلام من ربها و منی، و بشرها ببیت فی الجنة من قصب لا صخب فیه و لا نصب، فقالت: هو السلام و منه السلام و علی جبرئیل السلام، و علیک یا رسول اللّه السلام و رحمة اللّه و برکاته، و هذا من وفور فقهها رضی اللّه عنها حیث جعلت مکان ردّ السلام علی اللّه الثناء علیه ثم غایرت بین ما یلیق به و ما یلیق بغیره، قال ابن هشام و القصب هنا اللؤلؤ المجوف، و ابدی السهیلی لنفی النصب لطیفة هی انه صلّی اللّه علیه و آله لما دعاها الی الایمان أجابت طوعا و لم تحوجه لرفع صوت و لا منازعة و لا نصب بل ازالت عنه کل تعب، و آنسته من کل وحشة، و هوّنت علیه کل عسیر فناسب ان تکون منزلتها التی بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها و صورة حالها رضی اللّه عنها و اقراء السلام من ربها خصوصیة لم تکن لسواها، و تمیزت أیضا بأنها لم تسؤه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لم تغاضبه قط، و قد جازاها فلم یتزوج علیها مدة حیاتها و بلغت منه ما لم تبلغه امرأة قط من زوجاته «۳».

افتخار اهل البیت بخدیجة علیها السّلام:

و ما یدل علی سمو مقامها و علو منزلتها أن اهل البیت علیهم السّلام طالما

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۴۳

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۴ نقلا عن الخرائج و الجرائح ص ۱۸۶ و ۱۸۷.

(۳) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۶۹ الهامش.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۶۹

افتخروا بأن خديجة منهم، و انهم من خديجة و قد كانوا يعتزون بها، و يشيدون بمكانتها:

فقد خطب معاوية بالكوفة حين دخلها و الحسن و الحسين عليهما السّلام جالسان تحت المنبر فذكر عليا عليه السّلام فنال منه ثم نال من الحسن فقام الحسين عليه السّلام ليردّ عليه فأخذه الحسن بيده و أجلسه ثم قام فقال:

«أيّها الذاكر عليّا أنا الحسن و أبى علىّ و أنت معاوية و أبوك صخر و أمى فاطمة و امّك هند وجدى رسول اللّه و جدّك عتبة بن ربيعة و جدتى خديجة وجدتك قتيلة فلعن اللّه أخملنا ذكرا و ألأمنا حسبا و شرّنا قديما و حديثا. فقال طوائف من أهل المسجد: آمين «(۱).

و قيل: ان «الحسين» عليه السّلام ساير «أنس بن مالك» فاتى قبر خديجة فبكى ثم قال: اذهب عنّى قال «أنس»؛ فاستخفيت عنه فلما طال وقوفه فى الصلاة سمعته يقول:

يا ربّ يا ربّ أنت مولاهفارحم عبيدا إليك ملجاه

يا ذا المعالى عليك معتمدىطوبى لمن كنت أنت مولاه

طوبى لمن كان خادما أرقايشكو إلى ذى الجلال بلواه الى آخر الابيات «۲».

هكذا كان اهل البيت النبوى- اقتداء برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يحترمون خديجة و يكرمونها لما كان لها من شخصية عظيمة و لما اسدته الى الإسلام و الى رسول الإسلام من خدمات لا تنسى على مرّ الدهور.

ان بيان و نقل الأحاديث و الروايات، و كذا الاقوال التى وردت فى شأن خديجة و الحديث عن شخصيتها و مكانتها و مدى إسهامها فى انجاح و نصرة الدعوة المحمدية خارج عن امكانية هذه الدراسة، و نطاقها، لذلك نكتفى بهذه الالماعة

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج ۱۶، ص ۴۶ و ۴۷.

(۲) بحار الأنوار: ج ۴۴ ص ۱۹۳ نقلا عن عيون المحاسن.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۷۰

العابرة تاركين الكلام باسهاب حولها إلى مجال آخر.

و لنعد إلى تبيّن الأسباب الظاهرية و الباطنية لزواجها من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

(۱)

العلل الظاهرية و الحقيقية وراء زواج خديجة بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله:

إن الإنسان المادىّ الذى ينظر الى كل ما يحيط به من خلال المنظار المادى، و يفسره تفسيرا ماديا قد يتصور (و بالاحرى يظن) أن «خديجة» كانت امرأة تاجرة تهمّها تجارتها، و تنمية ثروتها، و لأنها كانت بحاجة ماسة الى رجل أمين قبل اى شيء، لذلك وجدت ضالتها فى محمّد الصادق الامين صلّى اللّه عليه و آله فتزوجت منه، بعد أن عرضت نفسها عليه و محمّد صلّى اللّه عليه و آله هو الآخر حيث انه كان يعلم بغناها و ثروتها، قبل بهذا العرض رغم ما كان بينه و بينها من فارق فى السن كبير.

و لكن التاريخ يثبت أن ثمة أسبابا و عللا معنويّة لا مادية هى التى دفعت بخديجة للزواج بأمين قريش و فتاها الصادق الطاهر.

و إليك فى ما يأتى شواهدنا على هذا الأمر:

(۲) ۱- عند ما سألت «خديجة» ميسرة عما رآه فى رحلته من فتى قريش «محمّد» فخبّرها ميسرة بما شاهد و رأى من «محمّد» فى تلك السفرة، و بما سمعه من راهب الشام حوله أحسّت «خديجة» فى نفسها بشوق عظيم و رغبة شديدة نحوه كانت نابغه من اعجابها

بمعنوية محمّد صلّى اللّه عليه و آله و كريم خصاله، و عظيم أخلاقه، فقالت من دون إرادتها: «حسبك يا ميسرة؛ لقد زدتنى شوقا إلى محمّـد صلّى اللّه عليه و آله، اذهب فـانت حر لوجه اللّه، و زوجتـك و أولاـدك و لـك عنـدى مائتا درهم و راحلتان» ثم خلعت عليه خلعة سنية «۱».

ثم إنها ذكرت ما سمعته من «ميسرة» لورقة بن نوفل و كان من حكماء

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۵۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۷۱

العرب: فقال ورقة: «لئن كان هذا حقا يا خديجة إن محمّدا لنبىّ هذه الأمّة» «۱».

(۱) ۲- مرّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يوما بمنزل «خديجـة بنت خويلـد» و هى جالسـة فى ملأـ من نسائها و جواريها و خـدمها و كان عنـدها حبر من أحبـار اليهود، فلمـا مرّ النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله نظر إليه ذلـك الحبر و قـال: يـا خديجـة مرى من يأتى بهـذا الشاب، فأرسلت إليه من أتى به، و دخل منزل «خديجة»، فقال له الحبر:

اكشف عن ظهرك فلمـا كشف له قـال الحبر: هـذا و اللّه خـاتم النبوة فقالت له خديجـة: لو رآك عمه و أنت تفتّشه لحلّت عليك منه نازلة البلاء و ان أعمامه ليحذرون عليه من أحبار اليهود:

فقال الحبر: و من يقـدر على «محمّـد» هذا بسوء، هذا و حق الكليم رسول الملك العظيم فى آخر الزمان، فطوبى لمن يكون له بعلا، و تكون له زوجة و أهلا فقد حازت شرف الدنيا و الآخرة.

فتعجّبت «خديجة»، و انصرف «محمّد» و قد اشتغل قلب «خديجة» بنت خويلد بحبه فقالت: أيها الحبر بم عرفت محمّدا انه نبى؟

قال: وجدت صـفاته فى التوراة انه المبعوث آخر الزمان يموت أبوه و امّه، و يكفله جدّه و عمه، و سوف يتزوج بامرأة من قريش سيدة قومها و أميرة عشـيرتها، و أشار بيده الى خديجة فلما سمعت «خديجة» ما نطق به الحبر تعلق قلبها بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله فلما خرج من عندها قال: اجتهدى ان لا يفوتك «محمّد» فهو الشرف فى الدنيا و الآخرة «۲».

(۲) ۳- لقـد كان ورقـة بن نوفل (و هو عم خديجة و كان من كهّان قريش و قد قرأ صـحف «شـيث» عليه السّـلام و صـحف «إبراهيم» عليه السّلام و قرأ التوراة و الانجيل و زبور «داود» عليه السّلام) يقول دائما: سيبعث رجل من قريش فى آخر

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۹۱، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۳۶.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۲۰ و ۲۱ نقلا عن كتاب الأنوار لأبى الحسن البكرى.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۷۲

الزمان يتزوج بامرأة من قريش تسود قومها (أو تكون سـيدة قومها، و أميرة عشـيرتها)، و لهذا كان يقول لها: «يا خديجة سوف تتصلين برجل يكون أشرف أهل الأرض و السماء» «۱».

(۱) هـذه قضايا ذكرها بعض المؤرخين، و هى منقولـة و مثبتـة فى طائفـة كبيرة من الكتب التاريخية، و هى بمجموعها تدل على العلل الحقيقـة و الباطنيـة لرغبـة خديجـة فى الزواج برسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله، و إن هـذه الرغبـة كـانت ناشـئة من اعجـاب «خديجـة» بأخلاق فتى قريش الأمين، و نبله، و طهارته، و عظيم سـجاياه و خصاله، و حبها لهذه الامور، و ليس هناك أى أثر فى علل هذا الزواج لامانة «محمّد» و كونه أصلح من غيره لهذا لسبب للقيام بتجارة «خديجة».

(۲)

کیف تمّت خطبة خدیجة؟

من المسلّم به أن اقتراح الزواج جاء من جانب «خدیجة» نفسها أولا، حتی أن ابن هشام «۲» نقل فی سیرته: ان «خدیجة» لما أخبرها میسرة بما اخبرها به بعثت إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقالت له: «یا ابن عم أبی قد رغبت فیک لقرابتک وسطتک [ای شرفک و مکانتک] فی قومک، و أمانتک و حسن خلقک، و صدق حدیثک» ثمّ اقترحت علیه أن تتزوج به.

و یعتقد اکثر المؤرّخین أن «نفیسة بنت علیّة» بلّغت رسالة «خدیجة» إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی النحو التالی:

قالت لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «یا محمّد ما یمنعک أن تتزوج ...

و لو دعیت الی الجمال و المال و الشرف و الکفاءة الّا تجیب؟

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: فمن هی؟

فقالت. خدیجة، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: و کیف لی بذلک، فقالت: علیّ، فذهبت الی خدیجة فأخبرتها، فأرسلت خدیجة إلی رسول اللّه صلّی

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۲۱.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۸۹ و ۱۹۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۳

اللّه علیه و آله بوکیلها «عمرو بن اسد» «۱» لتحدید ساعة من اجل مراسم الخطبة فی محضر من الاقارب «۲».

(۱) فشاور النبی صلّی اللّه علیه و آله أعمامه و فی مقدمتهم «أبو طالب»، ثم عقدوا مجلسا فخما حضره کبار وجوه قریش، و رؤساؤها فخطب «أبو طالب»، و بعد ان حمد اللّه و اثنی علیه وصف ابن أخیه محمّدا بقوله:

«ثم إن ابن أخی هذا محمّد بن عبد اللّه لا یوزن به رجل إلّا رجح به شرفا و نبلا و فضلا و عقلا، و إن کان فی المال فإن المال ظلّ زائل، و أمر حائل و عاریة مسترجعة، و له فی خدیجة رغبة و لها فیه رغبة، و الصّداق ما سألتم عاجله و آجله من مالی، و محمّد من قد عرفتم قرابته».

و حیث أن «ابا طالب» تعرّض فی خطبته لذکر قریش، و بنی هاشم و فضیلتهم، و منزلتهم بین العرب، لذلک تکلّم «ورقة بن نوفل بن اسد» الذی کان من أقارب خدیجة «۳» و قال فی خطبة له: «لا تنکر العشیرة فضلکم، و لا یردّ أحد من الناس فخرکم و شرفکم و قد رغبنا فی الاتصال بحبلکم و شرفکم» «۴».

ثم اجری عقد النکاح و مهرها النبی صلّی اللّه علیه و آله أربعمائة دینار و قیل أصدقها عشرین بکرة «۵».

---

(۱) المعروف انّ والد خدیجة توفی فی حرب الفجار و لهذا قام بالایجاب من قبلها عمها عمرو بن اسد و لهذا لا یصح ما ذکره بعض المؤرخین من أنّ خویلد (والد خدیجة) امتنع من تزویجها لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی بدایة الأمر، ثم رضی بذلک نزولا عند رغبة خدیجة.

(۲) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۲۶۴.

(۳) المعروف أنّ ورقة کان عمّا لخدیجة و لکن هذا موضع نقاش لأنّ «خدیجة بنت خویلد بن اسد» و ورقة بن نوفل بن اسد فیکونان أولاد عمومة أی أنّه ابن عم خدیجة و هی بنت عمّه. و لذلک جاء فی بعض المصادر وصفه ب «ابن عمّها» (تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۲۸۲) و راجع قبله السیرة النبویة لابن هشام: ج ۱، ص ۲۰۳.

(۴) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۶، مناقب آل أبی طالب: ج ۱ ص ۳۰، السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۳۹، تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۲۶۴.

(۵) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۳۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۴

(۱)

عمر خدیجة عند زواجها بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله:

المعروف المشهور أن خدیجة علیها السّلام تزوجت من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هی فی سنّ الأربعین و أنها ولدت قبل عام الفیل بخمسة عشر عاما.

و ذکر البعض أقلّ من ذلک أیضا.

و ذکر أنها تزوجت قبل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله برجلین أوّلهما «عتیق بن عائذ» ثم من بعده ابو هالة التمیمی اللذین توفی کل منهما بعید زواجه بخدیجة «۱».

(۱) ربما یشکّک فی أن تکون خدیجة علیها السّلام قد تزوجت قبل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بأحد و هی التی امتنعت عن کل من خطبها و رام تزویجها من سادات قریش و اشرافها. راجع الاستغاثة: ج ۱، ص ۷۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۵

(۱)

۱۰ من الزواج الی البعثة

اشارة

تعتبر فترة الشباب من أهمّ و أخطر الفترات فی حیاة الإنسان ففی هذه الفترة تبلغ الغریزة الجنسیة نضجها و کمالها، و تصبح النفس البشریة لعبة فی أیدی الأهواء و یغلب طوفان الشهوة علی فضاء العقل، و یغطّی الظلام سماء التفکیر، و تشتد حاکمیة الغرائز المادیة، و تتضاءل شعلة العقل، و تتراءی أمام عیون الشباب بین الحین و الآخر، و صباح مساء صروح عظیمة من الآمال الخیالیة.

و لو ملک الإنسان- فی مثل هذه الفترة- شیئا من الثروة، لتحوّلت حیاته إلی مسألة فی غایة الخطورة فالغرائز الحیوانیة، و صحة المزاج من جهة و الامکانات المادیة و المالیة من جهة اخری تتعاضدان و تغرقان المرء فی بحر من الشهوات، و النزوات، و تهیّئان له عالما بعیدا عن التفکیر فی المستقبل.

(۲) و من هنا یصف المربّون العلماء تلک الفترة الحساسة بأنها الحدّ الفاصل بین الشقاء و السعادة، و الفترة التی قلما یستطیع شاب أن یرسم لنفسه فیها مسارا معقولا، و یختار لنفسه طریقا واضحا علی أمل الحصول علی الملکات الفاضلة، و النفسیة الرفیعة الطاهرة التی تحفظه عن أی خطر متوقع «۱». حقا إن کبح جماح

(۱) و الی هذه الحقیقة اشار الإمام جعفر الصادق علیه السّلام بقوله:

إنّ الفراغ و الشباب و الجدةمفسدة للمرء أی مفسدة

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۲۷۶

النفس، و زمّها و حفظها من الانزلاق فی مهاوی الشهوات، و النزوات فی مثل هذه الفترة لهو أمر جدّ عسیر، و لو أن الانسان حرم من تربیة عائلیة صحیحة مستقیمة کان علیه أن ینتظر مصیرا سیّئا، و مستقبلا فی غایة البؤس و الشقاء.

(۱)

فترة الشباب فی حیاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

لیس من شک فی ان فتی قریش «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله کان یتمتع فی أیام شبابه بصحة جیدة، و قوة بدنیة عالیة، و کان شجاعا قویا، لأنّه صلّی اللّه علیه و آله قد تربی فی بیئة حرة بعیدة عن ضوضاء الحیاة، و فتح عینیه فی عائلة اتصف جمیع أفرادها و اعضائها بالشجاعة و الفروسیة، هذا من جانب، و من جانب آخر کان یمتلک ثروة «خدیجة» الطائلة فکانت ظروف الترف، و العیش الشهوانی متوفرة له بشکل کامل، و لکن کیف تری استفاد من هذه الامکانات المادیة هل مدّ موائد العیش و اللذة و شارک فی مجالس السهر و السمر و اللهو و اللعب. و اطلق العنان لشهوته، و فکر فی إشباع غرائزه الجنسیة کغیره من شباب ذلک العصر، و تلک البیئة الفاسدة. أم أنّه اختار لنفسه منهجا آخر فی حیاته، و استفاد من کل تلک الإمکانات فی سبیل تحقیق حیاة زاخرة بالمعنویة، الأمر الذی تبدو ملامحه بجلاء لمن تتبع تلک الفترة الحساسة من تاریخه.

(۲) ان التاریخ لیشهد بأنه صلّی اللّه علیه و آله کان یعیش کما یعیش أی رجل رجل عاقل لبیب و فاضل رشید، و أنه طوی تلک السنوات الحساسة من حیاته کأحسن ما یکون، بعیدا عن العبث و الترف و الضیاع و الانزلاق إلی الشهوات و الانسیاق وراء التوافه.

بل ان التاریخ لیشهد بأنه کان اشد ما یکون نفورا من اللهو، و العبث، و الترف و المجون فقد کانت تلوح علی محیّاه دائما آثار التفکّر و التأمل، و کثیرا ما کان یلجأ الی سفوح الجبال او الکهوف و المغارات للابتعاد عن الجوّ الاجتماعی الموبوء فی مکة، یلبث هناک أیاما یتأمل فیها فی آثار القدرة الإلهیة،

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۲۷۷

و فی عظمة الصنع الالهی، الرائع البدیع.

(۱)

احاسیسه و مشاعره الإنسانیة فی فترة الشباب:

و لقد وقعت فی احدی أسواق مکة ذات یوم حادثة هیّجت مشاعره الانسانیة و حرکت عواطفه و احاسیسه، فقد رأی مقامرا قد خسر بعیره و بیته، بل بلغ الأمر به أن استرقه منافسه عشرة أعوام.

و قد آلمت هذه القصة المأساویة فتی قریش «محمّد» بشدة، الی درجة أنّه لم یعد یحتمل البقاء فی «مکة» ذلک الیوم فغادرها من فوره و ذهب الی الجبال المحیطة بمکة ثم عاد بعد هزیع من اللیل.

لقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ینزعج بشدة لهذه المشاهد المحزنة و الاوضاع المأساویة، و کان یتعجب من ضعف عقول قومه، و انحطاط مدارکهم.

(۲) و لقد کان بیت «خدیجة» قبل زواج النبی صلّی اللّه علیه و آله بها ملاذا للفقراء و کعبة لآمال المساکین و المحرومین، و بعد أن تزوج النبی صلّی اللّه علیه و آله بها لم یطرأ علی وضع ذلک البیت أی تغییر من جهة الانفاق و البذل.

ففی سنین الجدب و القحط التی کانت تضرب مکة و ضواحیها بین الحین و الآخر ربما قدمت «حلیمة السعدیة» مکة لتزور ولدها

الرضاعی «محمّد» فکان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یکرمها و یحترمها، و یفرش رداءه تحت أقدامها، و یصغی لکلامها بعنایة و لطف، وفاء لجمیلها، و عرفانا لعواطفها و امومتها.

فقد روی أن «حلیمة» قدمت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مکة بعد تزوّجه خدیجة، فشکت إلیه جدب البلاد و هلاک المواشی فکلم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «خدیجة» فأعطتها بعیرا و اربعین شاة، و انصرفت الی أهلها موفورة، مسرورة.

و روی أیضا انه استأذنت «حلیمة» علیه ذات مرة فلما دخلت علیه قال:

«امّی امّی» و عمد إلی ردائه فبسطه لها فقعدت علیه «۱».

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۰۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۸

(۱)

أولاد خدیجة:

لا ریب فی أنّ وجود الأولاد فی الحیاة العائلیّة ممّا یقوّی أواصر الوشیجة الزوجیة، و یعمّق جذورها، و یمنح الجوّ العائلیّ بهاء، و رونقا، و جمالا خاصا.

و لقد أنجبت «خدیجة» لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ستة من الأولاد اثنین من الذکور، أکبرهما «القاسم» ثم «عبد اللّه» اللّذان کانا یدعیان ب: «الطاهر» و «الطیّب» و اربعة من الإناث.

کتب ابن هشام یقول فی هذا الصدد: أکبر بناته رقیّة ثم زینب ثم أمّ کلثوم، ثم فاطمة.

فأما الذکور من أولاده صلّی اللّه علیه و آله فماتوا قبل البعثة، و أما بناته فکلّهن أدرکن الإسلام «۱».

و رغم أن النبی صلّی اللّه علیه و آله قد عرف بصبره و جلده فی الحوادث و النوائب فربما انعکست احزانه القلبیة فی قطرات دموعه الساخنة المنحدرة علی خدّیه الشریفتین فی موت أولاده.

و لقد بلغ به الحزن و الغم لموت ولده «إبراهیم» من زوجته ماریة القبطیة حدا لم یحدث لغیره من أولاده، إلّا أنّه رغم ذلک الحزن الآخذ من قلبه مأخذا لم یفتر لسانه عن حمد اللّه و شکره حتی أن اعرابیا اعترض علیه صلّی اللّه علیه و آله لما وجده یبکی علی ولده قائلا: او لم تکن نهیت عن البکاء اجابه بقوله:

«انما هذا رحمة، و من لا یرحم لا یرحم» «۲».

(۲)

حدس لا أساس له من الواقع!!

لقد کتب الدکتور هیکل فی کتابه: «حیاة محمّد» یقول: «لا ریب أن

---

(۱) مناقب ابن شهر اشوب: ج ۱ ص ۱۴۰، قرب الأسناد: ۶ و ۷، الخصال: ج ۲ ص ۳۷، بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۵- ۱۵۲. و قد ذکر البعض للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله اکثر من ولدین، یراجع تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۳۵، بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۶۶.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۵۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۹

خديجة عند موت كل واحد منهما (اى ولدى النبى: القاسم و عبد اللّه) فى الجاهلية توجّهت إلى آلهتها الاصنام تسألها ما بالها لم تشملها برحمتها و برها» «۱».

إنّ هذا الكلام لا يستند إلى أى دليل تاريخى، و ليس هو بالتالى إلا حدس باطل، و ادّعاء فارغ ليس له من منشأ إلّا ان أغلبية أهل ذلك العصر كانوا عبدة أوثان، فلا بدّ ان خديجة كانت على منوالهم!!

فى حين ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يبغض الأصنام و الأوثان من بداية شبابه، و قد اتضح موقفه منها أكثر فى سفرته الى الشام فى أموال خديجة يوم قال لمن استحلفه باللات و العزى: «إليك عنى، فما تكلّمت العرب بكلمة أثقل علىّ من هذه».

مع ذلك كيف يمكن القول بأن امرأة لبيبة عاقلة لم يكن شدة حبها و شغفها بزوجها موضع شك، أن تتوجّه عند موت ولديها إلى الاصنام التى كانت ابغض الأشياء عند زوجها، و خاصة أن حبها لزوجها «محمّد» و بل إقدامها على الزواج منه انما كان بسبب ما كان يتحلى به من ايمان و معنوية، و صفات فاضلة، و ملكات اخلاقية عالية، فهى قد سمعت عنه بأنه آخر نبىّ، و أنه خاتم المرسلين، فكيف و الحال هذه يمكن ان يحتمل أحد أنّها- مع هذا الاعتقاد- بث شكواها و حزنها الى الاوثان و الاصنام؟؟!

(۱)

دعىّ رسول اللّه: زيد بن حارثة:

عند الحجر الاسود أعلن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) عن تبنيه له ...

ذلک هو زيد بن حارثة.

و كان «زيد» ممّن سباه العرب من حدود الشام، و باعوه فى أسواق مكة رقيقا لأحد أقرباء «خديجة» يدعى «حكيم بن حزام»، و لكن لا يعرف كيف انتقل إلى «خديجة» فى ما بعد؟

---

(۱) حياة محمّد: ص ۱۲۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۰

(۱) يقول هيكل فى كتابه «حياة محمّد» فى هذا الصدد «لقد ترك موت ولدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى نفس النبى أثرا عميقا حتى إذا جىء بزيد بن حارثة يباع طلب الى «خديجة» أن تبتاعه ففعلت ثم اعتقه و تبناه» «۱».

و لكن اكثر المؤرخين يقولون: ان «حكيم بن حزام» قد اشتراه لعمته «خديجة بنت خويلد»، و قد أحبّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لذكائه و طهره، فوهبته «خديجة» له عند زواجه صلّى اللّه عليه و آله منها.

ففتش عنه والده «حارثة» حتى عرف بمكانه فى مكة، فقدمها، و دخل على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، فطلب منه صلّى اللّه عليه و آله أن يأذن لزيد ليرحل معه إلى موطنه، فدعاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و خيّره بين المقام معه صلّى اللّه عليه و آله و الرحيل الى موطنه مع أبيه، فاختار المقام مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لما وجد من خلقه، و حنانه، و لطفه العظيم فلما رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ذلك اخرجه الى الحجر و اعتقه ثم تبناه على مرأى من الناس و مسمع قائلا: «يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابنى» «۲».

(۲)

بداية الخلاف بين الوثنيّين:

لقـد أوجـدت البعثـة النبویّـة خلافـا و اختلافا کبیرا فی أوساط قریش و فرّقت صـفوفهم، غیر أنّ هـذا الاختلاف قـد وجـدت أسـبابه و عوامله، و ظهرت بوادره و علائمه قبل البعثة المبارکة.

فقـد أبـدی جماعـة من الناس فی الجزیرة العربیـة استیاءهم من دین العرب و انکروا عقائدهم الباطلة، و طالما کانوا یتحدثون عن قرب ظهور النبی العربیّ الذی یتمّ علی یدیه إحیاء التوحید.

و کان الیهود یتوعدون أهل الاصنام بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و یقولون:

(۱) حیاة محمّد: ص ۱۲۸.

(۲) الاصابة: ج ۱ ص ۵۴۵ و ۵۴۶، اسد الغابة: ج ۲ ص ۲۲۵ و ۲۲۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۱

لیخرجنّ نبیّ فلیکسرن أصنامکم «۱».

(۱) و کتب ابن هشام یقول: کان الیهود یقولون للعرب: إنه قد تقارب زمان نبیّ یبعث الآن نقتلکم معه قتل عاد وارم.

و کتب یقول أیضا: و کانت الاحبار من الیهود، و الرهبان من النصاری و الکهّان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قبل مبعثه.

هـذه الکلمات تصوّر انقضاء عهـد الوثنیـة فی نظرهم إلی درجة أن بعض القبائل أجابت النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله لما بعث، و دعاهم اللّه، بینما احجمت الیهود عن الایمان به و برسالته و بقیت علی کفرها و جحودها لنبوته التی طالما بشرت بها.

و قد نزل فیهم قوله تعالی:

«وَ لَمَّا جـاءَهُمْ کِتـابٌ مِنْ عِنْـدِ اللَّهِ مُصَـدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ کانُوا مِنْ قَبْلُ یَسْـتَفْتِحُونَ عَلَی الَّذِینَ کَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا کَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَی الْکافِرِینَ» «۲» «۳».

(۲)

أعمدة الوثنیّة تهتزّ:

و لقـد شـهد أحـد أعیاد قریش حادثا غریبا کان فی نظر العقلاء و أصـحاب الفکر الثاقب منهم بمثابة جرس إنذار اذن باقتراب سـقوط دولة الوثنیین، و انهیار صروح الوثنیّة و عبادة الأصنام، و انقراضها.

فقـد اجتمعت قریش یوما فی عیـد لهم عند صـنم من أصـنامهم کانوا یعظمونه و ینحرون له، و یعکفون عنده، فتنحّی أربعة ممن عرفوا بالعلم ناحیة، و أخذوا یتحدّثون سرّا، و أخذوا ینتقدون عبادة الأوثان و الأصنام، و ما علیه قومهم من فساد العقیدة.

فقال بعضهم لبعض: و اللّه ما قومکم علی شیء، لقد أخطئوا دین أبیهم

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۲۳۱.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۲۱.

(۳) البقرة: ۸۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۲

إبراهیم!! ما حجر نطیف به لا یسمع و لا یبصر، و لا یضر و لا ینفع، یا قوم التمسوا لأنفسکم دینا ...

(۱) و کان هؤلاء الأربعة هم:

۱- «ورقة بن نوفل» الّذی اختار النصرانیة بعد أن طالع کتبها، و اتصل بأهلها.

۲- «عبید اللّه بن جحش» الذی أسلم عند ظهور الإسلام، ثم هاجر مع المسلمین إلی الحبشة.

۳- «عثمان بن الحویرث» الذی قدم علی قیصر ملک الروم، فتنصّر.

۴- «زید بن عمرو بن نفیل» الذی اعتزل الأوثان، و قال: اعبد رب إبراهیم «۱».

(۲) إن ظهور مثل هـذا الاسـتنکار و الجحد للأوثان و الوثنیة لا یعنی أبدا أنّ دعوة رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله کانت تعقیبا لدعوة هذه الجماعة، و استمرارا لها!!

کیف یمکن أن نعتبر دعوة رسول اللّه العالمیـة مع ما انطوت علیه من أهـداف کبری، و اسـتندت إلیه من معارف و أحکام لا تحصـی، ردّة فعل لمثل هذا الحادث الصغیر و تعبیرا عن مثل هذا الاستنکار المحدود؟

إن الحنیفیة و هی سنّة إبراهیم و دینه لم تکن قد محیت کلیّا فی الحجاز بعد أیام بعثة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بل کان هناک لا یزال بعض الأحناف (و هم الـذین کانوا علی دین إبراهیم علیه السّـلام) منتشـرین فی أنحاء الجزیرة العربیـة، إلّا أن ذلک لا یعنی أنّهم کانوا قادرین علی التظاهر بعقیـدتهم بین الناس، أو قیادة حرکة، أو تربیة أفراد علی نهجهم، أو أن توجّهاتهم التوحیدیة کانت من القوة بحیث تسـتطیع أن تکون مصـدر إلهام لقیم و معارف و تعالیم و أحکام لشخصـیّة مثل رسول الإسـلام «محمّد» صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

(۳) فلم ینقل عن هؤلاء سوی بعض الاعتقادات المعدودة المحدودة مثل الاعتقاد

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۲۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۳

بالمعاد و الیوم الآخر، و شـیء بسیط من البرامج الأخلاقیة، و حتی ما نقل عنهم من أبیات توحیدیة لا یمکن تأکید انتسابها إلیهم، و ان لم یمکن نفی ذلک أیضا «۱».

فهل یمکن و الحال هـذه أن نعتبر الثقافـة الإسـلامیة العظیمـة، و المعارف العقلیـة العالیـة، و القوانین و التشـریعات المفصـلة، و الانظمة الأخلاقیة و السیاسیة و الاقتصادیة الإسلامیة، الشاملة الکاملة، کنتیجة لمتابعة اولئک النفر المعدود من «الأحناف» الموحدین المنتشرین فی انحاء مختلفة من بلاد الحجاز الذین کانت جل عقائدهم تتألف من مجرد الاعتقاد بوجود اللّه، و الیوم الآخر و قضیة أو قضیتین من قضایا الأخلاق؟!

(۱)

نموذج آخر عن ضعف قریش:

لم یکن یمض علی عمر فتی قریش اکثر من خمس و ثلاثین عاما یوم واجه اختلافا کبیرا بین قریش، فأزال بحکمته ذلک التخاصم، و لقـد کشـفت هـذه الحادثـة عن مـدی الاحترام الـذی کان فتی قریش «محمّد» یحظی به لدی قریش، کما و تکشف عن قوة اعتقادهم بصدقه و أمانته.

و إلیک تفصیل هذه الحادثة:

انحدر سـیل رهیب من جبال مکة المرتفعة نحو بیت اللّه المعظمة «الکعبة المقدسة» فلم یسـلم من هذا السیل بیت فی مکة حتی الکعبة المعظمة، التی تصدّعت جدرانها تصدعا کبیرا بفعل ذلک السیل.

(۲) فعزمت قریش علی بحدید تلک البنیة المعظمة، و لکنها تهیّبت ذلک، و ترددت فی هدم الکعبة، فأقدم «الولید بن المغیرة» و هدم رکنین منها علی شیء من الخوف، فانتظر أهل مکة أن یحل به أمر، و لکنهم لما رأوا «الولید» لم یصبه

---

(۱) و لقد نقل ابن هشام فی کتابه: السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۲۲- ۲۳۲ طائفة من الأبیات و القصائد التوحیدیة هذه؛ و التی جاء فی مطلع إحداها ما أنشده زید بن عمرو بن نفیل:

أ ربّا واحدا أم ألف ربّأدین اذا تقسمت الامور؟

عزلت اللات و العزّی جمیعاکذلک یفعل الجلد الصبور (البصیر)

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۴

غضب من الآلهة، اطمأنوا إلی أنه لم یرتکب قبیحا، و أنه عمل ما فیه رضی آلهتهم، فاقدموا جمیعا علی هدم ما تبقی من الکعبة، و اتفق أن تحطّمت سفینة قادمة من «مصر» فی تجارة لرومیّ عند میناء «جدة» بفعل الریاح و العواصف، فعلمت بذلک قریش، و أرسلت رجالا یبتاعون أخشابها لیستخدموها فی بناء الکعبة المعظمة، و أوکلوا أمر نجارتها إلی نجّار قبطیّ محترف کان یقطن «مکة».

(۱) و لما ارتفعت جدران الکعبة إلی قامة الرجل، و آن الأوان لوضع الحجر الأسود فی محله من الرکن وقع الاختلاف بین زعماء قریش، و تنازعوا فی من یتولّی وضع الحجر الاسود فی مکانه.

و تحالفت قبیلة «بنی عبد الدار» مع «بنی عدیّ» علی أن یمنعوا من أن ینال هذا الفخار غیرهم، و عمدوا إلی اناء مملوء بالدم فوضعوا أیدیهم فیه تأکیدا لذلک المیثاق.

من هنا تأخرت عملیة البناء و توقّفت خمسة أیام بلیالیها، و کاد أن تنشب بینهم حرب دامیة، و ربما طویلة، فقد اجتمعت طوائف مختلفة من قریش فی المسجد الحرام و هی تنتظر حادثة خطیرة، فعمد- فی الأخیر- شیخ من شیوخ قریش یدعی «أبو امیّة بن مغیرة المخزومی» من زعماء قریش و قال: یا معشر قریش، اجعلوا بینکم فیما تختلفون فیه أول من یدخل من باب هذا المسجد «۱» یقضی بینکم فیه» فقبلوا برأیه اجمع، فکان اول داخل علیه فتی قریش «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله فلما رأوه قالوا: هذا الأمین، رضینا، هذا محمّد.

(۲) فقال صلّی اللّه علیه و آله: هلم إلیّ ثوبا، فأخذ الحجر و وضعه فیه ثم قال:

«لتأخذ کل قبیلة بناحیة من الثوب، ثم ارفعوه جمیعا»

ففعلوا حتی إذا بلغوا به موضعه من الرکن وضعه صلّی اللّه علیه و آله هو بیده مکانه، و بهذا حال دون وقوع حوادث دامیة کادت أن تقع بسبب تنازع قریش، و اختلافها، و حلّ الوفاق محل الشقاق بعد أن رضی الکل بحکمه.

---

(۱) و فی روایة: أول من یدخل باب الصفا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۵

و إلی قضیة التحکیم هذه یشیر «هبیرة بن أبی وهب» فی أبیات صوّرت هذه الحادثة التاریخیة الکبری، اذ قال:

تشاجرت الأحیاء فی فصل خطةجرت بینهم بالنحس من بعد أسعد

تلاقوا بها بالبغض بعد مودّةو أوقد نارا بینهم شرّ موقد

فلما رأینا الأمر قد جدّ جدّهو لم یبق شیء غیر سلّ المهند

رضینا و قلنا العدل أول طالعیجیء من البطحاء من غیر موعد

ففاجأنا هذا الامین محمّدفقلنا رضینا بالأمین محمّد

بخير قريش كلها أمس شيمةو فى اليوم مع ما يحدث اللّه فى غد

فجاء بأمر لم ير الناس مثله‌أعمّ و أرضى فى العواقب و البد

و تلك يد منه علينا عظيمةيروب لها هذا الزمان و يعتدى «۱»

(۱)

أمين قريش يكفل عليّا:

أجدبت مكة و ضواحيها سنة من السنين، و قل فيها الماء، و أصابت الناس أزمة شديدة، و كان أبو طالب عليه السّلام كثير العيال، فعزم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على أن يساعد عمه أبا طالب، و يخفف عنه عبء العيال، فانطلق الى عمه العباس و قال له: «إن أخاك أبا طالب كثير العيال و قد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفّف من عياله آخذ من بنيه رجلا و تأخذ أنت رجلا».

فكفل العباس جعفرا، و كفل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليا عليه السّلام.

(۲) يقول أبو الفرج الاصفهانى المؤرخ المعروف فى هذا الصدد:

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۹۲– ۱۹۹ و فروع الكافى: ج ۴ ص ۲۱۷ و ۲۱۸، و الجدير بالذكر أنهم قالوا عند تجديد بناء الكعبة: «يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من كسبكم إلّا طيّبا، لا يدخل فيها مهر بغىّ، و لا بيع ربا، و لا مظلمة أحد للناس» (البداية و النهاية: ج ۲ ص ۳۰۱) و لا شك أنّ هذه من بقايا تعاليم الأنبياء التى بقيت بينهم و لم تمح بالمرة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۸۶

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أخذ «عليا» من أبيه و هو صغير فى سنة اصابت قريشا و قحط نالهم، و أخذ حمزة جعفرا و أخذ العباس طالبا ليكفوا أباهم مؤونتهم و يخففوا عنهم ثقلهم، و أخذ هو (أى ابو طالب) عقيلا لميله كان إليه فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«اخترت من اختار اللّه لى عليكم: عليا» «۱».

إن هذه الحادثة و إن كانت فى ظاهرها تعنى ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أقدم على هذا الأمر ليساعد عمّه أبا طالب فى تلك الازمة، لكن الهدف الأعلى و الأخير كان أمرا آخر و هو أن: يتربّى على عليه السّلام فى حجر النبى، و يغتذى من مكارم اخلاقه و يتبعه فى كريم افعاله.

و لقد اشار الإمام علىّ عليه السّلام نفسه الى هذا الموضوع بقوله:

«و لقد علمتم موضعى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالقرابة القريبة و المنزلة الخصيصة وضعنى فى حجره و أنا ولد يضمّنى إلى صدره و يكنفنى فى فراشه ... و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر امّه يرفع لى فى كلّ يوم من أخلاقه علما و يأمرنى بالاقتداء به» «۲».

(۱)

ايمان النبى و آبائه و كفلائه قبل الإسلام:

تدل الدلائل التاريخيّة، القوية، فضلا عن الأدلة العقلية و المنطقية على أن النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله لم يعبد غير اللّه تعالى منذ ولد من امّه، و الى أن رحل الى ربه، بل و كان كفلاؤه مثل عبد المطلب و أبى طالب مؤمنون موحّدون هم أيضا

ایمان جده عبد المطّلب:

(۲) و أما عبد المطلب کفیل النبیّ الاوّل فلا ننسی أنه عند ما قصد «أبرهة» هدم

(۱) مقاتل الطالبیین: ص ۲۶، الکامل فی التاریخ: ج ۱ ص ۳۷، السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۴۵- ۲۴۷ باب (ذکر أن علیّ بن أبی طالب رضی اللّه عنه اول ذکر أسلم).

(۲) نهج البلاغة: الخطبة ۱۹۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۷

الکعبة فی جیش الفیل، نزل فی جوف اللیل الی الکعبة و أخذ بحلقة بابها یدعو اللّه و یقول مناجیا اللّه سبحانه.

«اللّهم أنیس المستوحشین، و لا وحشة معک فالبیت بیتک، و الحرم حرمک و الدار دارک، و نحن جیرانک، انک تمنع عنه ما تشاء، و ربّ الدّار اولی بالدّار».

ثم أنشأ یقول:

یا ربّ لا أرجو لهم سواکایا ربّ فامنع منهمو حماکا

إن عدوّ البیت من عاداکاامنعهموا إن یخربوا فناکا «۱» و هذا یکشف بوضوح عن ایمان عبد المطلب باللّه تعالی، و توکله علیه سبحانه، و انه کان الرجل الموحد الذی لا ـ یلتجئ فی المصائب و المکاره إلی غیر کهف اللّه، و لا یعرف الّا باب اللّه علی عکس ما کانت الوثنیة علیه فان قومه کانوا یستغیثون بالاصنام المنصوبة حول الکعبة.

و ممّا یدل علی ایمانه أیضا توسله لکشف غمته باللّه سبحانه فقد تتابعت علی قریش سنون جدب ذهبت بالأموال، و اشرفت الانفس و اجتمعت قریش لعبد المطلب، و علوا جبل ابی قبیس و معهم النبی صلّی اللّه علیه و آله محمّد و هو غلام فتقدم عبد المطلب و قال: لاهم (ای اللّهم) هؤلاء عبیدک و إماؤک و بنو امائک، و قد نزل بنا ما تری، و تتابعت علینا هذه السنون فذهبت بالظلف و الخف و الحافر، فاشرفت علی الانفس فأذهب عنا الجدب، و ائتنا بالحیاء و الخصب، فما برحوا حتی سالت الأودیة، و فی هذه الحالة تقول رقیقة:

بشیبة الحمد اسقی اللّه بلدتناو قد عدمنا الحیا و اجلوّذ المطر إلی أن تقول:

مبارک الام یستسقی الغمام بهما فی الانام له عدل و لا خطر

(۱) راجع القصة و مصادرها فی ص ۱۶۱ من هذا الکتاب، و لعبد المطلب مواقف اخری مشابهة، و عدیدة، راجع بصددها مفاهیم القرآن: ج ۵ ص ۱۳۶- ۱۴۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۸

و الی هذه الواقعة یشیر ابو طالب فی قصیدة أولها:

ابونا شفیع الناس حین سقوا بهمن الغیث رجاس العشیر بکور

و نحن- سنین المحل- قام شفیعنابمکة یدعو و المیاه تغور «۱» و قد نقل الشهرستانی هذه الواقعة فی کتابه «الملل و النحل» قال: و ممّا یدل علی معرفته (أی عبد المطلب) بحال الرسالة و شرف النبوة ان اهل مکة لما أصابهم ذلک الجدب العظیم، و امسک السحاب عنهم سنتین أمر ابا طالب ابنه، ان یحضر المصطفی محمّد صلّی اللّه علیه و آله فاحضره ابو طالب، و هو رضیع فی قماط، فوضعه علی یدیه و استقبل الکعبة، و رماه الی السماء، و قال: یا رب بحق هذا الغلام، و رماه ثانیا و ثالثا و کان یقول: بحق هذا الغلام اسقنا غیثا

مغیثا دائما هطلا، فلم یلبث ساعة أن طبق السماء وجه السماء و أمطر، حتی خافوا علی المسجد، و قال أیضا: و ببرکة ذلک النور کان عبد المطلب یأمر أولاده بترک الظلم و البغی، و یحثهم علی مکارم الاخلاق، و ینهاهم عن دنیات الامور.

و کان یقول فی وصایاه: «انه لن یخرج من الدنیا ظلوم حتی ینتقم اللّه منه و تصیبه عقوبة»، الی ان هلک رجل ظلوم حتف انفه لم تصبه عقوبة، فقیل لعبد المطلب فی ذلک، ففکر و قال: ان وراء هذه الدار دارا یجزی فیها المحسن باحسانه و یعاقب فیها المسیء باساءته «۲».

ان توسل عبد المطلب باللّه سبحانه و تولیه عن الاصنام و الاوثان، و التجاءه إلی رب الارباب آیة توحیده الخالص، و ایمانه باللّه و عرفانه بالرسالة الخاتمة، و قداسة صاحبها، فلو لم یکن له الّا هذه الوقائع لکفت فی البرهنة علی ایمانه باللّه، و توحیده له.

و قد اعترف المؤرخون لعبد المطلب بهذا فقد قال الیعقوبی: «و رفض عبد المطلب عبادة الاوثان و الاصنام، و وحد اللّه عزّ و جلّ و وفی بالنذر، و سنّ سننا نزل القرآن باکثرها، و جاءت السنة الشریفة من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۳۱- ۱۳۳.

(۲) الملل و النحل: ج ۲ ص ۲۴۸ و ۲۴۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۹

بها، و هی الوفاء بالنذر، و مائة من الابل فی الدیة، و ان لا تنکح ذات محرم، و لا تؤتی البیوت من ظهورها و قطع ید السارق، و النهی عن قتل الموؤدة، و تحریم الخمر، و تحریم الزنا، و الحدّ علیه، و القرعة، و ان لا یطوف احد بالبیت عریانا، و اضافة الضیف و ان لا ینفقوا اذا حجوا الّا من طیب اموالهم، و تعظیم الاشهر الحرم، و نفی ذوات الرایات «۱».

هذا و عن أم أیمن «رضی اللّه عنها» قالت: کنت أحضن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله (ای اقوم بتربیته و حفظه)، فغافلت عنه یوما فلم ادر الّا بعبد المطلب قائما علی رأسی یقول «یا برکة».

قلت: لبیک.

قال: أ تدرین این وجدت ابنی؟

قلت: لا ادری.

قال: وجدته مع غلمان قریبا من السدرة، لا تغافلی عن ابنی، فان أهل الکتاب یزعمون انه نبیّ هذه الامة، و أنا لا آمن علیه منهم «۲».

و کان عبد المطلب لا یأکل طعاما الّا یقول علیّ بابنی (ای احضروه) و یجلسه بجنبه، و ربما اقعده علی فخذه، و یؤثره بأطیب طعامه.

ثم انه لما بلغ أجله اوصی إلی ابی طالب برسول اللّه و قال له: قد خلّفت فی ایدیکم الشرف العظیم الذی تطئون، به رقاب الناس و قال له أیضا:

اوصیک یا عبد مناف بعدیبمفرد بعد ابیه فرد

فارقه و هو ضجیع المهدفکنت کالام له فی الوجد

تدنیه من أحشائها و الکبدفانت من أرجی بنیی بعدی

لدفع ضیم أو لشدّ عقد

«۳» هذا هو عبد المطلب، و تعوده ببیت اللّه الحرام، و مواقفه بین قومه، و کلماته فی

---

(۱) تاریخ الیعقوبی: ج ۲ ص ۹ فی بعض ما عدّه المؤرخ المذکور نظر.

(۲) سیرة زینی دحلان بهامش السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۶۴.

(۳) تاريخ اليعقوبى: ج ۲ ص ۱۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۹۰

المبدأ و المعاد و عطفه و حنانه على رسول الإسلام، و اهتمامه برسالة خاتم النبيين، و هى بمجموعها من اقوى الشواهد على توحيده، و ايمانه باللّه، و اعترافه برسالة الرسول الكريم.

إيمان كفيله و عمه أبى طالب:

و هكذا كان حال كفيل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الثانى ابو طالب عليه السّلام، فان له مواقف بارزة و كثيرة قبل البعثة النبوية، و بعدها تكشف عن عمق أيمان شيخ الاباطح، و توحيده.

(۱) و من تلك المواقف استسقاؤه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى صباه:

فقد اصاب مكة قحط شديد فى سنة من السنين فطلبت قريش من «أبى طالب» أن يستسقى لها فخرج و معه غلام- و هو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله- كأنه شمس دجن تجلّت عنها سحابة قتماء و حوله اغيلمة، فأخذه «أبو طالب» فألصق ظهره بالكعبة، و لاذ الغلام باصبعه (أى أشار بها إلى السماء) و ما فى السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا و هاهنا، و أغدق، و اغدودق و انفجر له الوادى، و اخصب البادى و النادى.

ففى ذلك يقول ابو طالب- فى مدح رسول اللّه-:

و ابيض يستسقى الغمام بوجههثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشمفهم عنده فى نعمة و فواضل

و ميزان عدل لا يخيس شعيرةو وزّان صدق وزنه غير هائل «۱» (۲) و كل هذا يعرب عن توحيد كفيلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الخالص، و ايمانهما باللّه تعالى، و لو لم يكن لهما إلّا هذين الموقفين لكفياهما دليلا و برهانا على كونهما مؤمنين موحّدين.

---

(۱) شرح البخارى للقسطلانى: ج ۲ ص ۲۲۷، المواهب اللدنية: ج ۱ ص ۴۸، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۲۵، و للتوسع راجع الغدير: ج ۷ ص ۳۴۵ و ۳۴۶، و قد ذكرنا مواقف ابى طالب الايمانية عند البحث عن شخصيته فراجع.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۹۱

كما ان ذلك يدل أيضا على أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نشأ و ترعرع و نما فى بيت كانت الديانة السائدة فيه هى توحيد اللّه، و عبادته وحده و رفض الاصنام و الاوثان.

إيمان والدى النبى الاكرم:

لقد نقلت عن عبد اللّه والد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كلمات و ابيات تدل على ايمانه و من ذلك ما نقله اهل السير عند ما عرضت فاطمة الخثعمية نفسها عليه فقال ردا عليها:

أما الحرام فالممات دونهو الحلّ لا حلّ فاستبينه

يحمى الكريم عرضه و دينهفكيف بالأمر الذى تبغينه «۱» و قد روى عن النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله انه قال: «لم أزل انقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات» و لعل فيه ايعازا إلى طهارة آبائه و امهاته من كل دنس و شرك «۲».

و اما الوالدة فيكفى فى اثبات ايمانها ما رواه الحفاظ عنها عند وفاتها فانها (رضى اللّه عنها) خرجت مع النبى صلّى اللّه عليه و آله و هو

ابن خمس أو ست سنين و نزلت بالمدينة تزور أخوال جده و هم بنو عدى بن النجار و معها أم ايمن «بركة» الحبشية، فاقامت عندهم، و كان الرسول بعد الهجرة يذكر امورا حدثت فى مقامه و يقول: «ان أمى نزلت فى تلك الدار، و كان قوم من اليهود يختلفون و ينظرون إلىّ فنظر إلىّ رجل من اليهود فقال: يا غلام ما اسمك؟ فقلت: أحمد، فنظر الى ظهرى، و سمعته يقول: هذا نبى هذه الامة، ثم راح الى اخوانه فاخبرهم فخافت امّى علىّ فخرجنا من المدينة، فلما كانت بالابواء توفيت و دفنت فيها.

و روى ابو نعيم فى دلائل النبوة عن اسماء بنت رهم قالت: شهدت آمنة أمّ النبى صلّى اللّه عليه و آله فى علتها التى ماتت بها، و محمّد عليه السّلام غلام يفع

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۴۶.

(۲) سيرة زينى دحلان بهامش السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۵۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۹۲

(اى يافع) له خمس سنين عند رأسها فنظرت الى وجهه و خاطبته بقولها:

إن صحّ ما أبصرت فى المنامفانت مبعوث الى الانام

فاللّه انهاك عن الاصنامان لا تواليها مع الاقوام ثمّ قالت: كل حى ميت و كل جديد بال، و كل كبير يفنى، و انا ميتة و ذكرى باق و ولدت طهرا.

و قال الزرقانى فى شرح المواهب نقلا عن جلال الدين السيوطى تعليقا على قولها: و هذا القول منها صريح فى انها كانت موحّدة اذ ذكرت دين ابراهيم عليه السّلام، و بشرت ابنها بالاسلام من عند اللّه، و هل التوحيد شىء غير هذا، فان التوحيد هو الاعتراف باللّه و انه لا شريك له، و البراءة من عبادة الاصنام «۱».

و نلفت نظر القارئ الكريم هنا إلى ما قاله المرحوم الشيخ المفيد فى كتابه «اوائل المقالات» فى هذا الصدد:

اتفقت الإمامية على أن آباء رسول اللّه من لدن آدم إلى عبد اللّه بن عبد المطلب مؤمنون باللّه عزّ و جلّ موحدون له، و احتجوا فى ذلك بالقرآن و الاخبار قال اللّه عزّ و جلّ: «الَّذِى يَراكَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ» «۲».

ثمّ إنّ هنا سؤالين هما:

۱- هل كان صلّى اللّه عليه و آله قبل البعثة موحّدا؟

۲- بما ذا و بأىّ دين كان يتعبّد صلّى اللّه عليه و آله قبل البعثة؟

و إليك الحديث فى هاتين الجهتين:

ايمان النبى باللّه و توحيده قبل البعثة:

إن الدلائل التاريخية- بالاضافة إلى البراهين العقلية و الكلامية- ندل على انه- صلّى اللّه عليه و آله- كان قبل ان يبعثه اللّه بالإسلام، مؤمنا باللّه، موحّدا إياه، لم يعبد وثنا قط، و لم يسجد لصنم أبدا، و ان ذلك من المسلمات.

---

(۱) الاتحاف للشبراوى: ص ۱۴۴ سيرة زينى دحلان بهامش السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۵۷.

(۲) اوائل المقالات: ص ۱۲ و ۱۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۹۳

و هذا الأمر و ان كان أمرا مسلما و واضحا كوضوح الشمس إلا انا نذكر بعض ما جاء فى التاريخ الثابت الصحيح ليقترن ذلك

الاتفاق بأصح الدلائل التاريخية:

اما بغضه للأصنام و تجنبه للاوثان و ما يكون من هذا القبيل فإليك بعض ما ذكره التاريخ الصحيح فى هذا المجال:

۱- جاء فى حديث طويل: ان النبى صلّى اللّه عليه و آله لما تم له ثلاث سنين قال يوما لوالدته (لمرضعته) حليمة السعدية: مالى لا أرى أخوىّ بالنهار، قالت له: يا بنىّ انّهما يرعيان غنيمات.

قال: فمالى لا أخرج معهما، قالت له: أ تحبّ ذلك؟ قال: نعم، فلما أصبح محمّد دهّنته (تقول حليمة) و كحّلته و علّقت فى عنقه خيطا فيه جزع يمانىّ، فنزعه ثم قال لأمّه:

«مهلا يا امّاه فانّ معى من يحفظنى» «۱».

۲- روى ان «بحيرا» الراهب قال للنبى صلّى اللّه عليه و آله فى سفرته الاولى مع عمّه أبى طالب الى الشام: يا غلام اسألك بحق اللات و العزى الا أخبرتنى عما اسألك، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«لا تسألنى باللات و العزّى فو اللّه ما ابغضت شيئا بغضهما» قال الراهب:

باللّه الا أخبرتنى عما أسألك عنه، قال صلّى اللّه عليه و آله: سلنى عمّا بدا لك «۲».

۳- روى أنه قد وقع بين النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و بين رجل تلاح فى سفرته الثانية الى الشام للتجارة بأموال خديجة مع غلامها «ميسرة» بعد أن باع صلّى اللّه عليه و آله سلعته، فقال له الرجل: احلف باللات و العزى، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

---

(۱) المنتقى، الباب الثانى من القسم الثانى- للكازرونى كما فى البحار: ج ۱۵، ص ۳۹۲.

(۲) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۱۵۴، السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۸۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۴

«ما حلفت بهما قطّ، و إنّى لأمرّ فاعرض عنهما».

و فى رواية اخرى:

«إليك عنى ثكلتك امّك فما تكلمات العرب بكلمة اثقل علىّ من هذه الكلمة».

فقال الرجل: القول قولك. ثم قال لميسرة: هذا و اللّه نبىّ «۱».

(۱) و اما عبادته للّه تعالى فقد أجمع المؤرخون على أنه صلّى اللّه عليه و آله كان يخلو بحراء كل عام أشهرا يعبد فيه اللّه تعالى.

و قد قال الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السّلام فى هذا المجال:

«و لقد كان يجاور فى كلّ سنة بحراء، فأراه و لا يراه غيرى» «۲».

حتى أن جبرئيل وافاه بالرسالة فى ذلك المكان، و فى تلك الحال.

و قد صرّح بهذا أصحاب الصحاح الستة أيضا اذ قالوا:

«و كان يخلو بحراء فيتحنّث فيه، و هو التعبد فى الليالى ذوات العدد» «۳».

كما ان الإمام امير المؤمنين عليه السّلام وصف هذا المقطع من حياة النبى صلّى اللّه عليه و آله بقوله:

«و لقد قرن اللّه به صلّى اللّه عليه و آله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره» «۴».

و جاء فى الأخبار انّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حجّ قبل البعثة حجات عديدة و كان يأتى بمناسكها على وجه صحيح بعيدا عن أعين قريش.

قال الإمام الصادق عليه السّلام: فى حديث ابن أبى يعفور:

«حج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عشر حجّات مستترا فی کلّها» «۵».

و فی روایة: عشرین حجة «۶».

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۱۵۶، بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۱۸.

(۲) نهج البلاغة: قسم الخطب، الخطبة ۱۹۲.

(۳) صحیح البخاری: ج ۱ ص ۲، صحیح مسلم باب الایمان، مسند أحمد: ج ۶، الحدیث ۲۳۳.

(۴) نهج البلاغة: قسم الخطب الخطبة رقم ۱۹۲.

(۵) وسائل الشیعة: ج ۸، ص ۸۸ أبواب وجوب الحج.

(۶) وسائل الشیعة: ج ۸، ص ۸۸ أبواب وجوب الحج.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۵

و السبب فی هذا الاستتار هو أن قریش کانت قد اسقطت بعض مناسک الحج، و العمرة، فکانت تؤدّی الحج بصورة غیر صحیحة و ربما غیرت أشهر الحج احیانا لبعض الاعتبارات السیاسیة و المادیة، و هو ما سمی بالنسیء، و قد مرّ بیانه «۱».

ان هذه الوقائع و غیرها- و هی لیست بقلیلة اصدق دلیل علی إیمانه صلّی اللّه علیه و آله، و توحیده، اذ کیف یمکن أن یتنکّب مثل هذه الشخصیة التی نشأت و ترعرعت فی ذلک البیت الطاهر، و قرن اللّه به ملکا یتولاه بالتربیة و الهدایة عن جادة التوحید.

ثم أن ممّا لا ریب فیه أن الرسول الخاتم صلّی اللّه علیه و آله هو افضل من جمیع الأنبیاء و المرسلین بنص القرآن الکریم.

و قد صرح القرآن بان بعض الأنبیاء بلغوا درجة النبوة فی الصغر، أو الصبا، و نزلت علیهم الکتب فی تلک الفترات.

فمثلا یقول القرآن الکریم عن یحیی بن زکریا: «یا یحیی خذ الکتاب بقوّة و آتیناه الحکم صبیّا» «۲».

(۱) ثمّ یقول عن «عیسی بن مریم» عند ما کان فی المهد و کان وجوه القوم من بنی إسرائیل قد استنکروا ولادته من غیر أب، و طلبوا من «مریم البتول» ان توضح لهم الأمر، و تبین لهم کیف حملت بعیسی؟!! فأشارت الی المسیح علیه السّلام أن کلّموه و هو آنذاک فی المهد لم یمض علی ولادته سوی أیام معدودات؛ فنطق المسیح بفصاحة کبیرة و قال:

«إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الْکِتابَ وَ جَعَلَنِی نَبِیًّا. وَ جَعَلَنِی مُبارَکاً أَیْنَ ما کُنْتُ وَ أَوْصانِی بِالصَّلاةِ وَ الزَّکاةِ ما دُمْتُ حَیًّا» «۳».

لقد بیّن ولید «مریم» للناس اصول دینه و فروعه فی فترة الطفولة و الرضاعة، و أعلن لهم عن توحیده و ایمانه باللّه سبحانه.

---

(۱) راجع الصفحة ۸۳ و ۸۴ من هذا الکتاب.

(۲) مریم: ۱۲.

(۳) مریم: ۳۰ و ۳۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۶

فهل یرضی ضمیرک أیها القارئ الکریم أن یکون «یحیی» و «المسیح» علیهما السّلام مؤمنین معلنین عن توحیدهما، و إیمانهما منذ طفولتهما، و صباهما، و یکون أفضل الأنبیاء و المرسلین، و أشرف الخلق أجمعین إلی سنّ الأربعین علی غیر إیمان، و توحید، مع أنه صلّی اللّه علیه و آله کان مشتغلا بالتعبّد فی جبل «حراء» عند نزول ملاک الوحی علیه لأول مرة؟

و إلیک بعض ما قاله المؤرخون، و العلماء فی هذا المجال استکمالا لهذا المبحث:

قال ابن هشام: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یجاور ذلک الشهر من کل سنة یطعم من جاءه من المساکین فاذا قضی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله جواره من شهره ذلک کان أول ما یبدأ به اذا انصرف من جواره، الکعبة، قبل أن یدخل بیته، فیطوف به سبعا أو

ما شاء اللّه من ذلک، ثم یرجع الی بیته حتی اذا کان الشهر الذی أراد اللّه تعالی به فیه ما أراد من کرامته من السنة التی بعثه اللّه تعالی فیها، و ذلک الشهر شهر رمضان، خرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الی «حراء» کما کان یخرج لجواره و معه اهله حتی اذا کانت اللیلة التی اکرمه اللّه فیها برسالته و رحم العباد بها جاءه جبرئیل علیه السّلام بامر اللّه تعالی «۱».

و قال العلامة المجلسی: قد ورد أخبار کثیرة انه صلّی اللّه علیه و آله کان یطوف، و انه کان یعبد اللّه فی حراء، و انه کان یراعی الآداب المنقولة من التسمیة و التحمید عند الاکل و غیره، و کیف یجوّز ذو مسکة من العقل علی اللّه تعالی ان یهمل افضل انبیائه اربعین سنة بغیر عبادة؟ و المکابرة فی ذلک سفسطة «۲».

فایمان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و توحیده قبل البعثة، اذن، أمر مسلم لا شبهة فیه، و لا غبار علیه.

و لکن بعض الکتاب من المسیحیین و من تبعهم، من المستشرقین و غیرهم، أبوا إلّا أن ینتقصوا النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله فادّعوا ضلاله قبل البعثة،

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۳۶.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۸، ص ۲۸۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۷

و إنه کان علی غیر إیمان، أو توحید، و استدلّوا لزعمهم الباطل هذا بما توهّموا أنه یدلّ علی دعواهم من الآیات القرآنیة، و أبرزها الآیات التالیة:

۱- «أ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآوی. وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی» «۱».

۲- «وَ ثِیابَکَ فَطَهِّرْ. وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ» «۲».

۳- «وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ وَ لکِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ» «۳».

۴- «قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَیْکُمْ وَ لا أَدْراکُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أ فَلا تَعْقِلُونَ» «۴».

۵- «وَ ما کُنْتَ تَرْجُوا أَنْ یُلْقی إِلَیْکَ الْکِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ» «۵».

لقد استدل المستشرقون و من لفّ لفهم و من سبقهم او لحقهم من المخطّئة بهذه الآیات علی ضلال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قبل البعثة، و سلب الایمان عنه، و لکنها لا تدل علی ما یریدون، و لا جل تسلیط الضوء علی مقاصدهم نبحث عنها واحدة واحدة.

الآیة الاولی: الهدایة بعد الضلالة

ذکر المفسرون لقوله تعالی: «وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی» الذی یشعر بهدایة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بعد الضلالة احتمالات عدیدة، فی معرض الاجابة علی استدلال من استدل به لا- ثبات ضلال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قبل البعثة و لکن الحق ان یقال: أنّ الضال یستعمل فی عرف اللغة فی موارد:

۱- الضالّ: من الضلالة ضد الهدایة و الرشاد.

۲- الضالّ: من ضلّ البعیر اذا لم یعرف مکانه.

---

(۱) الضحی: ۶ و ۷.

(۲) المدّثر: ۴ و ۵.

(۳) الشورى: ۵۲.

(۴) يونس: ۱۶.

(۵) القصص: ۸۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۹۸

۳- الضالّ: من ضلّ الشيء اذا ضؤل و خفى ذكره.

و تفسير الآية بأىّ واحدة من هذه المعانى لا يثبت ما يدعيه الذين يتمسكون بها لاثبات ضلال النبى صلّى اللّه عليه و آله قبل البعثة.

أما المعنى الأول فهو المقصود فى كثير من الآيات قال سبحانه: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ» «۱».

لكن الضلالة على نوعين:

النوع الأول ما تكون الضلالة فيه أمرا وجوديا فى النفس يوجب ظلمة النفس و منقصتها، مثل الكفر و الشرك و النفاق، و الضلالة بهذا المعنى قابلة للزيادة و النقصان قال سبحانه: «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ» «۲».

النوع الثانى ما تكون الضلالة فيه أمرا عدميا، و ذلك عند ما تكون النفس فاقدة للرشاد، و عندئذ يكون الإنسان ضالا بمعنى أنه غير واجد للهداية من عند نفسه، و ذلك كالطفل الذى أشرف على التمييز و كاد أن يعرف الخير و الشر، و يميز بين الصلاح و الفساد فهو آنذاك ضالّ بمعنى أنه غير واجد للنور الذى يهتدى به فى سبل الحياة لا بمعنى كينونة ظلمة الكفر و الفسق فى نفسه و روحه.

و المراد من الضالّ فى قوله تعالى «وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى» لو كان ما يضادّ الهداية فهو يهدف الى النوع الثانى، فيكون المعنى انك فى ابان عمرك كنت غير واجد للهداية من عند نفسك فهداك اللّه إلى اسباب السعادة و عرفك عوامل الشقاء، و هو اشارة إلى قانون الهى عام فى حياة البشر انبياء و اناسا ماديين، و هو ان هداية كل إنسان بل كل ممكن مكتسبة من اللّه قال سبحانه: «قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى» «۳».

و على هذا الاساس فالآية تهدف إلى ذكر النعم التى انعم اللّه بها على نبيه الحبيب منذ ان استعد لها فاواه بعد ما صار يتيما، و أفاض عليه الهداية بعد ما كان

---

(۱) الفاتحة: ۷.

(۲) التوبة: ۳۷.

(۳) طه: ۵۰، و راجع الآيات: ۲ و ۳ من سورة الأعلى و ۴۳ من سورة الأعراف و ۷۸ من سورة الشعراء و غيرها.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۹۹

فاقدا لها بحسب ذاته، و بحكم طبيعته، و يعود زمن هذه العناية الربانية بنبيه إلى مطلع حياته، و اوليات عمره و ايام صباه بقرينة ذكر ذلك بعد الايواء الذى تحقق باليتم، و تمّ بجده عبد المطلب فوقع فى كفالته إلى ثمانية سنين، و يؤيد ذلك قول امام المتقين على بن ابى طالب عليه السّلام: «و لقد قرن اللّه به صلّى اللّه عليه و آله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره» «۱».

و صفوة القول أن المراد بكونه ضالا هو أن لازم كون النبى ممكنا بالذات هو كونه فاقدا فى ذاته لكل كمال و جمال، مفاضا عليه كل جميل من جانب اللّه تعالى و هذا هو اشارة إلى مقتضى التوحيد الافعالى و اين هذا من الضلالة المساوقة للكفر أو الشرك أو الفسق و العصيان؟!

ثم ان من المحتمل ان تكون الضلالة فى الآية مأخوذة من «ضلّ الشيء اذا لم يعرف مكانه» و فى الحديث «الحكمة ضالّة المؤمن» اى مفقودته، لا ضدّ الهداية و الرشاد، فيكون الضالّ بهذا المعنى منطبقا على ما نقله أهل السير و التواريخ عن ما جرى للنبىّ صلّى اللّه عليه

و آله فى ايام صباه يوم ضلّ فى شعاب مكة، و هو صغير فمنّ اللّه عليه اذ ردّه الى جدّه، و قصته معروفة فى كتب السير و التاريخ «۲» و لو لا رحمة اللّه سبحانه لادركه الهلاك و مات عطشا أو جوعا فشملته العناية الالهية.

أو أن تكون الضلالة فى الآية مأخوذة من «ضلّ الشيء اذا خفى و غاب عن الأعين» فالانسان الضال هو الإنسان المخفى ذكره، المنسيّ اسمه لا يعرفه إلا القليل من الناس، و لا يهتدى كثير منهم إليه.

و لو كان هذا هو المقصود، كان معناه حينئذ انه سبحانه رفع ذكره، و عرّفه

(۱) نهج البلاغة: من الخطبة ۱۷۸ و المسمّاة بالقاصعة ص ۱۸۲.

(۲) لاحظ السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۳۱ و غيره، و فى هذه القصة يروى عن حيدة بن معاوية العامرى سمعت شيخا يطوف بالبيت و هو يقول:

يا ربّ ردّ راكبى محمّداأردده ربّى و اصطنع عندى يدا

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۰۰

للناس بعد ما كان خاملا ذكره منسيا اسمه.

و يؤيد هذا الاحتمال قوله سبحانه فى سورة الانشراح التى نزلت لتحليل ما ورد فى سورة الضحى قائلا:

«أَ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَ وَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ. الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ. وَ رَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ» «۱».

فرفع ذكره فى العالم عبارة عن هداية الناس إليه، و رفع الحواجز بينه، و بينهم و على هذا فالمقصود من «الهداية» هو هداية الناس إليه لا هدايته بعد ضلال، فكأنه قال: فوجدك ضالا، أى خاملا ذكرك، باهتا اسمك، فهدى الناس إليك، و سيّر ذكرك فى البلاد.

و الى ذلك يشير الإمام الرضا عليه السّلام على ما فى خبر ابن الجهم بقوله:

«قال اللّه عزّ و جلّ لنبيه محمّد صلّى اللّه عليه و آله: «أ لم يجدك يتيما فآوى» يقول: «أ لم يجدك» وحيدا فآوى إليك الناس «و وجدك ضالّا» يعنى عند قومك «فهدى» أى هداهم إلى معرفتك» «۲». قال الاستاذ الشيخ محمّد عبده فى هذا المجال:

لقد بغّضت إليه (أى الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله) الوثنيّة من مبدأ عمره فعاجلته طهارة العقيدة، كما بادره حسن الخليقة، و ما جاء فى الكتاب من قوله: «و وجدك ضالّا فهدى» لا يفهم منه أنه كان على وثنية قبل الاهتداء إلى التوحيد، أو على غير السبيل القويم، قبل الخلق العظيم حاش للّه، إنّ ذلك لهو الإفك المبين «۳».

الآية الثانية: الأمر بهجر الرجز

استدلّوا بقول اللّه تعالى «و الرجز فاهجر» على وجود ارضية لعبادة الصنم

(۱) الانشراح: ۱- ۴.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۴۲.

(۳) رسالة التوحيد للشيخ محمّد عبده: ص ۱۳۵ و ۱۳۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۰۱

و الوثن فى شخصية رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ذلك بتفسير الرجز بالصنم، و الوثن، و يتضح بطلان هذا الادعاء و الاستنباط اذا أمعنا فى معانى و استعمالات هذه اللفظة فى الكتاب العزيز.

ان الرجز استعمل فى القرآن الكريم فى معان ثلاثة: العذاب، القذارة، الصنم.

و قد استعمل الرجز (بكسر الراء) فى تسع موارد فى القرآن الكريم، و قد اريد منه فى جميعها العذاب إلّا فى مورد واحد: و هى: البقرة- ۵۹، و الاعراف ۱۳۴ (و جاءت اللفظة فيها مرتين) و ۱۳۵ و ۱۶۲ و الانفال- ۱۱ و سبأ- ۵ و الجاثية- ۱۱ و العنكبوت- ۳۴.

و جاء الرجز- بضمّ الراء- مرّة واحدة و هى الآية التى نحن بصددها هنا «۱».

و هذه الآية لا تدل على ما ذهب إليه الذين يزعمون بان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان على غير التوحيد قبل البعثة.

و إليك بيان هذا الموضوع مفصلا:

۱- ان الرجز لو كان بمعنى «العذاب» دلّت الآية على هجر ما يستلزم العذاب، فيكون الخطاب حينئذ مسوقا من باب التعليم، و من باب «اياك أعنى و اسمعى يا جاره»، فيكون ظاهر الأمر هو مخاطبة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و نهيه عما يستلزم العذاب، و ارادة تعليم الامة مثل قول اللّه تعالى فى خطابه للنبى «فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ» «۲». و قوله تعالى: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» «۳» فكمالا تدلّ الآية على وجود أرضية الشرك فى شخصية النبى صلّى اللّه عليه و آله، كذلك لا تدل الآية على وجود أرضية التعرض للعذاب فى شخصية رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

۲- إن الرجز لو كان بمعنى (القذارة) و هى تنقسم الى مادية و معنوية فيحتمل ان يكون المراد بناء على المعنى الأول اشارة إلى ما ورد فى الروايات من

---

(۱) المدّثر: ۵.

(۲) القصص: ۸۶.

(۳) الزمر: ۶۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۰۲

أنّ ابا جهل جاء بشيء قذر، و أمر رجلا من قريش بالقائه على النبىّ، ففعل، فأمر اللّه نبيه بتطهير ثوبه من الدنس.

و يحتمل ان تكون الآية دعوة إلى اجتناب الصفات الذميمة بناء على ارادة المعنى الثانى للفظة الرجز فتكون الآية تعليما للناس على النمط السابق، فلا تدل على اتصاف النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله بها.

۳- الرجز بمعنى الصنم، لنفترض أن المقصود منه فى الآية هو الصنم، لكن لا بمعنى أنه وضع لذاك المعنى، و إنّما وضع اللفظ لمعنى جامع يعمّ الصنم و الخمر و الازلام لاشتراك الجميع فى كونها رجزا، و لأجل ذلك وصف الجميع فى مورد آخر بالرجس فقال تعالى: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ» «۱».

و لكن يجاب عن هذا أيضا بأن النبىّ يوم نزلت الآية لم يكن عابدا للوثن بل كان مشمّرا عن ساعد الجدّ لتحطيم الاصنام و مكافحة عبدتها، فلا يصح أن يخاطب من هذا شأنه بهجر الاصنام إلا على السبيل الذى أشرنا إليه، و هو توجيه الخطاب إلى النبىّ و إرادة الامة به لكون هذا النوع من الخطاب أبلغ فى التأثير، لأنه سبحانه اذا خاطب أعزّ الناس إليه بهذا الخطاب فغيره أولى به.

الآية الرابعة: عدم رجائه إلقاء الكتاب إليه

قال تعالى: «وَ ما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ» «۳».

استدلّوا بأن ظاهر الآية نفى علمه بالقاء الكتاب إليه، فلم يكن النبى راجيا لذلك واقفا عليه.

أقول: ان توضيح مفاد هذه الآية يتوقف على إمعان النظر فى الجملة الاستثنائية اعنى قوله: «الّا رحمة من ربّك» حتى يتضح المقصود، و قد ذكر المفسرون فى توضيحها وجوها ثلاثة نأتى بها:

۱- إن «إلّا» استدراكية، و ليست استثنائية فهى بمعنى «لكنّ» لاستدراك ما بقى من المقصود، و حاصل معنى الآية: «ما كنت يا محمّد

ترجو فيما مضـى أن يوحى اللّه إليك و يشرّفك بإنزال القرآن عليك، إلّا أن ربّك رحمك، و انعم به عليك و اراد بك الخير» نظير قوله سبحانه: «وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» «۴» اى و لكن رحمة من ربك خصّصك به و هذا هو المنقول

---

(۱) البقرة: ۱۴۳.

(۲) الميزان: ج ۱۸ ص ۸۰.

(۳) القصص: ۸۶.

(۴) القصص: ۴۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۰۹

عن الفراء «۱».

و على هذا لم يكن للنبى صلّى اللّه عليه و آله اى رجاء لالقاء الكتاب إليه، و انما فاجأه الالقاء لأجل رحمة ربه.

و لكن لا يصار إلى هذا الوجه إلّا اذا امتنع كون الاستثناء متصلا لكون الانقطاع على خلاف الظاهر.

۲- ان يكون «إلّا» للاستثناء لا للاستدراك و هو متصل لا منقطع، و لكن المستثنى منه جملة محذوفة معلومة من سياق الكلام، و هو كما فى الكشاف: «و ما القى إليك الكتاب إلّا رحمة من ربك» «۲» اى لم يكن لا- لقائه عليك وجه إلّا رحمة ربك، و على هذا الوجه أيضا لا يعلم انه كان للنبى صلّى اللّه عليه و آله رجاء لا لقاء الكتاب عليه و ان كان الاستثناء متصلا.

و هذا الوجه بعيد أيضا لكون المستثنى منه، محذوفا مفهوما من الجملة على خلاف الظاهر و انما يصار إليه اذا لم يصحّ ارجاعه إلى نفس الجملة الواردة فى نفس الآية كما سيبيّن فى الوجه الثالث.

۳- أن يكون «إلّا» استثناء من الجملة السابقة عليه اعنى قوله: «و ما كنت ترجو» و يكون معناه: ما كنت ترجو القاء الكتاب عليك إلّا أن يرحمك اللّه برحمة فينعم عليك بذلك، فتكون النتيجة: ما كنت ترجو إلّا على هذا «۳».

فيكون هنا رجاء منفيا، و رجاء مثبتا، أما الأول فهو رجاؤه بحادثة نزول الكتاب على نسج رجائه بالحوادث العادية، فلم يكن ذاك الرجاء موجودا.

و اما رجاؤه به عن طريق الرحمة الالهية فكان موجودا فنفى أحد الرجاءين لا يستلزم نفى الآخر، بل المنفىّ هو الأول، و الثابت هو الثانى و هذا الوجه هو الظاهر المتبادر من الآية.

و قد سبق منّا أن جملة «ما كنت» و ما اشبهه (تستعمل فى نفى الامكان،

---

(۱) مجمع البيان: ج ۴ ص ۲۶۹، مفاتيح الغيب: ج ۶ ص ۴۰۸.

(۲) الكشاف: ج ۲ ص ۴۸۷ و ۴۸۸.

(۳) مفاتيح الغيب: ج ۶ ص ۴۹۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۱۰

و الشأن، و على ذلك يكون معنى الجملة: لم تكن راجيا لأن يلقى إليك الكتاب، و تكون طرفا للوحى، و الخطاب الّا من جهة خاصة، و هى أن تقع فى مظلة رحمته و موضع عنايته، فيختارك طرفا لوحيه، و مخاطبا لكلامه، فالنبى بما هو انسان عادى لم يكن راجيا لأن ينزل إليه الوحى، و يلقى إليه الكتاب، و بما انه صار مشمولا لرحمته و عنايته، و صار انسانا مثاليا، قابلا لتحمل المسئولية، و تربية الامة، كان راجيا به، و على ذلك فالنفى و الاثبات غير واردين على موضع واحد.

و بهـذا خرجنا بفضل هـذا البحث الضافى أنه صـلّى اللّه عليه و آله كان إنسانا مؤمنا موحّـدا عابـدا للّه ساجـدا قائما بالفرائض العقلية و الشرعية مجتنبا عن المحرمات عالما بالكتاب و مؤمنا به إجمالا و راجيا لنزوله إليه إلى أن بعث لانقاذ البشرية عن الجهل، و سوقها إلى الكمال. سيد المرسلين ج۱ ۳۱۰ الآية الخامسة: لو لم يشأ ما تلوته ..... ص : ۳۱۰

الآية الخامسة: لو لم يشأ ما تلوته

قـال سـبحانه: «قُلْ لَوْ شـاءَ اللَّهُ مـا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ فَقَـدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ» «۱»، و الآيـة تؤكد أن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله كـان لا بثـا فى قومه، و لـم يكن تاليـا لسورة من سور القرآن، أو آيـة من آيـاته و ليس هـذا شـىء ينكره القائلون بالعصـمة، فقـد اتفقت كلمتهم على أنّ النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله وقف على ما وقف عليه من آى الذكر الحكيم من جانب الوحى، و لم يكن قبله عالما به و اين هذا من قول المخطئة من نفى الايمان منه قبلها.

و ان اردت الاسـهاب فى تفسـيرها فلاحـظ الآيـة المتقدمـة، فترى فيهـا اقتراحين للمشـركين و قـد اجاب القرآن عن أحـدهما فى الآية المتقدمـة و عن الآخر فى نفس هـذه الآيـة و إليك نصّـها: «قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» «۲».

---

(۱) يونس: ۱۶.

(۲) يونس: ۱۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۱۱

اقترح المشركون على النبى أحد الأمرين:

۱- الإتيان بقرآن غير هذا مع التحفظ على فصاحته و بلاغته.

۲- تبديل بعض آياته مما فيه سبّ لآلهتهم و تنديد بعبادتهم للاوثان و الاصنام.

فأجاب عن الثانى فى نفس الآية بان التبديل عصيان للّه، و انه يخاف من مخالفة ربه، و لا محيص له إلّا إتباع الوحى من دون أن يزيد فيه او بنقص عنه.

و اجاب عن الأول فى الآية المبحوث عنها بان ذلك أمر غير ممكن لأن القرآن ليس من صنعى و كلامى حتى أذهب به و آتى بآخر، بل هو كلام اللّه سبحانه و قد تعلقت مشيئته بتلاوتى، و لو لم يشأ لما تلوته عليكم و لا ادراكم به، و الدليل على ذلك أنى كنت لابثا فيكم عمرا من قبل فما تكلمات بسورة أو بآيـة من آياته، و لو كان القرآن كلامى لبادرت إلى التكلم به، أيام معاشرتى السابقة معكم فى المدة الطويلة، المديدة.

قال العلامـة الطباطبائى فى تفسـير الآية: إن الأمر فيه إلى مشـيئة اللّه لا إلى مشيئتى، فانما أنا رسول و لو شاء اللّه ان ينزل قرآنا غير هذا لأنزل، أو لم يشأ تلاوة هـذا القرآن مـا تلوته عليكم، و لا أدراكم به فـانى مكثت عمرا من قبـل نزوله، و لو كـان ذلك إلىّ و بيـدى لبادرت إليه قبل ذلك و بدت من ذلك آثار و لاحت لوائحه «۱».

فكيف يمكن و الحال هذه أن يكون مجانبا للإيمان باللّه و توحيده، لاهيا عن عبادته و تقديسه.

هـذا و فى هـذا المجال حـديث واسع اكتفينا منه بهـذا القدر، و من أراد التوسع أن يراجع الجزء الخامس من مفاهيم القرآن ص ۱۳۵- ۱۹۱.

و أما الكلام فى الجهـة الثانيـة و هى: أنه بما ذا و بأىّ دين كان يتعبّـد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله قبل البعثة، فقد وقع ذلك محطا للبحث بين العلماء، و حيث انه لا ينطوى على فائدة كبرى، بعد أن تبين أنه كان قبل البعثة

(۱) المیزان: ج ۱۰ ص ۲۶، و لاحظ المنار: ج ۱۱ ص ۳۲۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۲

مؤمنا، موحّدا، یعبد اللّه، فإنّه یکفی أن نعرف أنه کان صلّی اللّه علیه و آله یلتزم بما ثبت له أنه شرع اللّه تعالی ... و بما یؤدّی إلیه عقله الفطری السلیم، و أنه بالتالی کان مؤیدا مسدّدا، و أنه کان أفضل الخلق و اکملهم خلقا، و خلقا، و عقلا، و انه کان یعمل حسب ما یلهم سواء أ کان مطابقا لشرع ما قبله أم مخالفا و أن هادیه و قائده منذ صباه إلی ان بعث هو نفس هادیه بعد البعثة «۱».

(۱) و للتوسّع و الوقوف علی الآراء المختلفة فی هذا المجال راجع الجزء الخامس من مفاهیم القرآن: ص ۱۳۵- ۱۹۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۳

(۱)

۱۱ بدء الوحی

اشارة

انّ التاریخ الإسلامی یبدأ فی الحقیقة من یوم بعثة الرسول صلّی اللّه علیه و آله بالرسالة، و التی وقعت علی أثره حوادث خاصة.

و یوم بعث النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله لهدایة الناس، و دوّی فی سمعه الشریف نداء «إنک لرسول اللّه» الصادر عن ملاک الوحی القیت علی کاهله مسئولیة کبری و ثقیلة جدّا، علی نمط الوظیفة الهامة التی القیت علی کاهل من سبقه من الأنبیاء و الرسل صلوات اللّه علیهم أجمعین.

منذ ذلک الیوم اتضح هدف أمین قریش، أکثر فأکثر، و تجلت خطته اکثر فأکثر.

و نحن نری من اللازم قبل شرح الحوادث الاولی الواقعة عند البعثة ان نعطی بعض الایضاحات حول مسألتین:

۱- وجوب بعث الأنبیاء.

۲- دور الأنبیاء فی اصلاح المجتمع.

لقد أودع اللّه تعالی فی کیان کلّ کائن من الکائنات أدوات تکامله، و جهّزه- لسلوک هذا الطریق- بالوسائل المتنوعة، و الأجهزة المختلفة اللازمة.

و لنأخذ مثلا: نبتة صغیرة، فان ثمة عوامل کثیرة تتفاعل فی ما بینها و تعمل

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۴

لتحقیق التکامل فیها.

ان جذور کل نبتة تعمل اکبر قدر ممکن لامتصاص العناصر الغذائیة، و تلبیة احتیاجات النبتة، و توصل العروق و القنوات المختلفة، عصارة ما تأخذه من الارض إلی جمیع الاغصان و الاوراق.

إننا لو درسنا جهاز (وردة) لرأیناه اکثر مدعاة للاعجاب و أشد اثارة للتعجب من ترکیب بقیة النباتات.

فللکأس وظیفة توفیر الغطاء اللازم للاوراق الناعمة اللطیفة فی الوردة.

و هکذا الحال بالنسبة الی بقیة الأجهزة فی (الوردة) ممّا انیط إلیها مسئولیة الحفاظ علی کائن حیّ، و ضمان رشده و نموّه، فإنها جمیعا

تقوم بوظائفها المخلوقة لها بأحسن شكل، و أفضل صورة.

و لو أننا خطونا خطوات اكثر و تقدّمنا بعض الشىء لدراسة الأجهزة العجيبة فى عالم الأحياء، لرأينا أنها جميعا و بدون استثناء مزوّدة بما يضمن بلوغها الى مرحلة الكمال المطلوب لها.

(۱) و إذا أردنا أن نصبّ هذا الموضوع فى قالب علمىّ لوجب أن نقول: انّ الهداية التكوينية، التى هى النعمة المتجلّية فى عالم الطبيعة، تشمل كل موجودات هذا العالم من نبات، و حيوان و انسان.

و يبيّن القرآن الكريم هذه الهداية التكوينية الشاملة بقوله:

«رَبُّنَا الَّذِی أَعْطی کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدی» «۱».

فانّه يصرّح بأن كل شىء فى هذا الكون من الذرة إلى المجرّة ينعم بهذا الفيض العامّ، و انّ اللّه تعالى بعد أن قدّر كل موجود و كائن، بيّن له طريق تكامله، و رقيّه، و هيأ لكل كائن من تلك الكائنات ما يحتاج إليه فى تربيته و نموّه، و هذه هى (الهداية التكوينية العامة) السائدة على كل ارجاء الخليقة دون ما استثناء.

---

(۱) طه: ۵۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۵

(۱) و لكن هل تكفى هذه الهداية الفطرية، التكوينية لكائن مثل الإنسان، اشرف الموجودات، و افضل ما فى هذه الخليقة؟! بكل تأكيد: لا.

لأن للإنسان حياة اخرى غير الحياة المادية، تشكل اساس حياته الواقعية، و لو كان للإنسان حياة مادية جافّة فقط مثلما لعالم النباتات، و الحيوانات، لكفت العوامل و العناصر المادية فى تكامله، و الحال أن للإنسان نوعين من الحياة، يكمن فى تكاملهما معا رمز سعادة الإنسان و رقيّه.

ان الإنسان الأول، و نعنى به انسان الكهوف و الحياة البسيطة و الفطرة السليمة التى لم يطرأ على جبلته اى اعوجاج لم يكن بحاجة إلى ما يحتاج إليه الإنسان الاجتماعىّ من التربية و الهداية.

(۲) و لكن عند ما خطى الإنسان خطوان أبعد من ذلك، و بدأ الحياة الاجتماعية، و سادت على حياته فكرة التعاون و العمل الجماعى برزت فى روحه و نفسيته سلسلة من الانحرافات نتيجة للاحتكاك الاجتماعى، و غيّرت الخصال القبيحة و الافكار الخاطئة صفاته الفطرية، و بالتالى اخرج المجتمع من حالة التوازن!

إن هذه الانحرافات حملت خالق الكون على أن يرسل إلى البشرية رجالا أفذاذا صالحين يتولّون تربية البشر، و ليقوموا بتنظيم برنامج المجتمع، و التخفيف من المفاسد الناشئة- بصورة مباشرة- عن النزعة الاجتماعية لدى الإنسان، و ليضيئوا- بمشاعل الوحى المشعّة المنيرة- طريق السعادة و الخير للانسانية فى جميع المجالات و الابعاد.

إذ لا نقاش فى أنّ الحياة الاجتماعية و العيش بصورة جماعية مع كونه مفيدا، ينطوى على مفاسد لا تنكر، و يجرّ إلى انحرافات كثيرة لا تقبل الترديد.

(۳) و لهذا بعث اللّه سبحانه رجالا مصلحين، و هداة مرشدين يعملون- قدر الامكان- على الحدّ من الانحرافات و المفاسد، و يضعون عجلة المجتمع- بتنظيم القوانين الواضحة و الانظمة الحكيمة- على الطريق الصحيح، و يضمنون دورانها

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۶

و حركتها فى المسار المستقيم.

و قد يستفاد هذا الأمر- بوضوح- من قوله تعالى:

«كانَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ» «۱».

(۱)

دور الأنبياء فى اصلاح المجتمع:

ان الذى يتصوره الناس عادة هو أنّ الأنبياء مجرد معلّمين إلهيين بعثوا لتعليم البشرية.

فكما يتعلم الطفل خلال حركته التعليمية ابتداء من الابتدائية و مرورا بالمتوسطة و انتهاء بالجامعة دروسا معينة و مواضيع خاصة على ايدى الاساتذة و المعلمين، كذلك يتعلم الناس فى مدرسة الأنبياء امورا خاصة، و يكتسبون معارف معينة، و تتكامل أخلاقهم و صفاتهم و خصالهم الاجتماعية جنبا الى جنب مع اكتسابهم المعرفة و العلم على أيدى الأنبياء و المرسلين.

و لكننا نتصور أن مهمة الأنبياء وظيفتهم الأساسية هى (تربية) المجتمعات البشرية لا تعليمها، و ان اساس شريعتهم لا ينطوى على كلام جديد، و انه ما لم تنحرف الفطرة البشرية عن مسارها الصحيح، و ما لم تلفها غشاوات الجهل و الغافلة لعرفت و ادركت خلاصة الدين الإلهى، و عصارتها، فى غير ابهام، و لا خفاء.

على أن هذه الحقيقة قد أشار إليها قادة الإسلام العظماء.

(۲) فقد قال امير المؤمنين عليه السّلام فى نهج البلاغة عن هدف الأنبياء:

«أخذ على الوحى ميثاقهم، و على تبليغ الرسالة أمانتهم ... ليستأدوهم ميثاق فطرته، و يذكروهم منسىّ نعمته، و يحتجّوا عليهم بالتبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول» «۲».

---

(۱) البقرة: ۲۱۳.

(۲) نهج البلاغة: قسم الخطب، الخطبة رقم ۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۱۷

(۱)

مثال واضح فى المقام:

اذا قلنا: ان وظيفة الأنبياء فى تربية الناس و اصلاح نفوسهم هى وظيفة البستانى فى تربية شجيرة من الشجرات، أو قلنا: أن مثل الأنبياء فى قيادة التوجّهات الفطرية البشرية و هدايتها، مثل المهندس الذى يستخرج المعادن الثمينة من بطون الاودية و الجبال، لم نكن فى هذا القول مبالغين.

و توضيح ذلك ان النبتة، أو الشجيرة الصغيرة تحمل من بداية انعقاد حبتها الاولى كل قابليات النمو، و الرشد، فاذا توفر لها الجو المناسب للنمو، دبّت الحياة و الحركة فى كل أجزائها، و استطاعت بفعل جذورها القوية و اجهزتها المتنوعة و فى الهواء الطلق، و الضوء اللازم، من أن تقطع أشواطا كبيرة من التكامل، و النمو.

(۲) فمسؤولية البستانى فى هذه الحالة تتركز فى امرين:

۱- توفير الظروف اللازمة لتقوية جذور تلك النبتة لكى تظهر القوى المودعة فى تلك النبتة أو الشجيرة، و تخرج من حيّز القوة إلى مرحلة الفعلية، و التحقق.

۲- الحيلولة دون تعرض تلك الشجرة أو النبتة للانحرافات و الآفات، و ذلك عند ما تتجه القوى الباطنية صوب الوجهة المخالفة

لسعادتها، و تسلک طریقا ینافی تکاملها.

و من هنا فان مسئولیة البستانی و وظیفته لیست هی (الإنماء) بل هی (المراقبة) و توفیر الظروف اللازمة لیتهیّأ لتلک الشجرة و النبتة أن تبرز کمالها الباطنی.

(۳) لقد خلق اللّه سبحانه البشر و أودع فی کیانه طاقات متنوعة، و غرائز کثیرة، و عجن فطرته و جبلّته بالتوحید، و حبّ معرفة اللّه، و حبّ الحق و الخیر، و العدل و الانصاف، کما و أودع فیه غریزة السعی و العمل.

و عند ما تبدأ خمائر هذه الامور و بذورها الصالحة المودوعة بالعمل و التفاعل فی کیان الإنسان تتعرض فی الجو الاجتماعی لبعض الانحرافات بصورة قهریة،

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۸

فغریزة العمل و السعی تتخذ شیئا فشیئا صفة الحرص و الطمع، و غریزة حب السعادة و البقاء تتخذ صورة الانانیة، و حب الجاه و المنصب، و یتجلی نور التوحید و الإیمان فی لباس الوثنیة و عبادة الأصنام.

(۱) فی هذه الحالة یعمل سفراء اللّه الی البشریة: (الأنبیاء و الرسل) علی توفیر ظروف الرشد و النمو الصحیح لتلک الغرائز و تلک القوی و الطاقات فی ضوء الوحی، و البرامج الصحیحة المستلهمة من ذلک المنبع الالهی الهادی، و یقومون بالتالی بتعدیل انحرافات الغرائز، و الوقوف دون تجاوزها حدودها المعقولة المطلوبة.

و لقد قال امیر المؤمنین فی ما مرّ من کلامه: إن اللّه أخذ- فی مبدأ الخلق- میثاقا یدعی «میثاق الفطرة».

فما هو تری المقصود من میثاق الفطرة هذا؟

إن المقصود من هذا المیثاق هو: أن اللّه تعالی بخلقه و ایداعه الغرائز المفیدة فی الکیان الإنسانی، و بمزج الفطرة البشریة بعشرات الأخلاق الطیبة و السجایا الصالحة یکون قد أخذ من الإنسان میثاقا فطریا بأن یتبع خصال الخیر، و یأخذ بالغرائز الطیّبة الصالحة.

فاذا کان منح جهاز البصر (العین) للإنسان هو نوع من اخذ المیثاق من الإنسان بان یتجنب المزالق، و لا یقع فی البئر، فکذلک ایداع حسّ التدین، و غریزة الانجذاب الی اللّه، و حبّ العدل، فی کیانه هو الآخر نوع من اخذ المیثاق منه بأن یظل مؤمنا باللّه، موحّدا إیاه، عادلا، منصفا، محبا للخیر و الحق.

و إن وظیفة الأنبیاء هی أن یحملوا الناس علی العمل بمقتضی میثاق الفطرة، و بالتالی فانّ مهمّتهم الأساسیة الحقیقة هو تمزیق اغشیة الجهل و تبدید سحب الغافلة التی قد ترین علی جوهرة الفطرة المطعمة بنور الایمان، فتمنعها من الاشراق علی وجود الإنسان، و تحرم الإنسان من هدایتها.

و من هنا قالوا: إن أساس الشرائع الالهیة یتألف من الامور الفطریة، التی فطر الإنسان علیها.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۹

(۱) و کأنّ صرح الکیان الإنسانی (جبل) اختفت بین ثنایا صخوره و فی بطونه احجار کریمة کثیرة و معادن ذهبیه ثمینة، فالوجود الإنسانی هو الآخر قد اودعت فیه فضائل و علوم، و معارف و خصال، و اخلاق متنوعة.

فعند ما یغور الأنبیاء و المهندسون الروحیّون فی أعماق نفوسنا و ذواتنا و هم یعلمون جیدا أن نفوسنا معجونة بطائفة من الصفات و السجایا النبیلة و المشاعر و الاحاسیس الطیبة، و یعملون علی اعادة نفوسنا- بتعالیم الدین و برامجه- الی جادة الفطرة المستقیمة السلیمة فانهم فی الحقیقة یذکّروننا بأحکام فطرتنا، و یسمّعوننا نداء ضمائرنا، و یلفتونها إلی الصفات، و الی الشخصیة المودوعة فیها.

تلک هی رسالة الأنبیاء، و ذلک هو عملهم الاساسی، و هذا هو دورهم فی اصلاح النوع الإنسانی، أفرادا و جماعات.

(۲)

أمین قریش فی غار حراء:

یقع جبل «حراء» فی شمال «مکة» و یستغرق الصعود إلی غار حراء مدة نصف ساعة من الزمان.

و یتألف ظاهر هذا الجبل. من قطع صخریة سوداء، لا یری فیها أیّ أثر للحیاة أبدا.

و یوجد فی النقطة الشمالیة من هذا الجبل غار یمکن للمرء أن یصل إلیه و لکن عبر تلک الصخور، و یرتفع سقف هذا الغار قامة رجل، و بینما تضیء الشمس قسما منه، تغرق نواح اخری منه فی ظلمة دائمة.

و لکن هذا الغار یحمل فی رحابه ذکریات کثیرة عن صاحب له طالما تردّد علیه، و قضی ساعات بل و أیاما و أشهرا فی رحابه ... ذکریات یتشوق الناس- و حتی هذا الساعة- الی سماعها من ذلک الغار، و لذلک تجدهم یسارعون إلی لقائه کلّما زاروا تلک الدیار، متحملین فی هذا السبیل کل عناء، للوصول إلی رحابه، لکی یستفسرونه عما جری فیها عند وقوع حادثة: «الوحی» العظیمة و لیسألونه عن ما تحتفظ به ذاکرته من تاریخ رسول الإنسانیة الاکبر ممّا جرت

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۳۲۰

حوادثه فی ذلک المکان التاریخی، العجیب.

(۱) و یتحدث ذلک الغار هو الآخر إلیهم بلسان الحال و یقول: هاهنا المکان الذی کان یتعبد فیه عزیز قریش و فتاها الصادق الامین. و هاهنا قضی لیالی و أیاما عدیدة و طویلة قبل ان یبلغ مرتبة الرسالة، فی عبادة اللّه، و التأمل فی الکون، و فی آثار قدرة اللّه و عظمته.

أجل، لقد اختار محمّد صلّی اللّه علیه و آله ذلک المکان البعید عن صحیح الحیاة، للعبادة و التحنث، فکان یمضی جمیع الایام من شهر رمضان فیه، و ربما لجأ إلیه فی غیر هذا الشهر أحیانا اخری، إلی درجة أنّ زوجته الوفیّة کانت إذا لم یرجع إلی منزلها، تعرف أنه قد ذهب إلی «غار حراء» و أنه هناک مشتغل بالعبادة و التحنث و الاعتکاف. و کانت کلّما أرسلت إلیه أحدا وجده فی ذلک المکان مستغرقا فی التأمل و التفکیر، او مشتغلا بالعبادة و التحنث.

(۲) لقد کان صلّی اللّه علیه و آله قبل أن یبلغ مقام النبوة، و یبعث بالرسالة یفکر- اکثر شیء- فی أمرین:

۱- کان یفکر فی ملکوت السماوات و الارض، و یری فی ملامح کل واحد من الکائنات التی یشاهدها نور الخالق العظیم، و قدرته، و عظمته و علمه، و قد کانت تفتح علیه من هذا السبیل نوافذ من الغیب تحمل الی قلبه و عقله النور الالهیّ المقدس.

۲- کان یفکر فی المسئولیة الثقیلة التی ستوضع علی کاهله.

إن اصلاح المجتمع فی ذلک الیوم علی ما کان علیه من فساد عریق و انحطاط عریض، لم یکن فی نظره و تقدیره بالأمر المحال الممتنع. و لکن تطبیق مثل هذا البرنامج الاصلاحیّ لم یکن فی نفس الوقت أمرا خالیا من العناء و المشاکل، من هنا کان یفکر طویلا فی الفساد فی حیاة المجتمع المکّی و ما یراه من ترف قریش، و کیفیّة رفع کل ذلک و اصلاحه.

لقد کان صلّی اللّه علیه و آله حزینا لما یری من قومه من فساد العقیدة المتمثل فی الخضوع للأوثان المیتة، و العبادة للأصنام الخاویة الباطلة، و لطالما

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۳۲۱

شوهدت آثار ذلک الحزن علی محیّاه، و ملامح وجهه الشریف، و لکن لما لم یکن مأذونا بالافصاح بالحقائق، لذلک کان یتجنب ردع الناس عن تلک المفاسد، و منعهم عن تلک الانحرافات.

(۱)

بدء الوحی:

لقد امر اللّه ملكا من ملائكته بأن ينزل على امين قريش و هو فى غار حراء و يتلو على مسمعه بضع آيات كبداية لكتاب الهداية و السعادة، معلنا بذلك تتويجه بالنبوة، و نصبه لمقام الرسالة.

كان ذلك الملك «جبرئيل»، و كان ذلك اليوم هو يوم المبعث النبوى الشريف الذى سنتحدث عن تاريخه فى المستقبل.

و لا ريب أن ملاقاة الملك و مواجهته أمر كان يحتاج إلى تهيّؤ خاصّ، و ما لم يكن محمّد صلّى اللّه عليه و آله يمتلك روحا عظيمة، و نفسية قوية لم يكن قادرا قط على تحمّل ثقل النبوة، و ملاقاة ذلك الملك العظيم.

أجل لقد كان «أمين قريش» يمتلك تلك الروح الكبرى، و تلك النفس العظيمة و قد اكتسبها عن طريق العبادات الطويلة، و التأمّل العميق الدائم، الى جانب العناية الالهية.

و لقد روى أصحاب السير و التاريخ انه رأى رؤى عديدة قبل البعثة كانت تكشف عن واقع بيّن واضح وضوح النهار «۱».

و لقد كانت ألذّ الساعات و أحبها عنده بعد كل فترة، تلك الساعات التى يخلو فيها بنفسه، و يتعبّد فيها بعيدا عن الناس.

و لقد قضى على هذا الحال مدة طويلة حتى أتاه- فى يوم معين- ملك عظيم بلوح نصبه أمامه و قال له: «اقرأ»، و حيث أنه صلّى اللّه عليه و آله كان اميا لم يدرس أجاب الملك بقوله: «ما أنا بقارئ».

---

(۱) صحيح البخارى: ج ۱ كتاب العلم ص ۲۲، بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۹۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۲۲

(۱) فاحتضنه ذلك الملك، و عصره عصرة شديدة، ثم طلب منه أن يقرأ فأجابه بالجواب الأول.

فعصره الملك ثانية عصرة شديدة و تكرّر هذا العمل مرات ثلاث احس بعدها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى نفسه أنه قادر على قراءة ما فى ذلك اللوح، فقرأ ساعتها تلك الآيات التى تشكل- فى الحقيقة- ديباجة كتاب السعادة البشرية، و اساس رقيها.

لقد قرأ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قوله تعالى:

«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ» «۱».

و بعد أن انتهى جبرئيل من أداء مهمته التى كلّف بها من جانب اللّه تعالى، و بلّغ الى النبى تلكم الآيات الخمس، انحدر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من جبل حراء، و توجه نحو منزل خديجة «۲».

و لقد أوضحت الآيات المذكورة برنامج النبيّ صلّى اللّه عليه و آله اجمالا، و بيّنت و بشكل واضح ان اساس الدين يقوم على القراءة و الكتابة، و العلم و المعرفة، و استخدام القلم.

(۲)

ظاهرة القضايا الغيبيّة فى منظار الماديّين:

لقد تسبّب التقدم العظيم و المتزائد الذى تحقق فى ميدان العلوم الطبيعية فى سلب الكثير من العلماء القدرة على فهم و ادراك القضايا المعنوية و الخارجة عن اطار العلوم الطبيعية و بالتالى أدى الى تحديد و تضييق آفاق الفكر عندهم.

فاذا بهم اصبحوا يتصورون أن الوجود يتلخص فى هذا الكون المادى، و انه ليس فى الوجود من شيء سوى المادة و ان كل ما لا يمكن تفسيره و تبريره بالقوانين و القواعد المادية فهو أمر باطل، و من نسج الخيال!!

---

(۱) العلق: ۱- ۵.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۳۶ و ۲۳۷.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۳۲۳

(۱) إن هـذا الفریق- لتسرعه فی اصدار الحکم فی الامور المتعلقة- بالغیب و قضایا ما وراء الطبیعة، و حصـر أدوات المعرفة بالحس و التجربـة- انکروا عـالم الوحی، بحجـة أنّ الحسّ و التجربـة لاـ یقودانهم إلی ذلـک العـالم، و لاـ یخبرانهم عن مثل تلک الموجودات، فلکونهـا بالتـالی لاـ تخضع لمبضع التشـریح، و مجهر الاختبار أنکروها بالمرة، و کانت النتیجـة أن أدوات المعرفـة المعروفـة (الحسّ و التجربة) حیث انها لا تهدی إلی عالم ما وراء المادة فاذن لا وجود خارجی لذلک العالم و لحقائقه أبدا!

إنّ هذا النمط من التفکیر نمط جدّ ضیق و محدود، مضافا الی انه یتسم بالغرور و الغطرسة، فهو من باب «استنتاج عدم الوجود من عدم الوجدان» فی خطوة متعجلة فجّة!!

فمـا دامت هـذه الحقـائق التی یعتقـد بهـا الالـهیّون المؤمنون بـاللّه لاـ یمکن التوصـل إلیهـا عن طریق الادوات الفعلیـة المتعارفـة بینهم للادراک و المعرفة فهی اذن لا اساس لها من الواقع!!

(۲) ان الذی لا شک فیه هو: ان المادیین لم یدرکوا مقالة العلماء الالهیین حتی فی مسألة اثبات الصانع الخالق فکیف بالعوالم الاخری لما فوق الطبیعـة، و لو أنّ الفریقین تحاورا فی جوّ علمی مناسب، بعیدا عن الأغراض و العصبیّات، لکان من المتوقع ان تزول الفواصـل بین المادیین و الالهیین فی أقرب وقت، و أین یرتفع هذا الاختلاف الذی قسّم العلماء إلی فریقین علی طرفی نقیض.

(۳) لقـد اقام المؤمنون الموحّـدون عشـرات الأدلة و البراهین القاطعة علی وجود اللّه تعالی، و اثبتوا بأنّ هذه العلوم الطبیعیة هی نفسـها تقودنا إلی الخالق العالم القادر، و ان هـذا النظام العجیب السائد فی ظواهر الکائنات الطبیعیّة و بواطنها لدلیل قاطع، و برهان ساطع علی وجود مبدع هذا النظام، و أن جمیع أجزاء هذا الکون المادیّ، من ذراته الی مجراته، یسیر وفق قوانین دقیقة متقنة، و لا تستطیع الطبیعة الصماء العمیاء ابدا أن تکون مبتکرة لهذا النظام البدیع، و مبدعة لهذا الترتیب الدقیق.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۳۲۴

(۱) و هذا هو بنفسه برهان «نظام الوجود» أو (برهان النظم) الذی ألّف العلماء الالهیون الموحدون حوله عشرات الکتب و الدراسات. و حیث ان (برهان النظم) هـذا ممّا یفهمه جمیع الناس علی مختلف مراتبهم و مـدارکهم، لـذلک رکزت علیها الکتب الاعتقادیـة دون سواها، و سـلک کل واحـد من العلماء طریقا معینا و خاصا لتقریره، و بیانه، کما و درست الأدلـة و البراهین الاخری التی لا تتسم بمثل هذه الشمولیة، فی الکتب، و المؤلفات الفلسفیة و الکلامیّة بصورة مفصلة و مبسوطة.

إنّ للعلماء الالهیین بیانات و أدلة فی مجال (الروح المجردة)، و عوالم ما وراء الطبیعة (المیتافیزیقیا) نشیر إلی بعضها هنا:

(۲)

الروح المجردة:

إن الاعتقاد بالروح من القضایا الشائکة الطبیعة التی استقطبت اهتمام العلماء و شغلت بالهم بشدة.

فهناک فریق- ممّن اعتاد أن یخضع کل شیء لمبضع التشریح- ینکر وجود (الروح)، و یکتفی بالاعتقاد بالنفس ذات الطابع المادی، و العاملة ضمن نطاق القوانین الطبیعیة فقط.

و وجود «الروح» و النفس غیر المادیة (ای المجردة المستقلة عن المادة) من القضایا التی عولجت و دورست من قبل المؤمنین باللّه، و المعتقدین بالعالم الروحانی، بصورة دقیقة، و عمیقة.

فهم أقاموا شواهـد عدیـدة علی وجود هذا الکائن (غیر المادیّ) و هی أدلة و براهین لو تمّ التعرّف علیها و النقاش حولها فی جوّ علمی هادئ مع الأخذ بنظر الاعتبار ما یقوم علیه منطق الالهیین- فی هذا المجال- من قواعد و اسس، لأدّی ذلک إلی التصدیق الکامل بها.

علی أن ما یقوله الالهیّون فی مجالات اخری مشابهة مثل (الملائکة) و (الوحی) و (الإلهام) یقوم هو الآخر علی الأساس الذی شیدوه و

مهدوه و برهنوا

علیه قبل ذلک بالأدلة المحکمة، المتقنة «۱».

(۱)

ظاهرة الوحی عند المادیّین:

یعتبر الاعتقاد بالوحی أساسا لجمیع الرسالات، و الأدیان السماویة، و تقوم هذه الظاهرة (ظاهرة الوحی) علی أن الذی یوحی إلیه یمتلک روحا قویة تقدر علی تلقی المعارف الالهیة من دون واسطة، أو بواسطة ملک من الملائکة.

و یلخص العلماء المختصّون تعریفهم للوحی علی النحو التالی: «الوحی تعلیمه تعالی من اصطفاه من عباده کل ما أراد اطلاعه علیه من ألوان الهدایة و العلم و لکن بطریقة خفیّة غیر معتادة للبشر».

و لکن المادیین- کما قلنا- لم یستطیعوا هضم هذه الحقیقة، و ادراک هذه الظاهرة علی حالها، و صورتها الغیبیة بسبب ما ذکرناه من منهجهم و نظرتهم إلی الامور و الکائنات فذهبوا فی تفسیر ظاهرة الوحی- التی هی کما اسلفنا من قضایا الغیب و من عوالم ما فوق الطبیعة- مذاهب مختلفة ترجع برمتها إلی الرؤیة المادیة للوجود.

و إلیک أبرز هذه التفاسیر المادیّة لظاهرة الوحی الغیبیة:

أبرز النظریات المادیة لظاهرة الوحی:

۱- قالوا: الوحی هی القدرة الفکریة، و النفسیة و العقلیة التی تحصل للإنسان بسبب التمرینات و الریاضات الروحیة التی علی اثرها تنفتح علیه أبواب من الغیب، فیخبر عن امور طالما تتفق مع الواقع علی نحو ما یحصل للمرتاضین الهنود «۲».

فالانبیاء بسبب اعتزالهم للمجتمع- علی غرار ما یفعل المرتاضون- و إقبالهم

---

(۱) و لقد جاء تفصیل هذه البراهین و الأدلّة فی الکتب الفلسفیة مثل: «الإشارات» و «الأسفار».

و لقد اشرنا إلی بعض هذه الأدلّة فی کتاب (اللّه خالق الکون) فراجع.

(۲) و هم الذی یمارسون عملیة الیوجا.

علی الریاضة الروحیة یحصل لهم المقدرة علی الإخبار بالغائبات، و الکائنات الخفیة علی غیرهم.

و الجواب علی هذه النظریة هو: أن دراسة حالات المرتاضین تکشف لنا عن أنهم طالما یخطئون فی إخباراتهم أخطاء فاضحة، بینما لم یعهد من نبیّ أنه أخطأ فی إخباراته، و إنباءاته.

هذا اولا و ثانیا: ان ما یفعله المرتاضون لا ینطوی علی أیة أهداف اصلاحیة علیا للمجتمع البشری، بل غایة همّهم هو: عرض الافعال العجیبة علی الناس و ربما تسلیة المتفرجین، بینما یهدف الأنبیاء إلی إصلاح المجتمعات البشریة و قیادتها إلی ذری الکمال و التقدم.

و ثالثا: ان المرتاضین لا یثقون بما یخبرون به، کما لم یعرف إلی الآن أن أحدا منهم طلع علی المجتمع البشریّ ببرنامج کامل و شامل للحیاة البشریة الفردیة و الاجتماعیة، بینما نجد الأنبیاء یخبرون الناس بما امروا به و هم علی إیمان کامل، و یقین ثابت منه، هذا الی جانب أنهم یحملون الی البشریة برامج اجتماعیة و حیویة جامعة الاطراف، کاملة الأبعاد، رفیعة الأهداف، عمیقة الغایات، ترجع إلیها

كل فضيلة و كل خير تعرفه المجتمعات الى الآن.

و رابعا: انّ أعمال المرتاضين و ما تحصل لهم من قوى و ينفتح عليهم من آفاق، محدودة، بينما لا تقف طاقات الأنبياء و آفاق علومهم، و أبعاد أعمالهم عند حدّ.

فلا يمكن أبدا تفسير و تعليل ظاهرة (الوحى) و ما يحصل للرسل و الأنبياء على اثره من امور تتخطى حدود العالم المادى المحدود، بالرياضة الروحية التى يمارسها المرتاضون و ما يحصل لهم على أثرها من امور.

۲- قالوا: انّ (الوحى) نوع من النبوغ، او أنه ناشئ من النبوغ، و أن الأنبياء هم نوابغ اجتماعيون لا اكثر.

و قد شرحوا نظريتهم هذه قائلين: بأن نظام الخليقة قد ربى فى أحضانه نوابغ

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۲۷

صالحين، اهتدوا بفعل نبوغهم الفكرى الرفيع الى أفكار و قيم رفيعة و دعوا مجتمعاتهم إلى الأخذ بها، و السير على هديها، لتحقيق الخير و العدالة، فكان لهم بذلك اكبر نصيب فى إرشاد البشرية الى سعادتها، فكل ما طرحوه من أفكار، و كل ما عرضوه على تلك المجتمعات باسم الدين او القانون ليست- فى الحقيقة- سوى نتيجة ما تمتعوا به من نبوغ، و فكر خارق، و لا علاقة له بعالم آخر غير هذا العالم المادى المألوف.

و قالوا: و ان ممّا يساعد على تقوية هذا النبوغ امور ابرزها:

الحبّ، التعرض للظلم الطويل، الطفولة و ما يكتنفها من ضعف و عجز، الوحدة، السكوت، التربية الاولى، و العيش فى صورة الأقلية و ما يرافقها من ظروف اجتماعية غير مؤاتية.

فان جميع هذه الامور أو بعضها تدفع بالشخص الى الانطوائية، و التفكير و التأمل، للاهتداء الى مخرج من المشاكل و الصعوبات، و مخلص من الظروف الصعبة، و الأحوال الشاقة.

و يجاب على هذه النظرية بأن أصحاب هذه النظرية حكموا على هذه القضية على أساس موقف اتخذوه سلفا فهم حصروا الأشياء فى المادة و الامور المادية ثم فسّروا ما يرتبط بعالم الغيب بذلك، فجاء تفسيرهم لهذه الظاهرة الغيبية تفسيرا ماديّا، غفلة منهم عن ان مثل هذا التفسير و التعليل لا يليق بظاهرة (الوحى) التى تجسد أعلى قضيّة فى سلّم الحقائق العلمية و الفلسفية، و يرجع إليها أعظم القوانين و البرامج للسعادة البشرية.

نحن لا ننكر أن لما ذكروه من العوامل تأثيرا فى تقوية عملية «التفكير» لدى الانسان إلى درجة ايجاد ما يسمى بظاهرة النبوغ لديه، إلّا أنه لا يمكن أن يوجد مثل هذا الأمر نبيّا خضعت جميع النوابغ البشرية لعظمة تعاليمه التى أتى بها طوال أربعة عشر قرنا.

نبيا لم تزل ما جاء به من معارف عقلية و فلسفية، و قوانين ترتبط بعالم الطبيعة و بالنظام الاجتماعى و آداب السلوك تحافظ على قوتها، و عمقها و أصالتها و لمعانها

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۲۸

كل المحافظة رغم كل ما احرزه البشر فى ضوء نشاطه الفكرى و العقلى من تقدم، فى المعارف و العلوم.

هذا مضافا الى أن نسبة هؤلاء الأنبياء جميع ما عرضوه على المجتمعات البشرية إلى العالم الآخر و اصرارهم على أنها من جانب اللّه تعالى و ليست من نسيج افكارهم يناقض نظرية هذه الطائفة، التى تفسر النبوة بالنبوغ.

لنقرأ معا الآية التى يقول اللّه تعالى فيها حاكيا عن رسول الإسلام محمّد صلّى اللّه عليه و آله:

«إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ» «۱».

أو يقول سبحانه:

«إِنْ هُوَ إِلَّا س "وَحْيٌ "يُوحى» «۲».

۳- يقولون: إن الوحى هو ظهور الشخصيهٔ الكامنهٔ فى النبى و ايحاؤها لما ينفعه و ينفع قومه المعاصرين له، إليه.

و ربما قالوا: إنّ معلومات «محمّد» و أفكاره و آماله ولّدت لديه إلهاما فاض من عقله الباطن أو نفسه الخفيّهٔ على محيلته الساميهٔ، و انعكس اعتقاده على بصره فرأى الملك و ماثلا له و هو يتلو على سمعه ما حدّث به بعد ذلك.

و توضيح هذه النظريهٔ هو: ان لكل إنسان شخصيتين:

۱- الشخصيهٔ الظاهرهٔ العاديهٔ و هى التى تخضع للحواس الخمس و تعمل بها.

۲- الشخصيهٔ الباطنيهٔ و هى التى تعمل عند ما تتعطل الحواس، و يتعطل الشعور الظاهرى:

و هذه الشخصيهٔ هى التى تحرك جميع أعضاء الجسم الانسانى التى لا تخضع لارادته كالكبد و القلب، و المعدهٔ و غيرها، كما انها هى مصدر الكثير من الإلهامات الطيبهٔ فى الظروف الحرجهٔ.

ثم قالوا: و هذه الشخصيهٔ الباطنيهٔ قد اصبحت مدركهٔ بالحس، فان المنوّم

---

(۱) الأنعام: ۵۰.

(۲) النجم: ۴.

مغناطيسيا يظهر بمظهر من العقل الراجح، و الفكر الثاقب و النظر البعيد، و يقوم بما لا يقوم به فى حالته العاديهٔ.

و قد انتهى هؤلاء الماديّون من خلال تحقيقاتهم و تجاربهم إلى: ان شخصيهٔ الإنسان الباطنيهٔ ارقى من شخصيته العاديهٔ، و إن ما يتوصّل إليه الإنسان من أفكار عاليهٔ رفيعهٔ جدا، و ما قد يتمتع به من روح قويهٔ هو من مظاهر هذه الشخصيهٔ و فعاليتها.

فقالوا: و ان هذه الشخصيهٔ هى التى تنفث فى روح الأنبياء ما يعتبرونه وحيا من اللّه، و قد تظهر لهم متجسّدهٔ فيحسبونها من ملائكهٔ اللّه هبطت عليهم من السماء!!!

فالوحى عند هؤلاء الباحثين فى الروح على الاسلوب التجريبى لا يكون بنزول ملك من السماء على الرسول فيبلغه كلاما عن اللّه بل يكون فى تجلى روح الإنسان عليه بواسطهٔ شخصيته الباطنهٔ فتعلمه ما لم يكن يعلم، و تهديه الى خير الطرق لهدايهٔ نفسه و ترقيهٔ امته «۱».

و لكن هذه النظريهٔ هى الاخرى تنبع من الغرور العلمىّ الذى أصاب هذا النمط من العلماء الّذين يحاولون تفسير كل ظواهر هذا العالم بالتفسير المادى، و هو لا شك ينشأ من علمهم المحدود القاصر عن إدراك حقائق الوجود.

إننا لا نشك فى وجود ما يسمى بالشخصيهٔ الباطنيّهٔ لدى الإنسان فهو ممّا سبق الى كشفه و التنويه به الفلاسفهٔ الإسلاميّون من قبل و لكن كيف و على أىّ أساس حقّ لهؤلاء ان يفسروا ظاهرهٔ (الوحى الالهىّ) و النبوهٔ بهذا الأمر؟

هذا أولا و ثانيا: انّ تجلى الشخصيّهٔ قلّما يحدث فى الاشخاص الأصحّاء، بل هو يحدث فى الاغلب عند المتعبين القلقين، و السكارى، و المصابين بالهزيمهٔ و النكسهٔ، لأن نافذهٔ (اللاوعى) عند غيرهم من الاصحاء تنسد بسبب اشتغالهم الشديد بقضايا الحياهٔ اليوميهٔ و همومها، و لا يبقى للشخصيهٔ الباطنيهٔ مجال للنشاط و الفعاليهٔ، كما

---

(۱) دائرهٔ معارف القرن العشرين لفريد وجدى: ج ۱۰ مادّهٔ وحى.

هو العكس عند المتعبين و السكارى و المرضى الذين يقل اهتمامهم بالحياهٔ اليوميهٔ فيترك (الوعى) مكانه للاوعى، و تترك الشخصيهٔ الظاهريهٔ المعطّلهٔ مكانها للشخصيهٔ الباطنيهٔ.

و لـذلك نجد بين آلاف العلماء و المفكرين مفكرا أو عالما واحد اتفق له فى بداية عمره أن اهتدى بصورة لا شعورية إلى فكرة خاصة او نظرية معينة من دون سابق تفكير او استدلال قائم على الشعور.

و خلاصة القول أن تجلّى الشخصية الباطنية فى الحياة الانسانية قضية نادرة جدا، و هى لا تحدث إلّا فى ظروف خاصة مثل: المنامات و الاحلام و غيرها من التحولات الحياتية التى تقلل من توجّه الانسان الى العالم الخارجىّ و تصرف التفاته و توجّهه الى الشخصية الباطنية.

و لكن هذه الحالة و هذه الشرائط (أى الغافلة عن هموم الحياة اليومية الخارجية) لم تحصل للانبياء قط.

فالنبى الأكرم محمّد صلّى اللّه عليه و آله كان طوال (۲۳ سنة) و هى أعوام الرسالة، مشتغلا كل الاشتغال بقضايا الحياة اليومية، فالنشاطات السياسية.

و التبليغية و قضايا الدعوة و القيادة كانت تهيمن على كل توجهه و اهتمامه و تملأ.

عقله و روحه و نفسه.

فالكثير من آيات الجهاد ترتبط بساحات القتال و الجهاد، و هذا يعنى انه كان مشدودا بروحه و عقله كله إلى تلك الامور.

و ثالثا: ان هذه النظرية يمكن أن تصدق على نبوة الأنبياء، لو كان هؤلاء الأنبياء أفرادا متعبين، منهزمين، منتكسين، مرضى، معتزلين عن الحياة ليقال حينئذ ان هذه الحالات و الظروف مهّدت لانقطاعهم- عليهم السّلام- عن هموم الحياة، و قضاياها، و بالتالى مهّدت لفعالية الشخصية الباطنية و عملها.

و لكن تاريخ الأنبياء يشهد بوضوح لا إبهام فيه، بانهم كانوا- طيلة حياتهم الرسالية- رجالا مجاهدين، لا يهمهم إلّا اصلاح المجتمعات و قيادة الجماعات و حل المشكلات الاجتماعية، و رفع مستويات الناس معنويا و فكريا و كانوا

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۳۱

يعملون لتحقيق هذه الأهداف ليل نهار، بلا سأم و لا ملل، و لا تعب و لا نصب.

فكيف يمكن القول و الحال هذه بان الشخصية الباطنية تجلّت لديهم و اوحت إليهم بحقائق و قيم و افكار؟

إن تفسير (الوحى الالهى) الذى يلقى الى الأنبياء و يكشف لهم عن أدق الحقائق و ارفعها، و أعظم المناهج و اكملها، بتجلّى الشخصية الباطنية، ناشئ من اعتقاد هذا الفريق من العلماء بأصالة المادة، أو بعبارة اخرى: حصر الوجود فى المادة، و من هنا حاولوا إلباس كل شىء حتى الامور المعنوية و الغيبية:

اللباس المادىّ، و اغلقوا على أنفسهم باب عوالم الغيب، و عمدوا إلى التفتيش عن علة مادية حتى لظاهرة (الوحى) التى لا تقاس بمقاييس العالم المادّى.

هذا مضافا إلى أن تفسير (الوحى الالهىّ) عن طريق نظرية تجلّى الشخصية الباطنية، و خاصة فى شأن رسول الإسلام «محمّد» صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يواجه اشكالات و مؤاخذات اخرى تجعل هذه النظرية فى عداد الاساطير!!

و إنّ ابرز هذه الاشكالات الواردة على هذه النظرية فى مجال رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله هى: أنّ هذه النظرية ليست رأيا جديدا و تهمة جديدة توجه إلى نبوة رسول الإسلام.

(۱) فان نظرية «الشخصية الباطنية، و الوحى النفسى الذاتى» هى نظرية متبلورة و متقدمة لتهمة (الجنون و الصرع) التى كان يرمى بها العرب الجاهليّون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم!!

فقد كان المشركون فى بدء الدعوة يقولون: ان ما يقوله «محمّد» و ما يتكلم به ليس إلا أفكاره القلقة المضطربة الناشئة عن خياله، و انّ القرآن هى تلك الأفكار المضطربة التى تسربت إلى فضاء عقله من دون ارادة منه و لا اختيار!!

(۲) لنستمع الى القرآن الكريم و هو ينقل عنهم هذا الاتهام:

«بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ» «۱».

(۱) الأنبیاء: ۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۳۲

(۱) و لکن القرآن الکریم یردّ علی هذه المزعمة الواهیة بقوله:

«وَ النَّجْمِ إِذا هَوی. ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی. وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی. عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی» «۱».

ان القرآن الکریم یشجب فی هذه الآیات المنتظمة انتظاما رائعا و بدیعا هذه المزعمة (أی مقولة أن القرآن ولید الخیال لدی محمّد)، و یردّ الأمر إلی الوحی الالهی، و التوجیه الربانیّ العلویّ.

إن نظریة الوحی النفسیّ و تجلّی الشخصیة الباطنیة التی طلع بها المادیون فی عصرنا ما هی فی الحقیقة إلّا غطاء لمزعمة المشرکین و تهمة الجنون، و الخیال التی سبق أن رمی بها أعداء الرسالة الاسلامیة و معارضوها النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تلک التهمة التی یذکرها القرآن الکریم بقوله:

«وَ قالُوا یا أَیُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَیْهِ الذِّکْرُ إِنَّکَ لَمَجْنُونٌ» «۲».

(۲) و هی تهمة کان یوجهها المعارضون دائما إلی المصلحین و أصحاب الرسالات «۳» و قد اتخذت هذه التهمة صبغة علمیة جدیدة، و تبلورت فی نظریة:

«الوحی النفسیّ، و تجلّی الشخصیّة الباطنیة». ان القرآن الکریم یرد علی هذه المزاعم و التصورات الباطلة حول عملیّة الوحی و مسألة النبوّة و یرد علی نسبة الکهانة و ما شابه ذلک کالخبر المنقول عن اهل السیر بمحاولة القاء النبی نفسه من شاهق فی بدایة الوحی الذی یشبه نسبة الجنون إلیه صلّی اللّه علیه و آله، اذ یقول تعالی:

«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ. ذِی قُوَّةٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ. مَکِینٍ. مُطاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ. وَ ما صاحِبُکُمْ بِمَجْنُونٍ. وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِینِ. وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَیْطانٍ رَجِیمٍ. فَأَیْنَ

(۱) النجم: ۱- ۵.

(۲) الحجر: ۶، و أیضا راجع الآیات التالیة: سبأ: ۸، الصافّات: ۳۶، الدخان: ۱۴، الطور: ۲۹، القلم: ۲، التکویر: ۲۲.

(۳) اذ یقول القرآن فی هذا الصدد: «کذلک ما أتی الّذین من قبلهم من رسول إلّا قالوا ساحر أو مجنون. أتواصوا به بل هم قوم طاغون» (الذاریات: ۵۲ و ۵۳).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۳۳

تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِکْرٌ لِلْعالَمِینَ. لِمَنْ شاءَ مِنْکُمْ أَنْ یَسْتَقِیمَ» «۱».

بهذا البیان تبیّن بطلان هذا التفسیر و جمیع التفاسیر الاخری التی تحاول إعطاء (الوحی) طابعا مادیا مألوفا، شأنه شأن غیره من الظواهر الغیبیّة، و نحن استکمالا لهذا البحث نشیر إلی ما هو الحق فی هذا المجال، ممّا یؤیّد الواقع و العقل و الدین:

ظاهرة الوحی فی منظار العقل و الدین:

لا شک أن حیاة کل فرد من افراد الإنسان تبدأ من «الجهل» ثم یأخذ الإنسان بالدخول فی مجال العلم شیئا فشیئا، الی ان تنفتح علیه بالتدریج نوافذ علی الواقع الخارج عن ذهنه.

فیبدأ الإنسان بالتعرف علی الحقائق عن طریق الحواسّ الظاهریة، ثم علی أثر التکامل فی جهازه العقلیّ و الفکری یهتدی الی الحقائق

الخارجة عن مجال الحس و اللمس، فيغدو عقلانيا استدلاليّا، و يقف على طائفة من الحقائق الكليّة و القوانين العلميّة.

و ربما يظهر بين أفراد النوع الإنسانى أصحاب نفوس عالية يقفون عن طريق الالهام و من خلال بصيرة خاصة على حقائق و امور لا يهتدى إليها حتى عن طريق الاستدلال و البرهنة!

و من هنا قسّم العلماء ادراك البشر الى ثلاثة أنواع: «إدراك العامّة» «إدراك المفكرين و أرباب الاستدلال» «إدراك العرفاء و اصحاب البصائر و النفوس الكبرى».

و كأنّ أصحاب الظاهر يستعينون على اكتشاف الحقيقة بالحس، و المفكرين يستعينون بالاستدلال و البرهنة، و أصحاب البصائر و المعرفة بالإلهام و الاشراق و بالفيض عليهم من العالم الأعلى.

---

(۱) التكوير: ۲۰- ۲۸.

ان النوابغ فى مجال الأخلاق، و ان عقول العلماء الخلاقة، و أفكار الفلاسفة العظيمة كلها تؤيّد و تشهد بأن ما يحصلون عليه، و ما يطلعون به على المجتمع البشرى ممّا لم يعرفوه من قبل ما هى إلّا شرارات مضيئة و ملهمة تخطر لهم، ثم يعمدون إلى تنميتها و بلورتها بالتجربة، أو بالاستدلال و البرهنة و التأمل.

(۱)

قنوات المعرفة الثلاث:

من هذا الكلام نستنتج أن أمام بنى البشر ثلاث طرق للوصول الى مقاصده؛ فالطريق الأول يستفيد منه جماهير الناس غالبا، بينما يستفيد طائفة خاصة منهم من الطريق الثانى، و لا يستفيد من الطريق الثالث إلّا أفراد معدودون قلة تكاملت عقولهم، و تسامت أرواحهم. و هى كالتالى:

(۲) ۱- الطريق التجريبى و الحسى، و المقصود منه ذلك القسم من الإدراكات و المعلومات الواردة الى محيط الذهن البشرىّ عن طريق الحواس الظاهرية كالمرئيات، و المشمومات و المطعومات و غيرها ممّا يستقرّ فى محيط إدراكنا بواسطة الأجهزة المختصة بها.

و قد استطاع البشر اليوم، و بفضل اختراع التلسكوبات و الميكروسكوبات و اجهزة التلفاز و الراديو ان يقدّم خدمة كبرى للبشرية فى مجال الإدراكات الحسية و يمهّد لمزيد من سيطرتها على البعيد و القريب.

(۳) ۲- الطريق التعقّلى الاستدلالى: فان المفكرين يتوصّلون الى كشف طائفة من القوانين الكليّة الخارجة عن الحس عن طريق عملية التفكير و التأمل و تشغيل جهاز العقل، و إقامة سلسلة من المقدمات البديهية الواضحة، و بذلك يمكن الوصول إلى قمم المعرفة و الكمال العلمى.

إنّ انكشاف القوانين العلميّة الكليّة، و المسائل الفلسفية، و المعارف المرتبطة بصفات اللّه و أفعاله سبحانه و القضايا المطروحة فى علم العقيدة و الأديان ناشئ برمّته من جهاز العقل، و حركته، و ناتج من عملية التفكير، و الاستدلال المذكورة.

(۴) ۳- طريق الإلهام: و هذا هو الطريق الثالث لمعرفة الحقائق، و هو فوق نطاق

الحس و التعقل.

إنه نوع جديد من المعرفة و نمط متميّز من إدراك الحقائق، ليس محالا من وجهة نظر العلم و ان كان يصعب على أصحاب الاتجاه المادّى القبول به لكونه طريقا غير حسى و لا تعقّلى.

و أما من جهة الأصول العلمیة فلا مجال لإنكاره، و لا مبرّر لعدّه من المحالات.

(۱) إن طریق التعرّف على حقائق الكون الخارج عن الذهن- فی منهج المادیّین، و أصحاب النزعة المادیة- ینحصر فی قناتین لا أكثر، و هما اللّذان سبق ذكرهما، فی حین أنّ هناك- حسب نظرة الأدیان و الشرائع الكبرى و حسب نظرة الفلاسفة و العرفاء الالهیین- قناة ثالثة أیضا.

بل إنّ هذا الطریق الثالث- كما أسلفنا فی مسألة الوحی- أكثر واقعیة، و أقوى أسسا، و أوسع آفاقا عند من یدّعون الرسالة، و النبوة من جانب اللّه سبحانه، و إن نفوس اولئك الأشخاص لتبدو أكثر صفاء و طراوة بفضل هذا الطریق، و فی ضوء هذه القناة.

(۲) و كلّما حصل ارتباط بین اللّه، و بین فرد من أفراد النوع الإنسانی على نحو خاص القیت الحقائق فی وجوده من دون توسط الحواس الظاهریة، و إعمال الفكر، و استخدام جهاز العقل.

و هذا النوع من الإلقاء یسمى حینا بالالهام، و بالاشراق حینا آخر.

و لكن كلما نتج من ارتباط الإنسان بما وراء الطبیعة سلسلة من التعالیم العامّة و الأنظمة و البرامج الشاملة اطلق على هذا النوع من الإلقاء عنوان (الوحی)، و سمّی الآتی بها (ملك الوحی) و الآخذ لها (نبیّا).

هذا و قد یوجب الإلهام الثقة و الاطمئنان للملهم إلیه، و لكنّه لا یمكن أن یكون مبعث الاطمئنان و الثقة عند الآخرین «۱».

---

(۱) و انما قلنا «قد» أی یمكن أن یوجب الاطمئنان و لم نقطع بذلك لأنّ مصدر هذه الالهامات.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۳۶

من هنا اعتبر العلماء «الوحی» الطریق المطمئنة الوحیدة الى المعرفة العامة ... الوحی الذی ینزل على الأنبیاء الذین ثبتت نبوّتهم بالدلائل القاطعة، من المعجزة و غیرها.

(۱)

أنواع الوحی و اصنافه:

إن فی مقدور الروح الانسانیة بسبب ما تملك من كمالات أن تتصل بالعوالم الروحانیة من الطرق المختلفة، و نحن هنا نشیر الى هذه الطرق التی جاء ذكرها فی أحادیث قادة الإسلام و ائمته، باختصار:

۱- تارة یتلقى الحقائق السماویة العلیا على نحو الالهام، فیتخذ ما یتم إلقاؤه فی النفس عبر هذا الطریق حكم (العلو البدیهیة) التی لا یتطرق إلیها أی ریب و شك.

۲- و قد یسمع عبارات و كلمات من جسم معین (كالجبل و الشجرة) كسماع موسى علیه السّلام كلام اللّه من الشجرة.

۳- و ربما تنكشف الحقائق له فی عالم الرؤیا انكشاف النهار.

۴- و قد ینزل علیه ملك من جانب اللّه بكلام خاص.

و قد نزل القرآن الكریم على النبی الاكرم صلّى اللّه علیه و آله من هذا الطریق، و قد صرح القرآن الكریم نفسه بهذا عند قوله تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ. بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ» «۱».

(۲)

أساطیر مختلفة:

اشارة

لقد كتب المؤرخون و الكتاب عن حياة كثير من الشخصيات العالمية، و ضبطوا كل

– ليست معلومة و واضحة، و لا يمكن الاعتماد على مطلق الواردات القلبية و الفجائية التى لا تستند الى اصول معلومة.

و بعبارة اخرى: يجب الفصل و التمييز بين الإلهامات الرحمانية و الإلقاءات الشيطانية بواسطة الموازين العقلية و الشرعية.

(۱) الشعراء: ۱۹۳– ۱۹۵، و قد اشير فى سورة الشورى الآية ۵۱ الى هذه الطرق الأربع جميعها.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۳۷

ما جل أو دقّ فى هذا المجال، و ربما تحمّلوا عناء الرحلات الطويلة و الأسفار الشاقة لتكميل دراساتهم، و كتاباتهم.

غير أن التاريخ لا يعرف شخصية مثل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ضبطت تفاصيل سيرته الدقيقة، و اهتم اتباعه و أصحابه و محبّوه بكل شاردة و واردة فى حياته الشريفة.

إنّ هذا الولع الشديد بتسجيل كل شىء– مهما صغر– من حياة النبيّ الاعظم صلّى اللّه عليه و آله و سيرته العطرة كما ساعد على ضبط جميع الجزئيات و التفاصيل فى هذا المجال، تسبب فى بعض الموارد فى إلصاق بعض الزوائد بحياة النبى الاكرم و شخصيته العظيمة، الطاهرة.

و مثل هذا لا يبعد عن المحبّين الجهلاء فكيف بالأعداء الألداء العارفين.

من هنا يتعيّن على كل مؤلف يكتب عن سيرة شخصية من الشخصيات أن لا يغافل عن مبدأ (الحذر و الاحتياط) فى تحليله لحوادثها، و قضاياها، فلا يغافل عن تقييم كل ما جاء حولها من روايات و قصص فى ضوء الموازين التاريخيّة الدقيقة.

و إليك بقية ما جرى فى واقعة نزول (الوحى) فى حراء:

(۱)

بقية حادثة نزول الوحى:

استنارت نفس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و روحه الكبرى بنور «الوحى» المبارك، و تعلّم كل ما ألقى عليه ملك الوحى فى ذلك اللقاء العظيم، و انتقشت تلك الآيات الشريفة فى صدره حرفا حرفا، و كلمة كلمة.

و قد خاطبه نفس ذلك الملك بعد تلاوة تلكم الآيات بقوله:

يا محمّد ... أنت رسول اللّه ... و أنا جبرئيل.

و قيل: انه صلّى اللّه عليه و آله سمع هذا النداء عند نزوله من غار حراء و قد اضطرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، لهذين الحدثين، اضطرب لعظمة المسئولية الكبرى التى القيت على كاهله.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۳۸

(۱) و كان هذا الاضطراب طبيعيا بعض الشىء، و هو لا ينافى بالمرة يقينه صلّى اللّه عليه و آله، و إيمانه بصدق ما انزل عليه لأن الروح مهما بلغت من العظمة و السموّ و القوة و الصلابة، و مهما كانت قوة ارتباطها بعالم الغيب، و بالعوالم الرّوحانية العليا فانّها عند ما تواجه لأول مرّة ملكا لم تره من قبل، و ذلك فى مثل المكان الذى التقى النبى (فوق الجبل) لا بدّ أن يحصل لها مثل هذا الاضطراب، و لهذا زال ذلك الاضطراب عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى ما بعد.

ثم إن الاضطراب و التعب الشديد قد تسبّبا فى أن يتوجه النبى صلّى اللّه عليه و آله إلى بيت «خديجة» عليها السّلام، و عند ما دخل بيتها و وجدت على ملامحه آثار الاضطراب و التفكير سألته عن ما جرى له، فحدّثها بكل ما سمع و رأى و قصّ عليها ما كان من أمر جبرئيل معها، فعظّمت «خديجة» سلام اللّه عليها، أمره، ودعت له، و قالت: أبشر فو اللّه لا يخزيك اللّه أبدا.

ثم إن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الذى كان يشعر بالجهد و التعب قال لزوجته الوفيّة «خديجة»: دثّرينى ... دثّرينى.

فدثّرته، فنام بعض الشيء.

(۲)

خديجة تذهب إلى ورقة بن نوفل:

لقد تحدثنا فى الصفحات الماضية عن «ورقة» و قلنا أنّه كان ممن تنصّر و قرأ الكتب و سمع من أهل التوراة و الانجيل و كان ابن عم خديجة.

فعند ما سمعت «خديجة» زوجة النبى صلّى اللّه عليه و آله ما سمعته منه انطلقت إلى «ورقة» لتخبّره بما سمعته من زوجها الكريم، و شرحت له كل شيء من ما جرى له مع جبرئيل.

فقال «ورقة» فى جواب ابنة عمه: إن ابن عمّك لصادق ... و إن هذا لبدء النبوة، و إنه ليأتيه الناموس الاكبر (أى الرسالة و النبوة) «۱».

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۱۹۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۳۹

(۱) إن ما ذكرناه الى هنا هو فى الحقيقة ملخّص الروايات التاريخية المتواترة التى وصلت إلينا، و التى دوّنت فى جميع الكتب.

بيدانا نلاحظ بين ثنايا هذه الحادثة امورا لا تتفق مع ما نعرفه من أنبياء اللّه و رسله العظام، كما أنها لا تتفق مع ما قرأناه إلى الآن عن حياة هذا النبى العظيم صلّى اللّه عليه و آله.

و ما سنذكره الآن من هذه الزوائد إمّا يجب اعتباره من قبيل الاساطير التاريخية، أو أنّ علينا تأويله بنوع من التأويل.

(۲) و إنا لنعجب قبل كل شيء من المفكّر المصرىّ الدكتور «هيكل» كيف سمح لنفسه و هو الذى تحدث فى مقدمة كتابه عن مشكلة تسرب الاساطير الى التاريخ النبوىّ، و قال: بأنّ هناك من دسّ فى السيرة النبوية، عن عداوة أو جهل، بعض الاكاذيب.

و لكنه مع ذلك ينقل هنا امورا لا أساس لها من الصحّة أبدا، فى حين اعطى فريق من علماء الشيعة- كالمرحوم الطبرسى- ملاحظات مفيدة فى هذا الصعيد.

(۳) و إليك فى ما يلى بعض هذه الاساطير و القضايا المختلفة (على أنها لم تكن جديرة بالاشارة أبدا لو لا- أن بعض المحبّين الجهلاء، و الأعداء الأذكياء ذكروها فى كتبهم، و كرروها فى دراساتهم.

(۴) ۱- قالوا: إنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله عند ما دخل منزل خديجة، كان يفكّر فى نفسه: لعلّ بصره خدعته، أو انه كاهن، او فيه جنون!!

و لكن لمّا قالت له خديجة: «إنّ اللّه لا يفعل بك ذلك يا ابن عبد اللّه، إنك تصدق الحديث، و تؤدّى الأمانة، و تصل الرحم» اطمأنّ، و زال عنه الشك و التردّد، و ألقى على «خديجة» نظر شكر و مودة، ثم طلب أن يزمّل، فزمّل فنام!! «۱».

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۱۹۵، حياة محمّد: ص ۱۳۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۰

(۱) ۲- یقول الطبری و غیره من مؤرخی السیرة: ان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لما سمع نداء یقول: «یا محمّد أنت رسول اللّه» أصابه خوف شدید حتی أنه همّ بأن یطرح نفسه من أعلی الجبل، فتبدی له (ملک الوحی) و منعه عن ذلک!!!

(۲) ۳- ثم إنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ذهب لیطوف بالکعبة بعد ذلک الیوم، فرأی «ورقة بن نوفل» و شرح لورقة ما جری له مع جبرئیل، فقال له ورقة:

«و الذی نفسی بیده، إنّک لنبیّ هذه الامة، و قد جاءک الناموس الأکبر الذی جاء موسی و لتکذبنّه، و لتوذینّه و لتخرجنّه و لتقاتلنه» فأحس «محمّد» بأن ورقة یصدّقه، فاطمأن «۱».

(۳)

بطلان هذه المزاعم:

إن الذی نتصوره هو أن جمیع هذه القصص مختلقة من الاساس، و قد دسّت فی التاریخ و التفسیر عن قصد و هدف، أو دخلت فیهما عن غیر ذلک.

و ذلک:

(۴) أولا: لأننا لتقییم هذه المزاعم یجب ان نلقی نظرة فاحصة إلی تاریخ الأنبیاء الماضین و سیرهم.

إنّ القرآن الکریم قصّ علینا قضایاهم، و سیرهم، و قد وردت فی هذا المجال روایات و أخبار کثیرة.

و إننا لا نجد أی أثر لمثل هذه القصص المشینة فی حیاة أی واحد منهم.

إن القرآن الکریم یقص علینا قصة بدء نزول (الوحی) علی «موسی» بشکل کامل و یبیّن جمیع التفاصیل فی قصته علیه السّلام و لا یذکر أی شیء من الخوف، و الارتعاش، و الوحشة و الفزع، بحیث یحدّث نفسه بالانتحار علی أثر سماع الوحی!! مع أن أرضیة الخوف و الفزع فی مجال «موسی» کانت متوفرة

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۳۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۱

أکثر، لأنه سمع فی لیلة ظلماء و هو فی صحراء خالیة نداء من الشجرة یخبره بأنه نبی مرسل.

و لکن موسی- کما یصرّح القرآن الکریم، بهذه الحقیقة- حافظ علی هدوئه، و سکونه، و عند ما خاطبه اللّه تعالی بقوله: «أن ألق عصاک» القاها من فوره، و کان خوفه من ناحیة العصی التی تبدّلت إلی ثعبان مخیف، لا من جهة الایحاء إلیه.

فهل یمکن، أو یجوز لنا أن نقول: کان «موسی» لحظة الوحی إلیه مطمئنا هادئا ساکنا، و لکن أفضل الأنبیاء و المرسلین اضطرب عند سماع کلام الملک، و فزع الی درجة فکّر فی طرح نفسه من أعلی الجبل؟! هل هذا کلام معقول؟!

لا ریب أن روح محمّد صلّی اللّه علیه و آله ما لم تکن مهیّأة من جمیع الجهات و بصورة کاملة لتلقّی السرّ الالهیّ (النبوة) لا یمکن أن یمن علیه الرب الحکیم بمنصب النبوّة، و یختاره لمقام الرسالة، لأن الهدف الجوهریّ من ابتعاث الرسل، و ارسال الأنبیاء هو هدایة الناس و ارشادهم.

و من کان کذلک من حیث ضعف الروح و وهن النفس بهذه المرتبة بحیث یحدّث نفسه بالانتحار خوفا «۱» و فزعا کیف یمکن ان ینفذ الی نفوس الناس و یؤثر فیهم؟!

(۱) ثانيـا: كيف يمكن أن يطمئن موسـى بمجرد سـماعه للنـداء الالهىّ إلى أنه صادر من جانب اللّه، فطلب من ربّه من فوره أن يجعل أخاه هارون وزيرا له لأنه أفصح منه قولا «۲» بينما لا يطمئن سيد المرسلين و خاتمهم؟!

(۲) ثالثا: لقد كان «ورقة» مسيحيّا حتما، و لكنه عند ما أراد أن يزيل عن «محمّد» الشك و الاضطراب ذكر نبوّة «موسى» عليه السّلام و قال: قد جاءك الناموس الذى جاء موسى «۳».

---

(۱) كما نقل هيكل فى كتابه: «حياة محمّد».

(۲) طه: ۲۹.

(۳) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۳۸ و قد نقل المرحوم المجلسى هذه العبارة عن المنتقى. و لكنه بلفظة-

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۴۲

أ لا يدلّ هذا على أنّ ثمّة يدا إسرائيليّه وراء هذه الحبكة هى التى صاغت هذه القصة و اختلقتها فى غفلة عما كان يدين به «ورقة» بطل القصة؟!

(۱) كل هـذا بغضّ النظر عن أن مثل هذه الامور تتنافى و العظمة التى نعهدها من النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله، و لا تنسـجم معها أبدا، و يبدو أن كاتب «حياة محمّد» أدرك الى درجة ما خرافية هذه القصة و لذلك نجده ينقل بعض مواضيعها بعد جملة: «كما يقولون».

و قد حارب أئمة الشيعة هذه الاساطير بكل قوة، و أبطلوها برمتها.

فعند ما يسأل زرارة الإمام الصادق عليه السّلام مثلا: كيف لم يخف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيما يأتيه من قبل اللّه ان يكون ممّا ينزغ به الشيطان:

قـال الإمام عليه السّـلام: «إنّ اللّه إذا اتخـذ عبـدا و رسولا، أنزل عليه السـكينة و الوقار فكان يأتيه من قبل اللّه عزّ و جلّ مثل الـذى يراه بعينه» «۱».

و يقول العلامة الشيعى الكبير المرحوم الطبرسى فى تفسيره، فى هذا الصدد:

«إن اللّه لا يوحى الى رسوله إلّا بالبراهين النّيرة و الآيات البينة الدالّة على أن ما يوحى إليه إنما هو من اللّه تعالى، فلا يحتاج إلى شـىء سواها و لا يفزع، و لا يفرق» «۲».

- «عيسى» أيضا و لكن لا وجود لذلك فى صحيح البخارى و سيرة ابن هشام اللذين هما الأساس لهذه الامور.

(۱) بحار الأنوار: ح ۱۸ ص ۲۶۲ و فى الكافى: ج ۱ ص ۲۷۱ نظيره.

(۲) مجمع البيان: ج ۱۰ ص ۳۸۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۴۳

(۱)

۱۲ متى نزل الوحى أولا؟

اشارة

لقـد تعرّض يوم مبعث رسول الإسـلام صـلّى اللّه عليه و آله للاختلاـف من حيث التعيين و التحديـد فهو مثـل يوم ولاـدته و يوم وفاته صلّى اللّه عليه و آله غير مقطوع به، من وجهة نظر المؤرخين و كتّاب السيرة النبويّة.

فلقد اتفق علماء الشیعهٔ علی القول بان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعث بالرسالهٔ فی السابع و العشرین من شهر رجب، و أن نزول الوحی علیه قد بدأ من ذلک الیوم نفسه.

[الرأی المشهور بین علماء السنهٔ و استدلالهم]

بینما اشتهر عند علماء السنّهٔ أن رسول الإسلام قد اوتی هذا المقام العظیم فی شهر رمضان المبارک.
ففی ذلک الشهر الفضیل کلّف «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله من جانب اللّه تعالی بهدایهٔ الناس، و بعث بالرسالهٔ.
(۲) و لما کانت الشیعهٔ تشایع عترهٔ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أهل بیته الصادقین، و تعتقد بصحهٔ ما یرونه و یقولون به اتباعا لقول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فیهم، فی حدیث الثقلین: «إنهما لن یفترقا» فانهم اتبعوا- فی تحدید یوم المبعث النبوی الشریف- القول المأثور- بنقل صحیح- عن عترهٔ النبی المطهرین فی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۴

هذا المجال.
فقد روی عن أبناء الرسول و عترته الطاهرهٔ أن عظیم هذا البیت و سیّده (أی النبیّ) قد بعث فی السابع و العشرین من شهر رجب، و هم فی ذلک حجهٔ.
و لهذا لا یمکن الشک و التردد فی صحهٔ هذا القول و ثبوته «۱».
(۱) نعم غایهٔ ما یمکن الاستدلال به علی القول الآخر هو تصریح القرآن الکریم نفسه بأنّ آیات القرآن نزلت فی شهر رمضان، و حیث أن یوم بعثهٔ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان هو بنفسه یوم بدء نزول الوحی، و القرآن علیه، لهذا یجب القول بان یوم البعثهٔ الشریفهٔ انما کان فی نفس الشهر الذی نزل فیه القرآن الکریم: ای شهر رمضان المبارک.
و إلیک فیما یأتی الآیات التی تدل علی أن القرآن الکریم نزل فی شهر رمضان:
۱- «شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ» «۲».
۲- «حم. وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ. إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهٍٔ مُبارَکَهٍٔ» «۳» و تلک اللیلهٔ هی لیلهٔ القدر التی قال عنها سبحانه: «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِٔ الْقَدْرِ. لَیْلَهُٔ الْقَدْرِ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» «۴».
(۲)

ما أجاب به علماء الشیعهٔ:

اشارهٔ

و لقد أجاب محدّثو الشیعهٔ و مفسروهم عن هذا الاستدلال بطرق مختلفهٔ نذکر طائفهٔ منها هنا:
(۳)

الجواب الأوّل:

إن الآیات المذکورهٔ إنّما تدلّ علی أن القرآن نزل فی شهر رمضان و بالذات فی لیلهٔ مبارکهٔ منه هی «لیلهٔ القدر»، و لکنها لا تتعرض

لذكر محلّ نزول هذه

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۸۹.

(۲) البقرة: ۱۸۵.

(۳) الدخان: ۱- ۳.

(۴) القدر: ۱ و ۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۵

الآيات، و أنها أين نزلت؟ و هى بالتالى لا تدل أبدا و مطلقا على أنها نزلت فى تلك الليلة على قلب رسول اللّه؟

فيحتمل أن يكون للقرآن نزولات متعددة إحداها نزول القرآن على رسول اللّه تدريجا.

و الآخر نزوله الدفعى من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور «۱».

و على هذا فما المانع من ان تكون بعض آيات القرآن (من سورة العلق) قد نزلت على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى السابع و العشرين من شهر رجب. ثم نزل القرآن بصورته الجمعية الكاملة فى شهر رمضان من مكان معين أسماه القرآن باللوح المحفوظ، إلى موضع آخر عبر عنه فى بعض الروايات بالبيت المعمور.

(۱) و يؤيّد هذا الرأى قول اللّه تعالى فى سورة الدخان: «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ» فانّ هذه الآية- بحكم رجوع الضمير فيها الى الكتاب- تصرح بأن الكتاب العزيز بأجمعه نزل فى ليلة مباركة (فى شهر رمضان)، و لا بدّ ان يكون هذا النزول غير ذلك النزول الذى تحقق فى يوم المبعث الشريف، لأن فى يوم المبعث لم تنزل سوى آيات معدودة لا اكثر.

و خلاصة الكلام هى ان الآيات التى تصرح بنزول القرآن فى شهر رمضان فى ليلة مباركة (ليلة القدر) لا يمكن أن تدل على أن يوم المبعث الذى نزلت فيه بضع آيات أيضا كان فى ذلك الشهر نفسه، لأنّ الآيات المذكورة تدل على أن مجموع القرآن لا بعضه قد نزل فى ذلك الشهر، فى حين لم تنزل فى يوم المبعث سوى آيات معدودة كما نعلم.

و فى هذه الصورة يحتمل أن يكون المراد من النزول الجمعىّ للقرآن هو نزول مجموع الكتاب العزيز فى ذلك الشهر من «اللوح المحفوظ» إلى «البيت المعمور».

و قد روى علماء الشيعة و السنة روايات و أخبارا بهذا المضمون، و بخاصة

(۱) للتعرف على معنى اللوح المحفوظ راجع كتب التفسير.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۶

الاستاذ الأزهرى محمّد عبد العظيم الزرقانى الذى أورد روايات عديدة فى هذا الصدد فى كتابه «۱».

(۱)

الجواب الثانى:

و هو أمتن الاجوبة و الردود على هذا القول.

فقد بذل الاستاذ الطباطبائى جهدا كبيرا لتوضيحه و بيانه فى كتابه القيم؛ و إليك خلاصته:

يقول العلامة الطباطبائى: إنّ قول اللّه تعالى إنا أنزلناه فى شهر رمضان، المقصود منه هو نزول حقيقة القرآن على قلب النبىّ صلّى اللّه

علیه و آله، لأن للقرآن مضافا الى وجوده التدریجى، واقعیة اطلع اللّه تعالى نبیه العظیم علیها فى لیلة معینة من لیالى شهر رمضان المبارک «۲».

و حیث أنّ النبىّ الاکرم صلّى اللّه علیه و آله کان قد عرف من قبل بجمیع القرآن الکریم لذلک نزلت الآیة تأمره بان لا یعجل بقراءته حتى یصدر الأمر بنزول القرآن تدریجا اذ یقول تعالى: «وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضى إِلَیْکَ وَحْیُهُ» «۳».

و خلاصة هذا الجواب هى: أنّ للقرآن الکریم وجودا جمیعا علمیا واقعیا و هو الذى نزل على الرسول الکریم صلّى اللّه علیه و آله مرة واحدة فى شهر رمضان، و آخر وجودا تدریجیا کان بدء نزوله على النبىّ صلّى اللّه علیه و آله فى یوم المبعث، و استمرّ تنزله الى آخر حیاته الشریفة على نحو التدریج.

(۲)

الجواب الثالث: التفکیک بین نزول القرآن و البعثة

إن للوحى- کما أوضحنا ذلک فى مبحث أنواع الوحى اجمالا- مراتب

---

(۱) مناهل العرفان فى علوم القرآن: ج ۱ ص ۳۷.

(۲) المیزان: ج ۲ ص ۱۴- ۱۶.

(۳) طه: ۱۱۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۷

و مراحل، یتمثل أول مراتبه فى الرؤیا الصادقة التى رآها رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله.

و المرتبة الاخرى تمثلت فى سماعة للنداء الغیبىّ الالهى من دون وساطة ملک.

و آخر تلک المراتب هو أن یسمع النبى کلام اللّه من ملک یبصره و یراه، و یتعرف عن طریقه على حقائق العوالم الاخرى.

و حیث أن النفس الانسانیة لا تستطیع فى الوهلة الاولى تحمّل مراتب (الوحى) جمیعها دفعة واحدة بل لا بدّ أن یتحملها تدریجا، لهذا یجب القول بأنّ النبىّ صلّى اللّه علیه و آله و سلّم قد سمع یوم المبعث (الیوم السابع و العشرون من شهر رجب) النداء السماوىّ الذى یخبره بأنه رسول اللّه، فقط و لم تنزل فى مثل هذا الیوم أیّة آیة قط، و قد استمر الأمر على هذا المنوال مدة من الزمان. ثم بعد مدة بدأ نزول القرآن الکریم على نحو التدریج ابتداء من شهر رمضان.

(۱) و خلاصة هذا الجواب هى أن ابتعاث الرسول صلّى اللّه علیه و آله بالرسالة فى شهر رجب لا یلازم نزول القرآن فى ذلک الشهر حتما.

و على هذا الاساس ما المانع من ان یبعث رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله فى شهر رجب، و ینزل القرآن الکریم فى شهر رمضان من نفس ذلک العام؟

ان هذه الاجابة و إن کانت لا توافق کثیرا من النصوص التاریخیة (لأن کثیرا من المؤرخین صرّحوا بأنّ الآیات الخمس من سورة العلق نزلت فى یوم المبعث نفسه) إلّا أن هناک- مع ذلک- روایات ذکرت قصة البعثة بسماع النبى صلّى اللّه علیه و آله و سلّم للنداء الغیبىّ، و لم تذکر شیئا عن نزول قرآن أو آیات، بل هى تشرح الواقعة على النحو التالى إذ تقول:

فى ذلک الیوم سمع رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله ملکا یقول له: یا محمّد إنّک لرسول اللّه، و جاء فى بعض الأخبار أنه سمع هذا النداء، فقط، و لم تذکر شیئا عن مشاهدة الملک.

و للمزيد من التوضيح، و التوسع يراجع «البحار» فى هذا المجال «١».

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٨۴ و ١٩٠ و ١٩٣ و ٢۵٣، الكافى: ج ٢ ص ۴۶٠، تفسير العيّاشى: ج ١،-

سيد المرسلين ،ج١،ص:٣۴٨

على أن هـذه الاجابـة تختلف عن الإجابـة الرابعـة التى تقول بـأن مبعث النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله كـان فى شـهر رجب، و كـان نزول القرآن الكريم بعد انقضاء الدعوة السرّية التى استغرقت ثلاثة أعوام.

الأنبياء و البشارة برسول اللّه:

و ينبغى- اسـتكمالا لهذا الفصل من التاريخ النبوى- ان نلفت نظر القارئ الكريم الى ان الرسالة المحمّدية المباركة، ممّا بشـر به جميع الأنبياء المتقدمين زمنيا على خاتم الأنبياء و المرسلين محمّد صلّى اللّه عليه و آله.

و لقد اشار القرآن الكريم إلى ذلك اذ قال اللّه تعالى:

«وَ إِذْ أَخَـذَ اللَّهُ مِيثـاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَـةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَـدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُـرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِى قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» «١».

و هـذه الآية و إن كانت تكشف عن أصل عام و كلّى و هو: وجوب تصديق إتباع النبىّ السابق للنبى اللاحق، إلّا أن المصداق الأتمّ لها هو رسول الإسلام الكريم.

فيظهر من هـذه الآيـة أن اللّه تعالى أخذ الميثاق المؤكد من جميع الأنبياء أو من أصـحاب الشـرائع منهم أن يؤمنوا برسالة محمّد صـلّى اللّه عليه و آله، و يدعوا أتباعهم إلى تصديقه و اتباعه و نصرته.

روى الفخر الرازى عن امير المؤمنين على عليه السّلام:

«إن اللّه تعالى ما بعث آدم عليه السّـلام و من بعـده من الأنبياء عليهم الصـلاة و السّـلام إلّا أخذ عليهم العهد لئن بعث محمّد و هو حى ليؤمننّ به و لينصرنه» «٢».

و ممّا يؤيد هذا ان القرآن دعا اهل الكتاب إلى بيان ما قرءوه و وجدوه فى

- ص ٨٠، و هذا الجواب لا ينسجم فقط مع ما رواه البخارى من أنّ بعثة النبى رافقت نزول آيات من سورة العلق عليه.

(١) آل عمران: ٨١.

(٢) مفاتيح الغيب: ج ٢ ص ۵٠٧.

سيد المرسلين ،ج١،ص:٣۴٩

كتبهم حول رسول الإسلام للناس من دون كتمان و إليك فيما يأتى طائفة من الآيات المصرحة بهذا الأمر:

١- قال اللّه تعالى:

«وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ» «١».

٢- قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِكَ ما يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ، وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» «٢».

٣- و قال تعالى:

«الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» «۳».

۴- و قال سبحانه:

«الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۴».

ان القرآن الكريم يصرح بجلاء ان السيد المسيح (عليه السّلام) اخبر عن رسول الإسلام و رسالته اذ يقول تعالى:

«وَ إِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جاءَهُمْ

---

(۱) آل عمران: ۱۸۷.

(۲) البقرة: ۱۷۴.

(۳) البقرة: ۱۴۶.

(۴) الاعراف: ۱۵۷.

سید المرسلین ،ج ۱،ص: ۳۵۰

بِالْبَيِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ» «۱».

كما يتحدث القرآن الكريم عن أهل الكتاب الذين تنكروا لرسالة النبى محمّد صلّى اللّه عليه و آله عند ما بعث و قد كانوا من قبل يخبرون عنه و يطلبون النصر به على اعدائهم اذ قال سبحانه:

«وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ» «۲».

بل و يخبرنا القرآن الكريم بأنّ إبراهيم عليه السّلام يوم أحلّ زوجته و ولده اسماعيل بارض مكة دعا قائلا:

«رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» «۳».

و قد انطبقت هذه الأوصاف على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذ يصفه القرآن الكريم بقوله:

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ» «۴».

محمّد خاتم الأنبياء:

و استكمالا لهذا البحث ينبغي أيضا أن نشير إلى أبرز ناحية فى رسالة النبىّ محمّد صلّى اللّه عليه و آله و نبوته و هى مسألة الخاتمية.

فان القرآن الكريم صرح فى آيات عديدة بكون رسول اللّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله خاتم النبيين، و شريعته خاتمة الشرائع، فلا نبىّ بعده، و لا رسالة بعد رسالته.

---

(۱) الصف: ۶.

(۲) البقرة: ۸۹.

(۳) البقرة: ۱۲۹.

(۴) آل عمران: ۱۶۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۱

و ها نحن ندرج ابرز الآیات الواردة فی هذا المجال:

۱- قال تعالی:

«ما کانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِکُمْ وَ لکِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِیِّینَ وَ کانَ اللَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیماً» «۱».

۲- قال سبحانه:

«تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِیَکُونَ لِلْعالَمِینَ نَذِیراً» «۲».

۳- و قال سبحانه:

«وَ أُوحِیَ إِلَیَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَکُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ» «۳».

۴- و قال تعالی:

«وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا کَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ» «۴».

و الآیات الثلاث الأخیرة تفید بأن رسالة النبیّ محمّد صلّی اللّه علیه و آله عامة و عالمیة و أبدیة لأنه فی غیر هذه الحالة و فی غیر هذه الصورة لن یکون نبیا للناس کافة، و للعالمین جمیعا. و لن یکون نذیرا لقومه و لمن بلغه نداؤه.

هذا و قد صرّح النبی صلّی اللّه علیه و آله نفسه فی أحادیث کثیرة بهذا الموضوع و هو الصادق المصدّق.

فعن ابی هریرة قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«ارسلت إلی الناس کافة و بی ختم النبیّون» «۵».

---

(۱) الأحزاب: ۴۰.

(۲) الفرقان: ۱.

(۳) الانعام: ۱۹.

(۴) سبأ: ۲۸.

(۵) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۱۲۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۳

(۱)

۱۳ ما سبقنی أحد

أوّل من آمن بالنبیّ من الرجال و النّساء:

اشارة

لقد انتشر الإسلام فی العالم بصورة تدریجیة، و یوصف الذین بادروا الی الإیمان بالرسالة الإسلامیة و المساعدة علی نشرها قبل غیرهم ب «السابقین».

و قد کان السبق الی الإیمان برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی صدر الإسلام معیارا للفضل و لهذا یجب أن ندرس هذا الموضوع فی

ضوء المصادر الصحيحة، و نتعرف على من سبق إلى الإيمان بالرسالة الإسلامية من الرجال، و من النساء.

(٢)

من النساء: «خديجة»

إن من المسلّم به تاريخيا أن «خديجة» كانت أول امرأة آمنت برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و لم يخالف فى هذا احد «١»، و نحن هنا ننقل مستندا تاريخيا مهما واحدا ذكره المؤرخون نقلا عن إحدى زوجات النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، مكتفين به رعاية للاختصار.
تقول عائشة: ما غرت على نساء النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إلّا على «خديجة» و إنّى لم ادركها، و قد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لا يكاد يخرج

---

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٤٠.

سيد المرسلين ،ج١،ص:٣٥٤

من البيت حتى يذكر «خديجة» فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوما من الايام فأدركتنى الغيرة، فقلت: هل كانت إلّا عجوزا فقد أبدلك اللّه خيرا منها، فغضب حتى اهتز مقدّم شعره من الغضب ثم قال:
«لا و اللّه ما أبدلنى اللّه خيرا منها، آمنت بى إذ كفر الناس، و صدّقتنى اذ كذّبنى النّاس، و واستنى فى مالها اذ حرمنى الناس و رزقنى اللّه منا اولادا اذ حرمنى أولاد الناس» «١».
(١) و ممّا يدل أيضا على سبق خديجة فى الإيمان برسول اللّه كل نساء العالم جمعاء ما جرى فى قضية بدء الوحى، و نزول القرآن، لأن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله عند ما انحدر من غار «حراء» و اخبر زوجته «خديجة» بما جرى له واجه- رأسا- ايمان زوجته به و قبولها لكلامه، و تصديقها برسالته، تصريحا و تلويحا.
هذا مضافا الى أنها كانت قد سمعت من قبل أخبارا تتعلق بنبوّته و مستقبل رسالته من كهنة العرب و أهل الكتاب، و هذه الأخبار و امانة فتى قريش و صدقه الذى اشتهر به هى التى دفعت بها إلى أن تتزوج بالفتى الهاشمىّ (محمّد).

(٢)

أقدم الرجال اسلاما: «علىّ»

اشارة

إن المشهور المقارب للمتفق عليه بين المؤرخين، سنة و شيعة، هو أن «عليا» كان اول من آمن برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من الرجال.
و نرى فى مقابل هذا القول المشهور أقوالا أخر نادرة قد نقل ناقلوها ما يخالفها أيضا.
فمثلا يقال: إنّ زيد بن حارثة ربيب رسول اللّه و ابنه بالتبنى، أو أبو بكر كان أول من أسلم،

[الدلائل التأريخية و النصوص الدالة على أسبقية الإمام على]

اشارة

و لكن دلائل عديدة (نذكر بعضها هنا على سبيل الاختصار) تشهد على خلاف هذين القولين.

---

(۱) صحيح مسلم، ج ۷ ص ۱۳۴، صحيح البخارى: ج ۵ ص ۳۹، اسد الغابة لابن الأثير الجزرى: ج ۵ ص ۴۲۸، بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۵۵

و إليك بعض هذه الدلائل:

(۱)

۱- علىّ تربّى فى حجر النبىّ

لقد تلقى على عليه السّلام تربيته فى حجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و نشأ و ترعرع فى بيته منذ طفولته، و كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يجتهد فى تربيته و العناية به كالوالد الرحيم.

قال عامّة المؤرخين و كتّاب السيرة بالاتفاق: إنّ قريشا أصابتهم أزمة شديدة (قبل بعثة النبى) و كان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للعباس عمّه، و كان من أيسر بنى هاشم: يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، و قد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق بنا إليه فلنخفّف من عياله، آخذ من بنيه رجلا و تأخذ أنت رجلا فنكفهما عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتى اتيا أبا طالب فقالا له: إنا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه (إلى ان قال:) فأخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليا فضمّه إليه، و أخذ العباس جعفرا فضمّه إليه فلم يزل على مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتى بعثه اللّه تبارك و تعالى نبيا فاتبعه على رضى اللّه عنه و آمن به و صدقه «۱».

(۲) فى هذه الصورة يجب أن نقول بأنّ عليا عليه السّلام انتقل إلى بيت النبىّ و هو دون الثامنة، لأنّ الغرض من أخذ النبى إيّاه من أبيه «أبى طالب» هو التخفيف عن كاهل زعيم مكة (أبى طالب)، و من الواضح أنّ صبيّا فى مثل هذا السنّ (دون الثامنة) مضافا إلى أنّ فصله عن والديه أمر فى غاية الصعوبة، لن يكون لأخذه و تكفّله أى أثر هامّ فى وضع أبيه «أبى طالب» المعيشىّ.

و على هذا يجب أن نفترض له عليه السّلام عمرا يكون لأخذه فيه من قبل النبىّ تأثيرا معتدا به فى وضع أبيه الاقتصادى و المعيشى.

---

(۱) السيرة النبويّة: ج ۱ ص ۲۴۶، البداية و النهاية: ج ۲ ص ۲۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۵۶

فكيف يمكن القول- و الحال هذه- أن أباعد عن البيت النبوىّ مثل «زيد بن حارثة» و غيره اطّلعوا على أسرار الوحى، بينما جهل ابن عم النبى صلّى اللّه عليه و آله و اقرب الناس إليه، و الذى كان معه فى اكثر الأوقات بما أتى به صلّى اللّه عليه و آله و ما نزل عليه.

(۱) إنّ غرض النبىّ صلّى اللّه عليه و آله من تربية الإمام علىّ و تكفّله إياه كان الى حدّ كبير هو أداء ما أسدى إليه أبو طالب من خدمات، و لم يكن ثمة شىء أحبّ الى رسول اللّه من أن يهدى أحدا إلى الصراط المستقيم، فكيف يمكن أن يقال- و الحال هذه- أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حرم ابن عمّه الذى كان يتمتع بذكاء باهر و ضمير يقظ، من هذه النعمة الكبرى.

إن من الأفضل أن نسمع هذا الأمر من لسان «على» نفسه، فقد بيّن عليه السّلام فى الخطبة القاصعة منزلته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قربه إليه هكذا:

«و لقد علمتم موضعى من رسول اللّه بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة، وضعنى فى حجره و أنا وليد، يضمّنى إلى صدره، و يكنفنى فى فراشه، و يمسّنى جسده، و يشمّنى عرفه (عرقه) ... و لقد كنت أتّبعه اتباع الفصيل إثر امّه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما و

یأمرنی بالاقتداء به، و لقد کان یجاورنی فی کل سنة بحراء فأراه و لا یراه غیری، و لم یجمع بیت واحد یومئذ فی الاسلام غیر رسول اللّه، و خدیجة و أنا ثالثهما أری نور الوحی و الرّسالة و أشمّ ریح النبوة» «۱».

(۲) و جاء فی تاریخ الطبری عن ابن اسحاق قال: کان اول ذکر آمن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و صلّی معه و صدّق بما جاءه من عند اللّه «علی بن ابی طالب» علیه السّلام و هو یومئذ ابن عشر سنین، و کان ممّا انعم اللّه به علی علیّ بن ابی طالب علیه السّلام انه کان فی حجر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله

(۱) نهج البلاغة: ج ۲ ص ۱۸۲، و فی هذه الخطبة نفسها یقول: اللّهمّ إنی أوّل من أناب و سمع و اجاب لم یسبقنی إلّا رسول اللّه بالصلاة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۷

قبل الإسلام «۱».

(۱)

۲- علیّ و خدیجة یقیمان الصلاة مع النبیّ:

ینقل ابن الاثیر فی «اسد الغابة»، و ابن حجر فی «الإصابة» عند ترجمة «عفیف الکندی» و کثیر من علماء التاریخ القصة التالیة عنه، بأنه قال:

کنت امرأ تاجرا فقدمت «منی» أیام الحج، و کان العباس بن عبد المطلب امرأ تاجرا فأتیته أبتاع منه و أبیعه، قال: فبینا نحن إذ خرج رجل من خباء یصلّی فقام تجاه الکعبة ثم خرجت امرأة فقامت تصلّی، و خرج غلام یصلّی معه، فقلت: یا عباس ما هذا الدین، إنّ هذا الدین ما ندری به؟ فقال: هذا محمّد بن عبد اللّه یزعم أنّ اللّه أرسله و أن کنوز کسری و قیصر ستفتح علیه، و هذه امرأته «خدیجة بنت خویلد» آمنت به و هذا الغلام ابن عمه «علی بن أبی طالب» آمن به قال عفیف: فلیتنی کنت رابعهم «۲».

و هذه الواقعة ینقلها و یرویها حتی الذین یقصرون فی روایة فضائل الإمام علیّ و کتابتها، و فی امکان القارئ الکریم ان یقف علی هذه القصة فی المصادر التالیة علی وجه التفصیل.

(۲)

۳- أنا الصدّیق الأکبر:

تلاحظ هذه العبارة و نظائرها کثیرا، فی خطب الإمام علیّ علیه السّلام و کلماته فهو یکرّر العبارات التالیة بکثرة:

«أنا عبد اللّه، و أخو رسول اللّه، و أنا الصدّیق الأکبر، لا یقولها بعدی إلا کاذب مفتر، و لقد صلّیت مع رسول اللّه قبل الناس بسبع سنین، و أنا أوّل من

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۵۷.

(۲) الإصابة: ج ۲ ص ۴۸۰، تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۵۷. الکامل: ج ۲ ص ۳۷ و ۳۸، اعلام الوری: ص ۲۵، اسد الغابة: ج ۳ ص ۴۱۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۸

صلّی معه» «۱».

(۱)

۴- أوّلكم إسلاما: على

و لقد وردت أحاديث متواترة عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بتعابير متنوعة قال فيها:

«أوّلكم واردا علىّ الحوض، أوّلكم إسلاما علىّ بن أبى طالب» «۲».

و عند ما يدرس المنصف المحايد هذه الأحاديث، يقطع بأسبقية الإمام علىّ إلى الإسلام، و تقدّمه على غيره فى الإيمان بالدعوة المحمّدية، و لا يختار القولين الآخرين اللّذين لا يذهب إليهما إلّا الأقليّة.

فإنّ ما يناهز الستين شخصا من الصحابة و التابعين يؤيدون القول الأول (أى أن عليّا أول القوم إسلاما و أقدمهم أيمانا) و حتى الطبرىّ نفسه الذى شكّك فى هذا القول، و اكتفى بنقله دون اختياره و تأكيده، روى فى ج ۲ ص ۶۰ بأن «ابن سعد» سأل اباه قائلا: أ كان أبو بكر أولكم إسلاما، فقال: لا و لقد أسلم قبله اكثر من خمسين.

و من غريب الأمر ان مؤرخا كبيرا كابن كثير يتنكر لهذه الحقيقة الساطعة فقد ذكر فى ج ۷ ص ۳۳۴ من كتابه «البداية و النهاية» حديثا صحيحا بإسناد الإمام أحمد الترمذى فى إسلام أمير المؤمنين و أنّه أوّل من اسلم و صلّى ثمّ أردفه بقوله: و هذا لا يصح: من أى وجه كان روى عنه، و قد ورد فى أنّه أوّل من أسلم من هذه الأمّة أحاديث كثيرة لا يصح منها شىء ... إلخ.

و قد تصدى العلامة المحقق الامينى رحمه اللّه للردّ على هذا المقال بالتفصيل و نظرا لأهميّة ما كتبه العلامة الامينى و ما احتوى عليه من نصوص تاريخية نسرده هنا مع ما فيه من تكرار بسيط لبعض ما ذكرناه.

---

(۱) خصائص النسائى: ص ۳ و سنن ابن ماجه: ج ۱ ص ۵۷، مستدرك الحاكم: ج ۱ ص ۱۱۲، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۵۶ و غيرها.

سيد المرسلين ج۱ ۳۵۸ ۴ - أولكم إسلاما: على ..... ص : ۳۵۸

(۲) يراجع مصادر هذا الحديث فى الغدير: ج ۳ ص ۲۲۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۵۹

يقول العلامة الامينى:

نسائل هذا الرّجل لم لا يصح شىء منها من أىّ وجه كان؟! و الطرق صحيحة، و الرّجال نقات، و الحفّاظ حكموا بصحّته، و أرباب السير أطبقوا عليه، و كان من المتسالم عليه بين الصّحابة الأوّلين و التابعين لهم بإحسان.

و نحن لو نقتصر على كلمتنا هذه يحسبها القارئ دعوى مجرّدة لدة دعوى ابن كثير (أعاذنا اللّه عن مثلها) و تخفى عليه جليّة الحال فيهمنا ذكر نزر ممّا يدلّ على المدّعى و إن لم يسعنا ايراد كثير منه روما للاختصار.

النصوص النبوية:

۱- قال صلّى اللّه عليه و آله: أوّلكم واردا- ورودا- على الحوض أوّلكم إسلاما علىّ بن أبى طالب.

أخرجه الحاكم فى المستدرك ۳ ص ۱۳۶ و صحّحه م- و الخطيب البغدادى فى تاريخه ج ۲ ص ۸۱ و يوجد فى الاستيعاب ۲ ص ۴۵۷. شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۵۸.

و فى لفظ: أوّل هذه الأمّة ورودا على الحوض أوّلها إسلاما علىّ بن أبى طالب، رضى اللّه عنه. السيرة الحلبيّة ۱ ص ۲۸۵. سيرة زينى دحلان ۱ ص ۱۸۸ هامش الحلبيّة.

و فى لفظ: أوّل الناس ورودا على الحوض أوّلهم إسلاما علىّ بن أبى طالب مناقب الفقيه ابن المغازلى. مناقب الخوارزمى.

۲- قال صلّی اللّه علیه و آله لفاطمة: زوّجتک خیر أمّتی أعلمهم علما، و أفضلهم حلما و أوّلهم سلما. راجع ما مرّ ص ۹۵.

۳- قال صلّی اللّه علیه و آله لفاطمة: إنّه لأوّل أصحابی إسلاما. أو: أقدم أمّتی سلما. حدیث صحیح راجع ص ۹۵

۴- أخذ صلّی اللّه علیه و آله بید علیّ، فقال: إنّ هذا أوّل من آمن بی، و هذا أوّل من یصافحنی یوم القیامة، و هذا الصدّیق الأکبر. راجع الجزء الثانی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۰

ص ۳۱۳، ۳۱۴.

۵- عن أبی أیوب قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: لقد صلّت الملائکة علیّ و علی علی سبع سنین لأنا کنّا نصلّی و لیس معنا احد یصلّی غیرنا.

مناقب الفقیه ابن المغازلی باسنادین م- أسد الغابة ۴: ۱۸ و مناقب الخوارزمی و فیه: و لم ذلک یا رسول اللّه؟ قال: لم یکن معی من الرجال غیره.

کتاب الفردوس للدیلمی. شرح ابن أبی الحدید عن رسالة الاسکافی ۳ ص ۲۵۸. فرائد السمطین الباب ۴۷.

۶- ابن عبّاس قال قال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله: إنّ اوّل من صلّی معی علیّ. فرائد السمطین الباب ۴۷ بأربع طرق.

۷- معاذ بن جبل قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: یا علیّ! اخصمک بالنبوّة و لا نبوّة بعدی، و تخصم الناس بسبع و لا یجاحدک فیه أحد من قریش، أنت أوّلهم ایمانا باللّه، و أوفاهم بعهد اللّه، و أقومهم بأمر اللّه. الحدیث.

(حلیة الأولیاء ۱ ص ۶۶).

۸- أبو سعید الخدری قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لعلّی- و ضرب بین کتفیه-: یا علیّ لک سبع خصال لا یحاجّک فیهنّ أحد یوم القیامة؛ أنت أوّل المؤمنین باللّه ایمانا، و أوفاهم بعهد اللّه، و أقومهم بأمر اللّه. الحدیث. (حلیة الأولیاء ۱ ص ۶۶).

۹- من حدیث أبی بکر الهذلی و داود بن أبی هند الشعبی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انّه قال لعلیّ علیه السّلام: هذا أوّل من آمن بی و صدّقنی و صلّی معی. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۶.

۱۰- إنّ أبا بکر و عمر خطبا فاطمة فردّهما رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قال: لم أومر بذلک. فخطبها علیّ فزوّجه إیّاها و قال لها: زوّجتک أقدم الأمّة إسلاما. روی هذا الحدیث جماعة من الصحابة منهم: أسماء بنت عمیس و أمّ أیمن و ابن عبّاس و جابر بن عبد اللّه. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۱

کلمات امیر المؤمنین علیه السّلام:

۱- قال علیه السّلام: أنا عبد اللّه، و أخو رسول اللّه، و أنا الصّدیق الأکبر، لا یقولها بعدی إلّا کاذب مفتری، و لقد صلّیت مع رسول اللّه قبل الناس بسبع سنین، و أنا أوّل من صلّی معه.

إسناده من طریق ابن أبی شیبة و النسائی و ابن ماجة و الحاکم و الطبری «۱» صحیح رجاله ثقات، راجع الجزء الثانی من کتابنا ۳۱۴.

۲- قال علیه السّلام: أنا أوّل رجل أسلم مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

أخرجه أبو داود بإسناده الصحیح کما فی شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸.

۳- قال علیه السّلام: أنا أوّل من أسلم مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

أخرجه الخطیب البغدادی فی تاریخه ۴ ص ۲۳۳.

۴- قال علیه السّلام أنا أوّل من صلّی مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

أخرجه أحمد، و الحافظ الهیثمی فی «مجمع الزوائد» و قال: رجاله رجال الصحیح غیر حبّة العرنی و قد وثق. و أخرجه أبو عمرو فی الإستیعاب ۲ ص ۴۵۸.

و ابن قتیبة فی «المعارف» ص ۷۴ من طریق أبی داود عن شعبة عن سلمة بن کهیل عن حبّة عنه علیه السّلام. و الإسناد صحیح رجاله ثقات.

۵- قال علیه السّلام أسلمت قبل أن یسلم النّاس بسبع سنین. الرّیاض النضرة ۲ من ۱۵۸.

۶- قال علیه السّلام: عبدت اللّه مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله سبع سنین قبل أن یعبده أحد من هذه الأمّة. مستدرک الحاکم ۳ ص ۱۱۲.

۷- قال علیه السّلام: عن حکیم مولی زاذان قال: سمعت علیّا یقول:

صلّیت قبل النّاس سبع سنین، و کنّا نسجد و لا نرکع، و أوّل صلاة رکعنا فیها صلاة العصر، شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸.

---

(۱) فی تاریخه ۲ ص ۲۱۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۲

۸- قال علیه السّلام: عبدت اللّه قبل أن یعبده أحد من هذه الأمّة خمس سنین. الإستیعاب ۲ ص ۴۴۸. الرّیاض النضرة ۲ ص ۱۵۸. السیرة الحلبیّة ۱ ص ۲۸۸.

۹- قال علیه السّلام: آمنت قبل الناس سبع سنین. خصائص النسائی ص ۳.

۱۰- قال علیه السّلام: ما أعرف أحدا من هذه الأمّة عبد اللّه بعد نبینا غیری، عبدت اللّه قبل أن یعبده أحد من هذه الأمّة تسع سنین. خصائص النسائی ص ۳.

۱۱- من خطبة له علیه السّلام یوم صفّین: و ابن عمّ نبیّکم معکم بین أظهرکم یدعوکم إلی طاعة ربّکم، و یعمل بسنّة نبیّکم صلّی اللّه علیه، فلا سواء من صلّی قبل کلّ ذکر لم یسبقنی بصلاتی مع رسول اللّه. کتاب نصر ص ۳۵۵.

شرح ابن أبی الحدید ۱ ص ۵۰۳.

۱۲- قال علیه السّلام: اللهمّ لا أعرف عبدا من هذا الأمّة عبدک قبلی غیر نبیّک [قاله ثلاث مرّات] ثمّ قال: لقد صلّیت قبل أن یصلّی الناس. و فی لفظ:

قبل أن یصلّی أحد. أخرجه أحمد، أبو یعلی، البزّاز، الطبرانی، الهیثمی فی المجمع ۹ ص ۱۰۲. و قال: إسناده حسن. شیخ الإسلام الجوینی فی الفرائد الباب ۴۸.

۱۳- من کتاب له علیه السّلام کتبه إلی معاویة: انّ أولی النّاس بأمر هذه الأمّة قدیما و حدیثا أقربها من رسول اللّه، و أعلمها بالکتاب، و أفقهها فی الدین، و أوّلها إسلاما، و أفضلها جهادا. کتاب صفّین لابن مزاحم ص ۱۶۸ ط مصر.

۱۴- فی حدیث عنه علیه السّلام: لا و اللّه إن کنت أوّل من صدّق به فلا أکون أوّل من کذب علیه. المحاسن و المساوئ ۱ ص ۳۶. تاریخ القرمانی هامش الکامل لابن الأثیر ۱ ص ۲۱۸.

۱۵- قال علیه السّلام: بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم الإثنین و أسلمت یوم الثلاثاء.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۳

مجمع الزوائد ۹ ص ۱۰۲. تاریخ القرمانی ۱ ص ۲۱۵. الصواعق ۷۲. تاریخ الخلفاء للسیوطی ۱۱۲. إسعاف الراغبین ۱۴۸.

۱۶- من کتاب کتبه علیه السّلام إلی معاویة: انّ محمّدا صلّی اللّه علیه و آله لمّا دعا إلی الإیمان باللّه و التوحید کنّا أهل البیت أوّل من آمن به؟ و صدّق بما جاء به، فلبثنا أحوالا مجرّمة (أی کاملة) و ما یعبد اللّه فی ربع ساکن من العرب غیرنا. کتاب صفّین لابن مزاحم

ص ۱۰۰.

۱۷- قال علیه السّلام یوم صفّین مخاطبا أصحاب معاویهٔ: و یحکم أنا أوّل من دعا إلی کتاب اللّه، و أوّل من أجاب إلیه. کتاب نصر ۵۶۱.

۱۸- قالت معاذهٔ بنت عبد اللّه العدویّهٔ: سمعت علیّ بن أبی طالب علی منبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: أنا الصدّیق الأکبر آمنت قبل أن یؤمن أبو بکر، و أسلمت قبل أن یسلم أبو بکر. راجع الجزء الثانی ص ۳۱۴.

۱۹- قال علیه السّلام فی خطبهٔ خطبها فی معسکر صفّین: أ تعلمون أنّ اللّه فضّل فی کتابه السابق علی المسبوق، و أنه لم یسبقنی اللّه و رسوله أحد من الأمّهٔ؟! قالوا: نعم. راجع الجزء الأوّل ص ۱۹۵.

۲۰- قال علیه السّلام صلّیت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثلاث سنین قبل أن یصلّی معه أحد من النّاس. أخرجه أحمد باسنادین.

۲۱- قال علیه السّلام یوم الشوری فی حدیث أسلفناه: أمنکم أحد وحّد اللّه قبلی؟ قالوا: لا. أمنکم أحد صلّی القبلتین غیری؟ قالوا: لا. راجع ج ۱ ص ۱۵۹- ۱۶۳، و هذه الفقرهٔ من الحدیث عدّها ابن أبی الحدید ممّا استفاضت به الرّوایات.

۲۲- مرّ فی الجزء الثانی ص ۲۵ فی أبیات له علیه السّلام کتبها إلی معاویهٔ:

سبقتکم إلی الإسلام طرّاغلاما ما بلغت أوان حلمی ۲۳- ذکر ابن طلحهٔ الشافعی فی مطالب السئول ص ۱۱ له علیه السّلام:

أنا أخو المصطفی لا شکّ فی نسبیبه ربیت و سبطاه هما ولدی

صدّقته و جمیع النّاس فی بهممن الضّلالهٔ و الإشراک و النکد

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۴

قال: قال جابر: سمعت علیّا ینشد بهذا و رسول اللّه یسمع: فتبسّم رسول اللّه و قال: صدقت یا علی؟

کلمهٔ الإمام السبط الحسن علیه السّلام:

۲۴- من خطبهٔ للإمام الحسن علیه السّلام فی مجلس معاویهٔ قوله: أنشدکم اللّه أیّها الرّهط؟ أ تعلمون أنّ الذی شتمتموه منذ الیوم صلّی القبلتین کلتیهما؟

و أنت یا معاویهٔ بهما کافر، تراها ضلالهٔ، و تعبد اللات و العزّی غوایهٔ؛ و أنشدکم اللّه هل تعلمون أنّه بایع البیعتین کلتیهما: بیعهٔ الفتح و بیعهٔ الرضوان؟ و أنت یا معاویهٔ بإحداهما کافر، و باخری ناکث. و أنشدکم اللّه هل تعلمون أنّه أوّل الناس ایمانا؟! و إنّک یا معاویهٔ و أباک من المؤلّفهٔ قلوبهم. شرح ابن أبی الحدید ۲ ص ۱۰۱.

۲۵- و فی خطبهٔ له علیه السّلام مرّت فی ج ۱ ص ۱۹۸: فلمّا بعث اللّه محمّد للنبوّهٔ، و اختاره للرّسالهٔ، و أنزل علیه کتابه ثمّ أمره بالدعاء إلی اللّه، فکان أبی أوّل من استجاب للّه و لرسوله، و أوّل من آمن و صدّق اللّه و رسوله صلّی اللّه علیه و آله و قد قال اللّه فی کتابه المنزل علی نبیّه المرسل: «أ فمن کان علی بیّنهٔ من ربّه و یتلوه شاهد منه» فجدّی الّذی علی بیّنهٔ من ربّه، و أبی الذی یتلوه و هو شاهد منه.

رأی الصحابهٔ و التابعین فی أوّل من أسلم

۱- أنس بن مالک قال: نبّئ (بعث) النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یوم الإثنین و أسلم علیّ یوم الثّلاثاء. و فی لفظ له: بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم الإثنین و صلّی علیّ یوم الثّلاثاء.

أخرجه الترمذی فی جامعه ۲ ص ۲۱۴. الطبرانی. الحاکم فی المستدرک ۳ ص ۱۱۲. ابن عبد البرّ فی الإستیعاب ۳ ص ۳۲. ابن الأثیر فی جامع الأصول کما فی تلخیصه تیسیر الوصول ۳ ص ۲۷۱. الجوینی فی فرائد السمطین الباب

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۳۶۵

۴۷. و أوعز إلیه العراقی فی التقریب ۱ ص ۸۵. و یوجد فی شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸. تذکرة السبط ۶۳. السراج المنیر شرح الجامع الصغیر ۲ ص ۴۲۴. شرح المواهب ۱ ص ۲۴۱.

۲- بریدة الأسلمی قال: اوحی إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم الإثنین و صلّی علیّ یوم الثّلاثاء. أخرجه الحاکم فی المستدرک ۳ ص ۱۱۲ و صحّحه هو و أقرّه الذهبی.

۳- زید بن أرقم قال: أوّل من أسلم مع رسول اللّه علیّ بن أبی طالب.

تاریخ الطبری بإسنادین صحیحین رجالهما ثقات. مسند أحمد ۴ ص ۳۶۸.

مستدرک الحاکم ۴ ص ۳۳۶ و صحّحه هو و أقرّه الذهبی. الکامل لابن الأثیر ۲ ص ۲۲.

۴- زید بن أرقم قال: أوّل من صلّی مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیّ.

أخرجه أحمد و الطبرانی کما فی مجمع الهیثمی ۹ ص ۱۰۳ و قال: رجال أحمد رجال الصحیحین. أبو عمرو فی الإستیعاب ۲ ص ۴۵۹.

۵- زید بن أرقم قال: أوّل من آمن باللّه بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیّ بن أبی طالب. الإستیعاب ۲ ص ۴۵۹.

۶- عبد اللّه بن عبّاس قال: أوّل من صلّی علیّ.

جامع الترمذی ۲ ص ۲۱۵. تاریخ الطبری ۲ ص ۲۴۱ بإسناد صحیح.

الکامل لابن الأثیر ۲ ص ۲۲. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۶.

۷- عبد اللّه بن عبّاس قال: لعلیّ أربع خصال لیست لأحد: هو أوّل عربیّ، و أعجمیّ صلّی مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله. مستدرک الحاکم ۳ ص ۱۱۱. الإستیعاب ۲ ص ۴۵۷.

۸- عبد اللّه بن عبّاس قال مجاهد: إنّه قال: أوّل من رکع مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علیّ بن أبی طالب فنزلت فیه هذه الآیة: و أقیموا الصّلاة و آتوا الزّکاة و ارکعوا مع الراکعین. تذکرة السبط ۸.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۳۶۶

۹- عبد اللّه بن عبّاس قال فی خطبة له: إنّ ابن آکلة الأکباد قد وجد من طعام أهل الشام أعوانا علی علیّ بن أبی طالب ابن عمّ رسول اللّه و صهره و أوّل ذکر صلّی معه.

کتاب صفّین لابن مزاحم ۳۶۰. شرح ابن أبی الحدید ۱ ص ۵۰۴. جمهرة الخطب ۱ ص ۱۷۵.

۱۰- عبد اللّه بن عبّاس قال: فرض اللّه تعالی الاستغفار لعلی فی القرآن علی کلّ مسلم بقوله تعالی: «ربّنا اغفر لنا و لإخواننا الذین سبقونا بالإیمان». فکلّ من أسلم بعد علیّ فهو یستغفر لعلیّ. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۶.

۱۱- عبد اللّه بن عبّاس قال: أوّل من أسلم علیّ بن أبی طالب.

الإستیعاب ۲ ص ۴۵۸. مجمع الزوائد ۹ ص ۱۰۲.

۱۲- عبد اللّه بن عبّاس قال: کان علیّ أوّل من آمن من الناس بعد خدیجة رضی اللّه عنهما.

الإستیعاب ۲ ص ۴۵۷ و قال: قال أبو عمرو رضی اللّه عنه: هذا إسناد لا مطعن فیه لأحد لصحّته و ثقة نقلته. و صحّحه الزرقانی فی شرح المواهب ۱ ص ۲۴۲.

۱۳- کان ابن عبّاس بمکّة یحدّث علی شفیر زمزم و نحن عنده فلما قضی حدیثه قام إلیه رجل فقال: یا بن عبّاس؟ إنّی امرؤ من أهل الشام من أهل حمص إنّهم یتبرّءون من علیّ بن أبی طالب رضوان اللّه علیه و یلعنونه. فقال: بل لعنهم اللّه فی الدنیا و الآخرة و أعدّ لهم عذابا مهینا. أ لبعد قرابته من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟ و إنّه لم یکن أوّل ذکران العالمین ایمانا باللّه و رسوله؟ و أوّل من

صلّى و ركع و عمل بأعمال البرّ؟ قال الشامى: انّهم و اللّه ما ينكرون قرابته و سابقته غير انّهم يزعمون أنّه قتل الناس. الحديث. المحاسن و المساوئ للبيهقى ۱ ص ۳۰.

۱۴- عفيف قال: جئت فى الجاهليّة إلى مكّة و أنا اريد أن ابتاع لأهلى من ثيابها و عطرها فأتيت العبّاس بن عبد المطلب و كان رجلا تاجرا فأنا عنده جالس

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۷

حيث أنظر إلى الكعبة و قد حلقت الشمس فى السّماء فارتفعت و ذهبت إذ جاء شابّ فرمى ببصره إلى السّماء ثمّ قام مستقبل الكعبة ثمّ لم البث إلّا يسيرا حتّى جاء غلام فقام على يمينه، ثمّ لم يلبث إلّا يسيرا حتّى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشابّ فركع الغلام و المرأة، فرفع الشابّ فرفع الغلام و المرأة، فسجد الشابّ فسجد الغلام و المرأة فقلت: يا عبّاس؟ أمر عظيم. قال العبّاس: أمر عظيم، أ تدرى من هذا الشابّ؟ قلت: لا. قال: هذا محمّد بن عبد اللّه ابن أخى. أ تدرى من هذا الغلام؟ هذا علىّ ابن أخى. أ تدرى من هذه المرأة؟

هذه خديجة بنت خويلد زوجته، انّ ابن أخى هذا أخبرنى انّ ربّه ربّ السماء و الأرض أمره بهذا الدين الذى هو عليه، و لا و اللّه ما على الأرض كلّها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

خصايص النسائى ۳. تاريخ الطبرى ۲ ص ۲۱. الرّياض النضرة ۲ ص ۱۵۸.

الإستيعاب ۲ ص ۴۵۹. عيون الأثر ۱ ص ۹۳. الكامل لابن الاثير ۲ ص ۲۲.

السيرة الحلبيّة ۱ ص ۲۸۸.

۱۵- سلمان الفارسى قال: أوّل هذه الأمّة ورودا على نبيّها الحوض أوّلها إسلاما علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه.

الإستيعاب ۲ ص ۴۵۷. مجمع الزوائد ۹ ص ۱۰۲ و قال: رجاله ثقات.

و عدّه الإسكافى فى رسالته على العثمانيّة. و أبو عمرو فى الإستيعاب. و العراقىّ فى شرح التقريب ۱ ص ۸۵. و القسطلانى فى المواهب ۱ ص ۴۵ ممّن روى أنّ عليّا أوّل من أسلم.

۱۶- أبو رافع قال: صلّى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أوّل يوم الاثنين و صلّت خديجة آخره و صلّى علىّ يوم الثّلاثاء من الغد.

أخرجه الطبرانى كما فى شرح المواهب ۱ ص ۲۴۰. عيون الأثر ۱ ص ۹۲.

و تجده و سابقه فى الرّياض النضرة ۲ ص ۱۵۸. شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۵۸.

۱۷- أبو رافع قال: مكث علىّ يصلّى مستخفيا سبع سنين و أشهرا قبل أن يصلّى أحد. أخرجه الطبرانى. الهيثمى فى المجمع ۹ ص ۱۰۳. الجوينى فى

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۸

الفرائد ب ۴۷.

۱۸- أبو ذر الغفارى، عدّ ممّن روى انّ علىّ بن أبى طالب أوّل من أسلم.

الإستيعاب ۲ ص ۴۵۶. التقريب و شرحه ۱ ص ۸۵. المواهب اللدنيّة ۱ ص ۴۵.

۱۹- خباب بن الأرت قال: رأيت عليّا يصلّى قبل الناس مع النبىّ و هو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ. رسالة الإسكافى. و عدّ ممّن روى انّ عليّا أوّل من أسلم فى الاستيعاب ۲ ص ۴۵۶. و المواهب اللدنيّة ۱ ص ۴۵.

۲۰- المقداد بن عمرو الكندى، ممّن روى انّ عليّا أوّل من أسلم كما فى الإستيعاب ۲ ص ۴۵۶. و التقريب و شرحه ۱ ص ۸۵. و المواهب اللدنيّة ۱ ص ۴۵.

۲۱- جابر بن عبد اللّه الأنصارى، قال: بعث النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يوم الإثنين و صلّى علىّ يوم الثّلاثاء. الطبرى ۲ ص ۲۱۱. الكامل

لابن الأثير ۲ ص ۲۲. شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۵۸، و عدّه أبو عمرو و العراقىّ و القسطلانى ممّن روى انّ عليّا أوّل من أسلم.

۲۲- أبو سعيد الخدرى روى إنّ علىّ بن أبى طالب أوّل من أسلم.

الإستيعاب ۲ ص ۴۵۶. شرح التقريب ۱ ص ۸۵. المواهب اللدنيّة ۱ ص ۴۵.

۲۳- حذيفة بن اليمان قال: كنّا نعبد الحجارة و نشرب الخمر و علىّ من أبناء أربع عشرة سعة قائم يصلّى مع النبىّ ليلا و نهارا، و قريش يومئذ تسافه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما يذبّ عنه إلّا علىّ. شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۶۰.

۲۴- عمر بن الخطّاب قال عبد اللّه بن عبّاس: سمعت عمرو عنده جماعة فتذاكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر: أمّا على فسمعت رسول اللّه: يقول فيه ثلاث خصال، لوددت أن تكون لى واحدة منهنّ، و كانت أحبّ إلىّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا و أبو عبيدة و أبو بكر و جماعة من أصحابه إذ ضرب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله على منكب علىّ رضى اللّه عنه فقال له: يا علىّ؟ أنت أوّل

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۶۹

المؤمنين ايمانا، و أوّل المسلمين إسلاما، و أنت منّى بمنزلة هارون من موسى.

رسالة الإسكافى. مناقب الخوارزمى. شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۵۸.

۲۵- عبد اللّه بن مسعود قال: أوّل حديث علمته من أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنّى قدمت مكّة مع عمومة لى (و ذكر مثل حديث عفيف المذكور ص ۲۲۶) رسالة الإسكافى.

۲۶- أبو أيّوب الأنصارى، أخرج الطبرانى عنه انّه قال: أوّل الناس إسلاما علىّ بن أبى طالب. شرح التقريب ۱ ص ۸۵. شرح الزرقانى ۱ ص ۲۴۲.

۲۷- أبو مرازم يعلى بن مرّة، عدّة الزرقانى فى شرح المواهب ۱ ص ۲۴۲ ممّن قال: إنّ عليّا اوّل الناس إسلاما.

۲۸- هاشم بن عتبة المرقال قال: أنت يا أمير المؤمنين! أقرب الناس من رسول اللّه رحما، و أفضل الناس سابقة و قدما. كتاب نصر ۱۲۵. جمهرة الخطب ۱ ص ۱۵۱.

۲۹- فى كلام لهاشم بن عتبة يوم صفّين: انّ صاحبنا هو أوّل من صلّى مع رسول اللّه، و أفقهه فى دين اللّه، و أولاه برسول اللّه.

كتاب نصر ۴۰۳. تاريخ الطبرى ۶ ص ۲۴. الكامل لابن الأثير ۳ ص ۱۳۵. و قال هاشم يوم صفّين:

مع ابن عمّ أحمد المعلّى‌فيه الرّسول بالهدى استهلا

أوّل من صدّقه و صلّى‌فجاهد الكفّار حتّى أبلى «۱» ۳۰- مالك بن الحارث الأشتر قال فى خطبة له: معنا ابن عم نبيّنا و سيف من سيوف اللّه علىّ بن أبى طالب، صلّى مع رسول اللّه لم يسبقه إلى الصلاة ذكر، حتّى كان شيخا لم يكن له صبوة و لا نبوة و لا هفوة، فقيه فى دين اللّه، عالم بحدود اللّه.

كتاب نصر ۲۶۸. شرح ابن أبى الحديد ۱ ص ۴۸۴. جمهرة الخطب ۱

---

(۱) كتاب صفين لابن مزاحم: ۳۷۱ ط مصر.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۷۰

ص ۱۸۳.

۳۱- عدىّ بن حاتم قال فى خطبة له مخاطبا معاوية: ندعوك إلى أفضل الأمّة سابقة، و أحسنها فى الإسلام آثارا.

كتاب نصر ۲۲۱. تاريخ الطبرى ۶ ص ۲. شرح ابن أبى الحديد ۱ ص ۳۴۴. و فى لفظ ابن الأثير فى الكامل ۳ ص ۱۲۴: انّ ابن عمّك سيد المسلمين أفضلها سابقة.

۳۲- عدىّ بن حاتم قال فى خطبة اخرى له: إن كان له «لعلىّ» عليكم فضل فليس لكم مثله فسلّموا و إلّا فنازعوا عليه، و اللّه لئن كان

إلى العلم بالكتاب و السنّة؟ انّه لأعلم الناس بهما. و لئن كان إلى الإسلام؟ إنّه لأخو نبى اللّه و الرأس فى الإسلام. الإمامة و السياسة ۱ ص ۱۰۳.

۳۳- محمّد بن الحنفيّة قال سالم بن أبى الجعد قلت له: أبو بكر كان أوّلهم إسلاما؟! قال: لا. الاستيعاب ۲ ص ۴۵۸. إذا ثبت أنّ أبا بكر لم يكن أوّل الناس إسلاما فعلىّ عليه السّلام هو المتعيّن سبق إسلامه.

۳۴- طارق بن شهاب الأحمسى فى كلام له: ثمّ قلت: ادع عليّا و هو أوّل المؤمنين ايمانا باللّه و ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و وصيّه، هذا أعظم، الحديث. شرح ابن أبى الحديد ۱ ص ۷۶.

۳۵- عبد اللّه بن هاشم المرقال قال فى خطبة له: يا أيّها النّاس! انّ هاشما جاهد فى طاعة ابن عمّ رسول اللّه، و أوّل من آمن به؛ و أفقههم فى دين اللّه.

كتاب نصر ۴۰۵.

۳۶- عبد اللّه بن حجل قال: يا أمير المؤمنين! أنت أوّلنا ايمانا، و آخرنا بنبىّ اللّه عهدا. الإمامة و السياسة ۱ ص ۱۰۳، كتاب نصر.

۳۷- أبو عمرة بشير بن محصن قال فى جمع من أصحاب على و معاوية: إنّ صاحبى أحق البريّة كلّها بهذا الأمر فى الفضل و الدين و السابقة فى الإسلام و القرابة من رسول اللّه. كتاب نصر ۲۱۰.

۳۸- عبد اللّه بن خباب بن الأرت قال ابن قتيبة: إنّ الخارجة الّتى خرجت

على علىّ بينما هم يسيرون فإذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له فعبروا إليه الفرات فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا رجل مؤمن، قالوا: فما تقول فى علىّ بن أبى طالب؟ قال: أقول: إنّه أمير المؤمنين و أوّل المسلمين ايمانا باللّه و رسوله. قالوا:

فما اسمك؟ قال: و أنا عبد اللّه بن خباب بن الأرت صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. الإمامة و السياسة ۱ ص ۱۲۲.

۳۹- عبد اللّه بن بريدة قال: أوّل الرجال إسلاما علىّ بن أبى طالب ثمّ الرهط الثلاث: أبو ذر و بريدة و ابن عمّ لأبى ذرّ. أخرجه محمّد بن إسحاق المدنى فى الجزء الأوّل من المغازى.

۴۰- محمّد بن أبى بكر كتب إلى معاوية كتابا منه: فكان أوّل من أجاب و أناب، و صدّق و وافق، و أسلم و سلم أخوه و ابن عمّه علىّ بن أبى طالب- الى أن قال-: أوّل الناس إسلاما، و أصدق الناس نيّة- إلى قوله- يا لك الويل! تعدل نفسك بعلىّ و هو وارث رسول اللّه و وصيّه و أبو ولده، و أوّل الناس له اتّباعا، و آخرهم به عهدا، يخبره بسرّه، و يشركه فى أمره. نصر فى كتاب صفّين ۱۳۳.

۴۱- عمرو بن الحمق قال لعلى: أحببتك لخصال خمس: انّك ابن عمّ رسول اللّه، و أوّل من آمن به. و فى لفظ: و أسبق النّاس إلى الإسلام، أبو الذريّة التى بقيت فينا من رسول اللّه، و أعظم رجل من المهاجرين سهما فى الجهاد.

كتاب صفّين ۱۱۵. جمهرة الخطب ۱ ص ۱۴۹.

۴۲- سعيد بن قيس الهمدانى يرتجز فى صفّين بقوله «۱»:

هذا علىّ و ابن عمّ المصطفى أوّل من أجابه ممّن دعا

هذا الإمام لا يبالى من غوى

۴۳- عبد اللّه بن أبى سفيان قال مجيبا الوليد «۲»

و إنّ ولىّ الأمر بعد محمّد علىّ و فى كلّ المواطن صاحبه

---

(۱) شرح النهج لابن ابى الحديد: ج ۱۳ ص ۲۳۲ و فيه «أول من أجابه فيما روى».

(۲) رسالة الاسكافى، و ذكرهما الحافظ الكنجى فى الكفاية ص ۴۸ للفضل بن العبّاس.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۲ وصیّ رسول اللّه حقّا و صنوهو أوّل من صلّی و من لان جانبه ۴۴- خزیمة بن ثابت الأنصاری عدّه العراقی فی شرح التقریب ۱ ص ۸۵، و الزرقانی فی شرح المواهب ۱ ص ۲۴۲ ممّن قال بأنّ علیّا أوّل الناس إسلاما.

و قالا: أنشد المرزبان له فی علیّ:

أ لیس أوّل من صلّی لقبلتکمو أعلم النّاس بالقرآن و السنن و ذکر له الإسکافی فی رسالته کما فی شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۹:

وصیّ رسول اللّه من دون أهلهو فارسه مذ کان فی سالف الزمن

و أوّل من صلّی من الناس کلّهمسوی خیرة النسوان و اللّه ذو المنن و ذکرهما له الحاکم فی المستدرک ۳ ص ۱۱۴، و ذکر قبلهما:

إذا نحن بایعنا علیّا فحسبناأبو حسن ممّا نخاف من الفتن

وجدناه أولی النّاس بالنّاس أنّهأطبّ قریش بالکتاب و بالسنن «۱» ۴۵- کعب بن زهیر، ذکر الزرقانی فی شرح المواهب ۱ ص ۲۴۲.

من قصیدة یمدح بها أمیر المؤمنین علیه السّلام:

إنّ علیّا لمیمون نقیبتهبالصّالحات من الأفعال مشهور

صهر النبیّ و خیر النّاس کلّهمفکلّ من رامه بالفخر مفخور

صلّی الصلاة مع الامّی أوّلهمقبل العباد و ربّ الناس مکفور «۲» ۴۶- ربیعة بن الحرث بن عبد المطلب، ذکر جمع من الأعلام له أبیات و ذکرها آخرون لغیره و هی:

ما کنت أحسب انّ الأمر منصرفعن هاشم ثمّ منها عن أبی حسن

أ لیس أوّل من صلّی لقبلتهم؟!و أعلم النّاس بالآیات و السنن؟!

و آخر النّاس عهدا بالنبیّ؟و من جبریل عون له فی الغسل و الکفن؟

---

(۱) و لهذه الابیات بقیة توجد فی الفصول المختارة ۲ ص ۶۷.

(۲) فی النسخة تصحیف ذکرناها صحیحة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۳ من فیه ما فیهم ما تمترون به؟!و لیس فی القوم ما فیه من الحسن

ما ذا الذی ردّکم عنه؟! فنعلمها إنّ بیعتکم من أوّل الفتن و ذکر الإسکافی فی رسالته البیتین الأوّلین منها و نسبهما إلی أبی سفیان بن حرب بن امیّة بن عبد شمس حین بویع أبو بکر. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۹.

۴۷- الفضل بن أبی لهب قال ردّا علی قصیدة الولید بن عاقبة:

ألا انّ خیر النّاس بعد محمّدمهیمنه التالیة فی العرف و النکر

و خیرته فی خیبر و رسولهبنبذ عهود الشرک فوق أبی بکر

و أوّل من صلّی صنو نبیّهو أوّل من أردی الغواة لدی بدر

فذاک علیّ الخیر من ذا یفوقه؟!أبو حسن حلف القرابة و الصهر ۴۸- مالک بن عبادة الغافقی حلیف حمزة بن عبد المطلب قال:

رأیت علیّا لا یلبّث قرنهإذا ما دعاه حاسرا أو مسربلا

فهذا و فی الإسلام أوّل مسلمو أوّل. من صلّی و صام و هلّلا ۴۹- أبو الأسود الدؤلی یهدّد طلحة و الزبیر بقوله:

و إنّ علیّا لکم مصحریماثله الأسد الأسود

أما انّه أوّل العابدینبمکّة و اللّه لا یعبد «۱» ۵۰- جندب بن زهیر کان یرتجز یوم صفین بقوله:

هذا علیّ و الهدی حقّا معهیا ربّ فاحفظه و لا تضیّعه

فإنّه یخشاک ربّی فارفعهنحن نصرناه علی من نازعه

صهر النبيّ المصطفى قد طاوعه‌أوّل من بايعه و تابعه «٢» ٥١- زفر بن يزيد «٣» بن حذيفة الأسدى قال:

فحوطوا عليّا فانصروه فإنّه‌وصيّ و فى الإسلام أوّل أوّل

---

(١) رسالة الاسكافى كما شرح ابن ابى الحديد: ٢ ص ٢٥٩.

(٢) كتاب نصر بن مزاحم: ٤٥٣.

(٣) فى بعض المصادر: زفير بن زيد.

سيد المرسلين ،ج١،ص:٣٧٤ و إن تخذلوه و الحوادث جمّ ةفليس لكم عن أرضكم متحوّل «١» ٥٢- النجاشى بن الحارث بن كعب قال:

فقل للمضلّل من وائل‌و من جعل الغثّ يوما سمينا

جعلت ابن هند و أشياعه‌نظير عليّ أ ما تستحونا؟!

إلى أوّل النّاس بعد الرسول‌أجاب النبيّ من العالمينا

و صهر الرّسول و من مثله‌إذا كان يوم يشيب القرونا؟! «٢» ٥٣- جرير بن عبد اللّه البجلى قال:

فصلّى الإله على أحمدرسول المليك تمام النعم

و صلّى على الطهر من بعده‌خليفتنا القائم المدّعم

عليّا عنيت وصيّ النبيّ‌يجالد عنه غواة الامم

له الفضل و السبق و المكرمات و بيت النبوّة لا المهتضم ٥٤- عبد اللّه بن حكيم التميمى قال:

دعانا الزبير إلى بيعةو طلحة من بعد أن أثقلا

فقلنا: صفقنا بايماننافإن شئتما فخذا الأشملا

نكثتم عليّا على بيعةو إسلامه فيكم أوّلا ٥٥- عبد الرحمن بن حنبل [جعل] الجمحى حليف بنى الجمح قال:

لعمرى لئن بايعتم ذا حفيظةعلى الدين معروف العفاف موفّقا

عفيفا عن الفحشاء أبيض ماجداصدوقا و للجبّار قدما مصدّقا

أبا حسن فارضوا به و تبايعوافليس كمن فيه يرى العيب منطقا

عليّ وصيّ المصطفى و وزيره‌و أوّل من صلّى لذى العرش و اتّقى «٣» ٥٦- أبو عمرو عامر الشعبى الكوفى قال: أوّل من أسلم من الرّجال عليّ ابن أبى طالب و هو ابن تسع سنين. رسالة الإسكافى كما فى شرح ابن أبى

---

(١) رسالة الاسكافى كما فى شرح ابن ابى الحديد: ٣ ص ٢٥٩.

(٢) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ٦٦.

(٣) كفاية الطالب الحافظ الكنجى: ٤٨.

سيد المرسلين ،ج١،ص:٣٧٥

الحديد ٣ ص ٢٦٠.

٥٧- أبو سعيد الحسن البصرى قال: عليّ أوّل من أسلم بعد خديجة. أخرجه أحمد عن عبد الرّزاق عن معمر عن قتادة عنه. و رواه الإسكافى فى رسالته عن عبد الرّزاق كما فى شرح ابن أبى الحديد ٣ ص ٢٦٠.

و قال الحجّاج للحسن و عنده جماعة من التابعين و ذكر عليّ بن أبى طالب:

ما تقول أنت یا حسن؟ فقال: ما أقول؟ هو: أوّل من صلّی إلی القبلة، و أجاب دعوة رسول اللّه. و انّ لعلیّ منزلة من ربّه و قرابة من رسوله، و قد سبقت له سوابق لا یستطیع ردّها أحد. فغضب الحجّاج غضبا شدیدا و قام عن سریره فدخل بعض البیوت.

و قال رجل للحسن: ما لنا لا- نراک تثنی علی علیّ و تقرّظه؟ قال کیف؟! و سیف الحجّاج یقطر دما، انّه أوّل من أسلم، و حسبکم بذلک. رسالة الإسکافی کما فی شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸.

۵۸- الإمام محمّد بن علیّ الباقر قال: أوّل من آمن باللّه علیّ بن أبی طالب و هو ابن إحدی عشرة سنة. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۶۰.

۵۹- قتادة بن دعامة الأکمة البصری قال: علیّ أوّل من أسلم بعد خدیجة. أخرجه أحمد کما سمعت، و القسطلانی عدّه ممّن قال به فی المواهب ۱ ص ۴۵، و أقرّه الزرقانی فی شرحه ۱ ص ۲۴۲.

۶۰- محمّد بن مسلم المعروف بابن شهاب «۱» عدّه القسطلانی فی المواهب ۱ ص ۴۵، و أقرّه الزرقانی فی شرحه ۱ ص ۲۴۲ من القائلین بأنّ علیّا أوّل من أسلم.

۶۱- أبو عبد اللّه محمّد بن المکندر المدنی قال: علی اوّل من أسلم. تاریخ الطبری ۲ ص ۲۱۳. الکامل لابن الأثیر ۲ ص ۲۲.

۶۲- أبو حازم سلمة بن دینار المدنی قال: علیّ أوّل من أسلم. تاریخ الطبری ۱ ص ۲۱۳. الکامل لابن الأثیر ۲ ص ۲۲.

---

(۱) نسبة الی جد جده.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۶

۶۳- أبو عثمان ربیعة بن أبی عبد الرّحمن المدنی قال: علیّ أوّل من أسلم. تاریخ الطبری ۲ ص ۲۱۳. الکامل لابن الأثیر ۲ ص ۲۲.

۶۴- أبو النضر محمّد بن السائب الکلبی قال: علیّ أوّل من أسلم، أسلم و هو ابن تسع سنین. تاریخ الطبری ۲ ص ۲۱۳. الکامل لابن الأثیر ۲ ص ۲۲.

۶۵- محمّد بن اسحاق قال: کان أوّل ذکر آمن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و صلّی معه و صدّقه بما جاءه من عند اللّه علیّ بن أبی طالب و هو یومئذ ابن عشر سنین «۱» و کان ممّا أنعم اللّه به علی علیّ بن أبی طالب انّه کان فی حجر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قبل الإسلام.

و قال: و ذکر بعض أهل العلم أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان إذا حضرت الصّلاة خرج إلی شعاب مکّة و خرج معه علیّ بن أبی طالب، مستخفیا من عمّه أبی طالب و جمیع أعمامه و سائر قومه فیصلّیان الصّلوات فیها، فإذا أمسیا رجعا فمکثا کذلک ما شاء اللّه أن یمکثا، ثمّ إنّ أبا طالب عثر علیهما یوما و هما یصلّیان فقال لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: یا ابن أخی ما هذا الدین؟ الحدیث.

تاریخ الطبری ۲ ص ۲۱۳. سیرة ابن هشام ۱ ص ۲۶۴، ۲۶۵. سیرة ابن سیّد الناس ۱ ص ۹۳. الکامل لابن الأثیر ۴ ص ۲۲. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۶۰. السیرة الحلبیّة ۱ ص ۲۸۷.

۶۶- جنید بن عبد الرّحمن قال: أتیت من حوران إلی دمشق لآخذ عطائی فصلّیت الجمعة ثمّ خرجت من باب الدرج فإذا علیه شیخ یقال له: أبو شیبة القاصّ یقصّ علی الناس، فرغّب فرغبنا، و خوّف فبکینا، فلمّا انقضی حدیثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبی تراب. فلعنوا أبا تراب علیه السّلام فالتفت إلیّ من علی یمینی فقلت له: فمن أبو تراب؟ فقال: علیّ بن أبی طالب ابن عمّ رسول اللّه، و زوج ابنته، و أوّل النّاس إسلاما، و أبو الحسن و الحسین. فقلت: ما أصاب هذا القاصّ؟! فقمت إلیه و کان ذا وفرة فأخذت و فرته بیدی و جعلت ألطم وجهه

---

(۱) فی الکامل لابن الاثیر: ۲ ص ۳۲. احدی عشرة سنة. نقلا عن ابن اسحاق.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۷

و أبطح برأسه الحائط، فصاح فاجتمع أعوان المسجد فوضعوا ردائی فی رقبتی و ساقونی حتّی دخلونی علی هشام بن عبد الملک و أبو شیبة یقدمنی فصاح یا أمیر المؤمنین؟ قاصّک و قاصّ آبائک و أجدادک أتی إلیه الیوم أمر عظیم. قال:

من فعل لک؟ فقال: هذا. فالتفت إلیّ هشام و عنده أشراف النّاس فقال:

یا أبا یحیی؟ متی قدمت؟ فقلت: أمس و أنا علی المصیر إلی أمیر المؤمنین فادرکتنی صلاة الجمعة فصلّیت و خرجت إلی باب الدرج فإذا هذا الشیخ قائم یقصّ فجلست إلیه فقر أ فسمعنا، فرغّب من رغّب، و خوّف من خوّف؛ و دعا فأمّنا، و قال فی آخر کلامه: اختموا مجلسنا بلعن أبی تراب، فسألت من أبو تراب؟

فقیل: علیّ بن أبی طالب، أوّل الناس إسلاما، و ابن عم رسول اللّه، و أبو الحسن و الحسین، و زوج بنت رسول اللّه. فو اللّه یا أمیر المؤمنین؟ لو ذکر هذا قرابة لک بمثل هذا الذکر و لعنه بمثل هذا اللعن لأحللت به الذی أحللت، فکیف لا أغضب لصهر رسول اللّه و زوج ابنته؟! فقال هشام: بئس ما صنع. تاریخ ابن عساکر ۳ ص ۴۰۷.

هذه جملة من النصوص النبویّة، و الکلم المأثورة عن أمیر المؤمنین و الصحابة و التابعین فی أنّ علیّا أوّل من أسلم: و هی تربو علی مائة کلمة، أضف إلیها ما مرّج ۲ ص ۲۷۶ من أنّ أمیر المؤمنین سبّاق هذه الأمّة. و اشفع الجمیع بما أسلفناه ج ۲ ص ۳۰۶ من أنّه صلوات اللّه علیه صدّیق هذه الامة، و هو الصدّیق الاکبر.

فهل تجد عندئذ مساغا لمکابرة ابن کثیر تجاه هذه الحقیقة الراهنة و قوله: و قد ورد فی أنّه أوّل من أسلم. إلخ؟!؟! فإذا لا یصحّ مثل هذه فما الّذی یصحّ؟

و إن کان لا یصحّ شیء منها فما قیمة تلک الکتب المشحونة بها؟! کلا، إنّها کلمة هو قائلها و من ورائهم برزخ إلی یوم یبعثون.

و أنت تری الرجل یزیف هذه الکلم و النصوص الکثیرة الصحیحة بحکم الحفّاظ الأثبات بکلمة واحدة قارصة، و یعتمد فی إثبات أیّ أمر یروقه فی تاریخه علی المراسیل و المقاطیع و الآحاد، و نقل المجاهیل و أفناء الناس «۱».

---

(۱) الغدیر: ج ۳ ص ۲۱۹- ۲۳۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۸

(۱)

مناظرة بین المأمون و اسحاق [فی إسلام علی ع]:

و لقد دارت بین المأمون العباسی و إسحاق و هو من العلماء المشهورین حوار طریف فی هذا المجال ینقله ابن عبد ربّه فی کتابه «العقد الفرید» نذکر هنا خلاصته:

قال المأمون: یا إسحاق أی الأعمال کان أفضل یوم بعث اللّه رسوله؟

ابن إسحاق: الإخلاص بالشهادة.

المأمون: أ لیس السبق الی الإسلام؟

ابن إسحاق: نعم.

المأمون: اقرأ ذلک فی کتاب اللّه یقول: «و السابقون السابقون اولئک المقرّبون» إنّما عنی من سبق إلی الإسلام، فهل علمت أحدا سبق علیّا إلی الإسلام؟

ابن إسحاق: إنّ علیا أسلم و هو حدیث السنّ لا یجوز علیه الحکم و أبو بکر أسلم و هو مستکمل یجوز علیه الحکم.

(۲) و هنا أمسک المأمون بزمام الکلام و قال:

أخبرنی عن إسلام علیّ حین أسلم لا یخلو من أن یکون رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله دعاه إلی الإسلام، أو یکون إلهاما من اللّه؟

قال إسحاق: بل دعاه رسول اللّه الی الإسلام.

قال المأمون: یا إسحاق هل یخلو رسول اللّه حین دعاه الی الإسلام من ان یکون دعاه بأمر من اللّه أو تکلّف ذلک من نفسه؟

ثمّ قال: یا اسحاق لا تنسب رسول اللّه إلی تکلّف فإن اللّه یقول: «وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَکَلِّفِینَ».

فإذا دعاه بأمر اللّه و لیس من صفة الجبّار- جلّ ذکره- أن یکلّف رسله دعاء من لا یجوز علیه حکم، أ فتراه فی قیاس قولک یا إسحاق؟ أن علیا أسلم صبیا لا یجوز علیه الحکم قد تکلّف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من دعاء

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۹

الصبیان ما لا یطیقون «۱».

و علی هذا الاساس یجب اعتبار ایمان علی علیه السّلام ایمانا صحیحا ثابتا لم یقلّ عن إیمان الآخرین أهمیة و قیمة بل هو افضل مصداق لقوله تعالی:

«وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ»، هو الإمام علی بن أبی طالب.

(۱)

قضیّة «انقطاع الوحی»:

اشارة

لقد أضاءت روح النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و نفسه الشریفة و استنارت بنور الوحی، و دفعه ذلک الی التأمّل و التفکیر فی الوظیفة الکبری و الثقیلة التی جعلها اللّه علی کاهله، و خاصة عند ما خاطبه اللّه تعالی بقوله:

«یا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَ رَبَّکَ فَکَبِّرْ» «۲».

و هنا طرح المؤرخون و بخاصّة الطبریّ الّذی لا یخلو تاریخه من الاساطیر الاسرائیلیّة قضیّة باسم «انقطاع الوحی» فقالوا: إن رسول اللّه بعد أن رأی ذلک الملک و سمع منه الآیات الاولی من القرآن الکریم بقی ینتظر نزول خطاب آخر من جانب اللّه تعالی، و لکن دون جدوی، فهو لم یر ذلک الملک الجمیل بعد ذلک، و لا أنه سمع النداء الغیبیّ مرة اخری علی غرار ما رأی و سمع فی بدء نزول الوحی.

(۲) و لو کان لانقطاع الوحی فی بدایة عهد الرسالة (الذی ادّعاه هؤلاء) حقیقة فما هو سوی النزول التدریجی للقرآن لیس إلّا.

و قد تعلّقت المشیئة الالهیة اساسا بأن ینزل الوحی علی رسول اللّه تدریجا، لا دفعة واحدة و ذلک لمصالح معینة، و حیث أن الأمر فی بدء الوحی کان علی أوّله و فی بدایته، لذلک لم ینزل الوحی الالهی بعد المرة الاولی فورا، و لکن حمل هذا علی «انقطاع الوحی» و لم یکن لا انقطاع الوحی و لا أیة مسألة اخری من

---

(۱) العقد الفرید: ج ۵ ص ۳۵۲ طبعة بیروت دار الکتب العلمیة و ج ۵ ص ۹۴ طبعة لجنة التألیف القاهرة.

(۲) المدثر: ۱- ۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۰

هذا القبیل.

(۱) و حیث أن هـذه المسألـة قـد تـذرّع بها الکتاب المغرضون لـذلک ینبغی أن نعطیها بعض. الاهتمام لیتضـح أن ما ادّعی من انقطاع الوحی، قضیة فارغة عن الحقیقة و لذلک لا صحّة لتطبیق الآیات القرآنیة علیها.

و لتوضیح هذا الأمر ننقل هنا نصّ ما کتبه الطبریّ و نقله فی تاریخه، ثم نعمد بعد ذلک الی نقده.

یکتب الطبری فی هذه الصدد قائلا: لمّا أبطأ جبرئیل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و جزع جزعا شدیدا قالت له خدیجة: ما أری ربک إلا قد قلاک، فانزل اللّه عزّ و جلّ قوله: «وَ الضُّحی. وَ اللَّیلِ إذا سَجی. ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی. وَ لَلْآخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولی. وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضی. أ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآوی. وَ وَجِدَکَ ضَالًّا فَهَدی. وَ وَجِدَکَ عائِلًا فَأَغْنی. فَأَمَّا الْیَتِیمَ فَلا تَقْهَرْ. وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ. وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ» «۱».

و لقـد أوجد نزول هذه الآیات سرورا عظیما لدی خدیجة علیها السّلام، و علمت بأن ما قالته حول رسول اللّه لا أساس له من الصحة «۲».

(۲)

اسطورة و لیس تاریخا!

إنّ ذاکرة التاریخ تحفظ و تتذکر جیّدا تاریخ حیاة السیدة خدیجة.

إن خدیجة التی کانت أخلاق محمّد الفاضلة و خصاله المجیدة، و افعاله الحمیدة ماثلة امام عینیها و التی کانت تؤمن بعدل ربّها کیف یجوز ان تسیء الظن باللّه تعالی و بنبیه الکریم، العظیم الشأن؟

إنّ مقام النبوّة و منصب الرسالة، و السفارة الالهیة لا یعطی إلّا لمن یملک طائفة من الصفات النبیلة و الخصال الرفیعة، و ما لم یتصف شخص النبیّ صلّی اللّه علیه و آله. هذه الصفات العلیا، و ما لم تتوفر فیه مثل هذه الشرائط الخاصّة

---

(۱) الضحی: ۱- ۱۱.

(۲) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۴۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۱

و المواصفات المعینة لم یمنح له ذلک المنصب قط. و تقع العصمة و السکینة القلبیة، و الاعتماد و التوکل فی طلیعة هذه الخصال و المواصفات، و مع هذه الأوصاف و الخصال یستحیل أن یدور فی خلده مثل تلک التصورات الخاطئة.

و لقـد قال العلماء: إن المسیرة التکاملیة عنـد الأنبیاء تبـدأ من فترة الطفولـة و الصبا، فان الغشاوات و الحجب تبـدأ تتساقط و تنقشع الواحدة تلو الاخری منذ ذلک الوقت، و یستمر ذلک حتی تصل الاحاطة العلمیة لدیهم حدّ الکمال فلا یشکّون فی شیء یرونه أو یسمعونه أبدا، و من حاز هذه المراتب لا یمکن أن یتطرق الشک و الحیرة و التردّد الی قلبه و عقله مطلقا.

(۱) إنّ آیات سورة «الضحی» و خاصة عبارة «ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی» تفیـد فقط بأن هناک من قال مثل هـذه العبارة للنبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله، و أمّا من هو قائلها؟ و کم ترکت هذه العبارة من تأثیر فی نفسیة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و روحیته فهی ساکتة عن کل ذلک؟

و ذهب بعض المفسّرین إلی أن قائلها هم بعض المشرکین، و لهـذا الاحتمال لا تکون جمیع الآیات مرتبطة ببدء الوحی، لأنه لا أحد غیر «علی» و «خدیجة» کان یعرف فی بـدء البعثة بنزول الوحی، لیتسنّی له أن یعترض علی رسول اللّه، و یعیّره بانقطاع عنه بعد ذلک،

فإن أمر المبعث و الرسالـة- كما سـنقول ذلك فيما بعـد- بقى خافيا على أكثر المشـركين لمـدة ثلاثـة اعوام تماما، فهو لم يكن مكلّفا بابلاغ رسالته إلى عامة الناس، إلى أن نزل قوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر» الذى أمره اللّه فيه بالجهر بأمر رسالته لعامة الناس بلا استثناء. (۲)

إختلاف المؤرخين فى مسألة «انقطاع الوحى»:

اشارة

لم يرد فى القرآن الكريم أى ذكر مطلقـا لمسألـة (انقطـاع الوحى) بـل لم ترد به إشارة أيضا، إنما نلاحظها فى كتب السـيرة و التفسـير فقط، و يختلف كتّاب السـيرة و المؤرّخون فى علة (انقطاع الوحى) هذا، و مدته اختلافا كبيرا يجعلنا لا نعتمد على أى واحد منها، و ها نحن نشير إليها بشكل ما:

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۸۲

(۱) ۱- ان اليهود سألوا رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله عن اصحاب الكهف، و عن الروح، و عن قصة ذى القرنين فقال عليه الصلاة و السّلام: سأخبركم غدا، و لم يستثن، فاحتبس عنه الوحى «۱».

بناء على هـذا لا يمكن ان نربط هـذه المسألـة ببـدء الوحى و مطلع عهد الرسالة لان اتصال علماء اليهود و احبارهم مع النبى صـلّى اللّه عليه و آله عن طريق قريش و سؤالهم اياه حول هذه الامور الثلاثة، وقع فى حدود السنة السابعة من البعثة يوم نوجه وفد من قريش إلى المدينة ليسألوا علماء اليهود عن صـحة ما جاء به رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله، فاقترح اليهود عليهم ان يسألوا النبى عن تلك الامور الثلاثة «۲».

(۲) ۲- قالت خولـة و هى امرأة كانت تخـدم رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أن جروا دخل البيت فدخل تحت السـرير فمات، فمكث نبى اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أياما لا ينزل عليه الوحى، فلمّا خرج رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله من البيت كنست خولة تحت السرير فاذا جرو ميّت فأخـذته و القته خلف الجـدار فأنزل اللّه تعالى هـذه السورة و لما نزل جبرئيل سأله النبى صـلّى اللّه عليه و آله عن التأخر فقال: «أ ما علمت أنّا لا ندخل بيتا فيه كلب و لا صورة» «۳».

(۳) ۳- إن المسلمين قالوا: يا رسول اللّه، ما لك لا ينزل عليك الوحى؟ فقال:

«و كيف ينزل علىّ و أنتم لا تقصّون أظفاركم و لا تأخذون من شواربكم»؟ «۴» فنزل جبرئيل بهذه السورة.

(۴) ۴- اهدى عثمان الى النبى صـلّى اللّه عليه و آله عنقود عنب و قيل عذق تمر فجاء سائل فأعطاه ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدّمه إليه صلّى اللّه عليه و آله ثانيا ثم عاد السائل فأعطاه و هكـذا ثلاث مرات فقال صـلّى اللّه عليه و آله: ملاطفا لا غضـبان: أسائل أنت يا فلان أم تاجر؟ فتأخر الوحى أياما فاستوحش فنزلت

---

(۱) روح المعانى: ج ۳۰ ص ۱۵۷، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۱۰ و ۳۱۱.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۰۰ و ۳۰۱.

(۳) تفسير القرطبى: ج ۱۰ ص ۸۳ و ۷۱، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۴۹.

(۴) نفس المصدر.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۸۳

السورة «۱».

(۱) ۵- إن جروا لأحد نساء النبی صلّی اللّه علیه و آله أو أحد أقربائه حال دون نزول الوحی علیه «۲».

(۲) ۶- إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لما سأل جبرئیل عن تأخّر الوحی قال جبرئیل، لا املک من نفسی شیئا إنّما أنا عبد مأمور «۳».

ثم ان هناک أقوالا اخری یمکن الحصول علیها من مراجعهٔ التفاسیر «۴».

و لکن الطبریّ نقل وجها آخر تمسک به المغرضون و المرضی من الکتّاب و اعتبروه دلیلا- علی طروء الشک علی قلب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو أنّ الوحی انقطع عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعد حادثهٔ (حراء) فقالت خدیجهٔ للنبی صلّی اللّه علیه و آله: ما أری ربّک إلّا قد قلاک!!

فنزل الوحی یقول:

«ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی» «۵».

(۳) و ممّا یدلّ علی أهداف هذا النوع من الکتّاب، المریضهٔ، أو عدم تتبعهم و استقصائهم، أنهم تمسکوا من بین جمیع الأقوال بهذا الاحتمال، و استندوا إلیه للحکم علی شخصیهٔ کرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الذی لم یر فی حیاته أی أثر للشک و الحیرهٔ مطلقا.

(۴) و إننا مع ملاحظهٔ النقاط التالیهٔ یمکننا أن نقف علی بطلان هذا الاحتمال و تفاهته:

(۵) ۱- لقد کانت السیدهٔ خدیجهٔ من النساء اللواتی أحببن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حبا صادقا و عمیقا، فهی التی وفت لزوجها حتی النفس الأخیر،

---

(۱) تفسیر روح المعانی: ج ۳۰ ص ۱۵۷.

(۲) غرائب القرآن فی هامش تفسیر الطبری: ج ۳۰ ص ۱۰۸.

(۳) تفسیر ابو الفتوح الرازی: ج ۱۲ ص ۱۰۸.

(۴) مجمع البیان: ج ۱۰ تفسیر سورهٔ و الضحی.

(۵) تفسیر الطبری: ج ۳۰ ص ۱۴۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۴

و وقفت ثروتها الطائلهٔ لتحقیق أهدافه، و کانت فی عام البعثهٔ قد قضیت خمسهٔ عشر عاما من حیاتها الزوجیهٔ، و لم تر خدیجهٔ طوال هذه الفترهٔ من زوجها إلا التقوی و الطهر و لم تلمس منه إلا کرم الصفات و نبل الاخلاق فقد کانت من المصدقین له صلّی اللّه علیه و آله من أول یوم و کانت تراعی نهایهٔ الأدب فی تکلیمها معه و عشرتها اياه صلّی اللّه علیه و آله فکیف تتکلم مثل هذه المرأهٔ المؤمنهٔ الوفیهٔ، مع زوجها بغلیظ القول، و توجه له مثل هذه الکلمهٔ غیر المهذّبهٔ، بل و الجارحهٔ؟؟!

(۱) ۲- إنّ آیهٔ: «ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی» لا تدل علی أن «خدیجهٔ» قالت مثل هذا الکلام لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، بل غایهٔ ما تفیده هذه الآیهٔ هی أنّ مثل هذا الکلام قد وجّه الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و أمّا من هو القائل، و لما ذا قال هذا الکلام؟ فلیس ذلک معلوما.

(۲) ۳- إن ناقل هذه الروایهٔ یصف «خدیجهٔ» تارهٔ بأنها طمأنت النبیّ، و سکّنت من روعه إلی درجهٔ أنها منعته عن الانتحار، و لکنه یصفها تارهٔ اخری بانها قالت له: بأن اللّه عاداه و قلاه، أ لا ینبغی هنا أن نقول: «کن ذکورا ثم أکذب»؟!

(۳) ۴- إذا کان الوحی قد انقطع بعد حادثهٔ جبل (حراء) و نزول بضع آیات من سورهٔ «العلق» إلی أن نزلت سورهٔ «الضحی»، یتوجب- فی هذه الصورهٔ- ان تکون سورهٔ «الضحی» ثانی سورهٔ من حیث الترتیب التاریخی لنزول السور فی حین أنّ تاریخ نزول الآیات و السور القرآنیهٔ یفید أنها السورهٔ الحادیهٔ عشرهٔ من سور القرآن الکریم. لأن فهرس السور القرآنیهٔ حسب نزولها هو کالتالی:

۱- العلق.

۲- القلم.

۳- المزّمل.

۴- المدّثّر.

۵- تبّت (المسد).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۵

۶- التکویر.

۷- الاعلی.

۸- الانشراح.

۹- و العصر.

۱۰- و الفجر.

۱۱- و الضحی «۱».

نعم انفرد الیعقوبی من بین المؤلفین باعتبار سورة الضحی- فی تاریخه- «۲» السورة الثالثة من حیث تاریخ النزول، و حتی هذا الرأی لا ینسجم مع القصة المذکورة (انقطاع الوحی).

(۱)

الاختلاف فی مدة انقطاع الوحی:

لقد تعرّض تحدید مدة انقطاع الوحی بشکله المزعوم لإبهام کبیر، فقد ذکر ذلک بصور مختلفة فی التفاسیر و الأقوال التالیة هی:

۴ أیّام.

۱۲ یوما.

۱۵ یوما.

۱۹ یوما.

۲۵ یوما.

۴۰ یوما.

و لکن بعد دراسة فلسفة النزول التدریجی للقرآن الکریم سنری أنّ انقطاع الوحی و توقفه لم یکن حدثا استثنائیا، لأنّ القرآن الکریم أعلن منذ أول یوم أن المشیئة الالهیّة تعلّقت بأن ینزل القرآن بصورة تدریجیة، منجّمة إذ یقول تعالی:

«وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ» «۳».

---

(۱) تاریخ القرآن للزنجانی: ص ۵۸.

(۲) تاریخ الیعقوبی: ج ۲ ص ۳۳.

(۳) الاسراء: ۱۰۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۶

و یکشف القرآن النقاب- فی موضع آخر- عن سرّ نزول القرآن تدریجا إذ قال:

«وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا» «۱».

(۱) و مع ملاحظة طريقة نزول الآيات و السور القرآنية هذه يجب أن لا يتوقع نزول الآيات كل يوم و كلّ ساعة، و أن ينزل جبرئيل على النبيّ على الدّوام، و يأتي إليه بالآيات دون انقطاع، بل إن الآيات القرآنية كانت تنزل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في فواصل زمنية مختلفة وفقا للاحتياجات، و بحسب الأسئلة المطروحة على النبى، و لأسرار اخرى في النزول التدريجى شرحها علماء الإسلام «۲».

و في الحقيقة لم يكن هناك ما يسمى بانقطاع الوحى، بل كل ما كان في الأمر هو أنّه لم يكن ثمّة ما يوجب النزول الفورى، و المتلاحق للوحى.

---

(۱) الفرقان: ۳۲.

(۲) راجع للوقوف على هذه المسألة معالم الحكومة الإسلامية: ص ۱۲۲- ۱۲۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۸۷

(۱)

۱۴ الدعوة السرّيّة و دعوة الأقربين

اشارة

استمرّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله يدعو إلى دينه سرّا مدة ثلاثة أعوام. فهو في هذه السنوات عمد إلى بناء الكوادر و اعدادها بدل توجيه الدعوة إلى عامّة الناس، فإنّ اعتبارات معيّنة في ذلك الوقت كانت توجب أن لا يجهر بدعوته و لا يعلن عن رسالته، و يكتفى بالاتصالات الفردية السّرية و يدعو اشخاصا معينين إلى دينه.

و قد كانت هذه الدعوة السرّية هى السبب في أن ينجذب الى الدّين الإسلامى جماعة من الناس، و تواجه دعوته صلّى اللّه عليه و آله منهم بالقبول، (۲) و قد سجّل التاريخ أسماء هؤلاء السابقين الذين آمنوا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، في هذه الفترة من عهد الرسالة، و تاريخ الإسلام، و إليك بعضهم:

۱- السيدة خديجة بنت خويلد (زوجة النبى).

۲- على بن أبى طالب عليه السّلام.

۳- زيد بن حارثة.

۴- الزبير بن العوام.

۵- عبد الرحمن بن عوف.

۶- سعد بن أبى وقاص.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۸۸

۷- طلحة بن عبيد اللّه.

۸- أبو عبيدة الجراح.

۹- أبو سلمة.

۱۰- الأرقم بن أبى الارقم.

۱۱- عثمان بن مظعون.

۱۲- قدامة بن مظعون.

۱۳- عبد اللّه بن مظعون.

۱۴- عبیدة بن الحارث.

۱۵- سعید بن زید.

۱۶- خباب بن الأرتّ.

۱۷- أبو بکر بن أبی قحافة.

۱۸- عثمان بن عفان.

و غیرهم من الذین قبلوا دعوة النبی، و آمنوا بنبوته فی هذه الفترة «۱».

(۱) و لقد کان أقطاب قریش و أسیادها منهمکین- طیلة هذه الاعوام الثلاثة- فی لهوهم و مجونهم، و مع أنهم کانوا قد عرفوا بعض الشیء عن دعوة النبیّ السرّیة إلّا أنّهم لم یظهروا أیّة ردة فعل تجاهها، و لم یقوموا بشیء ضدّها.

و لقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی هذه السنوات التی تعتبر فترة صباغة الفرد یخرج مع بعض أتباعه إلی شعاب مکة للصلاة فیها بعیدا عن أنظار قریش.

و اتفق أن رآهم بعض المشرکین فی ما کانوا یصلّون فی شعب من شعاب مکة، و استنکروا عملهم هذا، و أدّی ذلک إلی منازعة عابرة بینهم و بین المشرکین جرح علی أثرها أحد المشرکین علی یدی «سعد بن أبی وقاص» احد المسلمین، و من هنا قرّر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اتخاذ بیت «الأرقم بن أبی الأرقم» محلا

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۴۵ و ۲۶۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۹

للعبادة بدل شعاب مکّة، لیستطیع القیام فیه بالتبلیغ و العبادة بحریّة و أمان، بعیدا عن أعین المشرکین «۱».

و لقد کان «عمّار بن یاسر» و «صهیب بن سنان» الرومیّ ممّن آمنوا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی ذلک البیت «۲».

(۱)

دعوة الأقربین:

اشارة

یشرع العقلاء من الناس من اصحاب البرامج الواسعة و المشاریع الکبری اعمالهم الکبری- عادة- من بدایات صغیرة و نقاط محددة، فإذا حقّقوا نجاحا فی هذه البدایات بادروا الی توسیع نطاق نشاطهم فورا، و هکذا جنبا الی جنب مع النجاحات التی یحقّقونها فی کل خطوة یوسّعون دائرة العمل، و یجتهدون فی تحقیق المزید من النجاح، و التکامل لما هم یصدده.

و لقد سأل أحد الشخصیات زعیما فی دولة کبیرة من الدول الکبری المعاصرة: ما هو سرّ نجاحکم فی الاعمال الاجتماعیة و ما هو الأمر الذی یساعدکم علی النجاح فی مشاریعکم؟

فأجابه ذلک الزعیم قائلا: ان طریقة عملنا نحن الغربیّین تختلف عن طریقتکم انتم أهل الشرق، فنحن دائما نخطّط لمشاریع کبری و

نبدأ من مكان صغير، و بعد إحراز النجاح نعمد إلى توسيع نطاق العمل، و اذا اكتشفنا فى منتصف الطريق خطأ برنامجنا غيّرنا اسلوب عملنا، و عدلنا إلى طريقة اخرى، و بدأنا بعمل آخر.

(۲) أما أنتم الشرقيون فتدخلون ساحة العمل فى برامجكم الكبرى من مكان كبير، و تبدءون من نقطة واسعة، و تحاولون تطبيق مشروعكم جملة واحدة، فاذا واجهتم فى خلال العمل طريقا مسدودة لم يكن فى إمكانكم ان ترجعوا من

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۶۱.

(۲) هذا البيت كان عند جبل الصفا، و كان معروفا إلى مدة ب: دار الخيزران» اسد الغابة: ج ۴ ص ۴۴، السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۹۲، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۲۸۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۹۰

منتصف الطريق إلّا بتحمل خسائر كبرى فادحة.

(۱) هذا مضافا إلى أن أنفسكم كأنها قد عجنت بالعجلة و لذلك تودّون قطف ثمار جهودكم و نتيجة عملكم فى الحال دون ما صبر و ترقّب و انتظار، و هذه هى بنفسها طريقة تفكير اجتماعيّة خاطئة، من شأنها أن تجعل الإنسان أمام طرق مسدودة كثيرة و غريبة.

هذا ما قاله ذلك الغربىّ.

و لكن الذى نتصوره و نعتقده نحن هو: أن هذه الطريقة من التفكير لا ترتبط لا بالشرق و لا بالغرب، بل هى ميزة العقلاء الاذكياء من الناس، فانهم يعتمدون هذا الاسلوب لانجاح مهامّهم، و تحقيق مقاصدهم.

و لقد اتبع قائد الإسلام الاكبر الرسول الاعظم صلّى اللّه عليه و آله هذه الطريقة فى عمله الرسالى فركّز جهده على الدعوة السرّيّة إلى دينه مدة ثلاثة أعوام من دون تعجّل، و كان يعرض دينه على كل من وجده أهلا للدعوة، و مستعدّا من الناحية الفكرية للتبليغ.

فرغم أنّه كان يهدف الى تشكيل دولة عالمية كبرى ينضوى تحت لوائها (لواء التوحيد) جميع أفراد البشرية، إلّا أنه لم يعمد إلى الدعوة العامة طيلة هذه الأعوام الثلاثة، بل لم يوجّه الدعوة الخاصة حتى إلى أقاربه، إنّما اكتفى بالاتصال الشخصى بمن وجده مؤهلا و صالحا للدعوة، و مستعدّا لقبول الدّين، حتى انّه استطاع فى هذه الأعوام الثلاثة أن يكسب فريقا من الأتباع من الذين اهتدوا إلى دينه و قبلوا دعوته.

(۲) و قد كان زعماء قريش- كما اسلفنا- منهمكين طوال هذه الأعوام الثلاثة فى اللذّة و الهوى و كان فرعون «مكة» و طاغيتها: «أبو سفيان» و جماعته كلما سمعوا بالدّعوة اطلقوا ضحكة استهزاء و قالوا لانفسهم: إنّها أيّام و تنطفئ بعدها شعلة الدعوة هذه فورا تماما كما انطفأت من قبل دعوة «ورقة» و «اميّة» (اللّذين أخذا يحبّذان الى العرب التوجه نحو المسيحية و نبذ الوثنية بعد أن قرءا الانجيل و التوراة) و بالتالى لن يمرّ زمان حتى ينسى هذا الأمر، و يغدو خبرا بعد أثر، بل

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۹۱

لا شيء يذكر.

بهذا التصوّر، و بهذه العقليّة واجهت زعامة «مكة» دعوة النبى فى البداية، (۱) و لهذا لم يقم زعماء قريش خلال هذه السنوات الثلاث بأىّ عمل عدائىّ ضدّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، بل ظلّوا ينظرون إليه بنظر الاحترام، و يراعون معه قواعد الأدب و السلوك، و كان النبىّ هو أيضا لا يتعرض لأصنامهم و آلهتهم فى هذه الأعوام الثلاثة بسوء و لا يتناولها بالنقد و الاعتراض بصورة علنية، بل كان مركّزا جهده على الاتصال الشخصى بذوى البصائر من الأشخاص و هدايتهم إلى دينه الحنيف.

و لكن منذ أن بدأ النبىّ دعوة الأقربين و أخذ ينتقد و ثنيّتهم، و يذكر أوثانهم بسوء و يعترض على تصرفاتهم الإنسانية أصبح حديث الألسن. و منذ ذلك اليوم أيضا بدأت يقظة قريش، و عرفوا أمر محمّد يختلف عن أمر «ورقة» و «اميّة» اختلافا بينا و ان المبين

الدعوتين فرقا كبيرا، و لهذا بدأت المعارضة و المخالفة السرّية و العلنية، لدعوة النبيّ.

و قد بدأ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بكسر جدار الصمت بدعوة أقربائه إلى دينه ثم شرع بعد ذلك بدعوة الناس أجمعين.

(٢) على أنه ما من شك فى أنّ الاصلاحات العميقة التى يراد لها ان تترك أثرا فى جميع شئون الناس و كل مناحى حياتهم، و تغيّر مسير المجتمع تحتاج قبل أىّ شيء إلى قوتين:

١- قوة البيان، بأن يستطيع الداعية و المصلح بيان الحقائق التى جاء بها من أفكاره الخاصة، أو ما تلقّاه عن طريق آخر الى الناس باسلوب جذاب، يأسر القلوب، و يسحر العقول.

٢- القوة الدفاعية التى يستطيع تشكيل خطّ دفاعى منها عند التعرض لهجوم الأعداء و الخصوم، و فى غير هذه الصورة ستنطفئ شعلة الدعوة و يفشل المصلح فى خطاه الاولى.

(٣) و لقد كان البيان لدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى أعلى مرتبة من

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٣٩٢

الكمال فكان قادرا كأقوى خطيب على بيان تعاليم دينه للناس فى غاية الفصاحة و البلاغة. و لكنه كان يفتقر فى الأيام الاولى من دعوته إلى عنصر (القوة الثانية)، أى (القوة الدفاعية)، الرادعة الحامية، لأنه استطاع فى السنوات الثلاث الاولى من رسالته أن يضم إلى دعوته قرابة أربعين شخصا، و ذلك فى الظروف السرّية الشديدة، و لا ريب ان تلك القلة القليلة من الاتباع لم تكن قادرة على أن تتولّى مسئولية الدفاع عن النبى صلّى اللّه عليه و آله، و حماية رسالته.

من هنا عمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله- و بهدف تحصيل القوّة الدفاعية المطلوبة و تشكيل النواة المركزية إلى دعوة أقربائه إلى دينه قبل التوجّه بالدعوة الى عامة الناس، ليتمكّن من هذا الطريق أن يزيل النقص من جهة عدم وجود القوة الثانية، و يكوّن منهم سياجا قويا يحفظه، و يحفظ رسالته من الأخطار المحتملة.

على أن فائدة هذه الدعوة كانت على الأقل دفع أبناء عشيرته إلى الدفاع عنه بدافع القربى و الرحم على فرض انهم لم يؤمنوا برسالته، و لم يقبلوا دعوته.

(١) هذا مضافا إلى انه صلّى اللّه عليه و آله كان يعتقد ان أى إصلاح و تغيير لا بد أن يبدأ من إصلاح الداخل و تغييره، فما لم يستطع الإنسان من إصلاح أبنائه و أقربائه و ردعهم عن قبائح الأفعال لا يمكن لدعوته أبدا أن تؤثر فى الأجانب و الأبعدين، لأنّ المناوئين سيعترضون عليه لدعوته فى هذه الحالة، و يشيرون إلى أفعال أبنائه و عشيرته.

من هنا أمره اللّه تعالى بأن يدعو عشيرته الأقربين إذ خاطبه قائلا:

«وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» «١».

كما أنه خاطبه بصدد دعوة الناس عامّة بقوله:

«فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» «٢».

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) الحجر: ٩٤ و ٩٥.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٣٩٣

(١)

كيفيّة دعوة الأقربين:

کانت طریقة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی دعوة عشیرته الأقربین طریقة جمیلة و ذکیة جدّا، فقد تجلّت فی ذلک حقیقة أوضحت اسرار هذه الدعوة فی ما بعد اکثر فأکثر.

فانّ المفسرین کتبوا عند قوله تعالی: «و انذر عشیرتک الاقربین» و کذا الأغلبیة القریبة للاجماع من المؤرخین أن اللّه أمر نبیّه صلّی اللّه علیه و آله بأن ینذر عشیرته الأقربین و یدعوهم إلی دینه و رسالته فأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی بن أبی طالب الذی کان آنذاک فی ربیعه الثالث عشر أو الخامس عشر بأن یعدّ طعاما و لبنا، ثم دعا صلّی اللّه علیه و آله خمسا و أربعین رجلا من سراة بنی هاشم و وجوههم، و عزم علی أن یبوح لضیوفه و یکشف لهم من امر رسالته فی خلال تلک الضیافة إلّا أنه- و للأسف- ما أن انتهوا من الطعام حتی بادر أبو لهب فتکلّم بکلمات سخیفة قبل أن یتحدّث النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ممّا جعل الجوّ غیر مناسب لأن یطرح النبیّ صلّی اللّه علیه و آله موضوع رسالته علیهم، فانفض المجلس دون تحقیق هذا الغرض.

(۲) و لما کان من غد أمر النبیّ علیا علیه السّلام باعداد الطّعام و اللّبن ثانیة، و کرّر دعوة تلک الجماعة، إلی ضیافة اخری، و بعد أن فرغوا من الطعام تکلّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقال:

«إنّ الرائد لا یکذب أهله و اللّه الّذی لا إله إلا هو إنّی رسول اللّه إلیکم خاصّة و إلی النّاس عامّة و اللّه لتموتنّ کما تنامون و لتبعثنّ کما تستیقظون و لتحاسبنّ بما تعملون و إنها الجنّة أبدا و النّار أبدا».

ثم قال:

«یا بنی عبد المطّلب انّی و اللّه ما أعلم شابّا فی العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتکم به، انّی قد جئتکم بخیر الدّنیا و الآخرة و قد أمرنی اللّه عزّ و جلّ أن ادعوکم إلیه فأیّکم یؤمن بی و یؤازرنی علی هذا الأمر علی أن یکون أخی و

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹۴

وصیّی و خلیفتی فیکم»؟

(۱) و لما بلغ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله إلی هذه النقطة- و بینما أمسک القوم و سکتوا عن آخرهم اذ کان کل واحد منهم یفکّر فی ما یؤول إلیه هذا الأمر العظیم، و ما یکتنفه من أخطار- قام «علیّ» علیه السّلام فجأة، و هو آنذاک فی الثالثة أو الخامسة عشرة من عمره، و قال و هو یکسر بکلماته الشجاعة- جدار الصمت و الذهول-:

أنا یا رسول اللّه أکون وزیرک علی ما بعثک اللّه».

فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: اجلس، ثم کرّر دعوته ثانیة و ثالثة و فی کل مرة یحجم القوم عن تلبیة مطلبه، و یقوم «علیّ» و یعلن عن استعداده لمؤازرة النبیّ، و یأمره رسول اللّه بالجلوس حتی إذا کان فی المرة الثالثة أخذ رسول اللّه بیده و التفت الی الحاضرین من عشیرته الاقربین و قال:

«إنّ هذا أخی و وصیّی و خلیفتی فیکم (أو علیکم) فاسمعوا له، و أطیعوا».

فقام القوم یضحکون، و یقولون لأبی طالب «قد أمرک أن تسمع لابنک و تطیع و جعله علیک أمیرا» «۱».

إن ما کتبناه هو- فی الحقیقة- خلاصة لحدیث مفصّل رواه اکثر المفسرین و المؤرخین بعبارات مختلفة، و لم یشکّک فی صحّته أحد، بل اعتبروه من مسلّمات التاریخ، الا «ابن تیمیة» الذی اتخذ موقفا خاص من أهل بیت النبیّ صلّی اللّه علیه و علیهم أجمعین.
(۲)

خیانة تاریخیّة و جنایة أدبیّة!!

إن تحریف الحقائق و قلبها، أو إخفاء الوقائع لهو حقا من أوضح مصادیق

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۶۲ و ۶۳، تاریخ الکامل: ج ۲ ص ۴۰ و ۴۱، مسند أحمد: ج ۱ ص ۱۱۱، و شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید: ج ۱۳ ص ۲۱۰ و ۲۱۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹۵

الخیانة و الجنایة.

و لقد سلک فریق من الکتّاب المتعصبین عبر التاریخ للاسف مثل هذا الطریق المقبوح، و أسقطوا مؤلّفاتهم العلمیّة و التاریخیّة بارتکابهم خطیئة التحریف فی جملة من الحقائق، من الاعتبار، و هم یخالون ان عملهم قادر علی ان یبقی الحقائق فی هالة الإهمال و الغموض.

إلّا أنّ أمر هؤلاء قد انکشف مع انقضاء الزّمن، و تکامل العلم، و دفع بفریق من أهل التحقیق و الإنصاف الی أن یمزقوا بأطراف اقلامهم حجب الزیف و التحریف و یظهروا الوقائع و الحقائق علی حقیقتها.

(۱) و إلیک فی ما یأتی بعض هذا الخیانات:

۱- لقد ذکر محمّد بن جریر الطبری (المتوفی عام ۳۱۰ ه) فی تاریخه حادثة دعوة الأقربین بشکل مفصّل و علی النحو الذی مرّ علی القارئ الکریم.

بید أنه حرّف فی تفسیره «۱» و کتم، فهو عند تفسیر قوله تعالی: «و أنذر عشیرتک الأقربین» یذکر کلّ ما ذکره فی تاریخه، و لکنّه یغیّر و یبدّل فی قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حیث یقول: «علی أن یکون أخی و وصیّی و خلیفتی»، فهو یکتب فی تفسیره هکذا: «علی أن یکون کذا و کذا».

و لا ریب انّ فی تغییر عبارة «أخی و وصیّی و خلیفتی علیکم (أو فیکم) إلی:

«کذا و کذا» غرضا مریضا، و هو بالتالی خیانة تاریخیة فاضحة.

(۲) علی أن الطبریّ لم یکتف بهذا القدر من التغییر فی کلام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، بل غیّر حتی فی الجملة التی تعقبتها و هی قوله صلّی اللّه علیه و آله بعد أن قام علیّ علیه السّلام للمرة الثالثة و أعلن عن استعداده لمؤازرة النبیّ بعد إحجام القوم و سکوتهم: «إن هذا أخی و وصیّی و خلیفتی» حیث أبدلها بعبارة:

«إنّ هذا أخی و کذا و کذا»!!!

إن علی المؤرخ أن یکون حرا و شهما فی کتابة الحقائق و روایتها، فیثبتها

(۱) تفسیر الطبری: ج ۱۹ ص ۷۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹۶

و یرویها کما هی، بکل شجاعة، وحیدة.

و لا ریب ان الذی دفع بالطبریّ إلی أن یرتکب مثل ذلک التبدیل و التغییر هو تعصّبه المذهبی، فهو لا یعتبر الإمام علیّا خلیفة رسول اللّه بلا فصل، و حیث أن تینک الکلمتین: «خلیفتی و وصیّی» تصرّحان بخلافة «علیّ» للنبیّ و وصایته بلا فصل لذلک یغیّر و یبدّل حتی ینتصر لمذهبه بالتحریف فی شأن نزول هذه الآیة أیضا.

(۱) ۲- و لقد فعل ابن کثیر (المتوفی عام ۷۳۲) نظیر هذا فی تاریخه «۱» و کذا فی تفسیره (ج ۳ ص ۳۵۱) و سلک نفس الطریق الذی سلکه- من قبل- سلفه الطبری ضاربا عرض الجدار مبدأ أمانة النقل!!!

و نحن لا نعذر ابن کثیر فی عمله هذا أبدا، لأنه قد اعتمد- فی روایاته التاریخیة، فی تاریخه و تفسیره معا- تاریخ الطبری، لا تفسیره، و

لا شک أنّه قد مرّ علی هذه القصة فی تاریخ الطبریّ، و لکنّه مع ذلک حاد عن الطریق السویّ فأعرض عن نقل روایة التاریخ- فی هذه الحادثة- و عمد- بصورة غیر متوقعة- الی نقل روایة التفسیر!!!

(۲) ۳- و الأغرب من تینک الخیانتین ما ارتکبه- فی عصرنا الحاضر- وزیر المعارف المصریة الأسبق الدکتور «هیکل» فی کتابه «حیاة محمّد»، و فتح بعمله باب التحریف فی وجه الجیل الحاضر.

و العجب ان «هیکل» هاجم- فی مقدمته- جماعة المستشرقین بشدة و انتقدهم بعنف لتحریفهم الحقائق التاریخیة، و اختلافهم لبعض الوقائع فی حین لم یقصر عنهم فی هذا السبیل فهو:

(۳) أولا: نقل الواقعة المذکورة (دعوة الاقربین المعروفة بحادثة یوم الدار أو حدیث بدء الدعوة) فی الطبعة الاولی من کتابه المذکور بصورة مبتورة و مقتضبة جدا و اکتفی من الجملتین الحساستین بذکر واحدة منهما فقط و هی: قول النبی مخاطبا

---

(۱) البدایة و النهایة: ج ۲ ص ۴۰.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۳۹۷

الحضور فی ذلک الیوم: «من یؤازرنی یکون أخی و وصیّی و خلیفتی» بینما حذف بالمرة الجملة التی قالها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لعلی بعد أن قام للمرة الثانیة و أعلن موازرته للنبیّ و هی قوله صلّی اللّه علیه و آله: «إنّ هذا أخی و وصیّی و خلیفتی»!!!

(۱) ثانیا: انّه خطی فی الطبعات الثانیة و الثالثة و الرابعة، خطوة أبعد حیث حذف کلتا الجملتین معا و بهذا قد وجّه ضربة کبری إلی قیمته ککاتب. و قیمة کتابه، کدراسة تاریخیة!!

(۲)

النبوّة و الإمامة توأمان:

إن الاعلان عن وصایة علیّ علیه السّلام و خلافته فی مطلع عهد الرسالة و بدایة أمر النبوّة یفید- بقوة و وضوح- انّ هذین المنصبین لیسا بأمرین منفصلین، ففی الیوم الّذی یعلن فیه رسول اللّه عن رسالته و نبوّته، یعیّن خلیفته و وصیّه من بعده، و هذا یشهد- بجلاء- بأن النبوّة و الإمامة یشکّلان قاعدة واحدة، و أن هذین المنصبین إن هما الّا کحلقتین متصلتین لا یفصل بینهما شیء.

کما أن هذه الحادثة تکشف- من جانب آخر عن مدی الشجاعة الروحیة التی کان یتحلّی بها الإمام امیر المؤمنین «علیّ بن ابی طالب» علیه السّلام، حیث قام- فی مجلس أحجم فیه الشیوخ الدهاة و السادة المجرّبون عن قبول دعوة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله خوفا و تهیّبا- و أعلن بکل شجاعة مؤازرته للنبیّ، و استعداده للتضحیة فی سبیل دینه و رسالته و هو آنذاک غلام فی ربیعه الثالث أو الخامس عشر، و ما حابی أعداء الرسالة و لا ماشاهم کما فعل المصلحون من الساسة و الزعماء المتخوّفون علی مصالحهم و مراکزهم آنذاک!!!

(۳) صحیح ان «علیّا» علیه السّلام کان فی ذلک الیوم أصغر الحاضرین سنّا إلّا أن معاشرته الطویلة للنبیّ قد هیّأت قلبه لتقبّل الحقائق التی تردّد شیوخ القوم فی قبولها، بل عجزوا عن درکها و فهمها!!

و لقد اعطی ابو جعفر الإسکافی حق الکلام فی هذا المجال اذ قال:

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۳۹۸

فهل یکلّف عمل الطعام، و دعاء القوم صغیر غیر ممیّز، وغر غیر عاقل، و هل یؤتمن علی سرّ النبوة طفل ... و هل یدعی فی جملة الشیوخ و الکهول إلّا عاقل لبیب، و هل یضع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یده فی یده، و یعطیه صفقة یمینه بالاخوة و الوصیّة، و الخلافة، الا و هو أهل لذلک، بالغ حدّ التکلیف، محتمل لولایة اللّه، و عداوة أعدائه، و ما بال هذا الطفل لم یأنس بأقرانه و لم یلصق بأشکاله، و لم یر مع الصبیان فی ملاعبهم بعد اسلامه، و هو کأحدهم فی طبقته کبعضهم فی معرفته، و کیف لم ینزع إلیهم فی ساعة

من ساعاته بل ما رأيناه إلا ماضيا على اسلامه، مصمما فى أمره، محققا لقوله بفعله، قد صدّق اسلامه بعفافه و زهده، و لصق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من بين جميع من حضرته فهو أمينه و أليفه فى دنياه و آخرته «۱».

(۱) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ج ۱۳ ص ۲۱۵ و ۲۹۵.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۹۹

(۱)

۱۵ الدعوة العامّة

اشارة

كان قد انقضى ثلاث سنوات على بدء البعثة يوم عمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى دعوة الناس عامة بعد دعوة عشيرية الاقربين. فقد استطاع خلال السنوات الثلاث الاولى من عمر الدعوة أن يهدى- من خلال الاتصالات السرية- مجموعة من الاشخاص إلى الإسلام و لكنّه دعا هذه المرّة و بصوت عال عامة الناس إلى دين التوحيد.

فقد وقف ذات يوم على صخرة عند جبل الصفا و نادى بصوت عال:

يا صباحاه (و هى كلمة كانت العرب تطلقها كلّما أحسّت بخطر، أو بلغها نبأ مرعب فكانت هذه الكلمة بمثابة جرس الخطر) «۱» فلفت نداء النبى صلّى اللّه عليه و آله هذا نظر الناس فاجتمع حوله جماعة من أبناء القبائل المختلفة و قالوا له:

مالك؟

فقال صلّى اللّه عليه و آله: أ رأيتكم إن أخبرتكم أنّ العدوّ مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدّقوننى؟

(۱) قال الجزرى فى النهاية: ج ۲ ص ۲۷۱: صعد النبى صلّى اللّه عليه و آله على الصفا و قال:

يا صباحاه؛ هذه كلمة يقولها المستغيث، و أصلها إذا صاحوا للغارة لانهم اكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح و يسمّون يوم الغارة يوم الصباح، فكأن القائل: يا صباحاه يقول: قد غشينا العدو.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۰۰

قالوا: بلى.

قال: فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد.

ثم قال: إنما مثلى و مثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشى أن يسبقوه إلى أهله فجعل يهتف: وا صباحاه «۱».

و لقد كانت قريش تعرف عن دينه بعض الشىء، قبل هذا و لكنها تملّكها الخوف هذه المرة، و هى تسمع ذلك الانذار القوىّ فبادر أحد قادة الكفر إلى تبديد تلك المخاوف فورا إذ قال لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: تبّا لك، أ لهذا دعوتنا؟، و تفرّق على أثرها الناس.

(۱)

الثبات و الاستقامة على طريق الهدف:

إن نجاح أىّ شخص مرهون بأمرين:

الأول: الايمان بالهدف.

و الثاني: الاستقامة و الثبات و السعى الدائب لتحقيق ذلك.

إنّ الإيمـان هو المحرّك البـاطنى و القوة الخفيـة التى تجر الإنسـان شاء أم لم يشأ نحو الغايـة التى يتوخاها، و تسـهّل عليه الصـعاب، و تدعوه إلى العمل الدائب لتحقيق مقصوده، لأن شخصا كهذا يعتقد اعتقادا قويّا بأنّ سعادته، و مجده يتوقّفان على ذلك.

و بعبـارة اخرى: إذا آمن انسـان بـأن سـعادته و مجـده يتوقفـان على تحقيـق هـدف معيّن فـانه سـيندفع بقوة الإيمـان نحو تحقيق ذلك الهدف، متجاوزا كل الصعاب، و متحديا كل المشكلات فى ذلك السبيل.

فالمريض الذى يرى شفاءه فى شرب دواء مرّ مثلا سيستسهل شربه.

و الغوّاص الذى يعتقد اعتقادا جازما بأن ثمّة دررا غالية الثمن تحت أمواج البحر سيلقى بنفسه فى قلب تلك الأمواج دون ما خوف أو وجل، ليخرج منها بعد

---

(۱) السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۹۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۰۱

دقائق ظافرا بأغلى الجواهر.

بينما إذا كان المريض أو الغوّاص يشكّ فى عمله، أو يعتقـد بعدم فائدته، فانّه لن يقدم عليه قط و اذا ما أقدم فان عمله سـيكون حينئذ مقرونا بالجهد و العناء.

فقوة الإيمان اذن هى التى تذلّل كل مشكل، و تسهّل كلّ صعب.

غير أنه لا ريب فى أنّ الوصـول إلى الهـدف لا يخلـو من مشـكلات و موانـع، فلا بـدّ من السـعى لرفـع تلـك الموانع، و إزالـة تلكم المشكلات.

و قد قيل قديما: أنّ مع كل وردة أشواك، فكيف يمكن قطف وردة دون أن تدمى أنامل القاطف بالأشواك المحيطة بها؟؟

هـذا و قـد بيّن القرآن الكريم هذه المسألة (و هى ان رمز السـعادة هو: الإيمان بالهدف و الثبات فى طريق تحقيقه) فى جملة قصـيرة اذ قال:

«إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ» «۱».

(۱)

ثبات النبى صلّى اللّه عليه و آله و صبره:

لقـد أدّت اتّصالات النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله الخاصّـة. قبل الـدعوة العامـة، و جهوده الكبرى بعد الجهر بالدعوة، إلى ظهور و تكوين صفّ مرصوص من المسلمين فى وجه صفوف الكفر، و الوثنية.

فالّـذين دخلوا سـرّا فى حوزة الإسـلام و الإيمان قبل الـدعوة العامّـة تعرّفوا على المسـلمين الجـدد الذين لبّوا داعى الإسـلام بعد إعلان الرسالة، و شـكّل القدامى و الجدد جماعة قوية متعاطفة متحابية، و كان ذلك بمثابة إنذار لأوساط الكفر و الشرك و الوثنية، أربكها و جعلها تشعر بالخطر.

على أنّ ضـرب نهضة ناشـئة و القضاء عليها كان أمرا سـهلا لقريش، و لكنّ الذى أرعب قريشا و منعها من توجيه مثل هذه الضربة هى أنّ أفراد هذه

---

(۱) فصّلت: ۳۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۰۲

الجماعـة، و عناصـر هـذه النهضة لم يكونوا من قبيلة واحدة، ليمكن مواجهتها و ضـربها بكلّ قوة، بل انتمى من كل قبيلة إلى الإسـلام، عدد من الأفراد، و من هنا لم يكن اتّخاذ أيّ قرار حاسم بحقّهم أمرا سهلا و بسيطا.

(۱) من هنا قرّر سادة قريش و كبراؤها- بعـد تـداول الأمر فى ما بينهم- أن يبـدءوا بالقضاء على أساس هـذه الجماعـة، و محرّك هـذا الحزب، و الـداعى إلى هذه العقيدة بمختلف الوسائل فيحاولوا ثنيه عن دعوته بالاغراء و التطميع تارة و يمنعوا من انتشار دينه بالتهديد و الايذاء تارة اخرى.

و قد كان هذا هو برنامج قريش و موقفها من الدعوة طيلة عشـر سنوات و هى المدة المتبقية من سنوات البعثة من الفترة المكية، الى ان قررت بالتالى قتله، و لكنه استطاع ان يبطل مؤامرتهم بالهجرة إلى المدينة قبل أن يتمكنوا من القضاء عليه.

(۲) و لقد كان «أبو طالب» آنذاك زعيم بنى هاشم و رئيسها المطلق، و كان رجلا طاهر القلب عالى الهمّة، شجاعا، كريما، و كان بيته ملجأ دافئا للمحرومين و المستضـعفين، و ملاذا أمينا للفقراء و الأيتام، و كان يتمتع فى المجتمع العربى- علاوة على رئاسة مكة و بعض مناصب الكعبـة- بمكانـة كبرى و منزلـة عظيمة، و حيث أنّه كان كفيلا لرسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بعد وفاة جدّه «عبد المطلب»، لذلك حضر سادة قريش بصورة جماعية «۱» عنده و قالوا له:

«يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، و عاب ديننا، و سفّه أحلامنا و ضلّل آباءنا، فأمّا أن تكفّه عنّا، و إما أن تخلّى بيننا و بينه».

(۳) و لكن «أبا طالب» قال لهم قولا رفيقا و ردّهم ردّا جميلا حكيما، فانصرفوا عنه.

بيد أنّ نفوذ الإسلام و انتشاره كان يتزايد باستمرار، و كانت جاذبيّة الدّين المحمّدى، و بيان القرآن البليغ يساعدان على ذلك، فيترك اثره فى الناس،

---

(۱) ادرج ابن هشام فى سيرته: ج ۱ ص ۲۶۴ و ۲۶۵ اسماءهم بالتفصيل.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۰۳

و خاصـة فى الأشـهر الحرم حيث تفـد الحجيـج على مكـة من مختلف أنحـاء الجزيرة، و كـان النـبىّ صـلّى اللّه عليه و آله يعرض دينه عليهم، فكـانت أحـاديثه الجذّابـة، و كلمـاته البليغـة، و دينه المحبّب تـؤثر فى قلـوب كـثير منهم، فيميلـون إلى الإسـلام و يقبلون دعوة الرسول.

(۱) و هنا أدرك طغاة مكـة و فراعنتها أن «محمّـدا» قـد بـدأ يفتح له مكانا فى قلوب جميع القبائل، و أصـبح له انصار و أتباع فى كثير منها، ممّا دفعهم مرّة اخرى إلى الحضور عنـد «أبى طالب» حاميه الوحيـد، و تـذكيره بالإشارة و التصـريح بالاخطار المحدقة باسـتقلال المكّيين و عقائدهم نتيجة نفوذ الإسلام و انتشاره فقالوا له أجمع:

يا أبا طالب، إن لك سنّا، و شـرفا، و منزلة فينا، و إنّا قد اسـتنهيناك من ابن اخيك فلم تنهه عنّا، و إنا و اللّه لا نصبر على هذا من شـتم آبائنا، و تسفيه أحلامنا و عيب آلهتنا، حتى تكفه عنّا، أو ننازله و إيّاك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

(۲) فـأدرك حامى الرّسول الوحيـد- بـذكائه و فطنته- أنّ عليه أن يصبر أمام جماعـة ترى وجودها، و مصالحها فى خطر، من هنا عمد إلى مسالمتهم و ملاطفتهم، و وعـد بأن يبلغ ابن اخيه «محمّـد» كلامهم. و قـد كان هـذا محاولة من «أبى طالب» لتسـكين غضب تلك الجماعة الغاضبة و إطفاء نائرتهم، و تهدئة خواطرهم، ليتمّ معالجة هذه المشكلة- بعد ذلك- بطريقة أصح، و أفضل.

و لهـذا أقبل- بعـد خروج تلك الجماعـة من عنـده- على ابن اخيه، و ذكر له ما قال له القوم، و هو يريد- بذلك ضـمنا- اختبار إيمان «محمّد» بهدفه، فكان الردّ العظيم، و الجواب الخالد الذى يعتبر من أسـطع و ألمع السـطور فى حياة قائد الإسـلام الاكبر «محمّد» رسول

اللّه صلّی اللّه علیه و آله، حیث قال لعمّه بعد أن سمع مقالة قریش:

«یا عمّ، و اللّه لو وضعوا الشمس فی یمینی، و القمر فی یساری، علی أن أترک هذا الأمر حتی یظهره اللّه، أو اهلک فیه، ما ترکته».

ثم اغرورقت عیناه الشریفتان بدموع الشوق و الحب للهدف، و قام و ذهب

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۰۴

من عند عمه.

و کان لتلک الکلمات الصادقة النافذة أثر عجیب فی نفس زعیم مکة و سیدها الوقور بحیث نادی ابن اخیه، و أظهر له استعداده الکامل للوقوف الی جانبه، و الحدب علیه رغم کل المخاطر، و المتاعب التی کانت تکمن له اذ قال:

«اذهب یا ابن أخی فقل ما أحببت فو اللّه لا اسلمک لشیء أبدا».

(۱)

قریش تمشی إلی أبی طالب للمرّة الثالثة:

لقد أقلق انتشار الإسلام المتزائد قریشا، و دفعها إلی التفکیر فی حیلة، فاجتمع أشرافها و سادتها للتشاور مرّة اخری و قالوا:

لعل کفالة أبی طالب لمحمّد هی التی تدفعه إلی الدفاع عنه و حمایته و الوقوف الی جانبه فی دعوته، فکیف لو مشوا إلیه بأجمل فتیان مکة، و طلبوا منه أن یأخذه بدل «محمّد» و یسلّمه إلیهم لیروا فیه رأیهم، و لهذا مشوا الی أبی طالب بعمارة بن الولید بن المغیرة فقالوا له:

یا أبا طالب هذا عمارة بن الولید أنهد فتی فی قریش و أجمله، فخذه فلک عقله و نصره، و اتخذه ولدا فهو لک، و أسلم إلینا ابن أخیک هذا، الّذی فرّق جماعة قومک، و سفّه أحلامهم فنقتله، فانما هو رجل برجل!!

فأجابهم أبو طالب و هو مستاء من هذه المساومة الظالمة:

«هذا و اللّه لبئس ما تسوموننی! أ تعطونی ابنکم أغذوه لکم، و اعطیکم ابنی تقتلونه، هذا و اللّه ما لا یکون أبدا».

فقال «المطعم بن عدی بن نوفل»: و اللّه یا أبا طالب لقد أنصفک قومک، فما أراک ترید أن تقبل منهم شیئا.

فأجابه أبو طالب قائلا: و اللّه ما أنصفونی و لکنّک قد أجمعت خذلانی، و مظاهرة القوم علیّ فاصنع ما بدا لک «۱».

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۶۷ و ۶۸، السیرة النبویة لابن هشام: ج ۱ ص ۲۶۶ و ۲۶۷.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۰۵

(۱)

قریش تحاول تطمیع رسول اللّه!

و لما علمت قریش بأنه لا یمکن ارضاء «أبی طالب» بخذلان ابن اخیه «محمّد»، فهو و إن کان لا یتظاهر بالإسلام، إلّا أنه یکنّ لابن أخیه، ودّا عمیقا، و محبة کبری من هنا قرّروا بأن یترکوا مفاوضة، إلّا أنهم فکّروا فی خطة اخری و هی أن یحاولوا إثناء النبیّ عن المضیّ فی دعوته بتطمیعه بالمناصب، و الهدایا، و الأموال و الفتیات الجمیلات، و لهذا مشوا الی بیت «أبی طالب» و دخلوا علیه و محمّد جالس إلی جنبه فتکلّم متکلّمهم و قال: یا محمّد انا بعثنا إلیک لنکلّمک، فانا و اللّه لا نعلم رجلا من العرب أدخل علی قومه ما ادخلت علی قومک لقد شتمت الآباء، و عیبت الدین، و سببت الآلهة، و سفهت الاحلام، و فرقت الجماعة و لم یبق امر قبیح الّا أتیته

فيما بيننا و بينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثر مالا، و ان كنت انما تطلب الشرف فينا فنحن نسوّدك و نشرّفك علينا، و ان كان هذا الذى ياتيك تابعا من الجن قد غلب عليك بذلنا أموالنا فى طبك.

(۲) فقال ابو طالب لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أى ابن أخى ما بال قومك يشكونك، يزعمون انك تشتم آلهتهم و تقول و تقول؟

فتكلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال: يا عم أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب و تؤدى إليهم بها العجم الجزية.

ففزعوا لكلمته، و لقوله فقال القوم كلمة واحدة: نعم و أبيك عشرا.

قالوا: فما هى، فقال أبو طالب: و أى كلمة هى يا ابن أخى؟

قال: «لا إله الّا اللّه».

فكان هذا الرد مفاجئة قوية لذلك الفريق الذى يأمل فى صرف النبى صلّى اللّه عليه و آله عن هدفه، و لهذا قاموا فزعين ينفضون ثيابهم و هم يقولون: «أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب» «۱».

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۰۳، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۶۵ و ۶۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۰۶

(۱)

نماذج من إيذاء قريش و تعذيبها للمسلمين:

يوم صدع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بما امر، و جهر بدعوته للناس و أيس سادة قريش من قبوله لأىّ اقتراح من اقتراحاتهم بعد ما سمعوه يقول: «و اللّه لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره اللّه أو أهلك دونه ما تركته» بدأ فى الحقيقة واحدا من أشدّ فصول حياته، و اكثرها متاعب و مصاعب، لأن قريشا كانت لا تزال إلى ذلك الوقت تراعى حرمته و تحترمه، و تسيطر على أعصابها، و لكنها عند ما فشلت فى خططها لجرّه إلى مساومتها اضطرّت إلى تغيير نهجها و اسلوبها معه لتقف دون انتشار دينه مهما كلّف من الثمن مستفيدة فى هذا السبيل من كل الوسائل الممكنة.

من هنا قرّر سادة قريش بالاجماع أن يتوسّلوا بسلاح الاستهزاء و السخرية، و الإيذاء و التهديد، بهدف صرفه عن المضىّ فى دعوته «۱».

و لا يخفى أن المصلح الذى يفكر فى هداية العالم البشرىّ كله يجب ان يتزود بقدر كبير من الصبر و التحمل، أمام جميع المشكلات و المتاعب، و المكاره و الشدائد ليتغلب عليها شيئا فشيئا، كما كان دأب كل المصلحين الآخرين.

و نحن هنا نورد طرفا من أذى قريش لرسول اللّه و أتباعه ليتضح مدى صبر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و ثباته، و استقامته على طريق الدعوة.

(۲) و لقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يتمتع- مضافا إلى العامل الروحى و المعنوىّ الباطنى الذى كان يساعده من الداخل أعنى الإيمان و الصبر و الاستقامة و الثبات- بعامل خارجىّ تولّى حراسته و حمايته و ذلك حماية بنى هاشم، و على رأسهم أبو طالب له صلّى اللّه عليه و آله، لأنه عند ما عرف «ابو طالب» بعزم قريش القاطع على إيذاء ابن أخيه (محمّد) دعا بنى هاشم عامة، و طلب منهم جميعا حماية النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و القيام دونه، فلبّوا نداء سيّدهم، و أجابوه

---

(۱) راجع لمعرفة ابرز من كان يؤذى النبيّ و المسلمين المحبر: ص ۱۵۷ و ۱۶۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۰۷

إلى ما دعاهم من حماية رسول اللّه و حراسته بعض بدافع الايمان و آخر بدافع الرحم، الّا «أبو لهب» و رجلان آخران انضموا الى اعداء النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و لكن هذا السياج الدفاعىّ لم يقدر- مع ذلك- على صيانته صلّى اللّه عليه و آله من بعض الحوادث المرّة، لأنّ قريشا ألحقت به الأذى، و أنزلت به مكروها، كلما وجدته وحيدا بعيدا عن أعين حماته.

و إليك فيما يأتى بعض النماذج من ذلك الأذى:

(۱) ۱- مرّ «أبو جهل» برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند الصفا، فاذاه و شتمه و نال منه ببعض ما يكره من العيب لدينه، و التضعيف لأمره، فلم يكلّمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و مولاة لعبد اللّه بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة، فجلس معهم، فلم يلبث «حمزة بن عبد المطلب» رضى اللّه عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له، و كان صاحب قنص يرميه و يخرج له، و كان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، و كان إذا فعل ذلك لم يمرّ على ناد من قريش إلّا وقف و سلّم و تحدّث معهم، و كان أعز فتى فى قريش، و أشدّ شكيمة. سيد المرسلين ج۱ ۴۰۷ نماذج من إيذاء قريش و تعذيبها للمسلمين: ..... ص : ۴۰۶

۲) فلما مرّ بالمولاة، و قد رجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى بيته قالت له: يا أبا عمارة (و تلك هى كنيته) لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمّد آنفا من أبى الحكم بن هشام (و تعنى أبا جهل): وجده هاهنا جالسا فاذاه و سبّه، و بلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه و لم يكلمه محمّد صلّى اللّه عليه و آله.

فغضب «حمزة» لذلك، فخرج يسعى و لم يقف على أحد معدّا لأبى جهل إذا لقيه أن يوقع به.

فلمّا دخل المسجد نظر إليه جالسا فى القوم، فاقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجة منكرة، ثم قال: «أ تشتمه و أنا على دينه أقول ما يقول. فردّ ذلك علىّ أن استطعت».

فقامت رجال من بنى مخزوم إلى «حمزة» لينصروا «أبا جهل» فقال أبو جهل:

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۰۸

دعوا أبا عمارة فانى قد سببت ابن أخيه سبّا قبيحا «۱». و بهذا منع «أبو جهل» الذى كان ممن يدرك خطورة مثل هذه المواقف من وقوع شجار و قتال.

(۱) إنّ التاريخ الثابت و المسلّم يشهد بأنّ وجود رجال ذوى بأس و قوة بين صفوف المسلمين مثل «حمزة» الذى أصبح فى ما بعد من كبار قادة الإسلام، قد كان له أثر كبير فى حفظ الإسلام، و الحفاظ على حياة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و دعم جماعة المسلمين، و تقوية جناحهم، فهذا ابن الاثير «۲» يقول عن حمزة: لما اسلم حمزة عرفت قريش أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد عزّ و امتنع فكفوا عما كانوا يتناولون منه.

من هنا أخذت قريش تفكّر فى إعداد خطط اخرى لمواجهة قضية الإسلام و المسلمين، سنذكرها فى المستقبل.

(۲) هذا و يرى بعض المؤرّخين مثل ابن كثير الشامى «۳» على أن ردود فعل إسلام «أبى بكر» و «عمر» و أثرهما لم تكن بأقلّ من تأثير إسلام «حمزة»، و انّ الدين قوى جانبه باسلام هذين الرجلين، و كسب المسلمون بذلك القوة و الحريّة فى العمل و التحرك، و الحقيقة انه لا شك فى انه لكل فرد تأثيره فى تقوية و دعم الإسلام، إلّا أنه لا يمكن- القول بحال بأن تأثير إسلام الشيخين كان يعدل تأثير إسلام «حمزة»، فإن «حمزة» ما ان سمع بأن قريشا أساءت إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الّا و توجه، من دون أن يعرّج على أحد، إلى المسيء و انتقم منه فى الحال أشدّ انتقام، و لم يجرأ أحد على الوقوف فى وجهه و منع المسيء منه، و من غضبه و انتقامه، بينما يكتب ابن هشام فى سيرته عن «أبى بكر» امرا يكشف عن أن «أبا بكر» يوم دخل فى صفوف المسلمين لم يكن قادرا على حماية

نفسه، و لا على الدفاع عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله. (۳) و إليك نصّ الواقعة:

مرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذات يوم على جماعة من قريش و هم جلوس عند الحجر، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، و أحاطوا به يقولون: أنت الذى تقول:

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۹۱ و ۲۹۲، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۷۲.

(۲) الكامل لابن الاثير: ج ۲ ص ۵۶.

(۳) البداية و النهاية: ج ۲ ص ۲۶ و ۳۲.

كذا و كذا، لما كان يقول من عيب آلهتهم و دينهم فيقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: نعم أنا الذى أقول ذلك، فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه (و هم يقصدون قتله) فقام «أبو بكر» دونه و هو يبكى و يقول: أ تقتلون رجلا يقول ربّى اللّه؟

فانصرفوا عنه (و لم يقتلوه لأمر رأوه)، فرجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى منزله، و رجع «أبو بكر» يومئذ و قد صدعوا فرق رأسه «۱».

(۱) إن هذه الرواية التاريخية اذا دلّت على مشاعر الخليفة تجاه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إلّا أنها تدل قبل أى شىء على عجزه و ضعفه.

إنه يدلّ على أنه لم يملك ذلك اليوم لا أية مقدرة بدنية و روحية، و لا أية مكانة اجتماعية ترهب، و حيث أنّ إلحاق الأذى بشخص رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان ينطوى- فى نظر قريش ذلك على عواقب لا تحمد- لذلك تركوا رسول اللّه، و وجّهوا ضربتهم إلى رفيقه و صدعوا فرق رأسه.

و لو أنك قارنت بين هاتين الحادثتين و قايست بين موقف «حمزة» الشجاع و موقف الخليفة الأوّل هذا لاستطعت أن تقضى بسهولة بأنّ عزة الإسلام و قوة المسلمين، و تعزيز موقفهم، و خوف الكفار كان يعود إلى إسلام أىّ واحد من ذينك الرجلين؟

(۲) هذا و ستقرأ فى القريب العاجل كيفية إسلام «عمر». و سترى بأنّ إسلامه- كاسلام صديقه- لم يزد هو الآخر من قدرة المسلمين الدفاعية، و أنهم بالتالى لم يعتزوا باسلامه.

فيوم أسلم «عمر» كاد أن يقتل لو لا «العاص بن وائل السهمى» لأنه هو الذى خاطب الذين قصدوا قتل «عمر» قائلا: رجل اختار لنفسه أمرا فما ذا تريدون منه؟ أ ترون بنى عدىّ بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا، خلّوا عن الرجل» «۲».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۸۹ و ۲۹۰، و قد ذكر الطبرى فى تاريخه: ج ۲ ص ۷۲ قصة صدع رأس أبى بكر بالتفصيل فراجع.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۴۹.

إن هذه العبارة التى قالها «العاص» لانقاذ الخليفة الثانى من أيدى الذين اجتمعوا على قتله تفيد- بوضوح- أن الخوف من قبيلة «عمر» هو الذى كان وراء تركهم إياه و عدم قتله، و قد كان دفاع القبائل عن أبنائها سنة فطرية و عادة متعارفة يومذاك و كان يتساوى فيها الكبير و الصغير، و الشريف و الوضيع.

أجل إن بنى هاشم هم كانوا- فى الواقع- الحصن الحقيقى للمسلمين، و قد كان القسط الأكبر من هذا الأمر يتحمله «أبو طالب» و ذووه، و إلّا فانّ الاشخاص الآخرين الذين كانوا ينضمّون إلى صفوف المسلمين لم يكن لديهم القدرة على الدفاع عن أنفسهم، فكيف بالدفاع عن الإسلام و جماعة المسلمين ليقال: أن المسلمين اعتزوا بهم؟

(۱)

أبو جهل يكمن لرسول اللّه:

لقد أغضب تقدم الإسـلام المطرد قريشا بشدهٔ فلم يمرّ يوم دون أن يبلغهم نبأ عن انضمام واحد من أفراد قريش الى صفوف المسلمين و لأجل هذا راح مرجل الغضب و الحنق على النبى صـلّى اللّه عليه و آله يغلى فى نفوسـهم، فهذا فرعون مكهٔ «أبو جهل» يقول لقريش فى مجلس من مجالسـهم: يا معشـر قريش إن محمّدا قد أبى إلّا ما ترون من عيب ديننا، و شتم آبائنا، و تسفيه أحلامنا، و شتم آلهتنا، و إنى اعاهد اللّه لأجلسنّ له غدا بحجر ما اطيق حمله فإذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه.

(۲) فلما كان من غـد أخذ «أبو جهل» حجرا كما وصف ثم جلس لرسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ينتظره، و غدا رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله على عادته و وقف للصـلاهٔ بين الركن اليمانىّ و الحجر الأسود، و غـدت تلك الجماعهٔ من قريش فجلست فى أنديتها تنتظر مـا ابو جهـل فاعـل، فلما سـجد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أحتمل «أبو جهل» الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعـا لونه، مرعوبـا و قـذف الحجر من يـده، فقامت إليه رجال من قريش و قالوا له: مالك يا أبا الحكم؟ فقال بصوت ضـعيف يطفح بالخوف و الرعب: قمت إليه

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۱۱

لأفعل به ما قلت لكم البارحهٔ فلما دنوت منه عرض لى دونه ما لا رأيت مثله حياتى، فتركته!! «۱».

إنه ليس من شـك فى أنّ قوهٔ غيبيّـهٔ أدركت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بأمر اللّه تعالى فى تلك اللحظـهٔ، و صوّرت ذلك المنظر الرهيب و حفظت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كما وعده تعالى وعدا لا خلف فيه اذ قال: «إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» «۲».

(۱) و هناك نماذج كثيرهٔ من أذى قريش لشـخص رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله سـجّلها التاريخ فى صفحاته، و قد عقد «ابن الأثير» «۳» فصـلا خاصّا لهذا الموضوع ذكر فيه أسـماء أعداء رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله الألدّاء، فى مكّهٔ، و بيّن أنواع ما كانوا يؤذون به النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله، و ما قد مرّ ذكره فى الصـفحات السابقهٔ ما هو إلّا أمثلهٔ على ذلك، فقد كان صلّى اللّه عليه و آله يواجه فى كل يوم نوعا خاصا من الأذى، و المضايقهٔ.

فقد روى أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان يطوف ذات يوم فشتمه «عاقبهٔ بن أبى معيط» و ألقى عمامته فى عنقه، و جرّه من المسجد، فأخذوه من يده، خوفا من بنى هاشم «۴».

ابو لهب يؤذى رسول اللّه:

(۲) و لقد تعرّض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأذى لا مثيل له من جانب عمه «أبى لهب» و زوجته «أم جميل» و قد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يجاورهم، فلم يألوا جهدا فى إزعاجه و إيذائه فكم من مرّهٔ و مرهٔ ألقيا الرماد

---

(۱) السيرهٔ النبويهٔ: ج ۱ ص ۲۹۸ و ۲۹۹.

(۲) الحجر: ۹۵.

(۳) الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۴۷ كما و عقد المجلسى رحمه اللّه فى البحار: ج ۱۸ بابا خاصا بعنوان: «باب المبعث و اظهار الدعوهٔ و ما لقى صلّى اللّه عليه و آله من القوم» راجع من صفحهٔ ۱۴۸ الى صفحهٔ ۲۴۳

(۴) السيرهٔ الحلبيهٔ: ج ۱ ص ۲۹۳ نظيره.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۲

و التراب علی رأسه الشریف و ثیابه. و کم من مرّة نشرت أم جمیل الشوک علی طریفه، أو جمعته خلف باب بیته لتؤذیه عند الخروج.
و لا شک ان معارضة انسباء النبی و اقربائه لدعوته المبارکة، و ایذاؤهم ایاه کان اکثر ایلاما لنفسه الشریفة، و اشد وقعا علیها، حتی اننا نجد القرآن یخص أبا لهب باللعن و یسمیه بصورة خاصة مما یکشف عن هذه الحقیقة اذ یقول:
«تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ. ما أَغْنی عَنْهُ مالُهُ وَ ما کَسَبَ. سَیَصْلی ناراً ذاتَ لَهَبٍ. وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِی جِیدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ» «۱».

صبر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و استقامته:

و لکن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان یواجه کل ذلک الأذی و ما شابهه من التحججات التی سنشیر إلیها بصبر عظیم، و ثبات تتعجب منه الجبال الشماء، و ذلک اولا إیمانا منه برسالته.

(۱)

إیذاء المسلمین و تعذیبهم!

اشارة

یرجع تقدم الإسلام فی مطلع عهد الرسالة إلی عوامل منها: ثبات رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نفسه، و ثبات اتباعه و أنصاره.
و لقد تعرّفنا- فی ما سبق- علی أمثلة و نماذج من ثبات قائد الإسلام الاکبر و صبره، و استقامته فی ما لقی من أذی و مضایقة.
علی أن ثبات أنصاره و اتباعه الذین آمنوا فی مکّة (مرکز الحکومة الوثنیة آنذاک) هو الآخر ممّا یدعو إلی الإعجاب و یستحق الاحترام. و سنذکر صمودهم و ثباتهم فی حوادث ما بعد الهجرة فی محله.
و أمّا هنا فنسلّط الضوء علی حیاة عدد من أتباع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله القدامی الذین تحملوا أشد أنواع العذاب و کانوا یعیشون فی المحیط المکی

---

(۱) المسد: ۱- ۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۳

حیث لم یکن ملجأ لهم یلجئون إلیه، و هاجروا منه لأغراض الدعوة و التبلیغ بعد أن تحملوا شیئا کثیرا من الإیذاء و التعذیب علی أیدی المشرکین و الوثنیین القساة.

(۱)

۱- بلال الحبشی:

کان أبواه ممّن اسروا فی الجاهلیة و جیء بهم من الحبشة إلی جزیرة العرب ثم الی مکة.
و أما بلال الذی اصبح فی ما بعد مؤذن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فقد کان غلاما ل «امیّة بن خلف» الذی کان من أشدّ أعداء النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

و حيث أنّ عشيرة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله تولّت الدفاع عنه صلّى اللّه عليه و آله و حمايته و لم يمكن لاميّة إلحاق الأذى برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عمد الى تعذيب غلامه بلال الذى أسلم، أمام الناس، بأشد أنواع الأذى و التعذيب انتقاما، و تشفيا.

فقد كان يطرح بلالا عاريا على الأحجار و الصخور الملتهبة فى الهاجرة، و يضع صخرة على صدره ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمّد، و تعبد اللّات و العزّى، فيقول و هو فى ذلك البلاء و المحنة الشديدة: أحد أحد «۱».

(۲) و لقد أثار ثبات هذا الغلام الأسود و جلده و صبره على أذى سيّده، إعجاب الآخرين، حتى أن «ورقة بن نوفل» مرّ عليه و هو يعذّب بذلك و هو يقول: أحد أحد، أقبل على «اميّة» و من يصنع به ذلك من «بنى جمح» فيقول: احلف باللّه لئن قتلتموه على هذا لاتخذنّه حنانا (أى لأجعلنّ قبره متبرّكا و مزارا) «۲».

و ربما زاد «اميّة» من تعذيبه لبلال فربط حبلا بعنقه و ترك الصبيان يديرون به فى الازقة و السكك «۳».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۱۷ و ۳۱۸.

(۲) السيرة النبوئة: ج ۱ ص ۳۱۸.

(۳) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۳ ص ۲۳۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۴

و قد اسر «اميّة» و ابنه فى معركة «بدر» و كانا أول من اسرا من المشركين، و لم يوافق بعض المسلمين على قتلهما و لكن بلالا قال: «رأس الكفر اميّة بن خلف لا نجوت إن نجا». و أدّى إصرار بلال على قتلهما إلى قتل اميّة و ابنه جزاء أعمالهما الظالمة.

(۱)

۲- آل ياسر رمز الصمود و المقاومة!

كان «عمار» و والده من السابقين الى الإسلام فهم أسلموا يوم كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يلتقى بأصحابه و يدعو الى الإسلام فى بيت «الارقم بن أبى الارقم»، و عند ما عرف المشركون بانضمامهم إلى صفوف المسلمين عمدوا إلى إيذائهم و تعذيبهم و لم يألوا جهدا فى ذلك أبدا.

فقد كان المشركون يخرجون «عمارا» و اباه «ياسر» و امّه «سمية» فى وقت الظهيرة الى رمضاء مكة ليقضوا ساعات طويلة تحت أشعة الشمس الحارقة، و فوق الرّمال الملتهبة و الصخور المتّقدة كأنّها الجمرات.

و قد تكرّر هذا العذاب مرّات عديدة حتى أودى بحياة «ياسر» فقضى نحبّه على تلك الحال.

و قد خاشنت زوجته «سميّة» أبا جهل و كلمته فى زوجها بغليظ القول، فطعنها اللعين برمح فى قلبها فقضت- هى الاخرى- نحبّها، و كانا أول شهيدين فى الإسلام «۱».

و قد آلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما شاهده من حالهما و هما يعذّبان بأشد أنواع العذاب فقال لهما و لولديهما «عمّار» و هو يصبّرهم، و الدموع تنحدر على خدّيه:

«صبرا آل ياسر فانّ موعدكم الجنة» «۲».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۴۱ و السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۰۰، السيرة الدحلانية بهامش السيرة.

(۲) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۰۰، السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۲۳۸ و ۲۳۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۵

(۱) و بعد أن قضی والدا «عمّار» نحبهما تحت التعذیب بالغ المشرکون القساة فی تعذیب «عمّار» و إیذائه و التنکیل به، و أخذوا یعذّبونه علی نحو ما کانوا یعذّبون به بلالا، و هم یقصدون قتله، و إلحاقه بأبویه!! أو یتبرأ من دین النبی صلّی اللّه علیه و آله، فاضطر الی أن یعطیهم ما یریدون و یظهر الرجوع عن الإسلام، إبقاء علی نفسه، و تقیّة منهم فترکوه، و انصرفوا عن قتله، و لکنه سرعان ما ندم علی فعله من التظاهر بترک الإسلام و تأثّم من ذلک فجاء إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو یبکی، فقال له النبیّ: کیف تجد قلبک؟ قال: مطمئن بالایمان قال:

ان عادوا فعد، فنزلت الآیة التالیة فی ایمان عمّار: «إِنَّما یَفْتَرِی الْکَذِبَ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِآیاتِ اللَّهِ وَ أُولئِکَ هُمُ الْکاذِبُونَ مَنْ کَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِیمانِهِ إِلَّا مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ» «۱» «۲».

(۲) هذا و روی أنّ أبا جهل حینما قصد تعذیب «آل یاسر» و کانوا أضعف من بمکة أمر بسوط و نار ثم سحبوا عمارا و أبویه علی الأرض، فکان یکوی بطرف السیف و الخنجر المحمی بالنار المشتعلة أبدانهم، و یضربهم بالسوط ضربا شدیدا.

و قد تکرّر هذا العمل القاسی کثیرا حتی استشهد «یاسر» و زوجته «سمیّة» علی أثر ذلک التعذیب المریر، و لکن دون أن یفتئا حتی النفس الآخر عن مدح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الاشادة بدینه.

و لقد أثار هذا المنظر المؤلم مشاعر فتیان من قریش فأقدموا- رغم عدائهم للإسلام و مشارکتهم لغیرهم من المشرکین فی بغض الرسول- علی تخلیص «عمار» الجریح المنهک عذابا من براثن «أبی جهل» لیتمکن من مواراة أبویه الشهیدین.

(۳)

۳- عبد اللّه بن مسعود:

تشاور المسلمون فی ما بینهم فی مقرّهم السری فی من یجهر بالقرآن علی مسامع قریش، فی المسجد الحرام لأنها لم تسمع منه شیئا إذ قالوا: و اللّه ما سمعت قریش

---

(۱) النحل: ۱۰۵ و ۱۰۶.

(۲) الدّر المنثور: ج ۴ ص ۱۳۲ عند تفسیر الآیتین المذکورتین.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۶

هذا القرآن یجهر لها قط فمن رجل یسمعهموه؟

فأبدی «ابن مسعود» استعداده للقیام بهذه العملیة الجریئة، و تلاوة القرآن علی مسامع قریش فی المسجد الحرام بصوت عال.

فقالوا: إنّا نخشاهم علیک، إنّما نرید رجلا له عشیرة یمنعونه من القوم إن أرادوه.

قال: دعونی فان اللّه سیمنعنی.

ثم غدا «ابن مسعود» حتی أتی المقام فی وقت الضحی و قریش فی اندیتها حتی قام عند المقام ثم قرأ: «بسم اللّه الرحمن الرحیم» رافعا بها صوته، «الرّحمن علّم القرآن» و هکذا استمر یقرأ بقیة آیات تلک السورة المبارکة.

فارعبت عبارات القرآن الفصیحة القویة قلوب سراة قریش، و لکی یمنعوا من تأثیر هذا النداء الالهیّ العظیم قاموا إلیه جمیعا و جعلوا یضربونه فی وجهه، و جعل هو یقرأ حتی بلغ منها ما شاء اللّه أن یبلغ ثم عاد إلی اصحابه و قد ادمی وجهه و جسمه، و هو مسرور لإسماع قریش کتاب اللّه تعالی و آیاته المبارکة «۱».

إنّ الّذین صمدوا فی أشد الأیام و أصعبها فی مطلع عهد البعثة من المسلمین الأوائل لا شک اکثر ممّن ذکرنا اسماءهم إلّا أننا اکتفینا بهذا القدر رعایة للاختصار.

(۱)

۴- أبو ذر: أوّل المجاهدین بالإسلام

کان «أبو ذر» رابع أو خامس من أسلم «۲»، و علی هذا فهو من الذین أسلموا فی الأیّام الاولی من بزوغ شمس الإسلام و طلوع فجره، فإذن هو من السابقین إلی الإسلام.

و قد صرح القرآن الکریم بأنّ للذین سبقوا إلی الإیمان برسول اللّه فی بدء

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۱۴.

(۲) اسد الغابة: ج ۱ ص ۳۰۱، الإصابة: ج ۴ ص ۶۴، الإستیعاب: ج ۴ ص ۶۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۷

بعثته و بالتالی فإن للسابقین عند اللّه تعالی مکانة عظیمة، و مقاما لا یضاهی إذ قال تعالی:

«السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ» «۱».

و قال تعالی فیهم أیضا.

«وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِینَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِیَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها أَبَداً ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ» «۲».

و قال تعالی کذلک فی من آمن قبل فتح مکة و فضلهم، و مکانتهم المعنویة المتفوقة علی من أسلم بعد اعتزاز الإسلام، و اشتداد أمره، و قیام دولته یعنی أنّهم لیسوا سواء.

«لا یَسْتَوِی مِنْکُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قاتَلَ أُولئِکَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِینَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قاتَلُوا ...» «۳».

أجل هذه هی مکانة السابقین فی الإسلام و کان «ابو ذر» منهم.

هذا مضافا إلی أنّه یعدّ أول من نادی بالإسلام علی رءوس الأشهاد و فی الملأ من قریش.

(۱) فیوم اسلم «أبو ذر» کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یدعو الناس إلی الإسلام سرّا، و لم تتهیّأ بعد ظروف الجهر بالدعوة إلی هذا الدّین، فانّ أتباع الإسلام و المؤمنین به لم یتجاوز عددهم فی ذلک الیوم عدّد الأصابع هم: النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و خمسة ممن آمنوا به، و قبلوا دعوته، و مع ملاحظة هذه الاعتبارات و الظروف لم یکن بدّ- حسب الظاهر- من أن یخفی «أبو ذر» إسلامه، و یعود إلی قبیلته من دون أن یعرف به أحد فی مکة.

و لکنّ روح «أبی ذر» الطافحة بالإیمان و الحماس أبت ذلک، و کأنه قد خلق لینهض فی کل زمان و مکان ضدّ الظلم و الطغیان، و یرفع عقیدته فی وجه

---

(۱) الواقعة: ۱۰- ۱۱.

(۲) التوبة: ۱۰۰.

(۳) الحدید: ۱۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۸

الباطل و أهله، و یکافح الانحراف و الاعوجاج أیّا کان مصدره، و صاحبه. و أیّ باطل اکبر من أن یطأطئ الناس أمام أصنام مصنوعة من الحجر، و یخضعوا أمام أوثان منحوتة من الخشب لا تضرّ و لا تنفع، و لا تعطی و لا تمنع، و یسجدوا لها و یتخذوها آلهة دون اللّه الخالق الکبیر المتعال؟؟

إنّه لیس فی وسع «أبی ذر» أن یتحمّل هذا المشهد البغیض المقرف!!

(۱) من هنا قال لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعد أن مکث فی مکة قلیلا و قرأ شیئا من القرآن: یا نبیّ اللّه ما تأمرنی؟

قال: ترجع الی قومک حتی یبلغک أمری.

فقال له: و الذی نفسی بیده لا أرجع حتی أصرخ بالإسلام فی المسجد.

قال: انی اخاف علیک أن تقتل.

قال: لا بد منه و إن قتلت.

ثم دخل المسجد فنادی بأعلی صوته: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، و أنّ محمّدا عبده و رسوله «۱».

(۲) إن التاریخ الإسلامی یشهد بأن هذا النداء کان أول نداء تحدّی جبروت قریش و شرکها، و قد اطلقته حنجرة رجل غریب لا حامی له فی مکة و لا نصیر، و لا قوم و لا قریب.

و قد وقع ما توقّعه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فما أن دوی صوت ابی ذر فی المسجد حتی قام إلیه رجال قریش، و هجموا علیه من کل جانب و ضربوه بشدة حتی صرع فأتاه العباس بن عبد المطلب فأکبّ علیه فی محاولة لانقاذه من الموت- بطریقة لطیفة- و قال: قتلتم الرجل یا معشر قریش! انتم تجار و طریقکم علی غفار، فتریدون ان یقطع الطریق، فأمسکوا عنه.

و نجحت محاولة «العباس» الانقاذیة، و کفّت قریش عن ابی ذر.

---

(۱) حلیة الأولیاء: ج ۱ ص ۱۵۸ و ۱۵۹، الطبقات الکبری: ج ۴ ص ۲۲۵، الاستیعاب: ج ۴ ص ۶۳، الاصابة: ج ۴ ص ۶۴، الدّرجات الرفیعة: ص ۲۲۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۹

و لکن أبا ذر الشاب الشجاع، و الطافح بالحیویة و الحماس عاد الیوم الثانی فصنع مثل ما صنعه فی الیوم الاول فضربوه حتی صرع، فأکب علیه العباس، و قال لهم مثل ما قال فی أول مرة فأمسکوا عنه.

(۱) و لا- شک فی انه لو لم یکن العباس لما نجی أبو ذر من مخالف المشرکین فی اغلب الظن، و لکن أبا ذر لم یکن بذلک الرجل الذی یتراجع عن هدفه بسرعة، و لهذا بدأ جهاده من جدید.

ففی یوم رأی امرأة تطوف بالبیت، و تدعو ساف و نائلة (و هما صنمان لقریش) و تسألهما ان یقضیا لها حاجاتها، فانزعج أبو ذر من جهل تلک المرأة، و لکی یفهمها بانها تدعو صنمین لا یضران و لا ینفعان بل و لا یشعران قال: أنکحی أحدهما الآخر. فغضبت المرأة لقول ابی ذر فی الصنمین، و تعلقت به و قالت: أنت صابئ، فجاء فتیة من قریش فضربوه، و جاء ناس من بنی بکر فانقذوه منهم «۱».

(۲)

قبیلة غفار تعتنق الإسلام:

لقد أدرک رسول الإسلام صلّی اللّه علیه و آله قابلیات تلمیذه و ناصره الجدید، و صلابته الخارقة فی مکافحة الباطل، و لکن حیث ان الوقت لم یکن یحن بعد للدخول فی مواجهة ساخنة مع المشرکین لهذا أمره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بان یلحق بقومه، و

يدعوهم إلى الإسلام، قائلا له: «الحق بقومك فاذا بلغك ظهورى فأتنى».

فعاد ابو ذر إلى قومه، و أخذ يدعوهم الى الإسلام و يكلمهم عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و يدعوهم الى نبذ الاصنام و عبادة اللّه الواحد، و التخلق بالاخلاق الرغيبة.

(۳) فاسلم أبواه، أولا، ثم اسلم نصف رجال قبيلته «غفار» ثم اختار البقية الإسلام بعد هجرة النبى الى المدينة، ثم تبعتها قبيلة «أسلم» حيث وقدوا على

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۴ ص ۲۲۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۲۰

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و اعتنقوا الإسلام.

ثم التحق ابو ذر بعد معركة بدر و احد برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى المدينة و أقام فيها «۱».

و ربما كان إيذاء المشركين للمسلمين المؤمنين برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يتخذ طابع التهديد و الترهيب و ممارسة الضغط النفسى و الاقتصادى و الاجتماعى.

فقد كان أبو جهل إذا سمع بالرجل قد اسلم له شرف و منعة أنّبه و أخزاه، و قال له: تركت دين أبيك و هو خير منك، لنسفّهنّ حلمك، و لنفيلنّ رأيك، و لنضعنّ شرفك.

و إن كان تاجرا قال له: لنكسدنّ تجارتك، و لنهلكنّ مالك.

و إن كان ضعيفا ضربه، و أغرى به «۲».

و روى أيضا أن «خبّاب بن الارت» صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان قينا بمكة يعمل السيوف و كان قد باع من «العاص بن وائل» سيوفا صنعها له حتى كان له عليه مال، فجاءه يتقاضاه، فقال يا خبّاب: أ ليس يزعم «محمّد» صاحبكم هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب و فضه أو ثياب أو خدم، قال خبّاب: بلى، قال: فأنظرنى الى يوم القيامة يا خبّاب حتى أرجع الى تلك الدار، فأقضيك هنالك حقك فو اللّه لا تكون و صاحبك يا خبّاب اشرّ عند اللّه منى!! «۳».

(۱)

أعداء النبى الألدّاء:

إن للتعرف على أعداء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و خصومه الالدّاء، و مواقفهم دورا هاما فى تحليل جملة من حوادث التاريخ الإسلامى التى وقعت

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۴ ص ۲۲۱ و ۲۲۲ و ۲۲۶، الدرجات الرفيعة: ص ۲۲۵ و ۲۲۶ و ص ۲۲۹ و ۲۳۰.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۲۰.

(۳) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۵۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۲۱

بعد الهجرة النبوية.

و نحن نكتفى هنا بادراج اسماء طائفة منهم و نذكر شيئا من خصوصياتهم.

(۱) ۱- «أبو لهب»: عم النبى صلّى اللّه عليه و آله، و قد كان جارا له صلّى اللّه عليه و آله، و هو الّذى لم يفتأ لحظة واحدة عن تكذيب

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ايذاء المسلمين.

(٢) ٢- «الأسود بن عبد يغوث» و كان أحد المستهزئين و كان إذا وجد مسلما فقيرا لا يحميه أحد قال مستهزءا: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى!! «١».

و لم يمهله أجله ليرى بام عينيه كيف ورث المسلمون أرض كسرى و قيصر، و وطئوا عرشهما.

(٣) ٣- «الوليد بن المغيرة» شيخ قريش و حكيمها الذى كان يملك ثروة هائلة، و سوف نتحدث عنه و عن موقفه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الفصل القادم.

(۴) ۴- «اميّة» و «ابىّ» ابنا خلف، و قد مشى «ابى» هذا بعظم رميم الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذات يوم ففتّه فى يده ثم نفخه نحو النبى و قال: أ تزعم أن ربك يحيى هذا بعد ما ترى (أو بعد ما رمّ)؟ فنزل قول اللّه تعالى: «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» «٢».

و قد قتل ابنا خلف هذان فى بدر.

(۵) ۵- «أبو الحكم بن هشام» الذى سماه المسلمون لعناده و تعصّبه الجاهل ضدّ الإسلام بأبى جهل، و قد قتل هو الآخر فى بدر أيضا.

(۶) ۶- «العاص بن وائل» و هو والد «عمرو بن العاص»، و هو الذى وصف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالأبتر.

---

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣١٨.

(٢) بحار الأنوار. ج ١٨ ص ٢٠٢، السيرة النبوية: ج ١ ص ٣۶١ و ٣۶٢.

سيد المرسلين ،ج١،ص:۴٢٢

(١) ٧- «عاقبة بن أبى معيط» الذى كان من ألدّ اعداء النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و أشدّ خصومه بغضا له صلّى اللّه عليه و آله، و كان لا يألو جهدا فى مضايقة المسلمين و لا يترك فرصة تمرّدون إيذائهم! «١».

هؤلاء هم بعض أعداء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المبالغين فى معاداته، و هناك غيرهم كأبى سفيان ممن ذكر المؤرخون خصوصياتهم كاملة فى مؤلفاتهم، و قد أعرضنا عن إدراجهم بأجمعهم هنا رعاية للاختصار.

(٢)

عمر بن الخطاب يعتنق الإسلام:

لقد كان إسلام كل واحد من الذين أجابوا دعوة الرسول صلّى اللّه عليه و آله نابعا من سبب معيّن.

فربّما أدّت حادثة صغيرة إلى أن يعتنق فرد أو فريق الإسلام، و ينضمّوا إلى صفوف المسلمين.

و قد اتّسم السبب الذى آل الى إسلام عمر- من بين جميع تلكم الاسباب و العلل- بطرافة تقتضى التوقف عنده فى هذه الدراسة التاريخية التحليلية.

على أن التسلسل التاريخى، و التنظيم الوقائعى لاحداث الإسلام و ان كان يقتضى منا ان نأتى على ذكر هذه الحادثة بعد هجرة صحابة النبى صلّى اللّه عليه و آله الى الحبشة، إلّا أن الحديث حيث دار هنا حول صحابة النبى و كيفية اسلامهم و مواقفهم ناسب أن نشير هنا إلى كيفية إسلام الخليفة الثانى.

(٣) يقول ابن هشام: كان اسلام عمر- فى ما بلغنى- أن اخته بنت الخطاب و كانت عند «سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل» و كانت قد أسلمت و أسلم بعلها «سعيد بن زيد»، و هما مستخفيان باسلامهما من عمر (و هؤلاء هم كل من اسلم من آل الخطاب) و كان خبّاب بن الأرت يختلف الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن.

(۱) الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۴۷ و ۵۱، و راجع أيضا: أسد الغابة، و الاصابة و الاستيعاب و غيرها.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۲۳

و كان «عمر» الذى كانت بينه و بين المسلمين علاقات جدا سيئة «۱» قد أزعجه ما أصاب المجتمع المكى من تشتّت و فرقة، و ما لحق بقريش من المتاعب أثر ظهور الإسلام، من هنا عزم على أن يقضى على علة هذا الأمر باغتيال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الفتك به.

فخرج يوما متوشحا سيفه يريد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و رهطا من أصحابه و قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا و هم قريب من أربعين ما بين رجال و نساء، و مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عمّه «حمزة» بن عبد المطلب و «ابو بكر» و «على بن ابى طالب» فى رجال من المسلمين يحفظونه و يحرسونه.

يقول «نعيم بن عبد اللّه» و قد كان صديقا حميما لعمر: لقيت عمرا و هو متوشح سيفا و يريد مكانا فقلت له: أين تريد يا عمر؟

فقال: اريد محمّدا هذا الصابئ الذى فرّق فى أمر قريش، و سفّه أحلامها و عاب دينها، و سبّ آلهتها، فأقتله.

فقال له نعيم: و اللّه لقد غرّتك نفسك من نفسك يا عمر، أ ترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض و قد قتلت محمّدا! أ فلا ترجع إلى اهل بيتك فتقيم أمرهم؟

قال: و أى أهل بيتى؟

قال: ختنك و ابن عمك «سعيد بن زيد» و اختك «فاطمة بنت الخطاب» فقد و اللّه أسلما، و تابعا محمّدا على دينه فعليك بهما.

فأغضب هذا النبأ عمر بشدة فانصرف عن الهدف الذى كان يرمى إليه و عاد من توّه إلى بيت اخته، فدخل على اخته و ختنه و عندهما «خبّاب بن الأرت» معه صحيفة فيها سورة «طه» يقرئهما إياها، فلما سمعوا حسّ «عمر» تغيّب «خبّاب» فى مخدع لهم، أو فى بعض البيت، و اخفت «فاطمة بنت

(۱) راجع السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۴۲- ۳۴۶.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۲۴

الخطاب» الصحيفة، و كان «عمر» قد سمع حين دنا الى البيت قراءة «خبّاب» عليهما، فلما دخل قال: «ما هذه الهينمة «۱» التى سمعت؟

قالا له: ما سمعت شيئا.

قال: بلى و اللّه، لقد اخبرت أنكما تابعتما محمّدا على دينه.

و بطش بختنه «سعيد بن زيد» فقامت إليه اخته «فاطمة بنت الخطاب» لتكفّه عن زوجها فضربها فشجّها.

فلما فعل ذلك قالت له اخته و ختنه: نعم قد اسلمنا و آمنّا باللّه و رسوله، فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى «عمر» ما باخته من الدّم ندم على ما صنع، فارعوى و رجع، و قال لاخته: اعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمّد؟.

فلما قال ذلك قالت له اخته: إنّا نخشاك عليها. قال: لا تخافى و حلف لها بآلهته ليردّنّها إذا قرأها، إليها.

فلما قال ذلك طمعت فى اسلامه، فقالت: يا أخى، إنك نجس على شركك و انّه لا يمسّها إلّا الطاهر، فقام «عمر» فاغتسل، فأعطته الصحيفة و فيها آيات من سورة «طه» هى:

طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلّا تذكرة لمن يخشى. تنزيلا ممّن خلق الأرض و السماوات العلى. الرّحمن على العرش استوى. له ما فى السماوات و ما فى الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى. و إن تجهر بالقول فانّه يعلم السرّ و أخفى «۲».

و لقد تركت هذه الآيات المحكمة الفصيحة البليغة تأثيرا شديدا فى نفس عمر فقال: ما احسن هذا الكلام؟
و قرر الرجل، الذى كان قبل ثوان عدوّ الإسلام الأول، أن يغيّر موقفه،

---

(۱) الهينمة صوت كلام لا يفهم.

(۲) طه: ۱- ۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۲۵

فتوجه من توّه إلى البيت الذى ذكر له أنّ فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و جماعة من أصحابه و هو متوشح سيفه، فضرب عليهم الباب، فلمّا سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو فزع و أخبر النبى صلّى اللّه عليه و آله بما رأى، فقال حمزة: فائذن له، فان جاء يريد خيرا بذلناه له، و إن كان يريد شرا قتلناه بسيفه.
فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ائذن له، فأذن له الرجل، و نهض إليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتى لقيه فى الحجرة، فأخذ حجزته (و هو موضع شد الإزار) أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذه شديدة، و قال: ما جاء بك يا ابن الخطاب فو اللّه ما أرى تنتهى حتى ينزل اللّه بك قارعة؟!
فقال عمر: يا رسول اللّه جئتك لاؤمن باللّه و برسوله و بما جاء من عند اللّه.
و هكذا اسلم «عمر» عند رسول اللّه و أصحابه و انضوى إلى صفوف المسلمين.
ثم ان ابن هشام روى رواية اخرى فى كيفية اسلام عمر من أراد الوقوف عليها راجعها فى السيرة النبوية «۱».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۴۳- ۳۴۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۲۷

(۱)

۱۶ رأى قريش فى القرآن

اشارة

ان البحث حول حقيقة الاعجاز القرآنى أمر خارج عن اطار هدفنا فى هذا الكتاب فذلك متروك إلى الكتب الاعتقادية و الكلامية.
و لكن الأبحاث التاريخيّة تهدينا الى أن القرآن الكريم كان من أكبر و أقوى اسلحة الرسول الاكرم صلّى اللّه عليه و آله بحيث خضع أمام فصاحته البالغة و حلاوة كلماته و قوة آياته، و عباراته، اساتذة الفصاحة و البلاغة و امراء البيان و الكلام، و عمالقة الكتابة و الخطابة. و اعترفوا برمّتهم، و قضّهم و قضيضهم بأنّ القرآن الذى جاء به محمّد يحتل أعلى مكان فى الفصاحة و البلاغة، و أنّ مثل هذا الحديث لم يعرفه البشر و لم يعهد له التاريخ الانسانى نظيرا.
فلقد كانت جاذبيّة «القرآن الكريم» و تأثير حديثه بحيث ترتعد عند استماع آياته فرائص أعدى اعدائه، و ربما انهارت قواه، فبقى مدة طويلة، لا يقوى على حراك، و لا يملك فعل شيء.
و فيما يلى نذكر بعض النماذج فى هذا المجال:

(۲)

حکم الولید فی القرآن:

کان «الولید بن المغیرة» ممن یرجع إلیه العرب لحل الکثیر من مشاکلها،

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۲۸

و کان ذا سنّ، و ثروة کبیرة فیهم.

و عند ما واجهت قریش مشکلة ظهور الإسلام و انتشاره فی القبائل مشی فریق منهم إلی الولید یلتمسون منه حلا لهذا الأمر الذی بات یهدّد کیان الزعامة المکیّة الجاهلیة، و طلبوا منه أن یبیّن رأیه فی القرآن الکریم و قالوا: هل هو سحر أم کهانة أم حدیث قد حاکه بنفسه.

فاستنظرهم «الولید» لیعطی رأیه فیه بعد أن یسمع شیئا من القرآن، فأتی الی الحجر حیث کان یجلس النبیّ، و یتلو القرآن، فقال: یا محمّد أنشدنی شعرک.

(۱) فقال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله: ما هو بشعر، و لکنّه کلام اللّه الذی به بعث انبیاءه و رسله.

فقال: اتل علیّ منه، فقرأ علیه رسول اللّه:

«بسم اللّه الرحمن الرحیم».

فلما سمع: الرحمن، استهزأ فقال: تدعو إلی رجل بالیمامة یسمی بالرحمن؟

قال. لا، و لکنی أدعو إلی اللّه و هو الرحمن الرحیم ثم افتتح سورة «حم السجدة» فلما بلغ إلی قوله تعالی:

«فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُکُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ».

و سمعه الولید، فاقشعر جلده، و قامت کل شعرة فی رأسه و لحیته، ثم قام و مضی إلی بیته و لم یرجع الی قریش.

فقالت قریش: یا ابا الحکم صبا ابو عبد شمس إلی دین محمّد، أ ما تراه لم یرجع إلینا و قد قبل قوله، و مضی إلی منزله.

فاغتمت قریش من ذلک غما شدیدا و غدا علیه ابو جهل فقال: یا عم نکّست رءوسنا و فضحتنا.

قال: و ما ذاک یا ابن أخی؟

قال: صبوت الی دین محمّد.

قال: ما صبوت و انی علی دین قومی و آبائی، و لکنی سمعت کلاما صعبا

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۲۹

تقشعر منه الجلود فقال أبو جهل: أشعر هو؟

قال: ما هو بشعر.

قال: فخطب هی؟

قال: لا و ان الخطب کلام متصل، و هذا کلام منثور، لا یشبه بعضه بعضا، له طلاوة.

قال: فکأنه هی؟

قال: لا.

قال: فما هو؟

قال: دعنی افکر فیه.

فلما کان من الغد، قالوا: یا ابا عبد شمس ما تقول؟ قال: قولوا: هو سحر فانه أخذ بقلوب الناس فأنزل اللّه سبحانه فیه:

«ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً. وَ جَعَلْتُ لَهُ مالًا مَمْدُوداً. وَ بَنِینَ شُهُوداً» الی قوله: «علیها تسعة عشر» «۱» «۲».

(۱)

نموذج آخر [من حکم البلغاء فی شأن القرآن]:

کان «عتبـة بن ربیعـة» من کبراء قریش و اشـرافها، و یوم أسـلم «حمزة» و أصـبح أصـحاب رسول اللّه یزیدون و یکثرون اغتمّت قریش کلّها، و خشـی زعماء المشـرکین ان ینتشـر الإسـلام اکثر من هـذا فقال عتبة و هو جالس فی نادی قریش یوما، و رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله جالس فی المسـجد وحـده: یا معشـر قریش أ لا أقوم الی «محمّـد» فاکلّمه و أعرض علیه امورا لعلّه یقبل بعضـها فنعطیه أیها شاء و یکف عنا؟

(۱) المدثر: ۱۱- ۳۰.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۷ ص ۲۱۱ و ۲۱۲، إعلام الوری بأعلام الوری: ص ۴۱ و ۴۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۰

فقالوا: بلی یا أبا الولید قم إلیه فکلّمه.

(۱) فقام إلیه «عتبة» حتی جلس الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فقال:

یـا ابن أخی إنـک منّـا حیث مـا قـد علمت من الشـرف فی العشـیرة و المکان فی النسب، و انک قـد أتیت قومک بأمر عظیم فرّقت به جماعتهم و سـفهت به أحلامهم، و عبت به آلهتهم، و دینهم، و کفّرت به من مضـی من آبائهم، فاسـمع منی أعرض علیک امورا تنظر فیها لعلّک تقبل منها بعضها، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قل یا أبا الولید اسمع.

قـال: یا ابن أخی إن کنت إنّما تریـد بما جئت به من هـذا الأمر ما لا جمعنا لک من أموالنا حتی تکون اکثرنا مالا، و ان کنت تریـد به شرفا سوّدناک علینا حتی لانقطع أمرا دونک، و إن کنت ترید به ملکا ملّکناک علینا، و إن کان هذا الذی یأتیک رئیا (و هو ما یتراءی للناس من الجنّ) تراه لا تسـتطیع ردّه عن نفسک طلبنا لک الطبّ، و بـذلنا فیه أموالنا حتی نبرئک منه فإنه ربّما غلب التابع علی الرجل حتی یداوی منه، حتی إذا فرغ «عتبة»، و رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله یستمع منه قال: أ قد فرغت یا أبا الولید؟ قال: نعم قال: فاسمع منّی؛ قال: افعل، قال:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ. حم. تَنْزِیلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ. کِتابٌ فُصِّلَتْ آیاتُهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ. بَشِیراً وَ نَذِیراً فَأَعْرَضَ أَکْثَرُهُمْ فَهُمْ لا یَسْمَعُونَ. وَ قالُوا قُلُوبُنا فِی أَکِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَیْهِ» «۱».

ثم مضـی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فیها یقرؤها علیه، فلمّا سـمعها منه «عتبـة» أنصت لها و ألقی یـدیه خلف ظهره معتمدا علیهما یسـمع منه و بقی علی هـذه مـدة من الزمن صامتا و کأنه قـد سلب قدرة النطق، ثم انتهی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله الی السـجدة فسجد ثم قال.

«قد سمعت یا أبا الولید ما سمعت فأنت و ذاک».

(۱) فصلت: ۱- ۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۱

(۱) فقام «عتبـة» الی أصـحابه و قـد تغیّرت ملامحه فقال بعضـهم لبعض: نحلف باللّه لقـد جاءکم أبو الولید بغیر الوجه الذی ذهب به!!

فلما جلس إلیهم قالوا:

ما وراءک یا أبا الولید؟

قال: ورائی انی قد سمعت قولا و اللّه ما سمعت مثله قط، و اللّه ما هو بالشعر، و لا بالسحر، و لا بالکهانة، یا معشر قریش، أطیعونی و اجعلوها بی، و خلّوا بین هذا الرجل و بین ما هو فیه فاعتزلوه، فو اللّه لیکوننّ لقوله هذا الذی سمعت منه نبأ عظیم، فان تصبه العرب فقد کفیتموه بغیرکم، و ان یظهر علی العرب فملکه ملککم، و عزه عزّکم، و کنتم أسعد الناس به.

فانزعجت قریش من مقالة «عتبة» هذا و سخرت به و قالت: سحرک و اللّه یا أبا الولید بلسانه!!

قال: هذا رأیی، فاصنعوا ما بدا لکم «۱».

هذان نموذجان من رأی کبار فصحاء العرب فی العهد الجاهلیّ، فی القرآن الکریم.

علی أن هناک أمثلة و نماذج اخری کثیرة فی هذا المجال.

(۲)

تحججات قریش العجیبة:

اجتمع «عتبة بن ربیعة»، و «شیبة بن ربیعة» و «أبو سفیان بن حرب»، و «النضر بن الحارث»، و «أبو البختری»، و «الولید بن المغیرة»، و «ابو جهل» و «العاص بن وائل» و غیرهم بعد غروب الشمس عند ظهر الکعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا الی «محمّد» فکلّموه، و خاصموه حتی تعذروا فیه، فبعثوا إلیه؛ فجاءهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله سریعا و هو یظن أن قد بدا لهم فیما کلّمهم فیه بداء و انهم قد غیّروا مواقفهم، و کان یحبّ رشدهم و هدایتهم حتی جلس إلیهم.

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۹۳ و ۲۹۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۲

فقالوا له: یا محمّد إنّا قد بعثنا إلیک لنکلّمک، و انّا و اللّه ما نعلم رجلا من العرب أدخل علی قومه مثل ما أدخلت علی قومک لقد شتمت الآباء، و عبت الدّین، و شتمت الآلهة ... و مضوا یعددون أمورا من هذا القبیل ثم اقترحوا علیه امورا ذکرها اللّه تعالی بتمامها فی الآیة ۹۰ إلی ۹۳ من سورة الإسراء حیث یقول حاکیا عن لسانهم:

«و قالوا لن نؤمن لک حتی ۱- تفجر لنا من الأرض ینبوعا.

۲- أو تکون لک جنّة من نخیل و عنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجیرا.

۳- أو تسقط السماء کما زعمت علینا کسفا.

۴- أو تأتی باللّه و الملائکة قبیلا.

۵- أو یکون لک بیت من زخرف.

۶- أو ترقی فی السماء و لن نؤمن لرقیّک حتّی تنزّل علینا کتابا نقرؤه»!!

(۱) و حیث أنّ مضمون هذه الآیات هو عدم تلبیة النبیّ لمطالب قریش حیث قال: «قل سبحان اللّه ربّی هل کنت إلا بشرا رسولا» قد تذرع به المستشرقون للایقاع بالرسالة المحمّدیة لذلک نعمد هنا إلی توضیح مفاد هذه الآیات و العلل المنطقیّة لعدم تلبیة النبیّ مطالب قریش و مقترحاتهم.

الجواب: إنّ الأنبیاء لا یأتون بالمعاجز فی کل ظرف و زمان، فإن للاعجاز شروطا خاصة لم تتوفر فی هذه الاقتراحات، و هذه الشروط هی:

(۲) أولا: أن لا تکون المعجزة من الامور المستحیلة التی لا یمکن تحقّقها، فإنّ مثل هذه الامور خارجة عن إطار القدرة، و لا تتعلق بها مشیئة اللّه تعالی و لا مشیئة أیّ صاحب إرادة مطلقا.

و علی هذا الأساس إذا طلب الناس من النبیّ أمرا محالا، فقوبل طلبهم بعدم الاهتمام من قبل النبیّ لم یکن ذلک دلیلا علی إنکار صدور المعجزة علی أیدی الأنبیاء قط.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۳۳

(۱) و هذا الشرط لم یکن متوفرا فی بعض مقترحات المشرکین المذکورة (المقترح الرابع) فانهم طلبوا من النبی صلّی اللّه علیه و آله ان یأتی لهم باللّه سبحانه و تعالی لیقابلوه وجها لوجه، و یروه جهرة و من قریب، و رؤیة اللّه تعالی امر محال، لأن رؤیته تستلزم أن یکون سبحانه محدودا بالزمان و المکان، و أن یکون جسما و ذلون و صورة و هو تعالی منزه عن المادّة و لوازم المادیة.

بل حتی مقترحهم الثالث لو کان المقصود منه أن تسقط السماء علیهم (لا أن تسقط قطعة من الصخر علی رءوسهم و تقتلهم) فان ذلک هو أیضا من المحالات إذ أن المشیئة الالهیة تعلّقت بان یفعل اللّه هذا فی نهایة العالم، و النبی صلّی اللّه علیه و آله کان قد أخبر المشرکین بهذا الأمر أیضا کما یدل علیه قولهم:

«کما زعمت».

إنّ انهدام المنظومة الشمسیّة و تبعثر النجوم و تساقطها و إن لم یکن فی حد ذاته بالأمر المحال، و لکنّه- حسب المشیئة الإلهیة الحکمیة و إرادته النافذة القاضیة بأن یستمر النوع البشری، و یصل إلی مرحلة الکمال- یعدّ محالا، و لا یمکن أن یفعل حکیم خلاف ما یقتضیه هدفه و غایته.

(۲) ثانیا: حیث أنّ الغایة المنشودة من اقتراح و طلب الإعجاز هو أن یستدلّ به علی صدق دعوی النبیّ، و صحة انتسابه الی اللّه، و بالتالی یکون بدافع تحصیل سند علی ارتباطه بالعالم ما فوق الطبیعة، لذلک فان أیّ اقتراح و مطالبة بالمعجزة لا تتوفر فیها هذه الصفة یعنی علی فرض أن یلبیّ النبی طلبهم و یاتی لهم بالمعجزة لا یکون ذلک دلیلا علی ارتباطه بعالم الغیب، فحینئذ لا معنی و لا موجب لأن یقوم النبیّ بما لا یرتبط بشئونه و لا یخدم هدفه.

و قد کانت بعض مقترحات المشرکین المذکورة من هذا النوع، و ذلک مثل تفجیر ینبوع من الأرض، أو أن تکون له جنّة من نخیل و عنب، أو أن یکون له بیت من زخرف و ذهب، فان مثل هذه الامور لا تدل علی نبوّة من یمتلکها إذ ما اکثر الذین یمتلکون واحدة من هذه الأشیاء و لیسوا مع ذلک بأنبیاء، بل ربما یملکون اکثر من ذلک، و مع ذلک لا یشم فیهم رائحة الایمان فضلا عن النبوة.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۳۴

فاذا لم ترتبط هذه الأشیاء بمقام النبوّة، و لا تکون دلیلا علی صدق من یدّعیها کان الإتیان بها أمرا لغوا و عبثا تعالی عنه مقام النبوّة، و جلّت عنه منزلة الأنبیاء.

(۱) و قد یقال: إن هذه الاشیاء «۱» لا تدل علی صدق دعوی النبی إذا حصلت عن طریق الأسباب العادیة، و لکنّها لو حصلت بصورة غیر عادیّة و لا متعارفة کانت و لا شک من المعاجز الالهیة، و دلت علی صدق النبی و صحة دعواه.

و لکنّ الظاهر أن هذه فکرة باطلة لان المشرکین کانوا یهدفون من اقتراحاتهم هذه أن یکون النبی صاحب مال و ثروة، فقد کانوا یستبعدون أن یکون نبیّ اللّه و رسوله فقیرا لا یملک شیئا من الثروة المال، و کانوا یعتقدون انّ الوحی الالهی یجب أن ینزل علی رجل غنیّ ذی طول و حول، و لذلک قالوا مستغربین و مستنکرین:

«وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلی رَجُلٍ مِنَ الْقَرْیَتَیْنِ عَظِیمٍ» «۲»؟!!

أی لما ذا لم ینزل هذا القرآن علی رجل ثریّ من مکة أو الطائف.

و ممّا یدلّ علی أن الهدف کان هو أن یملک النبی مثل هذه الامور بأی طریق کان، و لو بالطریق العادیّ أنهم کانوا یریدون هذه الاشیاء للنبیّ نفسه إذ قالوا:

«أَوْ یَکُونَ لَکَ بَیْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ» «۳».

(۲) و بعبارة اخرى: كانوا يقولون إذا أنت لا تمتلك بستانا أو بيتا من ذهب فاننا لن نؤمن لك!!

و لو كان الهدف هو أن يحصل هذان الأمران بواسطة القدرة الغيبية لم يكن وجه حينئذ لقولهم: ما لم يكن «لك» بيت من زخرف، فاننا نؤمن بك بل كان يكفى أن يقولوا: إذا لم تحدث و توجد بيتا و جنّة فاننا لن نؤمن لك.

---

(۱) أى الامور الثلاثة المقترحة الينبوع و الجنة و البيت من ذهب.

(۲) الزخرف: ۳۱.

(۳) الاسراء: ۹۳.

أمّا قولهم فى مطلع اقتراحاتهم: «تفجّر لنا من الأرض ينبوعا» فان مقصودهم لم يكن هو أن يستخرج لهم بالاعجاز ينبوعا لينتفعوا به، بل يفعل ذلک لکی يؤمنوا به.

(۱) ثالثا: ان المقصود من المعجزة هو الاهتداء فى ضوئها إلى صحّة دعوى النبىّ و صدق مقاله، و الإيمان بمنصبه، و الاعتقاد بمقامه، و على هذا إذا كان بين المقترحين للمعجزة من يكون الاتيان له بالإعجاز سببا لإيمانه بالنبىّ، فحينئذ كان الاتيان بالمعجزة و تلبية اقتراحه أمرا مستحسنا، و غير مقبوح عقلا.

أما إذا كان المقترحون. يقترحون عنادا و لجاجا، أو يطلبون ما يطلبونه لهوا و تسلية كما يفعل الناس مع السحرة و المرتاضين فان منزلة الأنبياء أجلّ- حينئذ- من أن يلبىّ مثل هذه المقترحات، و يستجيب لمثل هذه المطالب، و قد كانت بعض اقتراحات المشركين من هذا النمط.

فان مطالبتهم بأن يصعد النبىّ الى السماء، أو أن ينزل من السماء كتابا يقرءونه لم يكن بهدف اكتشاف الحقيقة لأنهم لو كانوا ممن يهدف الوصول الى الحقيقة فلما ذا لم يكتفوا بمجرّد صعوده الى السماء بل كانوا يصرّون على أن يضمّ أمرا آخر إلى عروجه و صعوده (و هو أن ينزّل معه كتابا)!!

(۲) ثم انه يستفاد من آيات اخرى، غير هاتين الآيتين أيضا، أنهم كانوا سيعاندون، و يصرون على كفرهم حتى بعد نزول الكتاب عليهم من السماء كما يصرح بذلک قوله تعالى:

«وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْکَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» «۱».

فمن غير المستبعد أن يكون الكتاب المنزّل فى قرطاس إشارة إلى اقتراح المشركين الذى جاء ضمن آيات سورة الاسراء اى قولهم: «أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّکَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ» «۲» فقال اللّه سبحانه: حتّى لو

---

(۱) الانعام: ۷.

(۲) الأسراء: ۹۳.

فعلنا لهم ذلک لكفروا، و احجموا عن الإيمان.

(۱) رابعا: إنّ طلب المعجزة إنّما هو لأجل أن يستتبع الاتيان بها الإيمان بالرسالة و الانضمام الى صفوف المؤمنين، فاذا كانت نتيجة المعجزة هى إباء المقترحين استلزم ذلک نقض الغرض المنشود من المعجزة، و انتفاء فائدتها.

فاذا كان المقصود من سقوط السماء عليهم، هو نزول الصخور السماوية لابادتهم فان هذا الطلب لا يتفق أبدا مع هدف الإعجاز و هو من أوضح مصاديق نقض الغرض.

(۲) و بالتالی ینبغی أن نـذکّر بنقطـة و هی: أنّ النبی صـلّی اللّه علیه و آله- علی خلاف ما تصوّر المسـتدلّون بهـذه الآیـة علی نفی أیة معجزه لرسول الإسـلام- لم یصف نفسه بـالعجز و عـدم القـدرة علی الاتیـان بـالمعجزة بل أفاد بقوله: «سُبْحانَ رَبِّی هَلْ کُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا» «۱» أمرین:

(۳) ۱- تنزیه اللّه، فهو بقوله: «سبحان ربّی» نزّه اللّه تعالی عن کل عجز و نقص کما نزّهه عن الرؤیـة و وصـفه بالقدرة علی کل شـیء ممکن.

(۴) ۲- محدودیّـة قـدرة النبیّ، إذ بقوله صـلّی اللّه علیه و آله: «هل کنت إلا بشـرا رسولا» أفاد بأنه امرئ مأمور لا أکثر و أنه مطیع لأمر اللّه و إرادته فهو یأتی بما یرید ربّه، و الأمر إلی اللّه کله، و لیس للنبیّ أن یلبّی أی طلب و اقتراح بارادته.

و بعبارة اخری: ان الآیة رکّزت فی مقام الجواب علی طلبهم بعد تنزیه اللّه عن العجز و الرؤیة علی کلمتی: «البشـر و الرسول» و الهدف هو انه: إذا أنتم قد طلبتم هذه الامور منّی من جهة إننی بشر، کان طلبکم هذا طلبا غیر صحیح، لأن هذه الامور تحتاج إلی قدرة إلهیة. و إن طلبتموهـا منّی من جهـة انی نبیّ رسول فان النبی و الرسول ما هو إلّا إمرئ مأمور یفعل ما یاذن به اللّه، و لیس له ان یفعل ما یشاء هو دون إرادة اللّه تعالی.

---

(۱) الأسراء: ۹۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۷

و بهذا اتضح أن هذه الآیات لا تدلّ علی ما استدل به النافون لمعاجز النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و کان ممّا تحججت به قریش علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انّهم قالوا:

لو کان محمّـدا نبیّا لشـغلته النبوة عن النساء و لأمکنه جمع الآیات (ای لأتته الآیات دفعـة واحدة) و لأمکنه منع الموت عن أقاربه و لما مات أبو طالب و خدیجة فنزل قوله تعالی:

«وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِکَ وَ جَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَ ذُرِّیَّةً وَ ما کانَ لِرَسُولٍ أَنْ یَأْتِیَ بِآیَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِکُلِّ أَجَلٍ کِتابٌ. یَمْحُوا اللَّهُ ما یَشاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتابِ. وَ إِنْ ما نُرِیَنَّکَ بَعْضَ الَّذِی نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّیَنَّکَ فَإِنَّما عَلَیْکَ الْبَلاغُ وَ عَلَیْنَا الْحِسابُ».

و بذلک ردّ علیهم «۱» «۲».

(۱)

الدوافع وراء معاداة قریش و عنادهم:

اشارة

هـذا القسم هو احـدی النقاط الجـدیرة بالدراسة فی تاریخ الإسـلام، لأن المرء قد یسائل نفسه: لما ذا تری کانت قریش تعارض رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله أشدّ المعارضة رغم أنها کانت تعتبره الصادق الأمین و لم تعهد منه انحرافا أو خطأ قط و کانت تسـمع کلامه الفصیح البلیغ الذی یأسر القلوب، و ربما شاهدوا حدوث بعض الخوارق للعادة، الخارجة عن حدود القوانین الطبیعیة علی یدیه.

إن لهذا التمرد و المعارضة الی علة او علل عدیدة هی:

(۲)

١- حسدهم للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

لقد عارض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و خالفه فريق ممن عارضه بسبب

---

(١) الرعد: ٣٨- ۴٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٧ عن المناقب.

سيد المرسلين ،ج١،ص:۴٣٨

حسدهم له، فقد كانوا يتمنّون أن يكونوا هم صاحب هذا المنصب، و صاحب هذه المنزلة.

فقد قال المفسّرون عند قوله تعالى: «وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» «١» أن «الوليد بن المغيرة» قال: أ ينزّل على محمّد و اترك و أنا كبير قريش و سيّدها و يترك «ابو مسعود عمرو بن عمير الثقفى» سيد ثقيف و نحن عظيما القريتين فأنزل اللّه تعالى فيه الآية «٢».

و روى انه قال: و اللّه لو كانت النبوّة حقا لكنت أولى بها منك لأنّنى اكبر منك سنا و أكثر منك مالا «٣».

(١) و كان «اميّة بن أبى الصلت» من الذين كانوا يقولون هذا الكلام حول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كان يتمنى كثيرا أن ينال هو هذا المقام و يحظى بهذا المنصب العظيم، و لم يتبع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى آخر حياته، و كان يؤلّب الناس عليه.

و قد سأل «الاخنس بن شريق»- و هو من أعداء رسول اللّه- أبا جهل يوما:

يا ابا الحكم ما رأيك فيما سمعت من «محمّد»؟

فقال: ما ذا سمعت، تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، و حملوا فحملنا، و أعطوا فأعطينا حتى إذا تجاذبنا على الركب، و كنا كفرسى رهان، قالوا: منّا نبيّ يأتيه الوحى من السماء، فمتى تدرك مثل هذه، و اللّه لا نؤمن به أبدا و لا نصدّقه «۴».

هذه النماذج تظهر الحسد الذى كان يحول بين زعماء قريش و ساداتها و بين اتّباع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تصديقه، فعتوا على اللّه و تركوا أمره عيانا، و لجّوا فيما هم عليه من الكفر، و هناك نماذج و أمثلة اخرى سجّلتها صفحات التاريخ أعرضنا عن إدراجها هنا.

---

(١) الزخرف: ٣١.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣۶١.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٣۵.

(۴) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣١۵ و ٣١۶.

سيد المرسلين ،ج١،ص:۴٣٩

(١)

٢- معارضة الدعوة الإسلامية لشهواتهم:

و كان لهذا العامل الأثر الاكبر فى عتو قريش و معارضتها لدعوة النبى صلّى اللّه عليه و آله لأنهم كانوا أصحاب لهو و لعب، و فسق و مجون، و مثل هؤلاء الذين أمضوا سنوات عديدة على هذا النحو، دون ان يقيّدهم شيء من الحدود و القيود، وجدوا دعوة النبى صلّى

اللّه علیه و آله تخالف عادتهم القدیمة، و کان ترک مثل تلک العادة التی تتفق مع أهوائهم و رغباتهم النفسیّة أمرا یلازم النصب و العناء و الجهد.

(۲)

۳- الخوف من عقوبات الیوم الآخر:

إن سماع آیات العذاب التی تنذر الفسقة و الظالمین و توعدهم بالعقوبات الثقیلة ارعب قلوبهم، و أقلق نفوسهم بشدة.
فعند ما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یتلو الآیات المتعلّقة بیوم القیامة و أوضاعه، و قضایاه فی الاجتماعات و الاماکن العامة، کان یحدث بذلک ضجة کبری فی أوساطهم، فیهدم مجالس لهوهم، و انسهم.
إنّ العربی الذی کان یسلّح نفسه بکل ما استطاع من سلاح لیدفع عن نفسه أی خطر محتمل، و یعمد الی ممارسة القرعة و یتعاطی الانصاب و الازلام لیحصل علی لقمة عیشه، و یتفأل بالأحجار، و یتطیّر و یتشاءم بالطیور و یستدلّ بحالاتها علی حوادث وقعت أو تقع، لم یکن علی استعداد لأن یهدأ من دون ان یحصل علی ضمان بعدم التعرض لما یخبر عنه «محمّد» من عذاب و عقاب!!
من هنا کانوا یحاربون النبی صلّی اللّه علیه و آله و یخالفونه حتی لا یسمعوا وعده و وعیده.
و إلیک بعض الآیات التی کانت تقلق بشدة نفوس المترفین من قریش:
«فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ. یَوْمَ یَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِیهِ. وَ أُمِّهِ وَ أَبِیهِ. وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِیهِ. لِکُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ یَوْمَئِذٍ شَأْنٌ یُغْنِیهِ» «۱».

---

(۱) عبس: ۳۳- ۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۴۰

و بینما کانوا یمدّون موائد اللهو و الشراب فی ظلال الکعبة و یحتسون کئوس الخمر کانوا فجأة یسمعون هذه الآیة:
«کُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَیْرَها لِیَذُوقُوا الْعَذابَ». «۱»
فتلقی فی نفوسهم رعبا عجیبا، و ینتابهم الاضطراب الشدید حتی أنهم کانوا یلقون بکؤوس الخمر جانبا و یتملکهم خوف شدید لم یعرفوا له مثیلا.

(۱)

۴- الخوف من القبائل العربیة المشرکة:

قال «الحارث بن نوفل بن عبد مناف» لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: انا لنعلم أنّ قولک حق و لکن یمنعنا أن نتبع الهدی و نؤمن بک مخافة أن یتخطفنا العرب من أرضنا (إن ترکنا الوثنیة التی تدین بها و یعتبروننا سدنة لأوثانها) و لا طاقة لنا بها. فنزل قوله تعالی یرد علیهم:
«وَ قالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدی مَعَکَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا أَ وَ لَمْ نُمَکِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً یُجْبی إِلَیْهِ ثَمَراتُ کُلِّ شَیْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا» «۲» «۳».
و هکذا کان تخوّف قریش من العرب إن هی ترکت ما کان علیه العرب من الوثنیة و الشرک أحد الاسباب لعتوهم و إعراضهم عن قبول الدعوة الإسلامیة.

(۲)

طائفة من اعتراضات المشركين:

و ربما اعترض المشركون على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قائلين: إن هذه الارض ليست بأرض الأنبياء، و إنما ارض الأنبياء الشام فات الشام «۴».

و كان اكثر المشركين يقولون- و ذلك بوحى من اليهود- لما ذا لا ينزل القرآن على «محمّد» دفعة واحدة كالتوراة و الانجيل فحكى القرآن الكريم اعتراضهم

---

(۱) النساء: ۵۶.

(۲) القصص: ۵۷.

(۳) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۳۶.

(۴) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۹۸.

هذا بنصه اذ قال:

«وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً».

ثم قال تعالى ردّا على اعتراضهم هذا:

«كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ» «۱».

إن القرآن يهتم بهذا الاعتراض، و يوضح مسألة «النزول التدريجى» للقرآن الكريم و يقطع الطريق على المستشرقين المغرضين و من حذى حذوهم، بمنطقه المحكم، و بيانه القوىّ.

و ها نحن نعمد هنا الى إعطاء شىء من التوضيح لهذه المسألة أيضا:

(۱)

القرآن و النزول التدريجىّ:

إن التاريخ القطعىّ لنزول القرآن و كذا مضامين آيات سوره تشهد بأن آيات القرآن الكريم و سوره نزلت تدريجا.

فبمراجعة فاحصة لأوضاع مكة، و المدينة يمكن تمييز المكىّ من هذه الآيات عن مدنيّها.

فالآيات التى تتحدث عن مكافحة الشرك و الوثنية و دعوة الناس الى اللّه الواحد، و الإيمان باليوم الآخر مكية، بينما تكون الآيات التى تدور حول الأحكام و تحثّ على الجهاد و القتال مدنيّة، ذلك لأنّ الخطاب فى البيئة المكية كان موجّها الى المشركين عبدة الاوثان الذين كانوا ينكرون توحيد اللّه، و اليوم الآخر، فهنا تكون الآيات التى تتحدث حول هذا الموضوع قد نزلت فى هذه البيئة.

(۲) فى حين كان الخطاب فى المدينة المنورة موجّها إلى المؤمنين باللّه، و الى جماعة اليهود و النصارى، و كان الجهاد و القتال فى سبيل إعلاء كلمة اللّه هو الأعمال المهمّة التى بدأها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و واصلها فى هذه البيئة، من هنا تكون الآيات التى تتضمن الحديث حول الاحكام و الفروع و القوانين، و يدور

---

(۱) الفرقان: ۳۲.

الحديث فيها أيضا حول عقائد اليهود و النصارى و مواقفهم و تتضمن الحثّ- كذلك- على الجهاد و القتال و التضحية فى سبيل اعلاء كلمة اللّه و إعزاز دينه، آيات مدنيّة.

(۱) إنّ كثيرا من الآيات ترتبط ارتباطا وثيقا بالحوادث التى وقعت فى زمن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و هذه الحوادث هى التى تشكّل ما يسمّى بشأن أو أسباب النزول التى يكون الوقوف عليها موجبا لفهم مفاد الآية، و اتّضاح مفادها، فان وقوع هذه الحوادث كان سببا لنزول آيات فيها بالمناسبة.

على أن بعض الآيات الاخرى نزلت جوابا على أسئلة الناس، و لرفع حاجاتهم فى المجالات المختلفة.

و البعض الآخر منها نزلت لبيان المعارف و الأحكام الالهية.

و لهذه الاسباب يمكن القول بان القرآن الكريم نزل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تدريجا لتدرّج موجبات النزول.

و قد صرّح القرآن و الكريم بهذا الأمر أيضا فى بعض المواضع اذ قال:

«وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ» «۱».

(۲) و هنا ينطرح هذا السؤال و هو: لما ذا لم تنزل آيات القرآن كلها على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جملة واحدة، و دفعة واحدة كما حدث ذلك للتوراة و الإنجيل من قبل؟!

إنّ هذا السؤال لم يكن جديدا بل طرحه أعداء النبى صلّى اللّه عليه و آله و معارضوه فى عصر الرسالة فى صورة الاعتراض أيضا حيث كانوا يقولون:

«لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً» «۲».

(۳) و يمكن تقرير و شرح هذا الاعتراض على نحوين:

(۴) ۱- إذا كان الإسلام دينا إلهيا، و كان القرآن كتابا سماويا منزلا من جانب اللّه على رسوله، فلا بدّ أن يكون دينا كاملا، و مثل هذا الدين الكامل

---

(۱) الاسراء: ۱۰۶.

(۲) الفرقان: ۳۲.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۴۳

يجب أن ينزل بواسطة ملائكة الوحى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جملة واحدة من دون تدرّج و لا توقف فى نزول الآيات، اذ لا- مبرّر و لا داعى لأن ينزل دين كامل من جميع الجهات، مكمّل من حيث الأصول و الفروع و التشريعات و الواجبات و السنن، على نحو التدريج فى ۲۳ عاما، و لمناسبات مختلفة.

و حيث أن القرآن نزل منجّما، و بصورة متفرقة متناثرة، و عقيب طائفة من الأسئلة، أو وقوع حوادث و طروء حاجات فى أزمنة مختلفة يمكن الحدس بان هذا الدين لم يكن كاملا من حيث الأصول و الفروع، و هو يتدرّج فى التكامل و مثل هذا الدين الناقص الذى يسير نحو كماله خطوة خطوة و بالتدريج لا يصح أن يوصف بالدين الالهىّ.

(۱) ۲- إن آيات القرآن و التاريخ القطعى و المسلّم للتوراة و الإنجيل و الزّبور تحكى جميعها عن أن هذه الكتب السماوية اعطيت إلى المرسين بها فى ألواح مكتوبة مدوّنة، فلما لم ينزل القرآن الكريم على هذا الغرار، كأن ينزل القرآن على «محمّد» فى لوح مكتوب كما نزل التوراة فى الواح مكتوبة؟!

و حيث أن المشركين لم يكونوا يعتقدون بهذه الكتب السماوية قط، و لم يكن لهم على علم مسبق بكيفية نزولها، لذا يمكن القول بان مقصودهم من هذا الاعتراض كان هو الشكل الأول من هذا التوضيح، و الذى يتلخص فى أنه لما ذا لم ينزّل ملائكة الوحى آيات

القرآن على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جملة واحدة، بل نزلت هذه الآيات عليه صلّى اللّه عليه و آله فى فواصل زمنية متفاوتة، و بمناسبات و حسب وقائع مختلفة متدرّجة؟!

(۲)

الأسرار المنطقيّة للنزول التدريجى للقرآن:

اشارة

و لقد كشف القرآن القناع- فى معرض الردّ على اعتراض المشركين هذا- عن حكم و أسرار النزول التدريجيّ للقرآن الكريم.

و إليك توضيح هذا القسم الذى اشار إليه الكتاب العزيز بعبارة مقتضبة قصيرة:

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۴۴

(۱) ۱- إن الرسول الاكرم صلّى اللّه عليه و آله يتحمّل مسئوليات كبرى، و ان شخصية كهذه من الطبيعى ان يواجه مشاكل و متاعب باهضة و صعبة، و لا ريب أن تلك المشاكل و المتاعب توجب الكلل، و انخفاض مستوى النشاط مهما كانت الروح التى يتمتع بها الشخص عظيمة، و قويّة، فى مثل هذه الحالة يكون تجديد الارتباط بالعالم الأعلى، و تكرّر نزول الملك من جانب اللّه تعالى باعثا على تجدّد النشاط، و عاملا قويا فى بثّ القوة و الحماس و المعنوية الفاعلة فى نفس النبيّ و روحه، و بالتالى فان العناية و المحبّة الالهية الممتدّة لنبيّه و رسوله إنما تتجدد بتكرّر نزول الوحى عليه صلّى اللّه عليه و آله من جانبه تعالى.

و قد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة النفسية الكبرى اذ قال:

«كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ» «۱».

(۲) ۲- و يمكن ان تكون الجملة المذكورة ناظرة الى جهة اخرى و هى: ان المصالح التربوية و التعليمية تقتضى أن يتنزل القرآن الكريم على نحو التدريج و يلقى الى الناس على هذا الشكل أيضا و ذلك لان النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله معلّم الامة، و طبيبها الروحى الذى بعث الى الناس بالوصفات الالهية لتعليمهم، و هدايتهم و معالجة أمراضهم و أدوائهم الاجتماعية و الخلقيّة، و الفكرية، و كلّف بأن يطبّق هذه الوصفات فى حياتهم العملية، و مثل هذا يتطلب التدرّج لينفع الدواء- حينئذ- و تنجع المعالجة.

إن أفضل و أنجح أساليب التربية هو أن يمتزج الجانب العمليّ بالجانب النظرى فى أيّة محاولة تربوية، و أن يطبق كل ما يدرسه الاستاذ بصورة عملية تطبيقية، و يعطى لما يلقيه من معلومات، صبغة تحقيقية، و يتجنّب بشدة اتّصاف أفكاره و آراءه بالطابع النظريّ البحت.

(۳) فلو أن الاستاذ المتخصّص فى الطبّ اكتفى بالقاء جملة من المعلومات الكليّة و الاسس العامة من الطبّ على طلابه فى الصف حرم النتائج المتوخّاة و الغايات

---

(۱) الفرقان: ۳۲.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۴۵

المطلوبة من تعليم الطبّ، بشكل كامل.

أما إذا قرن الاستاذ درسه النظرى بالإرشاد العمليّ و طبّق ما ألقاه و بيّنه من أفكار و معلومات فى هذا المجال على جسم مريض راقد أمام الطلبة فانه سيحصل على نتائج أحسن، و يساعد الطلبة على فهم افضل للمواد التى درسوها فى هذا المجال.

فلو أنّ الآيات القرآنية الكريمة قد نزلت جملة واحدة (و الحال أن المجتمع الإسلامى لم يكن يحتاج الى كثير منها) كان القرآن- حينئذ- فاقدا لهذه المزية التربوية الهامة التى أشرنا إليها قريبا فى مثال تدريس الطب.

(۱) ان بيان الآيات التى يشعر الناس فى انفسهم بعدم الحاجة الى اخذها و تعلّمها، لا يترك التأثير الباهر فى القلوب، بينما إذا نزل ملائكة الوحى بآيات القرآن حسب حاجات الناس التى يشعرون فيها بضرورة تعلّمها لتضمّنها الأحكام و الأصول و الفروع التى يحتاجون إليها فانه لا شكّ يكون لها فى هذه الحالة تأثير أحسن و أقوى فى قلوب الناس. كما سيكون لها ترسّخ اكبر فى نفوسهم، و سيظهر الناس من انفسهم استعدادا اكبر لاخذ ألفاظها و معانيها، و فوق كل ذلك سيشعرون بنتائج هذه التعاليم عند تعليم النبيّ إيّاها لهم، و عندئذ تتحقق المقولة التربوية التى أشرنا إليها فى ما سبق و هى اقتران كلام المربّى بالنتيجة لأن النظريات اتّخذت طابعا عمليا، و لم تكن مجرد نظريات لا ترتبط بالواقع.

(۲) و لكن يبقى هنا سؤال آخر و هو: إذا كان نزول القرآن قد تحقّق على نحو التدريج و تبعا للاحتياجات و الحوادث المختلفة، فان ذلك يستلزم انفصام العلاقات و الروابط بين الآيات و السور، و هذا ينتج أن لا يهتم الفكر البشرى بتعلّم و حفظ معارفها لتبعثرها، و تباعد أزمنتها و غياب علاقاتها، و لكن لو نزل القرآن جملة واحدة و تلاه ملائكة الوحى على رسول اللّه دفعة واحدة لروعيت الروابط و العلاقات بين قضايا الوحى و لتضاعفت رغبة الناس و استعدادهم لأخذها و حفظها؟

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۴۶

(۱) و لقد أجاب القرآن الكريم أيضا على هذا السؤال إذ قال: صحيح أن آيات القرآن الكريم نزلت على نحو التدريج تبعا لطائفة من المقتضيات و الموجبات إلّا أن هذا النزول التدريجى لا يمنع ابدا من ترابط مطالبه، و ارتباط مواضيعه بعضها ببعض، فان اللّه تعالى أفاض على هذه الآيات انسجاما و ترابطا خاصا يمكن الإنسان من تعلمها و ضبطها و حفظها إذا أعطى الموضوع قليلا من الاهتمام إذ قال تعالى:

«وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا» «۱».

أى إنّنا أعطينا آيات القرآن نظاما معينا و ترتيبا خاصا.

أسرار اخرى لنزول القرآن تدريجا:

(۲) ۳- لقد واجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى فترة رسالته و نبوّته فئات مختلفة من الناس: كالوثنيين، و اليهود و المسيحيين الذين كان لكل فئة منهم دينا خاصا، و عقائد و تصورات خاصة حول المبدأ و المعاد، و غيرهما من المعارف العقلية.

و قد كانت اللقاءات المختلفة هذه توجب أن يعمد الوحى الالهىّ إلى توضيح و بيان عقائد هذه الفئات (و إن لم يكن مطلوبا و مقترحا من قبلهم) و يقيم الأدلة و البراهين على بطلانها، و زيفها، هذا من جانب.

و من جانب آخر كانت هذه اللقاءات فى أزمنة متفاوتة، و أوقات مختلفة، لهذا لم يكن بدّ من أن ينزل الوحى الالهى تدريجا، و فى الأوقات المختلفة، و يتصدى لبيان بطلان تلك العقائد و التصورات و يجيب على شبهات المخالفين، اعتراضاتهم.

(۳) و ربما كانت توجب هذه المواجهات العقائدية إلى أن يطرحوا على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بعض الاسئلة امتحانا و اختيارا له و كان على النبيّ أن

(۱) الفرقان: ۳۲.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۴۷

یجیب علیهـا، و حیث أن هـذه الاسـئلة کانت تطرح فی أوقات مختلفـة، لهـذا لم یکن مناص من أن ینزل الوحی الالهی فی الأوقات و الأزمنة المختلفة، و علی نحو التدریج.

هذا مضافا الی أن حیاة النبی نفسها کان حیاة ثورة، و وقائع، و کان النبی یواجه باستمرار أحداثا و قضایا یجب توضیح حکمها، و بیان المنهج فیها من جانب الوحی الالهی.

و ربما کان الناس أنفسـهم یواجهون فی حیاتهم الیومیة حوادث و امورا یرجعون فیها الی النبی صلّی اللّه علیه و آله یطلبون منه الحکم الالهیّ فیها و یسألونه عما یجب اتّخاذه من الموقف الشرعیّ فی تلک الحوادث و ما یشابهها.

و حیث أن هذه الحوادث، و ما یترتب علیها من تساؤلات کانت تقع فی اوقات مختلفة، و بمرور الزمن، لذلک لم یکن بد أیضا من ان ینزل الوحی الالهیّ بالتدریج لیجیب علی هذه الأسئلة أوّلا بأوّل.

و قد أشار القرآن الکریم إلی هذه النقاط، و إلی نقاط اخری غیرها فی قوله تعالی:

«وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً» «۱».

(۱) ۴- إن للنزول التـدریجیّ للقرآن الکریم وراء کـل ذلـک سـرا آخر، و علـة اخری غفلـوا عنهـا، ألاـ و هی: هدایـة النـاس و توجیه أنظارهم إلی منشأ هـذا الکتاب، و أن القرآن لیس الّا کتابا سـماویا، و وحیا إلهیا لا غیر، و لا یمکن أن یکون من نسج العقل البشـریّ، لأن القرآن نزل خلال (۲۳ عاما) عبر طریق طویل من أنواع الحوادث و الوقائع المسـرة و المحزنة، المقرونة بالنصر و الهزیمة، و النجاح و الإخفـاق، و لا شکّ أن هـذه الحالات المختلفـة، و الاحاسـیس و المشاعر المتنوعـة المتباینـة، تترک أثرا عمیقا فی نفس الإنسان، و روحه و عقله، و لا یمکن لإنسان واحد أن یتکلم بکلام من نوع واحد، و بنبرة واحدة، فی حالتین

---

(۱) الفرقان: ۳۳.

نفسیّتین متضـادتین، فالکلاـم الصادر فی حال الفرح و الابتهاج و المسـرة من اللسان او القلم، یختلف من حیث الفصاحـة و البلاغـة و جمال اللفظ و عمق المعنی اختلافا بارزا عن الکلام الصادر فی حال الحزن و التعب، و الاخفاق، و الهزیمة.

(۱) بینمـا لاـ یوجـد أی شـیء من الاختلاف من حیث الألفاظ و المعانی بین آیات القرآن الکریم مع أنّها نزلت علی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و هو یمر بحالات مختلفـة من الحزن و السـرور و الاخفاق و الانتصار و السـرّاء و الضـرّاء، و العسـر و الرخاء، و الجهد و النشاط، بل نجد تلک الآیات علی نمط و نسق واحد من القوة و الفصاحة و البلاغة، و جمال اللفظ و عمق المعنی بحیث یستحیل علی أیّ بشـر بلغ ما بلغ أن یعارض آیة من آیاته أو سورة من سوره، و کأنّ القرآن الکریم کمیة من الفضّة المائعة خرجت من الاتون جملة واحدة لا یوجد بین آیاتها أی شیء من التفاوت و الاختلاف، أو کأنّه جوهرة واحدة أولها کآخرها و آخرها کأولها.

و لعلّ الآیة التالیة التی تنفی أیّ نوع من أنواع الاختلاف فی القرآن اذ تقول:

«وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً» «۱» اشارة الی هذا السرّ.

إنّ المفسـرین اعتبروا هـذه الآیـة ناظرة إلی نفی الاختلاف و التناقض بین مفاهیم الآیات و مفاداتها، و مقاصدها، فی حین لا تنفی هذه الآیة مجرّد هذا النوع من الاختلاف بل تقدّس القرآن المجید و تنزهه من جمیع انواع الاختلاف و التناقض الذی هو من لوازم العمل و الانتاج البشری.

---

(۱) النساء: ۸۲.

(۱)

۱۷ الی الحبشة

الهجرة الاولی

تعتبر هجرة فريق من المسـلمين الى أرض الحبشـة دليلا بارزا على إيمانهم و اخلاصـهم العميق لـدينهم، و لربهم و ذلك لأن فريقا من الرجـال و النساء يقررون- و بهـدف الحفاظ على عقيـدتهم و التخلص من أذى قريش و مضايقتها و الحصول على مكان آمن يقيمون فيه شعائرهم بحرية و يعبدون اللّه الواحد- مغادرة (مكة)، العربية التى ترزح تحت ظلام الوثنية، فلا يمكن أن يرفعوا نداء التوحيد عاليا فى أيـة نقطـة من نقاطهـا، و لا يمكنهم اقامـة احكام الـدين الحنيف فيها من دون خوف أو وجل، و بعيـدا عن الارهاب، و يفكرون، و يفكرون، و أخيرا يقودهم التفكير إلى أن يفـاتحوا رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بهـذه المسألـة، و يطلبوا فى ذلك رأى النبى الـذى يقوم دينه على مبدأ: «إِنَّ أَرْضِی واسِعَةٌ فَإِيَّایَ فَاعْبُدُونِ» «۱».

(۲) لقـد كان رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله يعرف أوضاع المسـلمين المؤلمـة جيـدا، فقـد كان هو يحظى بحماية بنى هاشم، و كان الفتيان الهاشميون يحمونه و يحفظونه

---

(۱) العنكبوت: ۵۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۵۰

من كل اذى، و لكن الـذين آمنوا به من الإماء و العبيـد، و من ليست لهم حمايـة من الأحرار المستضـعفين الـذى كانوا يشـكلون عددا كبيرا من المسلمين السابقين كان يتعرضون لشتى صنوف العذاب و الايذاء و المضايقة من قريش التى لم تأل جهدا، و لم تدخر وسعا، و لم تفوّت فرصـة و لا ـ وسـيلة لالحـاق العنت و الأـذى بـالمؤمنين برسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله، و لا يسـتطيع صـلّى اللّه عليه و آله منعهم من ذلك.

و قـد كان زعماء كل قبيلة يعمدون- للمنع من نشوب أىّ صدام بين القبائل- الى تعذيب من اسـلم من ابناء قبيلتهم، و ايذائه و التنكيل به، و قد مرت عليك نماذج و امثلة من أذى قريش و تعذيبها القاسى للمسلمين.

(۱) لهذه الأسباب عند ما طلب أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و آله رأيه فى الهجرة من مكة قال فى جوابهم:

«لو خرجتم إلى أرض الحبشة فانّ بها ملكا لا يظلم عنده أحد و هى أرض صدق حتى يجعل اللّه لكم فرجا ممّا أنتم فيه» «۱».

أجل ان مجتمعا صالحا يتسلّم زمام الأمر فيه رجل صالـح عادل نموذج مصـغّر من جنّة عـدن بالنسـبة الى المسـلمين المضـطهدين فى بلدهم بسـبب عقيدتهم، و هو ما كان يريده و يتمناه أصـحاب رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ليتمكنوا من القيام بشـعائر دينهم فيه فى جوّ من الطمأنينة و الامن.

و لقـد كان لكلام رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أثر قوى فى نفوسـهم تلك الثلـة المؤمنـة الباحثـة عن ارض تعبـد فيها اللّه فى أمان، بحيث لم يمض زمان إلّا و قـد شـدّت رحالها و غادرت مكـة ليلا فى غفلة من الاجانب (المشـركين) مشاة و ركبانا، متجهة نحو جدّة، للسفر عبر مينائها الى ارض الحبشة.

و كان هذا الفريق يتألف من عشر أو خمسة عشر شخصا بينهم أربعة من

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۲۱، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۷۰، و بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۴۱۲ نقلا عن مجمع البيان للطبرسى.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۵۱

النسوة المسلمات «۱».

(۱) و الآن يجب أن نرى لما ذا لم يذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للمسلمين مناطق اخرى للهجرة إليها، و انما ذكر الحبشة فقط. ان سر هذا الاختيار هذا يتضح إذا درسنا أوضاع الجزيرة العربية و غيرها من المناطق آنذاك.

ان الهجرة الى المناطق العربية التى كان سكانها من المشركين و الوثنيين قاطبة كان أمرا محفوفا بالخطر، فان المشركين كانوا سيمتنعون عن قبول المسلمين فى أرضهم إرضاء لقريش أو وفاء و تعصبا لدين الآباء (الوثنية).

و كذلك المناطق التى كان يقطنها المسيحيّون أو اليهود، من الجزيرة العربية لم تكن تصلح لهجرة المسلمين إليها هى الاخرى لان تينك الطائفتين كانتا تتقاتلان فيما بينهما فى صراع مذهبيّ و طائفى، فلم تكن الأوضاع لتسمح بأن يدخل طرف ثالث فى حلبة الصراع، هذا مضافا إلى أن ذينك الفريقين (اليهود و النصارى) كانا يحتقران العنصر العربيّ أساسا، فكيف يمكن الهجرة الى مناطقهم و التعايش معهم؟!

(۲) أما «اليمن» فقد كان تحت سيطرة الحكم الإيرانيّ الملكيّ، و لم تكن السلطات الإيرانية آنذاك لتسمح باقامة المسلمين فى ربوع «اليمن»، لما عرف من نقمتها فيما بعد على الدعوة الاسلامية الى درجة انه لما وصلت رسالة النبى صلّى اللّه عليه و آله الى «خسرو برويز» كتب الى عامله على اليمن فورا «احمل إلىّ هذا الذى يذكر أنه نبيّ، و بدأ اسمه قبل اسمى، و دعانى إلى غير دينى» «۲»!!.

و كذلك كانت «الحيرة» تحت الاستعمار و النفوذ الايرانيّ كاليمن.

(۳) و أمّا «الشام» فقد كانت بعيدة عن «مكة المكرمة»، هذا مضافا الى ان «اليمن» و «الشام» كانتا سوقين لقريش، و كانت تربط قريش بسكان هاتين المنطقتين روابط و علاقات وثيقة، فاذا كان المسلمون يلجئون إليها اخرجوا منهما

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۷۰.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۸۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۵۲

بطلب من قريش، تماما كما طلبت من ملك الحبشة مثل هذا الطلب، و لكنه رفض طلبهم.

(۱) و قد كانت الرحلة البحرية- فى تلك الآونة- و بخاصة برفقة النساء و الاطفال رحلة شاقة جدا، من هنا كانت هذه الهجرة، و ترك الحياة و المعيشة فى الوطن دليلا قويا على إخلاص اولئك المهاجرين لدينهم و عمق ايمانهم به، و صدقه.

و لقد كان ميناء «جدة» آنذاك ميناء تجاريا عامرا كما هو عليه الآن، و من حسن الاتفاق أن هذه الثلة المهاجرة قد وصلت الى هذا الميناء فى الوقت الذى كانت فيه سفينتان تجاريتان على اهبة الاقلاع، و التوجه نحو الحبشة، فبادر المسلمون إلى ركوبها و السفر عليها دون تلكّؤ خشية لحاق قريش بهم و القبض عليهم، لقاء نصف دينار عن كل راكب.

و كان ذلك فى شهر رجب فى السنة الخامسة من مبعث رسول اللّه «۱».

و لما عرف المشركون بهجرة بعض المسلمين أمروا جماعة من رجالهم بملاحقة اولئك المهاجرين و أعادتهم الى مكة فورا، و لكن المسلمين المهاجرين كانوا قد غادروا شواطئ «جدة» قبل أن يدركهم الطلب «۲».

(۲) و من الواضح أن ملاحقة مثل هذه الثلة التى لم تلجأ إلى أرض الغير إلّا لأجل الحفاظ على عقيدتها و الفرار من الفتنة لنموذج بارز من عتوّ قريش و عنادها.

فاولئك المهاجرون مؤمنون تركوا الأهل و الوطن، و اغمضوا الطرف عن المال، و التجارة، و خرجوا يطلبون أرضا نائية يمارسون فيها شعائرهم بحرية، و مع ذلك لا يكف عنهم زعماء مكة و جبابرتها و طغاتها!!

اجل ان رؤساء «دار الندوة» بمكة و اقطابها كانوا يعلمون جيدا أسرار هذه

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۴۱۲ نقلا عن مجمع البيان للطبرسى.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۲۱- ۳۲۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۳

الهجرة و آثارها من خلال بعض القرائن، و المؤشرات و لذلک كانوا يرددون فيما بينهم امورا سنذكرها فى ما بعد.

هـذا و الجـدير بالـذكر أن اعضاء هـذا الفريق المهاجر لم يكونوا من قبيلـة واحدة بل كان كل واحد من هؤلاء العشـرة ينتمى الى قبيلة خاصة.

الهجرة الثانية الى الحبشة:

(۱) ثم انه وقعت بعد هذه الهجرة هجرة اخرى، و كان فى مقدمة المهاجرين هذه المرة «جعفر بن أبى طالب». ابن عم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و لقد تمت الهجرة الثانية فى منتهى الحرّية، لأن المسلمين المهاجرين استطاعوا فى هذه الهجرة ان يصطحبوا معهم نساءهم و أولادهم، بحيث بلغ عدد المسلمين فى أرض الحبشة هذه المرة (۸۳).

هذا إذا لم نحص من ولد فى أرض الحبشة لهم، و الّا كان العدد اكثر من هذا الرقم.

و لقد وجد المسـلمون المهاجرون ارض الحبشة كما وصفها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لهم: منطقة عامرة، و بيئة آمنة حرّة، تصلح لأن يعبد فيها اللّه تعالى بحرية و أمان.

تقول «أمّ سـلمة» التى تشـرفت بالزواج من رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى ما بعد، عن تلك الارض: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى، أمنّا على ديننا، و عبدنا اللّه تعالى، لا نؤذى، و لا نسمع شيئا نكرهه.

كما أنه يستفاد ممّا قاله بعض اولئك المهاجرين من الشعر فى الحبشة، انهم أمنوا بأرض الحبشة، و حمدوا جوار النجاشى، و عبدوا اللّه لا يخافون على ذلک أحدا.

(۲) و نحن نكتفى هنا بادراج بعض الأبيات من قصيدة مطوّلة أنشأها «عبد اللّه بن الحارث» فى هذا الصدد:

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۴ يا راكبا بلّغن عنّى مغلغلة «۱»من كان يرجو بلاغ اللّه و الدّين

كلّ امرئ من عباد اللّه مضطهدببطن مكّة مقهور و مفتون

أنّا وجدنا بلاد اللّه واسعةتنجى من الذلّ و المخزاة و الهون

فلا- تقيموا على ذلّ الحيـاة و خزى فى الممـات و عيب غير مأمون «۲» و يقول ابن الاثير: و كان مسـيرهم (الى الحبشة) فى رجب سـنة خمس من النبوة و هى السنة الثانية من اظهار الدعوة فاقاموا شعبان و شهر رمضان و قدموا فى شوال سنة خمس من النبوة، و كان سبب قدومهم الى النبى صلّى اللّه عليه و آله انه بلغهم ان قريشا اسلمت فعاد منهم قوم و تخلّف قوم «۳».

هذا و يمكن للقارئ الكريم أن يقف على تفاصيل هذا القسم فى السيرة النبويّة لابن هشام «۴».

(۱)

قريش توفد رجالا لاسترداد المسلمين:

عند ما بلغ قریشا و زعماء «مکة» ما أصبح فیه المسلمون المهاجرون من أمن و حریة، و ما حصلوا علیه من حسن الجوار و الطمأنینة و الراحة فی أرض الحبشة ثارت ثائرة الحسد و الغیظ فی قلوبهم، و توجسوا خیفة من نفوذ المسلمین فی الحبشة لأن أرض الحبشة قد أصبحت قاعدة قویة للمسلمین، و کانت الزعامة المکیة تتخوف من أن یجد أنصار الإسلام و اتباعه منفذا إلی بلاط النجاشی زعیم الاحباش و ملکهم، و یمیّلوا قلبه نحو الإسلام، و یکسبوا تاییده للمسلمین، فیؤول الأمر إلی أن یعبّئ جیشا کبیرا للقضاء علی حکومة المشرکین الوثنیین فی شبه الجزیرة العربیة، و عندها تکون الکارثة.

(۲) فاجتمع أقطاب «دار الندوة» مرة اخری للتشاور فی الأمر، فاستقرّ رأیهم علی أن یبعثوا إلی البلاط الحبشیّ من یقدم إلی النجاشیّ و وزرائه و قواده هدایا

---

(۱) المغلغة: الرسالة ترسل من بلد الی بلد.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۵۱- ۳۵۳.

(۳) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۵۲ و ۵۳.

(۴) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۵۴- ۳۶۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۵

مناسبة یستمیلونهم بها لیستطیعوا من هذا الطریق التأثیر علی النجاشی تم یتسنّی لهم بعد ذلک ان یقنعوه بضرورة إخراج المسلمین المهاجرین من أرضه أن یتهمونهم عنده بالسفاهة و الجهل، و ابتداع دین جدید منکر، و الارتداد عن دین الآباء و الاجداد!!

(۱) و لکی تتحقق خطتهم هذه علی أحسن وجه و یصلوا عن طریقها إلی أفضل النتائج اختاروا من بینهم رجلین ماکرین اصبح احدهما فی ما بعد من دهاقنة السیاسة و هما: «عمرو بن العاص»، و «عبد اللّه بن ابی ربیعة» و قال لهما کبیر المؤتمرین فی ذلک الدار: ادفعا إلی کل بطریق هدیته قبل أن تکلّما النجاشی فیهم، ثم قدّما إلی النجاشیّ هدایاه، ثم سلاه أن یسلّمهم إلیکما قبل أن یکلمهم.

فخرج موفدا قریش حتی قدما علی النجاشی بعد أن تلقّیا هذه التعلیمات.

و هناک فی الحبشة دفعا الی کل بطریق من بطارقة النجاشیّ وقادة جیشه و وزرائه هدیته، و قالا لکل بطریق منهم:

إنه قد ضوی «۱» إلی بلد الملک منّا غلمان سفهاء، فارقوا دین قومهم، و لم یدخلوا فی دینکم، و جاءوا بدین مبتدع لا نعرفه نحن و لا انتم، و قد بعثنا إلی الملک لنکلّمه فی أمرهم أشراف قومهم لیردّهم إلیهم فاذا کلّمنا الملک فیهم، فأشیروا علیه بأن یسلّمهم إلینا، و لا یکلّمهم، فان قومهم أبصر بهم، و اعلم بما عابوا علیهم».

(۲) فابدی اولئک البطارقة و القادة و الوزراء الطامعون الجهلة استعدادهم لمساعدة الرجلین فی إنجاح مهمتهم.

و لما کان من غد دخلا علی النجاشی و قدما هدایاهما إلیه فقبلها منهما ثم کلّماه فقالا له:

أیها الملک إنه قد ضوی إلی بلدک منا غلمان سفهاء، فارقوا دین قومهم و لم

---

(۱) ضوی أیّ لجأ و أتی لیلا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۶

یدخلوا فی دینک، و جاءوا بدین ابتدعوه لا- نعرفه نحن و لا- أنت، و قد بعثنا إلیک فیهم أشراف قومهم من آبائهم و أعمامهم و عشائرهم لتردّهم إلیهم، فهم أبصر بهم و اعلم بما عابوا علیهم و عاتبوهم فیه.

و ما أن انتهی موفدا قریش من الکلام إلّا و قالت بطارقته حوله: صدقا أیها الملک، قومهم أبصر بهم، و أعلم بما عابوا علیهم فأسلمهم إلیهما، فلیرداهم الی بلادهم و قومهم.

(۱) فغضب النجاشیّ و کـان رجلاـ حکیمـا عادلاـ و قـال: لاهـا اللّه، إذن لا اسـلمهم إلیهما، و لا یکاد قوم جاورونی، و نزلوا بلادی و اختـارونی علی من سوای حتی أدعوهم فاسألهم عمـا یقول هـذان فی أمرهم فـان کـانوا کمـا یقولان أسـلمتهم إلیهما، و رددتهم الی قومهم، و ان کانوا علی غیر ذلک منعتهم منهما و احسنت جوارهم ما جاورونی.

ثم ارسـل الی أصـحاب رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله المهاجرین الی الحبشـة فـدعاهم من غیر أن یعلمهم بما یریـد منهم، فحضـروا عنـده، و کـانوا قـد قرّروا أن یکون متکلّمهم و خطیبهم: «جعفر بن أبی طـالب» و قـد قلق بعض المسـلمین لما قـد سـیقوله «جعفر» عند الملـک، و بما ذا سـیکلّمه و یجیبه، فسألوه عن ذلک فقال لهم جعفر: أقول و اللّه ما علّمنا، و ما امرنا به نبینا صـلّی اللّه علیه و آله کائنا فی ذلک ما هو کائن.

(۲) فالتفت النجاشی الی «جعفر» و سأله قائلا:

ما هذا الدین الذی فارقتم فیه قومکم، و لم تدخلوا (به) فی دینی و لا فی دین أحد من هذه الملل؟

فقال جعفر بن ابی طالب:

«أیّها الملک، کنّا قوما أهل جاهلیة نعبد الأصـنام، و نأکل المیتة، و نأتی الفواحش، و نقطع الارحام، و نسیء الجوار، و یأکل القویّ منّا الضعیف، فکنّا علی ذلک حتی بعث اللّه إلینا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه، و أمانته و عفافه، فدعانا الی اللّه لنوحّده و نعبده، و نخلع ما کنّا نعبد نحن و آباؤنا من دونه من

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۷

الحجارة و الأوثان، و أمرنا بصـدق الحـدیث، و أداء الأمانة، و صـلة الرحم، و حسن الجوار، و الکف عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و أکل مال الیتیم، و قذف المحصـنات. و أمرنا أن نعبد اللّه وحده، لا نشرک به شیئا، و أمرنا بالصلاة و الزکاة و الصـیام فصـدّقناه و آمنّا به، و اتّبعناه علی ما جاء به من اللّه، فعبـدنا اللّه وحده فلم نشـرک به شـیئا، و حرّمنا ما حرّم علینا، و أحللنا ما أحـلّ لنـا، فعـدا علینا قومنا، فعـذّبونا، و فتنونا عن دیننا، لیردّونا إلی عبادة الاوثان من عبادة اللّه تعالی، و ان نسـتحل ما کنّا نسـتحل من الخبـائث، فلمّـا قهرونـا و ظلمونـا و ضـیّقوا علینا، و حالوا بیننا و بین دیننا، خرجنا إلی بلادک، و اخترناک علی من سواک، و رغبنا فی جوارک، و رجونا أن لا نظلم عندک أیها الملک».

(۱) فـأثّرت کلمـات جعفر البلیغـة، و حـدیثه العـذب تأثیرا عجیبا فی نفس النجاشـیّ بحیث اغرورقت عیناه بالـدموع، و قال: لجعفر هل معک ممّا جاء به عن اللّه من شیء؟

فقـال جعفر: نعم فقـال له النجاشـیّ: فـاقرأه علیّ، فقرأ علیه جعفر آیـات من مطلع سورة مریم، و اسـتمرّ فی قراءته، و بـذلک بیّن نظرة الإسـلام إلی «مریم» علیها السّـلام و طهارة جیبها، و الی مکانة المسیح علیه السّلام، و عظمة شأنه، و جلیل مقامه، فبکی النجاشی حتی اخضـلّت لحیته بالدموع و بکت اساقفته «۱» حتی بلّوا مصـاحفهم بهـا حین ما سـمعوا ما تلاه جعفر علیهم حول مریم و المسـیح علیهما السّلام.

و بعد صمت قصیر ساد ذلک المجلس قال النجاشی:

«إن هذا و الذی جاء به عیسی لیخرج من مشکاة واحدة» و هو یقصد أن القرآن و الإنجیل کلام اللّه و أنهما شیء واحد.

ثم التفت الی موفدی قریش و قال لهما بنبرة قویة: انطلقا فلا و اللّه لا اسلّمهم إلیکما و لا یکادون، فخرجا من عنده.

---

(۱) الاساقفه؛ جمع اسقف: علماء النصاری. سید المرسلین ج۱ ۴۵۸ قریش توفد رجالا لاسترداد المسلمین: ..... ص : ۴۵۴

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۸

(۱) و عند المساء تکلم «عمرو بن العاص»- و کان امرأ خدّاعا ماکرا- مع رفیقه «عبد اللّه بن ربیعة» فی الأمر، و قال له: و اللّه لآتینّه غدا

عنهم بما استأصل به حضراءهم (و هو يعنى أنه سيأتى بحيلة تقضى على جذور المهاجرين بالمرة) و لاخبرنّه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد. (أى على خلاف ما يعتقد النصارى فى المسيح).

فنهاه «عبد اللّه» عن ذلك و قال: لا تفعل، فانّ لهم أرحاما، و ان كانوا خالفونا، و لم ينفع نهى عبد اللّه له.

(۲) و لمّا كان من الغد دخلا على النجاشىّ مرة اخرى فقال له «عمرو» متظاهرا هذه المرة بالدفاع عن عقيدة النصارى و هى دين الملك و اهله، و منتقدا رأى المسلمين.

أيها الملك، إنهم يقولون فى «عيسى بن مريم» قولا عظيما. فارسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

فارسل النجاشى إليهم ليسألهم عنه، و هو الملك المحنّك الذى لا يأخذ الامور على ظواهرها، و من غير تحقيق و دراسة، فأدرك المسلمون بفطنتهم أنه سيسألهم هذه المرة عن موقفهم من المسيح عليه السّلام فاتفقوا أن يكون «جعفر» متكلمهم و خطيبهم و عند ما سألوه عما سيجيب به الملك قال: أقول و اللّه ما قال اللّه، و ما جاءنا به نبينا.

(۳) فلما دخلوا على النجاشىّ قال لجعفر بن ابى طالب: ما ذا تقولون فى عيسى بن مريم؟

فقال جعفر: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلّى اللّه عليه و آله: هو عبد اللّه و رسوله و روحه و كلمته القاها الى مريم العذراء البتول.

فسرّ النجاشى لكلام جعفر و رضى به و قال: هذا و اللّه هو الحق، و اللّه ما عدا عيسى بن مريم ما قلت

و لكنّ حاشيته لم ترض بهذا الكلام و لم تقبل بما قاله الملك، و لكنّه لم يعبأ بهم، و أيّد مقالة المسلمين، و منحهم الحرية الكاملة، و الأمان الكامل قائلا لهم:

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۵۹

اذهبوا فانتم آمنون فى أرضى من سبّكم غرم، من سبّكم غرم، ما احب أنّ لى دبرا من ذهب و إنى آذيت رجلا منكم.

و ردّ على موفدى قريش هداياهما قائلا لهما: «ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها، فو اللّه ما أخذ اللّه منى الرشوة حين ردّ علىّ ملكى فاخذ الرشوة فيه، و ما أطاع الناس فىّ فاطيعهم فيه».

فخرج مبعوثا قريش مقبوحين مردودا عليهما ما جاء به يجرّان اذيال الخيبة «۱».

و ينبغى ان نسجّل هنا موقفا آخر من مواقف ابى طالب فى تأييد المسلمين، و نصرة الدين الحنيف.

فقد أرسل «ابو طالب» أبياتا للنجاشىّ يحثّه على الدفع عن المهاجرين و حسن جوارهم و تلك الابيات هى:

ألا ليت شعرى كيف فى النأى جعفرو عمرو و اعداء العدو: الأقارب؟

و هل نالت افعال «۲» النجاشىّ جعفراو أصحابه أو عاق ذلك شاغب؟

تعلّم، أبيت اللعن، انك ماجدكريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلّم بان اللّه زادك بسطةو أسباب خير كلّها بك لازب

و أنك فيض ذو سجال غزيرةينال الاعادى نفعها و الاقارب «۳»

(۱)

العودة من الحبشة:

قلنا فى ما مضى أنّ المجموعة الاولى من المهاجرين رجعت من الحبشة الى مكة لأنباء بلغتها عن إسلام قريش عامة و انضوائها تحت راية الإسلام. حتى إذا دنوا من «مكة» بلغهم أن ما كانوا تحدّثوا به من إسلام اهل مكة كان باطلا،

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۳۸، إمتاع الاسماع: ص ۲۱ بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۴۱۴ و ۴۱۵.

(۲) إحسان.

(۳) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۳۳ و ۳۳۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۶۰

فلم يدخل منهم الى «مكة» إلّا قليل دخلوها مستخفين أو فى جوار بعض الشخصيات القرشية بينما عاد الأكثرون من حيث جاءوا.

(۱) و كان ممن دخل «مكـة» بجوار «عثمان بن مظعون» الـذى دخلها بجوار «الوليد بن المغيرة» «۱» و لكنه كان يشاهد ما فيه أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من البلاء، و العـذاب و هو يغدو و يروح فى امان فتألّم لذلك و لم تطق نفسه تحمّل هذا الفرق و قال: و اللّه إن غـدوّى و رواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشـرك، و أصـحابى و أهل دينى يلقون من البلاء و الأذى فى اللّه ما لا يصـيبنى لنقص كبير فى نفسى. فمشى الى «الوليد بن المغيرة» و ردّ عليه جواره ليواسى المسلمين و يشاركهم فى آلامهم و متاعبهم و قال: يا أبا عبد شمس وفت ذمّتك، قد رددت إليك جوارك.

قال: لم يا ابن أخى؟ لعلّه آذاك أحد من قومى؟

قال: لا و لكنى أرضى بجوار اللّه و لا اريد أن أستجير بغيره.

فقال الوليد له: إذن فاردد علىّ جوارى علانية كما أجرتك علانية.

(۲) فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال «الوليد» مخاطبا من حضر من قريش: هذا عثمان قد جاء يردّ علىّ جوارى.

قال: صدق، قد وجدته وفيّا كريم الجوار و لكنّى قد احببت أن لا استجير بغير اللّه، فقد رددت عليه جواره «۲».

ثم لم يمض شـىء من الوقت حتى دخل المسجد «لبيد» و كان شاعرا متكلّما بارزا من شعراء العرب و متكلّميها و وقف فى مجلس من قريش ينشدهم و «عثمان بن مظعون» جالس معهم فقال من جملة ما قال شعرا:

ألّا كل شىء ما خلا اللّه باطل

فقال عثمان بن مظعون: صدقت فقال: لبيد:

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۶۹.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۷۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۶۱ و كل نعيم لا محالة زائل

(۱) قال عثمان: كـذبت، نعيم الجنة لا يزول فاسـتثقل «لبيد» تكذيب عثمان و تحدّيه له فى ذلك الجمع فقال: يا معشـر قريش و اللّه ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟؟

فقال رجل من القوم: إنّ هذا سفيه فى سفهاء معه، قد فارقوا ديننا فلا تجدن فى نفسك من قوله.

فردّ عليه «عثمـان» حتى تفـاقم الأمر بينهما فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضّـرها (و اصابها)، و الوليـد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمـان فقال: أما و اللّه يا ابن أخى إن كانت عينك عمّا أصابها لغنيّـة لقـد كنت فى ذمـة منيعـة (و هو يريـد أنك لو بقيت فى ذمتى و جوارى لما اصابك ما أصابك).

فقال عثمان رادّا عليه: بل و اللّه إن عينى الصـحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب اختها فى اللّه، و انى لفى جوار من هو أعزّ منك، و أقـدر يا أبا عبد شمس.

فقال له الوليد: هلمّ يا ابن أخى إن شئت فعد إلى جوارك، فقال ابن مظعون: لا «۱».

و كانت هـذه صورة رائعة من صور كثيرة لصـمود المسـلمين، و تفانيهم فى سبيل العقيـدة، و إصـرارهم على النهـج الـذى اختاروه، و مواساة بعضهم لبعض فى أشدّ فترة من فترات التاريخ الإسلامى.

(۲)

وفد مسيحىّ لتقصّى الحقائق يدخل مكة:

قدم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو بمكة عشرون رجلا من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، مبعوثين من قبل أساقفتها لتقصّى الحقائق بمكة، و التعرف على الإسلام. فوجدوا رسول اللّه فى المسجد، فجلسوا إليه، و كلّموه و سألوه عن مسائل، و رجال من قريش فيهم «أبو جهل» فى أنديتهم حول الكعبة.

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۷۰ و ۳۷۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۶۲

فلما فرغوا من مسألة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عما أرادوا دعاهم- صلّى اللّه عليه و آله- إلى اللّه عزّ و جلّ و تلا عليهم آيات من القرآن الكريم، فكان لها من التأثير البالغ فى نفوسهم بحيث عند ما سمعوها فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له و آمنوا به و صدّقوه، بعد ما عرفوا منه ما كان يوصف فى كتابهم (الانجيل) من أمره.

فلما قاموا عنه، و رأت قريش ما نتج عنه ذلك اللقاء استثقله «ابو جهل» فقال للنصارى الذين اسلموا معترضا و موبّخا: خيّبكم اللّه من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئنّ مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم و صدّقتموه بما قال، ما نعلم ركبا أحمق منكم.

فأجابه اولئك بقولهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، و لكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا «۱».

و بذلك الكلام الرفيق الجميل ردّوا على فرعون مكة الذى كان يبغى- كسحابة داكنة- حجب أشعة الشمس المشرقة، و حالوا دون وقوع صدام.

(۱)

قريش توفد إلى يهود يثرب للتحقيق:

لقد أيقظ وفد نصارى الحبشة الى مكة و ما نجم عن لقائهم برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قريشا و دفعهم الى تكوين وفد يتألف من: «النضر بن الحارث» و «عاقبة بن ابى معيط» و غيرهما و إرسالهم إلى أحبار يهود المدينة ليسألونهم عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و دينه.

فقال أحبار اليهود لمبعوثى قريش: سلوا محمّدا عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل، و ان لم يفعل فالرجل متقوّل، فروا فيه رأيكم، سلوه:

۱- عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول (يعنون بهم أصحاب الكهف) ما كان

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۹۰ و ۳۹۳ و قد نزلت فى هذا الشأن الآيات ۵۲ الى ۵۵ من سورة القصص.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۶۳

من امرهم، فانه قد كان لهم حديث عجيب.

۲- و عن رجل طوّاف (يعنون به ذا القرنين) قد بلغ مشارق الأرض و مغاربها ما كان نبؤه و خبره؟

۳- و عن الروح ما هی؟

(۱) فاذا أخبرکم بذلک فاتبعوه، فانه نبیّ، و ان لم یفعل، فهو رجل متقوّل فاصنعوا فی أمره ما بدا لکم.

فعاد وفد قریش الی «مکهٔ» و لما قدموها قالوا لقریش ما سمعوه من أحبار الیهود.

فجاؤوا إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و طرحوا علیه الاسئلهٔ الثلاثهٔ السالفهٔ. فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: انتظر فی ذلک وحیا «۱».

ثم نزل الوحی یحمل الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الأجوبهٔ المطلوبهٔ علی تلک الاسئلهٔ.

و قد ورد الجواب عن السؤال عن الروح فی الآیهٔ ۸۵ من سورهٔ الإسراء.

و اجیب علی السؤالین الآخرین عن أصحاب «الکهف» و ذی القرنین بتفصیل فی سورهٔ «الکهف» ضمن الآیات ۹- ۲۸ و الآیات ۷۳- ۹۳.

و قد وردت تفصیلات هذه الإجابات التی أجاب بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی أسئلتهم فی کتب التفسیر.

و لا بدّ هنا من أن نذکّر القارئ الکریم بنقطهٔ مفیدهٔ و هی أنّ المراد من «الرّوح» فی سؤال القوم لیس هو الرّوح الإنسانیهٔ بل کان المراد هو جبرئیل الأمین، (بقرینهٔ أنّ المقترحین الاصلیین لهذه الأسئلهٔ: هم الیهود و کانوا یکرهون الروح الامین، و یعادونه)، و هو أمر مبحوث فی محلّه من کتب التفسیر.

---

(۱) السیرهٔ النبویّهٔ: ج ۱ ص ۳۰۰- ۳۰۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۶۵

(۱)

۱۸ الأسلحهٔ الصدیئهٔ و الاسالیب الفاشلهٔ

اشارهٔ

نظّم أسیاد قریش صفوفهم لمکافحهٔ عقیدهٔ التوحید، بعد أن أدرکوا عقم المواقف المبعثرهٔ من هذا الدّین و أهله.

فقد حاولوا فی بدایهٔ الأمر أن یثنوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن المضیّ فی مواصلهٔ دعوته، و ذلک بتطمیعه بالمال و الجاه و ما شابه ذلک، و لکن لم یحصلوا من ذلک علی شیء، فقد خیّب ذلک الرجل المجاهد ظنونهم فیه، و بدّد آمالهم فی اثنائه عن هدفه بکلمته الخالدهٔ المدوّیهٔ: «و اللّه لو وضعوا الشمس فی یمینی، و القمر فی یساری علی أن أترک هذا الأمر لما فعلت» و هو یعنی ان تملیکه العالم کله لا یثنیه عن هدفه و لا یصرفه عن تحقیق ما ندب إلیه، و ارسل به.

(۲) فعمدوا الی سلاح آخر هو التهدید و الأذی، و التنکیل به و باصحابه و انصاره، و لکنهم واجهوا صموده و صمود أنصاره و اصحابه، و ثباتهم الذی ادی إلی انتصار المؤمنین فی هذا المیدان، و خیبهٔ المشرکین و هزیمتهم.

و قد بلغ من ثبات المسلمین علی الطریق أنهم أقدموا علی مغادرهٔ الوطن، و ترک الأهل و العیال، و الهجرهٔ إلی الحبشهٔ فرارا بدینهم إلی اللّه، و سعیا وراء نشره و بثه فی غیر الجزیرهٔ من الآفاق.

و لکن رغم إخفاق أسیاد قریش المشرکین فی جمیع هذه الجبهات و المیادین

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۶۶

و عجزهم عن استئصال شجرهٔ التوحید الفتیهٔ، و فشل جمیع الأسلحهٔ التی استخدموها للقضاء علی الدین الجدید و أهله، لم تنته

محاولاتهم الإجهاضيّة بل عمدوا هذه المرّة إلى استخدام سلاح جديد حسبوه أمضى من سوابقه.

(۱) و هذا السلاح هو سلاح الدعاية ضدّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، لانه صحيح أن ايذاء و تعذيب جماعة المؤمنين فى «مكة» تمنع غيرهم من سكان «مكّة» من الانضواء إلى الإسلام إلّا ان الحجيج الذين كانوا يسافرون الى مكة فى الأشهر الحرم و كانوا يلتقون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى جوّ من الأمن و الطمأنينة خلال تلك المواسم كانوا يتأثّرون بدعوة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و يتزعزع اعتقادهم بالأوثان على الأقل، إن لم يؤمنوا بدينه، و لم يستجيبوا لدعوته، ثم إنهم كانوا ينقلون رسالة الإسلام و انباء النبيّ صلّى اللّه عليه و آله إلى مواطنهم، و مناطقهم و كان ينتشر بذلك اسم رسول اللّه، و أنباء دينه فى شتّى مناطق الجزيرة العربية، و كان هذا هو بنفسه ضربة قوية توجّه إلى صرح الوثنية فى مكة، و عاملا قويا فى انتشار عقيدة التوحيد، و سطوع أمره.

من هنا اتخذ سادة قريش اسلوبا آخر، قاصدين بذلك الحيلولة دون انتشار الإسلام، و اتساع رقعته، و قطع علاقة المجتمع العربى به.

و إليك فيما ياتى بيان تفاصيل هذا الاسلوب، و هذه الخطة:

(۲)

۱- الاتّهامات الباطلة:

اشارة

يمكن التعرف على شخصية أى واحد و تقييمها من خلال ما يرميه به اعداؤه من شتائم و سباب، و ما يكيلون له من اتهامات و نسب، فان العدو يسعى دائما الى أن يتهم خصمه بنوع من انواع التهم ليضلّ الناس، و يصرفهم عنه، و ليتمكن بما يحوكه حوله من أراجيف و أباطيل الحط من شأنه فى المجتمع و اسقاطه من الانظار و الأعين.

ان العدوّ الذكيّ يسعى دائما إلى ان ينسب إلى منافسه ما يصدّقه و لو فئة خاصة من الناس على الاقل، و يوجب شكّهم فى صدقه، و يتجنب تلك النسب

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۶۷

التى لا تصدّق فى شأنه، و لا تناسب اخلاقه و افعاله المعروفة عنه، و لا تمسه بشكل من الأشكال، لأنه سوف لا يجنى فى هذه الحالة إلا عكس ما يقصد، و خلاف ما يريد.

(۱) و من هنا يستطيع المؤرخ المحقق أن يتعرف على الشخصية الواقعية لمن يدرسه، و على مكانته الاجتماعية، و أخلاقه و سجاياه و لو من خلال ما ينسبه الأعداء إليه، و ما يكيلون له من أكاذيب و افتراءات، و نسب باطلة و اتهامات، لأنّ العدوّ الذى لا يخاف أحدا لا يقصّر فى كيل كلّ تهمة تنفعه و تخدم غرضه إلى الطرف الآخر، و يستخدم هذا السلاح (أىّ سلاح الدعاية) ما استطاع، و ما ساعدته معرفته بالظروف، و درايته بالفرص.

فاذا لم ينسب إليه أىّ شيء من تلك النسب الباطلة فان ذلك إنما هو لأجل طهارة جيبه، و نقاء صفحته، و تنزّه شخصيته عن تلك النسب، و لأنّ المجتمع لم يكن ليعبأ بها و لم يصدّقها فى شأنه.

و لو أننا تصفّحنا اوراق التاريخ الإسلامى لرأينا أن قريشا مع ما كانت تكنّ من عداء، و تحمل من حقد على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و كانت تسعى بكل جهدها أن تهدم صرح الإسلام الجديد الظهور، و أن تحطّ من شأن مؤسسه و بانيه لم تستطع مع ذلك أن تستفيد من هذا السلاح، و تستخدمه كاملا.

(۲) فقد كانت تفكّر فى نفسها: ما ذا تقول فى حق رسول اللّه؟ و ما ذا ترى تنسب إليه؟؟

هل تتهمه بالخيانة المالية و ها هم جماعة منهم قد ائتمنوه على أموالهم؟! «۱» كما أن حياته الشريفة طوال الاربعين سنة الماضية جسدت امانته امام الجميع، فهو الامين بلا منازع؟

هل تتهمه بالجرى و الانسياق وراء الشهوة و اللّذة؟ و كيف تقول فى حقه مثل هذا الكلام مع أنه بدأ حياته الشبابية بالتزويج بزوجة كبيرة السنّ الى درجة

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۶۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۶۸

ما، و بقى معها حتى لحظة انعقاد هذه الشورى فى «دار الندوة» بهدف الدعاية ضدّه، و لم يعهد منه زلّة قدم فى هذا السبيل قط؟!

(۱) و بالتالى بما ذا تتهم محمّدا الصادق الأمين، الطاهر العفيف، و أية تهمة ترى يمكن أن تصدّق فى حقه، أو يحتمل الناس صدقها فى شأنه و لو بنسبة واحد فى المائة؟

لقد تحيّر سادة «دار الندوة» و أقطابها فى كيفية استخدام هذا السلاح، سلاح الدعاية ضدّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقرّروا فى نهاية الأمر أن يطرحوا هذا الأمر على صنديد من صناديد قريش و يطلبوا رأيه فيه، و هو «الوليد بن المغيرة» و كان ذا سنّ فيهم، و مكانة، فقال لهم:

يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم و ان وفود العرب ستقدم عليكم فيه، و قد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحدا، و لا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضا، و يرد قولكم بعضه بعضا.

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل و أقم لنا رأيا نقول به.

قال: بل أنتم قولوا أسمع.

(۲) قالوا: نقول كاهن.

قال: لا و اللّه ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهّان فما هو بزمزمة الكاهن و لا سجعة.

قالوا: فنقول: مجنون.

قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون و عرفناه فما هو بخنقه، و لا تخالجه، و لا وسوسته.

قالوا: فنقول: ساحر.

فقال: ما هو بساحر لقد رأينا السحّار و سحرهم فما هو بنفثهم و لا عقدهم.

و هكذا تحيّروا فى ما ينسبون إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و أخيرا اتفقوا على أن يقولوا: أنه ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء و ابيه و بين المرء و أخيه، و بين المرء و زوجته و بين المرء و عشيرته.

و يدلّ عليه ما أوجده من الخلاف و الانشقاق و التفرّق بين أهل مكة الّذين

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۶۹

كان يضرب بهم المثل فى الوحدة و الاتفاق «۱».

(۱) و قد ذكر المفسّرون فى تفسير سورة «المدثر» هذه القصة بنحو آخر فقالوا:

لمّا انزل على رسول اللّه «حم تنزيل الكتاب ...» قام الى المسجد و «الوليد بن المغيرة» قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لاستماعه لقراءته، أعاد قراءة الآية، فتركت الآية فى نفس الوليد تأثيرا شديدا فانطلق إلى منزله، و لم يخرج منه أيّاما، فسخرت منه قريش و قالت: صبأ- و اللّه- الوليد ثم مشى رجال من قريش إليه و سألوه رأيه فى قرآن محمّد، و اقترح كل واحد منهم

أمرا، و لكنه رد عليها بالنفى جميعا فقالت قريش إذن ما هو؟ فتفكر «الوليد» فى نفسه ثم قال: ما هو إلّا ساحر أ ما رأيتموه يفرّق بين الرجل و أهله، و ولده و مواليه، فهو ساحر و ما يقوله سحر يؤثر «۲».

و يرى المفسرون أن الآيات التالية فى شأنه إذ يقول اللّه تعالى:

«ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً. وَ جَعَلْتُ لَهُ مالًا مَمْدُوداً. وَ بَنِينَ شُهُوداً. وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً. سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً. إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ. فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ... (الى قوله:) فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ. كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ» «۳».

(۲)

الإصرار فى نسبة الجنون إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

يعتبر اتّصاف النبيّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلم و اشتهاره بين الناس بالصدق و الامانة و غيرها من مكارم الأخلاق منذ شبابه من مسلّمات التاريخ.

و هو بالتالى أمر اعترف به حتى أعداؤه الالدّاء، فقد دانوا بفضله، و أقرّوا

---

(۱) السيرة النبوّية: ج ۱ ص ۲۷۰.

(۲) مجمع البيان: ج ۱۰ ص ۳۸۶ و ۳۸۷.

(۳) المدثر: من ۱۱- ۵۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۷۰

بأخلاقه الكريمة و سجاياه النبيلة، دون تلكؤ، و لا إبطاء.

و قد كان من أوصافه الحسنة البارزة ان جميع الناس كانوا يدعونه «الصادق» «الامين» و كانوا يثقون بأمانته ثقة كبرى «۱» حتى أن المشركين كانوا يودعون ما غلى من أموالهم عنده، و استمر هذا الأمر حتى عشرة أعوام بعد دعوته العلنيّة.

(۱) و حيث أن دعوته صلّى اللّه عليه و آله قد ثقلت على المعاندين فاجتهدوا فى أن يصرفوا عنه الناس بما ينسبون إليه من بعض النسب التى توجب سوء الظنّ به، و من ثم إفشال دعوته، و حيث أنهم كانوا يعلمون أن النسب الاخرى ممّا لا يقيم لها المشركون وزنا، لأنها امور بسيطة فى نظرهم، من هنا رأوا بأن يتهمونه بالجنون، و الزعم بان ما يقوله و يقرؤه ما هو إلّا من نسج الخيال، و من أثر الجنون الذى لا يتنافى مع الزهد، و الأمانة، و ذلك تكذيبا لدعوته.

ثم عملت قريش على إشاعة هذه النسبة، و اتخذت وسائل عديدة و ماكرة لترويجها و بثّها بين الناس.

و من شدّة مكرهم و مراءاتهم أنّهم كانوا يتخذون موقف المتسائل المحايد فيطرحون هذه التهمة فى قالب الشك، و الترديد اذ يقولون:

«أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» «۲».

(۲) و هذه هى بعينها الحيلة الشيطانية التى يتوسّل بها و يتستر وراءها أعداء الحقيقة دائما عند ما يريدون تكذيب المصلحين العظام، و إسقاط خطواتهم و أفكارهم من الاعتبار، و الحطّ من شأنها و أهميتها.

و يشير القرآن أيضا إلى أنّ هذا الاسلوب الماكر الذميم لم يكن مختصا بالمعارضين فى عهد الرسالة المحمّدية، بل كان المعارضون فى الأعصر الغابرة أيضا يتوسلون بهذا السلاح لتكذيب الرسل، و الأنبياء إذ يقول عنهم:

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۶۲ عن عبيد اللّه بن ابى رافع: كانت قريش تدعو محمّد صلّى اللّه عليه و آله فى الجاهلية الامين و كانت تستودعه و تستحفظه أموالها و أمتعتها، و كذلك كل من كان يقدم مكة من العرب فى الموسم، و جاءته النبوة و الرسالة و الأمر كذلك.

(۲) سبأ: ۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۷۱

«كَذلِكَ ما أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَ تَواصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ» «۱».

(۱) و تحدّث الاناجيل الحاضرة هى الاخرى عن ان المسيح عليه السّلام عند ما وعظ اليهود قالوا: إنّ فيه شيطانا، فهو يهذى فلما ذا تسمعون إليه؟! «۲»

و من المسلّم و البديهى أنّ قريشا لو كان فى مقدورها أن تتهم رسول اللّه الصادق الأمين صلّى اللّه عليه و آله بغير هذا الاتهام و تنسب إليه غير هذه النسبة لما تأخرت عن ذلك، و لكن حياة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله المشرقة خلال الاربعين سنة الماضية، و سوابقه اللامعة فى المجتمع المكىّ و غير المكى كانت تحول دون أن ينسبوا إليه شيئا من تلك النسب القبيحة، الذميمة.

لقد كانت «قريش» مستعدة لأن تستخدم أى شيء- مهما صغر- ضد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فمثلا عند ما وجده أعداء الرسالة يجلس إلى غلام مسيحىّ يدعى «جبر» عند المروة، انطلقوا يستخدمون هذا الأمر ضدّه صلّى اللّه عليه و آله فورا فقالوا: و اللّه ما يعلّم محمّدا كثيرا ممّا يأتى به الا «جبر» النصرانى.

فردّ عليهم القرآن الكريم بقوله:

«وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ» «۳».

«وَ قَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ قالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ» «۴».

۲- القرآن يرد على جميع الاتهامات:

اشارة

و ربما نسبوا إليه صلّى اللّه عليه و آله الكهانة، و الكاهن هو من يتصل بعناصر من الجن «۵» أو الشياطين و يتلقى منهم اخبارا حول الماضى و المستقبل،

(۱) الذاريات: ۵۲ و ۵۳.

(۲) انجيل يوحنا: الفصل ۱۰ الفقرة ۲۰، و الفصل ۷ الفقرة ۴۸ و ۵۲.

(۳) النحل: ۱۰۳.

(۴) الدخان: ۱۳ و ۱۴.

(۵) الجن كائن من الكائنات و مخلوق من مخلوقات اللّه تعالى و قد اخبر به القرآن الكريم فى مواضع-

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۷۲

و كان هذا موجودا قبل الإسلام كما ترويه كتب السير و التواريخ «۱».

و قد رد القرآن الكريم على هذه المقالة و هذا الزعم اذ قال تعالى:

«وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ» «۲» كما ردّ أيضا تهمة السحر، و الكذب و الافتراء و الشعر إذ قال تعالى و هو يصف المتهمين تارة بالكفر و اخرى بالظلم:

«وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ» «۳».

و قال تعالى: «وَ قالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً» «۴»

و قال سبحانه متعجبا منهم: «قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» «۵».

و قال تعالى: «وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» «۶».

و قال سبحانه: «وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» «۷».

و قال عزّ و جلّ: «فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ» «۸».

و قال تعالى: «قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ» «۹».

و قال تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ» «۱۰».

و قال سبحانه: «وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلَّا إِفْكٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً» «۱۱».

و قال سبحانه: «أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» «۱۲».

و قال تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ» «۱۳».

و قال تعالى: «وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِی لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ» «۱۴».

و ربما وصفوا القرآن بانه اضغاث احلام فردهم سبحانه بقوله.

«بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ» «۱۵».

- عديدة كما سميت احدى السور باسم الجن.

(۱) راجع: بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۲۶۹ باب علم الكهانة و العرافة.

(۲) الحاقة: ۴۲.

(۳) ص: ۴.

(۴) الفرقان: ۸.

(۵) الشعراء: ۱۵۳.

(۶) الحجر: ۶.

(۷) التكوير: ۲۲.

(۸) الطور: ۲۹.

(۹) النحل: ۱۰۱.

(۱۰) هود: ۱۳.

(۱۱) الفرقان: ۴.

(۱۲) سبأ: ۸.

(۱۳) الطور: ۳۰.

(۱۴) يس: ۶۹.

(۱۵) الأنبياء: ۵.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۷۳

و هكذا نجدهم ذهبوا فى استخدام سلاح الاتهام و التشويش على الشخصية المحمّدية و الرسالة الإسلامية كل مذهب، فمرة وصفوه بانه كاهن و اخرى بانه ساحر و ثالثة بانه مسحور، و رابعة بانه مجنون و خامسة بانه معلّم و سادسة بانه كذاب و سابعة بانه مفترى و ثامنة بانه مفترى او مجنون على سبيل الترديد و تاسعة بانه شاعر و عاشرة بان ما يقوله ما هو الّا أضغاث احلام.

(۱)

فكرة معارضة القرآن:

لم يجد استخدام سلاح الاتهام ضد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نفعا، و لم تأت بالثمار التى كان يتوخاها المشركون منه، لأن الناس كانوا يدركون بفطنتهم و فراستهم أن للقرآن جاذبيّة غريبة، و أنهم لم يسمعوا كلاما حلوا، و حديثا عذبا مثله.

ان لكلماته من العمق و العذوبة بحيث يتقبّلها كل قلب، و تسكن إليها كل نفس.

من هنا لم ينفع اتهام قريش لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالجنون و بأنّ ما يقوله إن هو الّا من نسج الخيال، و نتائج الجنون، شيئا، فقررت أن تخطّط لتدبير آخر ظنا منهم بأنّ تنفيذه سيصرف الناس عنه، و عن الاستماع إلى كتابه، ألا و هو: معارضة القرآن الكريم.

(۲) فعمدت إلى «النضر بن الحارث» و كان من شياطين قريش، و ممّن كان يؤذى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ينصب له العداوة، و كان قد قضى شطرا من حياته فى الحيرة بالعراق و تعلّم بها أحاديث ملوك الفرس و احاديث «رستم» و «إسفنديار» و قصصهم، و حكاياتهم، و أساطيرهم، و طلبوا منه أن يجمع الناس و يقص عليهم من تلكم الأساطير و الحكايات يلهى بها الناس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و يصرفهم عن الإصغاء إلى القرآن الكريم!!

فكان إذا جلس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مجلسا فذكّر الناس فيه باللّه، و حذر قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة اللّه، خلفه «النضر» فى مجلسه

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۷۴

اذا قام صلّى اللّه عليه و آله ثم قال: أنا و اللّه يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلمّ إلىّ، فأنا احدّثكم أحسن من حديثه.

ثم يحدّثهم عن ملوك الفرس و «رستم» و «اسفنديار» ثم يقول:

بما ذا محمّد أحسن حديثا منى و ما حديثه إلّا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها؟ «۱».

(۱) و قد كانت هذه الخطة حمقاء جدا إلى درجة أنها لم تدم إلّا عدة ايام لا اكثر حتى أن قريشا سأمت من أحاديث «النضر» و سرعان ما تفرّقت عنه.

و قد نزل فى هذا الشأن آيات هى:

«وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِی يَعْلَمُ السِّرَّ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً «۲».

تحججات صبيانيّة و جاهليّة:

و ربما جسّدوا معارضتهم للدعوة المحمّدية فى صورة تحججات و مجادلات جاهليّة و ماخذ سخيفة اخذوها على رسول اللّه و رسالته، تنم عن تكبر و جهل، و عناد و لجاج طبعوا عليه.

و ها نحن نذكر ابرزها:

أ- لما ذا لم ينزل القرآن على ثرىّ من اثرياء مكة أو الطائف؟!

قال تعالى حاكيا قولهم:

«لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» «۳».

ب- لما ذا لم يرسل إليهم ملائكة و لما ذا هو بشر؟!

قال تعالى عنهم:

«وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلَّا أَنْ قالُوا أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۰۰ و ۳۵۸.

(۲) الفرقان: ۵ و ۶.

(۳) الزخرف: ۳۱.

رسولا» «۱».

و قال تعالى حاكيا عنهم أيضا:

«وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ» «۲».

ج- انّه يدعو الى خلاف ما كان عليه الآباء، من الدين و العقيدة و السلوك؟

يقول عنهم سبحانه:

«وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ» «۳».

د- تبديل الآلهة باله واحد.

قال اللّه عنهم:

«وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ. أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ» «۴».

ه- القول بحشر الاجساد و تجدد الحياة في يوم القيامة.

قال تعالى عنهم:

«وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» «۵»

و- لما ذا ليس عنده مثل ما كان لدى موسى من المعجزات كالثعبان المنقلب من العصا، و قد توصل المشركون إلى هذا النمط من الاعتراض بسبب اتصالهم بأحبار اليهود.

يقول اللّه عنهم:

فلمّا جاءهم الحقّ من عندنا قالوا لو لا اوتى مثل ما اوتى موسى» «۶».

ز- لما ذا ليس معه ملك يرى و يشاهد و يحضر معه في كل مقام و مشهد.

قال تعالى:

«وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ» «۷».

---

(۱) الاسراء: ۹۴.

(۲) الفرقان: ۷.

(۳) المائدة: ۱۰۴.

(۴) ص: ۴ و ۵.

(۵) السجدة: ۱۰.

(۶) القصص: ۴۸.

(۷) الانعام: ۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷۶

مقترحات عجيبة و مطاليب غريبة:

و كان المشـركون اذا نفـذت تحججاتهم و اعتراضاتهم الواهيـة، و قوبلوا بردود قويـة و قاطعة عليها عمدوا إلى طرح مقترحات سـخيفة على رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى سـياق معارضـتهم لدعوته و نورد هنا ابرز تلك الاقتراحات ليعرف القارئ الكريم مدى معاناة النبىّ الكريم صلّى اللّه عليه و آله من قومه:

لقد اقترحوا عليه:

۱- ان يعبد اصنامهم سنة و يعبدوا إلهه سنة اخرى و جعلوا ذلك شرطا لايمانهم بدعوته!!

فأنزل اللّه تعالى فى ردّهم بسورة «الكافرون»:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ لا أَعْبُـدُ ما تَعْبُـدُونَ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ».

۲- تبـديل القرآن، فقد دفع نقد القرآن الكريم للوثنية، و الازراء على الاصـنام، دفعهم إلى ان يطلبوا من النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله ان يأتى لهم بقرآن آخر لا يحتوى على شجب عبادة الاوثان و الازدراء بالاصنام، و ابطالها.

قال اللّه تعالى عن فعلهم هذا:

«وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ» «۱».

فردّ اللّه عليهم بقوله:

«قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» «۲».

۳- مطاليب مادية عجيبة!!

---

(۱) يونس: ۱۵.

(۲) يونس: ۱۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷۷

و قـد عمـدوا- بسـبب عنادهم و عتوهـم- الى المطالبة بامور لا ترتبط بهداية الناس، مثل مطالبته بان يفجر لهم ينابيع، او يسـقط السـماء على رءوسـهم قطعـا، أو يصـعد إلى السـماء، أو يـأتى بـاللّه سبحانه و تعـالى، أو غير ذلـك من الاقتراحـات و المطالب التى كانت إما مستحيلة فى نفسها او تناقض غرض الدعوة!!

قال اللّه حاكيا عنهم ذلك:

«وَ قـالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَـكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً. أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ» «۱».

صبر النبیّ و استقامته و ثباته:

و لقد قابل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كل هذه التحججات الايذائية و ما طرح من الاقتراحات المستحيلة بصبر عظيم و ثبات هائل، ايمانا منه بدعوته، و حرصا على ابلاغ رسالته، و بفعل التأييد الالهى من جانب.

يقول اللّه تعالى فى هذا الصدد:

۱- «فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَ لا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» «۲».

۲- «وَ اتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ وَ اصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ» «۳».

۳- «وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» «۴».

۴- «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ» «۵».

۵- «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ» «۶».

۶- «وَ اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا» «۷».

---

(۱) الاسراء: ۹۰- ۹۳.

(۲) الاحقاف: ۳۵.

(۳) يونس: ۱۰۹.

(۴) النحل: ۱۲۷.

(۵) الكهف: ۲۸.

(۶) القلم: ۴۸.

(۷) المزمل: ۱۰.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۷۸

معاجز النبیّ لم تنحصر فی القرآن:

اشارة

و بالمناسبة لا بد أن نذكر أن المشركين و من حذى حذوهم من الكفار و المعارضين للرسالة الإسلامية كانوا يطالبون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمعـاجز و آيـات لا- بـدافع الرغبـة فى الايمـان بـدعوته بـل بـدافع اللجاج و العناد، و إلا فان معاجز النبىّ لم تنحصـر فى الكتـاب العزيز، فقـداتى رسول اللّه بآيـات و معـاجز كثيرة اخرى غير القرآن، كـان كـل واحـد منهـا يكفى للاقتناع برسالته، و الايمان بصحة دعواه.

فالقرآن نفسه يشير الى أبرز هذه المعاجز و هى:

۱- شقّ القمر

فقد طلب المشركون من النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ان يشق لهم القمر نصفين حتى يؤمنوا به، فلمّا فعل ذلك لهم باذن اللّه كفروا به و قالوا انه سحر!!

يقول اللّه تعالى:

«اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ. وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ» «۱».

۲- المعراج

ان العروج برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الذى سيأتى مفصلا هو الآخر معجزة من معاجزه القوية، و قد نطق بها القرآن بقوله:

«سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» «۲».

---

(۱) القمر: ۱ و ۲.

(۲) الاسراء: ۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۷۹

۳- مباهلة أهل الباطل

ان تقدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع من خرج بهم إلى المباهلة، و احجام النصارى عن مباهلته، معجزة اخرى من معاجزه صلّى اللّه عليه و آله و قد تحدّث القرآن الكريم عن هذه القضية اذ قال:

«فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ» «۱».

و ستأتى قصّة المباهلة على نحو التفصيل فى حوادث السنة العاشرة من الهجرة.

۴- الاخبار بالمغيبات

فقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يخبر عن امور غائبة كما يقول اللّه سبحانه حاكيا عنه:

«وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» «۲».

هذا و قد أخبرت الاخبار و الأحاديث عن معاجز كثيرة لرسول اللّه غير القرآن الكريم.

---

(۱) آل عمران: ۶۱.

(۲) آل عمران: ۴۹، و قد اشار القرآن الكريم إلى موارد اخرى من هذه القبيل.

فقد اخبر عن غلبة الروم بعد سنين: قال تعالى:

«الم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ. لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ» (الروم: ۱- ۴).

و اخبر عن هلاك ابى لهب قال تعالى:

«تَبَّتْ يَدا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ ... الخ».

و أخبر عن هزيمة المشركين فی بدر قال سبحانه:

«سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ» (القمر: ۴۵).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۸۰

و من هـذه المعاجز ما ذكره الإمام امير المؤمنين علیّ بن أبی طالب- كما فی نهج البلاغة- حول سؤال المشـركين من النبیّ صـلّی اللّه عليه و آله قلع شـجرة بعروقهـا و جـذورها و لمـا فعـل ذلـك و قـال يـا أيّتها الشـجرة ان كنت تؤمنين باللّه و اليوم الآخر، و تعلمين أنی رسول اللّه فانقلعی بعروقك حتی تقفی بين يدیّ باذن اللّه».

فـانقلعت بعروقهـا و لهـا دوّی عجيب و وقفت بين يـدی رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله و لكنهم كـذّبوا و قالوا ساحر كـذاب، علوا و استكبارا.

و قـد صـرح الإمـام فی كلامه هـذا أن النبیّ صـلّی اللّه عليه و آله أخبرهم بانهم لا يؤمنون و ان ظهرت لهم المعجزة التی طلبوها، و ان فيهم من يطرح فی القليب (فی معركة بدر) و ان منهم من يحزّب الأحزاب (لمعركة الخندق) «۱».

(۱)

اصرار النبیّ علی هداية قريش:

بـل كان النبیّ صـلّی اللّه عليه و آله يحرص علی هـدايتهم و ارشادهم و ايقاظهم. فقـد كان زعيم المسـلمين و قائـدهم يعلم جيـدا بأن اعتقاد أغلبيـة الناس بالأوثان ما هو الّا أمر نابع من تقليـد الآباء، و الجـدود، أو اتباع أسـياد القبيلـة و كبرائها، و هو بالتالی لا يسـتند إلی جذور فی أعماق الناس و اسس فی عقولهم و نفوسهم.

من هنا فانّ أیّ انقلاب يحصل و يحدث فی اوساط السادة و الكبراء بان يؤمن أحدهم مثلا كان كفيلا بأن يحلّ الكثير من المشاكل.

(۲) مـن هنـا كـان ثمـة إصـرار كـبير علی جرّ «الوليـد بـن المغيرة» الـذی أصـبح ابنه «خالـد» فی مـا بعـد من قـادة الجيش الاسـلامیّ و المشـاركين فی الفتـوح الاسـلامية إلی صف المؤمنين بالرسالـة المحمّديـة، لأنّـه كـان أسنّ من فی قريش و اكـثرهم نفوذا، و أعلاهـم مكانة، و أقواهم شخصية، و كان يدعی حكيم العرب، و كانت العرب تحترم رأيه إذا اختلفت فی أمر.

---

(۱) نهج البلاغة: قسم الخطب الرقم ۱۹۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۸۱

(۱) و قـد كلّمه رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله ذات يوم فی ذلك و قـد طمع فی اسـلامه، فبينا هو فی ذلك إذ مرّ به «ابن أمّ مكتوم»، فكلم رسـول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله و جعـل يسـتقرئه القرآن فشقّ ذلـك منه علی رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله حـتی أضـجره، و ذلك أنّه شغله عمّا كان فيه من أمر «الوليد». و ما طمع فيه من إسلامه، فلمّا أكثر عليه انصرف عنه عابسا و تركه، فنزل قوله تعالی:

«عَبَسَ وَ تَوَلَّی. أنْ جاءَهُ الْأَعْمی. وَ ما يُـدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّی. أوْ يَـذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الـذِّكْری. أَمَّا مَنِ اسْـتَغْنی. فَأَنْتَ لَهُ تَصَـدَّی. وَ ما عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّی. وَ أَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعی. وَ هُوَ يَخْشی فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّی. كَلَّا إِنَّها تَذْكِرَةٌ» «۱» «۲».

و قـد فنّـد علماء الشـيعة و محقّقوهم هـذه الرواية التاريخية، و اسـتبعدوا صدور مثل هذا السـلوك عن رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله الـذی امتـدحه ربّ العالمين بالخلق العظيم، و وصـفه بالرأفة بالمؤمنين، و قالوا: ليس فی الآيات ما يدل علی أن الذی عبس و تولّی هو رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم.

و قـد روی عن الإمام الصادق علیه السّـلام أن المراد رجل من بنی امیّـة، فإنّه عبس و تولّی عنـد ما حضـر «ابن أمّ مکتوم» الأعمی عند رسول اللّه فنزلت هذه الآیات توبیخا له «۳».

(۲)

۳- تحریم استماع القرآن

اشارة

کانت البرامج الواسـعة التی دبرها الوثنیّون فی «مکة» لمکافحة الاسـلام، و الحیلولة دون انتشاره بین القبائل و الجماعات، تنفّذ الواحدة تلو الأخری، و لکن دون جدوی، و دون ان یکسب اصحابها من ورائها أی نجاح، و ایة نتائج علی

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۶۳- ۳۶۴.

(۲) عبس: ۱- ۱۱.

(۳) مجمع البیـان: ج ۱۰ ص ۴۳۷، و قـد شـرح العلامة الطباطبائی فی المجلد ۲۰ من تفسـیر المیزان عند تفسـیر سورة عبس شأن نزول هذه الآیات بصورة رائعة، و شـکل بدیع، و اثبت بان فاعل عبس لیس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و لا ینافی ذلک توجّه الخطاب فی «و ما یدریک» إلیه صلّی اللّه علیه و آله.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۲

المستوی المطلوب، فقـد کانت تلک المؤامرات تفشل فی کل مرة، و لا یجنی المشـرکون منها سوی الخیبـة و الفشل، و سوی النتائج المعکوسة فی أغلب الأحایین.

فقـد ما رسوا الدعایة ضد رسول اللّه فترة من الزمن و لکن لم یحالفهم التوفیق الکامل فی ذلک، فقد وجدوا رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله اکثر ثباتا و اسـتقامة فی طریقه و أشدّ إصـرارا علی هدفه، و کانوا یرون بام أعینهم بأن عقیدة التوحید فی انتشار مستمر و متزاید، یوما بعد یوم.

(۱) و لهذا قرّر سادة قریش و زعماء «مکة» المشرکون أن یمنعوا الناس عن سماع القرآن.

و لکی تتحقق خطتهم هـذه و تلبس ثوب الوجود بثّوا جواسیسـهم فی کل انحاء مکـة و مـداخلها لیمنعوا من یفد إلیها للحج او التجارة من الاتصال بمحمّد، و منعه بکل صورة ممکنة، عن الاستماع الی القرآن، و أعلن منادیهم ما ذکره القرآن عند قوله تعالی:

«وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِیهِ لَعَلَّکُمْ تَغْلِبُونَ» «۱».

(۲) لقد کان القرآن اقوی أسلحة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، فقد القی رعبا عجیبا فی نفوس الاعداء و اقضّ مضاجعهم.

و کان اشـراف قریش و أسـیادها یرون بام أعینهم کیف أنّ اعدی أعداء النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله (و هو أبو جهل) عند ما مشـی إلیه لیسـتهزئ به، و یسـخر منه، مـا ان سـمع آیـات من القرآن، إلّا و فقـد السـیطرة علی نفسه، و لان قلبه، و أصـبح من أصـحابه و مؤیـدیه الأقویاء، و لهذا لم یکن أمام اولئک الاسـیاد إلا أن یمنعوا من سماع القرآن منعا باتا، و یحرموا التحدث الی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله تحریما قاطعا «۲».

و لهـذا کـان الرجـل منهم إذا أراد أن یسـمع من رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله بعض ما یتلوه من القرآن و هو یصـلی استرق السـمع دونهم فرقا منهم، فان رأی أنهم قد عرفوا أنه یستمع منه ذهب خشیة أذاهم فلم یستمع «۳».

(۱) فصّلت: ۲۶.

(۲) السیرة النبویة: ح ۱ ص ۳۱۳ و ۳۱۴.

(۳) السیرة النبویة: ح ۱ ص ۳۱۳ و ۳۱۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۳

(۱)

واضعوا القرار ینقضون قرارهم!!

و لکن من الطریف العجیب أن نفس الـذین کانوا یمنعون الناس بشدة عن الاسـتماع إلی القرآن، و کانوا یعدون کل من یتجاهل قرار (تحریم الاسـتماع الی القرآن) مخالفا یتعرض للملاحقه و العقاب، نقضوا بعد أیام من إصدار هذا القرار قرارهم و انضمّوا إلی صفوف المخالفین له فی الخفاء.

فاذا بالذین یمنعون من سماع القرآن فی العلن، یستمعون إلیه فی الخفاء!

و إلیک بعض ما جری فی هذا الصعید:

خرج «أبو سـفیان» و «أبو جهل» و «الاخنس» لیلة لیسـتمعوا من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو یصلی من اللیل فی بیته، فأخذ کل رجل منهم مجلسا یسـتمع فیه، و کل لا یعلم بمکان صاحبه، فباتوا یسـتمعون له، حتی إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطریق فتلاوموا، و قال بعضـهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآکم بعض سـفهائکم لأوقعتم فی نفسه شـیئا ثم انصرفوا، حتی اذا کانت اللیلة الثانیة عاد کل رجل منهم الی مجلسه، فبـاتوا یسـتمعون له، حـتی إذا طلـع الفجر تفرّقـوا، فجمعهم الطریـق، فقـال بعضـهم لبعض مثـل مـا قـالوا أول مرة، ثم انصـرفوا، حتی اذا کانت اللیلة الثالثة اخذ کل رجل منهم مجلسه، فباتوا یستمعون له، حتی اذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطریق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتی نتعاهد ألّا نعود، فتعاهدوا علی ذلک. ثم تفرّقوا «۱».

(۲)

۴- منع الاشخاص من الایمان برسول اللّه

اشارة

بعـد خطة (تحریم الاسـتماع الی القرآن) بدءوا بتنفید خطة اخری و هو منع کل قریب و بعید ممّن رغبوا فی الإسـلام و قدموا إلی مکة لیتعرفوا علی النبیّ، و علی ما اتی به من کتاب و دین، من الاتصال بالنبی صلّی اللّه علیه و آله.

(۱) السیرة النبویة: ح ۱ ص ۳۱۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۴

فبثت قریش جواسیسـها فی الطرق المؤدیة إلی مکة لیتصلوا بمن یلقونه من هؤلاء و یبادروا الی منعه من الاتصال برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الایمان برسالته، بشتی الحیل و الاسالیب.

و إليك نموذجين حيّين من هذا الأمر.

(۱)

۱- «الاعشى»:

و كان من شعراء العهد الجاهلى البارزين، و كانت قصائده تتناقلها مجالس السمر القرشية، و تتغنى بها محافل انسهم.

و قـد بلغ «الاعشـى» فى كبره نبأ ما جاء به رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله من التوحيد و من تعاليم الاسـلام العظيمة، و كان يعيش فى منطقة نائية عن مكة، حيث لم تصل إليها أشعة الرسالة الاسـلامية على وجه التفصيل بعد، و لكن ما قد سمع به من تعاليم الاسلام على نحو الاجمال قد اوجد فى نفسه هياجا خاصا و حرّك مشاعره فأنشأ قصيدة مطوّلة يمدح فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثم خرج الى مكة ليهديها إليه صلّى اللّه عليه و آله و هو فى نفس الوقت يريد الاسلام.

و رغم ان تلكم القصيدة لا تتجاوز أبياتها ۲۴ بيتا، و لكنها تعدّ من أفضل و افصح ما قيل من الشعـر فى الاسلام، و فى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى العهد النبوى و يوجد نصّها الكامل فى ديوان «الأعشى» و قد قال فيها و هو يذكر بعض تعاليم الاسلام:

نبيّا يرى ما لا يرون و ذكره أغار لعمرى فى البلاد و أنجدا

فاياك و الميتات لا تقربنّها و لا تأخذن سهما حديدا لتفصدا

و ذا النصب المنصوب لا تنسكنّه و لا تعبد الأوثان و اللّه فاعبدا

و لا تقربنّ حرّة كان سرّها عليك حراما فانكحن أو تأبّدا

و ذا الرحم القربى فلا تقطعنّه لعاقبة، و لا الاسير المقيّدا

و سبّح على حين العشيات و الضحى و لا تحمد الشيطان و اللّه فاحمدا

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۸۵

(۱) فلما كان بمكـة أو قريبا منها اعترضه جواسـيس قريش و رجالها فسألوه عن أمره و قصـده فاخبرهم بانه جاء يريد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ليسـلم، و حيث أنهم كانوا يعرفون بأن «الاعشـى» رجل يحب النساء و الخمر حبّا كبيرا لـذلك عمدوا إلى الضـرب على هذا الوتر لينفّروه من الاسلام، فقالوا له: يا أبا بصير (و هى كنية الاعشى) إنه يحرم الزنا.

فقال الاعشى: و اللّه ذلك لأمر مالى فيه من ارب.

فقالوا له: يا أبا بصير فانّه يحرّم الخمر.

فقـال الأعشـى- و قـد صـدم بهـذا الخبر- أمّا هـذه فو اللّه فى النفس منها لعلالات، و لكنى منصـرف فاتروّى منها عامى هـذا، ثم آتيه فاسلم!! فانصرف فمات فى عامه ذلك، و لم يعد الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «۱».

(۲)

۲- الطفيل بن عمرو الدوسىّ:

و هو الشاعر العربى الحكيم العذب اللسان، صاحب النفوذ و الكلمة المسموعة فى قبيلة.

يروى انه قدم «مكة» و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بها، و كانت قريش تخشى ان يتصل بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله فيسلم.

و من البديهى أن اسـلام رجل مثله كان ممّا يشق على قريش جدّا و لهذا مشى إليه رجال منهم و قالوا له- محذرين ايّاه من رسول اللّه

صلّی اللّه علیه و آله-:

یا طفیل، إنک قدمت بلادنا، و هذا الرجل الذی بین أظهرنا قد اعضل بنا، و قد فرّق جماعتنا، و شتّت أمرنا، و إنما قوله کالسحر یفرّق بین الرجل و بین ابیه، و بین الرجل و بین اخیه، و بین الرجل و بین زوجته، و إنا نخشی علیک و علی قومک ما قد دخل علینا فلا تکلمنّه، و لا تسمعنّ منه شیئا.

ففعلت تحذیرات قریش فعلتها فی نفس الطفیل و هم یکرّرونها علیه بقوة

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۸۶- ۳۸۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۶

و إصرار، حتی انه قرر ان لا یسمع من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله شیئا، و لا یکلّمه، و حشّی اذنه- حین غدی الی المسجد للطواف- قطنا، خوفا من أن یبلغه شیء من قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو لا یرید ان یسمعه!!!

(۱) یقول الطفیل: فغدوت الی المسجد فاذا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قائم یصلی عند الکعبة، فقمت منه قریبا فسمعت کلاما حسنا من غیر اختیار منی فقلت فی نفسی: وا ثکل أمی، و اللّه انی لرجل لبیب شاعر ما یخفی علیّ الحسن من القبیح، فما یمنعنی أن اسمع من هذا الرجل ما یقول، فان کان الذی یأتی به حسنا قبلته، و ان کان قبیحا ترکته؟

فمکثت حتی انصرف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی بیته فاتّبعته حتی إذا دخل بیته دخلت علیه فقلت: یا محمّد إن قومک قد قالوا لی کذا و کذا للذی قالوا، فو اللّه ما برحوا یخوّفوننی أمرک حتی سردت اذنی بکرسف لئلا اسمع قولک ثم ابی اللّه إلّا أن یسمعنی قولک فسمعته قولا حسنا، فاعرض علیّ أمرک، فعرض علیّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الاسلام، و تلا علیّ القرآن، فلا و اللّه ما سمعت قولا قط أحسن منه، و لا أمرا أعدل منه، فأسلمت و شهدت شهادة الحق.

ثم قلت: یا نبیّ اللّه إنی امرؤ مطاع فی قومی و أنا راجع إلیهم، وداعیهم إلی الاسلام.

(۲) ثم یکتب ابن هشام قائلا: إن الطفیل لم یزل بارض «دوس» یدعوهم الی الاسلام حتی هاجر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی المدینة و مضی «بدر» و «احد» و «الخندق» فقدم علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمن أسلم معه من قومه و هم سبعون او ثمانون بیتا و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بخیبر فلحقوا جمیعا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بخیبر، و بقی مع النبیّ حتی قبض صلّی اللّه علیه و آله ثم سار مع المسلمین- فی زمن الخلفاء إلی «الیمامة» و شارک فی معرکتها و قتل فیها «۱».

---

(۱) السیرة النبویة: ح ۱ ص ۳۸۲- ۳۸۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۷

(۱)

۱۹ اسطورة الغرانیق

اشارة

قد یکون بین القرّاء من یودّ التعرف علی اسطورة «الغرانیق» التی رواها بعض مؤرّخی السنّة و معرفة جذورها کما یودّ التعرف علی الأیادی الخفیة التی کانت وراء اختلاق هذه الاسطورة، و أمثالها من الأکاذیب، و المفتریات.

کان الیهود و بخاصّة أحبارهم و لا یزالون العدوّ رقم واحد للإسلام.

و قد عمد فريق منهم- مثل «كعب الاحبار» و غيره- ممّن تظاهروا باعتناق الاسلام إلى تحريف الحقائق باختلاق الأكاذيب و جعل الأخبار المفتراة على لسان الأنبياء «۱».

و لقد أدرج بعض المؤلفين المسلمين بعض هذه المفتريات فى مؤلفاتهم و جعلوها فى عداد الحديث و التاريخ الصحيح من دون تمحيصها و التحقيق فيها، ثقة بكل من أظهر الاسلام، و تظاهر بالإيمان، و انضم إلى صفوف المسلمين!!

و لكنّ اليوم حيث يجد العلماء فرصة اكبر للتحقيق فى هذا النوع من الأحاديث و الاخبار، و المنقولات و النصوص و بخاصة بعد أن توفّرت لديهم- بفضل جهود طائفة من المحققين المسلمين القواعد و الضوابط الكفيلة بتمييز

---

(۱) و هى التى يطلق عليها الاسرائيليات و قد الّفت فى هذا المجال بعض الكتب.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۸۸

الحسن عن القبيح، و الصحيح عن السقيم، و فرز الحقائق التاريخية عن القصص الخياليّة، و الروايات الاسطورية.

من هنا لا ينبغى لكاتب مسلم ملتزم أن يعتبر كل ما يراه فى مصنّف تاريخىّ أو غير تاريخىّ متقدّم أمرا صحيحا مقطوعا بسلامته، و يرويه فى كتابه من دون دراسة و تحقيق، و تمحيص و تقييم.

(۱)

ما هى اسطورة الغرانيق؟!

يقولون: إن «الأسود بن المطلب» و «الوليد بن المغيرة» و «أميّة بن خلف» و «العاص بن وائل» و هم من زعماء قريش و اسيادها قالوا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

يا محمّد هلم فلنعبد ما تعبد، و تعبد ما نعبد فنشترك نحن و أنت فى الأمر!!

و قالوا ذلك رفعا للاختلاف، و تضييقا لشقّة الخلاف فأنزل اللّه سبحانه سورة الكافرين التى امر فيها نبيّه أن يقول فى جوابهم:

«لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ».

و مع ذلك كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يرغب فى أن يساوم قريشا و يجاريهم و كان يقول فى نفسه: ليت نزل فى ذلك أمر يقرّبنا من قريش.

و ذات يوم و بينما كان صلّى اللّه عليه و آله يتلو القرآن عند الكعبة و يقرأ سورة «النجم» فلما بلغ قوله تعالى:

«أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى. وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى».

أجرى الشيطان على لسانه الجملتين التاليتين:

«تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى» «۱».

(۲) فقرأهما من دون اختيار، و قرأ ما بعدها من الآيات، و لمّا بلغ آية السجدة سجد هو و من حضر فى المسجد من المسلمين و المشركين أمام الاصنام، إلّا

---

(۱) النجم: ۱۹ و ۲۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۸۹

«الوليد» الذى عاقه كبر سنه عن السجود!!

و فرح المشركون، و ارتفعت نداءاتهم يقولون: لقد ذكر «محمّد» آلهتنا بخير.

و انتشر نبأ هذه المصالحة و التقارب بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و المشركين، المهاجرين الى الحبشة، فعاد على أثرها جماعة منهم إلى مكة، و لكنّهم ما أن كانوا على مشارف «مكة» إلّا و عرفوا بأن الأمر تغير ثانية، و أن ملك الوحى نزل على النبىّ و أمره مرة اخرى بمخالفة الاصنام و مجاهدة الكفار و المشركين، و أخبره بأن الشيطان هو الّذى أجرى تينك الجملتين على لسانه، و انه لم يقله و أنه ليس من «الوحى» فى شىء أبدا.

و عندئذ نزلت الآيات (۵۲- ۵۴) من سورة «الحج» التى يقول اللّه تعالى فيها:

«وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ، وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ».

هذه هى خلاصة اسطورة «الغرانيق» التى أوردها «الطبرى» فى تاريخه «۱» و يذكرها و يردّدها المستشرقون المغرضون بشىء كبير من التطويل و التفصيل!!

(۱)

محاسبة بسيطة لهذه الاسطورة

لنفترض أن «محمّدا» لم يكن نبيا مرسلا و لكن هل يمكن لأحد أن ينكر ذكاءه و حنكته، و فطنته و عقله.

فهل لعاقل فطن، محنّك لبيب مثله أن يفعل مثل هذا؟

ان الذكىّ اللبيب الذى يجد انصاره يتكاثرون و يتزايدون يوما بعد يوم

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۸۵ و ۷۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۹۰

و تقوى صفوفهم اكثر فاكثر بينما تتفرق صفوف أعدائه و مناوئيه و يتناقص معارضوه و خصومه، هل يقدم فى مثل هذه الحالة على عمل يوجب ان يسىء الجميع ظنهم به، و يشك الصديق و العدو فى أمره؟!

هل تصدّق أنت أيها القارئ الكريم أن رجلا- ترك جميع الأموال و المناصب التى عرضتها قريش عليه، فى سبيل دينه الحنيف، و عقيدته التوحيد أن يصبح مرة اخرى من دعاة الشرك، و مروّجى الوثنية؟؟!

إننا لن نصدّق بمثل هذا الاحتمال فى حق مصلح أو سياسى عادى من الساسة و المصلحين فكيف برسول اللّه و نبيّه العظيم.

(۱)

رأى العقل فى هذه القصة:

(۲) ۱- إن العقل يحكم بان المرشدين الذين يبعثهم اللّه تعالى الى البشرية لهدايتها و ارشادها، و تزكيتها و تعليمها مصونون عن أى خطأ و زلل بقوة (العصمة) التى اوتوها، اذ لو تعرض مثل هؤلاء الى الخطأ و الزلل فى امور الدين لزالت ثقة الناس بهم و بكلامهم.

يجب علينا ان نقارن بين أمثال هذه القصص، و بين هذا الأصل العقائدىّ المنطقى و نعالج بواسطة معتقداتنا القوية المبرهنة متشابهات التاريخ و معضلاته.

إنّ من المسلّم أن عصمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كانت تمنعه و تحفظه من أى نوع من هذه الحوادث فى تبليغ رسالته

السماوية.

(۳) ۲- إن هذه الاسطورة تقوم أساسا على أن النبیّ قد تعب من أداء مهمّته التی ألقاها اللّه سبحانه علیه، و قد شقّ علیه ابتعاد الوثنیّین عنه، فکان یبحث عن مخلص من هذا الوضع المتعب، یکون طریقا- حسب تصوره- إلی إصلاح وضعهم!!

و لکن العقل یقضی بأن علی الأنبیاء أن یکونوا صابرین حلماء أکثر ممّا یتصور، و أن یکونوا مضرب المثل عند الجمیع فی ذلک، فلا یحدّثوا أنفسهم بالتهرّب من المسئولیة و ترک الساحة مطلقا، مهما اشتدّت الظروف، و تأزّمت

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۱

الأحوال.

بینما لو صحّت هذه الروایة- الاسطورة لکانت دلیلا علی أنّ بطل حدیثنا قد فقد عنان الصبر و أفلت منه زمام الثبات و الاستقامة و انه بالتالی تعب و ملّ، و ضنی و کلّ، و هو أمر لا ینسجم مع ما یحکم به العقل السلیم فی حق الأنبیاء، کما لا یتفق کذلک مع ما عهدناه من سوابق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من مستقبله أبدا.

إن مختلق هذه الاسطورة لم یمرّ بخاطره و باله أنّ القرآن الکریم شهد ببطلان هذه القصة، اذ یعد اللّه تعالی نبیه الکریم، بأن لا یتسرّب الی القرآن أی شیء من الباطل إذ قال:

«لا یَأْتِیهِ الْباطِلُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ» «۱».

کما وعده أیضا بأن یصونه عبر جمیع أدوار البشریة من أی حادث سیّئ اذ قال سبحانه:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» «۲».

(۱) و مع ذلک کیف یستطیع الشیطان الرجیم عدو اللّه أن ینتصر علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و یسرّب الی القرآن شیئا باطلا، و یصبح القرآن الذی تقوم معارفه و تعالیمه علی أساس معاداة الوثنیة و محاربتها داعیا الی الوثنیة؟؟!!

إنه لأمر عجیب جدا أن یفتری مختلق هذه الاسطورة أمرا ضدّ التوحید فی موضع قد کذّبه القرآن قبل هذا المکان بقلیل إذ قال اللّه تعالی:

«وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی» «۳».

فکیف یترک اللّه نبیّه- و قد وعده بهذا الوعد- من دون حفیظ، و یسمح للشیطان بأن یتصرف فی قلبه و عقله و لسانه؟؟

إن هذه الأدلة العقلیة إنما تفید من یکون مؤمنا بنبوة محمّد صلّی اللّه علیه و آله و رسالته.

---

(۱) فصّلت: ۴۲.

(۲) الحجر: ۹.

(۳) النجم: ۳ و ۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۲

و اما المستشرقون الذین لا یعتقدون بنبوته، و یعمدون الی شرح و نقل و تردید أمثال هذه الأساطیر للحطّ من شأن دینه و رسالته فلا تکفیهم هذه الدلائل، فلا بدّ أن ندخل معهم فی البحث من باب آخر.

(۱)

تکذیب القصّة من طریق آخر

إنّ النصّ التاریخیّ یقول: إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قرأ هذه السورة، و کبار قریش و اکثرهم من عمالقة الکلام، و أبطال

الفصاحة و البلاغة العربیة حضور فی المسجد و منهم «الولید بن المغیرة، متکلم العرب و منطقیها المفوّه المعروف بینهم بالذکاء و حصافة العقل و النباهة، و قد سمعوا جمیعا هذه السورة إلی ختامها حیث سجد الجمیع بسجدتها.

فکیف اکتفی هذا الجمع المؤسس للفصاحة و البلاغة الذین کانوا ینقدون کل ما یعرض علیهم نقدا دقیقا؟

کیف اکتفوا بتینک الجملتین اللتین امتدحتا آلهتهم، و قد تضمنت الآیات السابقة علیهما، و اللاحقة لهما علی شتم آلهتهم و تفنیدها، و الازدراء بها بصورة صارخة و صریحة؟!

(۲) کیف تصور مختلق هذه الأکذوبة الفاضحة، تلک الجماعة أصحاب اللغة العربیة و آباءها و نقّاد الکلام المعدودین عند العرب کلّها من عمالقة الفصاحة و البلاغة بلا منازع، و الذین کانوا أعرف من غیر هم باشارات تلک اللغة، و کنایاتها (فضلا عن تصریحاتها).

کیف اکتفی هؤلاء بتینک العبارتین فی امتداح آلهتهم، و غفلوا عما سبقها و لحقها من الذمّ لها و الطعن الصارخ فیها؟

إنه لا یمکن قط أن نخدع العادیّین من الناس بهاتین الجملتین المحفوفتین بکلام مطوّل یذم عقائدهم و سلوکهم فکیف بمن عرف باللب، و الحصافة، و الحکمة و الذکاء؟

(۳) و ها نحن ندرج هنا الآیات المتعلّقة بالمقام و نترک أصفارا (و فراغا) فی مکان

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۹۳

الجملتین اللتین ادّعی اضافتهما، ثم نترک للقارئ نفسه أن یقیم بنفسه هل لتینک الجملتین مکان بین هذه الآیات (التی وردت فی ذمّ الاصنام و القدح فیها):

و إلیک هذه الآیات:

«أَ فَرَأَيْتُمُ اللّاتَ وَ الْعُزّى. وَ مَناةَ الثّالِثَةَ الْأُخْرى ... «۱» أَ لَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنْثى. تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى. إِنْ هِيَ إِلّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ» «۲».

ثم هل یسمح إنسان عادیّ لنفسه أن یکفّ عن معاداة نبیّ هاجم عقائده طیلة عشرة اعوام، و هدر استقلاله و کیانه، و جرّ علیه الشقاء بتسفیه أحلامه، و شتم آلهته، لعبارات متناقضة و کلام خلیط من الذّم الکبیر و المدح العابر.

(۱)

دلیل لغویّ علی تفنید هذه الاسطورة

اشارة

یقول العلامة الجلیل الشیخ محمّد عبده: لم یستعمل لفظ الغرانیق فی الآلهة أبدا لا فی اللغة و لا فی الشعر العربی «۳».

و «غرنوق» و «غرنیق» اللذان جاءا فی اللغة استعملا فی نوع من طیور الماء أو الشابّ الجمیل، و لا ینطبق أی واحد من هذه المعانی علی الآلهة

و قد اعتبر احد المستشرقین یدعی «السیر ولیم موییر» قصة «الغرانیق» هذه من مسلّمات التاریخ و استدل لها بقوله: لم یکن یمض علی هجرة المهاجرین الاول إلی الحبشة اکثر من ثلاثة أشهر یوم صالح محمّد قریشا فعادوا إلی مکة.

إن المسلمین الذین هاجروا إلی تلک الأرض و کانوا یعیشون فی أمن و طمأنینة فی جوار النجاشیّ إذا لم یکونوا یبلغهم نبأ مصالحة النبیّ لقریش لما عادوا إلی مکة للقاء بذویهم.

فاذن لا بدّ أنّ «محمّدا» قد تذرّع بشیء لمصالحة قریش، و التقرّب إلیها،

---

(۱) مکان الجملتین المزعومتین: تلک الغرانیق ... الی آخرها.

(۲) النجم: ۱۹- ۲۳.

(۳) نقله عنه القاسمی فی تفسیره: ج ۱۲ ص ۵۵- ۵۶.

و هذا الشیء هو قصة الغرانیق»!! «۱».

(۱) و لکن یجب أن نسأل هذا المستشرق المحترم:

(۲) أولا: لما ذا یجب أن تکون عودة المهاجرین ناشئة عن نبأ صحیح حتما.

إن النفعیین و ذوی الأهواء و الأغراض یسعون دائما إلی بثّ عشرات بل مئات الأخبار الکاذبة بین جماعتهم لتحقیق ما رب خاصّة لهم، فما الذی یمنع من أن نحتمل أن هناک من افتعل خبر مصالحة النبیّ لقریش بهدف إرجاع المهاجرین من الحبشة الی «مکة». و قد صدق بعض اولئک المهاجرین هذا الخبر الکاذب فعادوا إلی أرض الوطن، بینما لم ینخدع الآخرون بها و بقوا فی الحبشة و لم یعودوا الی مکة؟؟

(۳) ثانیا: لنفترض أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان یرید أن یصالح قریشا، فهل یکون الطریق إلی السلام و المصالحة منحصرا فی افتعال هاتین الجملتین.

أ لم یکن إعطاء مجرّد وعد مناسب أو مجرّد السکوت عن عقائدهم کافیا لتهدئة خواطرهم، و اجتذابهم قلوبهم نحوه؟

و علی کلّ حال فان عودة المهاجرین لا یکون دلیلا علی صحّة هذه الاسطورة کما أن المصالحة، و التقارب غیر متوقفین علی النطق بهاتین الجملتین.

و الأعجب من هذا أن البعض تصوّر أن الآیات (۵۲- ۵۴ من سورة الحج) قد نزلت فی قصة الغرانیق.

(۴) و حیث أن هذه الآیات قد وقعت ذریعة بأیدی المستشرقین و مرتکبی جریمة التحریف فی التاریخ، فاننا نعمدها إلی توضیح مفاد هذه الآیات، و نبین للقارئ بأنها تنظر إلی امر آخر، و لا ترتبط بهذه القصة بتاتا.

و ها هو نصّ الآیات المشار إلیها:

«وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اللَّهُ ما یُلْقِی الشَّیْطانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللَّهُ آیاتِهِ، وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ

---

(۱) راجع حیاة محمّد: ص ۱۶۵ و ۱۶۶.

لِیَجْعَلَ ما یُلْقِی الشَّیْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِیَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِینَ لَفِی شِقاقٍ بَعِیدٍ وَ لِیَعْلَمَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَیُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِینَ آمَنُوا إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ».

و الآن یجب أن نبین مفاد الآیات و لنبدأ بالآیة الاولی:

انّ الآیة الاولی تذکّر بثلاثة امور هی:

۱- انّ الأنبیاء و الرسل یتمنون.

۲- انّ الشیطان یتدخّل فی تمنیاتهم.

۳- انّ اللّه یمحی آثار ذلک التدخّل.

و بتوضیح هذه النقاط الثلاث یتضح مفاد الآیهٔ و المراد منها.

و إلیک توضیح تلکم النقاط الثلاث:

(۱)

۱- ما هو المقصود من تمنی الأنبیاء و الرسل

لقد کان الأنبیاء و الرسل یحبّون هدایهٔ اممهم، و نشر دینهم و تعالیمهم فیها، و کانوا یدبّرون امورا و یخطّطون خططا لتحقیق أهدافهم هذه، کما کانوا یتحملون فی هذا السبیل کل المتاعب و المصاعب، و یثبتون فی جمیع المشکلات و المحن.

و لم یکن رسول الاسلام صلّی اللّه علیه و آله مستثنی عن هذه القاعدهٔ، فقد کان صلّی اللّه علیه و آله یخطط لتحقیق أهدافه کثیرا، و یهیّئ مقدمات و یبیّن القرآن هذه الحقیقهٔ بقوله:

«وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّی».

فاتّضح إلی هنا المراد من لفظ تمنّی و لنشرح الآن النقطهٔ الثانیهٔ.

(۲)

۲- ما هو المقصود من تدخّل الشیطان؟

إن تدخّل الشیطان یمکن أن یتم علی نحوین:

(۳) ۱- أن یوجد الشک و التردید فی عزم الأنبیاء، و یوحی إلیهم بأنّ هناک

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۶

عوائق کثیرهٔ تحول بینهم و بین أهدافهم، و لذلک لن یحرزوا نجاحا فی تحقیق تلک الأهداف.

(۱) ۲- بأن الأنبیاء کلما مهّدوا لأمر و هیّئوا له مقدّماته، و ظهرت منهم أمارات تدل علی أنهم مقدمون علی تنفیذه فعلا أقام الشیطان و من تبعه من شیاطین الانس العراقیل و الموانع فی طریقهم، لیمنعوهم من الوصول إلی غایاتهم.

(۲) أما الاحتمال الأول فلا ینسجم لا مع الآیات القرآنیهٔ الاخری و لا مع الآیهٔ اللاحقهٔ.

(۳) أمّا من جههٔ الآیات الاخری فلأنّ القرآن ینفی بصراحهٔ لا صراحهٔ فوقها أنه لا سلطان للشیاطین علی أولیاء اللّه و عباده الصالحین (و لو بأن یصوّروا لهم بأنهم لن یقدروا علی تحقیق آمالهم، و أهدافهم) إذ یقول:

«إِنَّ عِبادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطانٌ» «۱». و یقول أیضا:

«إِنَّهُ لَیْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَلی رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ» «۲».

إن هذه الآیات، و الآیات الاخری التی تنفی سلطان الشیطان علی أولیاء اللّه و عباده الصالحین، و تأثیره فی قلوبهم و نفوسهم لخیر شاهد و أفضل دلیل علی أنّ المقصود من تدخّل الشیطان فی تمنیات الأنبیاء لیس بمعنی إضعاف عزیمتهم، و إرادتهم و تکبیر الموانع و العراقیل فی نظرهم.

(۴) أمّا من جههٔ الآیات المبحوثهٔ فان الآیهٔ الثانیهٔ و الثالثهٔ تفسّر و تشرح علّهٔ التدخّل علی النحو الآتی:

إننا نختبر بهذا العمل فریقین من الناس: الفریق الأول: الّذین فی قلوبهم مرض، و الفریق الثانی: الذین یؤمنون باللّه و الیوم الآخر.

يعنى أنّ تدخّل الشيطان فى أعمال الأنبياء عن طريق تحريك الناس ضدّهم و ضدّ أهدافهم يوجب مخالفهٔ الفريق الأوّل و معارضتهم للانبياء فى حين يكون الأمر على العكس من ذلك فى الفريق الثانى فانه يزيد من ثباتهم و صمودهم.

(۱) الحجر: ۴۲، الاسراء: ۶۵.

(۲) النحل: ۹۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۷

و ان بيان أن لتدخل الشيطان فى تمنيات الأنبياء، مثل هذين الاثرين المختلفين (أى يحمل فريقا على المخالفهٔ و فريقا آخر على الثبات و الصمود) يفيد أن المراد بالتدخل هنا هو المعنى الثانى، يعنى ان التدخل يحصل عن طريق تحريك الناس ضدّهم، و إلقاء الوساوس فى قلوب أعدائهم، و خلق الموانع و العراقيل فى طريقهم لا أنهم يتصرفون فى نفوس الأنبياء و قلوبهم و يضعفون ارادتهم و عزمهم.

إلى هنا اتضح معنى تدخّل الشيطان فى تمنيات الأنبياء و الرسل.

و الآن حان الحين لتوضيح المطلب الآخر يعنى محو آثار هذا التدخل.

(۱)

۳- ما هو المقصود من محو آثار التدخل؟

اذا كان معنى تدخّل الشيطان هو تحريك الناس و تأليبهم ضد الأنبياء ليمنعوا الأنبياء و الرسل من التقدم فى أهدافهم، فان محو آثار التدخّل الشيطانى من قبل اللّه- حينئذ- يكون بمعنى ان اللّه يدفع عن أنبيائه و رسله كيد الشيطان ليتضح الحق للمؤمنين، و يكون اختبارا لمرضى القلوب كما يقول تعالى فى آيهٔ اخرى:

«إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» «۱».

و خلاصهٔ القول: أن القرآن يخبر- فى هذه الآيات- عن سنهٔ للّه قديمهٔ فى مجال الأنبياء و هى:

إن تمنّى التقدم فى الأهداف و تمنّى التوفيق فى هدايهٔ الناس هو فعل الأنبياء دائما.

ثم يأتى الدور لتدخّل الشيطان و أتباعه من شياطين الإنس و الجنّ، و ذلك بايجاد الموانع و العقبات فى طريق الأنبياء و الرسل.

ثم يأتى من بعد ذلك حلول المدد الإلهى الغيبىّ بمحو و فسخ كلّ التدابير الشيطانيهٔ المضادّهٔ لأهداف الأنبياء المعرقلهٔ لتحقيق أمانيّهم.

و هذه هى إحدى السنن الالهيهٔ الثابتهٔ التى جرت فى جميع الامم السالفهٔ.

(۱) غافر: ۵۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۸

(۱) إن تاريخ الأنبياء و الرسل و قصصهم من نوح و إبراهيم و أنبياء بنى إسرائيل و بخاصّهٔ موسى و عيسى عليهما السّلام، و تاريخ حياهٔ الرّسول الاكرم صلّى اللّه عليه و آله خير شاهد على هذا المطلب.

و ينبغى استكمالا لهذا البحث أن نقول: و لأجل ما ورد على هذه القصهٔ الاسطوريهٔ من مؤاخذات رفضها و فنّدها بعض المحققين من أهل السنهٔ اذ قال بعد ذكرها على النحو الذى ادرجها الطبرى فى تاريخه و أرسله ارسال المسلّمات:

«و أهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجهٔ.

و من صحّحه قال فيه أقوالا:

منها: ان الشيطان قال ذلك و أذاعه و الرسول عليه الصلاة و السّلام لم ينطق به.

(و ذكر وجوها اخرى ثم قال:) و الحديث على ما خيّلت غير مقطوع بصحته «۱».

---

(۱) راجع هوامش السيرة النبويّة: ج ۱ ص ۳۶۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۹۹

(۱)

۲۰ الحصار الاقتصادى و الاجتماعى

اشارة

إن أبسط وسيلة و أسهلها لضرب الأقليات فى أى مجتمع، و القضاء عليها هو ما يسمى بالمكافحة السلبية التى تقوم أساسا على اتحاد الأكثرية و اتفاقها على مقاطعة الأقليّه المتمرّدة.

إن عكس هذا يحتاج إلى أدوات متعددة مختلفة، لأنه يتطلب مثلا ان يحمل جماعة من المقاتلين السلاح، و تتوجه نحو الاهداف المطلوبة عبر التضحية بقدر كبير من الأنفس و الأموال، و ازالة العشرات من الموانع و السواتر، و هو أمر لا يقدم عليه القادة المحنّكون إلّا بعد توفّر كل مستلزمات المواجهة و اتخاذ جميع التدابير اللازمة، و الاستعداد الكامل، و بالتالى لا يقدمون على هذه الخطوة ما لم تدعو الضرورة إليها، و تنحصر الحيلة فى القتال.

(۲) و لكنّ المكافحة السلبية لا تتوقف على مثل هذه الامور، بل تحتاج الى أمر واحد و هو اتفاق الاكثرية. سيد المرسلين ج۱ ۴۹۹ ۲۰ الحصار الاقتصادى و الاجتماعى ..... ص : ۴۹۹

نى أن يتفق من يعنيهم الأمر و لهم عقيدة واحدة و يتحالفوا فى ما بينهم بصدق على أن يقطعوا كل صلاتهم و علاقاتهم بالأقليّة المعارضة، فيحرّموا التعامل التجاريّ معهم و يوقفوا الاتصال العائليّ بهم، و لا يشركونهم فى اعمالهم الاجتماعية و لا يتعاونوا معهم فى امورهم الشخصيّة أيضا.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۰

(۱) فى مثل هذه الحالة تضيق الأرض على الأقلية بما رحبت و تغدو الدنيا لهم على سعتها كسجن ضيق و صغير، و يصيرون عرضة للانهيار و السقوط بأقلّ قدر ممكن من الضغط عليها.

إن الاقليّة المخالفة المتمرّدة ربما تستسلم- فى هذه الحالة- و تؤوب من منتصف الطريق، و تطيع إرادة الأكثرية.

و لكن أقلية كهذه لا بد أن تكون ممّن لا تعود مخالفتها للأكثرية إلى أمر عقائدىّ و لا يكون لانفصالها. عن الاكثرية طابع اصولى مبدئيّ، كما لو كان خلافها مع الاكثرية مثلا على تحصيل ثروة أو منصب مهمّ أو ما شاكل ذلك.

فان مثل هذه الاقلية اذا أحسّت بخطر جدّى، أو واجهت العذاب و السجن و الحصار ستتراجع عن مخالفتها و تعود إلى طاعة الاكثرية مؤثرة اللّذة العابرة المؤقّتة على اللذة الاحتمالية، لأنها لم تنطلق من دوافع ايمانية اصيلة، و لم يكن المحرك لها محركا روحيا معنويا.

و لكن الجماعة التى يقوم خلافها للاكثرية على أساس الإيمان بهدف مقدس، لن تنصاع أبدا لمثل هذه الضغوط، و لن تنثنى أمام هذه الرياح و العواصف، و لا يزيدها ضغط الحصار الّا صلابة و قوة، و إصرارا و عنادا، و تردّ جميع ضربات العدوّ بالصبر و الاستقامة.

إن صفحات التاريخ البشرىّ تشهد بأن أقوى العوامل لثبات كل أقليّة و صمودها فى وجه الأكثرية هو: قوة الايمان، و عامل الاعتقاد، الذى ربما يؤدّى رسالة الثبات و المقاومة ببذل آخر قطرة دم فى ساحة المواجهة.

و لنا على هذا عشرات بل و مئات الأمثلة من التاريخ الغابر و الحاضر.

قريش تحاصر النبىّ و المسلمين اقتصاديا و اجتماعيا

اشارة

(۲) لقد شقّ على قريش انتشار الإسـلام المتزائد و أزعجها نفوذه العجيب فى القبائل العربية فى مدة غير طويلة بالنسـبة إلى عمر الدعوة و لهذا كانت تفكر باستمرار فى حلّ لهذه المشكلة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۱

فان اسـلام شخصيات ذات أهمية و مكانة كبرى مثل جمزة، و كذا رغبة فتية قريش المتفتحين فى الاسـلام، و حرية العمل و التحرك التى اكتسـبها المسـلمون على اثر الهجرة إلى أرض الحبشة، كل ذلك زاد من حيرة، و اضـطراب الزعامة الجاهلية فى مكة، التى زادها حيرة، و انزعاجا، فشل جميع مخططاتها الاجهاضية ضد الإسلام و المسلمين، و عدم حصولها على أية نتائج تذكر!!

(۱) من هنـا فكرت فى خطـة جديـدة، و هى ان تفرض حصـارا اقتصاديـا قويـا على النـبىّ و المسـلمين تقطع به كـل الشـرايين الحيوية للمسـلمين، و بـذلك تحدّ من سـرعة انتشار الاسـلام و تقف دون نفوذه، و بالتالى تخنق بين كمّاشة هذا الحصار مؤسـس هذه العقيدة التوحيدية، و أنصاره.

[قريش و الصحيفة القاطعة]

و لهـذا اجتمع زعمـاء قريش فى «دار النـدوة» و وقّعوا ميثاقـا كتبه «منصور بن عكرمـة» و علّقوه فى جوف الكعبـة، و تحـالفوا بان تلتزم قريش ببنوده حتى الموت.

و نص هذا العقد على الامور التالية:

۱- أن لا يبتاعوا من أنصار النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و لا يبيعوهم شيئا.

۲- ان لا ينكحوا إليهم و لا ينكحوهم.

۳- أن لا يؤاكلوهم و لا يكلّموهم.

۴- ان يكونوا يدا واحدة على «محمّد» و انصاره.

(۲) و قد وقعت على هذه الصـحيفة الظالمة القاطعة كل الشخصـيات البارزة فى قريش إلّا «مطعم بن عدى» و أعلنت عن سريان مفعوله بكل قوة و إصرار.

فلما علم حامى النبى الاكبر أبو طالب عليه السّـلام بذلك جمع بنى هاشم و بنى المطلب و حمّلهم مسئولية الدفاع عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الحفاظ على حياته و سـلامته، و أمرهم بالخروج من مكة و بدخول شعب كائن بين جبال مكة كان يعرف بشعب أبى طالب فيه بعض البيوت العادية، و السقائف البسيطة جدا، و السكنى فى ذلك الشعب بعيدا عن المجتمع المكّى المشرك.

و عمد الى بث رجال منهم فى نقاط مرتفعة للمراقبة و الحراسة تحسبا لأى

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۲

هجوم مباغت تقوم به قريش «۱».

(۱) و قد استمر هذا الحصار ثلاثة أعوام كاملة، و بلغ الجهد بالمحاصرين فى الشعب بحيث ارتفع صراخ الأطفال من الجوع و الضر، و بلغت هذه الصرخات مسامع قساة مكة الّا انها لم تؤثر فيهم قط.

كان الشباب و الرجال منهم يعيشون على تمرة واحدة طوال اليوم، و ربما تناصف اثنان تمرة واحدة، و لم يمكنهم الخروج من الشعب طوال هذه السنوات الثلاث الّا فى الاشهر الحرم حيث يسود الأمن كل انحاء الجزيرة العربية.

فاذا حلّ الموسم كانت بنو هاشم تخرج من الشعب فيشترون و يبيعون ثم يعودون إلى الشعب إلى الموسم الثانى.

و كان النبى صلّى اللّه عليه و آله يستغلّ هو أيضا تلك المواسم فى نشر دينه، و الدعوة الى ما أتى به.

و كانت عناصر قريش تحاول مضايقة النبى و أنصاره و تمارس الحصار الاقتصادى عليهم بشكل من الأشكال حتى فى هذه المواسم، فكانوا يحضرون عند مواقع البيع و الشراء فاذا وجدوا مسلما يريد أن يبتاع شيئا اشتروه بثمن أغلى ليمنعوا المسلم منه!!

(۲) و كان «أبو لهب» اكثر الناس اصرارا على هذا العمل، فقد كان ينادى فى الأسواق: يا معشر التجار، غالوا على أصحاب محمّد حتى لا يدركوا معكم شيئا فقد علمتم مالى و وفاء ذمتى فانا ضامن أن لا خسار عليكم، فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع الرجل المسلم إلى اطفاله و هم يتضاغون من الجوع و ليس فى يديه شىء يطعمهم به، و يغدو التجار على أبى لهب فيربّحهم فيما

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۵۰، و تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۷۸، و قد كتبت هذه الصحيفة الظالمة فى الليلة الاولى من السنة السابعة للبعثة و عند ما عرف ابو طالب بأمرها أنشد قصيدة فى ذمهم مطلعها:

أ لم تعلموا أنا وجدنا محمّدانبيا كموسى خطّ فى أول الكتب

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۳

اشتروا من الطعام و اللباس!! «۱».

و كان «الوليد بن المغيرة» ينادى: أيّما رجل منهم وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه فكانت قريش تباكرهم إلى الاسواق فيشترونها فيغلونها عليهم.

(۱)

وضع بنى هاشم المأساوى فى الشعب

لقد بلغ الجهد و الجوع بالمحاصرين فى الشعب حدّا جعلهم يأكلون كل ما تقع عليه ايديهم من الخبط و ورق السمر حتى أن «سعد بن أبى وقاص» يقول: لقد جعت حتى أنى وطئت ذات ليلة على شىء رطب فوضعته فى فمى و بلعته، و ما أدرى ما هو الى الآن «۲».

هذا و قد بثّت قريش جواسيسها على الطرق المؤدّية إلى الشعب ليمنعوا من إيصال الطعام إلى من فيه فلا يصل إليهم شىء إلّا سرا و مستخفى به ممّن أراد صلتهم من قريش.

فقد روى أن «حكيم بن حزام» (ابن اخ خديجة) و «أبو العاص بن الربيع» و «هشام بن عمرو» كانوا يسرّبون الى «بنى هاشم» فى الشعب سرّا و فى أواسط الليل تحت جنح الظلام، فكان الواحد منهم يحمل قمحا و تمرا على بعير و يأتى به إلى باب الشعب ثم يصيح بها فتدخل الشعب و يأكله بنو هاشم.

و ربما صادفهم بعض جواسيس قريش، فهمّوا بقتله، أو سبّبوا له بعض المتاعب.

(۲) فقد روى أن «حكيم بن حزام» خرج يوما و معه انسان يحمل طعاما إلى عمته خديجة بنت خويلد (زوجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كانت معه الشعب طيلة أعوام الحصار) إذ لقيه «أبو جهل» فقال له: تذهب بالطعام إلى بنى هاشم؟ و اللّه لا تبرح أنت و لا طعامك حتى أفضحك عند قريش بمكة.

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۳۷ الهوامش.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۳۷ الهوامش.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۴

فقال له أبو البخترىّ- و كان من أعداء الاسلام هو أيضا-: تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده؟

فأبى «ابو جهل» أن يدعه إلا أن يأخذه إلى قريش، فقام إليه «ابو البخترى» بساق بعير فضربه و وطأه وطئا شديدا «۱».

(۱) و خلاصة القول؛ أن قريشا بالغت فى تضييق الحصار على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و من تبعه حتى أن من كان يدخل «مكة» من العرب. كان لا- يجسر على أن يبيع من بنى هاشم شيئا و من باع منهم شيئا انتهبوا ماله، و كان «أبو جهل»، و «العاص بن وائل» و «النضر بن الحارث بن كلدة»، و «عاقبة بن أبى معيط» يخرجون إلى الطرقات التى تدخل «مكة» فمن رأوه معه ميرة و طعام نهوه ان يبيع من بنى هاشم شيئا، و يحذرون إن باع شيئا منهم نهبوا ماله.

كما وعدوا على من أسلم فاوثقوهم و آذوهم و اشتدّ البلاء عليهم، و أبدت قريش لبنى عبد المطلب الجفاء.

و لكن لم يستطع كل ذلك أن يفتّ فى عضد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و يقلل من إصراره و ثباته على الطريق، و لا من اصرار أتباعه و ثباتهم و إيمانهم.

و أخيرا تركت صرخات أطفال بنى هاشم فى الشعب من الجوع و العرى و الجهد و الضر، و أوضاعهم المأساوية أثرها فى نفوس بعض المشركين الموقعين على تلك الصحيفة الظالمة، و ذلك الميثاق المشؤوم، فندموا على إمضائهم لتلك المقاطعة بشدة و صاروا يفكّرون فى نقضها بشكل من الأشكال.

(۲) فمشى «هشام بن عمرو» الى «زهير بن أبى أميّة» (و كان من أحفاد عبد المطلب من جانب بناته) و قال له و هو يحثه على نقض الصحيفة: يا زهير أ قد رضيت أن تأكل الطعام، و تلبس الثياب، و تنكح النساء، و أخوالك حيث قد علمت لا يباعون و لا يبتاع منهم، و لا ينكحون و لا ينكح إليهم؟

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۵۴، هذا و يشكّك أحد المحققين فى نوايا حكيم بن حزام فى هذا العمل، و فى أن يكون قد حصل بدافع الوفاء لوشيجة القربى، بل كان بدافع الربح الاكثر لما تبت- حسب قوله- من انه كان يحتكر الطعام على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۵

أمّا إنى أحلف باللّه أن لو كانوا أخوال أبى الحكم (أى أبى جهل) ثم دعوته الى ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا؟

فقال زهير: ويحك يا هشام فما ذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد و اللّه لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها حتى أنقضها. قال: قد وجدت رجلا.

قال فمن هو؟ قال: أنا.

(۱) قال له زهير: أبغنا رجلا ثالثا. فذهب إلى «المطعم بن عدى» فقال له:

يا مطعم أ قد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف، و أنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيه! أما و اللّه لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنّهم إليها منكم سراعا؟

قال: و يحك! فما ذا أصنع؟ انما أنا رجل واحد.

قال: قد وجدت ثانيا.

قال: من هو؟ قال: أنا.

قال: أبغنا ثالثا.

قال: قد فعلت.

قال: من هو؟

قال: زهير بن أبى أميّة.

قال: أبغنا رابعا.

(۲) فذهب إلى «البخترى بن هشام» فقال له نحوا ممّا قال للمطعم بن عدى، فقال: و هل من أحد يعين على هذا؟

قال: نعم.

قال: من هو؟

قال: «زهير بن أبى أميّة» و «المطعم بن عدىّ» و أنا معك.

فقال: ابغنا خامسا.

فذهب إلى «زمعة بن الأسود بن المطلب» فكلّمه و ذكر له قرابتهم و حقّهم فقال له: و هل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد؟

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۶

قال: نعم ... ثم سمّى له القوم الذين وعده بالمساعدة على نقض تلك الصحيفة القاطعة الظالمة.

فاتفقوا على أن يحضروا فى أندية قريش فى المسجد و يعلنوا مخالفتهم لتلك الصحيفة.

(۱) فلمّا أصبحوا غدوا إلى مجلس قريش فى المسجد الحرام فأقبل «زهير بن أبى اميّة» على الناس و قال:

يا أهل مكة أ نأكل الطعام و نلبس الثياب، و بنو هاشم هلكى لا يباع لهم و لا يبتاع منهم؟ و اللّه لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

فقال أبو جهل و كان فى ناحية المسجد: كذبت و اللّه لا تشقّ.

فانتصر زمعة لزهير و ردّ على أبى جهل قائلا: أنت و اللّه أكذب، ما رضينا كتابها حيث كتبت.

و قال أبو البخترى من ناحية مؤيدا موقف زميله: صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها، و لا نقرّ به.

و قال المطعم بن عدى: صدقتما و كذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى اللّه منها، و ممّا كتب فيها.

و قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك.

فأحسّ أبو جهل بأنّ ذلك كان أمرا مبيّتا مدبّرا من قبل فقال:

هذا أمر قضى بليل، تشوور فيه بغير هذا المكان.

و كان أبو طالب- حسب بعض الروايات التاريخية- جالسا ذلك اليوم فى ناحية المسجد، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقّها فوجد (الأرضة) «۱» قد أكلتها، إلّا «باسمك اللّهم» التى صدّرت بها تلك الصحيفة و هى جملة كانت قريش تبدأ بها عهودها و رسائلها.

فلما رأى «أبو طالب» ذلك رجع الى الشعب و أخبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه

---

(۱) و هى دودة بيضاء شبه النملة و هى آفة كل شيء من خشب أو نبات راجع لسان العرب مادة: ارض

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۷

و آله بما جرى، و عاد المحاصرون فى الشعب إلى منازلهم مرة اخرى بعد المشورة مع «أبى طالب».

(۱) و يروى طائفة من المؤرخين أنّ «خديجة» و «أبا طالب» أنفقا أموالهما برمّتها خلال سنوات المحاصرة.

و فجأة نزل ملك الوحى «جبرئيل» على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الشعب، و أخبره بان اللّه قد بعث على صحيفة المشركين القاطعة دابّة الأرض فلحست (أو اكلت) جميع ما فيها من قطيعة و ظلم و تركت جملة «باسمك اللّهم» فأخبر رسول اللّه أبا طالب بذلك قائلا- يا عمّ إنّ ربّى اللّه قد سلّط «الأرضة» على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو للّه إلّا أثبتته فيها، و نفت منه الظلم و القطيعة و البهتان.

فقال أبو طالب: إذن لا يدخل عليك أحد «١».

(٢) ثم قام و لبس ثيابه، و مشى هو و رسول اللّه و شخص آخر حتى دخلوا المسجد على قريش و هم مجتمعون فيه، فلما دنا أبو طالب منهم قاموا إليه و عظّموه، و تباشروا و ظنّوا أن الحصر و البلاء حمل أبا طالب على التخلّى عن موقفه، فقالوا له: قد آن لك ان تطيب نفسك عن قتل رجل فى قتله صلاحكم و جماعتكم (أو قد آن لك أن تسلّم إلينا ابن أخيك).

فقال أبو طالب: و اللّه ما جئت لهذا، و لكنّ ابن أخى أخبرنى و لم يكذّبنى أنّ اللّه تعالى أخبره أنّه بعث على صحيفتكم القاطعة دابّة فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم و ظلم و جور و ترك اسم اللّه، فهلم صحيفتكم فان كان حقا فاتقوا اللّه و ارجعوا عمّا أنتم عليه من الظلم و الجور و قطيعة الرّحم.

و إن كان باطلا دفعته إليكم فان شئتم قتلتموه، و إن شئتم استحييتموه.

فقالوا: رضينا، و تعاقدوا على ذلك.

---

(١) و إنّما اتخذ مثل هذا الاجراء حتى لا يفشوا ذلك الخبر فيبلغ المشركين فيحتالوا للصحيفة، و يكذّبوا بذلك خبر النبيّ صلّى اللّه عليه و آله.

سيد المرسلين ،ج١،ص:٥٠٨

ثم بعثوا إلى الصحيفة و أنزلوها من الكعبة، و عليها أربعون خاتما.

فلما أتوا بها نظر كل رجل منهم إلى خاتمه، ثم فكوها فاذا ليس فيها حرف واحد إلّا «باسمك اللّهمّ»، كما اخبرهم بذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

(١) غير أنّ هذا لم يوجب هدايتهم بل زادهم شرا و عنادا و رجع بنو هاشم مرّة اخرى إلى الشعب و بقوا محاصرين فيه مدّة من الزمن و لم يمكنهم الرجوع الى منازلهم بمكة إلّا بعد أن نقضها هشام.

و قد قال «أبو طالب» فى مدح هذا (أى نقض الصحيفة القاطعة و النفر الذين قاموا بنقضها) قصيدة مطوّلة جاء فى مطلعها.

ألا هل أتى بحريّنا «١» صنع ربّناعلى نأيهم و اللّه بالناس أرود «٢»

فيخبرهم أنّ الصحيفة مزّقتو ان كلّ ما لم يرضه اللّه مفسد «٣» (٢) هذه أمثلة و نماذج من ردود الفعل الظالمة و المواقف المناوئة التى اتخذتها قريش تجاه الدعوة المحمدية.

على أنه لا يمكن الادّعاء القطعيّ بأن جميع هذه الردود قد وقعت على الترتيب الذى ذكرناه تماما، و لكن يمكن بمراجعة النصوص التاريخيّة تحصيل مثل هذا الترتيب و خاصّة أن مسألة انتهاء المحاصرة الاقتصادية قد وقعت فى منتصف شهر رجب من السنة العاشرة للبعثة الشريفة.

(٣) كما أنّ أذى قريش و ردود فعلها ضدّ الاسلام و المسلمين و ضدّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خاصّة لم تنحصر فى ما ذكرناه فى هذه الفصول بل كان هناك أساليب اخرى سلكتها قريش لتحطيم شخصية النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و أضعاف عزيمته مثل وصفهم للنبى صلّى اللّه عليه و آله بالأبتر.

فقد كان «العاص بن وائل السهمى» إذا ذكر رسول اللّه قال: دعوه، فانّما هو رجل أبتر لا عقب له، لو مات لانقطع ذكره و استرحتم منه.

(۱) یقصد من هاجر من المسلمین إلی الحبشهٔ فی البحر.

(۲) أی أرفق.

(۳) السیرهٔ النبویهٔ: ج ۱ ص ۳۷۷- ۳۸۰ و قد أدرج ابن هشام القصیدهٔ بتمامها، فراجع.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۰۹

فانزل اللّه تعالی فی ذلک سورهٔ الکوثر التی یقول فیها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ إِنَّا أَعْطَیْناکَ الْکَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ انْحَرْ إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ».

و قد أخبر بها اللّه نبیّه بأنه سیهبه ذریّهٔ کثیرهٔ «۱».

و لقـد کتب العلّامـهٔ الفخر الرازی فی تفسیره لهذه السورهٔ «۲»: المعنی أنه یعطیه نسـلا یبقون علی مرّ الزمـان، فـانظر کم قتـل من أهل البیت؟ ثم العالم ممتلئ منهم، و لم یبق من بنی امیّهٔ فی الدنیا أحد یعبأ به.

و وجه المناسـبهٔ أن الکافر شـمت بالنبیّ حین مات أحـد أولاده و قال: ان محمّـدا ابتر فان مات مات ذکره، فانزل اللّه هذه السورهٔ علی نبیّه تسـلیهٔ له کأنه تعالی یقول: ان کان ابنک قـد مات فانا اعطیناک فاطمـهٔ، و هی و إن کانت واحدهٔ و قلیلهٔ، و لکن اللّه سـیجعل هذا الواحد کثیرا.

(۱) السیرهٔ النبویهٔ: ج ۱ ص ۳۹۳ و جمیع التفاسیر.

(۲) مفاتیح الغیب: الجزء الثلاثون سورهٔ الکوثر.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۱۱

(۱)

۲۱ وفاهٔ أبی طالب و خدیجهٔ الکبری

اشارهٔ

فی الوقت الذی کنّا نسطّر فیه مواضیع هذا الفصل کان سجن «القطیف» یضمّ بین جدرانه شابا حر الضمیر شجاعا مقداما لم یکن له من ذنب إلاـ أنه الّف کتابـا بـاسم «أبو طـالب مؤمن قریش» یتناول إسـلام «أبی طالب» و إیمانه و إخلاصه مثبتا کل ذلک من مصادر أهل السنّهٔ «۱».

فطلبت منه السـلطات القضائیّـهٔ فی الحجـاز- و فی عصـر یتسم بحرّیـهٔ التفکیر البیـان و الاعتقـاد- بأن یتراجع عن کلامه، و حیث إنه لم یکن لیرید أن ینکر حقیقهٔ اعتقد بها عن قناعهٔ و یقین، حکمت علیه تلک السلطات بالاعدام.

و قد نجا هذا الفتی الشجاع و الکاتب الحرّ من الاعدام اثر جهود اسلامیهٔ واسعهٔ و خفّضت عقوبته الی الحبس المؤبّد، الذی خفّض اثر جهود اسلامیهٔ مرّهٔ اخری الی عقوبهٔ الجلد ثمانین جلدهٔ!!.

(۲) و هو الآن یلبث فی أحد السـجون بانتظار المصـیر، المجهول اذ علی المسـلمین إما أن یهتمّوا بالأمر و یطلبوا من السلطات القضائیهٔ السعودیهٔ صرف النظر عن

(۱) و الکتـاب یقع فی ۳۴۰ صـفحهٔ طبع بحجم الوزیری و طبع فی بیروت مرارا و قـدّم علیه الأـدیب اللبنانی المعروف «بولس سـلامهٔ»

صاحب ملحمة الغدير و ملاحم اخرى.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۱۲

عقوبته، بل و الافراج عنه نهائيا.

و إما أن يفقد هذا الشاب المجاهد الشجاع البرىء حياته تحت سياط تلك السلطات الجائرة الحاكمة زورا و قهرا على أرض الحجار «۱» «۲»

(۱) لقد سقطت مؤامرة الحصار الاقتصادى ضدّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و المسلمين بفعل إقدام ثلة من ذوى المروءة و أيضا بفضل صمود النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه و ثباتهم العظيم. و خرج النبىّ و أنصاره من «شعب أبى طالب» بعد ثلاث سنوات من النفى و العذاب و عادوا إلى منازلهم ظافرين مرفوعى الرءوس.

و عاد التعامل الاقتصادى مع المسلمين الى ما كان عليه قبل الحصار، و كانت أوضاع المسلمين تسير نحو الانتعاش و الانفراج شيئا فشيئا، و اذا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يفاجأ بحادث مؤلم مرّ ذلك هو وفاة شخصية كبرى أحدث فقدانها أثرا سيّئا فى نفوس المسلمين و بخاصة المستضعفين منهم.

و لقد كان هذا الأثر عظيما جدا بحيث لا يمكن قياسه بشىء بالنظر الى تلك الظروف الحساسة، و ذلك لأن نمو أية عقيدة و فكرة إنما يكون فى ظل عاملين أساسيّين: أحدهما: حرية التعبير، و الآخر: القوة الدفاعية التى تحمى أصحاب تلك العقيدة و الفكرة ضدّ حملات الخصوم التى لا ترحم.

و لقد كان المسلمون- آنذاك- يتمتعون بحرية البيان و التعبير، و لكنهم افتقدوا- بسبب الحادث المفاجئ المذكور العامل الجوهرى و المصيرى الثانى يعنى:

حامى الاسلام و المدافع الوحيد عنه الذى وافته المنية فى تلك الايام الحساسة

---

(۱) لقد سمّيت أراضى «الحجاز» و «نجد» و «تهامة» باسم عائلة واحدة هى آل سعود، و اخيرا حملت هذه المنطقة التى كانت تعرف و حتى إلى ما يقرب من قرنين بارض الحجاز اسم المملكة العربية السعودية. يا له من استئثار و جرأة على المقدسات!!

(۲) و اخيرا نجا هذا الشاب المؤمن و المجاهد الحرّ بفضل جهود علماء الشيعة و مفكّريهم المتضافرة و الواسعة النطاق و اخلى سبيله و قد زار- للاعراب عن شكره- مدينة قم المقدّسة و قد التقينا به أيضا كما زار اماكن اخرى لنفس الغرض.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۱۳

و حرم المسلمون بوفاته من حمايته و دفاعه، و وقايته.

(۱) أجل لقد فقد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حاميه العظيم الذى تولى مهمة كفالته و الدفاع عنه، و المحافظة على حياته بصدق و اخلاص و جدّ و رغبة و كان يقيه بنفسه و ذويه و يؤثره على نفسه و أولاده و ينفق عليه من ماله حتى كبر و صار له مال و طول منذ أن كان صلّى اللّه عليه و آله فى السنة الثامنة من عمره و حتى يوم وفاة ذلك الحامى العظيم، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الخمسين من عمره.

لقد فقد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله شخصية خاطبها عبد المطلب عند وفاته بالشعر قائلا:

اوصيك يا عبد مناف بعدى‌بموحد بعد أبيه فرد فأجابه أبو طالب قائلا: يا أبه لا توصينّ بمحمّد فانه ابنى و ابن أخى «۱».

(۲) و لعلّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد تذكر فى اللحظة التى ظهر فيها على جبين ابى طالب عرق الموت جميع الحوادث الحلوة و المرة و قال فى نفسه:

(۳) ۱- إن هذا الشخص المسجّى على فراش الموت هو عمّه الرءوف الذى ظلّ يحرسه بالليل و النهار طيلة سنوات الحصار فى

الشعب، فاذا جاء الليل قام عند رأسه بالسيف يحرسه. و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مضطجع ثم يقيمه من فراشه إذا مضى شطر من الليل و يضجعه فى موضع آخر و يضجع مكانه ولده «على بن أبى طالب» حتى لا تغتاله قريش بعد أن رصد و امكانه، و كمنوا له، و كان يفعل أبو طالب ذلك طوال الليل كله فيفدينى بولده «على» و يقينى به حتى إذا قال له «على» ليلة:

«يا أبتاه إنى مقتول ذات ليلة».

فأجابه أبو طالب بنبرة المتحمّس الصبور:

---

(١) عمدة الطالب: ص ۶ و فيه بواحد، المناقب: ج ١ ص ٢١.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۱۴ اصبرن يا بنىّ فالصبر أحجى كلّ حىّ مصيره لشعوب

قد بلوناك و البلاء شديدلفداء النجيب و ابن النجيب فأجابه «علىّ» بكلام اكثر حلاوة و عمقا قائلا:

أ تأمرنى بالصّبر فى نصر أحمد؟و و اللّه ما قلت الّذى قلت جازعا

و لكنّنى أحببت أن تر نصرتىو تعلم أنّى لم أزل لك طائعا «۱» (١) ٢- إن هذا الجثمان الذى فارقته الروح هو جثمان عمّى العطوف الذى شرّد هو و ذووه، و عرّض نفسه و أهله للبلاء و المحنة بسبب الحصار لأجلى، و أمر بأن يحرسوننى ليل نهار، تاركا زعامته و سيادته، و كلّ شئونه للحفاظ علىّ و الإبقاء على رسالتى و أرسل إلى قريش رسالة قوّية أعلن فيها عن وقوفه إلى جانبى و انه لن يسلمنى و يخذلنى ما دام حيّا إذ قال:

فلا تحسبونا خاذلين محمّدالذى غربة منّا و لا متقرّب

ستمنعه منّا يد هاشميّةو مركبها فى الناس أخشن مركب «۲» بعد أن تحقق موت «ابى طالب» ارتفع الصراخ و النحيب من منازله و بيوته، و اجتمع حول بيته العدوّ و الصديق، و القريب و البعيد، و اشترك الجميع فى مراسم دفنه بقلوب آلمتها الفجيعة به، و قرّحها الحزن عليه.

و هل ترى تنتهى آثار و ردود فعل وفاة شخصية عظيمة الشأن مثل «ابى طالب» الذى كان زعيم قريش، و سيد عشيرته بمثل هذه السرعة، و البساطة؟

كلا بل سيكون لفقدانه اكبر الأثر على مسيرة الدعوة كما ستعرف ذلك مستقبلا.

(٢)

نماذج من مشاعر أبى طالب

اشارة

ان التاريخ البشرىّ يحتفظ فى صفحاته بأمثلة كثيرة عن مشاعر تبادلها

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ج ١ ص ۶۴، الحجّة: ص ٧٠، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١- ١٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ۴ ..

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۱۵

الأشخاص و عواطف وديّة قويّة أبداها البعض تجاه بعض تدور اكثرها حول محور الدوافع المادية كالتى تدور حول معيار الجمال أو

المال، و لهذا سرعان ما یذهب الحماس و ینطفئ شعلة الحبّ، و یتضاءل لهیب العاطفة فی کیانهم حتی تزول بالمرّة و لا یبقی منها شیء أبدا لعدم ثبات هذه الدوافع.

(۱) و لکنّ المشاعر و العواطف التی تنبع من أواصر الایمان بفضائل شخص ما و کمالاته الروحیة و المعنویة لا تنمحی و لا تتلاشی بسرعة.

و قد کانت مودة «أبی طالب» لمحمّد صلّی اللّه علیه و آله و حبّه الشدید له تنبع من کلا هذین الدافعین.

فقد کان «أبو طالب» یؤمن بمحمّد صلّی اللّه علیه و آله و یری فیه من جانب الانسان الکامل، بل یعتبره فی قمة الکمال الانسانی، و من جانب آخر کان «محمّد» ابن أخیه، و قد أحلّه ذلک من قلبه محلّ الابن و الأخ.

لقد کانت لصفات «محمّد» و خصاله المعنویة و الأخلاقیة، و طهره مکانة کبری فی قلب عمّه «أبی طالب» إلی درجة أنه کان یصطحبه معه إلی المصلّی، و یستسقی به أی انه یقسم علی اللّه بمقامه أن یدفع عن الناس القحط و الجدب و ینزّل علیهم الغیث، فکانت دعونه تستجاب من دون تأخیر.

(۲) فقد نقل کثیر من المؤرخین الحادثة التالیة:

قحط الناس فی «مکة» و حوالیها سنة من السنین، و منعت السماء و الأرض برکاتهما عنهم بشکل عجیب، فمشت قریش بعیون باکیة إلی «أبی طالب» تطلب منه بالحاح أن یستسقی لهم، و ان یذهب الی المصلی و یدعو ربّه لینزّل علیهم المطر و ینقذهم من تلک المحنة الصعبة.

فخرج «أبو طالب» و قد اخذ بید غلام کأنه شمس دجن تجلّت عنها غمامة فاسند ظهره إلی الکعبة و رفع وجهه نحو السماء و قال: یا رب هذا الغلام اسقنا غیثا مغیثا، دائما هاطلا.

(۳) و یکتب المؤرخون ان السماء کانت صافیه لا غیم فیها أبدا ساعة استسقی «أبو طالب» برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لکن ما ان فرغ «أبو طالب» من دعائه

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۱۶

إلّا و أقبلت السحاب فی الحال، و غطّت سماء «مکة» و ما حولها من المناطق القریبة إلیها، و ارعدت السماء و أبرقت ثم جری غیث عظیم سالت به الأودیة، و روّت القریب و البعید، و سرّ به الجمیع و رضوا «۱».

و قد اشار «أبو طالب» فی لامیّته المعروفة الی هذه الحادثة.

(۱) و قد أنشأ «أبو طالب» تلک القصیدة فی أحلک الظروف و اشدّها، یوم زادت قریش من ضغوطها علی حامی الرسول صلّی اللّه علیه و آله لیسلّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلیها.

و قد ذکّر فیها «أبو طالب» قریشا بحادثة الاستسقاء برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قبل الاسلام و کیف أنها امطرت ببرکته، بعد قحط طویل، و جدب مهلک، کاد یبید الحرث و الضرع، و ذلک عند ما یقول:

و ابیض یستسقی الغمام بوجههربیع الیتامی عصمة للأرامل

تلوذ به الهلاک من آل هاشمفهم عنده فی نعمة و فواضل و قد نقل «ابن هشام» فی سیرته «۲» أربعة و تسعین بیتا من هذه القصیدة، فیما أورد «ابن کثیر» الشامی فی تاریخه «۳» اثنین و تسعین بیتا فقط.

و هی قصیدة فی منتهی الروعة و العذوبة، و فی غایة القوة و الجمال، و تفوق فی هذه الجهات کل المعلقات السبع التی کان عرب الجاهلیة یفتخرون بها، و یعدونها من ارقی ما قیل فی مجال الشعر و النظم.

(۲) و قد أورد «ابو هفان العبدی» الجامع لدیوان «أبی طالب» مائة و واحدة و عشرین بیتا من هذه القصیدة فی ذلک الدیوان، و یمکن ان تکون کل تلک القصیدة و تمامها.

و نحن نورد هنا أبياتا متفرقة من هذه القصيدة مما يتصل منها برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بصورة صريحة.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲ و ۳، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۱۱- ۱۱۶، الملل و النحل المطبوع بهامش الفصل فى الأهواء و الملل: ج ۳ ص ۲۲۵.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۷۲- ۲۸۰.

(۳) البداية و النهاية: ج ۳ ص ۵۲- ۵۷.

كذبتم و بيت اللّه نبزى محمّداو لما نطاعن دونه و نناظل «۱»

و نسلمه حتّى نصرّع دونهو نذهل عن أبنائنا و الحلائل

لعمرى لقد كلّفت وجدا بأحمدو إخوته دأب المحبّ المواصل

فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلهاو زينا لمن والاه ربّ المشاكل «۲»

فمن مثله فى الناس أى مؤمّلإذا قاسه الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائشيوالى إلها ليس عنه بغافل

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذّبلدينا و لا يعنى بقول الأباطل

فأصبح فينا احمد فى ارومةتقصّر عنه سورة المنطاول «۳»

حدبت بنفسى دونه و حميتهو دافعت عنه بالذّرا و الكلاكل «۴»

فأيّده ربّ العباد بنصرهو أظهر دينا حقّه غير باطل «۵» (۱)

التغيير فى برنامج السفر

لم يكن يمض اكثر من اثنى عشر ربيعا من عمر «محمّد» بعد، عند ما أراد «أبو طالب» التوجّه إلى الشام مع قافلة قريش التجارية.

و عند ما استعدّت القافلة لمغادرة مكة ودق جرس الرحيل، أخذ «محمّد» فجأة بزمام الناقة التى كان يركبها عمّه و كافله «أبو طالب» بينما اغرورقت عيناه صلّى اللّه عليه و آله بالدموع و قال:

«يا عمّ إلى من تكلنى، لا أب لى و لا أم»؟.

هذا المشهد المؤثر و بخاصة عند ما رأى «أبو طالب» عينى محمّد و قد اغرورقت بالدموع، فعل فعلته فى نفس العم الكافل الحنون، فانحدرت عبرات العطف من عينيه و قرر من فوره و من دون سابق تفكير فى الموضوع أن يصطحب ابن اخيه «محمّدا» معه فى هذه الرحلة، و مع أنه لم يحسب لهذا الأمر- من قبل-

---

(۱) اى نغلب عليه.

(۲) المشاكل: العظيمات من الامور.

(۳) السورة: الشدة و البطش.

(۴) الذرا: جمع ذروة و هى اعلى ظهر البعير.

(۵) راجع السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۷۲- ۲۸۰.

أی حساب، فان «أبا طالب» قبل بان یتحمّل کل ما یترتب علی قراره هـذا، فحمله معه علی ناقته، و بقی یفکر فی أمره، و یـدبّر شأنه، و یحافظ علیه طوال تلک الرحلهٔ، و شـهد منه اثناء الطریق کرامات و خوارق، و قد أنشأ فی ذلک قصـیدهٔ موجودهٔ فی دیوان أبی طالب، و مطلع هذه القصیدهٔ هو:

إنّ ابن آمنهٔ النبیّ محمّداعندی یفوق منازل الأولاد «۱»

(۱)

الدفاع عن حوزهٔ العقیدهٔ و الایمان

لیست هناک قوهٔ تساعد علی الثبات و المقاومهٔ، و الصمود و الاستقامهٔ، مثل قوهٔ الایمان، فالایمان بالهدف هو العامل القوی وراء تقدّم الانسـان فی میـدان الحیـاهٔ، فهو الـذی یهضم فی نفسه کـل الآلام و المتاعب، و یـدفع بالمرء الی المضـی قـدما فی طریق الوصول إلی أهدافه المقدّسهٔ، حتی و لو کلفه ذلک التعرض للموت.

إنّ الجندیّ المسلّح بقوهٔ الإیمان منتصر لا محالهٔ.

إن الجندیّ الذی یعتقد بأن الموت فی طریق العقیدهٔ هو عین السعادهٔ لا بدّ أن یحرز النصر.

إن علی الجنـدی- قبـل أن یسلّح نفسه بسـلاح العصـر- أن یتزود فی قلبه من طاقـهٔ الإیمـان بالهـدف، و یضـیء قلبه بمصـباح الاعتقاد بالحقیقهٔ، و حبّها، و یجب أن یکون جهاده و صلحه من أجل العقیدهٔ و الدفاع عن حوزتها، و کیانها.

(۲) إنّ أفکارنا و عقائدنا نابعهٔ من روحنا، و فی الحقیقهٔ انّ فکر الانسان ولید عقله، فکما أنّ الانسان یحب ولده الجسـمانی حبّا شدیدا کذلک یحب أفکاره التی هی ولائد عقله و روحه، بل إن حبّ الانسان لعقیدته اکثر من حبّه

---

(۱) دیوان أبی طالب: ص ۳۳- ۳۵، تاریخ ابن عساکر: ج ۱ ص ۲۶۹- ۲۷۲، الروض الآنف: ج ۱ ص ۱۲۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۱۹

لأولاده الجسمانیّین، و لهذا فهو یدافع عن عقائده حتی الموت، و یغضی- فی سبیل الدفاع عن حوزهٔ العقیدهٔ و الحفاظ علیها- عن کل شیء، بینما هو غیر مستعدّ لأن یضحی بنفسه فی سبیل الحفاظ علی اولاده.

(۱) إنّ حب المرء للمال و المنصب حبّ محدود، فهو ینساق مع هذا الحبّ ما دام لم یهدّد حیاته خطر الموت الحقیقی، و لکنّه مستعد لأن یمضـی- فی سبیل الدفاع عن حیاض العقیدهٔ- الی حدّ الموت، و یؤثر الموت الشـریف فی سبیل العقیدهٔ علی الحیاهٔ، و یری الحیاهٔ الحقیقیهٔ و الواقعیهٔ فی وجود الرجال المجاهدین، و هو یردد:

«إنما الحیاهٔ عقیدهٔ و جهاد» «۱».

و لنلق نظرهٔ فاحصهٔ علی حیاهٔ بطل حدیثنا (و نعنی به المدافع الوحید عن الاسلام و حامی الرسول الاوحد فی بدایات عهد الرسالهٔ) فما ذا کان دافعه الی هـذا الأمر، و ما الـذی کان یحرکه فی هـذا السبیل؟ و أی شـیء کان وراء مضـیه فی هـذا الطریق الی حافـهٔ العدم، و الغض عن النفس و النفیس، و المقام، و القبیلهٔ و غیر ذلک و التضحیهٔ بکل ذلک فی سبیل «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

إن من المتیقّن أن دافعه الی ذلـک لم یکن المحرک المادیّ، و بالتالی لم یقصـد من وراء الـدفاع عن ابن اخیه، و حمایته، و الحـدب علیه، کسب أمر مادی کتحصیل مال و ثروهٔ، لأن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لم یکن له یومئذ مال، و لا ثروه.

(۲) و کمـا أن مقصود «أبی طـالب» لم یکن أیضـا تحصـیل مقـام، و أحراز مکـانه اجتماعیـهٔ لأنه کان یملک فی ذلک المجتمع أعلی المناصب و اهمها، فقـد کانت له رئاسـهٔ «مکـهٔ» و البطحاء، بل هو فقد منصـبه و شخصـیته الممتازهٔ و مکانته المنقولهٔ بسـبب دفاعه عن

«محمّد»، و عدم الاستجابة لقومه فى تسليمه إليهم، و التخلى عنه لأن دفاعه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد استوجب سخط زعماء عليه، و استياءهم من موقفه، و خروجهم عن طاعته، و دفعهم الى التمادى

(۱) المراد من العقيدة المقدسة هو بطبيعة الحال ما تذوب «الأنا» فيها فى التوحيد و الايمان باللّه اذ هنا يصدق قوله:

قف عند رأيك و اجتهدإنّ الحياة عقيدة و جهاد

فى معاداة «بنى هاشم» و «أبى طالب» و الثورة عليهم!!

(۱)

تصوّر باطل [عن مشاعر أبى طالب تجاه النبى ص]

ربما يتصور بعض ضعفاء البصيرة أن علة حدب «أبى طالب» على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و التضحية فى سبيله بالنفس و النفيس كانت هى: علاقة القربى، و وشيجة الرحم، أو بتعبير آخر: إن التعصب القبلىّ، و العصبية القومية هو الذى دفع بأبى طالب إلى ان يعرّض نفسه لكل ذلك المكروه فى سبيل ابن اخيه.

و لكنّ هذا ليس سوى مجرّد تصور باطل لا غير، و يتضح بطلانه بدراسة مختصرة لأنه لا تستطيع أية وشيجة قربى على أن تدفع أحدا إلى أن يضحى بنفسه فى أحد أقربائه الى هذه الدرجة من التضحية و المفاداة، بحيث يقى مثلا ابن أخيه عليه، و يكون مستعدا لأن يتقطّع ولده بالسيوف إربا إربا دون ابن أخيه.

إن العصبيات القبائلية و العائلية و ان كانت تدفع بالانسان حتى الى حافة الموت، و لكن لا معنى لان تختص، هذه الحماية الناشئة عن العصبية العائلية و القبلية الشديدة بفرد واحد، و شخص خاص معيّن من أفراد العائلة و القبيلة، فى حين نجد «أبا طالب» قد قام بكل هذه التضحية فى سبيل شخص واحد، و فرد معين (أى النبيّ)، و لا يفعل مثل هذه فى سبيل غيره من أبناء «عبد المطلب» و «هاشم» و أحفادهما و من ينتمى إليهم بوشيجة القربى و رابطة الرحم.

(۲)

الدافع الحقيقىّ لأبى طالب

و على هذا الأساس فانّ المحرّك و الدافع الحقيقىّ لأبى طالب لم يكن أمرا ماديا و لا الجاه و المنصب، أو التعصب القومى، و العائلى، بل كان أمرا معنويا و أن ضغوطا العدوّ و قوّته كانت تدفعه إلى الاستعداد للقيام بأى نوع من أنواع التضحية و ذلك الأمر المعنوىّ هو اعتقاده الراسخ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يعتبر «محمّدا» مظهرا كاملا للفضيلة و الانسانية، و يعتبر دينه أفضل برنامج

للسعادة، و حيث أنه كان يحبّ الحقيقة، و يعشق الكمال و الحقّ، لذلك كان من الطبيعىّ أن يدافع عن الحق و الحقيقة، و ينصرهما بكل وجوده، و بكل قواه.

(۱) و هذا المعنى هو المستفاد من قصائد «أبى طالب» و أشعاره، فهو يصرح بأن «محمّدا» رسول كموسى و عيسى إذ يقول:

ليعلم خيار النّاس أنّ محمّدانبيّا كموسى و المسيح بن مريم

أتانا بهدى مثل ما أتيا بهفكلّ بأمر اللّه يهدى و يعصم «۱» و يقول فى قصيدهٔ اخرى:

أ لم تعلموا أنّا وجدنا محمّدانبيّا كموسى خطّ فى أوّل الكتب «۲» هذا و تعتبر ابياته التى سبق أن أشرنا إليها و المئات من أمثالها مما جاء ذكره فى ديوان أبى طالب، و فى ثنايا التاريخ و التفسير و الحديث شواهد حيّهٔ و قويهٔ على أن محرك «أبى طالب» الواقعى و دافعه الحقيقى إلى الدفاع عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان هو اعتقاده الخالص، و اسلامه الواقعى و لم يكن له أى دافع آخر سوى الايمان و العقيدهٔ.

و نحن هنا نكشف النقاب عن بعض مواقفه فى الدفاع عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حمايته بعد اضطلاعه بعبء الرسالهٔ، و نترك لك أيها القارى بأن تدقّق فى مثل هذه المواقف الفدائيهٔ ثم تقضى بنفسك: هل تنبع مثل هذه التضحيهٔ، و مثل هذا التفانى، و الفداء إلّا من الايمان و الاعتقاد؟؟

(۲)

لمحات من تضحيات أبى طالب

اجتمع أسياد قريش و اشرافها فى بيت أبى طالب و النبيّ صلّى اللّه عليه و آله حاضر، و تبودلت بين الجانبين أحاديث حول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

---

(۱) مجمع البيان: ج ۷ ص ۳۷، الحجّهٔ: ص ۵۶- ۵۷، مستدرک الحاکم: ج ۲ ص ۶۲۳ و ۶۲۴.

(۲) مجمع البيان: ج ۷ ص ۳۶، و قد نقل ابن هشام فى السيرهٔ النبويهٔ: ج ۱ ص ۳۵۲ و ۳۵۳ خمسهٔ عشر بيتا من هذه القصيدهٔ.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۲۲

و دينه و ما خلق من مشكلات فى مكهٔ، و حاول القرشيون اثناء النبيّ عن دعوته و عمله و لكن دون جدوى فلما يئسوا من الحصول على النتيجهٔ التى كانوا يريدونها نهضوا من مكانهم ليتركوا بيت «أبى طالب»، قال «عاقبهٔ ابن أبى معيط» غاضبا مهددا: لا نعود إليه أبدا، و ما خير من أن نغتال محمّدا!!

(۱) فغضب «أبو طالب» من هذه الكلمهٔ، و لكنه ما ذا عساه أن يفعل فهم ضيوفه، و فى بيته.

و اتفق أن خرج النبيّ صلّى اللّه عليه و آله من البيت فى ذلك اليوم و لم يعد، و جاء «أبو طالب» و عمومته الى منزله فلم يجدوه، فجمع فتيانا من بنى هاشم و بنى المطلب، ثم قال- و هو يظن ان قريشا كادت برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله-: ليأخذ كل واحد منكم حديدهٔ صارمهٔ ثم ليتبعنى إذا دخلت المسجد، فلينظر كل فتى منكم، فليجلس الى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظليهٔ- يعنى أبا جهل- فانه لم يغب عن شر ان كان محمّد قد قتل، فقال الفتيان: نفعل فجاء زيد بن حارثهٔ فوجد أبا طالب على تلك الحال فقال: يا زيد أحسست ابن أخى؟ قال: نعم كنت معه آنفا.

فقال أبو طالب: لا ادخل بيتى أبدا حتى أراه.

(۲) فخرج زيد سريعا حتى اتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو فى بيت عند الصفا و معه أصحابه يتحدثون فاخبره الخبر، فجاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى أبى طالب فقال: يا ابن أخى: اين كنت؟ أ كنت فى خير؟ قال: نعم، قال:

ادخل بيتك، فدخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فلما اصبح أبو طالب غدى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فاخذ بيده فوقف على اندية قريش و معه الفتيان الهاشميون و المطلبيون فقال: يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟

قالوا: لا، فاخبرهم الخبر، و قال للفتيان اكشفوا عما فى ايديكم، فكشفوا، فاذا كل رجل منهم معه حديدهٔ صارمهٔ. فقال: و اللّه لو

قتلتموه ما بقيت منكم أحدا حتى نتفانى نحن و انتم، فانكسر القوم و كان اشدّهم انكسارا أبو جهل «۱»

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۱۶۸، الطرائف: ص ۸۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۲۳

(۱) لو لاحظت أيها القارئ الكريم هذه الصفحات و غيرها من تاريخ «أبى طالب»، و درست حياته لرأيت كيف ان «أبا طالب» ظلّ طوال اثنين و أربعين سنة بأيامها و لياليها يحدب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يدافع عنه، و يحاميه، و بخاصة فى السنوات العشر الاخيرة من حياته التى صادفت بعثة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و دعوته، فقد أظهر من الدفاع عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الحرص على حياته، و حماية هدفه اكثر مما يتصور.

و لقد كان العامل الوحيد الذى دفعه الى مثل هذا الموقف الراسخ العظيم فى هذا السبيل هو: عمق الايمان برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و قوة الاعتقاد الخالص برسالته.

و لو أننا ضممنا إلى تضحياته الشخصية تضحيات ولده العزيز «علىّ» لأدركنا مغزى البيتين اللذين انشدهما «ابن ابى الحديد» المعتزلى الشافعى إذ قال:

و لو لا أبو طالب و ابنه‌لما مثل الدّين شخصا و قاما

فذاك بمكّة آوى و حامى‌و هذا بيثرب جسّ الحماما «۱»

(۲)

قضيّة ذات بواعث سياسيّة:

ليس من ريب فى أنه لو ثبت عشر هذا القدر من الشواهد الدالّة على اسلام «أبى طالب» و إيمانه بالرسالة المحمّدية، لغيره ممّن هو بعيد عن قضايا السياسة، و خارج عن دائرة الحقد و البغض لا تفق الجميع سنة و شيعة على إسلامه و إيمانه، و لكن كيف ذهب فريق الى تكفير «أبى طالب» مع كلّ هذه الشواهد القويّة القاطعة على إيمانه؟ حتى أنّ فريقا من الكتاب ذهب إلى ان بعض الآيات المشعرة بالعذاب نزلت فى شأنه.

---

(۱) شرح نهج البلاغة: ج ۱۴ ص ۸۴ يقول ابن أبى الحديد: صنف بعض الطالبيين فى هذا العصر كتابا فى اسلام أبى طالب، و بعثه إلىّ، و سألنى ان اكتب عليه بخطى نظما او نثرا اشهد فيه بصحة ذلك، و بوثاقة الأدلة عليه (إلى ان قال) فكتب على ظاهر المجلد هذه الابيات.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۲۴

(۱) بينما توقّف فى هذا الأمر، و ذهب أفراد معدودون من علماء السنة الى الحكم باسلامه و ايمانه، و منهم «زينى دحلان» مفتى مكة المتوفّى سنة ۱۳۰۴ من الهجرة.

و لكن الانصاف هو ان يقال: أن الهدف من طرح هذه المسألة و التوقف فى ايمان «أبى طالب» أو تكفيره لم يكن إلّا الطعن فى أبنائه، و بخاصة أمير المؤمنين الإمام علىّ عليه السلام.

و لقد جرّ بعض كتّاب السنّة- لتبرير تكفير أبى طالب- هذه المسألة الى غير ابى طالب و وسع دائرة التكفير هذه حتى شملت آباء النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أيضا حيث ذهب إلى أن أبوى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ماتا كافرين أيضا.

و نحن لا يهمنا هنا أن نعلم بأنّ تكفير والدى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله مخالف لاجماع الامامية و الزيدية، و كذا جماعة من علماء

السنهٔ، و محقّقيهم، إنما الكلام هو حول من اتّهموا ببساطهٔ متناهيهٔ حامى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الوحيد و المدافع عنه بلا منازع.
(٢)

الأدلّهٔ على إيمان أبى طالب

اشارهٔ

إن التعرّف على عقيدهٔ أحد، و معرفهٔ نمط تفكيره، يمكن عن ثلاث طرق هى:
١- دراسهٔ ما ترك من آثار علميّهٔ و أدبيهٔ.
٢- اسلوب عمله، و تصرفاته فى المجتمع.
٣- رأى أقربائه، و أصدقائه غير المغرضين فيه.
و نحن نستطيع أن نتعرّف على إيمان «أبى طالب» و عقيدته من خلال هذه الطرق.
فان أشعار «أبى طالب» تدل بجلاء لا لبس فيه على ايمانه و إخلاصه، و كذا تكون خدماته القيامهٔ فى السنوات العشر الاخيرهٔ من عمره شاهدا قويا على إيمانه العميق.
سيد المرسلين ،ج١،ص:٥٢٥
كما و أنّ رأى أقربائه المنصفين متفق على أنّ «أبا طالب» كان مسلما مؤمنا و لم يقل أحد من أقربائه، فى حقه بغير هذا أبدا.
و إليك إثبات هذا الموضوع عن هذه الطرق الثلاث على وجه التفصيل:
(١)

١- آثار أبى طالب العلميّهٔ و الأدبيهٔ

نحن نختار هنا من بين قصائد «أبى طالب» المطوّلهٔ، بعض الأبيات التى تثبت ايمانه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و اعتقاده بالاسلام، فى غير ابهام.
-١
ليعلم خيار النّاس أنّ محمّدانبىّ كموسى و المسيح بن مريم
أتانا بهدى مثل ما أتيا بهفكلّ بأمر اللّه يهدى و يعصم «١» ٢-
تمنيتمو أن تقتلوه و إنّماأمانيّكم هذى كأحلام نائم
نبىّ أتاه الوحى من عند ربّهو من قال لا يقرع بها سنّ نادم «٢» ٣-
أ لم تعلموا أنّا وجدنا محمّدارسولا كموسى خطّ فى أوّل الكتب
و أنّ عليه فى العباد محبةًو لا حيف فى من خصّه اللّه بالحبّ «٣» ۴-
و اللّه لن يصلوا إليك بجمعهمحتّى اوسّد فى التّراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضهٔو ابشر بذاك و قرّ منك عيونا
و دعوتنى و علمت أنّك ناصحو لقد دعوت و كنت ثمّ أمينا

و لقد علمت بأن دین محمّدمن خیر أدیان البرّیة بنا «۴» ۵-

أو تؤمنوا بکتاب منزل عجب‌علی نبیّ کموسی أو کذی النون «۵» ۶-

لقد علموا أنّ ابننا لا مکذّب‌لدینا و لا یعنی بقول الأباطل

فایّده ربّ العباد بنصره‌و اظهر دینا حقّه غیر باطل «۶»

---

(۱) مجمع البیان: ج ۷ ص ۳۷، الحجة: ص ۵۷، مستدرک الحاکم: ج ۲ ص ۶۲۳.

(۲) دیوان أبی طالب: ص ۳۲، السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۵۳.

(۳) دیوان أبی طالب: ص ۳۲، السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۵۳.

(۴) تاریخ ابن کثیر: ج ۳ ص ۴۲.

(۵) شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج ۱۴ ص ۷۴، دیوان أبی طالب: ص ۱۷۳.

(۶) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۷۲- ۲۸۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۶

إن کلّ واحدة من هذه المقطوعات الشعریّة التی تشکل قسما صغیرا من قصائد مفصّلة لأبی طالب، تشهد بایمانه بدین ابن اخیه «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله.

(۱) و خلاصة القول: أنّ بیتا واحدا من هذه الأبیات کاف فی اثبات ایمان صاحبها و قائلها، و لو أنّ أحدا قالها و هو خارج عن فلک الصراعات السیاسیة، و بعید عن دوائر التعصبات و الأغراض لحکم الجمیع- بالاتفاق- باسلام قائلها و ایمانه الخالص العمیق.

و لکن لما کان «أبو طالب» هو قائلها، و کانت الأجهزة الدعائیة فی الحکومات الامویة و العباسیّة تعمل بکلّ جهدها ضدّ آل «أبی طالب» من هنا أبی فریق من الناس أن یثبتوا مثل هذه الفضیلة الکبری لأبی طالب علیه السلام.

هذا من جانب.

و من جانب آخر فانّ أبا طالب والد «علی» الذی کانت سلطات الخلفاء تعمل ضدّه علی الدوام، و تستغل کل الوسائل للحط من شأنه، کان إسلام أبیه و إیمانه بالرسالة المحمدیة یعدّ فضیلة بارزة من فضائله علیه السلام فی حین أن کفر آباء الخلفاء و شرکهم یعدّ مثلبة توجب الحط من شأنهم، و قیمتهم.

و علی کل حال قام جماعة بتکفیر أبی طالب رغم کلّ هذه الأشعار و الأقوال، و المواقف الصادقة، بل لم یکتفوا بذلک، فادعوا نزول آیات من القرآن تدل علی کفره، و شرکه!!!

(۲)

الطریق الثانی لاثبات إیمان أبی طالب

إنّ الطریق الثانی للبرهنة و التدلیل علی إیمان «أبی طالب» هو مواقفه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و کیفیة دفاعه و ذبه عنه و حمایته له، و حدبه علیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ما قام به من خدمات جلیلة فی هذا الطریق.

ان کل واحدة من هذه الخدمات تستطیع بمفردها ان تکون المرآة الصادقة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۷

التی تعکس فکر «أبی طالب» و عقیدته و ما کان یحمله بین جوانحه من إیمان بالرسالة و الرسول، و اخلاص للّه تعالی.

لقـد کان «أبو طالب» هو ذلکم الشخصـیة التی لم یرض لنفسه بان ینکسـر قلب ابن أخیه لترکه فی مکة، و اصـطحبه معه الی الشام فی الرحلة التجاریة التی سبق ذکرها، رغم الموانع الکثیرة، و فقدان الوسائل اللازمة، و رغم ما ترتب علی اصطحابه معه من متاعب.

(۱) إن ایمانه بابن أخیه کان عمیقا إلی درجـة أنه أخذه الی المصـلّی و استسـقی به، مقسـما به علی اللّه تعالی أن یکشف العذاب عن قومه، و یرسل رحمته علیهم، فیستجیب اللّه دعاءه، و ینزل علیهم غیثا وافرا ممرعا، بقیت قصته فی ذاکرة التاریخ.

إنه ذلـک الرجل الـذی لم یفتأ عن الحفاظ علی حیاة رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله لحظـة واحـدة، فهو الـذی تحمل فی سبیله ثلاثة أعوام عجاف من الحصار الاقتصادی و الاجتماعی الصـعب، مؤثرا العیش فی الشعب و فی شغاف الجبال و الودیان القاحلة علی زعامة قریش، و رئاسـة مکة الی ان أعیته تلک المحن و المتاعب ففقد بذلک صـحته، و انحرف بذلک مزاجه، و توفّی متأثرا بتلک المتاعب و المصاعب، و المشاق و المحن بعد نقض الصحیفة، و انتهاء الحصار، و العودة إلی المنازل بأیام معدودة!!

لقـد کـان إیمان «أبی طالب» برسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله قویا و راسـخا الی درجـة أنه رضـی بأن یتعرّض کل ابنائه لخطر القتل و الاغتیال لیبقی «محمّد» و لا یمسّه من أعدائه أیّ سوء، فکان یضـجع ولده علیا فی موضعه، حتی إذا أرادوا اغتیاله لا یصیبه شیء و هذا یعنی أنه کان یقیه بنفسه و بأولاده.

و فوق هـذا کلّه اسـتعدّ فی یوم من الأیـام لأن یقتل کل زعماء قریش و أسـیادها انتقاما لمحمّـد، و کان من الطبیعی أن یقتل فی هـذه العملیة بنو هاشم کلّهم أیضا «۱».

---

(۱) راجع الصفحة ۵۲۲ من هذا الکتاب.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۸

(۱)

وصیة أبی طالب عند وفاته

و عند وفاته قال لأولاده:

«اوصـیکم بمحمّـد خیرا فـانّه الأـمین فی قریش و هو الجـامع لکـلّ مـا اوصـیکم به، و قـد جـاء بـأمر قبله الجنان، و انکره اللسان مخافة الشـنئان، و أیم اللّه لکأنّی انظر الی صـعالیک العرب، و أهل البرّ فی الاطراف، و المستضـعفین من الناس، قـد أجابوا دعوته، و صـدّقوا کلمته، و عظّموا أمره فخـاض بهم غمرات الموت، فصـارت رؤسـاء قریش و صـنادیدها أذنابا، و دورها خرابا، و ضـعفاؤها أربابا، و اذا أعظمهم علیه أحوجهم إلیه، و أبعدهم منه أحظاهم عنده ..».

(۲) ثم ختم وصیته هذه بقوله:

یا معشر قریش کونوا له ولاة، و لحزبه حماة، و اللّه لا یسلک أحد منکم سبیله الارشد، و لا یأخذ أحد بهدیه الّا سعد «۱».

نحن لا نشک فی أن «أبا طالب» کان صادقا فی امنیّته هذه لأن خدماته الکبری و تضحیاته المتواصلة خلال عشر سنوات من بدایة عهد الرسالـة شاهـدة علی صـدق مقاله، کما کان صادقا فی الوعـد الـذی قطعه علی نفسه لابن أخیه (محمّـد) فی مبـدأ البعثـة عنـد ما جمع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أعمامه و عشیرته الأقربین و دعاهم الی الاسلام فقال له أبو طالب:

«اخرج یا ابن أخی فانّک الرفیع کعبا، و المنیع حزبا، و الأعلی أبا.

و اللّه لا یسلقک لسان الا سلقته ألسن حداد، و اجتذبته سیوف حداد.

و اللّه لتذلنّ لک العرب ذلّ البهم لحاضنها» «۲».

(۱) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۵۱ و ۳۵۲.

(۲) الطرائف تأليف السيد ابن طاوس: ص ۸۵ نقلا عن كتاب غاية السئول فى مناقب آل الرسول تأليف ابراهيم بن على الدينورى.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۲۹

[۳- شهادات أقرباء أبى طالب من أهل البيت]

(۱) آخر الطرق لاثبات ايمان أبى طالب و يحسن بنا أخيرا ان نسأل عن أبى طالب و عن ايمانه و اخلاصه، اقاربه غير المغرضين لأن «أهل البيت ادرى بما فى البيت».

(۲) ۱- لما مات أبو طالب جاء علىّ عليه السلام الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فاذنه بموته، فتوجع توجعا عظيما، و حزن حزنا شديدا، ثم قال له امض فتولّ غسله فاذا رفعته على سريره فاعلمنى، ففعل فاعترضه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو محمول على رءوس الرجال: قال: «وصلتك رحم يا عم، و جزيت خيرا فلقد ربّيت و كفلت صغيرا، و نصرت و آزرت كبيرا».

ثم تبعه الى حضرته، فوقف عليه فقال:

«أما و اللّه لاستغفرنّ لك، و لأشفعنّ فيك شفاعة يعجب لها الثقلان» «۱».

(۳) ۲- روى ان على بن الحسين عليهما السلام سئل عن ايمان أبى طالب. فقال:

«وا عجبا! ان اللّه تعالى نهى رسوله ان يقرّ مسلمة على نكاح كافر، و قد كانت فاطمة بنت اسد من السابقات إلى الاسلام، و لم تزل تحت أبى طالب حتّى مات» «۲».

(۴) ۳- روى عن على بن محمّد الباقر عليهما السلام أنه قال:

«لو وضع إيمان أبى طالب فى كفّة ميزان، و إيمان هذا الخلق فى الكفّة الاخرى لرجح إيمانه».

ثم قال:

«أ لم تعلموا أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبد اللّه و أبيه» «۳».

(۵) ۴- قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام:

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۱۴ ص ۷۶.

(۲) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۱۴ ص ۶۹.

(۳) المصدر السابق: ص ۶۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۳۰

«إنّ مثل أبى طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان، و أظهروا الشرك فاتاهم اللّه اجرهم مرّتين، و أن أبا طالب أسرّ الإيمان، و أظهر الشرك، فاتاه اللّه أجره مرّتين» «۱».

(۱)

رأى علماء الشيعة فى أبى طالب

و لقد اتفق علماء الاماميّة و الزيديّة تبعا لأهل بيت النبىّ صلّى اللّه عليه و آله على: أن «أبا طالب» كان من أبرز المؤمنين برسول اللّه

صلّى اللّه عليه و آله و لم يخرج من الدنيا إلّا بقلب يفيض إيمانا بالاسلام، و إخلاصا للّه تعالى، و حبّا للمسلمين، و قد الّفت فى هذا المجال كتب و رسائل، و دراسات عديدة، يمكن الوقوف عليها لمن اراد و لمزيد التوسع فى هذا المجال يراجع المجلد ۷ ص ۴۰۲- ۴۰۴ من موسوعة الغدير للعلامة الأمينى طبعة النجف، أو ج ۷ ص ۳۳۰- ۴۰۹ طبعة لبنان.

نظرة إلى حديث «الضحضاح»

اشارة

و استكمالا لهذا الحديث ينبغى أن نلقى نظرة إلى رواية تشكك فى ايمان أبى طالب فقد روى بعض الكتّاب مثل البخارى «۲»، و مسلم عن رواة نظير سفيان بن سعيد الثورى، عبد الملك بن عمير، عبد العزيز بن محمّد الدراوردى حديثا نسبوه إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله انه قال عن أبى طالب رحمه اللّه:

«وجدته فى غمرات من النّار فأخرجته إلى ضحضاح».

«لعلّه تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النّار يبلغ كعبيه، يغلى منه دماغه» «۳».

إنّ هذه الرواية و ان كانت تكذبها عشرات الأحاديث و الروايات الاسلامية،

---

(۱) اصول الكافى: ج ۱ ص ۴۴۸.

(۲) صحيح البخارى: ج ۱ ص ۳۳ و ۳۴ من ابواب المناقب.

(۳) صحيح المسلم: كتاب الايمان.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۳۱

و الدلائل القاطعة الساطعة، و تثبت بطلانها و تفاهتها، و لكننا بهدف الوصول إلى مزيد من التوضيح نعمد إلى دراسة أمرين مرتبطين بهذا الحديث.

۱- ضعف أسناد هذه الرواية

اشارة

إنّ رواة هذه الرواية- كما اسلفنا- هم عبارة عن سفيان بن سعيد الثورى و عبد الملك بن عمير و عبد العزيز بن محمّد الدراوردى الذين سندرس أحوالهم واحدا واحدا- فى ضوء أقوال علماء الرجال المعترف بهم عند اهل السنة- عنهم:

الف: سفيان بن سعيد الثورى

قال أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى- و هو من علماء الرجال عند اهل السنة- فى سفيان الثورى: كان يدلّس عن الضعفاء «۱».

إن هذا الكلام شاهد قوى على وجود التدليس عند الثورى، و على روايته عن الضعفاء أو المجهولين، و هو وصف يسقطه عن درجة الاعتبار.

باء: عبد الملک بن عمیر

قال عنه الذهبیّ المذکور: طال عمره و ساء حفظه قال أبو حاتم: لیس بحافظ، تغیّر حفظه، و قال أحمد: ضعیف یغلط، و قال ابن معین: مخلط و قال ابن خراش:

کان شعبهٔ لا یرضاه، و ذکر الکوسج عن احمد بن حنبل: انه ضعیف جدا «۲»

فمن مجموع هذه العبارات نعرف ان عبد الملک کان یتصف بصفات عدیدهٔ هی أنه:

۱- سیئ الحفظ.

۲- ضعیف.

۳- کثیر الغلط.

---

(۱) میزان الاعتدال: ج ۲ ص ۱۶۹.

(۲) المصدر السابق ج ۲ ص ۶۶۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۲

۴- مخلط.

و من الواضح ان کل واحدهٔ من الصفات و الحالات المذکورهٔ کافیهٔ لأن تبطل الأحادیث التی یرویها عبد الملک بن عمیر، و الحال انه قد اجتمعت جمیع نقاط الضعف هذه فی هذا الرجل.

جیم: عبد العزیز بن محمد الدراوردی

و لقد وصفه علماء الرجال عند اهل السنهٔ بالنسیان، و قلهٔ الحفظ فلا یمکن الاستناد إلی مرویاته.

فقد قال أحمد بن حنبل عنه: إذا حدّث من حفظه جاء بأباطیل «۱».

و قال أبو حاتم عنه: لا یحتجّ به «۲».

و قال أبو زرعهٔ أیضا: سیئ الحفظ «۳». و من مجموعهٔ هذه العبارات یتضح بجلاء ان الرواهٔ الاصلیین لحدیث الضحضاح ضعفاء فی غایهٔ الضعف، الی درجهٔ لا یمکن الاعتماد علی مرویاتهم.

۲- نص حدیث الضحضاح یخالف الکتاب و السنهٔ

اشارهٔ

لقد نسب إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی هذه الروایهٔ أنه أخرج أبا طالب من نار جهنم إلی ضحضاح و بهذا خفّف عنه العذاب، أو أنه صلّی اللّه علیه و آله تمنی أن یشفع له، فیخفّف اللّه عنه العذاب، علی حین نفی القرآن الکریم و السنهٔ النبویهٔ الشریفهٔ تخفیف العذاب عن الکفار کما و نفیا شفاعهٔ احد فی حقهم.

و علی هذا الاساس فلو کان ابو طالب کافرا، لم یجز للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله ان یخفف عنه العذاب او یتمنی له الشفاعهٔ فی یوم الجزاء.

و بهذا یظهر بطلان محتوی حدیث الضحضاح.

و إلیک فیما یأتی ادلة ما قلناه من الکتاب و السنة:

(۱) المصدر السابق ص ۶۳۴.

(۲) المصدر السابق.

(۳) المصدر السابق.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۳

الف: القرآن الکریم

یقول القرآن الکریم فی هذا الصدد:

«وَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا یُقْضی عَلَیْهِمْ فَیَمُوتُوا وَ لا یُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها، کَذلِکَ نَجْزِی کُلَّ کَفُورٍ» «۱».

ب: السنة النبویة

ان السنة النبویة الطاهرة تنفی أیضا الشفاعة للکفار، و نذکر من باب النموذج بعض تلک الأحادیث:

۱- روی أبو ذر الغفاری عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انه قال:

«اعطیت الشفاعة و هی نائلة من امتی من لا یشرک باللّه شیئا» «۲».

۲- روی أبو هریرة عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انه قال:

«و شفاعتی لمن شهد أن لا إله الا اللّه مخلصا، و أنّ محمّدا رسول اللّه یصدّق لسانه قلبه، و قلبه لسانه» «۳».

إن الآیات و الروایات المذکورة تثبت بوضوح بطلان نص حدیث الضحضاح عند من یقول بأن أبا طالب مات کافرا.

و نتیجة البحث أنه تبین مما ذکر ان حدیث الضحضاح لا أساس له من الصحة لا من جهة السند و الطریق، و لا من جهة المتن و النص، و لا یمکن الاستدلال به.

و بهذا ینهار أقوی حصن یتمسک به البعض للخدشة فی ایمان أبی طالب الثابت المسلّم.

(۱) فاطر: ۳۶.

(۲) الترغیب و الترهیب: ج ۴ ص ۴۳۳.

(۳) المصدر السابق: ص ۴۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۵

(۱) (۲)

۲۲- المعراج فی نظر القرآن و السنة و التاریخ

اشارة

کان اللیل یخیم علی الافق، و یسود الظلام علی کان مکان.

فقد حان الأوان لان ترقد جمیع الاحیاء فی مساکنها، و تستریح فی جحورها و أعشاشها، و تغمض الأجفان لبعض الساعات عن مظاهر

الطبيعة، لتستعيد نشاطها من أجل العمل فى يوم جديد حافل بالنشاط و الحركة و السعى.

فذلک قانون الطبيعة فى كلّ ليل و نهار.

و لم يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمستثنى عن هذا الناموس الطبيعى.

فهو صلّى اللّه عليه و آله مضى ليستريح بعد أن صلّى صلاة العتمة أيضا.

و لكنه فجأة سمع صوتا مألوفا مأنوسا له، و كان ذلک هو صوت أمين الوحى «جبرئيل» و هو يخبره بأن أمامه الليلة سفرا بعيدا و رحلة طويلة، و انه سيرافقه فى هذه الرحلة الى مختلف نقاط الكون، و سيسافر على متن دابة فضائية تدعى «البراق».

(۳) لقد بدأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله رحلته الفضائية العظيمة من بيت اخت على بن أبى طالب «۱» «أم هانى»، و توجه على متن تلک الدابة إلى «بيت

---

(۱) مجمع البيان: ج ۶ ص ۳۹۵ و ۳۹۶، السيرة النبويّة: ج ۱ ص ۳۹۶- ۴۰۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۳۶

المقدس» فى الأردن و فلسطين و الذى يسمى «المسجد الأقصى» أيضا، و هبط فى تلک النقطة بعد مدة قصيرة جدا، و زار مواضع عديدة من ذلک المسجد، و تفقّد «بيت لحم» مسقط رأس «السيد المسيح» و منازل الأنبياء و آثارهم و محاريبهم، و صلّى عند كل محراب من بعض تلک المحاريب ركعتين.

(۱) ثم بدأ بعد ذلک القسم الثانى من رحلته، حيث عرج من ذلک إلى السماوات العلى، و شاهد النجوم و الكواكب، و اطّلع على نظام العالم العلوى، و تحدث مع ارواح الأنبياء، و الملائكة السماويين، و اطّلع على مراكز الرحمة و العذاب (الجنة و النار) «۱» و رأى درجات أهل الجنة، و أشباح أهل النار عن كثب، و بالتالى تعرف على أسرار الوجود، و رموز الطبيعة، و وقف على سعة الكون، و آثار القدرة الالهيّة المطلقة، ثم واصل رحلته حتى بلغ إلى سدرة المنتهى «۲»، فوجدها مسربلة بالعظمة المتناهية و الجلال العظيم و عندها انتهى برنامج رحلته صلّى اللّه عليه و آله، فامر بأن يعود من حيث أتى، فعاد صلّى اللّه عليه و آله و مرّ فى عودته على بيت المقدس ثانية، ثم توجّه منه الى «مكة»، و مرّ خلال الطريق على قافلة تجارية لقريش و قد ضلّ بعير لهم فى البيداء و كانوا يبحثون عنه، ثم وجد فى رحلهم قعبا مملوء من الماء فشرب منه و صبّ بقيته على الأرض أو غطاه كما كان بناء على رواية. و ترجّل عن مركبته الفضائية العجيبة فى بيت «أم هانى» قبيل طلوع الفجر، و أخبرها بالخبر قبل أى أحد، ثم كشف عن هذا الحادث فى أندية قريش صباح نفس تلک الليلة.

(۲) فاستبعد السامعون قصة المعراج و الحركة السريعة هذه، و اعتبروه أمرا محالا- و انكرته، و فشا هذا الخبر فى جميع الأوساط و غضب بسببه أشراف قريش و ساداتهم اكثر من غيرهم.

و كعادتها بادرت قريش إلى تكذيب هذه القصّة و قالوا: هذا و اللّه الأمر البيّن

---

(۱) مجمع البيان: سورة الاسراء ج ۶ ص ۳۹۵.

(۲) لتوضيح معنى سدرة المنتهى راجع كتب التفسير.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۳۷

(العجيب المنكر) و اللّه إن العير لتطّرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة، و شهرا مقبلة، أ فيذهب ذلک «محمّد» فى ليلة واحدة؟

(۱) و قالوا: إن صدقت فصف لنا بيت المقدس، فإن فينا من شاهده.

فلم يصف لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بيت المقدس فحسب بل اخبرهم بكل ما مرّ به و فعله و رآه فى طريق عودته من بيت

المقـدس إلى «مكّة» و قال: و آيـة ذلك أنّى مررت على بعير بنى فلان بوادى كـذا و كـذا، و قد ضلّ لهم بعير و قد همّوا فى طلبه، و شربت من ماء فى آنيهٔ لهم مغطاهٔ بغطاء و ثم غطّيت عليها كما كان، ثم مررت على بعير فلان و قد نفّرت لهم ناقهٔ و انكسرت يدها.

فقالت قريش: أخبرنا عن عير قريش.

فقـال صـلّى اللّه عليه و آله: إنّهـا الآـن فى التنعيم (و هـو مبـدأ الحرم) يتقـدمها جمـل أورق (أبيض مائـل الى السـواد) عليه غرارتـان و ستدخل الآن مكهٔ.

فغضبت قريش من هذه الأخبار القاطعهٔ و قالت: سنعلمنّ الآن صدقه أو كذبه.

ثم لم تمض لحظات إلّا و طلعت العير عليهم، و حـدّثهم أبو سـفيان بكل ما أخبرهم به رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله من ضـياع بعير لهم فى الطريق و همّهم فى طلبه، و أنهم وضعوا ماء مملوء فغطوه و لما رجعوا وجدوه مغطى كما غطوه و لكن لم يجدوا فيه ماء.

هذه هى خلاصهٔ ما جاء فى كتب التفسير، و التاريخ، و الحديث حول المعراج.

و إذا أراد القارئ الكريم أن يقف على تفاصيل أكثر فى هذا المجال فما عليه إلّا أن يراجع بحار الأنوار باب «المعراج» «۱».

(۲)

هل للمعراج جذور قرآنية؟

لقد جاء ذكر «المعراج» النبوى و سيرهٔ العجيب صلّى اللّه عليه و آله فى

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۸۳- ۴۱۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۸

العالم العلوى، و الفضاء غير المتناهى فى سورتين من القرآن الكريم بشكل واضح و صريح كما و اشير إليها فى سور اخرى أيضا.

و نحن نكتفى هنا باستعراض الآيات التى ذكرت هذه القضيّهٔ بصورهٔ واضحهٔ، و نقف عند بعض النقاط الجديدهٔ بالدراسهٔ فيها:

يقول اللّه تعالى فى سورهٔ الأسراء:

«سُبْحانَ الَّذِی أَسْری بِعَبْدِهِ لَیْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَی الَّذِی بارَکْنا حَوْلَهُ لِنُرِیَهُ مِنْ آیاتِنا، إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ» «۱».

(۱) و يستفاد من ظاهر هذه الآيهٔ امور:

(۲) ۱- لكى نعلم بـأنّ النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله لم يطو تلك المسافات، و لم يقم برحلته إلى تلك العوالم بقوّهٔ بشـريهٔ، بل تسـنى له كـل ذلـك بقوهٔ غيبيّـهٔ، فبهـا اسـتطاع أن يطوى تلك المسافات البعيـدهٔ فى زمن قصـير جـدا بـدأ اللّه تعالى حـديثه عن الاسـراء بقوله: «سبحان الّذى» و هو اشارهٔ الى تنزيه اللّه عن كلّ نقص و عيب.

و لم يكتف بذلك بل وصف نفسه بوضوح بأنه هو تعالى سبب هذه الرحلهٔ و المسيّر فيها اذ قال: «أسـرى» أى إنّ اللّه تعالى هو الذى سرى برسوله صلّى اللّه عليه و آله، و أخذه إلى تلك الرحلهٔ.

و هـذه العنايـهٔ لأجل أن لا يتصور الناس بأنّ هذه الرحلهٔ تحققت بالوسائل العاديهٔ، و حسب القوانين الطبيعيهٔ ليتسـنّى لهم إنكارها، إنما تحققت بقدرهٔ اللّه و عنايته الربوبيهٔ الخاصهٔ.

(۳) ۲- إن هـذه الرحلهٔ تحققت برمّتها خلال الليل، و يسـتفاد هذا المطلب- علاوهٔ على كلمهٔ ليلا- من كلمهٔ «أسـرى» أيضا لأنّ العرب كانت تستعمل اللفظهٔ المذكورهٔ فى السير ليلا.

(۴) ۳- مع أنّ هـذه الرحلهٔ بدأت من بيت «أمّ هانى» ابنهٔ أبى طالب، فإن الآيهٔ صـرّحت بأنها تمّت من المسـجد الحرام، و لعل هذا لأنّ العرب كانت تعتبر

(۱) الاسراء: ۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۹

کل مکة حرما إلهیا، و من هنا کان کل مکان من مکة یتمتع عندهم بحکم الحرم و المسجد الحرام، فیکون المراد بالمسجد الحرام هنا مکّة، و مکّة و الحرم کلها مسجد، فصحّ أن یقول: «من المسجد الحرام».

و تذهب بعض الروایات إلی أنّ المعراج کان من نفس المسجد الحرام.

ثم إنّ هذه الآیة و ان کانت تصرّح بأنّ المعراج بدأ من «المسجد الحرام» و انتهی ب: «المسجد الأقصی» إلّا أن ذلک لا ینافی أن یکون للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله رحلة اخری إلی العالم العلوی لأنّ هذه الآیة تبیّن فقط قسما من هذه الرحلة، و أما القسم الآخر من برنامج هذه الرحلة فتتعرض لذکره آیات فی مطلع سورة: «النجم».

(۱) ۴- إنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله عرج بجسمه و روحه معا، لا بالروح فقط.

و یدلّ علی ذلک قوله تعالی «بعبده» الذی یستعمل فی «الجسم و الروح معا» و لو کان المعراج بالروح فقط لزم أن یقول: «بروحه».

(۲) ۵- إنّ الغرض من هذا السیر العظیم و هذه الرحلة العجیبة هو إیقاف النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی مراتب الوجود، و اطلاعه علی الکون العظیم، و هذا ما سنشرحه فیما بعد.

و أما السورة الاخری التی تعرض لبیان حادثة المعراج بوضوح و صراحة هی سورة: «النجم».

و الآیات التی سندرجها هنا من هذه السورة نزلت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عند ما قال لقریش: «رأیت جبرئیل أوّل ما اوحی إلیّ علی صورته التی خلق علیها» جادلته قریش فی ذلک، فنزلت الآیات التالیة تجیب علی اعتراضهم:

«أَ فَتُمارُونَهُ عَلی ما یَری وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْری. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهی. عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوی إِذْ یَغْشَی السِّدْرَةَ ما یَغْشی. ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغی. لَقَدْ رَأی مِنْ آیاتِ رَبِّهِ الْکُبْری» «۱».

(۱) النجم: ۱۲- ۱۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۰

(۱)

أحادیث المعراج:

روی المفسرون و المحدّثون أخبارا و روایات کثیرة حول معراج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و ما شاهده فی هذه الرحلة العظیمة، لیست برمتها صحیحة مسلّمة مقطوعا بها.

و لقد قسّم المفسر الشیعی الکبیر المرحوم «العلامة الطبرسیّ» هذه الاخبار إلی أصناف أربعة اذ قال:

(۲) و تنقسم جملتها إلی أربعة اوجه:

(۳) أحدها: ما یقطع علی صحته لتواتر الأخبار به، و احاطة العلم بصحته مثل أصل المعراج.

(۴) و ثانیها: ما ورد فی ذلک مما تجوّزه العقول و لا تأباه الأصول مثل طوافه فی السماء و رؤیته أرواح الأنبیاء و تحدّثه معهم و رؤیته للجنة و النار، فنحن نجوّزه ثم نقطع علی أن ذلک کان فی یقظته، دون منامه.

(۵) و ثالثها: ما یکون ظاهره مخالفا لبعض الأصول، إلّا أنه یمکن تأویلها علی وجه یوافق المعقول فالأولی أن نؤوّله علی ما یطابق الحق و الدلیل. مثل أنّه رأی أهل الجنة و أهل النار و تحدّث معهما الذی یجب أن یؤوّل فیحمل علی انه: رأی أشباحهم و صورهم و

صفاتهم.

(۶) و رابعها: ما لا يصح ظاهره و لا يمكن تأويله، و هى ما الصق و الحق بهذه الحادثة من الأساطير و الخرافات، مثل ما روى من أنه صلّى اللّه عليه و آله كلّم اللّه سبحانه جهرة و رآه و قعد معه على سريره أو سمع صرير قلمه، و نحو ذلك ممّا ممّا يوجب ظاهره التشبيه و التجسيم و اللّه سبحانه يتقدّس عن ذلك كلّه، فالأولى أن لا نقبله «۱».

---

(۱) مجمع البيان: ج ۶ ص ۳۹۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۴۱

(۱)

متى وقعت هذه الحادثة؟

مع ان أهميّة هذه الحادثة العجيبة كانت تستوجب أن تكون مضبوطة التفاصيل من جميع الجهات، إلّا أنها تعرضت للاختلاف- مع ذلك- من بعض الجهات و منها تحديد تاريخ وقوعها.

فقد ادّعى كاتبا السيرة المعروفان: «ابن اسحاق» و «ابن هشام» أنها وقعت فى السنة العاشرة من البعثة الشريفة.

و ذهب المؤرخ الكبير «البيهقى» إلى أنها وقعت فى السنة الثانية عشرة من البعثة.

و ذهب آخرون إلى أنها وقعت فى أوائل البعثة، بينما قال فريق رابع: أنها وقعت فى أواسطها.

و ربّما يقال فى الجمع بين هذه الأقوال: أنه كان لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله معارج متعددة.

و لكنّنا نعتقد أنّ المعراج الذى فرضت فيه الصلاة وقعت بعد وفاة أبى طالب عليه السلام فى السنة العاشرة قطعا.

لأنّ من مسلّمات الحديث و التاريخ أن اللّه تعالى أمر نبيّه صلّى اللّه عليه و آله فى ليلة المعراج أن تصلّى أمّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كلّ يوم و ليلة خمس صلوات.

(۲) كما أنه يستفاد من ثنايا التاريخ أيضا أن الصلاة لم تفرض ما دام أبو طالب عليه السلام على قيد الحياة بل فرضت بعد وفاته، لأنّه حضر عنده- ساعة وفاته- سراة قريش و أسيادها، و طلبوا منه أن يبت لهم فى أمر ابن أخيه «محمّد» و يمنعه من فعله، فيعطونه- فى قبال ذلك- ما يريد فقال لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى ذلك المجلس: نعم كلمة واحدة تعطونيها: «تقولون لا إله إلّا اللّه و تخلعون ما تعبدون من دونه» «۱».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۱۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۴۲

(۱) لقد طلب منهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هذا الأمر و لم يطلب منهم شيئا آخر كالصلاة و غيرها من الفروع أبدا، و هذا هو بنفسه يدلّ على أنه لم تجب الصلاة حتى ذلك اليوم، و إلّا كان الإيمان المجرّد عن العمل، و الصلاة مفروضة، لا فائدة فيه.

و أما أنه لم يذكر شيئا عن نبوّته و رسالته فلأنّ الاعتراف بوحدانية اللّه بأمره و طلبه صلّى اللّه عليه و آله اعتراف ضمنىّ برسالته و نبوّته، و فى الحقيقة انّ التلفّظ بهذه العبارات بأمره يتضمّن شهادتين و اقرارين: الإقرار باللّه الواحد، و الإقرار بنبوّة رسول الاسلام.

(۲) هذا مضافا إلى أن كتّاب السيرة ذكروا كيفية إسلام جماعة مثل «الطفيل بن عمرو الدوسى» الذى أسلم قبل الهجرة «۱» بأعوام اكتفى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بالشهادتين، و لم يجر اى حديث عن الصلاة ابدا.

ان هذه الامثلة تكشف عن أن هذه الحادثة (المعراج) التى فرضت فيها الصلاة وقعت قبل الهجرة بسنوات.

و الـذين تصوّروا أن المعراج وقع قبـل السـنة العاشـرة مخطئون خطأ كبيرا لأنّ النبيّ صـلّى اللّه عليه و آله كان محصورا فى شـعب أبى طالب منذ السنة الثامنة و حتى السنة العاشرة، و لم يكن وضع المسلمين ليسمح بفرض تكليف زائد (مثل الصلاة) عليهم.

(۳) و أمـا سـنوات مـا قبـل الحصـار فعلاوة على ضـغوط قريش على المسـلمين و التى كانت هى بنفسـها مانعا من فرض الصـلاة على المسـلمين، كان المسـلمون قلـة معدودين، و لم يكن نور الايمان، و اصول الاسـلام، قد ترسـخت فى قلوب ذلك العدد القليل بشـكل قوى بعد، و لذلك يكون من المستبعد أن يكلفوا بأمر زائد مثل الصلاة فى مثل ذلك الظرف.

و أمّا ما ورد فى بعض الأخبار و الروايات من ان الإمام عليا عليه السلام

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۸۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۴۳

صلى مع رسول اللّه قبل البعثـة بثلاث سـنوات، و اسـتمر على ذلك بعـدها أيضا فليس المراد منها الصـلوات المحـدودة المؤقتة بوقت، المشـروطة بشـروط خاصـة، بل كانت تلك الصلوات عبارة عن عبادة خاصة غير محدودة «۱»، أو كان المراد منها الصـلوات المندوبة و العبادات غير الواجبة.

(۱)

هل كان المعراج جسمانيا؟

لقـد وقع النقـاش و الكلاـم فى كيفيـة معراج النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و أنه كان روحانيا أو جسـمانيا و روحانيا معا، و قيل فى ذلك كلام كثير.

و مع أن القرآن الكريم و الأحـاديث تشـهد بجلاـء لا غموض فيه بأن معراجه صـلّى اللّه عليه و آله كان جسـمانيا «۲»، فقد اوردت فى المقام بعض الإشـكالات و الاعتراضات التى منعت البعض عن قبول هـذه الحقيقـة، و بالتالى دفعتهم الى ارتكاب التأويل، و الزعم بأن معراج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان روحانيا، أى بالروح لا بالجسم.

لقد قال هؤلاء: ان روح النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله هى التى طافت فى تلك العوالم ثم عادت إلى جسد النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله مرة اخرى!!

و ذهب جماعـة إلى أبعـد من ذلـك إذ ادّعوا بـان جميع هـذه المشاهـدات و القضايـا تمّت لرسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى عـالم الرؤيا، فكل ما رآه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أو فعله من الطواف و اللقاء و الصلاة كانت رؤيا و رؤيا الأنبياء صادقة!!

(۲) على أن أقوال الفريق الأـخير من البعـد عن الواقع بحيث لاـ يمكن ذكره فى عـداد الأـقوال و النظريـات أبـدا، لأـنّ قريش بعـد أن سمعت من رسول اللّه صلّى

---

(۱) للمزيد من التحقيق فى تاريخ وجوب الوضوء و الصلاة و الاذان يراجع الكافى: ج ۳ ص ۴۸۲- ۴۸۹.

(۲) لقد نقل الفقيه الجليل العلامة الشـيعىّ المرحوم الطبرسى فى تفسير مجمع البيان إجماع علماء الشيعة على جسمانية المعراج فراجع: ج ۶ ص ۳۹۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۴۴

اللّه عليه و آله ادعاءه بانه سار كل تلك المسافـة الطويلـة البعيـدة، و طاف على كل تلك الاماكن المتباعـدة العديـدة فى ليلـة واحـدة انزعجت بشدة و هبّت لتكذيبه حقيقة، الى درجة أن خبر المعراج أصبح حديث الساعة فى نوادى قريش و اوساطها آنذاك.

و لو كـان كل ذلك تحقق للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله فى المنام و الرؤيا لما كان لتكـذيب قريش و انزعاجها و اسـتنكارها معنى، اذ لا موجب للنزاع لو كـان صلّى اللّه عليه و آله يقول: إنّى فعلت تلـك الامـور، و رأيت كل تلك المشاهـد فى الرؤيا و المنام، اذ هو على كل حال رؤيا، و كل شيء- حتى الامور المحالة او المستبعدة جدا- ممكن فى عالم الرؤيا.

و من هنا لا قيمة للقول الأخير أصلا فلا تستحق المتابعة أصلا.

و لكن مع الأسف اسـتحسن بعض العلماء المصـريين (مثل فريد وجدى) هذا الرأى و سعى فى تقويته و تبريره، و نحن نحبذ ان نتركه، و ان لا نناقش فيه «۱».

(۱)

ما هو المراد من المعراج الروحانى؟

اشارة

لقـد عمـد فريـق ممـن عجز عن دفـع و حـلّ بعض الاعتراضـات و الاشـكالات الـواردة على المعراج الجسـمانى، إلى تأويـل الآيـات و الأحاديث، و اعتبر المعراج النبوى معراجا روحانيا، لا غير.

و المقصود من المعراج الروحـانىّ هو التـدبّر فى مخلوقـات اللّه و مصـنوعاته، و مشاهـدة جلاله و جماله و الاسـتغراق فى ذكر الحق، و التفكر فيه، و بالتـالى التخلص من القيود و الاغلال الماديـة، و العلائق الدنيويـة، و العبور من المراتب الامكانيـة فى المراحل الباطنيـة و القلبية التى يحصل بعد طيّها نوع من القرب الخاص الذى لا يمكن وصفه.

(۲) فاذا كان المراد من (المعراج الروحانىّ) هو التفكر فى عظمة الحق وسعة

---

(۱) دائرة معارف القرن العشرين: ج ۶ ص ۳۲۹ مادة عرج.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۴۵

الخلق و .. و .. فلاـ شك أن هـذا ليس من مختصات رسول الاسـلام صـلّى اللّه عليه و آله بل كان أكثر الأنبياء، و كثير من الأولياء من ذوى البصائر القويّة الطاهرة يمتلكون هذه المرتبة، على حين أن القرآن الكريم يعتبر (المعراج) من خصائص رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يذكره على انه نوع من الامتياز الخاص به صلّى اللّه عليه و آله.

هذا مضافا الى ان مثل هذه الحالة (اعنى التفكر فى عظمة الخالق و الاستغراق فى التوجه الى الحق) كانت تتكرر لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى كل ليلة «۱»، و الحال ان (المعراج) الذى هو محط الكلام قد وقع فى ليلة معيّنة.

(۱) إن ما دفع بهذا الفريق إلى اتخاذ مثل هذا الموقف من (المعراج)، و آل بهم اختيار هذا الرأى هو فرضية الفلكى اليونانى المعروف «بطلميوس» التى كـانت سائـدة فى الأوسـاط العلميـة فى الشـرق و الغرب طيلـة ألفى سـنة بالكامل، و التى الّف حولها مئات الكتب، و كانت تعدّ حتى حين من المسلّمات فى مجال العلوم الطبيعية و هى على نحو الاجمال كالتالى:

(۲) إن الاجسام فى هذا العالم على نوعين: أجسام عنصرية، و اجسام فلكية.

و الجسم العنصرى هى العناصر الأربعة المعروفة: «الماء، و التراب، و الهواء، و النار».

و أوّل كرة تبـدو لنا هى كرة التراب و هى مركز العالم، ثم تليها كرة الماء ثم كرة الهواء، و تأتى بعـد كل هذه الثلاثة كرة النار، و كل من هذه الكرات محيطة بالاخرى، و هنا (اى و عند كرة النار) تنتهى الكرات، و تبدأ الاجسام الفلكية.

(۳) و المقصود من الأجسام الفلكيّة هى الافلاك التسعة التى تقع الواحدة فوق الاخرى و تحيط الواحدة بالاخرى على هيئة قشور البصل، و هى متصلة بعضها ببعض من دون فاصلة بينها و هى غير قابلة للاختراق و الالتئام (اى الشق

---

(۱) راجع وسائل الشيعة: ج ۷ كتاب صوم الوصال، ص ۳۸۸ قال صلّى اللّه عليه و آله: «إنى لست كأحدكم، أنى اظل عند ربّى فيطعمنى و يسقينى».

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۴۶

و الالتحام) و الفصل و الوصل و لا- يستطيع أىّ شىء من اختراقها و التحرك فيها بصورة مستقيمة لأن ذلك يستلزم انفصام اجزاء الفلك.

من هنا يكون المعراج الجسمانى مستلزما لأن ينطلق النبىّ صلّى اللّه عليه و آله من مركز العالم و يصعد بصورة مستقيمة إلى الأعلى عابرا الكرات العنصرية الأربع، و مخترقا الأفلاك التسعة الواحد تلو الآخر، بينما يستحيل خرق هذه الأفلاك ثم التحامها حسب نظرية بطلميوس و فرضيّته الفلكية.

و على هذا لا مناص من أن نعتقد بأن المعراج النبوىّ كان معراجا روحانيا، اى ان روحه صلّى اللّه عليه و آله هى التى عرجت حتى لا يمنع أىّ جسم من عبورها و سيرها و صعودها الى النقطة المطلوبة و الغاية المرسومة.

(۱)

الجواب:

ان هذا الكلام كان مقبولا و ذا قيمة عند ما كانت هيئة بطلميوس و فرضيته الفلكية لم تكن بعد قد فقدت قيمتها فى الاوساط العلمية و كان هناك من يعتقد بها من صميم فؤاده.

ففى مثل تلك البيئة كان من الممكن التلاعب بالحقائق القرآنية، و تأويل صريح القرآن و نصوص الروايات.

أما الآن فقد فقدت أمثال هذه الفرضيات قيمتها، و ظهر للجميع بطلانها، و لم يعد أحد يتحدث عنها، إلّا من باب ما يسمى بتاريخ العلوم.

فاليوم و بالنظر الى كل هذه الأجهزة الفلكية و الآلات الفضائية الدقيقة، و التلسكوبات العملاقة، و هبوط المركبات الفضائية المتعددة على سطح القمر و المريخ، و عملية القيادة الفضائية على سطح القمر لم يعد مجال لهذه الفرضيات الخيالية.

(۲) فاليوم لا يعتبر العلماء المحقّقون فكرة العناصر الأربعة و الفلك المتّصل كقشرة البصل إلّا جزء من الاساطير.

فان العلماء لم يستطيعوا بالآلات العلمية و أجهزة الرصد الدقيقة و العيون

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۴۷

المسلحة من رؤية، تلك العوالم التى حاكها و صنعها بطلميوس بقوة خياله، من هنا فان أية نظرية تقوم على هذا الاساس غير الصحيح تكون عارية عن أية قيمة، و اعتبار.

(۱)

نغمة شاذة:

و لقد طلع مؤسس الفرقة الشيخية «۱» «الشيخ احمد الاحسائى» فى «الرسالة القطيفية» بنغمة شاذة فى هذا الصعيد حيث أراد بابداء

طرحة جديدة أن يرضى كلا الطرفين (القائلين بروحانية المعراج النبوى و القائلين بجسمانيته) حيث قال:

ان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله عرج ببدنه البرزخى (الهورقليائى) «۲» ثم استدل لذلك بقوله:

ان الصاعد كلّما صعد ألقى فى كل رتبة من المراتب المذكورة ما فيها، فمثلا إذا تجاوز كرة الهواء القى ما فيه من الهواء، و اذا تجاوز كرة النار ألقى ما فيها و اذا رجع أخذ ماله من كرة النار، و اذا وصل الى كرة الهواء أخذ ماله من الهواء.

و من هنا فانّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله عند ما عرج الى السماء القى فى كل كرة واحدا من تلك العناصر الأربعة فى كرته، و عرج ببدن فاقد لهذه العناصر.

و مثل هذا البدن لا يمكن ان يكون بدنا عنصريا، فليس هو الا البدن البرزخى (الذى أسماه الهورقليائى) لا غير «۳».

---

(۱) لا شك أن هذه الفرقة و امثالها من الفرق المبتدعة هى من صنائع الاستعمار أو هى مما يؤيده لتنفيذ أغراضه، و من حسن الحظ أن انتشار الوعى بين أبناء الامة الإسلامية حدّ من نشاط هذه الفرق حتى انها أصبحت على ابواب الاندثار و الانقراض نهائيا.

(۲) و هو البدن البرزخى الذى يشبه البدن الذى يفعل به الانسان الافعال المختلفة فى عالم النوم و الرؤيا و يقوم بكل نوع من انواع النشاط.

(۳) تقع الرسالة القطيفية ضمن مجموعة تحتوى على ۹۲ رسالة باسم جوامع الكلم التى طبعت عام ۱۲۷۳.

و مع هذا التصريح يدّعى البعض- للتستر على خطأ الشيخ و زلته هذه- بأن الشيخ يعتقد بأن المعراج كان جسمانيا عنصريا، و أنه موافق لرأى المشهور فى هذا المجال.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۴۸

و بهذا- حسب تصوّره- أرضى من نفسه كلا الطرفين المذكورين، لأنه من جانب اعتقد بالمعاد الجسمانى، و فى نفس الوقت تخلّص من اشكال «خرق الافلاك و التحامها» لأن نفوذ الجسم البرزخى لا يستوجب أى خرق و انفصال فى جدار الفلك.

(۱) و لكن هذه النظرية- كما هو واضح لكلّ عالم متحرّ للحقيقة، بعيد عن العصبية- واضحة البطلان كسابقتها (نظرية المعراج الروحانى)، فمضافا الى انها مخالفة للقرآن و ظاهر الأحاديث، لأنّه- كما أسلفنا- لو عرضنا آية المعراج (من سورة الاسراء) على أىّ عارف باللغة، مهما كانت و طلبنا منه رأيه فى هذا الصدد لقال: ان مراد القائل هو البدن الدنيوى العنصرى الذى عبّر عنه القرآن بلفظ العبد، فى قوله تعالى: «سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ»، و ليس الهورقليائى الذى لم يكن يعرفه المجتمع العربىّ، و لا يعرف أمثاله فى ذلك اليوم اساسا، فى حين أنهم كانوا هم المخاطبون فى آية المعراج فى سورة الاسراء لا غيرهم.

هذا مضافا الى أنّ ما دفع بالشيخ الى ارتكاب هذا التأويل البارد هو الاسطورة اليونانية المذكورة حول الفلك، حيث تصوّرها كحقيقة ثابتة من حقائق اللوح المحفوظ، و قد كذبها و فندها كل فلكيّ العالم اليوم، و أعلنوا عن سخافتها.

فلا يجوز لنا أن نقلّد تلك الفرضية تقليدا أعمى.

و اذا ما رأينا بعض القدماء من المشايخ قال بمثل هذا محسنا الظن بتلك الفرضية الفلكية القديمة و أمثالها امكن إعذارهم، لعدم قيام ادلة علمية قوية على خلافها آنذاك.

اما اليوم فلا ينبغى لنا ان نتجاهل الحقائق القرآنية لفرضية ثبت بطلانها فى الأوساط العملية

(۲)

المعراج و قوانين العلم الحديث:

اشارة

قد يتصور فريق من الناس أن القوانين الطبيعية و العلمية الحاضرة لا تتلاءم

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۴۹

مع معراج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و ذلك لأنه:

(۱) ۱- يقول العلم الحديث: إنّ الابتعاد عن الأرض يتطلب التخلّص من جاذبية الأرض، و بعبارة اخرى ابطال مفعولها.

فان (الكرة) التى نقـذفها إلى الأعلى تعود مرة ثانيـة الى الأرض بفعل الجاذبية و مهما كرّرنا قذف الكرة الى الأعلى فانها تعود و ترجع الى الأرض أيضا.

فاذا أردنا أن نبطل مفعول جاذبيـة الأرض ابطالا كاملا بحيث لا تعود الكرة المقذوفـة الى الأعلى الى الأرض ثانيـة بل تواصل مسيرها إلى الأعلى فإننا نحتاج لتحقيق هذا الهدف الى جعل سرعة الكرة باتجاه معاكس للأرض تعادل ۰۰۰/ ۲۵ ميلا فى الساعة.

و على هـذا فـان معنى المعراج هو ان يكون النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله قـد خرج من محيط جاذبيـة الأرض، و اصبح فى حالـة انعـدام الوزن.

و لكن ينطرح هنا سؤال و هو: كيف اسـتطاع رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ان يطوى بدون وسائل هذه المسافة بمثل هذه السرعة، و هل البدن الطبيعى يتحمل مثل هذه السرعة مع عدم توفر الغطاء الواقى و الوسائل اللازمة، التى تصون الجسم من التبعثر و الذوبان بفعل السرعة الفائقة.

(۲) ۲- إنّ الهواء القابل للاسـتنشاق غير موجود فوق عـدد من الكيلومترات بعيدا عن سـطح الأرض، بمعنى اننا كلما ذهبنا صـعدا إلى الطبقات العليا و ابتعدنا عن الأرض أصـبح الهواء أرقّ، حتى يغدو غير قابل للاستنشاق، و ربما نصل اذا واصلنا الصعود إلى الأعلى الى منطقة ينعدم فيها الهواء اللازم للتنفس بالمرة، فكيف اسـتطاع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بعد طى تلك المسافة الطويلة و البعيدة فى أعالى الجو أن يعيش بدون وجود الاوكسيجين؟! سيد المرسلين ج۱ ۵۴۹ المعراج و قوانين العلم الحديث: ..... ص : ۵۴۸

۳) ۳- إنّ الاشعة الفضائية، و الاحجار السماوية و الشهب الكثيرة المتطائرة إذا اصطدمت بأى جسم أرضى أبادته، و أفنته، و لكنها عند ما تصطدم بالغلاف الغازىّ المحيط بالأرض تتلاشى و تصبح كالبودر و لا تصل إلى الأرض، فيكون

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۵۰

الغلاف الغازى فى الحقيقة بمثابة درع يقى سكّان الأرض من خطر تلك القذائف المهلكة.

و مع هذه الحالة كيف تهيّأ لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يصون نفسه من تلك الاشعة الفضائية، و الاحجار السماوية؟!

(۱) ۴- إذا قلّ ضـغط الهواء على جسم الانسان فزاد أو نقص اختلت حياته الطبيعية، فهو يمكنه أن يعيش تحت ضغط معين من الهواء، لا يوجد فى الطبقات العليا من الجوّ، فكيف استطاع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و الحال هذه أن يحافظ على حياته فى أعالى الفضاء؟!

(۲) ۵- إنّ سـرعة الحركة التى سار بها النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لا ريب كانت تفوق سرعة الحركة التى يسير بها النور و مع العلم بأنّ سرعة النور هى ۰۰۰/ ۳۰ كيلومترا فى الثانيـة، و مع العلم أيضا أنه ثبت فى العلم الحـديث أنه لا يسـتطيع أىّ جسم أن يتحرك بسـرعة تفوق سـرعة النور، فكيف اسـتطاع النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله ان يسـير بسـرعة تفوق سـرعة النور، و مع ذلـك يرجع إلى الأرض سالم الجسم كامله؟؟!

(۳)

جوابنا:

و جوابنا هو: أننا إذا أردنا أن نناقش هـذه المسألة على ضوء القوانين العلميّة الطبيعية لتجاوز عدد الاعتراضات و الاشكالات ما ذكرناه آنفا.

و لكننا نقول فى جواب هذا الفريق متسائلين: ما هو مقصودكم من توضيح هذه النواميس الطبيعية.

هل تريدون القول بأن السير فى العوالم العليا أمر غير ممكن، و ممتنع ذاتا و بالتالى أنه أمر محال.

فاننا نقول– حينئذ– فى الجواب على ذلك بان الجهود و التحقيقات العلمية التى بذلها علماء الفضاء فى الشرق و الغرب قد جعلت هذا الأمر– و لحسن الحظ– أمرا ممكنا، و عاديا، لأن مع اطلاق أوّل قمر اصطناعى عام (۱۹۵۷ م) الى السماء

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۵۱

و الذى اسماه علماء الفضاء ب «اسپوتنيك» اتضح أنه يمكن إبطال مفعول جاذبية الأرض بواسطة الصاروخ، كما أن إرسال السفن الفضائيّة الحاملة الروّاد الفضاء من البشر بواسطة الصاروخ أوضح أنّ ما كان يعدّه البشر مانعا من الصعود الى الأعلى فى الفضاء، قد أصبح قابلا لرفعه و إزالته، و التخلّص منه بيد العلم و التكنولوجيا.

(۱) إن البشر استطاع بأدواته و آلاته العلمية و التكنولوجية أن يعالج مشكلات عديدة فى مجال ارتياد الفضاء مثل مشكلة الشهب و النيازك المتطائرة فى الجوّ و مشكلة الاشعة الفضائية، و مشكلة انعدام الغاز اللازم للتنفس و .. و .. و ها هو علم ارتياد الفضاء فى حال توسع مستمرّ و ان العلماء أصبحوا الآن يثقون بأنهم سرعان ما يتمكنون من مدّ بساط الحياة و العيش فى إحدى الكرات السماوية و السفر إلى إحدى الكواكب كالقمر و المريخ بسهولة كبرى! «۱»

إنّ هذه الأحداث العلمية و هذا التقدّم التكنولوجى فى مجال ارتياد الفضاء شاهد قوىّ على أنّ هذا العمل أمر ممكن مائة بالمائة، و ليس من الامور المستحيلة.

و اذا كان مقصود المعترضين على المعراج هو انه لا يمكن القيام بمثل هذه الرحلة من دون أجهزة علميّة و تكنولوجية، و لم يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يملك فى تلك الليلة مثل هذه الأجهزة فكيف طوى تلك المسافات و طاف

---

(۱) بعد اطلاق الاقمار و السفن الاصطناعية لأوّل مرة يوم الأربعاء ابريل عام ۱۹۶۱ بدأ الضابط الروسى (۲۷ سنة) جاجارين رحلته الفضائية فى سفينة فضائية، و كان أوّل إنسان أقدم على هذه الرحلة الفضائية، و ابتعدت سفينته ۳۰۲ كيلو مترا عن سطح الأرض، و دارت دورة واحدة حول الكرة الارضية فى ساعة و نصف.

و بعد ذلك أقدمت أمريكا و الاتحاد السوفيتى على ارسال السفن الفضائية إلى الفضاء فى محاولة لغزو القمر حتى حطّت «أپولو» الحاملة ل ۱۱ رائدا فضائيا على سطح القمر لأوّل مرّة، و كان هذا أوّل مرة يحط فيها انسان قدمه على ارض القمر.

و قد تكررت تجربة هذا البرنامج الفضائى فيما بعد مرات و مرات، و كانت ناجحة على الاغلب.

و كل هذه الجهود و النتائج تكشف عن أن هبوط الانسان على سطح الكرات و الكواكب أمر ممكن، و ما يستطيع البشر فعله عن طريق العلم يقدر اللّه خالق البشر على فعله بارادته النافذة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۵۲

على جميع تلك العوالم من دون أدنى وسيلة نقل من هذا القبيل؟!

(۱) فاننا نقول فى معرض الاجابة على اعتراضهم هذا بأن جواب هذا الاعتراض يتضح من الابحاث التى سبقت منا حول معاجز الأنبياء و خصوصا بحثنا المفصّل حول حادثة عام الفيل و هلاك جيش أبرهة العظيم بالأحجار الصغيرة، لأنه من المسلّم أنّ ما يستطيع البشر فعله عن طريق الأدوات و الآلات العلمية الصناعية يستطيع الأنبياء فعله بعناية اللّه تعالى، و إقداره و بدون الأسباب الظاهرية و الخارجية.

لقد عرج رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله الى السماء بعناية و باقدار اللّه الذى خلق الوجود كله، و أقام هذا النظام البديع برمته، فهو

الذی أعطی للأرض جاذبیتها، و أعطی للشمس أشعتها و أوجد مختلف طبقات الهواء، و أنواع الغازات فی الجوّ، و متی أراد أخذها و انتزاعها منها، أو کبح جماحها، و ردّ عادیتها.

(٢) فاذا تحقق معراج النبیّ الاکرم محمّد صلّی اللّه علیه و آله فی ظلّ العنایة الإلهیّة فانّ من المسلّم ان جمیع النوامیس تخضع أمام قدرته القاهرة، و ارادته الغالبة، و هی طوع إرادته، و السماوات و الأرض مطویّات بیمینه و الجمیع فی قبضته و رهن اشارته دائما و أبدا، و فی کل حین و أوان.

و علی هذا فما ذا یمنع من أن یعمل اللّه الذی منح للأرض جاذبیتها، و للأجرام السماویة أشعتها، علی إخراج عبده المصطفی بقدرته المطلقة و من دون الاسباب الظاهریة، من مرکز الجاذبیة الأرضیّة، و یصونه من أخطار الاشعة الکونیة، و أن یعمد خالق کل هذا القدر الهائل من الاوکسیجین إلی إیجاد الهواء اللازم لنبیّه فی الطبقات التی ینعدم فیها الهواء، و هذا هو معنی قولهم: «إنّ اللّه مسبّب الأسباب و معطّل الأسباب».

ان أمر المعجزة یختلف و یفترق أساسا عن أمر العلل الطبیعیة و القدرة البشریة.

(٣) و نحن یجب أن لا نقیس قدرة اللّه المطلقة بقدرتنا المحدودة، فاذا کنّا لا نقدر

سید المرسلین ،ج١،ص:٥٥٣

علی شیء من دون الأسباب لم یصح أن نقول: ان القادر المطلق لا یقدر علی مثله من دون الاسباب الطبیعیة أیضا.

إنّ إحیاء الموتی، و قلب العصا إلی ثعبان، و إبقاء یونس حیّا فی بطن الحوت، فی قعر البحار، مما صدّقته جمیع الکتب السماویة و نقلته إلینا لا تقلّ إشکالا و لا تختلف جوابا عن قصة المعراج النبوی.

و خلاصة القول: ان جمیع العلل الطبیعیة و الموانع الخارجیة مسخّرة للّه تعالی خاضعة لارادته، مطیعة لأمره و ارادته یمکن تعلّقها بکلّ شیء إلّا بالأمر المحال، و أما غیر ذلک أی ما یکون ممکنا بالذات مهما کان، فانّه قابل لأن یتحقق فی طل ارادة اللّه و مشیئته سواء یقدر البشر علیه أم لا یقدر.

علی أن حدیثنا هذا موجّه الی من آمن باللّه، و عرف ربّه بصفاته الخاصة به تعالی، و بالتالی آمن باللّه الأزلیّ علی أنّه القادر علی کلّ شیء.

(١)

الهدف من المعراج:

لقد بیّنت الأحادیث- بعد الآیات- الغرض من المعراج و إلیک طائفة من هذه الأحادیث.

١- یقول ثابت بن دینار سألت الإمام زین العابدین علی بن الحسین علیه السلام عن اللّه جلّ جلاله هل یوصف بمکان فقال: «تعالی اللّه عن ذلک».

قلت: فلم أسری بنبیه محمّد صلّی اللّه علیه و آله إلی السماء؟

قال: «لیریه ملکوت السماوات و ما فیها من عجائب صنعه و بدائع خلقه».

٢- و قال یونس بن عبد الرحمن قلت لأبی الحسن موسی بن جعفر علیه السلام لأیّ علة عرج اللّه بنبیّه إلی السماء و منها إلی «سدرة المنتهی»، و منها إلی «حجب النور» و خاطبه و ناجاه هناک و اللّه لا یوصف بمکان؟ «١».

فقال علیه السلام: «إنّ اللّه لا یوصف بمکان و لا یجری علیه زمان، و لکنّه

---

(١) علل الشرائع: ص ٥٥، البحار: ج ١٨ ص ٣٤٧ و ٣٤٨، تفسیر البرهان: ج ٢ ص ٤٠٠.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۵۴

عز و جل أراد ان يشرّف به ملائكته، و سكان سماواته، و يكرّمهم بمشاهدته، و يريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه، و ليس ذلك على ما يقوله المشبّهون سبحان اللّه تعالى عمّا يصفون» «۱».

أجل يجب أن يكون لرسول الاسلام و خاتم الأنبياء مثل هذا المقام العظيم و مثل هذه المنزلة السامقة، ليقول للبشرية العائشة فى القرن العشرين، و التى أصبحت تفكر فى الهبوط على «المريخ» و «الزهرة» و غيرها من الانجم البعيدة:

باننى قد فعلت هذا من دون أية وسيلة، و انّ ربّى قد منّ علىّ و عرّفنى على نظام السماوات و الأرض، و أطلعنى بقدرته و بعنايته على أسرار الوجود، و رموز الكون.

(۱) علل الشرائع: ص ۵۵، البحار: ج ۱۸ ص ۳۴۷ و ۳۴۸، تفسير البرهان: ج ۲ ص ۴۰۰.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۵۵

(۱)

۲۳ سفرة إلى الطائف

اشارة

انقضت السنة العاشرة بكل حوادثها الحلوة و المرة، فان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقد فى هذا العام حاميه الكبيرين المتفانيين فى سبيله، ففى البداية فقد كبير بنى عبد المطلب و سيدهم، و المدافع الوحيد عن حوزة الرسالة الاسلامية، و الذابّ بالاخلاص عن حياض الشريعة المحمّدية، و الشخصية الاولى فى قريش اعنى «أبا طالب» عليه السلام.

و لم تنمح آثار هذه المصيبة المرّة عن خاطر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بعد إلّا و فاجأته مصيبة وفاة زوجته الوفية العزيزة، السيدة خديجة الكبرى التى جددت برحيلها عنه أحزان النبىّ و آلامه الروحية «۱».

لقد حامى أبو طالب و دافع عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و حافظ على حياته و سلامته و مكانته، و بينما ساعدت خديجة بثروتها الطائلة فى نشر الاسلام و قدمت فى هذا السبيل خدمات عظيمة لا تنسى.

من هنا سمى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تلك السنة بعام الحداد، او

(۱) جاء فى تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۳۰۱ انه قيل بأن «خديجة» توفيت بعد «أبى طالب» بشهر و خمسة أيام، بينما ذهب آخرون مثل ابن الأثير فى الكامل ج ۲ ص ۶۳ الى أن السيدة خديجة توفيت قبل أبى طالب، لا بعده.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۵۶

الحزن «۱».

و منذ أن توفّى اللّه هذين الحاميين العظيمين و المدافعين القويين عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله واجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ظروفا صعبة جدا قلما واجهها من قبل.

(۱) فقد واجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله منذ حلول السنة الحادية عشر جوّا مفعما بالعداء له، و الحقد عليه، و صارت الاخطار تهدد حياته الشريفة فى كل لحظة، و قد فقد كل الفرص لتبليغ الرسالة و كل امكانات الدعوة الى دينه.

يقول ابن هشام فى هذا الصدد: ان «خديجة بنت خويلد» و «أبا طالب» هلكا (اى توفيا) فى عام واحد فتتابعت على رسول اللّه صلّى اللّه

عليه و آله المصائب بهلك خديجة و كانت له وزيرة صدق على الاسلام ... و بهلك عمّه أبى طالب و كان له عضدا، و حرزا فى أمره، و منعة و ناصرا على قومه و ذلك قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من الأذى ما لم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا.

و لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذلك التراب دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بيته و التراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب و هى تبكى و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول لها:

«لا تبكى يا بنيّة فإنّ اللّه مانع أباك».

و يقول بين ذلك:

«ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتّى مات أبو طالب» «۲».

(۲) و لأجل تزايد الضغط و الكبت هذا قرر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أن ينتقل

---

(۱) تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۳۰۱، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۴۷.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۱۵ و ۴۱۶، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۵ عن إعلام الورى عن محمّد بن اسحاق بن يسار.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۵۷

من المحيط المكى إلى محيط آخر يتسنى له تبليغ رسالته.

و حيث انّ الطائف كانت تعتبر آنذاك مركزا هامّا، لذلك رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ان يسافر لوحده الى الطائف، و يجرى بعض الاتصالات مع زعماء قبيلة ثقيف و ساداتها و يعرض دينه عليهم علّه يحرز نجاحا و يكسب انصارا جددا لرسالته من هذا الطريق.

و لما انتهى صلّى اللّه عليه و آله الى الطائف عمد الى نفر من قبيلة «ثقيف» هم يومئذ سادة ثقيف و اشرافهم، و جلس صلّى اللّه عليه و آله إليهم، و دعاهم إلى اللّه، فلم يؤثر فيهم كلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قالوا له: لئن كنت رسولا من اللّه كما تقول لأنت أعظم خطرا من أردّ عليك الكلام، و لئن كنت تكذب على اللّه ما ينبغى لى ان اكلمك!!

(۱) فعرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من ردّهم الصبيانى أنهم يحاولون التملّص من قبول الدعوة و اعتناق الاسلام، فقام صلّى اللّه عليه و آله من عندهم بعد ان طلب منهم أن يكتموا ما جرى فى هذا اللقاء خشية أن يعرف سفهاء ثقيف فيتجرءوا عليه و يتخذوا ذلك ذريعة لاستغلال غربته و وحدته، و من ثم إيذائه، فوعدوه بالكتمان، و لكنهم- و للاسف- لم يحترموا وعدهم هذا الذى أعطوه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أغروا به سفهاءهم و عبيدهم، و فجأة وجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نفسه محاطا بجمع كبير من اولئك السفهاء يسبّونه و يصيحون به حتى اجتمع الناس، و ألجئوه إلى بستان لعتبة و شيبة ابنى ربيعة و هما فيه فى تلك الساعة، و رجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل فجلس فيه و هو يتصبب عرقا، و قد الحقوا الاذى بمواضع عديدة من بدنه الشريف و رجلاه تسيلان من الدماء، و ابنا ربيعة ينظران إليه، و يريان ما لقى من سفهاء أهل الطائف، و قد كانا من أثرياء قريش، يومئذ.

(۲) فلما اطمأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله توجه الى ربه و ناجاه قائلا:

«اللّهمّ إليك أشكو ضعف قوّتى، و قلّة حيلتى، و هوانى على النّاس، يا أرحم الرّاحمين، أنت ربّ المستضعفين، و أنت ربّى، إلى من تكلنى، إلى

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۵۸

بعيد يتجهّمنى؟ أم إلى عدوّ ملكته امرى؟

إن لم يكن بك علىّ غضب فلا ابالى، و لكن عافيتك هى أوسع لى.

أعوذ بنور وجهك الّذى اشرقت له الظّلمات، و صلح عليه أمر الدّنيا و الآخرة من أن ينزل بى غضبك، أو يحلّ علىّ سخطك.

لك العتبى حتّى ترضى، و لا حول و لا قوّة إلّا بك» «۱».

هـذه الكلمات و هـذا الـدعاء هى اسـتغاثة شخصـية عاش خمسـين سـنة عزيزا مكرما فى ظلّ حماية من دافعوا عنه بصدق و اخلاص و دفعوا عنه كل اذى و لكنه الآن يضـيق عليه رحب الحياة حتى يلجأ الى حائط عـدوّ من اعدائه، و يجلس فى ظل شـجرة، مكروبا موجعا ينتظر مصيره.

(۱) فلما رآه ابنا ربيعة «عتبة و شيبة» و كانا من الوثنيين و من أعداء الاسلام، و شاهدوا ما لقى من الأذى و العذاب، رقّا له فدعوا غلاما لهما نصرانيا من اهل نينوى يقال له «عداس» فقالا له: خذ قطفا من العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به الى هذا الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عداس، ثم أقبل بالعنب حتى وضعه بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثم قال له: كل، فلما وضع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيه يده قال: «بسم اللّه الرحمن الرحيم».

فتعجب عداس من ذلك بشدة و قال: و اللّه إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.

فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و من أهل أى البلاد أنت و ما دينك؟

قال: أنا نصرانى، من أهل نينوى.

قال صلّى اللّه عليه و آله: من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى.

فقال له عداس: و ما يدريك ما (من) يونس بن متى؟

فقال صلّى اللّه عليه و آله «۲»: ذاك أخى كان نبيا و أنا نبىّ، أنا رسول اللّه،

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۲۰.

(۲) و فى رواية البحار ج ۱۹ ص ۶ جملة اعتراضية هنا:- و كان لا يحقر أحدا أن يبلغه رسالة ربه-.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۵۹

و اللّه تعالى أخبرنى خبر يونس بن متى.

(۱) فأكبّ عداس على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قد رأى فى كلماته علائم الصدق و آيات الحق، و جعل يقبّل رأسه و يديه، و قدميه، و هما تسيلان من الدماء، و آمن به، ثم عاد بعد الاستئذان منه صلّى اللّه عليه و آله إلى صاحبيه فى البستان.

فتعجب ابنا ربيعـة لما رأياه فى غلامهما عـداس من الانقلاب الروحى العجيب، و سألاه قائلين: ويلك يا عـداس مالك قبّلت رأس هذا الرجل، و يديه و قدميه و ما ذا قال لك؟!

فاجابهما الغلام قائلا: يا سيدىّ ما فى الارض شىء خير من هذا، هذا رجل صالح لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلّا نبىّ.

فشقّ كلام عداس على ابنى ربيعة، و قالا له بنبرة الناصح له: ويحك يا عداس، لا يصرفنّك هذا الرجل عن دينك، فان دينك خير من دينه!! «۱»

(۲)

النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يعود إلى مكة:

انتهت ملاحقـة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بلجوئه الى حائط ابنى ربيعـة، و كان عليه الآن، و بعـد أن يئس من خير ثقيف ان يعود إلى مكة، و لكنّ عودته إلى مكة لم تكن لتخلو عن مشاكل، لأنه قد فقد نصـيره و حاميه و مدافعه الاكبر و الاوحد فكان من المحتمل جدا أن يقبض عليه المشركون و يسفكوا دمه.

فقرر صلّى اللّه عليه و آله ان يبقى فى منطقة «نخلة» (و هى واد بين الطائف و مكة) بعض الوقت.

لقد كان يريد أن يرسل أحدا إلى شخصية من شخصيات قريش يطلب منها ان تجيره حتى يدخل مكة بجوار، و لكنه صلّى اللّه عليه و آله لم يجد من يقوم له بهذه المهمة. فترك «نخلة» إلى حراء، و هناك التقى رجلا خزاعيا و طلب منه أن

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۱۹- ۴۲۱، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۶ و ۷ و ۲۲ مع اختلاف يسير.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۶۰

يأتى «المطعم بن عدى» بمكة، و كان من الشخصيات المكية البارزة و يسأله أن يجير رسول اللّه ليدخل مكة فى أمان من اذى قريش و كيدها.

(۱) فدخل الخزاعىّ مكة، و أبلغ المطعم ما طلبه منه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقبل المطعم- رغم كونه و ثنيا مشركا- ان يجير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال للخزاعى: ائته فقل له: إنى قد أجرتك فتعال.

فدخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مكة ليلا و نزل فى بيت مطعم مباشرة، و بات ليلته هناك، و لما طلعت الشمس من صبيحة غد قال مطعم لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لتعلمنّ قريش بانك فى جوارنا، فاصحبنا إلى البيت، ليروا جوارنا.

فاستحسن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله رأيه فاخذ المطعم و أهل بيته السلاح و دخلوا مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى المسجد الحرام، و كان ورودهم فى المسجد بهيئة رائعة.

(۲) و كان أبو سفيان قد كمن للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله ليكيد به، فلما رأى هذا المشهد المهيب غضب غضبا شديدا، و انصرف عن ايذاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فجلس المطعم و ولده و أختانه و اخوه، و طاف رسول اللّه بالبيت و صلى عنده ثم انصرف إلى منزله. «۱»

و لم يمض على هذه الحادثة زمان طويل حتى هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۸۱، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۷ و ۸. و يستبعد بعض المحققين ان يكون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد طلب الجوار من مشرك أو دخل فى جوار مشرك، على غرار عدم قبوله الهدية من المشرك و ذكر لذلك ادلة و وجوها.

و لكن يمكن الاجابة على هذا بأن الاجارة كانت امرا عاديا فى ذلك العصر، و لم يكن فيها ما يوجب شينا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لم تستلزم منه عليه.

ثم ما المانع فى مثل هذا الجوار لو ترتبت عليه مصالح عليا، كتمكين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من الدخول بسلام الى مكة، و تمكّنه من القيام بمهامّه الرسالية، خاصة ان هذا الجوار لم يستغرق إلّا يوما أو بعض يوم و تسنّى بعده لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ترتيب اوضاعه فى مواجهة الاخطار التى كانت تتهدده من جانب المشركين بمكة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۶۱

و آله من مكة إلى المدينة، و توفى المطعم فى أوائل الهجرة فى مكة، و لما بلغ رسول اللّه نبأ موته تذكّر صلّى اللّه عليه و آله إحسانه و جواره، و أنشأ حسّان بن ثابت شاعر الاسلام شعرا يمدحه فيه تقديرا لخدمته.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يتذكره كثيرا، حتى انه تذكره فى واقعة «بدر» التى انهزمت فيها قريش و عادت منكسرة الى مكة بعد أن خسرت كثيرا من رجالها و اسر منها عدد كبير، فتذكر مطعم بن عدى ثمة و قال صلّى اللّه عليه و آله:

«لو كان مطعم بن عدىّ حيا لوهبت له هؤلاء» «۱».

(۱)

نقطة هامة:

إنّ سفر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله الی الطائف یکشف عن اصراره فی اداء رسالته و استقامته و صبره صلّی اللّه علیه و آله کما ان تذکّره لإحسان مطعم فی المواقع المناسبة یقودنا إلی خصاله الحمیدة و سجایاه. الفاضلة، و خلقه العظیم.

و لکن الاهمّ من هذا و ذاک هو أننا نستطیع من خلال هذا تقییم خدمات أبی طالب القیامة، و معرفة اهمیتها الکبری عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، بمقایستها مع ما فعله مطعم.

فان مطعم لم یفعل شیئا إلّا أن اجار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و حماه یوما او بعض یوم.

بینما حدب أبو طالب علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و دافع عنه و خدمه عمرا کاملا، و لقی فی سبیله من المحن و المتاعب ما لم یلق مطعم منها و لا شیئا ضئیلا.

(۲) فاذا کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعلن عن استعداده للافراج عن جمیع الاسری فی «بدر» تقدیرا لما قام به مطعم من اجارة بسیطة قصیرة، فما ذا

---

(۱) المغازی للواقدی: ج ۱ ص ۱۱۰ ثم قال الواقدی: و کانت لمطعم بن عدی عند النبیّ صلّی اللّه علیه و آله اجارة حین رجع من الطائف، طبقات ابن سعد: ج ۱ ص ۲۱۰ و ۲۱۲، البدایة و النهایة: ج ۳ ص ۱۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۲

عساه أن یقوم به تجاه ما اسداه إلیه عمّه و حامیه و کافله الاکبر و الأوحد أبو طالب من خدمات طوال اکثر من اربعین عاما. أنه یجب ان یکون لمثل هذا الشخص العظیم الذی کفل صاحب الرسالة و قام بشئونه مدّة أربعین عاما بایامها و لیالیها و دافع عنه فی السنوات العشر الاخیرة و هی جلّ عمر الرسالة الاسلامیة فی الفترة المکیة إلی درجة ان عرّض راحته و سلامته بل حیاته و حیاة أبنائه لخطر الموت دفاعا عن حیاض الرسالة، و حمایة لصرح النبوة، مقاما عظیما و منزلة کبری عند قائد البشریة، و معلم الانسانیة، و هادیها العظیم.

کیف لا؛ و الفرق بین هذین الشخصین کبیر، و البون شاسع، فمطعم رجل وثنی مشرک، بینما یعتبر أبو طالب واحدا من کبار الشخصیات الاسلامیة العظیمة بلا جدال.

(۱)

الدعوة فی أسواق العرب:

کانت العرب تجتمع- فی مواسم الحج- فی نقاط مختلفة مثل: «عکاظ» و «المجنة» و «ذی المجاز»، و کان الشعراء و الخطباء العرب البارعون یقفون فی هذه المناطق علی أماکن مرتفعة و یلهون فریقا من الناس بما یلقونه علیهم من خطب و قصائد تدور فی الأغلب حول الحرب و القتال، و التفاخر، و العشق.

و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله شأن کل الأنبیاء و المرسلین الذین سبقوه یستغلّ هذه الفرصة- کغیرها- لا بلاغ رسالة ربه الی الناس، و لم یکن لاحد منعه او الکید به لحرمة القتال و الجدال فی الاشهر الحرم.

من هنا کان صلّی اللّه علیه و آله اذا حلّ الموسم وقف علی مکان مرتفع و خاطب الناس قائلا:

«قولوا لا إله إلّا اللّه تفلحوا و تملکوا بها العرب و تذلّ لکم العجم، و إذا آمنتم کنتم ملوکا فی الجنّة» «۱».

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۲۱۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۳

(۱)

دعوة رؤساء القبائل فی مواسم الحج:

و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یلتقی فی مواسم الحج فی هذه النقاط برؤساء القبائل العربیة و اشرافها، و یقف علی منازلهم منزلا منزلا، و یعرض دینه علیهم، و یدعوهم إلی اللّه و یخبرهم أنه نبیّ مرسل «۱».

و ربما مشی خلفه عمّه «أبو لهب» فاذا فرغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من قوله و ما دعا به قال أبو لهب فورا للناس: یا بنی فلان إن هذا إنما یدعوکم أن تسلخوا اللات و العزی من أعناقکم، إلی ما جاء به من البدعة و الضلالة، فلا تطیعوه و لا تسمعوا منه.

(۲) و قد قدمت جماعة من بنی عامر إلی مکّة فدعاهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی الاسلام، و عرض علیهم نفسه، فقبلوا أن یعتنقوا الاسلام إلّا أنهم اشترطوا علیه أن یکون إلیهم خلافته من بعده إذ قالوا: أ رأیت إن نحن تابعناک علی أمرک ثم أظهرک اللّه علی من خالفک أ یکون لنا الأمر من بعدک؟

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«الأمر إلی اللّه یضعه حیث یشاء».

فرفضوا اعتناق الاسلام و الإیمان باللّه و رسوله.

ثم لما عادوا إلی أوطانهم رجعوا إلی شیخ لهم طاعن فی السنّ لم یقدر أن یحجّ معهم و کان ذا بصیرة و فهم فحدّثوه بما جری بینهم و بین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قالوا: جاءنا فتی من قریش من بنی عبد المطلب یزعم أنه نبی یدعونا إلی ان نمنعه «۲» و نقوم معه.

فوضع الشیخ یدیه علی رأسه و وبّخهم علی رفضهم لدعوة الرسول و قال:

---

(۱) قال ابن هشام: کان صلّی اللّه علیه و آله لا یسمع بقادم یقدم مکة من العرب له اسم و شرف إلّا تصدّی له فدعاه الی اللّه و عرض علیه ما عنده.

(۲) أی نحمیه.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۴

یا بنی عامر و الذی نفس فلان بیده ما تقوّلها اسماعیلی قط «۱»، و إنّها لحق، فاین رأیکم کان عنکم؟! «۲»

ان هذه القضیة التاریخیة تفید- فی ما تفید- بان مسألة الخلافة و الامامة بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أمر تنصیصی، تعیینی، لا انتخابی، أی ان تعیین الخلیفة بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعود إلی اللّه تعالی، و لا- خیار للناس فیه، و انما علیهم الطاعة و الرضا.

---

(۱) أی ما ادعی النبوة کاذبا احد من بنی اسماعیل.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۲۴ و ۴۲۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۵

(۱)

۲۴ بیعة العقبة

اشارة

کان (وادی القری) فی ما مضـی من الزمن طریق التجارة من الیمن الی الشام، فکانت القوافل التجاریـة القادمـة من الیمن تـدخل وادیا طویلاـ یـدعی بوادی القری بعـد العبور بـالقرب من مکـة، و کـانت المناطق الواقعـة علی طول هـذا الوادی مناطق خضـراء، و من هـذه المناطق مدینة قدیمة کانت تدعی ب: یثرب و التی عرفت فیما بعد بمدینة الرسول.

و قـد سـکن فی هـذه المدینـة منـذ اوائـل القرن الرابع المیلادی قبیلتـا: «الاـوس و الخزرج» اللتـان کانتـا من مهاجری عرب الیمن (من القحطانیین).

(۲) و کان یعیش الی جانبهم الطوائف الیهودیـة الثلاث المعروفـة: «بنو قریظـة» و «بنو النضـیر» و «و بنو قینقاع» الـذین کانوا قد هاجروا إلیها من شمال شبه الجزیرة العربیة و استوطنوها.

و کان یقـدم الی مکـة کل عام جماعـة من عرب یثرب للاشتراک فی مراسـیم الحج، و کان النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله یلتقی بهم فی تلک المواسم، و یجری معهم اتصالات.

و قد مهدت بعض هذه اللقاءات للهجرة، و صارت سببا لتمرکز قوی الاسلام المتفرقة، فی تلک النقطة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۶

(۱) علی ان کثیرا من تلک الاتصالات و ان لم تثمر و لم تنطو علی أیـة فائـدة فعلیـة إلّا أنها تسـببت فی أن یحمل حجاج یثرب- لـدی عودتهم- انباء ظهور النبیّ الجدیـد و ینشـروه فی اوساط المدینـة کأهم نبأ من انباء الساعة، و یلفتوا نظر الناس فی تلک الدیار الی مثل هذا الأمر المهم و الخطیر.

و لهـذا نقلنا هنا بعض اللقاءات و الاتصالات التی تمت بین رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و جماعات من اهل هذه المدینة فی السـنة الحادیة عشرة و الثانیة عشرة و الثالثة عشرة من البعثة لتتضح بدراسة هذه المطالب علة هجرة النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله من مکة الی یثرب، و تمرکز قوی المسلمین فی تلک المنطقة.

(۲) ۱- کان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله کلما سـمع بقادم یقدم مکة من العرب له اسم و شـرف تصدی له، و دعاه الی الاسـلام و عرض علیه ما عنده.

و قد قدم مرة «سوید بن الصامت» فتصدی له رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله حین سمع به فدعاه الی اللّه و الی الاسلام فقال له سوید: فلعلّ الذی معک مثل الذی معی.

فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: و ما الذی معک.

قال: مجلة لقمان یعنی حکمة لقمان-.

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اعرضها علی فعرضها علیه. فقال له: إن هذا الکلام حسن، و الذی معی أفضل من هذا. قرآن انزله اللّه علیّ هو هدی و نور.

ثم تلا علیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله القرآن و دعاه الی الاسلام، فقال سوید إنّ هذا قول حسن و آمن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقدم المدینة علی قومه، فلم یلبث أن قتلته الخزرج فیما کان یتلفظ الشهادتین، و کان قتله قبل یوم بعاث «۱» «۲».

---

(۱) بعاث موضع کانت فیه حرب بین الاوس و الخزرج.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۲۵- ۴۲۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۷

(۱) ۲- قدم «انس بن رافع» مکّة و معه فتیة من بنی عبد الاشهل فیهم «یاس بن معاذ» أیضا، یلتمسون الحلف و النصرة علی قومهم من الخزرج، فسمع بهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فأتاهم و جلس إلیهم و قال لهم: هل لکم فی خیر مما جئتم له؟

فقالوا له: و ما ذاک؟

قال: «أنا رسول اللّه بعثنی إلی العباد أدعوهم الی أن یعبدوا اللّه و لا یشرکوا به شیئا و أنزل علیّ الکتاب» ثم ذکر لهم الاسلام، و تلا علیهم القرآن.

فقال إیاس بن معاذ و کان غلاما حدثا شهما: أی قوم هذا و اللّه خیر مما جئتم له.

فقد أدرک جیّدا أن دین التوحید یکفل کلّ حاجاتهم فهو دین شامل مبارک لأنه سیصهر الجمیع فی بوتقة الاخوّة الواحدة فتزول عندئذ أسباب العداء و القتال، و بذلک ینهی کل مظاهر الحرب و التنازع، و کلّ مظاهر الفساد و التخریب فهو أفضل من طلب المساعدة العسکریة من قریش التی جاءوا من أجلها الی مکة، فامن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من دون ان یکسب رضا رئیس قبیلته «انس بن رافع» و استئذانه، و لهذا غضب أنس و أخذ حفنة من تراب البطحاء و ضرب بها وجه إیاس و قال: دعنا منک، فلعمری لقد جئنا لغیر هذا، فصمت ایاس و قام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عنهم و انصرفوا الی المدینة، و کانت وقعة بعاث بین الأوس و الخزرج و لم یلبث ایاس ان هلک، و قد سمعه قوم حضروا عند وفاته یهلّل اللّه تعالی و یکبّره و یحمده و یسبّحه حتی مات، فما کانوا یشکّون أنه قد مات مسلما، و لقد استشعر الاسلام فی ذلک المجلس حین سمع من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ما سمع «۱».

(۲)

وقعة بعاث:

اشارة

کانت وقعة بعاث من الحروب التاریخیة بین الأوس و الخزرج، ففی هذه

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۲۷ و ۴۲۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۸

الوقعة انتصر الأوسیون علی منافسیهم، و أحرقوا نخیل الخزرجیین، ثم وقعت بعد ذلک حروب و مصالحات بینهم.

و لم یشترک «عبد اللّه بن ابیّ» و هو من أشراف الخزرج فی هذه الوقعة من هنا کان موضع احترام من القبیلتین، و کاد الطرفان یفقدان مقاومتهما بسبب تکرر الحروب، و تحمّل الخسائر الثقیلة، و لهذا رغب الطرفان فی عقد صلح بینهما یضع حدّا لجمیع أشکال العملیات العسکریة، و الغزو و الاقتتال، و الثأر و الانتقام، و أصرّت القبیلتان علی «عبد اللّه بن ابی» بان یقبل بقیادة عملیّة المصالحة هذه، بل و أعدوا له تاجا یتوّجونه به، حتی یصبح أمیرا فی وقت معیّن، و لکن هذا المشروع تعرض للانهیار و السقوط و واجهت الفشل علی أثر اعتناق جماعة من الخزرج الاسلام، ففی هذا الوقت بالذات التقی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمکة بستة اشخاص من رجال الخزرج و دعاهم الی الاسلام فآمنوا به، و لبّوا دعوته.

(۱)

تفصيل الحادث:

خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كلّ موسم فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الانصار و كانوا ستة انفار من الخزرج فقال لهم: أمن موالى اليهود؟ و هل لكم حلف معهم.

قالوا: نعم.

قال: أ فلا تجلسون أكلّمكم؟

قالوا: بلى.

فجلسوا معه، فدعاهم إلى اللّه عزّ و جلّ و عرض عليهم الاسلام و تلا عليهم القرآن، فاحدثت كلمات النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى نفوسهم أثرا عجيبا، و ممّا ساعد على ذلك أن يهودا كانوا معهم فى بلادهم، و كانوا أهل كتاب و علم، و كانوا هم أهل شرك و أصحاب أوثان، و كان اليهود قد غزوهم فى بلادهم،

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٥٦٩

فكانوا إذا وقع بينهم نزاع و كان بينهم شىء قال اليهود لهم: إن نبيا مبعوث الآن، قد اظلّ (او أطلّ) زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد و إرم، فكانت اليهود تخبر بخروج نبىّ من العرب ينشر التوحيد، و تنتهى على يديه حكومة الوثنية و الشرك، قد قرب ظهوره.

(١) فلما كلّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اولئك النفر، و دعاهم إلى اللّه، قال بعضهم لبعض يا قوم: تعلّموا و اللّه إنه للنبىّ الذى توعّدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه.

فاجابوه فيما دعاهم إليه، بان صدّقوه و قبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام، و قالوا: إنا قد تركنا قومنا، و لا قوم بينهم من العداوة و الشر مثل ما بينهم، فعسى أن يجمعهم اللّه بك، فستقدم عليهم فندعوهم الى أمرك، و نعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم اللّه عليه فلا رجل اعز منك «١».

(٢)

بيعة العقبة الاولى:

لقد أثّرت دعوة هؤلاء الستة، الجادة فى يثرب تأثيرا حسنا حيث سبّبت فى إسلام فريق من اهل يترب و اعتناقهم عقيدة التوحيد.

فلما كان العام المقبل (أى السنة الثانية عشرة من البعثة) قدم مكة اثنا عشر رجلا من اهل يثرب، فلقوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالعقبة، و انعقدت هناك أوّل بيعة اسلامية.

و ابرز هؤلاء الرجال هم: أسعد بن زرارة، و عبادة بن الصامت، و كان نص هذه البيعة- بعد الاعتراف- بالاسلام و الايمان باللّه و رسوله هو:

بايعنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على أن لا نشرك باللّه شيئا، و لا نسرق، و لا نزنى، و لا نقتل أولادنا، و لا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا و أرجلنا و لا نعصيه فى معروف.

---

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٨٦، و السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٢٧ و ٤٢٨، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٥.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٥٧٠

(١) فقال لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إن وفيتم فلكم الجنة، و ان غشّيتم من ذلك شيئا فامركم إلى اللّه عزّ و جل إن شاء

عذّب، و ان شاء غفر.

و هذه البيعة اصطلح على تسميتها المؤرخون و كتّاب السيرة ببيعة النساء، لأنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله اخذ البيعة من النساء فى فتح مكة على هذا النحو «۱».

و عاد هؤلاء النفر الى يثرب بقلوب مفعمة بالايمان، مترعة بمحبة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فعمدوا الى نشر الاسلام، و كتبوا الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يبعث لهم من يعلّمهم الاسلام و القرآن، فبعث النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لهم «مصعب بن عمير» و أمره بان يقرّ أهم القرآن، و يعلمهم الاسلام، و يفقّههم فى الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة.

و استطاع هذا المبلّغ القدير، و هذا الداعية النشيط ان يجمع المسلمين بفضل عمله الدؤوب و الحكيم، و تبليغه الصحيح فى غياب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و يؤمّهم، و يصلى بهم «۲».

(۲)

بيعة العقبة الثانية:

لقد أحدث تقدم الاسلام فى يثرب هيجانا كبيرا و شوقا عجيبا فى نفوس المسلمين من أهلها، فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر حلول موسم الحجّ، ليقدموا مكة، و يلتقوا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن كثب، و يظهروا له عن استعدادهم لتقديم ما يطلب منهم من خدمة و عمل، و ليستطيعوا توسيع نطاق البيعة من حيث الكمّ و من حيث الكيف.

و أخيرا حلّ موسم الحجّ فخرجت قافلة كبيرة من أهل يثرب للحجّ تضمّ خمسمائة نفرا فيهم ثلاث و سبعون من المسلمين من بينهم امرأتان، و الباقى إما راغبون فى الاسلام، و اما غير مكترث به، حتى قدموا مكّة، و التقوا برسول اللّه

---

(۱) و التى جاء ذكرها فى الآية ۱۲ من سورة الممتحنة.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۳۴، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۷۱

صلّى اللّه عليه و آله فواعدهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالعقبة للبيعة اذا قال: «موعدكم العقبة فى الليلة الوسطى من ليالى التشريق».

(۱) فلما كانت الليلة الثالثة عشرة من شهر ذى الحجة و هى التى واعدهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيها باللقاء، و نام الناس حضر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع عمّه «العباس بن عبد المطلب» قبل الجميع، و خرج المسلمون من رحالهم يتسلّلون تسلل القطا مستخفين بعد أن ناموا مع قومهم فى رحالهم، و مضى ثلث الليل لكيلا يحسّوا بخروجهم، حتى اجتمعوا فى الشعب عند العقبة، و لما استقرّ المجلس بالجميع، كان أوّل متكلم هو: العباس بن عبد المطلب فقال واصفا منزلة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا معشر الخزرج- و كانت العرب تسمى هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها و أوسها- إنّ محمّدا منّا حيث قد علمتم، و قد منعناه من قومنا، فهو فى عزّ من قومه، و منعة فى بلده، و إنّه قد أبى إلا الانحياز إليكم، و اللحوق بكم، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، و مانعوه ممّن خالفه فأنتم و ما تحملتم من ذلك، و إن كنتم ترون أنكم مسلموه و خاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه فانه فى عزّ و منعة من قومه و بلده.

فقال الحضور: قد سمعنا ما قلت فتكلّم يا رسول اللّه، فخذ لنفسك و لربك ما أحببت.

فتكلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فتلا القرآن و دعا إلى اللّه و رغّب فى الاسلام، ثم قال: ابايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم.

(۲) فقـام البراء بن معرور و أخـذ بيـد النبیّ صـلّی اللّه عليه و آله و قـال: نعم و الـذی بعثك بالحق نبيا لنمنعّنك مما نمنع منه ازرنا «۱» فبايعنا يا رسول اللّه فنحن و اللّه

---

(۱) الملاحظ فی هـذه البيعـة انها كانت بيعة للدفاع عن النبیّ صـلّی اللّه عليه و آله و ليس بيعة للجهاد فی سبيل اللّه، و لهذا فان رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله لم يقدم علی القتال فی بدر إلا بعد ان كسب موافقة الانصار و رضاهم.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۷۲

ابناء الحروب و اهل الحلقة (ای السلاح) ورثناها كابرا عن كابر.

فـدب فی الحضور حمـاس و سـرور عظيم و تعـالت الاـصوات و النـداءات من الخزرجيين و الـتی كـانت تعـبيرا عن شـدة حماسـهم، و سرورهم لهذا الأمر، فقال العباس و هو آخذ بيد رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله.

(۱) و فی هـذا الاثناء نهض «البراء بن معرور» و «أبو الهيثم بن التيهان» و «أسـعد بن زرارة» من مواضـعهم و بايعوا رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله ثم بايعه بقية القوم جميعا.

و قـد قـال ابن التيهـان عنـد مبـايعته للنبیّ صـلّی اللّه عليه و آله يـا رسول اللّه إن بيننا و بين الرجال (ای اليهود) حبالا (و علاقات) و إنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك اللّه، أن ترجع إلی قومك و تدعنا؟

فتبسّم رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله ثم قال: «بل الـدم الـدم، و الهدم الهدم احارب من حاربتم و اسالم من سالمتم» يعنی أنه سـيبقی علی العهـد، و لا يتركهم و كانت العرب تقول عنـد عقـد الحلف: دمی دمك، و هـدمی هـدمك، و هی كناية عن البقاء علی العهد و احترام الميثاق و الحلف.

(۲) ثم ان رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله قال: اخرجوا إلیّ منكم اثنی عشر نقيبا ليكونوا علی قومهم بما فيهم «۱».

فأخرجوا منهم اثنی عشـر نقيبا فقال صلّی اللّه عليه و آله لأولئك النقباء: انتم علی قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريّين لعيسی بن مريم و أنا كفيل علی قومی (يعنی المسلمين) فابايعكم علی أن تمنعونی مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم».

فقالوا: نعم و بايعوه علی ذلك.

و كان النقباء الذين اختيروا لذلك تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس و قد ضبطت أسماؤهم و خصوصياتهم فی التاريخ.

---

(۱) المحبر: ص ۲۶۸- ۲۷۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۷۳

و بعد أن تمّت مراسم البيعة وعدهم رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله بأن يهاجر إليهم فی الوقت المناسب، ثم ارفض الجمع و عاد القوم إلی رحالهم «۱».

(۱)

أوضاع المسلمين بعد بيعة العقبة:

و الآن ينبغی أن نجيب بالتفصيل علی السؤال الذی يطرح نفسه هنا و هو:

ما الـذی دعی أهل يثرب الـذين كانوا بعيـدين عن مركز ظهور الاسـلام إلی ان يسـتجيبوا لنداء الرسول صـلّی اللّه عليه و آله و يأخذوا بتعاليمه اسرع من المكيين مع ما كان بين المكيين و بين رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله من القرابة القريبة؟!

و كيف تركت تلك اللقاءات المعدودة القصـيرة بأهل يثرب آثارا تفوق الآثار التی تركتها الدعوة المحمّدية خلال ثلاثة عشر عاما فی

مكة؟!

إن علة هذا التقدم يمكن اختصارها و حصرها فى أمرين:

(۲) أوّلا: أن اليثربيّين جاوروا اليهود سنينا عديدة و طويلة قبل الاسلام، و كثيرا ما كانوا يتحدّثون فى مجالسهم و أنديتهم عن النبيّ العربيّ الذى يظهر، و يأتى بدين جديد.

حتى أن اليهود كانوا يقولون: للوثنيين إنّ هذا النبيّ سيقيم دين اليهود و ينشره، و يمحى الوثنية و يقضى عليها بالمرة.

فتركت هذه الكلمات أثرا عجيبا فى نفوس أهل يثرب، و هيّأت قلوبهم لقبول الدين الذى كان بخبر عنه يهود و ينتظرونه، بحيث عند ما التقى الانفار الستة من اهل المدينة الى الايمان برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأوّل مرّة، بادروا الى

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۵ و ۲۶، السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۴۱- ۴۵۰، الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۲۱- ۲۲۳.

و فى رواية اخرى فى البحار: ج ۱۹ ص ۴۷، كما اخذ موسى من بنى إسرائيل اثنى عشر نقيبا و قد كان هذا العمل النبوى حكيما جدا لان عامة الناس لا يمكن التعويل و الاتكال على التزاماتهم بل لا بد من الاعتماد- ضمنا- على رموز المجتمع و مفاتيحه و هم وجوه القوم و سراتهم.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۷۴

الايمان به من غير إبطال و لا تأخير بعد أن قال بعضهم لبعض: و اللّه إنّه للنبيّ الذى توعّدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه.

(۱) و من هنا فان مما يأخذه القرآن على اليهود هو: أنكم كنتم تهددون الوثنيين بالنبيّ العربيّ، و تبشرون الناس بانه سيظهر، و انهم قرءوا أوصافه و علائمه فى التوراة، فلما ذا رفضوا الإيمان به لمّا جاء صلّى اللّه عليه و آله.

يقول تعالى:

«وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ» «۱».

(۲) ثانيا: إنّ العامل الأخير الذى يمكن اعتباره دخيلا فى التأثير فى نفوس اليثربيين و سرعة إقبالهم على الإسلام و تقبّلهم لدعوة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله هو التعب و الارهاق الذى كان اهل يثرب قد اصيبوا به من جرّاء الحروب الطويلة الدامية فيما بينهم و التى استمرّت مائة و عشرين عاما و التى انهكتهم و كادت أن تذهب بما تبقّى من رمقهم، و جعلتهم يملّون الحياة، و يفقدون كلّ أمل فى تحسّن الأحوال و الاوضاع.

و إن مطالعة وقعة «بعاث» و هى- حرب وقعت بين الأوس و الخزرج- وحدها كفيلة بأن تجسد لنا الوجه الواقعى الذى كان عليه سكان تلك الديار.

(۳) ففى هذه الوقعة انهزم الاوسيّون على يد الخزرجيين، فهربوا الى «نجد»، فعيّرهم الخزرجيّون بذلك، فغضب «الحضير» سيد الأوس، لذلك غضبا شديدا، فطعن فخذه برمحه لشدة انزعاجه و غضبه، و ترجّل عن فرسه و صاح بقومه قائلا:

و اللّه لا أقوم من مكانى هذا حتى اقتل!! فأوقد صمود «الحضير» و ثباته نار الحمية و الغيرة و اشعل روح الشهامة و البسالة فى قومه، فقرروا الدفاع عن حقهم مهما كلفهم الأمر، فقاتلوا أعداءهم مستميتين، و المستميت منتصر لا محالة، فانتصر

(۱) البقرة: ۸۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۷۵

الأوسيون المغلوبون، هذه المرة، و هزموا الخزرج هزيمة نكراء و احرقت مزارعهم و نزل بهم ما نزل على يد الاوسيين!! «۱».

(۱) ثم تتابعت الحروب و المصالحات بعد ذلک، و کانت القبیلتان تتحملان فی کل مرة خسائر کبری، جعلتهم یواجهون عشرات المشاکل التی حوّلت حیاتهم الی حیاة مضنیة متعبة جدا.

من هنا لم تکن کلتا القبیلتین راضیتین علی أوضاعهما، و کانتا تبحثان عن مخلص مما هما فیه، من الحالة السیئة، و تفتشان عن نافذة أمل، و مخرج من تلک المشاکل.

و لهذا وجد الخزرجیون الستة ضالّتهم المنشودة عند ما التقوا- و لاول مرّة- رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سمعوا منه ما سمعوا، فتمنّوا أن یضعوا به حدا لاوضاعهم المتردیة إذ قالوا له: عسی أن یجمعهم اللّه بک فان جمعهم اللّه بک فلا رجل أعزّ منک.

کانت هذه هی بعض الأسباب التی دعت الیثربیین إلی تقبّل الاسلام بشوق و رغبة و حماس.

(۲)

ردود فعل قریش تجاه بیعة العقبة:

کانت قریش تغطّ فی نوم عمیق و کانت تتصور بانها قد حدّت من تقدم الاسلام فی مکة و انه قد بدأ یتقهقر و یسیر باتجاه السقوط و الاندحار، و أنه لن ینقضی زمان إلّا و تنطفئ جذوة الاسلام و تخمد شعلته، و تنمحی آثاره.

و فجأة استیقظت علی دویّ بیعة العقبة الثانیة التی کانت بمثابة انفجار قلبت کل المعادلات، و أسقطت کل تصورات قریش الساذجة، و ذلک عند ما عرف زعماء الوثنیین بأن ثلاثا و سبعین شخصا من الیثربیین عقدوا لیلة أمس و تحت جنح الظلام بیعة مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی أن یدافعوا عنه کما

---

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۱ ص ۴۱۷ و ۴۱۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷۶

یدافعون عن أبنائهم و أهلیهم.

(۱) فأحدث هذا النبأ خوفا عجیبا فی قلوب قادة قریش و سادة مکة المشرکین المتغطرسین، لانهم أخذوا یقولون مع أنفسهم: لقد وجد المسلمون الآن قاعدة قویة فی قلب الجزیرة العربیة، و انه یخشی أن یجمع المسلمون کل طاقاتهم المبعثرة فیها، و یعملون معا علی نشر دینهم، و بث عقیدتهم، و حینئذ ستواجه الوثنیة فی مکة خطرا جدیا، یهدّدها فی الصمیم.

و لهذا بادرت قریش إلی الاتصال بالخزرجیین صبیحة تلک اللیلة و قالوا لهم:

یا معشر الخزرج انه قد بلغنا أنکم قد جئتم إلی صاحبنا تستخرجونه من بین أظهرنا، و تبایعونه علی حربنا، إنه و اللّه ما من حیّ من العرب أبغض إلینا أن تنشب الحرب بیننا و بینهم، منکم.

فحلف المشرکون من أهل یثرب لقریش أنه ما کان من هذا شیء، و ما علموه، و قد صدقوا لأنهم لم یعلموا بما جری فی العقبة. فان قافلة الیثربیین کانت تضمّ خمسمائة شخص، تسلّل منهم ثلاث و سبعون فقط الی العقبة و بقیة الناس نیام لا یعلمون بشیء.

(۲) فأتت قریش إلی «عبد اللّه بن ابیّ بن سلول» فسألوه عمّا جری فی لیلة العقبة، فأنکر ذلک و قال: إنّ هذا الأمر جسیم، ما کان قومی لیتفوتوا علیّ بمثل هذا (أی یعملوه من دون مشورتی) و ما علمته کان، فنهض رجال قریش من عنده لیتابعوا تحقیقهم حول الحادث.

فعرف المسلمون الذین حضروا ذلک المجلس و بایعوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یفشوا أمرهم، و انکشاف سرهم، و لهذا قال بعضهم لبعض: ما دمنا لم نعرف بعد فلنخرج من مکة فورا قبل ان یظفر المشرکون بنا، و لهذا أسرعوا فی الخروج من مکة و التوجّه الی المدینة، فزاد ذلک من سوء ظن قریش و عزّزت شکوکهم حول البیعة، و عرفوا بانه قد کان، فخرجوا فی طلب جمیع الیثربیین، و لکنهم لم یتنبهوا لذلک إلّا بعد خروج قافلة الیثربیین من حدود مکة، و المکیین، و لم تظفر قریش إلّا بسعد بن عبادة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۷۷

(۱) غير أن ابن هشام يرى بأنّهم ظفروا بنفرين هما: «سعد بن عبادة» و «المنذر بن عمر»، و كان كلاهما من النقباء الاثنى عشر.

و أما «المنذر» فاستطاع أن يخلّص نفسه منهم.

و أما «سعد» فقد أخذوه، و ربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه، و يجذبونه بجمّته «۱» و كان ذا شعر كثير.

يقول سعد:

فو اللّه إنّى لفى أيديهم إذ طلع علىّ نفر من قريش فيهم رجل وضىء أبيض، طويل القامة، فقلت فى نفسى: إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا.

قال: فلما دنى منّى رفع يده فلكمنى لكمة شديدة.

فقلت فى نفسى: لا و اللّه، ما عندهم بعد هذا من خير.

قال: فو اللّه إنّى لفى أيديهم يسحبوننى إذ رقّ علىّ رجل كان معهم، فقال:

ويحك أما بينك و بين أحد من قريش جوار و لا عهد؟

قلت: بلى كنت اجير لجبير بن مطعم بن عدى تجارة، و أمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى.

فذهب ذلك الرجل الى مطعم و أخبره بما فيه سعد بن عبادة من الحال، و أنه أخبره بأنه كان يجير لمطعم تجارة فقال مطعم: صدق و اللّه إنه كان ليجير لنا تجارة، و يمنعهم أن يظلموا ببلده ثم أسرع إلى سعد و خلّصه من أيديهم.

و كان رفقاء سعد من المسلمين قد علموا بوقوعه فى أيدى قريش فى أثناء الطريق إلى المدينة، فعزموا على أن يعودوا إلى مكة و يخلّصوه من أيدى المشركين، و بينما هم كذلك إذ بدى لهم «سعد» من بعيد، و أخبرهم بما جرى عليه «۲».

(۲)

تأثير الاسلام و نفوذه المعنوى:

يصر المستشرقون على أن انتشار الاسلام و نفوذه فى المجتمعات تمّ بواسطة

---

(۱) مجتمع شعر الرأس.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۴۹ و ۴۵۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۷۸

السيف و فى ظلّ استخدام القوّة.

اما بطلان هذا الكلام فسيثبت من خلال الحوادث القادمة.

و نحن نذكر هنا للمثال حادثة وقعت قبل الهجرة، و نلفت إليها نظر القارئ الكريم، فان دراستها و التعمق فيها يثبت بجلاء ان انتشار الاسلام و نفوذه فى أوساط الناس كان فى بداية الأمر نابعا من جاذبيته التى كانت تجذب كل انسان بمجرد اعطاء شرح مختصر عنه و عن تعاليمه المحببة إليه.

و إليك الحادثة بنصها:

(۱) قرر مصعب بن عمير المبلّغ و الداعية الاسلامى المعروف الذى بعثه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى المدينة بطلب من اسعد بن زرارة، ذات يوم أن يدعو هو و اسعد أشراف المدينة و ساداتها الى الاسلام بالمنطق و الدليل فدخلا حائطا «۱» من حوائط المدينة

فجلسا هناک و اجتمع إلیهما رجال ممن اسلم، و کان سعد بن معاذ و اسید بن حضیر و هما من سادات بنی الاشهل موجودین هناک أیضا.

فقال سعد لا سید: جرّد حربتک و قل لهذین (یعنی مصعبا و اسعد) ما ذا جاء بهما الی دیارنا یسفهان ضعفاءنا، و لو لا أن سعد بن زرارهٔ ابن خالتی، لکفیتک ذلک.

(۲) ففعل اسید ذلک و قال لمصعب ما جاء بکما إلینا تسفّهان ضعفاءنا و راح یشتمهما فقال له مصعب داعیهٔ الاسلام الحکیم، و المتکلم البلیغ الذی تعلّم اسلوب الدعوهٔ المؤثر من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أو تجلس فتسمع، فان رضیت أمرا قبلته، و ان کرهته کفّ عنک ما تکره؟

قال: أنصفت ثم رکّز حربته و جلس إلیهما یستمع لقولهما فکلّمه مصعب بالاسلام، و قرأ علیه شیئا من القرآن، فأثّرت آیات القرآن و ما قاله مصعب من المواعظ البلیغهٔ فی نفسه حتی عرف ذلک فی إشراق وجهه، و انفراج اساریره، و شوقه فقال: ما احسن هذا الکلام و اجمله؟! کیف تصنعون إذا اردتم أن تدخلوا

---

(۱) بستانا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷۹

فی هذا الدین؟ فقال مصعب و سعد له: تغتسل فتطهر و تغسل ثوبیک ثم تشهد شهادهٔ الحق ثم تصلی.

(۱) فقام اسید بن حضیر الذی حضر لقتل مصعب و سعد من عندهما مبتهجا مسرورا فاغتسل و طهر ثوبیه و تشهّد شهادهٔ الحق ثم قام فرکع رکعتین.

ثم قال لهما: ان ورائی رجلا إن أتبعکما لم یتخلف عنه أحد من قومه و سأرسله إلیکما الآن، ثم اخذ حربته و انصرف الی سعد بن معاذ الذی کان ینتظر عودته علی احر من الجمر فلما نظر إلیه سعد و قومه و هم جالسون فی نادیهم قال:

أحلف باللّه لقد جاءکم اسید بن حضیر بغیر الوجه الذی ذهب من عندکم فلما وقف علی النادی قال له سعد ما فعلت؟

(۲) قال: کلّمت الرجلین، فو اللّه ما رأیت بهما بأسا، و قد نهیتهما، فقالا: نفعل ما احببت، فغضب سعد لذلک غضبا شدیدا، و أخذ الحربهٔ من اسید، ثم خرج الی مصعب و اسعد لیقتلهما، فلما رآهما سعد مطمئنین وقف علیهما متشتما مهددا ایاهما، و لکن مصعبا و زمیله قابلاه بمثل ما قابلا به سابقه اسید، و جری له ما جری له، فقد فعلت کلمات مصعب فی نفسه فعلتها، و خضع لمنطقه القوی، و بیانه الساحر، و ندم علی ما قصد فعله، و قال لمصعب نفس ما قاله اسید و اعتنق الاسلام و اغتسل و تطهر و صلی ثم رجع الی قومه و قال لهم: یا بنی عبد الاشهل کیف تعلمون أمری فیکم؟ قالوا: سیدنا و افضلنا رأیا و ایمننا نقیبهٔ.

قال: فان کلام رجالکم و نسائکم علیّ حرام حتی تؤمنوا باللّه و برسوله فالحمد للّه الذی اکرمنا بذلک.

فلم یمس فی دار بنی عبد الاشهل رجل و لا امرأهٔ إلّا مسلما أو مسلمهٔ، و هکذا أسلم کلّ قبیلهٔ بنی الأشهل قبل أن یروا النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أصبحوا من الدعاهٔ إلی الاسلام و المدافعین عن عقیدهٔ التوحید، لا بمنطق القوهٔ انما بقوهٔ المنطق «۱».

---

(۱) إعلام الوری: ص ۵۹، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۰ و ۱۱، السیرهٔ النبویهٔ: ج ۱ ص ۴۳۶ و ۴۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۰

(۱) ان فی التاریخ الاسلامی نماذج کثیرهٔ من هذا القبیل تدل علی بطلان و تفاههٔ ما قاله أو روّجه المستشرقون حول أسباب تقدّم الاسلام و انتشاره، فان العامل المعتمد فی جمیع هذه الموارد لم یکن المال و التطمیع، و لا السلاح و التهدید، کما ادعی المستشرقون، و ان الذین اسلموا فی هذه الحوادث و الوقائع لا هم رأوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لا أنهم التقوا أو اتصلوا به بنحو من الانحاء،

انما کان السبب الوحید هو: منطق الداعیة الاسلامی القویّ و بیانه الساحر الجذاب، فهو الذی کان یفعل فی النفوس فعله العجیب، خلال دقائق معدودة، لا فی نفس شخص واحد فحسب، بل ربما فی نفوس قبیلة بکاملها.

اجل انه المنطق القوی و الکلام المبرهن و الحجة البالغة لا سواها.

(۲)

مخاوف قریش المتزایدة:

لقد ایقظت حمایة الیثربیین للمسلمین قریشا من غفلتها و نومها العمیق مرة اخری، و کانت بیعة العقبة الثانیة بمثابة ناقوس خطر لها فبدأت أذاها و اضطهادها و مضایقتها لهم من جدید، و تهیأت للعمل علی الحیلولة دون انتشار الاسلام و نفوذه و تقدمه فی الجزیرة العربیة، و بلغ ذلک الاذی مبلغا عظیما.

فشکی أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلیه ما یلقونه علی أیدی المشرکین من ضغوط و أذی، و استأذنوه فی الهجرة الی مکان فاستمهلهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ایاما ثم قال:

«لقد اخبرت بدار هجرتکم و هی یثرب فمن اراد الخروج فلیخرج إلیها» «۱».

و بعد الاذن بالهجرة من قبل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أخذ المسلمون یخرجون من مکة، و یتوجهون الی المدینة شیئا فشیئا و بحجج مختلفة لکی لا تمنعهم قریش من الهجرة.

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۲۲۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۱

(۱) و لم یکن قد مضی علی بدایة هجرة المسلمین التدریجیة هذه زمان طویل الا و فطن زعماء قریش لسرها، و خطرها علیهم فاخذوا یمنعون من أی تنقل و سفر یقوم به المسلمون، و قرروا ان یعیدوا الی مکة کل من وجدوه فی اثناء الطریق، کما قرروا ان یحبسوا زوجة کل مسلم یرید الهجرة و له زوجة قرشیة و یمنعوها عنه، و لکنهم کانوا یتجنبون اراقة الدماء فی هذا السبیل، بل و کان یقتصر اذاهم علی الحبس و التعذیب و لا یتعداهما.

و لکن هذه المحاولات التی قام بها زعماء قریش لوقف الهجرة الی المدینة لم تثمر لحسن الحظ [۱].

فقد استطاعت مجامیع کبیرة من المسلمین النجاة بنفسها من أیدی قریش و اللحاق بزملائهم و اخوانهم فی یثرب حتی انه لم یبق فی مکة من المسلمین إلّا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و علی علیه السلام و عدد قلیل من المسجونین، أو المرضی من المسلمین.

(۲) و قد زاد اجتماع المسلمین فی یثرب من مخاوف قریش، و ضاعف من قلقها، و لهذا اجتمع کل رؤساء القبائل المکیة فی «دار الندوة» اکثر من مرة للتشاور فی کیفیة القضاء علی الاسلام و طرحت فی ذلک المجلس خطط متنوعة، و اقترحت امور کثیرة لتحقیق هذه الغایة و لکنها فشلت برمتها بتدبیر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و حکمته، و سیاسته الدقیقة.

و أخیرا هاجر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من «مکة» إلی «المدینة» فی شهر ربیع الاوّل سنة ۱۴ من البعثة.

اجل لقد تضاعف قلق قریش منذ أن حصل محمّد علی قاعدة ثانیة خارجة عن نطاق هیمنة المکیین و سیطرتهم و اصبحوا حیری لا یدرون ما ذا یفعلون، لان جمیع خططهم للمنع من انتشار الاسلام، و اتساع رقعته، قد باءت بالفشل.

(۳) لقد أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أصحابه بالهجرة الی المدینة و الالتحاق

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۲

بالانصار و قال لهم: «إنّ اللّه قد جعل لکم دارا و إخوانا تأمنون بها» «۱» «۲».

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۶.

(۲) لقد انتهينا من تسجيل حوادث السنوات الثلاث عشرة من البعثة، و قد حاولنا ذكر كل ما كان معلوما مشهورا من تواريخها، و لكن لا يمكن اعتبار تواريخ كل تلك الحوادث امورا مقطوعا بها، من هنا ذكرنا الحوادث المثبتة فى الفصل ۲۴ من دون ادراج تواريخ لها فى الاغلب و لكن حيث أن الوقائع الحادثة بعد الهجرة وقعت فى أوقات معينة معلومة لذلك فاننا سنرفق ذكر كل حادثة بتاريخ وقوعها فى الفصول القادمة.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۸۳

(۱)

۲۵ قصّة الهجرة

حوادث السنة الاولى من الهجرة

اشارة

كان زعماء قريش و رؤساؤها يجتمعون عند كل نائبة تنوبهم فى «دار الندوة» لحل المشاكل و معالجة ما عرض لهم من نائبة من خلال التشاور حولها و تداول الرأى فيها، و من خلال تضافر الجهود على حلها، و رفعها أو دفعها.

و فى السنوات: الثانية عشرة، و الثالثة عشرة من البعثة واجه أهل مكة خطرا كبيرا جدّيا، فقد حصل المسلمون على مركز هام، و قاعدة صلبة فى يثرب، و تعهّد اليثربيون الشجعان بحماية رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الدفاع عنه، و كل هذا كان من علامات و مظاهر ذلك التهديد الخطير، الذى بات يهدد كيان المشركين و الوثنيين و الزعامة القرشية.

(۲) و فى شهر ربيع الاوّل من السنة الثالثة عشرة من البعثة التى وقعت فيه هجرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بينما لم يكن قد بقى من المسلمين فى مكة إلّا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و على و أبو بكر و جماعة قليلة من المسلمين المحبوسين، أو المرضى، أو العجزة، و كان هؤلاء على أبواب الهجرة و مغادرة مكة الى المدينة اتخذت قريش فجأة قرارا قاطعا و حاسما و خطيرا جدا فى هذا المجال.

فقد انعقدت جلسة هامة للتشاور فى «دار الندوة» حضرها رؤساء قريش

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۸۴

و زعماؤها و بدأ متكلمهم «۱» يتحدث عن تجمع القوى و العناصر الاسلامية و تمركزها فى المدينة و البيعة التى تمت بين الخزرجيين و الأوسيين و بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثم اضاف قائلا:

(۱) يا معشر قريش إنه لم يكن أحد من العرب أعزّ منّا، نحن أهل اللّه تفد إلينا العرب فى السنة مرتين، و يكرموننا، و نحن فى حرم اللّه لا يطمع فينا طامع، فلم نزل كذلك حتى نشأ فينا «محمّد بن عبد اللّه» فكنّا نسمّيه (الأمين) لصلاحه، و سكونه، و صدق لهجته، حتى إذا بلغ ما بلغ و أكرمناه ادّعى أنه رسول اللّه، و أن أخبار السماء تأتيه، فسفّه أحلامنا، و سبّ آلهتنا، و أفسد شبّاننا، و فرق جماعتنا، فلم يرد علينا شىء أعظم من هذا، و قد رأيت فيه رأيا، رأيت أن ندسّ إليه رجلا منّا ليقتله، فان طلبت بنو هاشم بدمه «۲» اعطيناهم عشر ديات.

فقال رجل مجهول حضر ذلك المجلس و وصف نفسه بانه نجدى: ما هذا برأى لأن قاتل محمّد مقتول لا محالة، فمن هذا الذى يبذل

نفسه للقتل منكم؟ فانه اذا قتل محمّد تعصّب بنو هاشم و حلفاؤهم من خزاعة، و إن بنى هاشم لا ترضى أن يمشى قاتل محمّد على وجه الارض فيقع بينكم الحروب و تتفانوا.

(٢) فقال أبو البخترى: نلقيه فى بيت و نلقى إليه قوته حتى يأتيه ريب المنون.

فقال الشيخ النجدىّ مرة اخرى: و هذا رأى أخبث من الآخر، لأن بنى هاشم لا ترضى بذلك، فاذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم، و اجتمعوا عليكم فاخرجوه.

فقال ثالث: نخرجه من بلادنا و نتفرّغ نحن لعبادة آلهتنا، أو قال نرحّل بعيرا صعبا و نوثّق محمّدا عليه كتافا، ثم نضرب البعير بأطراف الرماح فيوشك أن يقطّعه بين الصخور و الجبال إربا إربا.

(٣) فانبرى ذلك النجدى يخطّئ هذا الرأى أيضا قائلا: أ رأيتم إن خلص به

---

(١) و روى انه كان المتكلم: أبو جهل.

(٢) و فى رواية: بديته.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۸۵

البعير سالما إلى بعض الناس فأخذ بقلوبهم بسحر بيانه و طلاقة لسانه، فصبأ «١» القوم إليه، و استجابت القبائل له قبيلة فقبيلة، فليسيرنّ حينئذ إليكم الكتائب و الجيوش فلتهلكنّ كما هلكت أياد و من كان قبلكم.

فتحيّروا و ساد الصمت ذلك المجلس، و فجأة قال أبو جهل (و على رواية:

قال ذلك الشيخ النجدى): ليس هناك من رأى إلّا أن تعمدوا الى قبائلكم فتختاروا من كل قبيلة منها رجلا قويا ثم تسلّحوه حساما عضبا و ليهجموا عليه معا بالليل و يقطعوه إربا إربا فيتفرق دمه فى قبائل قريش جميعا فلا تستطيع بنو هاشم و بنو المطلب مناهضة قبائل قريش كلها فى صاحبهم فيرضون حينئذ بالدية منهم!!

فاستحسن الجميع هذا الرأى، و اتفقوا عليه، ثم اختاروا القتلة و تقرّر ان يقوموا بمهمتهم اذا جنّ الليل و ساد الظلام كل مكان «٢».

(١)

الإمدادات الغيبية و العنايات الالهية:

لقد كان اولئك العتاة الجهلة يتصورون أن رسالة محمّد صلّى اللّه عليه و آله المدعومة من قبل اللّه تعالى و المؤيّدة من جانبه سبحانه يمكن ان يقضى عليها بواسطة هذه الحيل و المكائد، و الخطط و المؤامرات، و لم يكونوا يدركون أن هذا النبىّ- كغيره من الأنبياء- يتمتع بالمدد الالهىّ الغيبى، و ان اليد التى حفظت مشعل الاسلام طوال ثلاثة عشر عاما فى وجه الاعاصير و الرياح، قادرة على افشال هذه الخطة الاثيمة، و تعطيل هذه المؤامرة أيضا.

يقول المفسرون: بعد أن دبّر الكفار ما دبروا نزل ملك الوحى «جبرئيل»، على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أخبره بما حاك ضدّه المشركون من مؤامرة اذ

---

(١) صبأ فلان: أى خرج من دين إلى دين غيره و كانت العرب تسمّى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الصابئ لأنه خرج من دين قريش إلى دين الاسلام و تسمى المسلمين: الصباة. و هو جمع الصابئ.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ السيرة النبوية: ج ١ ص ۴٨٠- ۴٨٢.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۶

قرأ علیه قول اللّه تعالی:

«وَ إِذْ یَمْکُرُ بِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِیُثْبِتُوکَ أَوْ یَقْتُلُوکَ أَوْ یُخْرِجُوکَ وَ یَمْکُرُونَ وَ یَمْکُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَیْرُ الْماکِرِینَ» «۱».

(۱) و عندئذ امر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالهجرة من مکة إلی المدینة، و لکنّ التخلص من أیدی القساة المکلّفین بقتله من قبل زعماء الوثنیین و بالنظر الی المراقبة الدقیقة التی کانوا یقومون بها لجمیع التحرکات، لم یکن بالأمر السهل و خاصة بالنظر الی بعد المسافة بین مکة و المدینة.

فاذا لم یکن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یخرج من مکة وفق خطة دقیقة صحیحة کان من المحتمل جدا أن یدرکه المکیون فی أثناء الطریق و یقبضوا علیه و یسفکوا دمه الشریف قبل ان یصل الی أتباعه و أصحابه.

و لقد ذکر المفسرون و المؤرخون صورا مختلفة لکیفیة خروجه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و هجرته و الاختلاف الذی نلاحظه بین هؤلاء المفسرین و المؤرخین فی خصوصیات و تفاصیل هذه الواقعة مما یقل نظیره فی غیره من الوقائع.

و قد استطاع مؤلف «السیرة الحلبیة» أن یوفّق الی درجة ما، بین المنقولات و المرویات المختلفة ببیان خاص، و لکنه لم یوفّق لازالة التناقض و الاختلاف فی بعض الموارد فی هذا الصعید.

(۲) علی أنّ الموضوع الجدیر بالاهتمام هو أن اکثر المؤرّخین الشیعة و السنة نقل کیفیة هجرة النبیّ، و خروجه من منزله، ثم من مکة بنحو مؤداه إسناد نجاة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و خلاصه إلی عامل الاعجاز، و بالتالی فقد اسبغوا علیه صبغة الکرامة، و المعجزة.

فی حین أن الإمعان فی تفاصیل هذه القصة یکشف عن أن نجاة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کانت نتیجة سلسلة من الإجراءات الاحترازیة، و التحسبات، و التدابیر الحکیمة، و إن إرادة اللّه تعالی تعلّقت بان ینجّی نبیّه

---

(۱) الانفال: ۳۰، لیثبتوک أی لیسجنوک.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۷

الکریم، عن طریق الأسباب العادیة المألوفة، و لیس عن طریق التدخّل الغیبیّ و إعمال قدرته تعالی الغیبیة.

و یدل علی هذا المطلب أنّ النبیّ توسل بالعلل الطبیعیة، و الوسائل و الأسباب العادیة (کمبیت شخص فی فراش النبیّ، و اختفاء رسول اللّه فی الغار و غیر ذلک مما سیأتی ذکره)، و بهذا الطریق نجّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نفسه، و تخلّص من أیدی اعدائه، العازمین علی إراقة دمه.

(۱)

ملک الوحی یخبر رسول اللّه:

لقد اخبر ملک الوحی «جبرئیل» رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بخطة قریش المشؤومة لاغتیاله و امره بالهجرة، و تقرر- بغیة إفشال عملیة الملاحقة- ان یبیت شخص فی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لیتصوّر المشرکون أنّ النبیّ لا یزال فی منزله، و لم یخرج بعد، و بالتالی یرکّزوا کلّ اهتمامهم علی محاصرة البیت، و ینصرفوا عن مراقبة طرقات مکة، و نواحیها.

و لقد کانت فائدة هذا العمل ای حصر اهتمام المراقبین ببیت النبیّ انه تسنی لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اغتنام الفرصة و الخروج من مکة، و الاختفاء فی مکان ما من دون ان یحس به أحد من الذین باتوا یراقبون بیته، و یبغون قتله.

(۲) و الآن یجب أن نری من الذی تطوّع للمبیت فی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و فدی النبیّ بنفسه، و وقاه بحیاته؟

ستقولون حتما: إن الذى سبق جميع المسلمين الى الايمان برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و فدى النبىّ بنفسه، و وقاه بحياته؟

ستقولون حتما: إن الذى سبق جميع المسلمين الى الايمان برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بقى من بدء بعثته و الى ذلك الحين يذب عنه، هو الذى يتعيّن أن يضحّى بنفسه فى هذا السبيل، و يقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بحياته فى هذه اللحظة الخطيرة، و هذا المضحّى بحياته و نفسه، هو «علىّ» ليس سواه احد، انه تقدير صحيح، و حدس مصيب.

فليس غير «على» يصلح لهذه المهمة الخطيرة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۸۸

و لهذا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعلىّ عليه السلام:

«يا علىّ إنّ قريشا اجتمعت على المكر بى و قتلى، و إنّه اوحى إلىّ عن ربّى أن اهجر دار قومى، فنم على فراشى و التحف ببردى الحضرمىّ لتخفى بمبيتك عليهم أثرى فما أنت قائل و صانع؟؟

فقال على عليه السلام: أو تسلمنّ بمبيتى هناك يا نبىّ اللّه؟

قال: نعم، فتبسّم علىّ عليه السلام ضاحكا مسرورا و أهوى إلى الأرض ساجدا، شكرا لما أنبأه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من سلامته، فلما رفع رأسه قال للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله:

امض لما امرت فداك سمعى و بصرى و سويداء قلبى، و مرنى بما شئت اكن فيه كمسرّتك، واقع فيه بحيث مرادك، و إن توفيقى إلّا باللّه.

(۱) ثم رقد علىّ عليه السلام على فراش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و اشتمل ببرده الحضرمى الاخضر، و لما مضى شطر من الليل حاصر رصد قريش- و هم اربعون رجلا- بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قد جرّدوا سيوفهم، ينتظرون لحظة الهجوم على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و يتطلّعون إلى داخل البيت من فرجة الباب بين الحين و الآخر ليتأكدوا من بقاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى مضجعه، فيظنون أنّ النائم فى الفراش هو النبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

(۲) و هنا أراد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أن يخرج من بيته.

فمن جانب يحاصر الأعداء بيته صلّى اللّه عليه و آله من كل جانب، و يراقبون كلّ شىء، و من جانب آخر تعلّقت مشيئة اللّه تعالى و ارادته القاهرة الغالبة أن ينجو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من ايدى تلك الزمرة المنحطة، فقرأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سورة (يس) لمناسبة مطلعها لظروفه حتى بلغ الى قوله تعالى: «فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ» «۱» و خرج من باب البيت دون ان يشعر به رصد قريش المكلّفون بقتله، و ذهب الى المكان الذى كان من المقرر ان يختبئ

---

(۱) يس: ۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۸۹

فيه على النحو الذى سيأتى تفصيله.

و أما كيف استطاع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ان يخترق الحصار البشرى المشدّد الذى ضرب على بيته، و يتجاوز رصد قريش من غير ان يشعروا به فذلك غير معلوم جيدا.

إلّا أنه يستفاد من رواية نقلها المفسر الشيعى المعروف المرحوم على بن ابراهيم فى تفسيره: قول اللّه تعالى: «وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا» ان رجال قريش كانوا نياما ينتظرون الفجر عند خروج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و لم يكونوا يتصوّرون أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد عرف بتدبيرهم و مؤامرتهم.

(۱) و لكن يصرّح غيره من المؤرّخين و كتّاب السيرة «۱» بان المحاصرين لمنزل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كانوا يقظين حتى لحظة

الهجوم على بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله خرج من البيت عن طريق الاعجاز و الكرامة من دون ان يروه و يحسوا به.

إن امكان وقوع مثل هذه الكرامة ليس موضع شك، و لكن هل كان هناك ما يوجب ذلك؟؟

ان دراسة قصة الهجرة بصورة كاملة تجعل هذه المسألة أمرا قطعيا و هى أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان عارفا بمؤامرة القوم قبل محاصرة بيته، و كان قد دبّر و رسم لنجاته خطة طبيعية عادية، و لم يكن فى الأمر اى اعجاز.

لقد كان يريد صلّى اللّه عليه و آله باضجاع على عليه السلام فى فراشه أن ينجو بنفسه من أيدى المشركين من الطرق العادية و القنوات الطبيعية من غير الاستعانة بالاعجاز و الكرامة.

(۲) و على هذا كان فى مقدور النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ان يتحسب لمسألة المحاصرة و الطوق الذى كان سيضرب على بيته من أوائل الليل، و ذلك بمغادرة

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۲۸، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۱۰۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۹۰

بيته قبل المحاصرة و قبل الغروب.

و لكن يمكن ان يكون لتوقّف النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى البيت حتى ساعة المحاصرة علة لا نعرفها الآن.

من هنا يكون ادّعاء هذا الموضوع (و هو خروج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله من البيت فى الليل) غير مقطوع به لدى الجميع لاعتقاد البعض بان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله غادر منزله قبل فرض الحصار عليه، و قبل غروب الشمس «۱».

(۱)

اقتحام الاعداء لبيت الوحى:

طوّقت قوى الكفر مهبط الوحى و بيت الرسالة و باتت تنتظر لحظة الإذن فى اقتحامه، و الهجوم على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى فراشه و ضربه و تقطيعه بالسيوف إربا إربا!

و قد أصرّ جماعة منهم أن ينفّذوا خطتهم المشؤومة هذه فى منتصف الليل و قبل الفجر فمنعهم أبو لهب من ذلك و قال: لا أدعكم أن تدخلوا عليه بالليل، فإنّ فى الدار صبيانا و نساء من بنى هاشم، و لا نأمن أن تقع يد خاطئة، فنحرسه الليلة، فإذا أصبحنا دخلنا عليه.

و ربما يقال أن علّة التأخير هى أنهم أرادوا أن يقتلوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند الصباح أمام أعين بنى هاشم حتى يروا أن قاتله جماعة و ليس واحدا.

(۲) و انقشع الظلام شيئا فشيئا، و انفجر الصبح، و دبّ فى المشركين شوق غريب، مع اقتراب ساعة الصفر، فقد كانوا يتصوّرون بأنهم سينالون ما يريدون قريبا، و بينما هم ينتضون سيوفهم دخلوا حجرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و بينما هم يهمّون بأخذ من كان راقدا فى الفراش بسيوفهم، إذا بهم يواجهون عليا

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۲۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۹۱

عليه السلام يثب فى وجوههم و هو يكشف عن نفسه برد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الأخضر، و قال لهم فى منتهى الطمأنينة و

الشجاعة: ما شأنكم؟ و ما ذا تريدون؟؟

فقالوا له بغضب: أين محمّد؟

فقال عليه السلام: اجعلتمونى عليه رقيبا؟!

(۱) فغضب القوم غضبا شديدا، و كاد الغيظ يخنقهم، فقد ندموا على انتظارهم انفجار الصبح و حمّلوا أبا لهب الذى منعهم من تنفيذ الهجوم على النبىّ فى منتصف الليل فشل الخطة و تفويت الفرصة، فاقبلوا عليه يلومونه و يوبخونه!!

أجل لقد انزعجت قريش بشدة لفشل هذه المؤامرة، و وجدوا انفسهم أمام هزيمة نكراء بدّدت كلّ أحلامهم، و حيث أنهم كانوا يتصوّرون بأن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لا يستطيع الخروج عن حدود مكة فى مثل تلك المدة القصيرة فهو إما مختبئ فى مكة، أو أنه لا يزال فى طريق المدينة، لذلك أقدموا فورا على العمل على ترتيب أمر ملاحقته و القبض عليه.

(۲)

النبىّ فى غار ثور:

ان ما هو مسلّم به هو أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أمضى هو و أبو بكر ليلة الهجرة و ليلتين اخريين بعدها فى غار ثور الذى يقع فى جنوب مكة فى النقطة المحاذية للمدينة المنورة «۱».

و ليس من الواضح كيف تمت هذه المصاحبة و المرافقة و لما ذا، فان هذه المسألة من القضايا التاريخية الغامضة.

فان البعض يعتقد بان هذه المصاحبة كانت بالصدفة، فقد رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أبا بكر فى الطريق، فاصطحبه معه الى غار ثور.

---

(۱) حيث ان الطريق المؤدى الى المدينة تقع فى شمال مكة، فاختبأ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى منطقة مقابلة أى فى اسفل مكة، ليعمى بذلك على قريش فلا يتبعوا أثره.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۹۲

و روى فريق آخر أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذهب فى نفس الليلة إلى بيت أبى بكر، ثم خرجا معا فى منتصف الليل إلى غار ثور «۱».

و قال فريق ثالث: أن أبا بكر جاء هو بنفسه يريد النبىّ و كان صلّى اللّه عليه و آله قد خرج من قبل فأرشده «علىّ» إلى مخبأ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

و على كل حال فان كثيرا من المؤرخين يعدّون هذه المصاحبة من مفاخر الخليفة و مناقبه، و يذكرون هذه الفضيلة و يتحدثون عنها بكثير من الاسهاب و الاطناب، و بمزيد من الاكبار و الاعجاب.

(۱)

قريش تفتش عن النبىّ:

لقد تسبب فشل قريش فى تغيير خطتها، فقد بادرت إلى بث العيون و الجواسيس فى طرقات مكة، و مراقبة مداخلها و مخارجها مراقبة شديدة، و بعثت القافّة تقتص أثره فى كل مكان، و فى طريق مكة- المدينة خاصة.

و من جانب آخر جعلت مائة ابل لمن ياخذ نبی اللّه، و يردّه عليهم أو يأتی عنه بخبر صحيح.

و عمد جماعة من قريش إلی ملاحقة رسول اللّه و التفتيش عنه فی شمال مكة، حيث الطريق المؤدی الی المدينة، علی حين أن رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله كان قد اختبأ- كما قلنا- فی نقطة بجنوب مكة لافشال عملية الملاحقة.

و تصدت مجموعة اخری لتتبع أثر قدم النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و رفيقه!!

و كان الـذی يقفو لهم الأثر يدعی أبا مكرز فوقف بهم علی باب حجرة رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله فقال هذه قدم محمّد، فما زال بهم حتی أوقفهم علی باب الغار فانقطع عنه الأثر فقال: ما جاوز محمد و من معه هذا المكان، إما أن يكونا صعدا إلی السماء، أو دخلا تحت الأرض، فان بباب هذا الغار- كما ترون عليه- نسج

---

(۱) تاريخ الطبری: ج ۲ ص ۱۰۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۹۳

العنكبوت و القبجة حاضنة علی بيضها بباب الغار «۱»، فلم يدخلوا الغار.

و لقـد اسـتمرت هـذه المحاولات بحثا عن النبیّ صـلّی اللّه عليه و آله ثلاثة أيام بلياليها و لكن دون جدوی، فلما يئس القوم بعد ثلاثة ايام من السعی تركوا التفتيش و كفوا عن الملاحقة.

(۱)

التفانی فی سبيل الحق:

ان النقطة المهمة فی هذه الصفحة من التاريخ هی ما قام به علی عليه السلام من تفان فی سبيل الحق، و الحقيقة.

إن التفانی فی سبيل الحق من شيمة الرجال الذين أحبّوا الحق و عشقوه بكل وجودهم و كيانهم.

إن الذين يغضون نظرهم عن كلّ شـیء من أشـياء الدنيا و يضـحّون بالنفس و المال و الشخصـية، و يستخدمون كل طاقاتهم المادية و المعنوية فی سبيل خدمة الحق، و احيائه، و اقامته هم و لا شك من عشاق الحق و الحقيقة الصادقين.

انهم يرون كمـا لهم و سـعادتهم فی هـدفهم، و هـذا هـو الـذی يـدفعهم إلی أن يصـرفوا النظر عن الحيـاة العـابرة، و العيش الموقت، و يلتحقوا بركب الحياة الواقعيّة الأبدية.

(۲) إنّ مبيت علیّ عليه السـلام فی فراش رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله فی تلك الليلـة الرهيبـة لنموذج بارز من هـذا الحبّ الحقيقیّ للحق، و العشق الصادق للحقيقـة، فان الـدافع وراء التطوّع لمثل هـذه المهمة الخطيرة لم يكن إلّا حبّ «علیّ» لبقاء الاسـلام الذی يكفل سعادة المجتمع، و يضمن ازدهار الحياة، لا غير.

---

(۱) الطبقات الكبری: ج ۱ ص ۲۲۹ تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۷- ۳۲۸ و غيرها، و لقـد ذكر عامه المؤرخين هـذه الكرامة هنا، و لا ينبغی- نظرا لما ذكرناه فی قصة الفيل و هلاك أبرهة و جنده بواسطة الابابيل، تأويل مثل هذا الكرامات.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۹۴

إن لهذه التضـحية و التفانی من القيامة العظمی بحيث مدحها اللّه تعالی فی كتابه العظيم، و وصـفها بأنها كانت تضـحية صادقة لكسب مرضاة اللّه، فان الآية التالية نزلت- حسب رواية اكثر المفسرين- فی هذا المورد:

«وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ» «۱».

(۱) ان عظمة هذه الفضیلة و اهمیة هذا العمل التضحویّ العظیم دفعت بکبار علماء الاسلام إلی اعتبارها واحدة من أکبر فضائل الإمام علی علیه السلام و إلی أن یصفوا بها علیا بالفداء و البذل و الایثار، و إلی ان یعتبروا نزول الآیة المذکورة فی شأنه من المسلّمات کلّما بلغ الحدیث فی التفسیر و التاریخ إلیها «۲».

إنّ هذه الحقیقة مما لا ینسی أبدا فانه من الممکن اخفاء وجه الواقع و التعتیم علیه بعض الوقت إلا أنه سرعان ما تمزق أشعة الحقیقة الساطعة حجب الاوهام، و تخرج شمس الحقیقة من وراء الغیوم.

إنّ معاداة معاویة لأهل بیت النبوة و بخاصة للإمام أمیر المؤمنین علی علیه السلام مما لا یمکن النقاش فیه.

فقد أراد هذا الطاغیة من خلال تطمیع بعض صحابة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أن یلوّث صفحات التاریخ اللامعة و یخفی حقائقه بوضع الاکاذیب، و لکنه لم یحرز فی هذا السبیل نجاحا.

(۲) فقد عمد «سمرة بن جندب» الذی ادرک عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثم انضمّ بعد وفاته صلّی اللّه علیه و آله إلی بلاط معاویة بالشام، عمد إلی تحریف الحقائق لقاء اموال أخذها من الجهاز الأموی، الحاقد علی أهل البیت.

فقد طلب منه معاویة باصرار أن یرقی المنبر و یکذّب نزول هذه الآیة فی شأن

---

(۱) البقرة: ۲۰۷.

(۲) مسند أحمد: ج ۱ ص ۸۷، و کنز العمال: ج ۶ ص ۴۰۷، و قد نقل کتاب الغدیر: ج ۲ ص ۴۷- ۴۹ طبعة لبنان مصادر نزول هذه الآیة فی شأن علیّ علیه السلام علی نحو التفصیل، فراجع.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹۵

علی علیه السلام، و یقول للناس أنها نزلت فی حق قاتل علیّ (أی عبد الرحمن بن ملجم المرادی)، و یأخذ فی مقابل هذه الاکذوبة الکبری، و هذا الاختلاق الفضیع الذی أهلک به دینه مائة ألف درهم.

فلم یقبل «سمرة» بهذا العرض و لکن معاویة زاد له فی المبلغ حتی بلغ اربعمائة ألف درهم. فقبل الرجل بذلک فقام بتحریف الحقائق الثابتة، مسودا بذلک صفحته السوداء اکثر من ذی قبل و ذلک عند ما رقی المنبر و فعل ما طلب منه معاویة «۱».

(۱) و قبل السامعون البسطاء قوله، و لم یخطر ببال أحد منهم أبدا ان (عبد الرحمن بن ملجم) الیمنیّ لم یکن یوم نزول الآیة فی الحجاز بل لعلّه لم یکن قد ولد بعد آنذاک. فکیف یصح؟!

و لکن الحقیقة لا یمکن ان تخفی بمثل هذه الحجب الواهیة، و لا یمکن ان تنسی بمثل هذه المحاولات العنکبوتیة الرخیصة.

فقد تعرّضت حکومة معاویة و تعرض أهلها و انصارها للحوادث، و اندثرت آثار الاختلاق و الافتعال الذی وقع فی عهده المشؤوم، و طلعت شمس الحقیقة و الواقع من وراء حجب الجهل و الافتراء مرة اخری، و اعترف اغلب المفسرین الأجلّة «۲» و المحدّثین الافاضل- فی العصور و الادوار المختلفة، بأن الآیة المذکورة نزلت فی «لیلة المبیت» فی بذل علی علیه السلام و مفاداته النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بنفسه «۳».

---

(۱) لا حظ شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج ۴ ص ۷۳.

(۲) شرح نهج البلاغة: ج ۱۳ ص ۲۶۲، و لقد أعطی ابن أبی الحدید حقّ الکلام حول هذه الفضیلة.

(۳) سمرة بن جندب من العناصر المجرمة فی الحکومة الامویة، و لم یکتف سمرة بتحریف الحقائق و قلبها بما ذکرناه، بل أضاف الی ذلک- حسب روایة ابن ابی الحدید- أمرا آخر أیضا اذ قال:

و نزل فی شأن «علیّ» قول اللّه: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ یُشْهِدُ اللَّهَ عَلی ما فِی قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ» (البقرة:

(۲۰۴).

و من جرائم هذا الرجل انه قتل یوم ولّی البصرة علی عهد زیاد بن أبیه فی العراق ثمانیة آلاف-

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹۶

(۱)

کلام من ابن تیمیة:

اشارة

احمد بن عبد الحلیم الحرّانی الحنبلیّ الذی مات فی سجن بدمشق عام ۷۲۸ من علماء السنّة، تعود إلیه اکثر معتقدات الوهابیین، و أفکارهم.

و لابن تیمیة هذا آراء و مواقف خاصة من النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و أمیر المؤمنین، و عامة أهل بیت النبوة، و قد صرح باکثر آرائه و معتقداته هذه فی کتابه «منهاج السنة».

و قد دفعت عقائده المنحرفة و آراؤه الضالّة الکثیر من علماء عصره إلی تکفیره، و التبرّی منه.

و لابن تیمیة رأی عجیب حول هذه الفضیلة نذکره للقارئ الکریم مع تصرف بسیط فی الألفاظ «۱»

و من المؤسف ان یکون قد تأثر بآرائه بعض السذّج و الجاهلین، فنجدهم یشیعون آراءه فی المجتمع من دون تحقیق فیما قال، و من دون مراجعة ذوی الاختصاص لمعرفة رأیهم فی أفکاره و معتقداته و هم غافلون عن أنّ مثل هذه الآراء قد صدرت من منحرف و کذّبه بل و کفّره بسببها أهل مذهبه.

هذا و إلیک خلاصة رأیه فی فضیلة «المبیت».

(۲) یقول: ان مبیت «علیّ» فی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لا تعدّ

- ممّن کانوا یحبون أهل البیت و یوالونهم و عند ما سأله معاویة: هل تخاف ان تکون قد قتلت أحدا بریئا؟

أجاب قائلا: لو قتلت إلیهم مثلهم ما خشیت!!

هذا و مخازی هذا الرجل اکثر من ان تستوعبه هذه الصفحات القلائل.

و سمرة هذا هو ذلک الرجل الصلف الجاف الذی رد علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله طلبه بأن یراعی حقّ جاره فی قضیة النخلة مرارا فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله له: «إنک رجل مضارّ و لا ضرر و لا ضرار فی الاسلام» و لمزید التوضیح راجع کتب الحدیث و التراجم و التاریخ.

(۱) راجع السیرة الحلبیة: ج ۲ ص ۲۶۳ و سبعة الجاحظ فی العثمانیة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹۷

فضیلة لأن علیّا عرف من طریقین بانه لن یصیبه شیء فی تلک اللیلة:

الأوّل إخبار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الصادق المصدّق نفسه ایّاه بذلک إذ قال له فی نفس تلک اللیلة: «نم فی فراشی فإنه لا یخلص إلیک شیء تکرهه»!!.

الثانی: أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کلّفه بردّ الودائع و أداء الامانات التی اودعها أهل مکة عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، إلی أصحابها.

فعلم- من ذلک- أنه لن يقتل و الا لكلّف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الآخرين بها.
فعرف «علىّ» من هذا التكليف أنه لن يلحقه أذى فى هذه العمليّة و انه سيوفّق لأداء ما كلّفه به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.
(۱)

الجواب:

و قبل أن نجيب عن هذا الكلام على نحو التفصيل نقول إجمالا: إن ابن تيميّة بانكاره هذه الفضيلة أثبت فضيلة أعلى لعلىّ عليه السلام لأنه إمّا كان ايمان علىّ بصدق مقالة الرسول كان ايمانا عاديا، و إما أن كان إيمانا قويا جدّا، و كانت جميع اقوال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و إخباراته لديه- فى ضوء ايمانه- كالنهار فى وضوحه.
(۲) و على الفرض الاوّل لم يكن لعلىّ يقين بنجاته من تلك الواقعة لأنه لا يحصل لمثل هذه الطبقة من الناس (و لا شك أن عليّا ليس منهم حتما) يقين من كلام النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و حتى لو قبلوا به فى الظاهر، فانهم سيساورهم القلق، و لا يفارقهم الاضطراب، و اذا هم باتوا فى فراشه فى لحظات الخطر، فانه سيبقون فريسة الخوف و الوجل و ستمرّ فى نفوسهم احتمالات كثيرة حول مال الأمر و مصيره، و سيتمثل أمامهم شبح الموت المرعب فى كل لحظة و آن.
و على هذا الفرض لا بد أن يقال: بأنّ عليّا عليه السلام لم يقدم على هذا الأمر الخطير إلّا و هو يحتمل الهلاك على أيدى المشركين، لا أنه بات و هو يتيقن
سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۹۸
النجاة و السلامة.
(۱) و أما بناء على الفرض الثانى فانه تثبت لعلىّ عليه السلام فضيلة أعلى و اعظم، لأن ايمان الرجل يجب ان يبلغ من القوة و الكمال بحيث لا يفرّق بين صدق كلام النبىّ و بين وضوح النهار أى أنهما يكونان عنده بمنزلة سواء.
و لا شك ان أهمية مثل هذا الايمان لا يمكن أن يعاد لها شىء.
و نتيجة هذا الايمان هى أن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله عند ما قال له: نم فى فراشى فلن يصيبك من هجوم الاعداء الحاقدين مكروه أن ينام فى فراش النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بقلب واثق بالسلامة، و نفس مطمئنّة الى النجاة، و من دون أن يخالج نفسه أقل احتمال للخطر.
و لو كان مراد ابن تيمية من قوله: ان عليّا كان واثقا من سلامته، لأن الصادق المصدّق أخبره بذلك هو: إثبات أعلى درجات الإيمان لعلىّ عليه السلام فقد اثبت له عليه السلام من حيث لا يشعر اكبر فضيلة، و أعلى منقبة، و هى كمال الايمان و الثقة برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أخباره.
هذا هو الجواب الاجمالى و إليك الجواب التفصيلى:
(۲)

الجواب التفصيلى:

فنقول عن الدليل الأول: إن عبارة «لا يخلص إليك شىء تكرهه» لم ينقلها بعض أرباب السيرة و رجال علم التاريخ الذين لهم سابقة لا تنكر فى هذا الصعيد «۱».
نعم روى ابن الاثير المتوفى عام ۶۳۰ «۲»، و الطبرى المتوفى عام ۳۱۰ «۳» هذه العبارة و كأنّما قد اخذاها عن ابن هشام فى سيرته «۴» التى نقل فيها تلك العبارة

(۱) مثل مؤلّف الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۲۷ و ۲۲۸ المولود عام ۱۶۸ و المتوفى عام ۲۳۰، و كذا المقريزى فى امتاع الاسماع، عند ذكرهم لتفاصيل قضيهٔ المبيت.

(۲) التاريخ الكامل: ج ۲ ص ۷۲.

(۳) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۹۹.

(۴) السيرهٔ النبويهٔ: ج ۱ ص ۴۸۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۹۹

بالصورهٔ المتقدمهٔ الذكر، خاصهٔ أنّ عبارهٔ ذينك المؤلّفين (الطبرى و ابن الأثير) تطابق عبارهٔ ابن هشام فى هذا المجال تماما.

هذا مضافا إلى أنّ القضيهٔ لا توجد بهذه الصورهٔ فى مؤلفات علماء الشيعهٔ على ما نعلم.

(۱) و لقد نقل شيخ الطائفهٔ الاماميهٔ محمّد بن الحسن الطوسىّ المتوفى عام ۴۶۰ فى أماليه قصهٔ الهجرهٔ بشكل اكثر تفصيلا و دقهٔ، و ذكر العبارهٔ المذكورهٔ مع تغيير بسيط، الّا أنه تختلف صورهٔ القضيّهٔ مع ذلك عما هى عليه فى كتب أهل السنهٔ، فانه رحمه اللّه يصرّح بان عليّا عليه السلام انطلق هو و «هند بن أبى هالهٔ» ابن خديجهٔ و ربيب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى منتصف الليل بعد ليلتين من الهجرهٔ حتى دخلا على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فقال صلّى اللّه عليه و آله لعلىّ:

«إنّهم لن يصلوا من الآن إليك يا على بأمر تكرهه حتّى تقدم علىّ» «۱».

(۲) و هذه الجملهٔ تشبه الجملهٔ التى ذكرها ابن هشام و الطبرى و ابن الأثير، و لكن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قالها لعلىّ عليه السلام مطمئنا إياه بعد ليلتين من المبيت فى الفراش، و ليس ليلهٔ المبيت كما يروى الثلاثهٔ المذكورون.

هذا علاوهٔ على أنّ كلام على نفسه خير شاهد على ما نقول:

فلقد عدّ علىّ عليه السلام عمله هذا (أى المبيت فى فراش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى تلك الليلهٔ الرهيبهٔ) نموذجا من بذله و تفانيه فى سبيل الحق كما يتضح ذلك بجلاء من اشعاره حيث يقول:

وقيت بنفسى خير من وطأ الحصاو من طاف بالبيت العتيق و بالحجر

محمّد لما خاف أن يمكروا بهفوقّاه ربّى ذو الجلال من المكر

و بت اراعى منهم ما يسوؤنىو قد وطّنت نفسى على القتل و الأسر

و بات رسول اللّه فى الغار آمناهناك و فى حفظ الاله و فى ستر «۲»

(۱) الأمالى: ج ۲ ص ۸۴.

(۲) المصدر السابق و غيره، هذا مضافا إلى أنّ الإمام عليه السلام نفسه قد استنشد المسلمين مرارا بهذه القضيهٔ مستدلا بها على تفانيه فى سبيل الاسلام.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۰۰

(۱) و مع هذه العبارات الصريحهٔ لا مجال للاعتماد على قول ابن هشام الذى تدل قرائن كثيرهٔ على خطأه، و يحتمل، احتمالا قويا، بأن اشتباهه و خطأه قد نشأ من تلخيصه لسيرهٔ ابن اسحاق، و حيث أنه (و نعى ابن هشام) قد بنى فى سيرته على الاختصار لذلك اكتفى بنقل أصل العبارهٔ، مهملا ظرف النطق بها لعدم أهميهٔ زمن النطق بها و أنها قيلت فى الليلهٔ الثانيهٔ او الثالثهٔ، فى نظره، و روى الموضوع بنحو يوهم بان جميع هذه الامور وقعت فى ليلهٔ واحدهٔ!!

و يؤيد رأينا هذا أيضا الحديث المعروف الذى رواه كثير من علماء السنهٔ و الشيعهٔ و هو: أن اللّه أوحى إلى جبرئيل و ميكائيل عليهما

السلام أنّی قد آخیت بینکما و جعلت عمر احدکما أطول من عمر صاحبه فابکما یؤثر أخاه.

و کلاهما کره الموت، فاوحی اللّه إلیهما: عبـد ای أ لا کنتما مثل ولیی «علیّ» آخیت بینه و بین «محمّـد» نبیی فاثره بالحیاة علی نفسه؟ أو قال: قد علی فراشه یقیه بمهجته.

ثم أمرهما بالهبوط إلی الأرض و حراسة علیّ و حفظه من عدوه «۱».

(۲) و اما الدلیل الثانی الذی یسـتفید منه ابن تیمیة أن علیّا کان یعلم بمصـیره هو توصـیة النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله له بأداء الامانات و الودائع إلی أهلهـا، الـتی کـانت تکشف عن ان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله کـان یعلم بـأنه لن یصـل إلیه مکروه، و لهـذا امره بردّ الودائع و الامانات إلی أصحابها.

و لکنّنا نعتقد ان فی مقدورنا الحصول علی حلّ لهذه المشکلة إذا استعرضنا بقیة قصة الهجرة بشکل صریح و کامل.

و إلیک بقیّة قصة الهجرة.

الخطیب و قضیة المبیت:

و ینبغی أن نختم هذا الفصل بما کتبه الاستاذ عبد الکریم الخطیب حول

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۳۹ نقلا عن احیاء العلوم للغزالی.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۱

مبیت علی علیه السـلام فی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حیث قال: لقد دعا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیّا لیلة الهجرة، و طلب إلیه أن یبیت فی المکـان الـذی اعتـاد الرسول صـلّی اللّه علیه و آله ان یبیت فیه، و ان یتغطی بـالبرد الحضـرمیّ الـذی کان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یتغطی به حتی اذا نظر نـاظر من قریش الی الـدار رأی کأنّ النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله نائم فی مکانه مغطی بالبرد الذی یتغطی به، و هذا الذی کان من علیّ فی لیلة الهجرة اذا نظر إلیه فی مجری الاحداث التی عرضت للامام علی فی حیاته بعد تلک اللیلة فانه یرفع لعینی الناظر أمارات واضحة و اشارات دالة علی ان هذا التدبیر الذی کان فی تلک اللیلة لم یکن أمرا عارضا بل هو عن حکمـة لها آثارها- الی ان قال- انه اذا غاب شـخص الرسول کان علی هو الشخصـیة المهیّأة لأن تخلفه و تمثّل شـخصه و تقوم مقامه، حین نظرنـا إلی علیّ و هو فی برد الرسول و فی مثوی منـامه الـذی اعتـاد أن ینـام فیه فقلنـا: هـذا خلف الرسول صـلّی اللّه علیه و آله و القائم مقامه «۱».

(۱)

بقیة قصة هجرة النبیّ:

انتهت المراحل الاولی لنجاة رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله وفق تخطیط صـحیح، بنجاح، فقد لجأ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی منتصف اللیل الی غار ثور، و اختبأ فیه، و بذلک أفشل محاولة المتآمرین علیه.

و لقد کان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله طوال هذا الوقت مطمئنا لا یحسّ فی نفسه بأیّ قلق أو اضطراب، حتی انه طمأن رفیق سفره عند ما وجده مضطربا فی تلک اللحظات الحساسة بقوله:

«لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا» «۲».

و بقی هناک ثلاث لیال محروسا بعین اللّه تعالی و مشمولا بعنایته و لطفه،

(۱) راجع کتاب علی بن أبی طالب بقیّة النبوّة و خاتم الخلافة ص ۱۰۳- ۱۰۵ ملخّصا.

(۲) التوبة: ۴۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۲

و کان یتردّد علیه صلّی اللّه علیه و آله فی هذه الاثناء علی علیه السلام و هند ابن ابی هالة (ابن خدیجة) علی روایة الشیخ الطوسی فی أمالیه، و عبد اللّه بن أبی بکر و عامر بن فهیرة راعی اغنام أبی بکر (بناء علی روایة کثیر من المؤرّخین).

یقول ابن الاثیر. کان عبد اللّه بن أبی بکر یتسمّع لهما بمکة نهاره ثم یأتیهما لیلا، و کان یرعی غنمه نهاره علی مقربة من الغار، و کان اذا غدا من عندهما عفی علی أثر الغنم «۱».

(۱) یقول الشیخ الطوسی فی أمالیه: عند ما دخل علی علیه السلام و هند علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الغار (بعد لیلة الهجرة) أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیّا أن یبتاع بعیرین له و لصاحبه، فقال أبو بکر: قد کنت أعددت لی و لک یا نبی اللّه راحلتین نرتحلهما الی یثرب.

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إنی لا آخذهما و لا أحدهما إلّا بالثمن. ثم أمر صلّی اللّه علیه و آله علیّا علیه السلام فدفع إلیه. ثمن البعیرین «۲».

و کان من جملة وصایا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لعلیّ علیه السلام فی الغار فی تلک اللیلة ان یؤدی أمانته علی أعین الناس ظاهرا و ذلک بأن یقیم صارخا بالابطح غدوة و عشیا: ألا من کان له قبل محمّد أمانة او ودیعة فلیأت فلنؤد إلیه أمانته «۳».

(۲) ثم أوصاه صلّی اللّه علیه و آله بالفواطم (و الفواطم هن: فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الحبیبة لدیه، و الأثیرة عنده، و فاطمة بنت أسد أمّ علیّ علیه السلام و فاطمة بنت الزبیر و من یرید الهجرة معه من بنی هاشم)، و أمره بترتیب أمر ترحیلهم معه الی یثرب و تهیئة ما یحتاجون إلیه من زاد و راحلة.

و هنا قال صلّی اللّه علیه و آله عبارته التی تذرّع بها ابن تیمیة فی دلیله

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۷۳ مع تصرف.

(۲) أمالی الشیخ: ح ۲ ص ۸۲. سید المرسلین ج۱ ۶۰۲ بقیة قصة هجرة النبی: ..... ص : ۶۰۱

(۳) الکامل: ج ۲ ص ۷۳، السیرة الحلبیة: ج ۲ ص ۵۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۳

الأول: «انهم لن یصلوا من الآن إلیک یا علیّ بامر تکرهه حتی تقدم علیّ».

(۱) فالملاحظ للقارئ هو أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إنما قال هذه العبارة عند ما أمره باداء أمانته، و ذلک بعد انقضاء قضیة لیلة المبیت.

أی انه أمر علیا بذلک، و قال له تلک العبارة و هو یتهیّأ للخروج من غار ثور.

یقول الحلبی فی سیرته: «وصی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی احدی اللیالی و هو بالغار علیا رضی اللّه عنه بحفظ ذمته و اداء امانته ظاهرا علی اعین الناس» «۱».

و ثم ینقل عن مؤلف کتاب «الدر» ما یقتضی انه اجتمع به عند خروجه من لغار.

و خلاصة القول: انه مع روایة شیخ جلیل من مشایخ الشیعة الامامیة کالشیخ الطوسی بالاسناد الصحیحة أن الأمر بردّ الودائع و الامانات

صدر من جانب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إلى علىّ عليه السلام بعد ليلة المبيت لا يحقّ لنا أن نعارض هذا النقل الصحيح، و نعمد إلى الهاء العامة بالتوافه، و أما رواية مؤرخى اهل السنة هذا المطلب بشكل آخر يوحى ظاهره بأن جميع وصايا النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لعلىّ تمت فى ليلة واحدة هى ليلة الهجرة (ليلة المبيت) فقابل للتفسير و التوجيه، لأنه لا يبعد أن عنايتهم كانت مركزة على رواية أصل الموضوع، و لم يكن لظرف صدور هذه الوصايا و الأوامر و وقت بيانها اهمية عندهم.

(٢)

الخروج من الغار:

هيّأ على عليه السلام بأمر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ثلاث رواحل و دليلا امينا يدعى أريقط ليترحلوها إلى المدينة، و يدلّهم الدليل على طريقها و أرسل كل ذلك إلى الغار.

---

(١) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٣٥.

سيد المرسلين ،ج١،ص:٦٠۴

و لما سمع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله رغاء البعير او نداء الدليل نزل هو و صاحبه من الغار و ركبا البعيرين و توجها من أسفل مكة إلى «يثرب» سالكين إلى ذلك الخط الساحلى، و قد جاء ذكر المنازل التى مرّا بها فى السيرة النبوية لابن هشام «١» و فى الهوامش المثبتة على التاريخ الكامل لابن الاثير «٢».

(١)

صفحة التاريخ الاولى:

اجل لقد حلّ الظلام فى كل مكان، و لملمت الشمس أشعّتها الذهبية من هذا الوجه من الكرة الأرضية لتوجّهها الى الوجه الآخر منها.
و عاد جماعة من رجال قريش الذين سلكوا كل طريق فى مكة و ضواحيها بحثا عن النبىّ، ثلاثة أيام، بلياليها، الى بيوتهم و منازلهم متعبين مرهقين، و قد يئسوا من الظفر بالجائزة (و هى مائة من الإبل) التى وضعتها سادة قريش جائزة لمن يأخذ محمّدا أو يدل على مكانه، و اعيد فتح طريق مكة- المدينة التى اغلقت لهذه الغاية بعد اليأس من الظفر برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله- «٣».
و فى هذه اللحظات بالذات بلغ نداء الدليل الذى كان يصطحب معه ثلاث رواحل و مقدارا من الطعام، الى مسمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و رفيقه و هما فى الغار و قد كان يقول بصوت خافت: لا بد ان نتخذ من ظلام هذا الليل سترا، و نسرع فى الخروج من حدود المكيين، و نختار طريقا يقلّ سالكوه و لا يهتدى إليه أحد.
و يبدأ تاريخ المسلمين من العام الذى تضمّن تلك الليلة بالضبط، و جعل المسلمون يقيسون كل ما يقع من الحوادث بذلك العام و بذلك يحددون تاريخه و زمان حدوثه.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ج ١ ص ۴٩١.

(٢) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٧۵.

(٣) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٠۴.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۶۰۵

(۱)

لما ذا أصبح العام الهجری مبدأ للتاریخ:

إن الاسلام أکمل الشرائع السماویة قاطبة، و قد جاء الی البشریة بما تتضمنه بشریعة موسی و عیسی علیهما السلام و لکن بصورة أکمل و بصیغة تطابق و تتمشی مع جمیع الظروف و الأوضاع.

و مع أن السید المسیح علیه السلام و میلاده المبارک یحظی بالاحترام عند المسلمین إلّا أنّ میلاده علیه السلام لم یتخذ لدیهم مبدأ للتاریخ، و التوقیت.

و کانت العرب قد جعلت عام الفیل «۱» مبدأ لتاریخها، و کانت تقیس حوادثها و امورها إلیه فترة من الزمن، و مع أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان قد ولد فی ذلک العام نفسه، إلّا أن المسلمین لم یتخذوه مع ذلک مبدأ للتاریخ، لأنه لم یکن ینطوی علی ما یتصل بقضیة الإیمان و الاسلام

و لاجل هذا أیضا لم یتخذوا عام البعثة مبدأ لتاریخ المسلمین أیضا لأن عدد المسلمین لم یکن یتجاوز فی ذلک الیوم ثلاثة أشخاص، إذن فلم یکن فی ای واحد من تلک الحوادث ما یعطی مبررا قویا لاتخاذه مبدأ للتوقیت و التاریخ، إذ لا بد ان یکون ما یتخذ لذلک قضیة مصیرة بالغة الأهمیة.

و لکنه فی السنة الاولی من الاعوام الهجریة حقق المسلمون انتصارا عظیما و باهرا، و قد اسست فیه حکومة مستقلة و تخلّص المسلمون من التشرذم و التبعثر، و تمرکزت قواهم و عناصرهم فی نقطة واحدة، و بیئة حرة لا أثر فیها للکبت و الاضطهاد، من هنا جعلوا ذلک العام (أی العام الذی تحققت فیه هجرة النبیّ العظیم) مبدأ لتاریخهم، و اخذوا یقیسون إلیه- و حتی الآن- کل ما یحدث و یقع من خیر و شر، لتحدید تاریخ وقوعه.

من هنا یکون قد مضی علی عام هجرة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله من مکة الی المدینة الف و اربعمائة و تسعة اعوام.

---

(۱) و هو العام الذی سیّر فیه أبرهة جیشا لهدم الکعبة تتقدمه الفیلة. راجع المحبّر: ص ۵- ۸.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۶۰۶

(۱)

من الذی جعل الهجرة مبدأ للتاریخ؟

علی العکس مما هو مشهور بین المؤرخین من أن الخلیفة الثانی جعل هجرة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله مبدأ للتاریخ باقتراح و تأیید من الإمام أمیر المؤمنین علی علیه السلام و امر بأن تؤرخ الدواوین، و الرسائل و العهود و ما شابه ذلک بذلک التاریخ، فان الامعان فی مراسلات النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و مکاتباته التی هی مدرجة فی الأغلب فی کتب التاریخ و السیرة و الحدیث و السنة، و کذا غیر ذلک من الادلة التی سوف نذکرها فی هذه الصفحات یثبت أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله هو نفسه أول من اعتمد تلک الحادثة الکبری کمبدإ للتاریخ،

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۶۰۹

و كان يؤرّخ رسائله، و كتبه إلى امراء العرب، و زعماء القبائل و غيرهم من الشخصيات البارزة بذلك التاريخ (أى التاريخ الهجرى).

و ها نحن ندرج هنا نماذج من تلك الرسائل النبوية المؤرخة بهذا التاريخ، ثم نعمد بعد ذلك الى استعراض الدلائل الاخرى على هذا الأمر، و نحن نحتمل ان تكون هناك أدلة اخرى غير ما سنذكره هنا- أيضا- لم نقف عليها.

(۱)

نماذج من رسائل النبىّ المؤرخة:

اشارة

(۲) ۱- طلب سلمان من النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ان يكتب له و لأخيه (ماه بنداذ) و لأهله وصية مفيدة ينتفع بها، فاستدعى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليّا و أملى عليه امورا، و كتبها على عليه السلام ثم جاء فى آخر تلك الوصية:

«و كتب على بن أبى طالب بأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى رجب سنة تسع من الهجرة» «۱».

(۳) ۲- أدرج المؤرخ الشهير «البلاذرى» فى كتابه «فتوح البلدان» نصّ معاهدة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع يهود «المقنا» و ذكر أن مصريا رأى نص هذه المعاهدة فى جلد أحمر اللون عتيق و كان قد استنسخها، فقر أهالى.

ثم نقل البلاذرى نص تلك المعاهدة و قد جاء فى نهايتها:

«و ليس عليكم امير الامن انفسكم أو من اهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم و كتب على بن أبو طالب فى سنة تسع» «۲»

و مع أن «أبا طالب» يجب أن يكتب حسب القواعد الادبية فى المقام «أبى طالب» لكونه مضافا إليه فقد كتب: «على بن أبو طالب» و لكن مع ذلك ذكر المحققون ان قبيلة قريش كانت تتلفظ لفظة أب فى جميع الموارد (أى فى حالة النصب و الرفع و الجرّ) ب: «أبو» و تكتبها كذلك أيضا، و قد صرح الاصمعىّ بهذا من بين الادباء.

و يقول البروفيسور «محمّد حميد اللّه» مؤلف كتاب «الوثائق السياسية»: انى

---

(۱) اخبار اصفهان تأليف ابى نعيم: ج ۱ ص ۵۲ و ۵۳.

(۲) فتوح البلدان: ص ۷۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۱۰

لما كنت فى المدينة المنورة فى شهر محرم سنة ۱۳۵۸ وجدت فى الكتابة القديمة التى فى جنوبى جبل سلع فى المدينة المنورة «أنا على بن أبو طالب» «۱».

(۱) ۳- جاء فى معاهدة الصلح التى نظمها «خالد بن الوليد» لاهل دمشق، و نص فيها على احترام دمائهم، و اموالهم و كنائسهم: «و كتب سنة ثلاث عشرة» «۲».

و كلنا نعلم أن دمشق فتحت فى أواخر حياة الخليفة الأوّل.

فما يدعيه البعض من ان التاريخ الهجرى قد اتخذ فى عهد الخليفة الثانى بارشاد و تأييد من الإمام على عليه السلام غير صحيح فان تاريخ ذلك يرتبط بالسنة السادسة عشرة او السابعة عشرة من الهجرة، و الحال ان هذه المعاهدة قد نظّمت و دوّنت و ارخت بالتاريخ الهجرى قبل ذلك بأربع سنوات.

(۲) ۴- ان كتاب الصلح الذى كتبه الإمام عليه عليه السلام بأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لنصارى نجران مؤرّخ بالسنة الهجرية الخامسة.

فقد جاء فی هذه الرسالة:

«و أمر علیا ان یکتب فیه انه کتب لخمس من الهجرة» «۳».

ان هذه الجملة تفید بوضوح ان النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله هو واضع التاریخ الهجری و مؤسسة الاوّل و هو الذی أمر علیا علیه السلام بان یؤرخ ذلک الکتاب بالتاریخ الهجری فی ذیله.

(۳) ۵- جاء فی مقدمة الصحیفة السجادیة: قال جبرئیل و هو یفسر رؤیا رآها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «تدور رحی الاسلام من مهاجرک فتلبث بذلک عشر، ثم تدور رحی الاسلام علی رأس خمس و ثلاثین من مهاجرک فتلبث بذلک خمسا، ثم لا بد من رحی ضلالة هی قائمة علی قطبها» «۴».

---

(۱) مکاتب الرسول: ص ۲۸۹ نقلا عن شرح ملا علی القاری لشفاء القاضی عیاض، و کذا الوثائق السیاسیة.

(۲) الاموال: طبعة مصر ص ۲۹۷.

(۳) التراتیب الاداریة: ج ۱ ص ۱۸۱ نقلا عن السیوطی.

(۴) مقدمة الصحیفة السجادیة، سفینة البحار: ج ۲ ص ۶۴۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۱

(۱) ۶- یروی المحدثون الاسلامیّون أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال لام سلمة:

قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «یقتل حسین بن علی علی رأس ستین من مهاجری» «۱».

(۲) ۷- قال أنس بن مالک: «حدثنا أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قال: لا تأتی مائة سنة من الهجرة و منکم عین تطرف» «۲».

(۳) ۸- أرخ أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی ایام حیاته الحوادث الاسلامیة بهجرته فقالوا: وقع کذا فی الشهر کذا من الهجرة، مثلا کانوا یقولون:

حولت القبلة من بیت المقدس الی الکعبة فی شهر شعبان ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا او ثمانیة عشر شهرا «۳».

علی رأس ثمانیة عشر شهرا فرض صوم شهر رمضان «۴».

و قال عبد اللّه بن انیس أمیر الوفد الذی بعثه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

خرجت من المدینة یوم الاثنین لخمس خلون من المحرم علی رأس أربعة و خمسین شهرا «۵».

و قال محمّد بن سلمة عن غزوة القرطاء: خرجت فی عشر لیال خلون من المحرم فغبت تسع عشرة و قدمت للیلة بقیت من المحرم علی رأس خمسة و خمسین شهرا «۶».

إنّ هذا النوع من تاریخ الحوادث و الوقائع یکشف عن ان المسلمین کانوا الی السنة الخامسة من الهجرة یقیسون الحوادث بهجرة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و یؤرخون بها عن طریق عدّ الأشهر، حتی إذا کانت السنة الخامسة من الهجرة

---

(۱) مجمع الزوائد: ج ۹ ص ۱۹۰.

(۲) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۶۷.

(۳) نفس المصدر: ج ۱ ص ۳۶۸.

(۴) المغازی: ج ۲ ص ۵۳۱ تحقیق الدکتور مارسدن جونس.

(۵) المغازی: ج ۲ ص ۵۳۱.

(۶) المغازی: ج ۲ ص ۵۳۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۲

أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله باحلال السنة الهجرية مكان الشهر الهجرى (كما مرّ فى الرسالة رقم ۴) حيث أمر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بان يورّخ الكتاب الذى كتبه لنصارى نجران بالعام الهجرى.

(۱) ۹- نقل المحدثون الاسلاميون عن الزهرى قوله: ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لما قدم المدينة مهاجرا أمر بالتاريخ فكتب فى ربيع الأوّل (اى شهر قدومه المدينة) «۱».

(۲) ۱۰- روى «الحاكم» عن «ابن عباس» ابن التاريخ الهجرى بدأ من السنة التى قدم فيها النبىّ صلّى اللّه عليه و آله المدينة «۲».

إن هذه النصوص تحكى عن أنّ قائد الاسلام الأكبر قد أوضح مسألة التاريخ من اليوم الاول. و انه جعل هجرته مبدأ لذلك التاريخ. غاية ما هنا لك أن هذا التاريخ كان إلى فترة من الزمن يعدّ بالأشهر ثم حل العدّ بالأعوام منذ حلول السنة الخامسة من الهجرة محل العدّ بالأشهر.

(۳)

سؤال:

و يمكن ان يسأل سائل: اذا كان حقا أن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله هو مؤسس التاريخ الهجرى و واضعه الاوّل فما ذا نفعل بالخبر الذى رواه كثير من المحدثين و المؤرخين.

فانهم يقولون: رفع رجل إلى عمر صكا مكتوبا على آخر بدين يحلّ عليه فى شعبان فقال عمر: اى شعبان؟ أمن هذه السنة أم التى قبلها أم التى بعدها؟

ثم جمع الناس (أى أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله) فقال: ضعوا للناس شيئا يعرفون به حلول ديونهم ... فيقال: ان بعضهم أراد أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم كلما هلك ملك أرّخوا من تاريخ ولاية الذى بعده فكرهوا ذلك.

---

(۱) فتح البارى: ج ۷ ص ۲۰۸، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۲۸۸ طبعة دار المعارف.

(۲) مستدرك الحاكم: ج ۳ ص ۱۳ و ۱۴ و قد صححه على شرط مسلم.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۳

و منهم من قال: ارخوا بتاريخ الروم من زمان اسكندر فكرهوا ذلك لطوله أيضا.

و قال آخرون: أرّخوا من مولد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و قال آخرون: أرخوا من مبعثه. و اشار على بن أبى طالب عليه السلام أن يؤرخ من هجرية الى المدينة لظهوره على كل أحد، فانه أظهر من المولد و المبعث، فاستحسن عمر ذلك و الصحابة، فأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «۱».

(۱)

الجواب:

إنّ هذا القسم من التاريخ لا يمكن الاستناد إليه فى مقابل النصوص الكثيرة التى وصفت الرسول العظيم صلّى اللّه عليه و آله بكونه واضع التاريخ الهجرى و مؤسسة الأول.

هذا مضافا إلى أنه من الممكن أن يكون التاريخ الهجرى الذى وضعه النبىّ الكريم صلّى اللّه عليه و آله قد تعرّض للترك، و فقد

رسميته بمرور الزمن و قلة الحاجة إلى التاريخ و لكن جدّد فى زمن الخليفة الثانى، بسبب اتساع نطاق العلاقات و اعيد الاهتمام به لاشتداد الحاجة إليه فى هذا العهد.

(۲)

التذكير بنقطتين:

(۳) ۱- لا نجد فى الاقتراحات التى عرضت على الخليفة فى مجال التاريخ أى ذكر للتاريخ المسيحى الذى يجعل ميلاد السيد المسيح عليه السلام مبدأ للتاريخ.

و العلة هى: أن التاريخ الميلادى ظهر فى القرن الرابع الاسلامى بين

---

(۱) البداية و النهاية: ج ۷ ص ۷۳ و ۷۴، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۱۲ ص ۷۴، الكبير لابن الاثير: ج ۱ ص ۱۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۱۴

المسيحيين بعد سلسلة من المحاسبات التخمينية، فهو لم يكن رائجا قبل ذلك.

(۱) ۲- ان البلاد و الاقطار الاسلامية بحاجة اليوم إلى الوحدة و الاتفاق اكثر من اى زمن مضى.

و من مظاهر تلك الوحدة هو السعى للحفاظ على التاريخ الاسلامى الهجرى.

و من هنا يتوجب على الاقطار الاسلامية ان تقيم كل روابطها، و علاقاتها على أساس التاريخ الهجرى، شمسيا كان أو قمريا.

و ان هذا الأمر بحاجة الى مؤتمر إسلامى كبير يشترك فيه كبار الشخصيات الفكرية الاسلامية من أجل توحيد التاريخ، و دراسة السبل الكفيلة بالوصول الى هذا الأمر، و التخلّص من التبعية الغربية فى التاريخ.

ان من المؤسف جدا أن تتجاهل بعض الدول الاسلامية و العربية التاريخ الهجرى و تعتمد التاريخ الميلادى المسيحىّ، حتى أن شيخ الجامع الازهر الذى يشكل قمة القيادة الدينية فى المجتمع السنى يؤرخ رسائله بالتاريخ الميلادى، و لا يذكر الى جانبه التاريخ الهجرى على الأقل!! «۱»

(۲)

مؤامرة الطاغوت:

و كانت ايران من الاقطار الاسلامية التى حافظت بشدة على التاريخ الهجرى، و اعتمدته فى اعمالها، و لكن فى المؤامرة التى نفّذت بواسطة الطاغية المقبور فى عام ۱۳۹۹ ه استبدلت التاريخ الهجرى بالتاريخ الشاهنشاهى و اعلن فى وسائل الاعلام عن وجوب اعتماد هذا التاريخ المختلق بدل التاريخ الهجرى الاصيل!!

و لقد تصوّر الطاغوت الأرعن أنه يستطيع بحذف التاريخ الهجرى، و استبداله

---

(۱) و قد رأيت أنا شخصيا رسالة من شيخ الجامع الأزهر الاسبق هو الشيخ محمود عبد الحليم و عليها التاريخ الميلادى فحسب!!

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۱۵

بالتاريخ الشاهنشاهى المشؤوم تثبيت قواعد حكومته المهزوزة، و سلطانه المنخور، و نظامه الظالم المهترئ، مدة أطول، و لكن العناية

الالهیة، و همة الشعب الإیرانی المسلم العالیة، و قیادة الاستاذ الاکبر آیة اللّه العظمی الإمام الخمینی قدّس سرّه الشریف أفشلت هذه المحاولة النکراء، و آل الأمر إلی اسقاط النظام الشاهنشاهی بثورة الشعب المجیدة و اقامة حکومة الجهوریة الاسلامیة علی انقاض الحکم الملکی المباد، و احلال التاریخ الهجری الاسلامی المبارک محلّ التاریخ الشاهنشاهی المختلق. و الحمد للّه «۱».

(۱)

برنامج الرحلة فی حادث الهجرة:

لقد کان علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ان یقطع- للوصول الی المدینة- ما یقرب من اربعمائة کیلومترا، و لا شک أن طیّ هذه المسافة الطویلة تحت تلک الحرارة العالیة الدرجة بحاجة إلی خطة صحیحة، لضمان السلامة، خاصة و انهم کانوا یخافون من ان یقوم الأعراب الذین کانوا ربما یصادفونهم فی اثناء الطریق باخبار قریش بهم، و لهذا کانوا یسیرون لیلا و یستریحون نهارا.

و یبدو أن شخصا شاهد النبیّ و من معه فی أثناء الطریق فرجع إلی مکة و أخبر قریشا بذلک فخرج «سراقة بن مالک بن جعشم» یطلبهم طمعا فی جائزة قریش الکبری فلحق برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قد صرف قریشا عن ملاحقة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قبل ذلک لیتفرد بها. «۲»

(۲) یقول ابن الاثیر: تبعهم سراقة فلحقهم فقال أبو بکر: یا رسول اللّه ادرکنا الطلب، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «لا تحزن إنّ اللّه معنا».

ثم قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «اللّهم اکفنی شرّ سراقة بما شئت» فجمح به فرسه و طرحه أرضا.

---

(۱) یستخدم فی ایران تاریخ هجری آخر هو التاریخ الهجری الشمسی و هو ینفع لمعرفة الفصول و ما شاکل ذلک.

(۲) التاریخ الکامل: ج ۲ ص ۱۰۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۶

فعلم سراقة أن هذا من دعاء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لهذا قال بنبرة المعتذر الملتمس: یا محمّد هذه إبلی بین یدیک فیها غلامی.

و ان احتجت الی ظهر (ای مرکوب) أو لبن فخذ منه فقد حکّمتک فی مالی.

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: لا حاجة لی فی مالک. «۱».

(۱) و روی المجلسی ان سراقة قال: فسلنی حاجة.

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ردّ عنّا من یطلبنا من قریش.

فانصرف سراقة فاستقبله جماعة من قریش فی الطلب فقال لهم: انصرفوا عن هذا الطریق فلم یمرّ فیه أحد، و أنا اکفیکم هذا الطریق فعلیکم بطریق الیمن و الطائف.

و هکذا ما کان یمرّ باحد إلّا و صرفه عن البحث عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی هذا الطریق بمثل هذا الکلام.

(۲) ثم إن کتّاب السیرة من الشیعة و السنّة یذکرون لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کرامات کثیرة فی طریق مکة- المدینة و نحن ندرج واحدة بعضها:

مرّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی أثناء الطریق علی خیمة أمّ معبد و کانت امرأة شجاعة فاضلة فنزلوا بخیمتها و طلبوا منها تمرا و لحما أو لبنا یشترون.

فقالت: ما یحضرنی شیء و کانت أغنامها قد اصیبت بالهزال بسبب الجدب، فنظر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی شاة فی جانب من الخیمة فقال صلّی اللّه علیه و آله لها: ما هذه الشاة یا أمّ معبد؟ قالت: شاة خلّفها الجهد من الغنم فقال: هل بها من لبن؟.
قالت: هی أجهد من ذلک، قال: أ تأذنین ان أحلبها؟

(۱) یذکر کثیر من المؤرخین کابن الاثیر فی الکامل: ج ۲ ص ۱۰۵، و المجلسی فی البحار: ج ۱۹ ص ۷۵- ۸۸ القصة کما نقلناها هنا، و لکن مؤلف حیاة محمّد یقول: ان سراقة تطیّر لما کبابه فرسه و القی فی روعه أن الآلهة مانعة منه ضالّته.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۷

قالت: نعم ان رأیت بها حلبا فاحلبها.

(۱) فدعا بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فمسح بیده ضرعها، و سمّی اللّه عز و جل، و دعا لها فی شاتها قائلا: اللّهم بارک لها فی شاتها فدرّت لبنا کثیرا بفضل دعائه صلّی اللّه علیه و آله، فطلب إناء و حلبها، فسقاها أولا حتی روّیت ثم سقی أصحابه حتی رووا و شرب هو آخرهم، و قال:

«ساقی القوم آخرهم شربا».

ثم حلب الشاة مرة ثانیة فغادره عندها، و ثم ارتحلوا عنها إلی المدینة. «۱»

و قد ذکرت هذه الکرامة فی کثیر من کتب السیرة و التاریخ، و هو أمر ممکن فی رؤیة المؤمن باللّه، لأن الدعاء أحد الاسباب التی تستطیع أن تؤثر فی الطبیعة، و شأنها شأن غیرها من الکرامات التی ورد ذکرها فی الکتب الدینیة و صدقته التجربة «۲».

(۲)

النزول فی قریة قباء:

تقع قریة قباء علی میلین من المدینة علی یسار القاصد الی مکة و کانت مساکن «بنی عمرو بن عرف» و مرکزهم.

و لقد وصل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من معه إلی قباء فی الثانی عشر من شهر ربیع الاول یوم الاثنین، و نزل علی «کلثوم بن الهرم» و هو شیخ من بنی عمرو و کان ثمة جمع کبیر من المهاجرین و الانصار ینتظرون قدومه، و یستخبرون وروده.

و لقد لبث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی قباء إلی آخر أیام الاسبوع، و قد خط فی هذا الفترة مسجدا لقبیلة «بنی عمرو بن عوف»، و نصب قبلته «۳».

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۷۵.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۴۳ و ج ۱۹ ص ۹۹- ۱۰۳، الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۲۳۰ و ۲۳۱، تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۳۳، أسد الغابة: ج ۱ ص ۳۷۷.

(۳) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۳۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۸

و کان البعض ممن رافق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یصرّ علیه أن یسارع فی الدخول إلی المدینة، و لکن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان ینتظر ابن عمه علیا.

و یقول: فما أنا بداخلها حتی یقدم ابن امّی و أخی، و ابنتی (یعنی علیّا و فاطمة علیهما السلام) «۱».

(۱) و أقام علىّ عليه السلام بمكة ثلاث ليال بايامها، حتى أدّى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الودائع التى كانت عنده للناس فقد وقف عليه السلام على مكان مرتفع فى مكة و نادى قائلا:

«من كان له قبل محمّد أمانة أو وديعة فليأت فلنؤدّ إليه أمانته».

فكان يأتيه من له امانة او وديعة عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يذكر علامتها و يأخذها فلما فرغ عليه السلام من اداء الامانات و الودائع خرج بفاطمة بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أمه فاطمة بنت اسد، و فاطمة بنت الزبير و آخرين ممن لم يكن قد هاجر مكة حتى تلك الساعة، و توجه بهم نحو المدينة ليلا سالكا بها طريقا فى «ذى طوى».

(۲) كتب الشيخ الطوسى فى أماليه فى هذا الصدد يقول: إن جواسيس قريش عرفت بسفر على مع تلك الجماعة، فخرجوا لملاحقتهم، لغرض اعادتهم الى مكة، فادركوهم فى منطقة «ضجنان».

و وقع بين رجال قريش و بين على عليه السلام تلاح و تناوش، و أخذ و ردّ، و دنا الرجال من النسوة، و المطايا ليثوروها فحال علىّ عليه السلام بينهم، و بينها، و لم يجد عليه السلام طريقا إلّا أن يدافع عن حرم الاسلام و المسلمين، فشدّ عليهم بسيفه شدّة الأسد الغضب و الليث الغيور و هو يقول مرتجزا:

خلّوا سبيل الجاهد المجاهدآليت لا أعبد غير الواحد

---

(۱) الفصول المهمة لابن صباغ المالكى: ص ۳۵ دون ان يذكر اسما، و أمالى الشيخ الطوسى: ج ۲ ص ۸۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۱۹

(۱) فلما وجدوا ما به من الجدّ و الغضب خافوه و تفرّقوا عنه و قالوا- بنبرة الخائف المتضرع-: احبس عنّا نفسك يا ابن أبى طالب، فقال عليه السلام:

«فإنّى منطلق إلى ابن عمّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بيثرب فمن سرّه ان افرى لحمه و اهريق دمه فليتبعنى، و ليدن منى».

فتركه القوم و عادوا من حيث أتوا، و واصل الركب رحلته باتجاه المدينة.

يقول ابن الاثير: قدم «على» المدينة و قد تفطّرت قدماه، فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: ادعوا لى عليّا، قيل: لا يقدر أن يمشى، فأتاه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و اعتنقه و بكى رحمة لما بقدميه من الورم «۱».

و لقد قدم رسول اللّه قباء فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول، و التحق به على عليه السلام فى منتصف ذلك الشهر نفسه «۲»، و يؤيد هذا القول ما ذكره الطبرى فى تاريخه اذ كتب يقول: و اقام على بن ابى طالب رضى اللّه عنه بمكة ثلاث ليال و أيامها حتى أدى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم الودائع التى كانت عنده الى الناس «۳».

(۲)

المدينة تهبّ لقدوم النبىّ:

و لقد كان يوم دخول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوما عظيما جدا، و مشهودا.

فكم ترى ستكون عظيمة فرحة الذين آمنوا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله منذ ثلاث سنوات، و ظلوا طوال هذه الأعوام يبعثون برسلهم و وكلائهم إليه، و يذكرون اسمه المقدس، و يصلّون عليه فى صلواتهم كل يوم، إذا سمعوا أن

---

(۱) الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۱۰۶.

(۲) إمتاع الأسماع: ص ۴۸ و علی هذا تکون محاصرة بیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قد تمّت ثلاث لیال قبل شهر ربیع الاول من السنة الاولی من الهجرة، و قد خرج النبیّ من داره لیلة الاثنین و دخل غار ثور و بقی ماکثا فیه ثلاثة أیام، و خرج منه لیلة الخمیس اول ربیع الاول و توجه نحو المدینة و وصل قباء فی الثانی عشر منه راجع تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۳۷– ۳۳۸.

(۳) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۳۸۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۰

قائدهم ذلک الذی طال انتظارهم ایاه، و اشتد تشوقهم إلیه کائن عند میلین من مدینتهم قد نزل فی قبا ایاما، و سیقدم إلیهم و یدخل مدینتهم بعد ایام؟ و کم سیکون مبلغ ابتهاجهم، و أی ابتهاج تری سیعم کل صغیر و کبیر؟

إنه حقا لأمر یعجز القلم عن بیانه، و یکل اللسان عن وصفه.

(۱) و لقد کان لفتیة الأنصار و شبابهم الضامئین إلی الاسلام الحنیف برنامج رائع و عظیم، فقد کانوا عمدوا بغیة تطهیر جوّ المدینة من ادران الوثنیة الی کل صنم فی المدینة کان یقدّس و یعبد فاحرقوه و کسّروه، و قد کان کل شریف فی بیته صنم یمسحه و یطیّبه، و لکل بطن من الأوس و الخزرج صنم فی بیت لجماعة یکرّمونه و یطیّبونه، و یجعلون علیه مندیلا و یذبحون له «۱».

و لا بأس فی أن نذکر نموذجا من هذا العمل الجلیل الذی قام به الانصار فی التخلّص من الوثنیة:

لما قدم من بایع من الأنصار فی العقبة الثانیة الی المدینة اظهروا الاسلام بها و فی قومهم بقایا من شیوخ لهم علی دین الشرک و عبادة الأوثان منهم «عمرو بن الجموح» و کان من سادات بنی سلمة و شریفا من أشرافهم و کان ابنه «معاذ» بن عمرو قد شهد بیعة العقبة.

(۲) و کان عمرو هذا قد اتخذ فی داره صنما من خشب یقال له: مناة، کما کانت الاشراف یصنعون، تتخذه إلها تعظّمه و تطهّره، فلما أسلم فتیان بنی سلمة: معاذ بن جبل، و ابنه معاذ بن عمرو بن الجموح کانوا یتسلّلون فی اللیل إلی صنم عمرو بن الجموح فیحملونه و یطرحونه فی بعض حفر بنی سلمة و مزابلها، و فیها فضلات الناس و عذرها منکّسا علی رأسه!!

فاذا أصبح عمرو قال: ویلکم من عدا علی آلهتنا هذه اللیلة؟

ثم یغدو یلتمسه حتی إذا وجده غسله و طهّره و طیّبه. ثم قال للصنم: أما و اللّه لو أعلم من فعل هذا بک لأخزینّه!

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۰۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۱

فاذا أمسی و نام عمرو عدوا علیه ثانیة ففعلوا به مثل ما فعلوا به أولا.

فیغدو فیجده فی مثل ما کان فیه من الأذی و الوسخ فیغسله و یطهّره و یطیّبه، ثم یعدون علیه إذا امسی فیفعلون به مثل ذلک.

(۱) فلما اکثروا علیه استخرجه من حیث ألقوه یوما فغسله و طهّره و طیّبه ثم جاء بسیفه فعلقه علیه، ثم قال: إنّی و اللّه ما أعلم من یصنع بک ما تری، فإن کان فیک خیر فامتنع، و دافع عن نفسک فهذا السیف معک.

فلما أمسی و نام عمرو عدوا علی ذلک الصنم فأخذوا السیف من عنقه، ثم أخذوا کلبا میّتا فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه فی بئر من آبار بنی سلمة فیها عذر من عذر الناس و فضلاتهم. ثم غدا عمرو بن الجموح فلم یجده فی مکانه الذی کان به.

فخرج یتبعه حتی وجده فی تلک البئر منکسا مقرونا بکلب، میّت، فلما رآه و أبصر شأنه و کلّمه من اسلم من رجال قومه فاسلم، و هجر الوثنیة و الأوثان و حسن إسلامه.

فقال حین أسلم و عرف من اللّه ما عرف و هو یذکر صنمه ذلک، و ما أبصر من شأنه و یشکر اللّه تعالی الذی أنقذه مما کان فیه من العمی و الضلالة:

و اللّه لو کنت إلها لم تکن أنت و کلب وسط بئر فی قرن

افّ لملقاك إلها مستدن‌الآن فتشناك عن سوء الغبن

فالحمد للّه العلى ذى المنن‌الواهب الرزاق ديّان الدين

هو الّذى أنقذنى من قبل أن‌أكون فى ظلمة قبر مرتهن

بأحمد المهدى النبىّ المرتهن

«۱»

النبىّ يدخل المدينة:

(۲) بعد أن التحق على عليه السلام و من معه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى قباء توجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى المدينة و لما انحدر من ثنية الوداع (و

---

(۱) اسد الغابة: ج ۴ ص ۹۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۲

هى منطقة قريبة من المدينة) و حط قدمه على تراب يثرب استقبله الناس رجالا و نساء، كبارا و صغارا، استقبالا عظيما و رحّبوا به اعظم ترحيب، و ردّد المرحّبون أنا شيد الترحيب التالية:

طلع البدر علينامن ثنيات الوداع

وجب الشكر عليناما دعا للّه داع

أيّها المبعوث فيناجئت بالأمر المطاع (۱) و كانت بنو عمرو بن عوف قد اجتمعت عنده و أصرّت عليه بأن ينزل فى قباء و قالوا: أقم عندنا يا رسول اللّه فإنا أهل الجدّ و الجلد، و الحلقة (أى السلاح) و المنعة، و لكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لم يقبل.

و بلغ الأوس و الخزرج خروج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قرب نزوله المدينة فلبسوا السلاح و أقبلوا يعدون حول ناقته لا يمرّ بحىّ من أحياء الانصار إلّا وثبوا فى وجهه و أخذوا بزمام ناقته و أصرّوا عليه بأن ينزل عليهم هذا و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: خلّوا سبيلها فانها مأمورة.

و اخيرا لما انتهت ناقته- و كان صلّى اللّه عليه و آله قد أرخى زمامها- إلى باب المسجد الذى هو اليوم، و لم يكن مسجدا إنما كان أرضا واسعة ليتيمين من الخزرج يقال لهما: سهل و سهيل و كانا فى حجر أسعد بن زرارة فبركت الناقة على باب «ابى أيوب» خالد بن زيد «۱» الانصارى الذى كان على مقربة من تلك الأرض.

فاغتنمت أم أبى ايوب الفرصة فبادرت إلى رحل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فحلّته و أدخلته منزلها، بينما اجتمع عليه الناس و يسألونه أن ينزل عليهم.

فلما أكثروا عليه، و تنازعوا فى أخذه قال صلّى اللّه عليه و آله أين الرحل؟؟

فقالوا: يخوف أم أيوب قد ادخلته فى بيتها.

فقال صلّى اللّه عليه و آله: «المرء مع رحله» و أخذ اسعد بن زرارة بزمام

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۰۸ و لكن ذهب البعض كصاحب الكامل فى التاريخ الى أنهما كانا فى حجر معاد بن عفراء.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۳

الناقة فحوّلها الی منزله «۱».

(۱)

أصل النفاق و منشؤه:

كانت الأوس و الخزرج قـد اتفقتا على أن تملّك عبـد اللّه بن ابى بن سـلول (رئيس المنافقين و كبيرهم) عليهم، و ذلك قبل أن تبايع رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى العقبة و تؤمن به و تعتنق الاسـلام، و لكن هذا القرار الغى بعد اتصال الأوس و الخزرج برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، من هنا حنق عبد اللّه بن ابى على رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و اضمر له العداوة منذ ذلك الحين، و لم يؤمن برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى آخر حياته، بل كان ينافق باسلامه.

و لما دخل رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله المدينة و شاهد عبد اللّه بن ابى ذلك الاسـتقبال و الترحيب العظيمين لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الـذى قام بهما الأوس و الخزرج، شق عليه ذلك جـدا، و لم يسـتطع اخفاء حنقه و غضـبه، وحـده و عداوته للنبىّ صـلّى اللّه عليه و آله!

فعنـد ما انتهى صـلّى اللّه عليه و آله إلى عبد اللّه بن ابى- و قد أرخى صـلّى اللّه عليه و آله زمام ناقته لتبرك حيث تريد، أخذ عبد اللّه كمّه و وضعه على أنفه، و قد ثارت الغبرة بسبب الزحام و قال للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله بنبرة الحانق الغاضب: يا هذا اذهب إلى الّذين غرّوك و خدعوك و أتوا بك، فانزل عليهم، و لا تغشنا فى ديارنا!!

(۲) فقام سـعد بن عبادة- و قد خشـى أن يسوء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هذا الموقف الوقح الشرير فقال: يا رسول اللّه لا يعرض فى قلبك من قول هذا شيء، فإنّا كنّا اجتمعنا على ان نملّكه علينا، و هو يرى الآن أنّك قد سلبته أمرا قد كان أشرف عليه «۲».

---

(۱) تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۳۴۱.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۰۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۴

(۱) هذا و يتفق عامة المؤرخين و كتّاب السيرة أن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله دخل يثرب يوم الجمعة، و صـلّى صلاة الجمعة فى بنى سـالم بن عوف فى بطن واد لهم، و كـانت هـذه اوّل جمعـة جمّعهـا رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى الاسـلام فخطب فى هـذه الجمعـة و هى أوّل خطبـة خطبها فى المدينة، و قد تركت هذه الخطبة البديعة البليغة التى لم يسـمع اهل المدينة مثيلها لفظا و معنى من قبل، أثرا عميقا و طيّبا فى قلوبهم و نفوسهم.

و قد أدرج ابن هشام نصّ الخطبة فى سيرته «۱» كما أدرجها المجلسى فى بحاره «۲» أيضا.

غير أن عبـارات و مضـامين الخطبـة التى نقلها ابن هشام و اثبتها فى سـيرته تختلف عما رواها و اثبتها المجلسـى، و للاطلاع على ذلك يراجع المصدران المذكوران.

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۵۰۰ و ۵۰۱.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۲۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۵

الفهارس

اشارة

١- فهرس الآيات القرآنية
٢- فهرس الأحاديث الشريفة
٣- فهرس الأشعار
٤- فهرس الأعلام
٥- فهرس القبائل و الامم
٦- فهرس الكنى و الألقاب
٧- فهرس الوقائع و الأيام
٨- فهرس الأماكن و البلدان
٩- فهرس المذاهب و الأديان و نظم الحكم
١٠- فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة
١١- فهرس المواضيع

سيد المرسلين ،ج١،ص:٦٢٧

(١) فهرس الآيات القرآنية

البقرة- ٢ الآية رقمها الصفحة
وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ/ ٧٨/ ٢٤١
وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ/ ٨٩/ ٢٨١ و ٣٥٠
رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً/ ١٢٦/ ١٤٢ و ١٤٥
رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا/ ١٢٩/ ٣٥٠
إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى/ ١٣٣/ ١٣١
إِنِّى جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً/ ١٣٤/ ٢٤٠
وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ/ ١٤٣/ ٣٠٨
الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ/ ١٤٦/ ٣٤٩
إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ/ ١٧٤/ ٣٤٩
شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ/ ١٨٥/ ٣٤٤
قُلْ هِىَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ/ ١٨٩/ ٦٠٦
وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ/ ٢٠٤/ ٥٩٥
كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً/ ٢١٣/ ٣١٦
يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ/ ٢١٩/ ٤٥
وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَ/ ٢٣١/ ٦٣
وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَ/ ٢٣٣/ ٦٢

قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا/ ۲۷۵/ ۴۹
وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ/ ۲۷۵/ ۵۰
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا/ ۲۷۸ و ۲۷۹/ ۴۹
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۸
آل عمران- ۳ وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ/ ۳۷/ ۲۲۳
يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ/ ۴۲/ ۲۴۱
وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ/ ۴۹/ ۴۷۹
فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ/ ۶۱/ ۴۷۹
وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً/ ۶۷/ ۲۴۰
وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ/ ۸۱/ ۳۴۸
وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ/ ۱۴۵/ ۳۵۵
وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً/ ۱۵۳/ ۴۲
وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ/ ۱۵۳/ ۶۶
لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ/ ۱۶۴/ ۳۵۰
وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ/ ۱۸۷/ ۳۴۹
النساء- ۴ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ/ ۱۹/ ۶۳
وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ/ ۲۲/ ۶۹
كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها/ ۵۶/ ۴۴۱
وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً/ ۸۲/ ۴۴۹
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ/ ۱۷۱/ ۲۴۱
المائدة- ۵ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ/ ۳/ ۴۷
وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ/ ۴۵/ ۴۷۵
مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ/ ۷۵/ ۱۰۱
إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ/ ۹۰/ ۳۰۲
ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا .../ ۱۰۳/ ۴۴
وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ/ ۱۰۴/ ۴۷۵
الأنعام- ۶ وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ/ ۷/ ۴۳۶
وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ/ ۸/ ۴۷۵
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۹
وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ/ ۱۹/ ۳۵۱
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَ/ ۵۰/ ۳۲۸
لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي/ ۷۷/ ۱۲۱
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ/ ۷۹/ ۱۲۵

وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ .../ ۸۴/ ۲۳۹
وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ/ ۱۰۰/ ۴۳
الأعراف- ۷ وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَ تَذَرُ مُوسى وَ قَوْمَهُ/ ۱۲۷/ ۱۲۱
وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ/ ۱۵۷/ ۴۵ و ۶۷ و ۸۳
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَ/ ۱۵۷/ ۲۲۴
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ/ ۱۵۷/ ۲۵۸
الأنفال- ۸ وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا/ ۳۰/ ۵۸۶
التوبهٔ- ۹ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً/ ۳۶/ ۲۴۵
إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ/ ۳۷/ ۴۹ و ۲۵۶
لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا/ ۴۰/ ۶۰۱
إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ/ ۸۴/ ۲۴۰
وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ/ ۱۰۰/ ۴۱۹
وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً/ ۱۲۲/ ۳۵۵
ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ/ ۱۱۳- ۱۱۴/ ۱۳۲
يونس- ۱۰ وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ .../ ۱۵/ ۳۱۰ و ۴۷۶
قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ/ ۱۶/ ۲۴۲ و ۳۰۰ و ۲۹۷
هود- ۱۱ أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ/ ۱۳/ ۴۷۲
تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ/ ۴۹/ ۳۵۶
سید المرسلین ،ج ۱،ص:۶۳۰
الرعد- ۱۳ وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ/ ۳۸- ۴۰/ ۴۳۸
إبراهيم- ۱۴ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً/ ۳۵/ ۱۴۵
رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ/ ۳۷/ ۱۴۲
الحجر- ۱۵ وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ/ ۶/ ۴۷۲ و ۳۳۲
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ/ ۹/ ۴۹۱
إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ/ ۴۲/ ۴۹۶
فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ/ ۹۴/ ۳۹۲
إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ/ ۹۵/ ۴۱۳
النحل- ۱۶ وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا/ ۵۸ و ۵۹/ ۶
إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا/ ۹۹/ ۴۹۶
وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ/ ۱۰۳/ ۲۳۵ و ۴۷۱
إِنَّما يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ .../ ۱۰۵ و ۱۰۶/ ۴۱۷
إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ/ ۱۲۰/ ۲۴۰
وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ/ ۱۲۷/ ۴۷۷

الإسراء- ۱۷ سُبْحانَ الَّذِی أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا/ ۱/ ۴۷۸ و ۵۳۸ و ۵۴۸

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ/ ۸۸/ ۱۸۱

وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ/ ۹۰ و ۹۳/ ۴۳۳ و ۴۳۵ و ۴۳۶ و ۴۷۷

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُکْثٍ/ ۳۸۵/ ۴۴۳

الکهف- ۱۸ وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ/ ۲۸/ ۴۷۷

مریم- ۱۹ يا يَحْيى خُذِ الْکِتابَ بِقُوَّةٍ/ ۱۲/ ۲۹۵

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۱

وَ لَمْ يَجْعَلْنِی جَبَّاراً شَقِيًّا .../ ۱۴ و ۱۵/ ۲۴۲

وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مَرْيَمَ إِذِ .../ ۱۶- ۳۳/ ۲۰۱ و ۲۲۲ و ۲۹۵

إِذْ قالَ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ/ ۴۲- ۴۷/ ۱۳۰

طه- ۲۰ طه ما أَنْزَلْنا عَلَيْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى .../ ۱- ۸/ ۴۲۶

إِذْ تَمْشِی أُخْتُکَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلى .../ ۳۷- ۴۰/ ۲۰۰

رَبُّنَا الَّذِی أَعْطى کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ .../ ۵۰/ ۳۱۴

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْکَ .../ ۱۱۴/ ۳۴۶

الأنبياء- ۲۱ بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ/ ۵/ ۳۳۱

وَ لَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ .../ ۵۱- ۷۰/ ۳۷

وَ تَاللَّهِ لَأَکِيدَنَّ أَصْنامَکُمْ/ ۵۷/ ۱۳۸

فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا/ ۶۴/ ۱۳۹

وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً/ ۸۱/ ۲۳۸

الفرقان- ۲۵ تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ .../ ۱/ ۳۵۱

وَ قالَ الَّذِينَ کَفَرُوا إِنْ هَذا إِلَّا إِفْکٌ .../ ۴- ۶/ ۳۰۳- ۳۰۴ و ۴۷۲

وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اکْتَتَبَها .../ ۵- ۶/ ۴۷۴

وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْکُلُ الطَّعامَ/ ۷/ ۴۷۵

لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً/ ۳۲/ ۴۴۳

کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ/ ۳۲/ ۴۴۲ و ۴۴۵

وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا/ ۳۲/ ۴۴۱

الشعراء- ۲۶ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ/ ۱۵۳/ ۴۷۲

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِکَ/ ۱۹۳- ۱۹۵/ ۳۳۶

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ/ ۲۱۴/ ۱۲۸ و ۳۹۲

وَ تَقَلُّبَکَ فِی السَّاجِدِينَ/ ۲۱۹/ ۱۹۵

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۲

النمل- ۲۷ وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَ سُلَيْمانَ عِلْماً/ ۱۵/ ۲۳۸

القصص- ۲۸ وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِی/ ۳۸/ ۱۲۱

وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ/ ۴۶/ ۳۰۸
وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ/ ۴۶/ ۴۲
وَ ما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ/ ۸۶/ ۲۹۷ و ۳۰۸
فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ/ ۸۶/ ۳۰۱
الأحزاب- ۳۳ ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ/ ۴۰/ ۳۵۱
سبأ- ۳۴ وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ/ ۷ و ۸/ ۴۴
لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ/ ۱۵/ ۳۳
وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ/ ۲۸/ ۳۵۱
فاطر- ۳۵ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ/ ۳۶/ ۵۳۳
يس- ۳۶ وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ... فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ/ ۹/ ۵۸۸
ص- ۳۸ وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ .../ ۵ و ۶/ ۴۷۵
وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ .../ ۴۵- ۴۶/ ۲۳۹
وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ/ ۴۸/ ۲۴۰
فصّلت- ۴۱ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ .../ ۱- ۵/ ۴۳۱
إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا/ ۳۰/ ۴۵۳
الفتح- ۴۸ وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ/ ۴/ ۱۷۷
سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۳۳
الطور- ۵۲ فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ/ ۲۹/ ۴۷۲
النجم- ۵۳ وَ النَّجْمِ إِذا هَوى .../ ۱- ۵/ ۳۳۲
وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى ... إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ/ ۳ و ۴/ ۴۹
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى/ ۴/ ۳۲۸
أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى ... وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى/ ۱۹ و ۲۰/ ۴۳ و ۴۹۳
أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى/ ۱۲، ۱۸/ ۵۳۹
الصف- ۶۱ وَ إِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ/ ۶/ ۳۷۹
وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ/ ۴۸/ ۴۷۵
القلم- ۶۸ وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ/ ۴/ ۲۵۹
وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لا تَحْزَنْ/ ۴۸/ ۴۷۷
الحاقة- ۶۹ وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ .../ ۴۲/ ۴۷۲
المزمّل- ۷۳ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ/ ۱۰/ ۴۷۷
المدثر- ۷۴ يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ/ ۱ و ۳/ ۳۷۹
وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ، وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ/ ۴- ۵/ ۲۹۷
وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ/ ۵/ ۳۰۱
ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً .../ ۱۱- ۳۰/ ۴۳۰

ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً .../ ۱۱- ۵۱/ ۴۶۹

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۴

النازعات- ۷۹ فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً/ ۵/ ۱۷۷

أَنَا رَبُّکُمُ الْأَعْلی/ ۲۴/ ۱۲۱

عبس- ۸۰ عَبَسَ وَ تَوَلَّی أَنْ جاءَهُ الْأَعْمی .../ ۱- ۱۱/ ۴۸۱

التکویر- ۸۱ وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ/ ۸/ ۵۸

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیم .../ ۲۰- ۲۸/ ۳۳۲

البروج- ۸۵ قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ/ ۴- ۹/ ۱۶۱

الضحی- ۹۳ وَ الضُّحی وَ اللَّیْلِ إِذا سَجی .../ ۱- ۱۱/ ۳۸۰

أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآوی .../ ۶- ۷/ ۲۹۷

وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی .../ ۸/ ۲۹۸

الانشراح- ۹۴ أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ/ ۱- ۴/ ۳۰۰

وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ/ ۴/ ۲۰۹

العلق- ۹۶ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ .../ ۱- ۵/ ۳۲۲

القدر- ۹۷ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ/ ۱- ۳/ ۳۴۴

الفیل- ۱۰۵ أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحابِ الْفِیلِ .../ ۱- ۵/ ۱۶۵

الکوثر- ۱۰۸ إِنَّا أَعْطَیْناکَ الْکَوْثَرَ/ ۱- ۴/ ۵۰۹

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۵

الکافرون- ۱۰۹ قُلْ یا أَیُّهَا الْکافِرُونَ/ ۴۷۶

المسد- ۱۱۱ تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ .../ ۱- ۵/ ۴۱۴

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۶

(۲) فهرس الأحادیث الشریفة

نصّ الحدیث القائل الصفحة آمنت قبل الناس بسبع سنین/ (علی)/ ۳۶۲

أ تعلمون أنّ اللّه فضّل فی کتابه السابق .../ (علی)/ ۳۶۳

اجتمعت علی هذه الامة مصیبتان .../ (النبی)/ ۳۶۴

أخذ اللّه علی الوحی میثاقهم .../ (علی)/ ۳۱۶

أ رأیتکم إن اخبرتکم أنّ العدوّ مصبحکم/ (النبی)/ ۴۰۱

أرسله علی حین فترة من الرسل/ (علی)/ ۹۲

أرسله بالضیاء و قدمه فی الاصطفاء/ (علی)/ ۹۴

ارسلت إلی الناس کافّة/ (النبی) ۳۵۱

استرضع لولدک بلبن الحسان/ (الباقر)/ ۲۱۸

أسلمت قبل ان یسلم الناس بسبع سنین/ (علی)/ ۳۱۶

اضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة/ (علی)/ ۹۴
اعطیت الشفاعة و هی نائلة من امتی من لا یشرک/ (النبی)/ ۵۳۳
أفضل نساء امتی اربع ../ (النبی)/ ۲۵۹
العیافة و الطیرة و الطرق من الجبت .../ (النبی)/ ۸۲
اللهم أنیس المستوحشین/ (النبی)/ ۲۸۷
اللهم لا أعرف عبدا من هذه الامة عبدک .../ (علی)/ ۳۶۲
اللهم اکفنی شرّ سراقة بما شئت/ (النبی)/ ۶۱۵
اللهم بارک لها فی شاتها/ (النبی)/ ۶۱۷
إلی شهادة ان لا إله إلّا اللّه/ (النبی)/ ۵۱
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۷
الأمر إلی اللّه یضعه حیث یشاء/ (النبی)/ ۵۶۳
أما و اللّه لاستغفرنّ لک و لأشفعن فیک شفاعة/ (النبی)/ ۵۲۹
أمنکم أحد أسلم مع رسول اللّه/ (علی)/ ۳۶۱
أنا أوّل رجل أسلم مع رسول اللّه/ (علی)/ ۳۶۱
أنا اول من اسلم مع النبی (علی) ۳۶۱
أنا اول من صلّی مع رسول اللّه/ (علی)/ ۳۶۱
انا رسول اللّه بعثنی إلی العباد أدعوهم الی .../ (النبی)/ ۵۶۷
انا الصدیق الاکبر آمنت قبل ان یؤمن ابو بکر/ (علی)/ ۳۶۱
انتم علی قومکم بما فیکم کفلاء ککفالة الحواریین لعیسی بن مریم/ (النبی)/ ۵۷۲
أنشدکم اللّه أیها الرهط أ تعلمون أنّ .../ (علی)/ ۳۶۴
أنا عبد اللّه و اخو رسول اللّه/ (علی)/ ۳۵۷
أنا عبد اللّه و اخو رسول اللّه و انا الصدیق الاکبر/ (علی)/ ۳۶۱
انا یا رسول اللّه اکون وزیرک علی ما بعثک اللّه/ (علی)/ ۳۹۵
انظروا من یرضع أولادکم/ (علی)/ ۲۱۸
انّ أولی الناس بامر هذه قدیما و حدیثا/ (علی)/ ۳۶۲
ان کثیرا من التمائم شرک/ (النبی)/ ۸۲
إنّ اللّه بعث محمّدا نذیرا للعالمین/ (النبی)/ ۳۴۸
انّ اللّه تعالی ما بعث آدم علیه السّلام و من بعده/ (النبی)/ ۳۴۸
انّ الرائد لا یکذب أهله/ (النبی)/ ۳۹۴
إنّ مثل أبی طالب مثل أصحاب الکهف/ (الصادق)/ ۵۳۰
إنّ محمّدا (ص) لما دعا إلی الایمان و التوحید/ (علی)/ ۳۶۳
إنّ اللّه لا یوصف بمکان و لا یجری علیه زمان/ (الکاظم)/ ۵۵۳
إنّ هذا أخی و وصیی و خلیفتی فیکم/ (النبی)/ ۳۹۸

أو تسلمنّ بمبیتی هناک یا نبی اللّه/ (علی)/ ۵۸۸

أوّلکم واردا علیّ الحوض اولکم اسلاما/ (النبی)/ ۳۵۸

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۶۳۸

أی بنی انی و ان لم اکن عمّرت عمر من .../ (علی)/ ۱۱

أیّها الذاکر علیا انا الحسن بن علی/ (الحسن)/ ۲۶۹

أیّها الناس ان الشمس و القمر آیتان/ (النبی)/ ۶۹

ثم إن اللّه سبحانه بعث محمّدا/ (علی)/ ۹۴

حجّ رسول اللّه (ص) عشر حجات/ (الصادق)/ ۲۹۴

زوّجتک خیر امتی اعلمهم علما/ (النبی)/ ۳۵۹

صبرا آل یاسر فان موعدکم الجنة/ (النبی)/ ۴۱۶

صلیت مع رسول اللّه ثلاث سنین قبل أن .../ (علی)/ ۳۶۳

عبدت اللّه مع رسول اللّه/ (علی)/ ۳۶۱

عبدت اللّه قبل ان یعبده أحد من هذه الامة/ (علی)/ ۳۶۲

فانی منطلق إلی ابن عمی رسول اللّه/ (علی)/ ۶۱۹

فبلغ بالرسالة صادعا بالنذارة/ (الزهراء)/ ۹۵

فلما بعث اللّه محمّدا للنبوة و اختاره للرسالة/ (علی)/ ۳۶۴

فی أصلاب النبیین نبی بعد نبی/ (الصادق)/ ۱۹۵

قولوا لا إله إلّا اللّه تفلحوا .../ (النبی)/ ۵۶۲

کنا اذا احمرّ البأس اتقینا برسول/ (علی)/ ۲۴۴

لا تبکی یا بنیّة فان اللّه مانع اباک/ (النبی)/ ۵۵۶

لا تسترضعوا الحمقاء/ (الباقر)/ ۲۱۸

لا و اللّه ان کنت أول من صدّق به/ (علی)/ ۳۶۲

لا و اللّه ما ابدلنی اللّه خیرا منها/ (النبی)/ ۲۶۲

للدابة علی صاحبها ست خصال/ (النبی)/ ۸۰

لقد صلّت الملائکة علیّ، و علی علیّ/ (النبی)/ ۳۶۰

لم أومر بذلک (قالها النبی فی جواب من خطب فاطمة)/ (النبی)/ ۳۶۰

لم یکن معی من الرجال غیره/ (علی)/ ۳۶۰

لو کان مطعم بن عدی حیا لوهبت .../ (النبی)/ ۵۶۱

لو وضع ایمان ابی طالب فی کفة میزان .../ (الباقر)/ ۵۲۹

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۶۳۹

ما أعرف أحدا من هذه الامة عبد اللّه بعد نبینا غیری/ (علی)/ ۳۶۲

ما من لبن یرضع به الصبی اعظم برکة من لبن أمه/ (علی)/ ۲۱۸

ما من نبی إلا و قد رعی الغنم/ (النبی)/ ۲۵۲

مستقره خير مستقر/ (على)/ ۹۳
من يؤازرنى يكون أخي و وصيي و خليفتى/ (النبى)/ ۳۹۸
مهلا يا أماه فان معى من يحفظنى/ (النبى)/ ۲۹۳
موعدكم العقبة فى الليلة الوسطى/ (النبى)/ ۵۷۱
نم فى فراشي فانه لا يخلص إليك شيء/ (النبى)/ ۵۷۱
و اشهد أن محمّدا عبده و رسوله/ (على)/ ۹۲
و اشهد أن محمّدا عبده و رسوله ابتعثه و الناس .../ (على)/ ۹۴
و اشهد أن محمّدا عبده و رسوله و سيد عباده/ (على)/ ۱۹۵
و شفاعتى لمن شهد ان لا إله إلّا اللّه مخلصا/ (النبى)/ ۵۳۳
و كيف ينزل علىّ و انتم لا تقصّون أظافركم/ (النبى)/ ۳۸۲
و لقد قرن اللّه به من لدن كان فطيما ملكا/ (على)/ ۲۹۴
و لقد علمتم موضعى من رسول اللّه/ (على)/ ۲۸۶
يا اماه لا ارى اخوىّ فى النهار/ (النبى)/ ۷۰
يا حميراء ان اللّه تبارك و تعالى بارك فى .../ (النبى)/ ۲۶۳
يا على أخصمك بالنبوة و لا نبوة بعدى/ (النبى)/ ۳۶۰
يا على ان قريشا اجتمعت على المكر بى .../ (النبى)/ ۵۸۸
يا على لك سبع خصال لا يحاجك فيه احد/ (النبى)/ ۳۶۰
يا عم و اللّه لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر .../ (النبى)/ ۴۰۵
سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۴۰

(۳) فهرس الأشعار

سيد المرسلين ج۱ ۶۴۰ (۳) فهرس الأشعار ..... ص : ۶۴۰

لامكم لسهام الجهل شافية ۷۷
أبنى لا تنس البليّة إنها ۷۴
أبونا شفيع الناس حين سقوا به ۲۸۸
اذا اختلجت عينى أقول لعلها ۷۹
اذا اختلجت عينى تيقنت اننى ۷۹
اذا متّ فادفنى بحرّاء ما بها ۷۴
اذا متّ فادفنى الى جنب كرمة ۶۷
أربا واحدا أم ألف رب ۵۵، ۲۸۳
اصبرن يا بنىّ فالصبر احجى ۵۱۴
ألا ان خير الناس بعد محمّد ۳۷۳
ألا حلأ فى شقه مشقوقة ۷۷

ألا ليت شعرى كيف فى الناس جعفر ۴۶۰
ألا هل اتى بحريّنا صنع ربنا ۵۰۸
أ لم تعلموا أنا وجدنا محمّدا ۵۲۱
أ ليس أول من صلى لقبلتكم ۳۷۲
اما الحرام فالممات دونه ۲۹۱
انا اخو المصطفى لا شك فى نسبى ۳۶۳، ۲۹۲
أنت الجليل ربنا لم تدنس ۱۸۵
إن صح ما أبصرت فى المنام ۱۸۵
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۱
أنّ آيات ربنا بينات ۱۸۵
إن ابن آمنة النبى محمّد ۷۲، ۵۱۸
انّ عليا لميمون نقيبته ۳۷۲
إنّ الفراغ و الشباب و الجدة ۲۷۵
إنّ الفضول تعاقدوا و تحالفوا ۲۴۹
ان الذين سموا باسم محمّد ۲۱۱
اوصيك يا عبد مناف بعدى ۲۸۹
ان يكن ما اتى به احمد اليوم ۲۱۳
بشيبة الحمد اسقى اللّه بلدتنا ۲۸۷
بناة مكارم و اساة جرح ۷۷
تشاجرت الاحياء فى فصل خطة ۲۸۵
تظل مقاليت النساء يطأنه ۷۶
حلفت لنعقدن حلفا عليهم ۲۴۹
خانته لما رأت شيبا بمفرقه ۷۵
خلوا سبيل الجاهد المجاهد ۶۱۸
دعانا الزبير الى بيعة ۳۷۴
دعوت ابا المغوار فى الحضر دعوة ۷۸
رأيت عليّا لا يلبّث قرنه ۳۷۲
سبقتكم الى الاسلام طرا ۳۶۳
سقته اباة الشمس إلا لثاثة ۷۶
سلط الموت و المنون عليه ۵۶
شادن يحلو اذا ما ابتسمت ۷۶
صحوت و اوقدت للجهل نارا ۷۹
صلى الإله و من يحيق بعرشه ۲۱۴

طلع البدر علینا ۶۲۲

فالزمتنی ذنبا و غیری جرّه ۷۳

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۲

فانی اذا کالثور یضرب جنبه ۷۲

فان یک حقا یا خدیجهٔ فاعلمی ۲۱۵

فحوطوا علیا فانصروه فانه ۳۷۳

فشق له من اسمه لیجلّه ۲۱۱

فصلّی الاله علی أحمد ۳۷۴

ففی کف احمد قد سبّحت ۲۱۴

فقل للمضل من وائل ۳۷۴

فلا تحسبونا خاذلین محمدا ۵۱۴

فلا تجعلوها کالبقیر و فحلها ۷۳

فلیت لی بهمو قوما اذا رکبوا ۶۶

فلو ان عندی جارتین و راقیا ۷۶

فهذا نبی اللّه أحمد سبّحت ۲۱۴

فیا رب ان اهلک و لم تروها متی ۵۶

فیا لیت ان الجن جازوا حمالتی ۷۸

قالوا و قد طال عنائی و السقم ۷۸

قد استعذنا بعظیم الوادی ۷۹

قلبت ثیابی و الظنون تجول بی ۷۵

قل للقوافل و الغزاهٔ إذا غزوا ۷۴

قف عند رأیک و اجتهد ۵۱۹

کذاک الثور یضرب بالهراوی ۷۲

کذبتم و بیت اللّه نبزی محمّدا ۵۱۷

کمن یکوی الصحیح یروم برء ۷۳

لا تحسبن رثائما عقّدتها ۷۵

لعمری ان عشرت من خیفهٔ الردی ۷۵

لعمری لقد کلفت وجدا بأحمد ۲۱۴

لعمری لئن بایعتم ذا حفیظهٔ ۳۷۴

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۳

لکل ابی بنت یراعی شئونها ۶۳

لیت الغراب غداهٔ ینعب دائبا ۸۰

لیعلم خیار الناس ان محمّدا ۵۲۱

ما كنت احسب ان الأمر منصرف ۳۷۲

مع ابن عم احمد المعلى ۲۶۹

مفجعة قد شفها فقد أحمد ۲۱۴

من فيه ما فيهم ما تمترون به ۳۷۳

نبيا يرى ما لا يرون و ذكره ۴۸۴

نجسته لا ينفع التنجيس ۷۶

هذا على و ابن عم المصطفى ۳۷۱

هذا على و الهدى حقا معه ۳۷۳

و ابيض يستسقى الغمام بوجهه ۲۹۰، ۵۱۶

و إن عليا لكم مصحر ۳۷۳

و ساحرة عينىّ لو أنّ عينها ۸۰

و ان ولى الأمر من بعد محمّد ۳۷۱

وقيت بنفسى خير من وطأ الحصى ۵۹۹

و اللّه لو كنت الها لم تكن و لا ينفع التعشير ان حمّ واقع ۷۴

و لو لا أبو طالب و ابنه ۵۳۳

و كلّفتنى ذنب امرئ و تركته ۷۳

و كم شققنا من رداء محبّر ۷۷

و كم ناديته و الليل ساج ۷۸

وصى رسول اللّه من دون أهله ۳۷۲

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ۲۴۹

يا راكبا بلغن عنى مغلغلة ۴۵۵

يا رب يا رب أنت مولاه ۲۶۹

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۴۴

يا رب لا أرجو لهم سواكا ۲۸۷

يا رب ردّ راكبى محمّدا ۲۹۹

يا عجبا لهذه الفليقة ۷۸

يا كحل قد اثقلت اذناب البقر ۷۲

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۴۵

(۴) فهرس الأعلام

(أ) آپولو ۵۵۱.

آزر ۱۲۲، ۱۲۴، ۱۳۰، ۱۳۱، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۴۰.

إبراهيم (الخليل) ۲۹، ۳۷، ۴۸، ۵۱، ۵۴، ۵۹، ۸۹، ۱۱۹، ۱۲۰، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۲۶، ۱۲۷، ۱۲۹، ۱۳۰، ۱۳۱، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۳۴،

۱۳۵، ۱۳۶، ۱۳۷، ۱۳۸، ۱۳۹، ۱۴۰، ۱۴۱، ۱۴۲، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۶۲، ۲۰۳، ۲۳۹، ۲۴۰، ۲۷۱، ۲۷۸، ۲۸۲، ۲۹۲، ۳۵۰، ۴۹۸.

ابراهیم (بن رسول اللّه) ۹۶.

ابراهیم بن علی الدینوری ۵۲۸.

أبرهة ۱۵۹، ۱۶۱، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۶۵، ۱۶۹، ۱۷۰، ۱۸۲، ۱۸۶، ۱۸۷، ۱۸۸، ۲۸۶، ۵۵۲، ۵۹۳، ۶۰۵.

ابن أبی شیبة ۳۶۱، ۳۷۷.

ابن أبی الحدید ۲۱۴، ۲۶۷، ۲۶۹، ۳۶۰، ۳۶۱، ۳۶۳، ۳۶۴، ۳۶۵، ۳۶۸، ۵۲۳.

ابن اسحاق (صاحب السیرة) ۳۵۶، ۳۷۱، ۳۷۸.

ابن الاثیر ۱۷۰، ۲۵۹، ۳۵۷، ۳۶۴، ۴۱۳، ۴۵۵، ۵۹۸، ۵۹۹، ۶۰۲، ۶۰۴، ۶۱۲، ۶۱۵، ۶۱۹.

ابن أمّ مکتوم ۴۸۱.

ابن تیمیة ۳۹۵، ۳۹۶، ۳۹۷، ۳۹۸، ۶۰۰، ۶۰۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۶

ابن حجر ۳۵۷.

ابن حذیفة الاسدی ۳۷۳.

ابن حنظلة ۵۲۲.

ابن خالدون ۱۶، ۶۴.

ابن ربیعة ۵۵۷، ۵۵۸.

ابن الزبیر ۲۵۰

ابن سعد (صاحب الطبقات) ۳۵۸، ۵۶۱.

ابن شهر اشوب

ابن الصباغ المالکی ۶۱۸.

ابن طاوس ۲۵۸.

ابن طلحة (الشافعی) ۳۶۳.

ابن عباس ۶۰، ۱۶۴، ۲۶۵، ۲۶۶، ۳۶۰، ۳۶۳، ۳۶۵، ۳۶۸، ۶۱۲.

ابن عبد البر ۳۷۸.

ابن کثیر الشامی ۴۱۰، ۵۱۶.

ابن ماجة (صاحب السنن) ۳۶۱.

ابن مزاحم (مؤلف وقعة صفین) ۳۶۲، ۳۶۳، ۳۶۶.

ابن المغازلی ۳۶۰.

ابن المغیرة المخزومی ۲۸۴.

ابن هشام (المؤرخ) ۲۱۴، ۲۴۴، ۲۵۰، ۲۶۸، ۲۷۲، ۲۸۱، ۲۸۳، ۲۹۶، ۳۴۱، ۳۷۷، ۴۱۶، ۴۲۳، ۴۲۴، ۴۲۷، ۴۵۵، ۴۶۸، ۵۰۸، ۵۲۱، ۵۴۱، ۵۶۳، ۵۷۷، ۵۹۸، ۵۹۹، ۶۰۰، ۶۰۴، ۶۲۴.

ابن الولید ۴۳۱.

ابی بن خلف.

أحمد الاحسائی ۵۴۷.

أحمد (اسم النبی) ۲۱۲، ۲۱۳، ۲۱۴.

أحمد بن حنبل ۵۳۱، ۵۳۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۷

أحمد بن معین بن خراش ۵۳۱.

أحمد بن عبد الحلیم الحرانی ۵۹۶.

الاخنس بن شریق ۴۳۹، ۴۸۳.

أردشیر بابک ۱۱۲.

أرقم بن أبی الارقم ۳۸۸، ۴۱۶.

اریقط ۶۰۳.

اساف (صنم) ۹۰.

اسبوتنیک ۵۵۱.

اسحاق المدنی ۳۷۱.

أسعد بن زرارة ۵۰، ۵۱، ۵۲، ۵۶۹، ۵۷۱، ۵۷۸، ۶۲۳.

إسفندیار ۴۷۳.

إسماعیل (النبیّ) ۳۰، ۳۶، ۳۷، ۴۸، ۵۲، ۸۹، ۱۱۹، ۱۳۱، ۱۴۱، ۱۴۲، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۴۶، ۱۴۹، ۱۵۵، ۱۵۸، ۱۸۸، ۱۹۲، ۲۰۵، ۳۵۰.

الاسکندر ۶۱۳.

الأسود بن المطلب ۴۸۸.

الأسود بن یغوث ۴۲۳.

اسید بن حضیر ۵۹۷.

إلیاس (جد النبیّ) ۱۴۶.

أمیّة بن أبی الصلت ۴۳۹.

أمیّة بن خلف ۳۹۰، ۴۱۵، ۴۸۸.

أمیّة بن عبد شمس ۱۵۰.

أنس بن رافع ۵۶۷.

أنس بن مالک ۲۶۱، ۲۶۹، ۳۶۴، ۶۱۱.

انوشیروان ۱۰۲، ۱۰۵، ۱۰۶، ۱۰۷، ۱۰۹، ۱۱۵، ۱۱۶، ۱۱۷، ۲۰۲.

ایاس بن معاذ ۵۶۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۸

(ب) بحیری (الراهب) ۲۳۱، ۲۳۲، ۲۳۳، ۲۳۴، ۲۷۵.

بدر من معشر ۲۴۶.

البراء بن معرور ۵۷۱.

البراق ۵۳۵.

البراض بن قيس الكنانى ۲۴۷.

بركة ۲۹۱.

بريد الاسلمى ۳۶۵.

بلال الحبشى ۴۱۵.

(ت) تبان اسعد ۱۶۰.

توماس كارليل ۸۵.

تيباريومس (الامبراطور) ۱۱۶.

(ج) جابر بن عبد اللّه الانصارى ۲۶۰، ۳۶۲، ۳۶۴.

جاجارين (رائد فضائى) ۵۵۱.

جبر (الغلام المسيحى).

جبرئيل ۲۶۱، ۲۶۷، ۲۸۶، ۲۹۴، ۳۲۱، ۳۲۲، ۳۲۷، ۳۸۲، ۳۸۳، ۳۸۶، ۴۶۴، ۵۰۷، ۵۳۵، ۵۳۹، ۵۸۵، ۵۸۷، ۶۰۰، ۶۰۱.

جعفر بن أبى طالب ۹۶، ۲۱۴، ۲۵۸، ۲۸۵، ۲۸۶، ۳۰۰، ۴۵۴، ۴۵۷، ۴۵۸، ۴۶۰، ۴۶۹، ۴۹۳.

جعفر بن محمّد (الإمام) ۱۷۹، ۱۹۵، ۲۶۳، ۲۷۵، ۲۹۴، ۵۲۹.

جلال الدين الطوسى ۲۹۲.

جندب بن زهير ۳۷۳.

جنيد بن عبد الرحمن ۳۷۶.

جواد على (مؤلف) ۹۱.

جونس (دكتر مارسدن) ۶۱۱.

(ح) الحارث بن عبد المطلب ۱۵۵.

الحارث بن كلدة ۱۸، ۱۵۶، ۵۰۴.

الحارث بن نوفل ۴۴۱.

حبيب بن اويس ۵۷.

الحجاج ۳۷۵.

حجر بن معاذ الغفرانى ۶۲۲.

حذيفة الغدر ۶۵.

حذيفة بن اليمان ۲۶۳.

حرب بن اميّة ۱۵۱، ۱۵۴، ۲۱۱، ۲۱۴، ۳۶۱، ۳۷۳.

الحسن بن على (الإمام) عليه السّلام ۲۵۰، ۲۶۹، ۳۵۷، ۳۶۴، ۳۷۶.

الحسين بن على (الإمام) عليه السّلام ۲۵۰، ۲۶۹، ۳۷۷، ۶۱۱.

حضير ۵۷۴.

حكيم بن حزام ۲۷۹، ۲۸۰، ۵۰۳، ۵۰۴.

حكيم مولى زاذان ۳۶۱.

حمزة (عم النبيّ) ۱۹۰، ۲۱۵، ۲۷۳، ۲۸۶، ۴۰۹، ۴۱۰، ۴۱۱، ۴۲۵.

حناطة ۱۶۲.

حمزة الاصفهانى ۸۸، ۱۰۳.

حيدة بن معاوية العامرى ۲۹۹.

(خ) خالد بن الوليد ۶۱۰.

خالد (حكيم العرب) ۴۸۰.

خالد بن زيد ۶۲۲.

خباب بن الارت ۴۲۲، ۴۲۵، ۴۲۶.

خزيمة (جد النبيّ) ۱۴۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۵۰

خزيمة بن ثابت ۳۷۲.

خسرو برويز ۸۸، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۰۳، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۱۳، ۱۱۷، ۱۱۸، ۴۵۲.

الخطاب ۴۲۴.

خلف ۴۲۳.

الخمينى (الإمام) ۶۱۵.

خويلد ۲۶۲، ۲۶۳، ۲۶۴، ۲۶۶، ۲۶۷، ۲۷۳، ۳۶۷، ۳۸۳.

(د) داود (النبيّ) ۲۳۷.

داود بن أبى هند ۳۶۰.

ديمتريوس ۳۱.

ديودورس ۳۱.

(ذ) ذو نفر ۱۶۲.

ذو نواس ۱۶۱.

ذو الخلصة (صنم) ۹۱.

(ر) ربيع بن الحرث ۳۷۲، ۵۵۷.

ربيعة ۱۴۷، ۳۷۶، ۵۵۸، ۵۵۹، ۶۱۸.

رستم ۴۷۱، ۴۷۴.

رينان (مسيو) ۸۵.

(ز) الزبير بين عبد المطلب ۲۴۹.

زرارة بن اعين ۳۴۲.

زفر بن يزيد ۳۷۳.

زكريا (النبيّ) ۱۷۴، ۲۲۳، ۲۹۵.

زمعة بن الاسود ۵۰۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۵۱

زیاد بن ابیه ۵۹۵.
زید بن ارقم ۳۵۶، ۳۶۵.
زید بن حارثة ۳۵۴، ۳۵۶، ۳۸۷، ۵۲۲.
زید بن عمرو بن نفیل ۲۲۴، ۲۸۲.
زینی دحلان (المؤرخ) ۲۸۹، ۵۲۴.
الزهره (کوکب) ۱۲۵.
زهیر بن أبی أمیّة ۵۰۴، ۵۰۵، ۵۰۶.
(س) سالم بن أبی جعد ۳۷۰.
سالمین (محمّد علی) ۶۰.
سراقة بن مالک بن جعشم ۶۱۵.
سعد (صنم) ۹۰.
سعد بن أبی وقاص ۸۱، ۳۸۷، ۳۸۸، ۵۰۳.
سعد بن عبادة ۵۷۶، ۵۷۷، ۶۲۳.
سعد بن معاذ ۵۷۸.
سعید بن زید ۳۸۸، ۴۲۴، ۴۲۵، ۴۲۶.
سعید بن قیس الهمدانی ۳۷۱.
سفیان بن سعید الثوری ۵۳۰، ۵۳۱.
سلامة (بولس) ۵۱۱.
سلمان الفارسی ۳۶۷، ۶۰۹.
سلمة بن کهیل ۳۶۱.
سلیمان ۲۳۷، ۲۳۸.
سمرة بن جندب ۵۹۴، ۵۹۵، ۵۹۶.
سوید بن صامت ۵۶۶.
سهل و سهیل ۶۲۲.
سهیل (کوکب) ۵۲.
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۲
سید قطب ۱۸۲، ۱۸۴.
(ش) شنفرة ۶۵.
شهر بزاز (أخ سلمان) ۱۱۱.
شیبة بن ربیعة ۱۵۲، ۳۷۶، ۵۵۷، ۵۵۸.
شیث (النبیّ) ۳۷۱.
شیرویه ۱۱۱، ۱۱۸.
(ص) الصدی (طائر خرافی) ۵۶.

صدر الدين الشيرازى (الفيلسوف) ۱۷۶.

صعصعة بن ناجية ۴۶.

الصلت بن أبى يهاب ۲۶۵.

(ط) طارق بن شهاب الاحمس ۳۷۰.

طالب ۵۱.

الطاهر (بن النبىّ) ۲۷۸.

الطفيل بن عمرو الدوسى ۵۴۲.

الطيب (بن النبىّ) ۲۷۸.

(ع) العاص بن وائل السهمى ۲۴۹، ۳۷۶، ۴۱۱، ۴۱۲، ۴۲۲، ۴۲۳، ۴۳۲، ۴۸۸، ۵۰۴، ۵۰۷.

عامر بن فهيرة ۶۰۲.

عبادة بن الصامت ۵۶۹.

عباس بن عبد المطلب (عم النبىّ) ۲۶۲، ۲۸۵، ۲۸۶، ۳۵۵، ۳۵۷، ۳۶۰، ۴۲۰، ۴۲۱، ۴۷۱.

عبد الحليم (الشيخ محمود) ۶۱۴.

عبد الدار ۱۴۷، ۱۴۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۵۳

عبد الرحمن بن حنبل الجمحى ۳۷۴.

عبد الرحمن بن عثمان ۲۵۰.

عبد الرحمن بن عوف ۳۸۷.

عبد الرحمن بن محمّد الحضرمى المالكى (القاضى)- ابن خالدون.

عبد الرحمن بن ملجم ۵۹۵.

عبد الرزاق ۳۵۷.

عبد شمس ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۰، ۴۶۸.

عبد اللّه (بن النبىّ) ۲۷۸.

عبد اللّه (والد النبىّ) ۱۴۶، ۱۴۷، ۱۵۷، ۱۵۸، ۱۸۹، ۱۹۰، ۱۹۱، ۱۹۲، ۱۹۳، ۱۹۴، ۱۹۶، ۱۹۷، ۲۱۵، ۲۲۷، ۲۲۸، ۲۵۸، ۲۶۰، ۲۷۷، ۲۷۹، ۲۹۱، ۲۹۲، ۳۵۷، ۳۸۸، ۵۷۴.

عبد اللّه بن أبى بكر ۶۰۲.

عبد اللّه بن أبى بن سلول ۶۲۳.

عبد اللّه بن أبى خزرج ۵۶۸.

عبد اللّه بن أبى سفيان ۳۷۱.

عبد اللّه بن أبى شيبة ۳۶۱.

عبد اللّه بن أبى رافع ۴۷۰.

عبد اللّه بن انيس ۶۱۱.

عبد اللّه البجلى ۳۷۴.

عبد اللّه بن بریر ۳۷۱.
عبد اللّه بن الحارث ۵۵۴.
عبد اللّه بن حجر ۳۷۰.
عبد اللّه (بن حلیمهٔ) ۲۱۵.
عبد اللّه بن جحش ۲۸۲.
عبد اللّه بن جدعان ۲۴۹، ۴۵۹.
عبد اللّه بن خبابهٔ ۳۷۰، ۳۷۱.
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۴
عبد اللّه بن ربیعهٔ ۴۵۶، ۴۵۹.
عبد اللّه بن الزبیر ۲۵۰.
عبد اللّه بن عمرو بن مخزوم ۱۸۶.
عبد اللّه بن مسعود ۳۶۹، ۴۱۷، ۴۱۸.
عبد اللّه بن مظعون ۳۸۸.
عبد الکریم الخطیب ۶۰۰.
عبد الملک بن عمیر ۵۳۰، ۵۳۱.
عبد المطلب (جد النبیّ) ۵۱، ۱۱۹، ۱۴۶، ۱۵۲، ۱۵۳، ۱۵۴، ۱۵۵، ۱۵۶، ۱۵۷، ۱۵۸، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۸۹، ۱۹۰، ۱۹۱، ۱۹۲، ۱۹۳، ۱۹۷، ۲۱۱، ۲۱۳، ۲۱۵، ۲۱۶، ۲۱۷، ۲۲۳، ۲۲۷، ۲۲۸، ۲۲۹، ۲۳۰، ۲۴۹، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۸۶، ۲۸۷، ۲۸۹، ۲۹۲، ۲۹۹، ۳۵۳، ۳۷۲، ۴۰۴، ۴۰۹، ۴۲۰، ۴۲۵، ۵۰۴، ۵۱۳، ۵۵۵، ۵۶۳، ۵۷۱.
عبد مناف ۱۴۶، ۱۴۷، ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۲، ۱۹۰، ۲۸۹، ۴۴۱، ۵۱۳.
عبد العزیز بن محمّد الدراوردی ۵۳۰، ۵۳۱.
عبیدهٔ بن الحارث ۳۸۸.
عبد الوهاب النجار ۱۹۰، ۱۹۴.
عتبهٔ بن ربیعهٔ ۵۰، ۴۳۰، ۴۳۲، ۵۵۷، ۵۵۸.
عتیق بن عائذ ۲۴۷.
عثمان بن حویرث ۲۸۲.
عثمان بن عفان ۲۵۲، ۳۸۲، ۳۸۸.
عثمان بن مظعون ۳۸۸، ۴۶۲.
عداس ۵۵۸، ۵۵۹.
عدنان ۱۴۶.
عدی بن حاتم ۳۷۰.
عروهٔ الرجال ۲۴۷.
العزّی (صنم) ۵۴، ۵۵، ۹۰، ۲۷۹، ۲۹۳، ۴۱۵، ۴۸۸، ۴۹۳.
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۵

عطارد ۵۲.

عفيف الكندى ۲۵۹، ۳۵۷.

عاقبة بن أبى معيط ۲۵۸، ۲۶۵، ۴۱۳، ۴۲۳، ۴۶۲، ۵۰۴، ۵۲۲.

عكرمة ۱۷۰، ۲۶۲.

على بن أبى طالب ۹۱، ۱۴۹، ۱۹۵، ۲۰۵، ۲۱۷، ۲۱۸، ۲۴۳، ۲۴۴، ۲۵۵، ۲۶۰، ۲۶۶، ۲۶۷، ۲۶۸، ۲۸۵، ۲۸۶، ۲۹۴، ۳۱۶، ۳۵۴، ۳۵۶، ۳۵۸، ۳۵۹، ۳۶۰، ۳۶۱، ۳۶۴، ۳۶۶، ۳۶۷، ۳۶۹، ۳۷۰، ۳۷۱، ۳۷۲، ۳۷۴، ۳۷۵، ۳۷۶، ۳۷۷، ۳۷۸، ۳۷۹، ۳۸۱، ۳۸۷، ۳۹۴، ۳۹۵، ۳۹۷، ۳۹۸، ۴۲۵، ۴۸۰، ۵۰۶، ۵۱۳، ۵۱۴، ۵۲۳، ۵۲۴، ۵۲۶، ۵۲۹، ۵۳۵، ۵۴۲، ۵۸۳، ۵۸۷، ۵۸۸، ۵۹۰، ۵۹۳، ۵۹۴، ۵۹۵، ۵۹۶، ۵۹۷، ۵۹۸، ۵۹۹، ۶۰۰، ۶۰۱، ۶۰۲، ۶۰۳، ۶۰۹، ۶۱۰، ۶۱۳، ۶۱۸، ۶۱۹.

على بن الحسين السجّاد (الإمام) ۵۵.

على بن موسى الرضا (الإمام) ۳۰۰.

على بن إبراهيم (المفسر) ۵۸۸.

عماد الدين ابن كثير ۲۴۸.

عمار بن ياسر.

عمارة بن الوليد بن المغيرة ۴۰۶.

عمر بن الخطاب ۳۶۰، ۳۶۸، ۴۱۰، ۴۱۲، ۴۲۴، ۴۲۶.

عمر رضا كحالة ۴۲۷.

عمرو بن اسد ۲۷۳.

عمرو بن الجموح ۶۲۰، ۶۲۱.

عمرو بن الحمق ۳۷۱.

عمرو بن عاص ۴۲۳، ۴۵۶، ۴۵۹.

عمرو بن لحى ۵۳، ۹۰.

عمرو الخزرجى ۱۵۱.

عمرو العلا ۱۴۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۵۶

عميانس (صنم) ۹۰، ۱۶۱.

عياض (القاضى) ۶۱۰.

عيسى بن مريم ۲۰۱، ۲۰۲، ۲۰۳، ۲۰۴، ۲۴۰، ۲۴۱، ۲۹۵، ۳۴۲، ۳۵۸، ۴۵۹، ۴۹۸، ۵۲۱، ۵۷۱، ۶۰۵.

(غ) غالب ۱۴۶.

الغرانيق ۴۸۷، ۴۸۹، ۴۹۳، ۴۹۴.

غسان ۴۰، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۱۵۰.

غوستاف‌لوبون ۴۱.

(ف) فضل بن أبى لهب ۳۷۳.

فضل بن الحارث ۲۴۸.

فضل بن فضالة ۲۴۸.

فضل بن وداعة ۲۴۸.

فضیل بن جندب ۱۶۲.

فلاماریون ۱۰۰.

فرید وجدی (محمد) ۵۴۴.

فهر (جد النبیّ) ۱۴۶.

(ق) القاسم (بن رسول اللّه) ۲۶۳، ۲۷۸.

القاصعة (الخطبة) ۳۵۶.

قدامة بن مظعون ۳۸۸.

القراریط ۲۵۲.

قصی بن کلاب (جد النبیّ) ۱۴۶، ۱۴۷، ۱۴۸، ۱۵۵.

القمر ۵۴۶، ۵۵۱.

قیس بن زهیر ۶۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۷

قیس بن عاصم ۵۹.

قیصر ۱۶۱، ۳۵۷، ۴۲۳.

قتاد بن دعامة ۳۷۵.

(ک) کعب (جد النبیّ) ۱۴۶.

کعب بن زهیر ۳۷۲.

کعب الاحبار ۴۷۷.

کعب بن مالک ۲۱۴.

کلاب بن مرة (جد النبیّ) ۱۴۶.

کنانة (جد النبیّ) ۱۴۶.

کلثوم بن هرم ۶۱۷.

(ل) اللات (صنم) ۵۴، ۵۵، ۹۰، ۲۷۹، ۲۹۳، ۴۱۵، ۴۸۸، ۴۹۳.

لؤی ۱۴۶.

لبید (الشاعر) ۴۶۱، ۴۶۲.

لقمان ۵۶۶.

اللوح المحفوظ ۳۴۵.

(م) مارسدن جونس ۶۱۱.

مالک (جد النبیّ) ۱۴۶.

مالک بن الحارث الاشتر ۳۶۹.

مالک بن عبادة ۳۷۳.

المأمون ۳۷۸.

مانی ۱۱۳.

ماه بنداذ (اخو سلمان) ۶۰۹.

مجاهد (المفسّر) ۲۰۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۸

محمّد بن أبی بکر ۳۷۱.

محمّد بن أحمد الذهبی ۵۳۱.

محمّد بن اسحاق (المؤرخ) ۲۶۶، ۵۵۶.

محمّد بن جریر الطبری ۳۹۶.

محمّد حسنین هیکل ۱۸۲، ۲۷۸، ۲۸۰، ۳۳۹، ۳۴۱، ۳۹۷.

محمّد حمید اللّه (مؤلف) ۶۰۹.

محمّد بن حنفیة ۳۷۰.

محمّد بن سلمة ۶۱۱.

محمّد بن مسلم ۳۷۵.

محمّد عبدة ۱۶۸، ۱۸۲، ۱۸۳، ۳۰۰.

محمّد عزت نصر اللّه ۲۱۴.

محمّد المکندر المدنی ۳۷۱.

محمود الآلوسی ۷۱.

محمود بن عبد الحلیم ۶۱۴.

مخرمة بن نوفل الزهری ۲۵۰.

مدرکة (جدّ النبیّ) ۱۴۶.

مرّة (جدّ النبیّ) ۱۴۶.

المریخ (کوکب) ۵۴۶، ۵۵۱.

مزدک ۱۱۳، ۱۱۴.

المسورة بن مخرمة

المسیح ۵۴، ۱۱۷، ۱۶۷، ۱۸۱، ۱۹۵، ۲۰۱، ۲۲۲، ۲۴۰، ۲۵۹، ۲۷۱، ۲۹۶، ۴۵۸، ۴۵۹، ۵۲۱، ۵۲۵، ۵۳۶، ۶۱۲.

المشتری (کوکب) ۵۲.

مصعب بن عمیر ۵۷۰، ۵۷۸، ۵۷۹.

مضاض بن عمرو الجرهمی ۱۵۵.

مضر بن نزار (جدّ النبیّ) ۱۴۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۹

المطعم بن عدی ۴۰۶، ۵۰۱، ۵۰۵، ۵۶۰، ۵۶۱، ۵۷۷.

المطلب ۱۴۸، ۱۵۰، ۱۵۲، ۱۵۳.

معاذ بن جبل ۷۱، ۲۶۰، ۳۶۰.

معاذ بن عمرو ۶۲۰.

معاوية ۲۶۹، ۳۶۳، ۳۶۴، ۳۷۰، ۳۷۱، ۵۶۶، ۵۹۴.

معد (جد النبىّ) ۱۴۶.

المغيرة (جد النبىّ) ۱۴۷.

المقداد بن عمرو ۳۶۸.

المقداد السيورى ۱۹۶.

الملا على القارى ۶۱۰.

مناة (صنم) ۵۴، ۹۰، ۴۸۸، ۴۹۳.

مناف (صنم) ۵۴، ۹۱.

منذر بن عمر ۵۷۷.

منصور بن عكرمة ۵۰۱.

ميسرة (غلام خديجة) ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۷۰.

ميكائيل ۶۰۰.

موسى بن جعفر (الإمام) ۲۶۲، ۵۵۳.

موسى (النبىّ) ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۵۸، ۱۶۷، ۱۸۱، ۲۰۰، ۲۰۱، ۲۰۲، ۲۰۳، ۲۳۹، ۲۶۲، ۳۴۰، ۳۴۱، ۳۶۹، ۴۷۵، ۴۹۷، ۵۲۱، ۵۲۵، ۵۷۳، ۶۰۵.

(ن) نائلة (صنم) ۹۰.

ناصح (غلام خديجة) ۲۵۶.

نزار (جدّ النبىّ) ۱۴۶.

نصير الدين الطوسى ۱۹۶.

النضر (جدّ النبىّ) ۱۴۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۶۰

النضر بن الحارث ۴۳۲، ۴۶۳، ۴۷۳، ۴۷۴.

النعمان بن المنذر ۵۹، ۸۸.

نعيم بن عبد اللّه ۴۲۵.

نفيل بن حبيب الخثعمى ۱۶۲.

النمرود بن كنعان ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۳۶، ۱۳۸، ۱۴۰.

نوح النبىّ ۱۴۵، ۲۵۱، ۴۹۸.

نوفل بن عبد مناف ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۰.

(ه) هارون (النبىّ) ۳۴۱، ۳۶۹.

هاشم بن عبد مناف (جدّ النبىّ) ۱۴۶، ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۰، ۱۵۱، ۱۵۲، ۲۹۰، ۳۶۹، ۳۷۲.

هاشم بن عتبة ۳۶۹.

هامّة ۸۲.

هبل (صنم) ۵۴، ۹۰.

هبيرة بن وهب المخزومى ۲۸۵.

هرودتس ۴۰، ۴۱، ۱۲۰.

هرقل ۱۱۸.

هشام بن عمرو ۵۰۴.

هند بن أبى هالة ۵۹۹، ۶۰۲.

(و) ورقة بن نوفل ۱۸۹، ۱۹۲، ۲۱۴، ۲۷۰، ۲۷۱، ۲۷۳، ۲۸۲، ۲۳۸، ۳۴۰، ۳۴۱، ۳۴۲، ۳۹۰، ۳۹۱، ۴۱۵.

الوليد بن عتبة ۲۵۰، ۳۷۳، ۴۸۱، ۴۸۹.

الوليد بن المغيرة ۲۸۳، ۴۲۳، ۴۲۸، ۴۳۹، ۴۶۱، ۴۶۲، ۴۶۸، ۴۶۹، ۴۸۰، ۴۸۸، ۴۹۱، ۴۹۲، ۵۰۳.

وهب بن عبد مناف ۱۹۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۶۱

ويليام موبير (السير) ۴۹۳.

(ى) ياسر ۴۱۶، ۴۱۷.

يحيى بن زكريا (النبىّ) ۲۵۹، ۲۹۵، ۲۹۶، ۳۷۷.

يزدجرد ۶۲۲، ۶۲۴.

يعرب بن قحطان ۳۶.

يعقوب (النبىّ) ۲۳۸، ۲۵۶.

يوسف ۲۳۹.

يونس بن عبد الرحمن ۵۵۳.

يونس بن متى (النبىّ) ۵۵۸، ۵۵۹.

النساء:

آسية بنت مزاحم ۲۶۲، ۲۶۳.

آمنة بنت وهب ۱۹۰، ۱۹۱، ۱۹۲، ۱۹۳، ۱۹۶، ۱۹۷، ۲۰۶، ۲۰۷، ۲۱۲، ۲۱۳، ۲۲۷، ۲۳۱، ۲۹۱، ۴۵۴، ۵۱۸.

أسماء بنت عميس ۲۶۰.

أنيسة (بنت حليمة السعدية) ۲۱۵.

بلقيس ۳۳.

ثويبة ۲۱۵.

حليمة السعدية ۷۰، ۲۱۵، ۲۱۶، ۲۱۷، ۲۲۱، ۲۲۲، ۲۲۳، ۲۲۷، ۲۷۷، ۲۹۳.

خديجة بنت خويلد ۱۹۱، ۲۱۵، ۲۵۴، ۲۵۵، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۵۹، ۲۶۰، ۲۶۱، ۲۶۲، ۲۶۳، ۲۶۴، ۲۶۵، ۲۶۶، ۲۶۷، ۲۶۸، ۲۶۹، ۲۷۰، ۲۷۱، ۲۷۲، ۲۷۳، ۲۷۴، ۲۷۶، ۲۷۷، ۲۷۸، ۲۷۹، ۲۸۰، ۲۹۳، ۳۲۲، ۳۳۸، ۳۳۹، ۳۵۰، ۳۵۳، ۳۵۴، ۳۵۶، ۳۵۷، ۳۶۶، ۳۶۷، ۳۷۵، ۳۸۰، ۳۸۱، ۳۸۳، ۳۸۴، ۳۸۷، ۵۰۳، ۵۰۷، ۵۵۵، ۵۵۶، ۵۹۹، ۶۰۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۶۲

حولة ۳۸۲.

دلالة ۱۹۰.

رقية (بنت رسول اللّه) ۲۶۳، ۲۷۸.

زينب (بنت رسول اللّه) ۲۶۳، ۲۷۸.

سارة (زوجة الخليل ع) ۱۰۸، ۱۴۱، ۱۴۵، ۲۳۹، ۲۴۰.

سلمى (زوجة هاشم) ۱۵۱، ۱۵۲، ۲۶۳.

سميّة (زوجه ياسر) ۴۱۶، ۴۱۷.

الشيماء (بنت حليمة السعدية) ۲۱۵، ۲۱۶.

عائشة بنت أبى بكر ۲۶۱، ۲۶۲، ۲۶۳، ۲۶۵، ۲۶۷، ۳۵۳.

عاتكة (بنت عبد المطلب) ۲۱۵.

فاطمة بنت الخطاب ۴۲۴، ۴۲۵، ۴۲۶.

فاطمة الخثعمية ۱۹۱، ۱۹۲، ۱۹۳، ۱۹۴.

فاطمة الزهراء (ع) (بنت رسول اللّه- ص-) ۹۵، ۲۶۵، ۲۶۹، ۲۷۸، ۳۵۹، ۳۶۰، ۵۰۹، ۶۰۲، ۶۱۸.

فاطمة (أم قصى بن كلاب) ۱۴۷.

فاطمة بنت أسد (أم علىّ بن أبى طالب) ۵۲۹، ۶۰۲.

فاطمة بنت الزبير ۶۰۲، ۶۱۸.

الفواطم ۶۰۲.

مريم بنت عمران (أمّ السيد المسيح- ع-) ۵۴، ۱۰۱، ۲۰۱، ۲۲۲، ۲۲۳، ۲۶۲، ۲۶۳، ۲۹۵، ۴۵۸، ۴۵۹، ۵۲۱، ۵۲۵، ۵۷۱.

هاجر (زوجة الخليل- ع-) ۳۷، ۱۴۱، ۱۴۲.

هندة ۱۴۳، ۱۴۴.

مارية القبطية ۲۷۸.

معاذة بنت عبد اللّه العدوية ۳۶۳.

نفيسة بنت عليّة ۲۷۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۶۳

(۵) فهرس القبائل و الامم

آل الرسول ۵۷.

آل سعود ۵۱۲.

آل ياسر ۴۱۶.

اسلم (قبيلة) ۲۸۳. سيد المرسلين ج۱ ۶۶۳ (۵) فهرس القبائل و الامم ..... ص : ۶۶۳

حاب الاخدود ۱۶۱.

أصحاب الكهف ۲۸۲.

الانصار ۶۱۹.

الاوس و الخزرج ۳۰، ۵۰، ۹۰، ۹۱، ۵۶۵، ۵۶۶، ۵۶۷، ۵۶۸، ۵۷۱، ۵۷۴، ۵۷۵، ۵۷۶، ۶۲۰، ۶۲۲، ۶۲۳.

بنو إسرائيل ۲۹۵، ۴۹۸، ۵۷۳.
بنو إسماعيل ۵۷۳.
بنو افقم ۱۶۲.
بنو أميّة ۵۴، ۱۴۹، ۴۸۱.
بنو بكر ۴۲۱.
بنو تميم ۵۲، ۵۹.
بنو جمح ۳۷۴، ۴۱۵.
بنو سالم بن عوف ۶۲۴.
بنو سعد ۲۱۶، ۲۱۷، ۲۲۲، ۲۲۳، ۲۲۴، ۲۲۷.
سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۶۴
بنو سلامان ۶۵، ۸۸.
بنو سلمة ۶۲۰، ۶۲۱.
بنو عامر ۲۴۶، ۵۶۳، ۵۶۴.
بنو عبد الاشهل ۵۶۷، ۵۶۸، ۵۶۹.
بنو عبد الدار ۲۸۴.
بنو عبد مناف ۵۰۵، ۵۱۳.
بنو عبس ۶۵.
بنو عدى ۲۸۴، ۲۹۱، ۴۱۱.
بنو عمرو بن عوف ۶۱۷، ۶۲۲.
بنو قريظة ۵۶۵.
بنو قينقاع ۵۱، ۵۶۵.
بنو كنانة ۹۰، ۱۴۶، ۲۴۵.
بنو مخزوم ۴۰۹.
بنو المطلب ۵۰۱، ۵۲۲، ۵۶۳، ۵۸۵.
بنو مليح ۵۲.
بنو النضير ۵۶۵.
بنو هاشم ۳۷، ۵۱، ۱۵۳، ۲۱۷، ۲۳۰، ۲۵۵، ۲۷۳، ۲۹۰، ۳۵۴، ۳۵۵، ۳۹۴، ۴۰۸، ۴۱۲، ۴۱۳، ۴۴۰، ۴۵۰، ۵۰۱، ۵۰۲، ۵۰۳، ۵۰۴، ۵۰۶، ۵۰۸، ۵۲۰، ۵۲۲، ۵۳۷، ۵۸۴، ۵۸۵، ۵۹۰، ۶۰۱، ۶۰۲.
تبابعة ۳۲.
ثقيف (قبيلة) ۵۵۷.
ثمود (قوم) ۳۶، ۲۳۳.
جرهم (قبيلة) ۳۷، ۱۵۴، ۱۵۵.
حمير (قبيلة) ۵۲.

خزاعة ۹۰، ۱۵۴، ۱۵۵، ۵۶۰، ۵۸۴.

دوس (قبیلة) ۱۶۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۵

الروم ۴۰، ۸۶، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۹۸، ۹۹، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۰۵، ۱۰۶، ۱۱۶، ۱۱۷، ۱۱۸، ۱۶۰.

الساسانیون ۸۸، ۱۰۲، ۱۰۳، ۱۰۴، ۱۰۵، ۱۰۶، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۱۲، ۱۱۵.

سعد بن بکر (قبیلة) ۲۱۵.

عاد (قوم) ۳۶، ۲۳۳.

العدنانیون ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۱۵.

العرب البائدة ۳۶، ۳۷، ۳۸.

العمالقة ۳۰.

الغساسنة ۴۰، ۸۶، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۱۵۰، ۱۸۷.

القحطانیون ۳۶، ۵۶۵.

قریش ۳۷، ۴۳، ۴۵، ۹۱، ۹۶، ۱۴۷، ۱۴۹، ۱۵۰، ۱۵۳، ۱۵۴، ۱۵۵، ۱۵۶، ۱۵۷، ۱۵۸، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۷۰، ۱۸۶، ۱۸۹، ۱۹۰، ۲۰۷، ۲۱۱، ۲۱۴، ۲۱۵، ۲۲۷، ۲۳۰، ۲۳۱، ۲۳۴، ۲۳۵، ۲۴۰، ۲۴۴، ۲۴۶، ۲۴۷، ۲۴۹، ۲۵۳، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۵۹، ۲۶۴، ۲۶۵، ۲۶۶، ۲۶۷، ۲۷۰، ۲۷۱، ۲۷۲، ۲۷۳، ۲۷۴، ۲۷۶، ۲۷۷، ۲۸۰، ۲۸۱، ۲۸۳، ۲۸۴، ۲۸۵، ۲۸۶، ۲۸۷، ۲۹۰، ۲۹۵، ۳۰۲، ۳۱۹، ۳۲۱، ۳۵۴، ۳۵۵، ۳۶۰، ۳۶۸، ۳۸۱، ۳۸۸، ۳۹۰، ۳۹۱، ۴۰۲، ۴۰۳، ۴۰۴، ۴۰۵، ۴۰۶، ۴۰۷، ۴۰۸، ۴۰۹، ۴۱۰، ۴۱۱، ۴۱۲، ۴۱۳، ۴۱۷، ۴۱۸، ۴۱۹، ۴۲۰، ۴۲۱، ۴۲۳، ۴۲۵، ۴۲۹، ۴۳۰، ۴۳۲، ۴۳۹، ۴۴۰، ۴۵۰، ۴۵۱، ۴۵۲، ۴۵۳، ۴۵۵، ۴۵۶، ۴۵۷، ۴۵۸، ۴۶۰، ۴۶۱، ۴۶۲، ۴۶۳، ۴۶۴، ۴۶۵، ۴۶۶، ۴۶۷، ۴۶۹، ۴۷۰، ۴۷۱، ۴۷۳، ۴۷۴، ۴۸۰، ۴۸۳، ۴۸۴، ۴۸۵، ۴۸۸، ۴۹۰، ۴۹۲، ۴۹۳، ۵۰۰، ۵۰۱، ۵۰۲، ۵۰۳، ۵۰۴، ۵۰۵، ۵۰۶، ۵۰۷، ۵۰۸، ۵۱۱، ۵۱۳، ۵۱۴، ۵۱۶، ۵۲۱، ۵۲۲، ۵۲۷، ۵۲۸، ۵۳۶، ۵۳۹، ۵۴۱، ۵۴۲، ۵۴۳، ۵۴۴، ۵۵۵، ۵۵۶، ۵۵۷، ۵۵۹، ۵۶۰، ۵۶۱، ۵۶۳، ۵۶۷، ۵۷۵، ۵۷۷، ۵۸۰، ۵۸۱، ۵۸۳، ۵۸۴، ۵۸۵،

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۶

۵۸۷، ۵۸۸، ۵۸۹، ۵۹۱، ۵۹۲، ۶۰۱، ۶۰۴، ۶۱۵، ۶۱۶.

کنانة (قبیلة) ۲۴۵، ۲۴۶.

مذحج (قبیلة) ۲۴۳.

المناذرة ۶۱۷.

اللخمیّون ۸۸، ۸۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۷

(۶) الکنی و الألقاب

«الکنی» الرجال أبو أحیحة ۵۴.

أبو الاسود الدؤلی ۳۷۳.

أبو امامة (ابن النقاش) ۲۶۷.

أبو امیّة (ابن مغیرة المخزومی) ۲۸۴.

أبو أیوب (الانصاری) ۳۶۰، ۳۶۹، ۶۲۲.

أبو البختری ۴۳۲، ۵۰۴، ۵۸۴.

أبو بصیر- اعشی بن قیس ۴۸۵، ۵۰۵.

أبو بکر (ابن أبی قحافة) ۳۵۴، ۳۶۰، ۳۶۳، ۳۶۸، ۳۷۰، ۳۷۱، ۳۷۳، ۳۷۸، ۳۸۸، ۴۱۰، ۴۱۱، ۴۱۸، ۴۲۵، ۴۸۳، ۵۹۰، ۵۹۲، ۶۰۲.

ابو تراب (علی بن أبی طالب) ۳۷۶، ۳۷۷.

أبو تمام (الشاعر) ۵۷.

أبو جعفر الاسکافی ۳۹۷.

أبو جهل ۲۵۸، ۲۶۵، ۲۶۷، ۳۰۲، ۳۵۸، ۴۰۹، ۴۱۰، ۴۱۲، ۴۱۵، ۴۱۷، ۴۲۲، ۴۲۳، ۴۲۹، ۴۳۰، ۴۳۲، ۴۳۹، ۴۶۲، ۴۶۳، ۴۸۳، ۵۰۴، ۵۰۵، ۵۲۲، ۵۸۴، ۵۸۵.

أبو حاتم ۵۳۱، ۵۳۲.

أبو حازم ۳۷۵.

أبو الحسن البکری ۲۷۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۸

أبو حکیم ۴۰۹.

أبو حنظلة ۵۲۲.

أبو داود ۳۶۱.

أبو ذر الغفاری ۳۶۸، ۳۷۱، ۴۱۸، ۴۱۹، ۴۲۰، ۴۲۱، ۵۳۳.

أبو ذؤیب ۲۱۵.

أبو رافع الطبرانی الهیثمی ۳۶۲، ۳۶۵، ۳۶۷، ۳۶۹.

أبو رغال (ثقیف) ۱۶۲.

أبو زرعة ۲۶۰، ۵۳۲.

أبو سعید الخدری ۳۶۰، ۳۶۸، ۳۷۵.

أبو سفیان ۵۴، ۱۸۹، ۲۵۸، ۲۶۵، ۳۷۱، ۳۷۳، ۳۹۰، ۴۳۲، ۴۸۳، ۵۳۷، ۵۶۰.

أبو سلمة ۳۸۸.

أبو طالب (عم رسول اللّه) ۱۱۹، ۱۴۹، ۲۱۳، ۲۱۴، ۲۲۹، ۲۳۰، ۲۳۱، ۲۳۲، ۲۳۴، ۲۵۴، ۲۵۵، ۲۵۸، ۲۶۴، ۲۶۶، ۲۶۷، ۲۷۳، ۲۸۶، ۲۸۸، ۲۹۰، ۲۹۳، ۲۹۹، ۳۵۵، ۳۵۶، ۳۷۱، ۳۷۷، ۳۷۹، ۳۸۷، ۳۹۴، ۳۹۵، ۳۹۸، ۴۰۴، ۴۰۵، ۴۰۶، ۴۰۷، ۴۰۸، ۴۱۲، ۴۵۹، ۴۶۰، ۵۰۱، ۵۰۶، ۵۰۷، ۵۰۸، ۵۱۱، ۵۱۲، ۵۱۳، ۵۱۴، ۵۱۵، ۵۱۶، ۵۱۷، ۵۱۸، ۵۱۹، ۵۲۰، ۵۲۱، ۵۲۲، ۵۲۳، ۵۲۴، ۵۲۶، ۵۲۷، ۵۲۸، ۵۲۹، ۵۳۰، ۵۳۲، ۵۳۳، ۵۴۱، ۵۴۲، ۵۵۵، ۵۵۶، ۵۶۱، ۵۶۲، ۶۱۹.

أبو العاص بن الربیع ۵۰۳.

أبو عبد شمس ۴۲۰، ۴۲۹، ۴۶۱.

أبو عبیدة (الجراح) ۳۶۸، ۳۸۸.

أبو عثمان ۳۷۶.

أبو عمرة (بشیر بن محصن) ۳۷۰.

أبو عمرو (مؤلف) ۳۶۵، ۳۶۶، ۳۶۷، ۳۶۸.
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۹
أبو عمرو (عامر الشعبی الکوفی) ۳۷۴.
أبو عمرو (ابن قتیبة) ۳۶۱.
أبو فرج الاصفهانی ۲۸۵.
أبو مرازم ۳۶۹.
أبو لهب ۵۴، ۲۱۵، ۳۷۲، ۳۹۴، ۴۰۹، ۴۱۳، ۴۲۲، ۵۰۲، ۵۶۳، ۵۹۰، ۵۹۱.
أبو مسعود (عمرو بن عمیر الثقفی) ۴۳۹.
أبو مکرز ۵۹۲.
أبو نضر (محمّد بن السائب الکلبی) ۳۷۶.
أبو نعیم (مؤلف) ۲۹۱.
أبو هالة التمیمی ۲۷۴.
أبو هریرة ۲۶۰، ۵۳۳.
أبو هفان العبدی ۵۱۶.
أبو الهیثم بن التیهان ۵۷۱، ۵۷۲.
أبو الولید- عتبة بن ربیعة ۴۳۱.
أبو الیقظان- عمران بن عبد اللّه ۲۶۳.
النساء أم أیمن ۱۷۱، ۱۹۱، ۱۹۷، ۲۲۷، ۲۶۰، ۲۸۹، ۲۹۱، ۳۶۰.
أم أیّوب (الانصاریة) ۶۲۲.
أم جمیل بنت حرب ۴۱۳، ۴۱۴.
أمّ سلمة ۴۵۴، ۶۱۱.
أمّ کلثوم (بنت رسول اللّه) ۲۶۱، ۲۷۸.
أمّ معبد ۶۱۶.
أم هانی (اخت علی بن أبی طالب) ۵۳۵، ۵۳۶، ۵۳۸.
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۰
«الألقاب» الاصمعی ۶۰۹.
الامینی (العلامة) ۳۵۸، ۳۵۹، ۵۳۰، ۵۸۴.
البلاذری ۶۰۹.
البلاغی ۲۴۱.
البیهقی ۵۴۱.
الترمذی ۳۶۴.
الجاحظ ۵۹۶.
الجنابذی ۲۵۶.

الحاكم النيسابوری ۶۱۲.

الحلبی ۶۰۳.

الخوارزمی ۳۶۰، ۳۶۹.

الديار بكری ۲۱۰.

ذو القرنين ۳۸۲، ۴۶۴.

الزرقانی ۲۹۲، ۲۴۶، ۳۶۶.

السيوطی (جلال الدين) ۳۶۹، ۳۷۲.

الشبراوی (صاحب الاتحاف) ۲۹۲.

الشهرستانی ۲۸۸.

الشهيد الثانی ۲۰۵، ۲۰۷.

الطباطبائی ۳۰۷، ۳۱۱، ۳۴۶.

الطبرسی ۳۰۷، ۳۳۹، ۴۸۱، ۵۴۰، ۵۴۱.

الطبری ۳۴۰، ۳۵۶، ۳۵۸، ۳۶۱، ۳۶۲، ۳۷۹، ۳۸۰، ۳۸۳، ۳۹۶، ۳۹۷، ۳۹۸، ۴۸۸، ۵۹۸، ۵۹۹.

الطريحی (المؤلف) ۲۰۵.

الطوسی (الشيخ) ۵۹۹، ۶۰۱، ۶۰۳، ۶۱۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۷۱

فخر الإسلام ۲۴۱.

الفخر الرازی ۳۰۷، ۳۴۸، ۵۰۹.

الفرزدق ۴۶، ۴۹.

الفردوسی (الشاعر) ۱۰۶، ۱۰۷، ۱۰۸.

فرعون ۱۲۱، ۱۸۹، ۲۰۰، ۲۳۹، ۲۴۰، ۲۶۲.

القسطلانی ۳۶۷، ۳۷۵.

القوشجی ۱۹۶.

كسری ۱۰۳، ۱۱۰، ۲۰۲، ۳۵۷.

لكلبی ۵۲.

المجلسی (العلامة) ۲۹۶، ۳۴۱، ۴۱۳، ۶۱۶، ۶۲۴.

المسعودی (المؤرخ) ۴۱.

المقريزی ۲۰۴، ۵۹۸.

النفيسی (سعيد) ۱۰۴.

اليعقوبی ۲۸۸، ۳۸۵.

النجاشی ۹۶، ۱۶۱، ۳۷۴، ۳۷۵، ۴۵۴، ۴۵۵، ۴۵۶، ۴۵۷، ۴۵۸، ۴۵۹، ۴۶۰، ۴۹۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۷۲

(۷) فهرس الوقائع و الأيام

احد (معركة) ۴۸۶.

الأحزاب (معركة) ۴۱۶، ۴۶۱، ۴۷۱، ۴۸۰، ۴۸۸.

بدر (معركة) ۴۱۶، ۴۸۰، ۴۸۶، ۵۶۱.

بعاث (يوم) ۶۷، ۵۷۴.

بيعة العقبة ۵۷۵.

بيعة النساء ۵۷۰.

حادثة الفيل ۱۵۹، ۱۸۲، ۱۸۳، ۱۸۵، ۲۰۳، ۵۵۲، ۶۰۵.

حجة الوداع ۶۴.

حلف الفضول ۲۴۸، ۲۴۹.

الخندق (معركة) ۴۸۰، ۴۸۶.

داحس و الغبراء (حرب) ۶۵.

صفين (وقعة) ۳۶۶، ۳۶۹، ۳۷۲.

الفجار (حروب) ۲۴۴، ۲۴۵، ۲۴۶، ۲۴۸، ۲۷۳.

القرطاء (غزوة) ۶۱۱.

ليلة المبيت ۵۹۵، ۵۹۶.

المباهلة ۵۳۷، ۵۴۱، ۵۴۲.

المعراج ۵۴۴، ۵۴۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۳

(۸) فهرس الأماكن و البلدان

آسيا ۲۷، ۱۱۶.

الابواء ۲۲۸.

الاتحاد السوفيتى ۱۵۹، ۵۵۱.

الاحساء ۲۸.

الاحقاف ۲۸.

الاردن ۵۳۶.

أرمينية ۹۸.

الازهر ۳۴۶، ۶۱۴.

افريقية ۲۸.

امريكا ۸۵.

الاندلس ۱۰۰.

انطاكية ۲۷، ۸۷، ۸۹، ۹۸.

اوربة ۴۰، ۱۰۰، ۲۳۷.

اورشليم ۷، ۱۱۱.

ايران ۲۷، ۸۷، ۸۹، ۹۸.

ايطاليا ۲۷.

بابل ۱۲۰، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۳۴، ۱۴۰، ۱۴۱.

بادية سماوة ۲۷.

البحر الاحمر ۲۷، ۲۹، ۳۱، ۳۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۷۴

بحيرة ساوة ۲۰۲.

البصرة ۳۰۳، ۳۶۷.

بصرى ۲۳۱، ۲۳۲، ۲۳۴، ۲۳۵.

بيت اللّه الحرام ۲۸۹.

بيت المقدس ۵۳۶، ۵۳۷، ۶۱۱.

بيروت ۵۱۱.

تهامة (سوق) ۲۵۶.

ثنية الوداع ۶۲۶.

جبل أبو قيس ۲۸۷.

جدّة ۲۹، ۲۸۴، ۴۵۳.

الجزيرة العربية ۲۷، ۳۲، ۳۶، ۳۹، ۴۰، ۵۲، ۵۴، ۵۵، ۶۶، ۷۱، ۸۵، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۹۷، ۹۸، ۱۹۹، ۲۰۲، ۲۸۰، ۲۸۲، ۳۰۶، ۴۱۵، ۵۲۰، ۵۷۶، ۵۸۰.

الجنة و النار ۵۳۶.

الحبشة ۸۷، ۹۶، ۱۵۰، ۱۶۱، ۲۲۴، ۲۸۲، ۲۹۱، ۴۱۵، ۴۲۴، ۴۵۰، ۴۵۱، ۴۵۳، ۴۵۴، ۴۵۷، ۴۶۰، ۴۶۳، ۴۶۵، ۴۶۹، ۴۹۳، ۴۹۴، ۵۰۱، ۵۰۸.

الحجاز ۲۷، ۲۸، ۲۹، ۳۱، ۴۰، ۴۱، ۵۰، ۵۲، ۸۶، ۸۹، ۹۰، ۹۱، ۱۳۲، ۱۴۱، ۱۴۲، ۱۵۲، ۱۵۵، ۱۹۹، ۲۲۴، ۲۸۲، ۲۸۳، ۵۱۱، ۵۱۲، ۵۹۵.

حجر اسماعيل ۱۴۴.

الحجر الاسود ۲۸۴، ۴۱۲.

الحديدة (ميناء) ۳۲.

حراء (جبل/ غار) ۲۸۴، ۳۱۹، ۳۲۰، ۳۲۱، ۳۲۲، ۳۵۴، ۳۸۲، ۳۸۳.

الحيرة ۲۷، ۵۲، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۱۵۰، ۴۵۲.

الخليج ۲۷، ۲۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۷۵

خليج عمان ۲۷.

الخورنق ۸۸.

خيبر ۲۱۵.

دار الندوة ۱۴۷، ۱۴۸، ۴۵۳، ۴۵۵، ۴۶۸، ۵۰۱، ۵۸۱، ۵۸۳.

دار الخيزران ۳۸۹.

دجلة ۲۷.

دمشق ۸۹، ۳۷۶، ۶۱۰.

الدهناء ۲۸، ۲۳۱.

ديار ثمود ۲۳۱.

ذو المجاز (سوق) ۲۴۵.

ذي طوى ۶۱۸.

الربع الخالي ۲۸.

زمزم ۳۷، ۹۰، ۱۴۴، ۱۵۴، ۱۵۵، ۱۵۶، ۱۵۷، ۳۶۳، ۳۶۶.

سبأ ۳۳.

سدرة المنتهى ۵۳۶.

سويسرا ۲۷.

الشام ۲۷، ۸۶، ۸۹، ۹۰، ۱۱۷، ۱۴۱، ۱۴۲، ۱۴۷، ۱۵۰، ۱۵۱، ۱۵۵، ۱۶۹، ۱۸۷، ۱۹۱، ۱۹۶، ۲۳۰، ۲۳۱، ۲۳۲، ۲۳۳، ۲۳۴، ۲۵۶، ۲۵۸، ۲۷۰، ۲۷۹، ۲۹۳، ۳۰۳، ۳۶۶، ۴۴۱، ۴۵۲، ۵۱۷، ۵۲۷، ۵۳۷، ۵۶۵، ۵۹۴.

شعب أبي طالب ۵۱۲.

صحراء الشام ۲۷.

صحراء العرب ۲۷، ۳۱.

صحراء النفوذ ۲۵۸.

صنعاء ۳۲، ۳۳.

ضجنان ۶۱۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۷۶

الظهران ۲۸.

الطائف ۲۹، ۵۴، ۹۰، ۲۴۷.

العدن ۳۱.

العراق ۸۷، ۱۴۹، ۲۶۱، ۳۶۵، ۳۶۸، ۳۷۳، ۵۵۷، ۵۵۹، ۵۹۵.

العربية السعودية ۴۱، ۵۱۲.

العرم عسفان العقبة ۵۶۹، ۵۷۰، ۵۷۱، ۵۷۵، ۵۷۶.

عكاظ (سوق) ۲۴۵، ۲۴۶، ۲۴۷.

غار ثور ۵۹۱، ۵۹۲، ۶۰۱، ۶۰۳، ۶۱۹.

غزة ۱۴۹.

الفرات ۲۷، ۸۷، ۱۲۰، ۳۷۱.

فرنسا ۲۷.

فلسطين ۲۷، ۲۹، ۳۷، ۱۱۷، ۱۴۱، ۵۳۶.

القاهرة ۳۷۹.

قبا ۶۱۷.

القسطنطينية ۸۹.

القطيف ۵۱۱.

قم ۵۱۲.

الكعبة المعظمة ۲۹، ۳۰، ۵۴، ۱۳۳، ۱۴۵، ۱۵۵، ۱۵۷، ۱۵۹، ۱۶۲، ۱۶۴، ۱۸۶، ۱۸۷، ۱۸۸، ۲۰۲، ۲۰۷، ۲۴۹، ۲۶۵، ۲۸۳، ۲۸۴، ۲۸۷، ۲۸۸، ۲۹۰، ۲۹۶، ۳۵۷، ۳۶۷، ۴۰۴، ۴۳۲، ۴۴۱، ۴۸۸، ۵۰۱، ۶۱۱.

الكوفة ۸۸.

مازندران ۱۰۶.

مأرب ۳۳، ۴۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۷۷

مجنة (سوق) ۲۴۵.

المحيط الهندى ۲۷.

مدين ۲۳۱.

المدينة المنورة ۲۹، ۳۰، ۳۶، ۵۱، ۵۴، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۹۱، ۹۷، ۱۰۱، ۱۲۰، ۱۲۲، ۱۲۴، ۱۳۵، ۱۶۰، ۲۱۹، ۲۹۱، ۳۸۲، ۴۴۲، ۵۱۲، ۵۶۱، ۵۶۵، ۵۷۸، ۵۸۱، ۵۸۲، ۵۸۳، ۵۸۶، ۵۹۱، ۵۹۲، ۶۰۴، ۶۰۹، ۶۱۲، ۶۱۵، ۶۱۶، ۶۱۷، ۶۲۲، ۶۲۳، ۶۲۴.

مراكش ۵۹۶.

مروة (جبل) ۱۴۳، ۲۳۵.

المسجد الاقصى ۵۳۶، ۵۳۸، ۵۳۹.

المسجد الحرام ۲۸۴، ۴۱۸، ۵۳۸، ۵۳۹، ۵۶۰.

مصر ۱۲۱، ۱۴۱، ۲۴۳.

المغمس ۱۶۲.

مكة المكرمة ۲۹، ۳۰، ۳۷، ۵۰، ۵۱، ۵۲، ۵۳، ۵۴، ۹۰، ۹۱، ۹۶، ۱۰۱، ۱۴۱، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۴۷، ۱۴۹، ۱۵۰، ۱۵۱، ۱۵۲، ۱۵۴، ۱۵۵، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۸۵، ۱۸۷، ۱۸۸، ۱۸۹، ۱۹۶، ۱۹۷، ۲۰۷، ۲۱۶، ۲۲۲، ۲۲۳، ۲۲۷، ۲۳۰، ۲۳۱، ۲۳۴، ۲۴۷، ۲۴۹، ۲۵۳، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۵۹، ۲۷۶، ۲۷۷، ۲۷۹، ۲۸۴، ۲۸۵، ۲۸۸، ۲۸۹، ۲۹۰، ۳۰۳، ۳۰۵، ۳۶۶، ۳۶۹، ۳۷۶، ۳۸۸، ۳۸۹، ۳۹۰، ۳۹۱، ۴۰۴، ۴۰۵، ۴۰۶، ۴۱۳، ۴۱۴، ۴۱۹، ۴۲۰، ۴۲۱، ۴۵۱، ۴۵۲، ۴۵۳، ۴۵۵، ۴۶۰، ۴۶۱، ۴۶۳، ۴۶۴، ۴۶۶، ۴۶۸، ۴۷۴، ۴۸۱، ۴۸۲، ۴۸۳، ۴۸۵، ۴۸۹، ۴۹۳، ۴۹۴، ۵۰۱، ۵۰۲، ۵۰۳، ۵۰۴، ۵۱۵، ۵۱۹، ۵۲۲، ۵۳۶، ۵۳۷، ۵۳۹، ۵۵۹، ۵۶۰، ۵۶۱، ۵۶۲، ۵۶۵، ۵۶۶، ۵۶۷، ۵۶۹، ۵۷۰، ۵۷۳، ۵۷۵، ۵۷۶، ۵۷۷، ۵۸۰، ۵۸۱، ۵۸۳، ۵۸۶، ۵۸۷، ۵۹۱، ۵۹۲، ۵۹۳، ۵۹۷، ۶۰۴، ۶۰۸، ۶۱۵، ۶۱۶، ۶۱۷، ۶۱۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۷۸

نجد ۳۱، ۴۱.

نجران ۸۹، ۱۶۰، ۶۱۰.

نینوی ۱۱۸، ۵۵۸.

الهند ۸۵، ۱۱۵، ۲۶۵.

وادی القری ۲۳۱، ۵۶۵.

یثرب ۳۰، ۱۵۲، ۱۵۸، ۱۶۰، ۱۹۷، ۲۷۷، ۳۰۳، ۵۶۵، ۵۶۶، ۵۶۹، ۵۷۰، ۵۷۳، ۵۸۳، ۶۰۲، ۶۰۴، ۶۰۸، ۶۲۲، ۶۲۴.

الیمن ۲۷، ۳۱، ۳۲، ۳۳، ۳۶، ۴۱، ۸۶، ۸۹، ۱۴۲، ۱۴۹، ۱۵۰، ۱۶۰، ۱۶۱، ۱۶۲، ۱۶۵، ۱۸۷، ۲۳۳، ۲۹۳، ۴۵۲، ۵۶۵، ۵۹۵.

الیمامة ۴۸۶.

الیونان ۳۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۹

(۹) المذاهب و الأدیان و نظم الحکم

الآشوریة ۴۰.

الأحناف ۲۸۳.

الاستشراق و المستشرقون ۲۱۹، ۲۳۲، ۲۳۵.

الاشکنانی ۸۷.

الریاضة و المرتاضون ۱۸۲، ۱۸۴.

الزردشتیة ۱۱۲، ۱۱۴، ۱۱۵.

الشاهنشاهیة ۸۶، ۶۱۴، ۶۱۵.

العثمانیة ۳۶۷.

الکهانة ۱۵۸.

اللاهوتیة ۱۰۰.

المانویة ۱۱۲.

المجوسیة و المجوس ۱۱۲، ۱۱۳، ۱۱۷.

المزدکیة ۱۱۳، ۱۱۴.

المدرسیة (الفلسفة) اسکولاستیک ۱۰۰.

النصرانیة و النصاری ۴۴۲، ۴۴۵، ۴۵۲، ۴۵۹، ۴۶۳، ۴۷۹.

الیعقوبیة ۹۹.

الوهابیة و الوهابیون ۵۹۶.

الیهود و الیهودیة ۱۵۹، ۲۹۱، ۳۸۲، ۴۴۲، ۴۴۵، ۴۵۲، ۴۶۳، ۴۶۴، ۴۷۱، ۴۷۵، ۴۸۷، ۵۶۵، ۵۶۸، ۵۶۹، ۵۷۳، ۵۷۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۰

(۱۰) فهرس الموضوعات العلمیة المبحوثة ضمنا

۱- بحث علمی حول المعجزة ۱۶۵

۲- طهارة النبی (ص) من دنس الآباء و عهر الامّهات ۱۶۵

۳- الاحتفال بذکری المولد النبویّ لیس شرکا ۲۰۸
۴- خطأ المستشرقین فی اسم النبیّ (ص) ۲۱۲
۵- «أحمد» کان من أسماء النبیّ (ص) المشهورة ۲۱۳
۶- نظرة الاسلام فی تأثیر الرضاع ۲۱۷
۷- بحث قرآنی و تاریخیّ حول کرامات فترة الطفولة عند النبی ۲۱۹
۸- مقایسة عابرة بین القرآن و العهدین ۲۳۶
۹- خدیجة فی احادیث الرسول و اهل بیته (ع) ۲۵۸
۱۰- بحث حول دین النبی قبل البعثة ۲۹۲
۱۱- دور الأنبیاء الاساسی فی اصلاح المجتمع ۳۱۶
۱۲- بحث حول الوحی فی نظر المادیین و الالهیین ۳۲۲
۱۳- مناقشة الاساطیر المدسوسة فی قصة بدء نزول الوحی ۳۴۰
۱۴- خاتمیة رسول الاسلام ۳۵۳
۱۵- النبوة و الامامة توأمان ۴۴۲
۱۶- أسرار النزول التدریجیّ للقرآن ۴۴۴
۱۷- دراسة لآیات من سورة الحج حول إلقاء الشیطان ۴۹۴
۱۸- دراسة علمیة لحدیث الضحضاح ۵۳۰
۱۹- المعراج و القوانین العلمیّة الحدیثة ۵۴۸
۲۰- لما ذا اتخذ العام الهجری مبدأ للتاریخ الاسلامی ۶۰۵

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۱

۱۱- فهرس المواضیع

۱- شبه الجزیرة العربیّة أو مهد الحضارة الإسلامیة ۲۷- ۳۳ مکة المعظمة ۲۹
تاریخ مکّة ۲۹
المدینة المنوّرة ۳۰
۲- العرب قبل الإسلام ۳۵- ۹۶ أخلاق العرب و تقالیدهم ۳۷
هل کان للعرب حضارة؟ ۳۹
ملامح المجتمع الجاهلی العربی من منظور القرآن ۴۲
۱- الشرک فی العبادة ۴۳
۲- إنکار المعاد ۴۳
۳- هیمنة الخرافات ۴۴
۴- الفساد الاخلاقی ۴۵
۵- وأد البنات و إقبارهنّ ۴۶
۶- تصوّراتهم الخرافیّة حول الملائکة ۴۷

۷- کیفیّة الانتفاع من الانعام ۴۷
۸- الاستقسام بالأزلام ۴۸
۹- النسیء ۴۸
۱۰- الربا ۴۹
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۲
صور من الوضع الجاهلی ۵۰
العقیدة و الدین فی الجزیرة العربیة ۵۲
عقیدة العرب حول حالة الانسان بعد الموت ۵۶
الآداب مرآة أخلاق الشعوب و نفسیاتها ۵۷
مکانة المرأة عند العرب الجاهلیین ۵۸
المرأة و مکانتها الاجتماعیة عند العرب ۶۰
العرب و الرّوح القتالیة ۶۴
الأخلاق العامّة فی المجتمع العربی الجاهلیّ ۶۶
النزوع إلی الخرافة و الاساطیر فی المجتمع العربی الجاهلیّ ۶۷
الخرافات عند العرب الجاهلیین ۷۰
نماذج من الخرافات فی المجتمع العربی الجاهلیّ ۷۲
۱- الاستسقاء باشعال النیران ۷۲
۲- ضرب الثّور إذا عافت البقر الماء ۷۲
۳- کیّ صحیح الابل لیبرأ السقیم ۷۳
۴- حبس ناقة عند القبر إذا مات ۷۳
۵- عقر الإبل علی القبور ۷۴
۶- نهیق الرجل إذا أراد دخول القریة ۷۴
۷- تصفیق الضالّ فی الصحراء لیهتدی ۷۵
۸- الرتم ۷۵
۹- وطی المرأة القتیل الشریف لبقاء ولدها ۷۵
۱۰- طرح السنّ نحو الشمس إذا سقطت ۷۶
۱۱- تعلیق النجاسة علی الرجل وقایة من الجنون ۷۶
۱۲- دم الرئیس یشفی ۷۶
۱۳- شق البرقع و الرداء یوجب الحب المتقابل ۷۷
۱۴- معالجة المرضی بالامور العجیبة ۷۷
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۳
۱۵- خرافات فی مجال الغائب ۷۷
۱۶- عقائدهم العجیبة فی الجن و تأثیره ۷۹

۱۷- تشاءمهم بالحیوانات و الطیور و الاشیاء ۸۰
مکافحة الإسلام لهذه الخرافات ۸۰
أوضاع العرب الاجتماعیة قبیل ظهور الإسلام ۸۳
الدین فی أرض الحجاز ۸۹
العلم و الثقافة فی الحجاز ۹۱
الإمام علیّ (ع) یصف العهد الجاهلی ۹۲
فاطمة الزهراء (ع) تصف الوضع العربی الجاهلی ۹۵
جعفر بن أبی طالب یصف الوضع العربی الجاهلی ۹۶
۳- إمبراطوریتا الروم و إیران إبّان عهد الرّسالة ۹۷- ۱۱۸ أوضاع الروم إبّان عهد الرّسالة ۹۸
ظاهرة الجدل العقیم فی المجتمع الرومیّ ۹۹
أوضاع ایران إبّان عهد الرّسالة ۱۰۱
البذخ و الترف فی البلاط الساسانی ۱۰۲
الوضع الاجتماعی فی إیران ۱۰۴
حق التعلّم خاصّ بالطبقات الممتازة ۱۰۵
صفحة سوداء من جرائم خسرو برویز ۱۰۹
حکم التاریخ فی عهد الملوک الساسانیین ۱۱۰
الفوضی فی الحکومة الساسانیة ۱۱۱
الفوضی الدینیة فی ایران الساسانیین ۱۱۲
الحروب الإیرانیة الرومیّة ۱۱۵
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۴
۴- أسلاف رسول الإسلام (ص) ۱۱۹- ۱۹۸ ۱- بطل التوحید: إبراهیم الخلیل (ع) ۱۱۹
النبی ابراهیم و مکافحته للوثنیة ۱۲۳
حوار الخلیل مع عبّاد الکواکب ۱۲۵
طریقة الأنبیاء فی الحوار و الجدال ۱۲۹
هل کان آزر والد إبراهیم ۱۳۰
القرآن ینفی ابوّة آزر لإبراهیم ۱۳۲
إبراهیم محطّم الاصنام ۱۳۳
العبر القیّمة فی هذه القصّة ۱۳۷
هجرة الخلیل علیه السّلام ۱۴۱
عین زمزم کیف ظهرت؟ ۱۴۳
۲- قصیّ بن کلاب (الجد الثانی لرسول اللّه) ۱۴۶
۳- عبد مناف (الجد الثالث) ۱۴۷
۴- هاشم (الجد الثانی) ۱۴۸

اميّة يحسد هاشما! ۱۵۰

هاشم يتزوّج ۱۵۱

۵- عبد المطلب (الجد الأول) ۱۵۳

التفانى فى سبيل الوفاء بالعهد و النذر ۱۵۷

حادثة عام الفيل ۱۵۹

ما هى عوامل هذه الحادثة؟ ۱۶۰

عبد المطلب يذهب إلى معسكر أبرهة ۱۶۳

كلمة حول المعجزة ۱۶۵

نقاط تقتضى التأمّل فى تفسير حادث الفيل بالجدرى ۱۶۹

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۸۵

بحث علمى حول المعجزة فى نقاط خمس: ۱۷۲

۱- ما هى المعجزة و ما هو تعريفها؟ ۱۷۳

۲- هل الإعجاز يهدم القوانين العقلية المسلّمة ۱۷۵

أنواع العلل و الاسباب: ۱۷۶

أ) العلة الطبيعية العادية ۱۷۶

ب) العلة الطبيعية غير العادية و غير المعروفة ۱۷۶

ج) تأثير النفوس و الأرواح ۱۷۶

د) العلل المجرّدة عن المادة ۱۷۷

۳- هل المعجزة تصدر عن علل مادية غير معروفة فقط؟ ۱۷۸

۴- كيف تدل المعجزة على صحّة ادّعاء النبوّة؟ ۱۷۹

۵- بما ذا نميز المعاجز عن غيرها من الخوارق؟ ۱۸۰

أوهام قريش تتفاقم ۱۸۷

عبد اللّه والد النبىّ (ص) ۱۸۹

دور الأيادى المشبوهة فى تاريخ الإسلام ۱۹۱

قصة فاطمة الخثعمية ۱۹۲

علائم الاختلاق فى هذه القصة ۱۹۳

طهارة النبىّ من دنس الآباء و عهر الامهات ۱۹۵

وفاة عبد اللّه (والد النبىّ) فى يثرب ۱۹۶

۵- مولد رسول اللّه (ص) ۱۹۹- ۲۲۴ فترة الطفولة فى حياة العظماء ۱۹۹

فى أىّ يوم ولد رسول اللّه (ص) ۲۰۳

أىّ هذين القولين هو الصحيح؟ ۲۰۴

فترة الحمل ۲۰۵

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۸۶

نظرية في يوم المولد النبويّ و مؤاخذات عليه ۲۰۷
الاحتفال بذكرى المولد النبويّ ليس شركا ۲۰۸
مراسم تسمية النبيّ (ص) ۲۱۱
خطأ المستشرقين في اسم النبيّ (ص) ۲۱۲
أحمد كان من اسماء النبيّ المشهورة ۲۱۳
فترة الرضاع في حياة النبيّ (ص) ۲۱۵
نظرة الإسلام في تأثير الرضاع ۲۱۷
۶- فترة الطفولة في حياة النبيّ (ص) الماديون و بعض المستشرقين و كرامات عهد الطفولة ۲۱۹
خمسة اعوام في ربوع الصحراء ۲۲۳
۷- العودة إلى احضان العائلة ۲۲۵- ۲۴۲ سفرة إلى يثرب ۲۲۷
وفاة عبد المطلب ۲۲۹
كفالة أبي طالب للنبيّ (ص) ۲۲۹
سفرة إلى الشام مع أبي طالب ۲۳۰
اكذوبة المستشرقين في قصة بحيرى ۲۳۲
مقارنة بين القرآن و التوراة و الانجيل ۲۳۶
۱- النبيّ داود (ع) ۲۳۷
۲- النبيّ سليمان (ع) ۲۳۷
۳- النبيّ يعقوب (ع) ۲۳۸
۴- النبيّ إبراهيم (ع) ۲۳۹
۵- النبيّ نوح (ع) ۲۴۰
سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۸۷
۸- فترة الشّباب في حياة النبيّ الأكرم (ص) ۲۴۳- ۲۵۰ رسول اللّه (ص) و قدرته الروحية ۲۴۴
حروب الفجار ۲۴۴
الفجار الأول ۲۴۵
الفجار الثاني ۲۴۶
الفجار الثالث ۲۴۶
الفجار الرابع ۲۴۶
حلف الفضول ۲۴۸
۹- من فترة الشباب إلى مزاولة التجارة ۲۵۱- ۲۷۴ النبيّ للغنم و أسباب ذلك ۲۵۳
اقتراح أبي طالب بالتجارة لخديجة ۲۵۴
هل عمل النبي اجيرا لخديجة؟ ۲۵۵
خديجة زوجة الرسول الاولى ۲۵۸
خديجة في أحاديث الرسول الأكرم (ص) ۲۶۰

العلل الظاهرية و الحقيقيّة وراء زواج خديجة بالنبيّ (ص) ۲۷۰

كيف تمّت خطبة خديجة؟ ۲۷۲

عمر خديجة عند زواجها بالنبيّ (ص) ۲۷۴

۱۰- من الزواج إلى البعثة ۲۷۵- ۳۱۲ فترة الشباب فى حياة رسول الإسلام (ص) ۲۷۶

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۸۸

أحاسيسه و مشاعره الانسانيّة فى فترة الشّباب ۲۷۷

أولاد خديجة ۲۷۸

حدس لا أساس له من الواقع فى شأن خديجة ۲۷۸

دعيّ رسول اللّه: زيد بن حارثة ۲۷۹

بداية الخلاف فى صفوف الوثنيين ۲۸۰

أعمدة الوثنية تهتزّ ۲۸۱

نموذج آخر من ضعف قريش ۲۸۳

أمين قريش يكفل عليّا ۲۸۵

إيمان النبيّ و آبائه و كفلائه قبل الإسلام ۲۸۶

إيمان جدّه عبد المطلب ۲۸۶

إيمان كفيله و عمه أبى طالب ۲۹۰

إيمان والدى النبيّ الأكرم ۲۹۱

إيمان النبيّ باللّه و توحيده قبل البعثة ۲۹۲

مناقشة الآيات التى استدل بها النافون لايمان النبيّ ۲۹۲

الآية الاولى: الهداية بعد الضلال ۲۹۷

الآية الثانية: الأمر بهجر الرجز ۳۰۰

الآية الثالثة: عدم علمه بالكتاب و الايمان ۳۰۲

تفسير هذه الآية باخرى ۳۰۶

الآية الرابعة: عدم رجائه القاء الكتاب إليه ۳۰۸

الآية الخامسة: قوله تعالى: «لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ» ۳۱۰

۱۱- بدء الوحى ۳۱۳- ۳۴۲ دور الأنبياء الأساسى فى إصلاح المجتمع ۳۱۷

مثل واضح فى المقام ۳۱۷

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۸۹

أمين قريش فى غار حراء ۳۱۹

بدء الوحى ۳۲۱

ظاهرة القضايا الغيبيّة فى منظار الماديّين ۳۲۲

الروح المجرّدة ۳۲۴

ظاهرة الوحى عند الماديّين ۳۲۵

أبرز التحليلات المادية لظاهرة الدين ۳۲۵
ظاهرة الوحى فى منظار العقل و الدين ۳۳۳
قنوات المعرفة الثلاثة: التجربة، العقل، الالهام ۳۳۴
انواع الوحى من المنظور القرآنى ۳۳۶
اساطير مختلفة حول حال النبىّ عند نزول الوحى ۳۳۶
بقية قصّة نزول الوحى الأوّل ۳۳۷
خديجة تذهب إلى ورقة بن نوفل ۳۳۸
بطلان هذه المزاعم و الاساطير ۳۴۰
۱۲- متى نزل الوحى أوّلا؟
۳۴۳- ۳۵۲ الرأى المشهور بين علماء السنة و استدلالهم ۳۴۳
ردود الشيعة على هذا الرأى ۳۴۴
الجواب الأول (التفريق بين النزول الدفعى و التدريجى) ۳۴۶
الجواب الثانى (نزول حقيقة القرآن فى رمضان على قلب النبىّ ص) ۳۴۶
الجواب الثالث (التفكيك بين مبدأ نزول القرآن و البعثة) ۳۴۶
الأنبياء و التبشير برسول اللّه (ص) محمّد خاتم الأنبياء
سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۶۹۰
۱۳- ما سبقنى أحد ۳۵۳- ۳۸۶ من هو أول من آمن بالنبىّ (ص) من الرّجال و النّساء؟ ۳۵۳
من النساء: خديجة ۳۵۳
أقدم الرجال إسلاما: علىّ بن أبى طالب ۳۵۴
الدلائل التاريخية و النصوص الدالة على اسبقية الإمام على ۳۵۴
على تربّى فى حجر النبىّ الأكرم (ص) ۳۵۵
على و خديجة يقيمان الصلاة مع النبىّ ۳۵۷
«أنا الصدّيق الأكبر» ۳۵۷ سيد المرسلين ج ۱ ۶۹۰ ۱۱ - فهرس المواضيع ..... ص : ۶۸۱
أوّلكم إسلاما على» ۳۵۸
النصوص النبويّة الاخرى ۳۵۹
كلمات أمير المؤمنين (ع) ۳۶۱
كلمات الإمام السبط الحسن (ع) ۳۶۴
رأى الصّحابة و التابعين فى أوّل من أسلم ۳۶۴
مناظرة بين المأمون و إسحاق فى إسلام علىّ ۳۷۸
قضيّة انقطاع الوحى ۳۷۹
اسطورة و ليس تاريخا ۳۸۰
اختلاف المؤرخين فى مسألة انقطاع الوحى ۳۸۱
۱۴- الدعوة السرّية، دعوة الأقربين ۳۸۷- ۴۰۰ دعوة الاقربين ۳۸۹

كيفيّة دعوة الاقربين ۳۹۴
خيانة تاريخية و جناية أدبيّة ۳۹۵
سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۹۱
النبوة و الإمامة توأمان ۳۹۸
۱۵- الدعوة العامّة ۴۰۱- ۴۲۸ الثّبات و الاستقامة على طريق الهدف ۴۰۲
ثبات النبيّ (ص) و صبره ۴۰۳
قريش تمشى إلى أبى طالب للمرة الثالثة ۴۰۶
قريش تحاول تطميع النبيّ (ص) ۴۰۷
نماذج من إيذاء قريش و تعذيبها للمسلمين ۴۰۸
أبو جهل يكمن لرسول اللّه (ص) ۴۱۲
أبو لهب يؤذى رسول اللّه (ص) ۴۱۳
صبر النبيّ (ص) و استقامته ۴۱۴
بعض من اوذوا باشدّ الأذى: ۴۱۴
۱- بلال الحبشيّ ۴۱۵
۲- آل ياسر رمز الصّمود و المقاومة ۴۱۶
۳- عبد اللّه بن مسعود ۴۱۷
۴- أبو ذر أوّل المجاهرين بالإسلام ۴۱۸
قبيلة غفار تعتنق الإسلام ۴۲۱
أعداء النبيّ الألدّاء ۴۲۲
عمر بن الخطاب يعتنق الإسلام ۴۲۴
۱۶- رأى قريش فى القرآن ۴۲۸- ۴۴۹ حكم الوليد بن المغيرة فى شأن القرآن ۴۲۸
نموذج آخر من حكم البلغاء فى شأن القرآن ۴۳۰
سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۹۲
تحجّجات قريش العجيبة ۴۳۲
الدوافع وراء معاداة قريش و عنادهم: ۴۳۸
۱- حسدهم لرسول اللّه (ص) ۴۴۰
۲- معارضة الدعوة الاسلامية لشهواتهم ۴۴۰
۳- الخوف من العقاب الاخرويّ ۴۴۰
۴- الخوف من ردّ فعل القبائل العربية المشركة ۴۴۱
طائفة من اعتراضات المشركين ۴۴۱
القرآن الكريم و النزول التدريجى ۴۴۲
الأسرار المنطقية للنزول التدريجىّ للقرآن الكريم ۴۴۴
أسرار اخرى لنزول القرآن تدريجا ۴۴۷

۱۷- الهجرة إلى الحبشة ۴۵۰- ۴۶۵ الهجرة الاولى إلى الحبشة ۴۵۰

الهجرة الثانية الى الحبشة ۴۵۴

قريش توفد رجالا لاسترداد المسلمين ۴۵۵

العودة من الحبشة ۴۶۰

وفد مسيحىّ يدخل مكّة لتقصّى الحقائق ۴۶۲

قريش توفد إلى يهود يثرب للتحقيق فى أمر النبىّ (ص) ۴۶۳

۱۸- الاسلحة الصدئة و الاساليب الفاشلة ۴۶۶- ۴۸۶ ۱- الاتهامات الباطلة ۴۶۶

الإصرار فى نسبة الجنون إلى رسول اللّه (ص) ۴۶۹

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۹۳

۲- القرآن يردّ على جميع الاتهامات ۴۷۱

فكرة معارضة القرآن ۴۷۳

تحجّجات صبيانية و جاهلية ۴۷۴

مقترحات عجيبة و مطاليب غريبة ۴۷۶

صمود النبىّ و صبره ۴۷۷

معاجز النبى (ص) لم تقتصر على القرآن ۴۷۸

بعض معاجز النبىّ غير القرآن ۴۷۸

۱- شقّ القمر ۴۷۸

۲- المعراج ۴۷۸

۳- مباهلة أهل الباطل ۴۷۹

۴- الإخبار بالمغيبات ۴۷۹

حرص النبىّ على هداية قريش ۴۸۰

۳- قرار تحريم الاستماع للقرآن ۴۸۱

واضعو القرار ينقضون قرارهم ۴۸۳

منع الأشخاص من الإيمان برسول اللّه (ص) ۴۸۳

۱- الأعشى ۴۸۴

۲- الطفيل بن عمرو الدوسى ۴۸۵

۱۹- اسطورة الغرانيق ۴۸۷- ۴۹۸ ما هى اسطورة الغرانيق؟ ۴۸۸

محاسبة بسيطة لهذه الاسطورة تفنّدها ۴۸۹

رأى العقل فى هذه القصّة الاسطورة ۴۹۰

تفنيد القصة من طريق آخر ۴۹۲

دليل لغوىّ على تفنيد هذه الاسطورة ۴۹۳

دراسة آيات من سورة الحج حول القاء الشيطان ۴۹۴

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۹۴

ما هو المقصود من تمنّی الأنبیاء و الرسل؟ ۴۹۵

ما هو المقصود من تدخل الشیطان و القائه؟ ۴۹۵

ما هو المقصود من محو آثار التدخل و الإلقاء ۴۹۷

۲۰- الحصار الاقتصادی و الاجتماعی ۴۹۹- ۵۱۰ قریش تحاصر النبیّ و المسلمین اجتماعیا و اقتصادیا ۵۰۰

قریش و الصحیفة القاطعة وضع بنی هاشم المأساویّ فی شعب أبی طالب ۵۰۳

۲۱- وفاة أبی طالب و خدیجة الکبری ۵۱۱- ۵۳۳ نماذج من مشاعر أبی طالب تجاه النبیّ (ص) ۵۱۴

التغییر فی برنامج السفر ۵۱۷

الدفاع عن حوزة العقیدة و الإیمان ۵۱۸

تصوّر باطل عن مشاعر أبی طالب تجاه النبیّ (ص) ۵۲۰

الدافع الحقیقی لأبی طالب ۵۲۰

لمحات من تضحیات أبی طالب ۵۲۱

قضیّة ذات بواعث سیاسیّة ۵۲۳

طرق ثلاث لإثبات إیمان أبی طالب ۵۲۴

۱- آثار أبی طالب العلمیّة و الادبیة ۵۲۵

۲- مواقفه من النبی و الرسالة الاسلامیة ۵۲۶

وصیة أبی طالب عند وفاته ۵۲۸

۳- شهادات اقرباء أبی طالب (من أهل البیت) ۵۲۹

رأی علماء الشیعة فی أبی طالب ۵۳۰

نظرة إلی روایة الضحضاح ۵۳۰

ضعف أسناد هذه الروایة ۵۳۱

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۹۵

الف: سفیان بن سعید الثوریّ ۵۳۱

باء: عبد الملک بن عمیر ۵۳۱

جیم: عبد العزیز بن محمّد الدراوردی ۵۳۲

نصّ حدیث الضحضاح یخالف الکتاب و السنة ۵۳۲

۱- القرآن الکریم: لا مغفرة للکافر ۵۳۳

۲- السنة النبویة: لا شفاعة للمشرک ۵۳۳

۲۲- المعراج فی القرآن و السّنة و التاریخ ۵۳۵- ۵۵۴ هل للمعراج جذور قرآنیة؟ ۵۳۷

أحادیث المعراج ۵۴۰

متی وقعت هذه الحادثة؟ ۵۴۱

هل کان المعراج جسمانیا؟ ۵۴۳

ما هو المراد من المعراج الروحانی ۵۴۴

نغمة شاذة ۵۴۷

المعراج و قوانين العلم الحديث ۵۴۸
الهدف من المعراج ۵۵۳
۲۳- سفرة إلى الطائف ۵۵۵- ۵۶۴ النبى (ص) يعود إلى مكة ۵۵۹
نقطه هامة ۵۶۱
الدعوة فى أسواق العرب ۵۶۲
دعوة رؤساء القبائل فى مواسم الحج ۵۶۳
۲۴- بيعة العقبة ۵۶۵- ۵۸۲ وقعة بعاث ۵۶۷
تفصيل الحادثة ۵۶۸
سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۹۶
بيعة العقبة الاولى ۵۶۹
بيعة العقبة الثانية ۵۷۰
أوضاع المسلمين بعد بيعة العقبة ۵۷۳
ردود فعل قريش تجاه بيعة العقبة ۵۷۵
تأثير الاسلام و نفوذه المعنوىّ ۵۷۷
مخاوف قريش المتزايدة ۵۸۰
۲۵- قصّة الهجرة النبويّة حوادث السنة الاولى من الهجرة الشريفة ۵۸۳- ۶۲۴ الإمدادات الغيبية و العنايات الربانية ۵۸۵
ملاك الوحى يخبر رسول اللّه بمؤامرة قريش ۵۸۷
اقتحام الاعداء لبيت الوحى و الرسالة ۵۹۰
النبىّ فى غار ثور ۵۹۱
قريش تفتش عن النبىّ (ص) ۵۹۲
التفانى فى سبيل الحق ۵۹۳
كلام من ابن تيمية فى مبيت علىّ (ع) ۵۹۶
الجواب التفصيلى على هذا الكلام ۵۹۸
الخطيب و قضيّة المبيت ۶۰۰
بقية قصة الهجرة النبوية ۶۰۱
الخروج من الغار ۶۰۳
صفحة التاريخ الاسلامى الاولى ۶۰۴
لما ذا أصبح عام الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامى ۶۰۵
الهجرة النبوية مبدأ لتاريخ المسلمين كافة ۶۰۶
من الذى جعل الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامى ۶۰۸
نماذج من رسائل النبىّ المؤرّخة بالعام الهجرىّ ۶۰۹
سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۹۷
التذكير بنقطتين ۶۱۳

مؤامرة الطاغوت ۶۱۴

برنامج الرحلة فی حادث الهجرة ۶۱۵

النزول فی قریة قباء ۶۱۷

المدینة تهب لاستقبال النبیّ (ص) ۶۱۹

النبیّ (ص) یدخل المدینة ۶۲۱

أصل النفاق و منشأه ۶۲۳

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشـّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع " القائمیّـة "الثّقافیّ بأصـبَهانَ – إیرانَ: الشـهید آیـة الله" الشـمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحـداً من جَهابذة هـذه المدینة، الذی قدِ اشـتهَرَ بشَـغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صـلواتُ اللهِ علَیهـم) و لاسـیَّما بحضـرة الإمام علیّ بن موسَـی الرِّضا (علیه السّـلام) و بِساحة صـاحِب الزّمـان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهـذا أسّـس مع نظره و درایته، فی سَـنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسـیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز" القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَـنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایـة سـماحة آیـة الله الحـاجّ السیّد حسن الإمـامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَـدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّـة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهـمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشـّباب و عموم النـاس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائـل الدّینیّـة، تخلیف المطـالب النّـافعـة – مکـانَ البَلاتیثِ المبتذلـة أو الرّدیئـة – فی المحـامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّـلام – بباعث نشـر المعارف، خـدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغـة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جـهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنَّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.